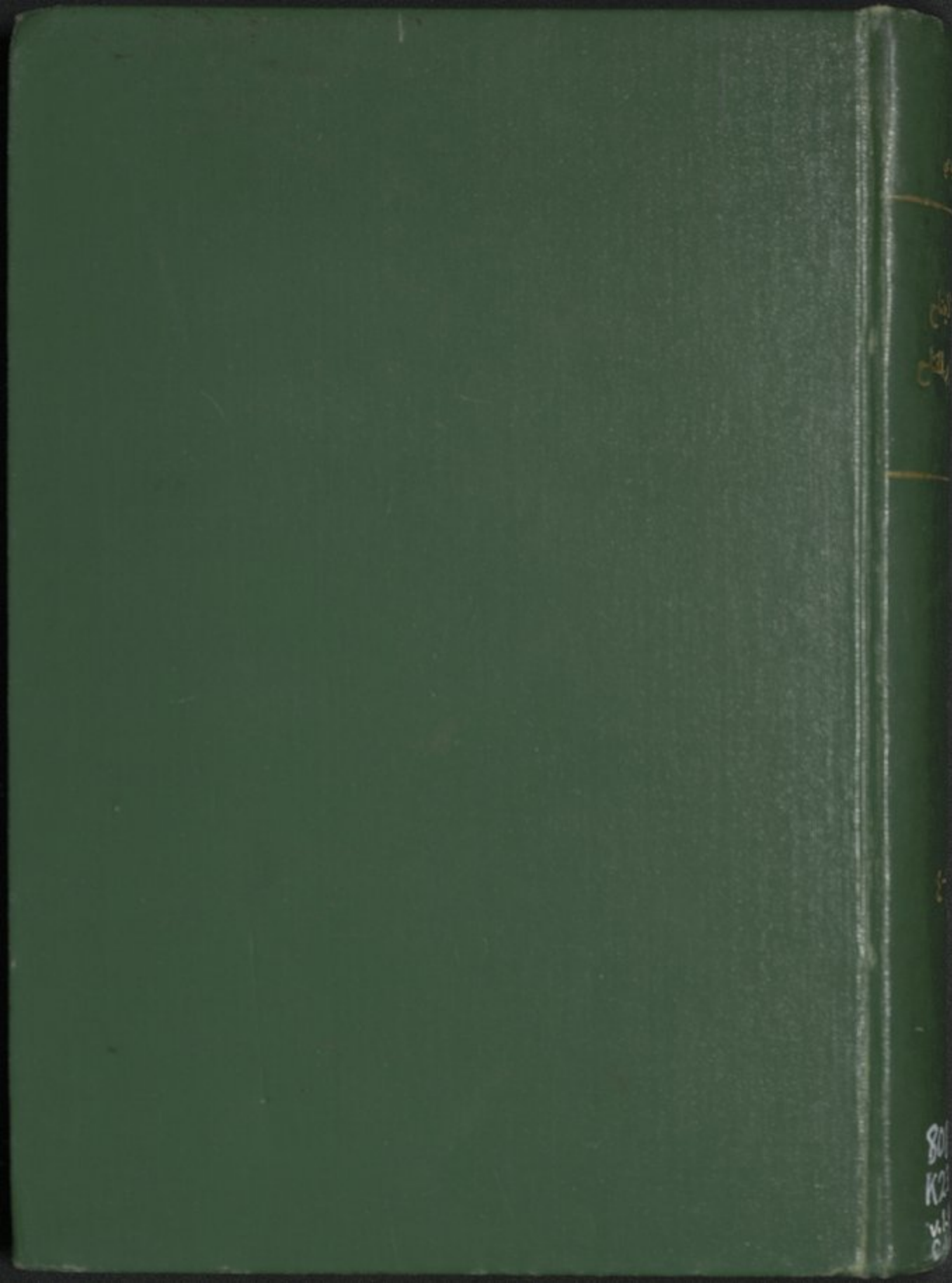




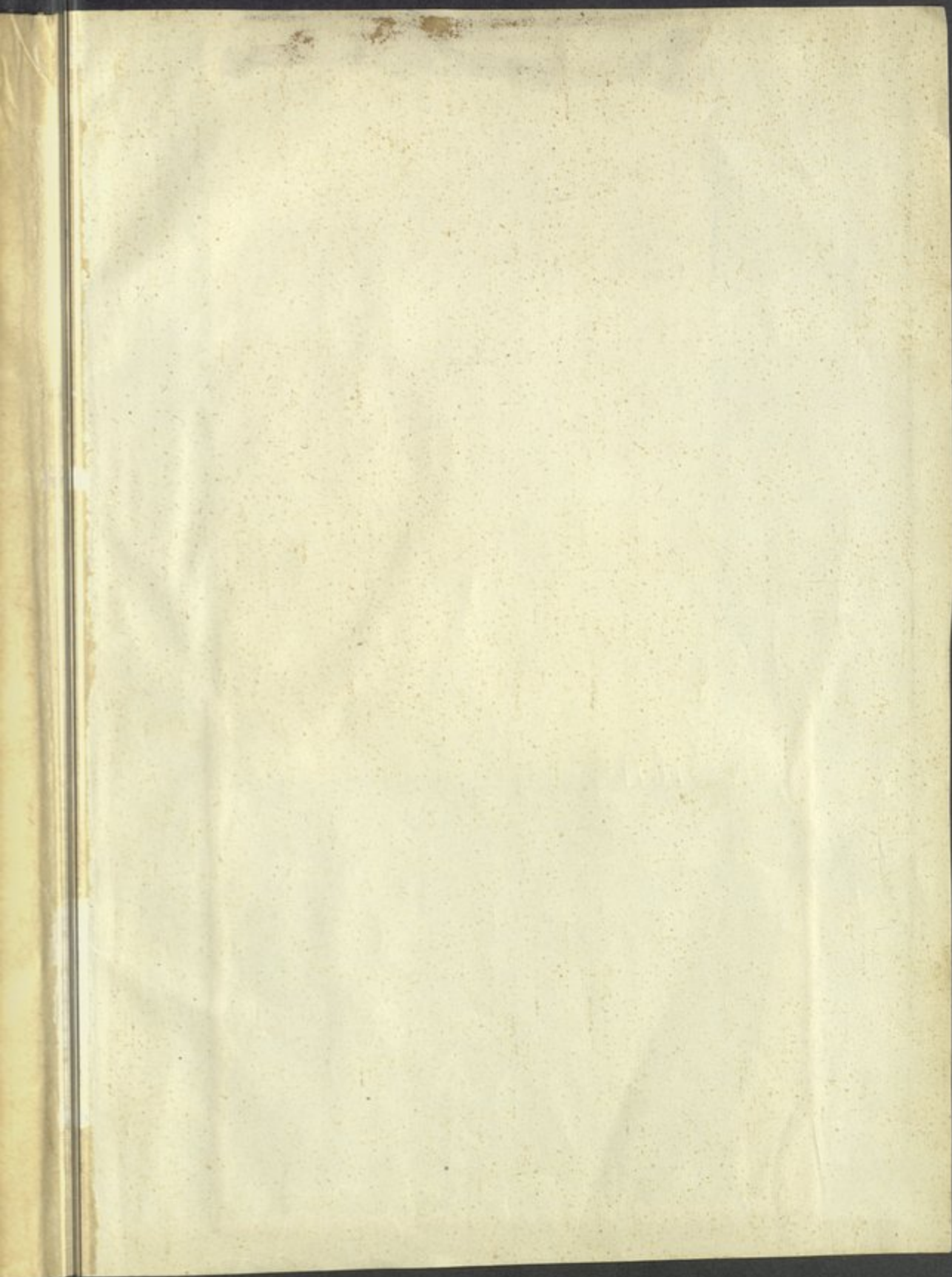
تجليد صالح الدفر
٢٢٩٧٧

DATE DUE

JAFET LIB.

02 AUG 1993

20



808
K2316A
v.1-4
C.I

بُعَيْدُ الْإِضَاحِ

لِلدَّخِصِ الْمِفْتَاحِ

فِي عُلُومِ الْبَلَاغَةِ

تأليف

عبد المتعال الصعدي

المدرس بكلية اللغة العربية من كليات الجامعة الأزهرية

الجزء الأول

من أول الإيضاح إلى القول في أحوال متعلقات الفعل

الطبعة الخامسة

حبي: قد وضعنا - الإيضاح - بأعلى الصفحة، ووضعنا شرحه - بقية الإيضاح - بأشفلها

الناشر: مكتبة الآداب بالجاميز ت: ٤٢٧٧٧

المطبعة النموذجية

٦ سكة الشاوي بالحمية الجديدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمد الله وأستعين به ، وأصلي على نبيه سيدنا محمد وآله وصحبه .

وبعد - فإن الشيخ الإمام أبا عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن عمر المعروف بالخطيب القزويني المتوفى سنة ٧٣٩ هـ ألف كتابه - الإيضاح - ليجعله شرحا لكتابه - تلخيص المفتاح - ويجمع فيه بين طريقة الإمام عبد القاهر في كتابيه - دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة - وطريقة أبي يعقوب السكاكي في كتابه - مفتاح العلوم - وتُعنى طريقة عبد القاهر يبحث أسرار البلاغة في الشواهد العربية أكثر مما تُعنى بتقرير القواعد العلمية ، وتُعنى طريقة السكاكي بتقرير القواعد العلمية أكثر مما تُعنى يبحث أسرار البلاغة في الشواهد العربية ، وقد جمع الخطيب القزويني بين الطريقتين بطريقة جمعت محاسنها وخاتمت عيوبها إلا في النادر ، فكان كتابه بهذا من أحسن ما وضع قديما في علوم البلاغة بعد هذين الإمامين . وقد جاء بعد الخطيب علماء ساروا في شرح تلخيصه على غير طريقته ، ومضوا في الطريقة التقريرية إلى أبعد حدودها . حتى بعدوا بعلوم البلاغة عن الأدب ، وجعلوها محركات لفضيلة لا طائل تحتها ، ولا ينحى الطالب منها ثمرة نافعة ، ولهذا رأيت أن أضع على كتاب الإيضاح هذه التعليقات ، وأن أسميها - بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح - لتسير به وبالتلخيص في الطريقة التي سنها واضعها ، وتُعنى بالثلباب من علوم البلاغة ، وتنبذ تلك القشور التي شوهت محاسنها ، كما تُعنى بالتمييز بين المعاني البلاغية والمعاني النحوية التي خلط بينها المتأخرون ، وبشرح الشواهد ونسبتها إلى أصحابها ، والله أسأل العون على إتمامها ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

عبد الوهاب الصعبي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خطبة الربضاح :

قال الشيخ الإمام العالم العلامة خطيب الخطباء مفتي المسلمين جلال الدين أبو عبد الله محمد ابن محمد ابن قاضي القضاة سعد الدين أبي محمد عبد الرحمان ابن إمام الدين أبي حنيفة محمد بن عمر القزويني الشافعي ، متع الله المسلمين بمحياته ، وأحسن عقباه .

الحمد لله رب العالمين ، وصلاته على محمد وعلى آل محمد أجمعين — أما بعد — فهذا كتاب في علم البلاغة وتوابعها ، ترجمته — بالإيضاح — وجعلته على ترتيب مُختصرٍ الذي سمّيته — تلخيص المفتاح — وبسطت فيه القول ليكون كالشرح له ، فأوضحت مواضعه المُشكّكة ، وفصلت ممانيه المُجتمَلة له . وعمدت إلى ما خلا عنه المختصر مما تضمنه — مفتاح العلوم — وإلى ما خلا عنه المفتاح من كلام الشيخ الإمام عبد القاهر الجرجاني رحمه الله في كتابيه — دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة — وإلى ما تيسر النظر فيه من كلام غيرهما . فاستخرجت زُبْدَ ذلك كله ، وهذبته وربتها حتى استقر كل شيء منها في محله ، وأضفت إلى ذلك ما أدّى إليه فكركي ، ولم أجده لغيري ، فجاء بحمد الله جامعاً لأشتات هذا العلم ، وإليه أرغب أن يجعله نافعا لمن نظر فيه من أولى الفهم ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

المقدمة

في الكشف عن معنى الفصاحة والبلاغة وانحصار علم البلاغة في علم المعاني والبيان ^(١)

المنحرف في تفسير الفصاحة والبلاغة : للناس في تفسير الفصاحة والبلاغة
أقوال مختلفة ^(٢) لم أجد فيما بلغتني منها ما يصلح لتعريفهما به ^(٣) ولا ما يشير إلى

(١) إنما حصر علم البلاغة في علم المعاني والبيان لأن علم البديع يبحث في المحسنات التي تكون بعد رعاية وجوه البلاغة والفصاحة في الكلام ، وقدم الكشف عن معنى الفصاحة والبلاغة على بيان انحصار علم البلاغة في هذه العلوم ، لأن معرفة انحصاره فيها تتوقف على الكشف عن معنى الفصاحة والبلاغة ، وبهذا كان صنيعه أحسن من السكاكي ، لأنه ذكر الكلام على الفصاحة والبلاغة في آخر علم البيان
(٢) منها قول أكثم بن صيفي : البلاغة الإيجاز . وقول أرسطو : البلاغة حسن الاستعارة . وقول ابن المعتز : البلاغة قلة الحصر ، والجرأة على البشر . وقول بعضهم : البلاغة تصوير الحق في صورة الباطل ، وتصوير الباطل في صورة الحق . والاول كقول محمد بن عبد الملك الزيات : النحمة خسر في الطبيعة . وضعف في المتن . والثاني كقول الحارث بن حليزة .

عَيْشِي بِجَدِّ لَا يَضِرُّكَ النُّوْكَ مَا لَا قِيَتَ كَجَدِّ
والعيش خسر في ظلال النوك ممن عاش ككدا
وأقول المتقدمين كثيرة في البلاغة ، والظاهر أن جمهورهم لم يكن يفرق بينها وبين الفصاحة ، وقد نُتِمَلْ عن أفلاطون أن الفصاحة لا تكون إلا لموجود ، والبلاغة تكون لموجود ومفروض ، ولعله يعني بالموجود اللفظ ، وبالمفروض المعنى . وقال العاصم بن عدي : الشجاعة قلب ركين ، والفصاحة لسان رزين . وهو يعنى باللسان اللفظ ، وبالرزين ما فيه نخامة وجزالة . وقال بعضهم : الفصاحة تمام آلة البيان . وهي عنده مقصورة على اللفظ أيضا ، لأن الآلة — وهي اللسان — تتعلق باللفظ دون المعنى .

(٣) لأن هذا الأقوال يقصد منها ذكر أوصاف للبلاغة والفصاحة ، ولا يقصد

الفرق بين كَوْنِ الموصوف بهما الكلامَ وكون الموصوف بهما المتكلم ، فالأولى أن تقتصر على تلخيص القول فيهما بالاعتبارين فنقول : كُـلُّ واحدة منهما تقع صفة لمعنيين : أحدهما الكلام ، كما في قولك - قصيدة فصيحة أو بليغة ، ورسالة فصيحة أو بليغة - والثاني المتكلم ^(١) كما في قولك - شاعر بليغ أو فصيح ، وكاتب فصيح أو بليغ - والفصاحة خاصة تقع صفة للفرد ، فيقال - كلمة فصيحة - ولا يقال - كلمة بليغة .

فصاحة المفرد : أما فصاحة المفرد فهي خلوصه من تنافر الحروف والغرابية ومخالفة القياس اللغوي .

١ - فالمتنافر منه ما تكون الكلمة بسببه متناهية في الثقل على اللسان وعسر النطق بها ^(٢) كما روي أن أعرابياً سئل عن ناقته فقال : تركتها ترعى

منها حقيقة الحدِّ والرسم ، وقد قصد بعض العلماء بعد هذه الأقوال إلى حقيقة الحدِّ والرسم ، فقاروا ولم يصلوا إليهما ، ومنهم أبو هلال العسكري - الصناعتين - فعرف البلاغة بأنها كل ما يتلغ به المعنى قلب السامع فتكمنه في نفسه لتكمنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن ، وذكر أنه اختلف في الفصاحة ، فقيل : إنها مأخوذة من قولهم : أفصح عما في لسانه إذا أظهره ، وعلى هذا ترادف البلاغة ، وقيل : إنها تمام آله البيان ، فلا يكونان مترادفين ، لأن الفصاحة تكون حينئذ مقصورة على اللفظ - وكذلك كان السكاكي - في المفتاح - كما سيأتي في كلامه عليهما .

(١) يرى أبو هلال العسكري أن البلاغة من صفة الكلام لا المتكلم ، ولهذا لا يجوز أن يسمى الله تعالى بليغاً ، إذ لا يجوز أن يوصف بصفة كان موضوعها الكلام ، وأما تسمية المتكلم بليغاً فتشوش ، وحقيقته أن كلامه بليغ ، ثم كثر استعمال ذلك حتى صار كالحقيقة ، ويرى أيضاً أنه لا يجوز أن يسمى فصيحاً ، لأن الفصاحة تتضمن معنى الآلة وهي اللسان .

(٢) ذكر ابن الأثير أن المعول في ذلك على الذوق الصحيح ، فما بعده ثقيلاً

الْمُعْخُ (١) ومنه ما هو دون ذلك ، كلفظ — مستشزر — في قول امرئ القيس :
غَدَاثُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إِلَى الْعَلَا (٢)

عسر النطق فهو متنافر ، سواء أ كان ذلك من قرب مخارج الحروف أم من بعدها أم من غيرهما ، وذكر ابن سنان الحفاجي أن قرب المخارج يكون سبباً في قبح اللفظ وبعدها يكون سبباً في حسنه ، وذلك غير صحيح ، لأن الكلمتين قد تتركبان من حروف واحدة وتكون إحداهما ثقيلة دون الأخرى ، وذلك مثل (تَعْلَمَ وَمَلَعَ) فالأول خفيفة على اللسان ولا ينبو عنها الذوق بخلاف الثانية مع اتحاد حروفهما ، وقد تتألف الكلمة من حروف متقاربة ولاثقل فيها مثل (ذننه بغمي) فالباء والقاء والميم أحرف شغوية متقاربة ولاثقل فيها ، ولكنه مع هذا لا يمكن إنكار ما مخارج الحروف وصفاتها وهيئة تأليفها من الأثر في خفة الكلمة وثقلها ، وإنما عول على الذوق دونه لأنه لا يجري على قاعدة معروفة ، وقد زعم الزوزني أن في قوله تعالى — ي ٦٠ س ٣٦ (أَلَمْ أَعِزُّ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ) ثقلًا قويًا من التناهي لقرب مخرج الهمزة والعين والهاء ، مع أن الكلمة خفيفة في الذوق ، وهي سقطة من الزوزني .

(١) قيل : إنه اسم شجر . وقيل : إنه مُعَايَاةٌ لا أصل لها ، ومثله كل كلمة يجمع فيها بين العين والحاء أو بين الغين والحاء أو بين الجيم والصاد أو بين الجيم والقاف أو بين الدال والزاي ونحو ذلك ، مثل عَقِجْتُ وَالظُّشَّ وَالشَّصَاءُ وَنَحْوَهَا
(٢) هو من قول حُسَيْنِ بْنِ حُسَيْنٍ الكندي المعروف بامرئ القيس في معلقته :
وَفَرَعَ بَرْنِ الْمَتْنِ أَسْوَدًا حَمِيمٍ أَثْبُتَ كَقَسْوَةِ النَّخْلَةِ الْمُتَعَشِّشِ كُلِّ
غَدَاثُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إِلَى الْعَلَا تَسْلُ الْمَدَارَى فِي مُنْتَهَى وَمُرْسَلِ
وَفَرَعَ الْمَرَاةَ شَمَرَهَا ، وَالْمَتْنِ الظُّرَّ ، وَالْأَثْبُتَ الْكَثِيرَ الشَّعَرِ ، وَالْقَسْوَةَ الْعَقُودَ ،
وَالْمُتَعَشِّشَ الْمَتْرَاكِمَ ، وَالْغَدَاثَ الذَّوَابَّ ، وَالْمُسْتَشْزِرَاتِ الْمُرْتَفَعَاتِ ، وَالْمَدَارَى
الْأَمْشَاطَ حَمْعَ مِدْرَى ، وَالْمَتْنِ الْمَقْتُولِ . وَالْمُرْسَلِ غَيْرِ الْمَقْتُولِ . وَسَبَبُ ثَقُلِ
— مُسْتَشْزِر — تَوْسُطُ الشَّيْنِ الْمَهْمُوسَةِ الرَّخْوَةِ بَيْنَ التَّاءِ الْمَهْمُوسَةِ الشَّدِيدَةِ وَالزَّوَايِ
الْمَجْهُورَةِ . وَمِثْلُ مُسْتَشْزِرَاتٍ — أَطْلَحْتُمْ — فِي قَوْلِ أَبِي تَمَامٍ :
قَدْ قُلْتُ لَمَّا أَطْلَحْتُمْ الْأَمْرَ وَأَنْبَعَثُ عَشِيَاءَ تَالِيَةً غَيْبًا دَهَارِيًا

والغرابية أن تكون الكلمة وحشية لا يظهر معناها ^(١) فيحتاج في معرفته إلى أن يُقَرَّ عنها في كتب اللغة المبسوطه، كما روى عن عيسى بن عمر النحوي أنه سقط عن حمار فاجتمع عليه الناس، فقال: مالكم تسكأ كأتُم عليّ تكأ كؤكم على ذى جنة أفرنقُموا عني. أي اجتمعتم تنخؤا، أو يخرج لها وجه بعيد ^(٢) كما في قول العجاج:

وكذلك — سويداواتها — في قول المتنبي.

إن الكريم بلا كرامٍ منهم مثل القلوب بلا سويداواتها
وقد نشأ ثقلها من طولها، وهي مفردة أيضا لأنها مركب إضافي.

(١) عدم ظهور المعنى ينشأ عن وحشية الكلمة، ومعنى وحشيتها كونها غير مأنوسة الاستعمال عند العرب الخالص، فلا يعول في ذلك على غيرهم من المتحدّثين الذين ظهروا بعد فساد اللغة، ولا يردُّ على هذا متشابه القرآن وبجمله، لأن المراد عدم ظهور المعنى الموضوع له، والمعنى الوضعي في المتشابه والمجمل ظاهر لاختفاء فيه، وإنما الخفاء في مراد الله تعالى منهما، ومن المتشابه في القرآن قوله تعالى ي ١٠ س ٤٨ (يَدُّ اللَّهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) ومنه في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم «يَزُلْ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا» ومنه في الشعر قول أبي تمام:

وَلِهَتْ فَأَظْلَمَ كُلُّ شَيْءٍ دُونَهَا وَأَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ مَظْلَمٌ
فالولة والظلمة والإضاءة ألقاظ ظاهرة المعنى، ولكن البيت بجملة يحتاج فهمه إلى استنباط، ومراده أنها ولهت فأظلم ما بينه وبينها من جزعه لولها، وظهر له ما خفي عنه من حباله.

ولأن أرى أن الغرابية وحدها لا تخل بفصاحة الكلمة، وقد بينت هذا في كتابي — البلاغة العالية.

(٢) إنما يلجأ عندهم إلى تخريبها على وجه بعيد إذا وقعت من عربي عارف باللغة، لأنه لا يصح حمل كلامه على الخطأ، والحق أن العربي قد يخطئ في لغته، وأن الحمل على الخطأ خير من تكلف ذلك لتخريب البعيد.

وفاحماً ومرصناً مسرجاً (١)

فإنه لم يُعرف ما أراد بقوله — مسرجاً — حتى اختلف في تخرجه (٢) .
ف قيل : هو من قولهم للسيوف مُرَيْجِيَّةٌ منسوبة إلى قَيْنٍ يقال له مُرَيْجٌ ، يريد
أنه في الاستواء والدقة كالسيف المريجى ، وقيل من السراج ، يريد أنه في البريق
كالسراج ، وهذا يقرب (٣) من قولهم — سَرَجٌ وجهه — بكسر الزاء أى

(١) هو لعبد الله بن ربيعة بن حنيفة التميمي السعدي المعروف بالعجاج من قبيلة :

أَيْلَامٌ أَبَدَتْ وَاضِحاً مُفْلَجاً أَغْرَ بَرّاً وَطَرَفاً أَبْرَجاً

ومثله وحاجباً مُزَجَّجاً وفاحماً ومرصناً مسرجاً

والفاحم الشعر الشديد السواد ، والمرصن اسم لمحل الرّسّين وهو أنف البعير ثم
أطلق وأريد به الأنف مطلقاً على سبيل المجاز المرسل . وقيل : إن الشاهد لربيعة بن العجاج

(٢) سبب اختلافهم أن مسرجاً اسم مفعول من — سَرَجَ — وصيغة فَعْلٌ

تأتي للنسبة إلى مصدرها ، كما تقول — كَرَّمْتُهُ — بمعنى نسبته إلى الكرم ، ولما

كان هذا غير ممكن في — سَرَجَ — تكلفوا له أصلاً ينسب إليه . وهو السيوف

السريجيّة أو السراج ، وهذا إلى أن — مسرجاً — في قول العجاج بمعنى

شبيه بالسراج أو السيوف السريجية ، وهو في أصل وضعه يدل على النسبة إلى أصله ،

ولا يستفاد منه التشبيه إلا بتكلف والحق أن أخذه من السراج لا غرابة فيه من

وجه الاشتقاق والتشبيه ، لأن الاشتقاق من الاسم الجامد قد جاء في كلام العرب ،

كما في قول ابن المُعرّج :

وَبُرُودٌ مُدْتَرَاتٌ وَفَزٌّ وَمَلَأَ مِنْ أَعْنَقِ السَّكْتَانِ

فاللحن في ذلك على التشبيه ، أى برود وشيئها كالدنانير .

(٣) إنما كان قول العجاج قريباً من هذا الاستعمال ولم يكن منه ، لأنه كما

جاء في — التاج — استعمال غريب أو مُؤَلَّدٌ ، والعجاج شاعر إسلامي ، فلا يقال

في كلبته إنها مولدة ، والحق أن هذا الاستعمال من الغريب لا المولد ، لأن العجاج

شاعر إسلامي ، ولكن غرابته لا تكون من غرابة التخريج على وجه بعيد ، وإنما

هي من القسم الأول

حَسَنٌ ، وَمَرَّجَ اللَّهُ وَجْهَهُ . أَيْ يَهْجُهُ وَحَسَنَهُ .

ومخالفة القياس ^(١) كما في قول الشاعر :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْأَجَلِّ ^(٢)

ومن الكلمات الغريبة الحَقَّادُ بمعنى السوء الخُلُقُ ، والابْتِشَاك بمعنى الكذب ، كما في قول الشاعر :

وَمَا أَرْضَى لِمُقْلَتِهِ بِحُلْمٍ إِذَا انْتَبَهَتْ تَوَهَّمَهُ ابْتِشَاكًا

(١) المراد به انقياس اللغوى كما سبق ، ومخالفته بأن تكون الكلمة على خلاف ما ثبتت عن الواضع ، وقد حمله بعضهم على القياس العَصَرُ في وهو خطأ ، لأن مخالفة القياس الصرفى لا تخل دائماً بالفصاحة ، إذ توجد كلمات كثيرة فصيحة على خلافه ، وذلك مثل آل وماء وبأبى وعَدْوَرٌ يَعْمُورُ ، هذا ويدخل في مخالفة القياس اللغوى كل ما تنكره اللغة لما أخذ لغوى أو صرفى أو غيرهما ، وذلك كالمقراض في قول أبى الشَّيْبِصِ :

وَجَنَاحٌ مَقْصُوصٌ تَحْيِفُ رِشَّهُ رَيْبُ الزَّمَانِ تَحْيِفُ الْمُقْرَاضِ

لأنه لم يسمع في كلامهم إلا مثني خلافاً لسيبويه ، وكالايم وقول أبى عُبَادَةَ :

يَشُقُّ عَلَيْهِ الرِّيحُ كُلُّ عَشِيَّةٍ جِيُوبُ الْغَمَامِ بَيْنَ بَكْرٍ وَأَيْمٍ

لأنه وضعها مكان الثيب مع أن الايم هى التى لازوج لها ولو كانت بكرًا وكذف

النون من - لكن - في قول النجاشي :

فَلَسْتُ بِأَتِيهِ وَلَا أَسْتَطِيعُهُ وَلَا كِاسْتَفْنِي إِنْ كَانَ مَاؤُكَ ذَا فَضْلٍ

أراد - ولكن استفنى .

(٢) هو لأبى النجم الفضل بن قُدَامَةَ الشَّعْبَلِيِّ من قوله فى مطلع أَرْجُوزَتِهِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْأَجَلِّ الْوَاهِبِ الْفَضْلِ الْكَرِيمِ الْمُجَزَّلِ

والذى أُلْجِأَ إِلَى فَتَنِ الْإِدْغَامِ ضَرُورَةَ الشَّعْرِ ، وَلَكِنْ ذَلِكَ لَا يَمْنَعُ الْإِخْلَالَ

بِالْفَصَاحَةِ ، لِأَنَّ مِنَ الضَّرُورَاتِ الشَّعْرِيَّةِ مَا هُوَ مُسْتَقْبِحٌ ، وَقَدْ رَوَى مُطْلَعُهَا .

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَهَّابِ الْمُجَزَّلِ أَعْطَى فَلَمْ يَبْخُلْ وَلَمْ يَبْخُلْ

فإن القياس الأجل بالإدغام .
وقيل : هي خلوصه مما ذكر ومن الكراهية في السمع . بأن تخرج الكلمة
ويُتبرأ من معامها كما يتبرأ من مسمع الأصوات المنسكرة ، فإن اللفظ من قبيل
الأصوات ، والأصوات منها ما تستلذ النفس بمعاها ، ومنها ما تستكره بمعاها .
كلفظ - الجرشي - في قول أبي الطيب :

كريم الجرشي شريف النسب ^(١)

أي كريم النفس ، وفيه نظر ^(٢)

ثم علامة كون الكلمة فصيحة أن يكون استعمال العرب الموثوق بعريتهم لها
كثيراً ^(٣) أو أكثر من استعمالها بمعناها ^(٤)

فصاحة الكلام : وأما فصاحة الكلام فهي خلوصه من ضعف التأليف وتنافر

فلا يكون فيه شاهد لمخالفة القياس ، ومنه قول الشاعر :

مهلاً أعاذلُ قد جربت من خلقي أني أجود لأقوام وإن ضننوا

(١) هو من قول أبي الطيب أحمد بن الحسين الجعفي الكندي المعروف

بالمذنب في مدح سيف الدولة :

مُبَارَكُ الْأَسْمِ أَغْرَى الْقُبُ كَرِيمُ الْجَرَشِيِّ شَرِيفُ النَّسَبِ

وقد أخذ الدسوقي في حاشيته على المختصر من قوله - شريف النسب - أن

سيف الدولة من بني العباس ، وهو خطأ ظاهر ، لأن سيف الدولة من تغلب

(٢) وجه النظر أن الكراهة في السمع لا تكون إلا من تنافر حروف الكلمة

أو غرابتها ، فليست شيئاً آخر غيرهما ، والجرشي في بيت المذنب تدخل في الغرابة

(٣) هذا إذا لم يكن لها مرادف

(٤) هذا إذا كان لها مرادف ، ولكن هذا مضمي نفي الفصاحة عن مرادفها ،

مع أن مراتب الفصاحة متفاوتة ، فلا مانع من أن يكون كل منهما فصيحاً ولو كان

أحدهما أكثر استعمالاً ، فالأولى الاختصار على الشق الأول من هذه العلامة

الكلمات والتعقيد مع فصاحتها^(١)

فالضعف^(٢) كما في قرلنا — ضرب غلامه زيداً — فإن رجوع الضمير إلى المفعول المتأخر لفظاً ممنوع عند الجمهور ، لئلا يلزم رجوعه إلى ما هو متأخر لفظاً ورتبة وقيل : يجوز^(٣) كقول الشاعر :

جزى ربه عني عدي بن حاتم جزاء الكلاب العاويات وقد فعل^(٤)

وأجيب عنه بأن الضمير لمصدر — جزى — أي رب الجزاء ، كما في قوله^(٥)

(١) أي مع فصاحة الكلمات ، لأن فصاحة الكلمة شرط في فصاحة الكلام ، فلو خلا من الثلاثة واشتمل على كلمة غير فصيحة لم يكن فصيحاً ، وذلك كقول أبي الطيب :

مباركُ الاسم أغرُّ اللقب كريمة الجرئ شريف النسب

(٢) ضعف التأليف هو أن يكون تأليف الكلام على خلاف المشهور من قواعد النحو ، وإنما قيد الخلاف بالمشهور من القواعد لأن خلاف المجمع عليها خطأ لا ضعف تأليف .

(٣) هذا مقابل قوله — ممنوع عند الجمهور — فهو قول بعض النحاة أيضاً . وليس قولاً لبعض علماء البلاغة ، لأنهم متفقون على أن ذلك ضعف تأليف

(٤) قبل : إنه للابغة الذبباني ، وقيل : إنه لابي الأسود الدؤلي . وقيل : إنه مولد مصنوع ، وجزاء الكلاب الضرب بالحجارة ، وجملة — جزى ربه — دعائية ، يعني أنه يدعو عليه بذلك وقد حقق الله دعاءه ، ولا يخفى ما في هذا من دم التلاوم ، والاولى أن يعود ضمير — فعل — إلى عدي ، والمراد ما فعله معه من الإساءة إليه ، والحق أن هذا البيت ليس للابغة ، وإنما هو اشتباه بقوله :

جزى الله عبدا عبس آل بغض جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

(٥) — ي ٨ س ٥ — وهذا قياس مع الفارق ، لأن الضمير في الآية ظاهر العود إلى العدل ، أما البيت فضميره ظاهر العود إلى عدي ، ولا داعي إلى تكلف عوده إلى الجزاء .

تعالى (اعدلوا هو أقرب للتقوى) أى العدل .

والتنافر منه ما تكون الكلمات بسببه متناهية في الثقل على اللسان وعسر النطق بها متتابعة ، كما في البيت الذى أنشده الجاحظ .

وقبرٌ حربٍ بمكانٍ قفرٍ وليس قربَ قبرٍ حربٍ قبرٌ ^(١)

ومنه مادون ذلك ، كما في قول أبى نمام :

كريم متى أمدحه أمدحه والورى معى وإذا ما لمته لمته وحدى ^(٢)
فإن في قوله - أمدحه - ثقلًا ما ، لما بين الحاء والهاء من التنافر ^(٣)
والتعقيد ألا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد به ^(٤) وله سببان :

ومن ضعف التأليف وقوع ضمير الوصل بعد - إلا - في قول الشاعر :
وما علينا إذا ما كنت جارتنا ألا يحاورنا إلاك ديارٌ
ومنه حذف - أن - . مع بقاء عملها ، كقول طرفة .

ألا أي هذا الزاجرى أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلى
(١) زعموا أن البيت لبعض الجن ، وكان قد صاح على حرب بن أمية في
فلاة قات بها ، واقفر الخالي ، وهو مرفرغ صفة لمكان على القطع ، أو خبر
المبتدأ وهو قبر ، والمعنى أنه مع مكانه فقر ، وفي هذا الوجه تكلف

(٢) هو لحبيب بن أوس الطائي المعروف بأبى تمام يمدح به موسى بن إبراهيم
الرافى ، والورى الخاق ، ولا يخفى نبؤ الشطر الثانى عن المدح ولا سيما مع - إذا - المفيدة
للتحقق ، وأخذ عليه أيضا مقابلة المدح باللوم لا الهجاء ، ولعله أراد أن يزهه عنه

(٣) الحق أنه لا تنافر في ذلك لأنه ثقل محتمل ، وقد جاء في قوله تعالى
(فتسبحه) وقيل إن الذى أوجب التنافر في البيت هو التكرير في قوله - أمدحه
أمدحه - مع الجمع بين الحاء والهاء

ومن تنافر الكلمات قول الشاعر :

وازور من كان له زائراً وعاف عافى العُرف عرفانه

(٤) أى لا الموضوع له كافي الغرابة . ولا يدخل في التعقيد المتشابه والمجمل ، لأن

أحدهما ما يرجع إلى اللفظ ، وهو أن يختل نظم الكلام ^(١) ولا يدري السامع كيف يتوصل منه إلى معناه ، كقول الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا مُملِّكا أبو أمّ حى أبوه يُقارِبُه ^(٢)

كان حقه أن يقول : وما مثله في الناس حى يقاربه إلا مملك أبو أمه أبوه ، فانه مدح إبراهيم بن هشام بن إسماعيل الخزرمي خال هشام بن عبد الملك ابن مروان فقال : وما مثله - يعنى إبراهيم الممدوح - في الناس حى يقاربه - أى أحد يشبهه في الفضائل ^(٣) إلا مملكا - يعنى هشاماً - أبو أمه - أى أبو أم هشام - أبوه - أى أبو الممدوح ، فالضمير فى - أمه - للمملك ، وفى - أبوه - للممدوح ، ففصل بين - أبو أمه - وهو مبتدأ و - أبوه - وهو خبره ، بحى وهو أجنبي ، وكذا فصل بين حى ويقاربه وهو نعت حى ، وقدم المستثنى على

عدم ظهور المراد فيها ليس لاختلال النظم أو نحوه مما يأتى ، وقد اختلفت في دخول اللفز والمعنى في التعقيد ، فقليل : إنهما منه ، وقيل : إنهما من المحسنات البديعية إن كانت الدلالة فيهما ظاهرة للفظن ، وكل منهما قول يدل ظاهره على خلاف المراد ، ولكن اللفز يكون على طريق السؤال ، كقول الحريري في الميل :

وما ناكح أختين سرا وجهرة وليس عليه في النكاح سبيل

(١) قد يكون اختلاله باجتماع أمور فيه توجب صعوبة الوصول إلى معناه وإن كانت جائزة في النحو ، وهذه الأمور كالتقديم والتأخير والحذف والإضمار ونحو ذلك ، وبهذا يكون التعقيد اللفظي غير ضعف التأليف ولكنهما قد يجتمعان في مثال واحد ، كما في بيت الفرزدق ، وينفرد ضعف التأليف في مثل - ضرب غلامه زيدا - وينفرد التعقيد في مثل - إلا عمرا الناس ضارب زيد - بتقديم المفعول والمستثنى وتأخير المبتدأ ، وهذا جائز في النحو ، والأصل - زيد ضارب الناس إلا عمرا

(٢) هو لهما - أم بن غالب التميمي المعروف بالفرزدق ، وقيل : إن البيت ليس له

(٣) فيقاربه في البيت بمعنى يضاهيه ويشبهه ، ويجوز أن يكون من قرب النسب

المستثنى منه ، فهو كما نراه في غاية التعقيد ^(١)

فالكلام الخالي من التعقيد اللفظي ما سلم نظامه من الخلل ، فلم يكن فيه ما يخالف الأصل من تقديم أو تأخير أو إضمار أو غير ذلك إلا وقد قامت عليه قرينة ظاهرة لفظية أو معنوية ، كما سيأتي ذلك كله وأمثلته اللاحقة به .

والثاني ما يرجع إلى المعنى ، وهو ألا يكون انتقال الذهن من المعنى الأول إلى المعنى الثاني الذي هو لازمه والمراد به ظاهراً ^(٢) كقول العباس بن الأحنف :
سأطرب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناى الدموع لتجمداً ^(٣)

(١) حملة بعضهم على وجه لا تعقيد فيه ، فجعل الاستثناء من الصمير المستتر في متعلق الجار والمجرور قبله ، وجعل قوله — حتى — خبراً لقوله — أبو أمه — وكذلك قوله — أبوه — فهو خبر بعد خبر ؛ وجملة ذلك صفة قوله — مملكا — وكذلك جملة — يقاربه — فهي صفة بعد صفة ، ويكون المعنى — إلا مملكا يقاربه أبو أمه حتى ، وهو أبو الممدوح ، ولا يخفى ما في الإخبار بحى من التهافت . ومن التعقيد اللفظي قول أبي تمام .

ولقد شفى الأحشاء من برحائها أن صاو بآبك جار مازيار
ثانيه فى كبد السماء ولم يكن كائنين ثان إذ هما فى الغار
يريد أنه لم يكن كثنائ اثنين ، وقيل : إن - ثانيه - خبر ثان لصار ، وثان اسم
يسكن وكائنين خبره ، والاولى جعل ثانيه خبراً لمبتدأ محذوف تقديره هو

(٢) المعنى الاول هو المعنى الاصلى ، والمعنى الذى هو لازمه هو المعنى المجازى أو الكائناتى
(٣) قوله — وتسكب — بالرفع ، ونصبه بالعطف على — بعد — أو على — تقربوا — وهم ، والحق أنه لا شئ فى عطفه على تقربوا ، والسين فى قوله — سأطرب — مجرد التأكيد ، ومعنى الشطر الاول أنه يقارقه رجاء أن يغتم فى سفره فيعود إليه فيطول اجتماعه به

كنى بسكب الدموع عما يوجبها الفراق من الحزن^(١) وأصاب. لأن من شأن
البكاء أن يسكون كناية عنه ، كقوله - أبكاني وأضحكني - أى ساءنى
وسرنى . وكما قال الخيامى :

أبكاني الدهرُ وياربُ بما أضحكني الدهرُ بما يُرضى^(٢)

ثم طرد ذلك في نقيضه ، فأراد أن يبنى عما يوجبها دوام التلاقى من السرور
بالجود ، لظنه أن الجود خلو العين من البكاء مطلقاً من غير اعتبار شيء آخر ،
وأخطأ^(٣) لأن الجود خلو العين من البكاء فى حال إرادة البكاء منها ،
فلا يسكون كناية عن المسرة ، وإنما يسكون كناية عن البخل ، كما قال الشاعر :
ألا إن عينا لم تجد يوم واسط عليك يجارى دمعها لجود^(٤)

(١) قيل : إنه لا حاجة إلى الكناية بسكب الدموع عن هذا ، لأنه يجوز أن
يراد به حقيقة

(٢) هـ. لحيطان بن المصطفى من شعراء الحماسة ، وقد كنى فيه بإبكاء الدهر له
عن إساءته ، وبإضحاكه له عن سروره

(٣) أى فى نظر علماء البيان وإن كان لكلامه وجه من الصحة ، بأن يكون
استعمل جمود العين وهو يبسها فى خلوها من الدموع وقت الحزن مجازاً مرسلًا
علاقته الملزومية ، ثم استعمله فى خلوها من الدموع مطلقاً مجازاً مرسلًا من استعمال
المقيد فى المطلق ، ثم كنى به عن دوام السرور ، وفى ذلك من البعد والتعقيد
بكثرة الوسائط ما يجعله خطأ فى نظر علماء البيان

(٤) هو لافلح بن يسار المعروف بأبى عطاء الخراسانى فى رثاء ابن هُبيرة ، وبعده :
عشية قام النائحُ وشقَّتْ جيوبُ أَيْدى ماتم وخدودُ

وواسط مدينة بالعراق بناها الحجاج بن يوسف ، وقد قتل ابن هُبيرة فى معركة وقعت
فيها ، وقد كنى فيه بجمود العين عن بخلها بالدمع فى الوقت الذى يجب فيه أن تدمع
ومن التعقيد المعنوى قول أبى تمام :

من الهيف لو أن الخلال صيرت لها وشعاً جالت عليها الخلالُ

ولو كان الجود يصلح أن يراد به عدم البكاء في حال المسرة لجاز أن
يُدعى به للرجل ، فيقال — لازالت عينك جامدة — كما يقال — لا أبكي
الله عينك — وذلك مما لا يُشكُّ في بطلانه ، وعلى ذلك قول أهل اللغة — سنة جمادٍ
لا مطر فيها ، وناقة جمادٍ لالبن لها — فكما لا نجعل السنة والناقة جماداً إلا على
معنى أن السنة بخيلة بالقطر والناقة لا تسخو بالدَّر لا نجعل العين بجوداً إلا وهنالك
ما يقتضى إرادة البكاء منها ، وما يجعلها إذا بكيت محسنة موصوفة بأنها قد جادت ،
وإذا لم تبك مسيئة موصوفة بأنها قد ضُتَّت .

فالكلام الخالي عن التعقيد المعنوي ما كان لا يتقال من معناه الأول الى معناه
الثانى الذى هو المراد به ظاهراً ، حتى يُخَيَّلُ إلى السامع أنه فهمه من حاق اللفظ^(١)
كما سيأتى من الأمثلة المختارة للاستعارة والكناية .

وقيل : فصاحة الكلام هى خلوصه مما ذُكرَ ومن كثرة التكرار وتنسابع
الإضافات ، كما فى قول أبى الطيب :

سُبُوحٌ لها منها عليها شواهد^(٢)

وفى قول ابن بَابَك :

أراد وصفها بدقة الحصر فكفى عنه بأن الخلاخل لو جعلت لها وشعا لجالت
عليها ، وهذا لا يدل على مراده ، بل يدل على بلوغها غاية القصر ، لأنه أمكن أن
تكون الخلاخل وشعا لها ، والوشاح يضرب من العاتق إلى الكشح

(١) حاق الشيء وسطه

(٢) هو من قول أبى الطيب أحمد بن الحسين المعروف بالمتنبى فى وصف فرسه :

وَتُسَعِدُنِي فِي غَمْرَةٍ بَعْدَ غَمْرَةٍ سُبُوحٌ لها منها عليها شواهد
والغمرّة الشدة ، والسبوح السريعة ، والشواهد العلامات ، وهو فاعل قوله
— لها — لاعتماده على الموصوف قبله أو مبتدأ مؤخر ، والشاهد فى كثرة الضمائر

وتكرارها

حمّامة جرّعا حوّمه الجنديل اسجى^(١)

وفيه نظر، لأن ذلك إن أفضى باللفظ إلى الثقل على اللسان فقد حصل الاحتراز عنه بما تقدم^(٢) وإلا فلا يخل بالفصاحة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم^(٣) قال الشيخ عبد القاهر^(٤) قال صاحب^(٥) : إياك والإضافات المتداخلة فإنها لا تحسن، وذكر أنها تستعمل في الهجاء، كقول القائل :
يا عليّ بن حمزة بن عماره أنت والله ثلجة في خيارة^(٦)
ثم قال الشيخ : ولا شك في ثقل ذلك في الأكثر، ولكنه إذا سلم من الاستكراه ملح ولطف، ومما حسن فيه قول ابن المعتز أيضا^(٧)

-
- (١) هو من قول عبد الصمد بن منصور البغدادي المعروف بابن بابك :
حمّامة جرّعا حوّمه الجنديل اسجى فأنّت بمرأى من سعاد ومسمع
والجرعاء مؤنث الأجرع وهو المسكان ذو الرمل لا ينبت شيئاً، وحومة الشيء
معظمه، والجنديل الحجارة، ومرأى ومسمع اسم مكان أي بمكان تراك منه سعاد
وتسمعك، والشاهد في إضافة حمّامة إلى جرّعا، وجرّعا إلى حوّمه، وحوّمه إلى الجنديل
(٢) يعني بالتنافر
(٣) في الحديث كثرة تكرار وهي ظاهرة، ونية تتابع إضافات، لأن الإضافات
تشمل المتداخلة كما في قول ابن بابك، وغير المتداخلة كما في الحديث، والمتداخلة
هي التي يضاف فيها الأول للثاني، والثاني للثالث
(٤) ٧٠ — دلائل الإعجاز — المطبعة العربية
(٥) هو إسماعيل بن عباد المعروف بالصاحب لصحبته ابن العميد
(٦) لا يعرف قائله، وفي قوله — ثلجة في خيارة — قلب، والأصل خيارة
في ثلجة، واعترض على الخطيب بأنه سيذكر هذا البيت في الأطراد من أنواع البديع
فكيف يعيبه هنا، والحق أنه ليس فيه تتابع إضافات وإنما هذا اشتباه
نظر من عبد القاهر. وقد ترجم ياقوت لعلي بن حمزة في الجزء الخامس من معجم الأدباء
(٧) أي كما حسن فيما ذكره له قبل ذلك وهو قوله :

وظلّت تدبر الراح أيدى جاذِر عَتَاقِ دَنَانِيرِ الوجوه مَلاح^(١)
ومما جاء فيه حسناً جميلاً قول الخالدي يصف غلاماً له :

ويعرفُ الشعر مثل معرفتي وهو على أن يزيد مجتهدُ
وصيرَ في القريض وزانُ دِ نار المعاني الدقاق منقَد^(٢)

فصاحة المتكلم : وأما فصاحة المتكلم فهي مَلَكة يُقْتَدَرُ بها على التعبير

عن المفصود بلفظ فصيح ، فالمَلَكة قسم من مقولة السيف التي هي هيئة
قارّة لا تقتضي قسمة ولا نسبة^(٣) وهو مختص بذوات الأنفس راسخ في موضوعه.
وقيل — مَلَكة — ولم يُقَلْ صفة لِشِعْرٍ بأن الفصاحة من الهيئات الراسخة ،
حتى لا يكون المعبر عن مقصوده بلفظ فصيح فصيحاً إلا إذا كانت الصفة التي
اقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح راسخة فيه ، وقيل — يقتدر
بها — ولم يقل يُعَبِّرُ بها ليشمل حالتي النطق وعدمه ، وقيل — بلفظ فصيح —
لِيَعْمَ المفرد والمركب .

يا مسكة العطار وخال وجو النهار

(١) هو لعبد الله بن المعتز ، والراح الحمر ، والجاذر جمع جَوْدَر وهو ولد البقرة
الوحشية ، والعَتَاق جمع عَتِيق بمعنى كريم ، والشاهد في قوله — عَتَاقِ دَنَانِيرِ الوجوه
(٢) هما لأبي عثمان سعيد بن هاشم المعروف بالخالدي ، والصيرفي المحتال في
الأمور ، والقريض الشعر ، والمنتقد في الأصل الخبير بتمييز الدراهم ، ثم أطلق
على تمييز الدراهم غيرها ، والشاهد في قوله — وزان دينار المعاني .

(٣) خرج بهذا القيد مقوله السكّمْ كالعدد ، وكذلك مقولة الإضافة كالأبوة .
وهذا تعريف فلسفي للكيفية ، وهي عرفاً صفة وجودية إن اختصت بالنفس
الناطقة فهي نفسانية ، فإن رسخت بشئ أمتالها فهي مَلَكة ، وهذا التعريف
أليق بعلوم البلاغة .

بلاغته الكسوم : وأما بلاغة الكلام فهي مطابقتها لمقتضى الحال ^(١) مع فصاحته ^(٢) ومقتضى الحال مختلف ، فإن مقامات ^(٣) الكلام متفاوتة ، فمقام التنكير يبين مقام التعريف ، ومقام الإطلاق يبين مقام التقييد ، ومقام التقديم يبين مقام التأخير ، ومقام الذكر يبين مقام الحذف ، ومقام القصر يبين مقام خلافة ، ومقام الفصل يبين مقام الوصل ، ومقام الإيجاز يبين مقام الإطناب والمساواة ، وكذا خطاب الذكي يبين خطاب الغبي ، وكذا لسان كل كلة مع صاحبها مقام ^(٤) إلى غير ذلك كما سيأتي تفصيل الجميع .

(١) الحال هو الأمر الداعي للمتكلم إلى أن يعتبر مع الكلام الذى يؤدّى به أصل المراد خصوصية ما ، ومقتضى الحال هو تلك الخصوصية ، ومطابقة الكلام له بمعنى اشتماله عليه ، فإذا كان المخاطب ينكر قيام زيد مثلاً ، فإنكاره حال يدعو المتكلم إلى أن يخبره بقيامه مؤكداً - إن زيدا قائم - وتأكيده الخبر هو مقتضى الحال .
(٢) فصاحته تكون بخلوه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد على ما سبق فى بيان فصاحة الكلام ، وهذا قيد يخرج به كل كلام غير فصيح ، فلا يكون بليغاً وإن كان مطابقاً لمقتضى الحال .

(٣) المقامات جمع مقام وهو اسم مكان من - قام - والمراد به الحال السابق . وذلك أن البلغاء كانوا يلقون خطبهم وأشعارهم وهم قيام ، فأطلق المقام على الحال الداعي إليها لأنه سبب فيه .

(٤) هذا كالفعل الذى يقترن بالشرط ، فله مع - إن - مقام ليس له مع - إذا - وهكذا . ومن ذلك ما روى أن رجلاً أنشد ابن هرمة قوله :

بالله ربك إن دخلت فقل لها هذا ابن هرمة قائماً بالباب

فقال له : ما هكذا قلت ، أكنت أتصدق ؟ قال : فاعدا . قال : أكنت أبول ؟ قال ، فماذا ؟ قال : وإقفاً ، لبتك علمت ما بين هذين من قدر اللفظ والمعنى . ولعل ابن هرمة يعنى من ذلك أن القيام يقتضى الدوام واشتبات بخلاف الوقوف ، تقول : وقف الحاج بعرفة . ولا تقول : قام .

وتحقيق هذا أن الألفاظ المركبة فيها جمال وقبح كالألفاظ المفردة ، حتى إنه

وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول^(١) بمطابقته للاعتبار المناسب،
والخطأ، بعدم مطابقته له، فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب^(٢) وهذا — أعني
تطبيق الكلام على مقتضى الحال — هو الذي يسميه الشيخ عبد القاهر بالنظم^(٣)
حيث يقول : النظم تأخى معانى النحو^(٤) فيما بين الكلم على حسب الأغراض
التي يصاغ لها الكلام

فالبلاغة صفة راجعة إلى اللفظ باعتبار إفادته المعنى عند التركيب^(٥) وكثيراً
ما يسمى ذلك^(٦) فصاحة أيضاً، وهو مراد الشيخ عبد القاهر^(٧) بما يكرر دفي

قد يحدث أن يتألف الكلام من ألفاظ جميلة في ذاتها قبيحة في تركيبها، لفقدتها ما
يسمى جمال الانسجام، وهذا هو ما يمتنون بقولهم - ولكل كلمة مع صاحبها مقام
(١) عطف القبول على الحسن ليدل على أن المراد الحسن الذاتي الداخل
في البلاغة لا الحسن العَرَضي الحاصل بالمحسنات البدئية
(٢) أى الأمر الذى اعتبره المتكلم مناسباً بحسب السليقة أو بحسب ما
عرفه من أساليب البلغاء

(٣) ٥٥ - دلائل الإعجاز

(٤) يريد بمعانى النحو الخصوصيات التى هي مقتضى الحال من التقديم والتأخير
وغيرهما، والأغراض فى قوله - على حسب الأغراض - هى الأحوال الداعية
إليها، أو المعانى الثانوية التى يقصد من الخصوصيات إفادتها، وقيل : إن
عبد القاهر لا يقف فى هذا بالنحو عند وظيفته التى قصر أخيراً عليها، وهى الحكم
بالصحة والخطأ فى المعانى الأصلية، بل يجعل له حكماً أيضاً فى المعانى الثانوية

(٥) أى لا باعتبار أنه لفظ وصوت، ولا باعتبار الألفاظ المفردة والكلم
المجردة، والمراد بالمعنى الذى تعتبر به البلاغة المعنى الثانوى، وهو مدلول
الخصوصيات السابقة فى علم المعانى، والمعانى المجازية والكثائية فى علم البيان، أما
المعنى الأصلى وهو مجرد ثبوت المسند للمسند إليه فلا تعتبر به البلاغة أصلاً، وقد
تطلق المعانى الثانوية على نفس الخصوصيات

(٦) أى الوصف المذكور وهو البلاغة، وعلى هذا تكون مرادفة للفصاحة

(٧) فهو يريد بالفصاحة فى كلامه البلاغة، لأن الفصاحة بمعناها السابق ترجع

— دلائل الإعجاز — من أن الفصاحة صفة راجعة إلى المعنى دون اللفظ ، كقوله في أثناء فصل منه : علمت أن الفصاحة والبلاغة وسائر ما يجري في طريقهما أو صاف راجعة إلى المعنى ، وإلى ما يبدل عليه بالألفاظ دون الألفاظ أنفسها ^(١) وإنما قلنا مراده ذلك لأنه صرح في مواضع من — دلائل الإعجاز — بأن فضيلة الكلام للفظ لا للمعناه ، منها أنه حكى قول من ذهب إلى عكس ذلك ^(٢) فقال : فأنت تراه لا يقدم شعراً حتى يكون قد أودع حكمة أو أدباً ، أو اشتمل على تشبيه غريب ومعنى نادر ^(٣) ثم قال : والأمر بالضد إذا جئنا إلى الحقائق وما عليه المحصّون ، لأننا لا نرى متقدماً في البلاغة مبرراً في شأوها إلا وهو ينكر هذا الرأي . ثم نقل عن الجاحظ في ذلك كلاماً منه قوله : والمعاني مطروحة في الطريق ، يعرفها المعجمي والعربي ، والفروسي والبدوي ، وإنما الشأن في إقامة الوزن ، وتخفيف اللفظ ، وسهولة المخرج ، وصحة الطبع ، وكثرة الماء ، وجودة السبك . ثم قال ^(٤) ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة ، وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير فيه ، كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم أو سوار ، فكما أنه محال إذا أردت النظر في صوغ الخاتم وجودة العمل ورداءته أن تنظر إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة أو الذهب الذي وقع فيه ذلك العمل ، كذلك محال إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام أن تنظر في مجرد

في التنافر والغرابة ومخالفة القياس والتعقيد اللفظي إلى اللفظ وحده ، ولا ترجع إلى المعنى إلا في التعقيد المعنوي ، وكذلك يريد من رجوع الفصاحة بمعنى البلاغة إلى المعنى أنها صفة للفظ باعتبار المعنى ، ولا يريد أنها لا ترجع إلى اللفظ أصلاً .

(١) ١٦٩ — دلائل الإعجاز

(٢) عكسه هو أن فضيلة الكلام للمعنى لا للفظ

(٣) ١٦٤ — دلائل الإعجاز

(٤) ١٦٦ — دلائل الإعجاز .

معناه ، وكما لو فضلنا خاتماً على خاتم بأن تكون فِضةً هذا أجود أو فضةً أنفس لم يكن تفضيلاً له من حيث هو خاتم ، كذلك ينبغي إذا فضلنا بيتاً على بيت من أجل معناه ألا يكون ذلك تفضيلاً له من حيث هو شعر وكلام . هذا اللفظ ، وهو صريح في أن الكلام من حيث هو كلام لا يوصف بالفضيلة باعتبار شرف معناه ، ولا شك أن الفصاحة ^(١) من صفاته الفاضلة ، فلا تكون راجعة إلى المعنى ، وقد صرح فيما سبق بأنها راجعة إلى المعنى دون اللفظ ، فالجمع بينهما بما قدمناه بحمل كلامه حيث نفى أنها من صفات اللفظ على نفى أنها من صفات المفردات من غير اعتبار التركيب ^(٢) وحيث أثبت أنها من صفاته على أنها من صفاته باعتبار إفادته المعنى عند التركيب ^(٣)

وللبلاغة طَرَفَانِ: أعلى إليه تذهبى ، وهو حد الإعجاز وما يقرب منه ^(٤) وأسفل منه تبتدىء ^(٥) وهو ما إذا غيّر الكلام عنه إلى ما هو دونه التحقق عند البلغاء

(١) يريد من الفصاحة ما يرادف البلاغة جرياً على مذهب عبد القاهر

(٢) أى من غير اعتبار ما يفيد التركيب من المعاني الثانوية

(٣) فالمعنى الذى أرجع الفصاحة إليه هو المعنى الثانوى ، باعتبار استفادته من اللفظ عند التركيب ، والمعنى الذى نفى البلاغة عنه هو المعنى الاصلى للفظ المفرد والكلام المجرد عن الخصوصيات

(٤) حد الإعجاز منتهاه ، لأن الحد في اللغة منتهى الشيء ، وما يقرب من الإعجاز هو مادونه من مراتب الإعجاز ، لأن الحق أن القرآن متفاوت الإعجاز ، وليس كل آياته في درجة واحدة من البلاغة ، وبهذا يكون قوله - وما يقرب منه - معطوفاً على حد الإعجاز ، وقيل : إنه معطوف على قوله - وهو - على معنى أن حد الإعجاز هو الطرف الاعلى وما يقرب منه كما قال السكاكي ، وإن حمل ما هنا عليه لا يخلو من تكلف .

(٥) من العلماء كالفخر الرازى من يرى أن هذا ليس من البلاغة ، فيلحق بأصوات الحيوانات أيضاً ، والحق أنه منها لأنه لا بد من اشتماله على خصوصية ما ، فيدخل في تعريف البلاغة .

بأصوات الحيوانات وإن كان صحيح الإعراب، وبين الطرفين مراتب كثيرة متفاوتة
وإذ قد عرفت معنى البلاغة في الكلام وأقسامها ومرتبتها، فاعلم أنه يتبعها
وجوه كثيرة^(١) غير راجعة إلى مطابقة مقتضى الحال ولا إلى الفصاحة تورث
الكلام حسناً وقبولاً^(٢)

ببرغة المستقيم : وأما بلاغة المتكلم فهي ملكة يقدر بها على تأليف كلام بليغ
مصر علوم البرعة : وقد عُلِّمَ بما ذكرنا أمران :

أحدهما أن كل بليغ كلاماً كان أو متكلماً فصيحاً ، وليس كل فصيح بليغاً^(٣)
الثاني أن البلاغة في الكلام مرَّجِعُها إلى الاحتراز عن الخطأ في تأدية
المعنى المراد^(٤) وإلى تمييز الكلام الفصيح من غيره^(٥) والثاني - أعني التمييز -
منه ما يتبين في علم من اللغة أو التعريف أو النحو أو يدركُ بالأس وهو

(١) هي المحسنات البديعية الآتية في علم البديع .

(٢) المراد بالقبول هنا ما يرادف الحسن لا القبول بمعنى الصحة ، لعدم
توقف صحة الكلام عليها .

(٣) بما هو فصيح وليس ببليغ قول نُصِيب :

فإن تصلي أصلك وإن تعودى لهجر بعد وصلك لأبالي
لأنه نسيب رديء ، ومنه أيضاً قول جميل :

فلو تركت عقلي معي ما طلبتها ولكن طالَّ بيها لما فات من عقلي
زعم أنه هوها والذهاب عقله ، وأنه لو كان عاقلاً ما طلبها ، وأين هذا من قول بعضهم :

وما سرتني أني خلى من الهوى ولو أن لي من بين شرق إلى غرب
غائب كان هذا الحب ذنباً إليكم فلا غفر الرحمان ذلك من ذنب

(٤) هو المعنى الثانوي ، والاحتراز عن الخطأ فيه بمراعاة مقتضى الحال .

(٥) لأن الفصاحة شرط في البلاغة كما سبق ، وتميز ذلك يكون بمعرفة الأمور

المخلة بالفصاحة من التنافر والغرابة ومخالفة القياس وضعف التأليف وغير هذا مما سبق

ماعداء التعقيد المعنوي^(١) وما يُحْتَرَزُ به عن الأول — أعنى الخطأ — هو علم المعاني -
وما يُحْتَرَزُ به عن الثاني — أعنى التعقيد المعنوي — هو علم البيان . وما يُعْرَفُ
به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته هو علم
البديع^(٢) وكثير من الناس يُسَمَّى الجميع علم البيان^(٣) وبعضهم يسمي الأول
علم المعاني ، والثاني والثالث علم البيان ، والثلاثة علم البديع^(٤)

(١) ماعداء التعقيد المعنوي هو الغرابة ومخالفة القياس وضعف التأليف والتعقيد
اللفظي والتنافر ، والأول يعرف بعلم متن اللغة ، والثاني بالتصريف وغيره لأنه
لا يختص به ، والثالث والرابع بالنحو ، والخامس يدرك بالحس والذوق ، وبهذا
توقف علوم البلاغة على هذه العلوم ، وعلى تربية الحس والذوق بمطالعة كلام العرب
(٢) بهذا تنحصر علوم البلاغة في العلوم الثلاثة ، وإنما لم تجعل علوم اللغة
والتصريف والنحو من علوم البلاغة مع توقف الفصاحة عليها أيضاً ، لأنها تقصد
لأغراض غير الفصاحة ، ومعرفة بعض نواحي الفصاحة منها تأتي بطريق العرض .
(٣) لأن البيان هو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير ، وهذه العلوم
لها تعلق بالكلام الفصيح تصحيحاً وتحسيناً .

(٤) إما لبداعة مباحثها ، أو لأنها يعرف بها أمور مبتدعة بالنسبة إلى
تأدية أصل المراد الذي يعرفه الخاصة والعامة . والظاهر أن الذي يسمى الثلاثة
علم البديع بعض آخر غير من ذهب إلى ما قبله .

تمرينات على الفصاحة والبلاغة

تمرين — ١

(١) وازن بين هذين البيتين من جهة الفصاحة :

لا يَرْقَعُ الناسُ ما أَوْهَتْ أَسْفُهُمْ عند الدِّفاعِ ولا يُوهُونَ ما رَقَعُوا
فلا يُبْرِمُ الأمرُ الذي هو حَالِلٌ ولا يُخْلِلُ الأمرُ الذي هو يُبْرِمُ
(٢) يَبْنِي ما في هذا البيت مما يَخْلُ بالفصاحة :

وَشَوْهَ تَرْقِيشِ المَرْقِشِ رَقْشُهُ فَأَشْياعُهُ يَشْكُونُهُ وَمَعَارِشُهُ

تمرين — ٢

(١) قال بعض الشعراء :

خَلَّتِ البلادُ من الغزاة ليلها فأَعاضهاكَ اللهُ كِيْ لا نَحْزَنَّا

وقال آخر :

فَكُلُّكُمْ أَتَى ما نَى أَبِيهِ فَكُلُّ فِعْالٍ كَسَلَكُمْ عُجَابُ

فبين ما فيها مما يَخْلُ بالفصاحة .

(٢) لماذا كان عود الضمير على متأخر لفظاً غير مَخْلُ بالفصاحة في قول الشاعر :

جاء الخِلافةُ أو كانت له قَدَرًا كما أَتَى رَبَّهُ موسى على قَدَرٍ

وكان مَخْلَبها في قول الآخر :

ولو أن مجدًا أَخْلَدَ الدَّهْرَ واحداً من الناسِ أَبْقَى بَجْدُهُ الدَّهْرَ مَطْعِما

تمرين — ٣

قال الأخطل في مدح عبد الملك بن مروان :

وقد جعل اللهُ الخِلافةَ منهم لا بَلَجَ لا عارى الخِوانِ ولا جَدْبَ

فأخذ هذا عليه ، فبين ما ترجع إليه هذه المواخذة من البلاغة أو الفصاحة .

تمرين — ٤

- (١) من أى التعقيدين قول الشاعر :
أنى يسكون أبا البرىكا آدم وأبوك والنقلان أنت مُحَمَّدٌ
(٢) قال قاض لرجل خاصته امرأته : أئن سألتك عن شكرها وشكر
أَخَذْتَ تُطْلِمُهَا وَتُضِلُّهَا .
فبين ما فيه مما يخل بالفصاحة والبلاغة .

تمرين — ٥

- (١) لماذا لم تعد علوم اللغة والتصرف والنحو من علوم البلاغة مع توقف
الفصاحة عليها ؟
(٢) ما الفرق بين القياس اللغوى والصرفى ؟ وأيها تخل مخالفته بالفصاحة ؟
(٣) ما الذى يرجع إلى اللفظ من الفصاحة ؟ وما الذى يرجع منها إلى المعنى ؟

تمرين — ٦

- (١) وازن بين لفظ — شئ — من جهة البلاغة فى هذه الأبيات :
ورمن مالى عينيه من شئ غيره إذا راح نحو الجرة البيض كالذمى
إذا ما تقاضى المرء يوم وليلة تقاضاه شئ لا يَمَلُّ التقاضيا
لو الفلك الدوار أبغضت سعيه لعوقه شئ عن الدوران
(٢) أى الأمرين أنفع : جمع علوم البلاغة تحت اسم واحد ، أم توزيع
مسائلها على علومها الثلاثة ؟

الفن الأول علم المعاني

تعريف علم المعاني: وهو علم يُعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال ^(١) قيل - يعرف - دون يعلم رعاية لما اعتبره بعض الفضلاء من تخصيص العلم بالكلبيات والمعرفة بالجزئيات ، كما قال صاحب

(١) المراد بأحوال اللفظ ما يشمل أحوال الجملة وأجزائها، فأحوال الجملة كالفصل والوصل والإيجاز والإطناب والمساواة، وأحوال أجزائها كأحوال المسند إليه وأحوال المسند وأحوال متعلقات الفعل، وهذه الأحوال هي التي يقتضيها الحال في اللفظ فهي بعينها مقتضى الحال ، وبهذا يكون في التعريف تنافت ظاهر ، ويمكن أن يجاب عنه بأنه نظر إليها أولا من حيث ذاتها لا من حيث إنها مقتضى حال ، وإنما قيد أحوال اللفظ بما يطابقها مقتضى الحال لتخرج الأحوال التي ليست بهذه الصفة، كالإعلال والإدغام والرفع والنصب وغير ذلك عما لا بد منه في تأدية المعنى الأصلي ، وكذلك المحسنات البديعية لأنها تكون بعد رعاية المطابقة ، ويخرج أيضا علم البيان لأنه لا يبحث فيه عن أحوال اللفظ من هذه الجهة ، وقد تبحث أبوابه من هذه الجهة فيكون ذلك من علم المعاني ، كما قال الأخطل في مدح عبد المالك بن مروان :

وقد جعل الله الخلافة منهم لأبليج لا عارى الخوان ولا جندب

فكنى بهذا عن كرمه ، وهو لا يليق في مدح الملوك ، وإنما تمدح الملوك بمثل قول الشاعر :

له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر

هذا وبعض الأحوال التي يبحث عنها في علم المعاني قد يبحث عنها في علم النحو كالذكر والحذف ، ولكن علم النحو يبحث عنها من جهة صحتها وفسادها ، أما علم المعاني فيبحث عنها لبيان الأحوال التي ترجع بعضها على بعض ، فلا تظهر المزية فيها إلا إذا احتمل الكلام وجهها غير الوجه الذي جاء عليه ، فيكون الحال مرجعا له

القانون^(١) في تعريف الطب : الطب علم يعرف به أحوال بدن الإنسان . وكما قال الشيخ أبو عمرو^(٢) رحمه الله : التصريف علم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلم .

وقال السكاكي^(٣) علم المعاني هو تتبع خواص^(٤) تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره^(٥) ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضى الحال ذكره . وفيه نظر ، إذ التتبع ليس بعلم ولا صادق عليه ، فلا يصح تعريف شئ من العلوم به ، ثم قال : وأعني بالتراكيب تراكيب البلاغ . ولا شك أن معرفة البليغ من حيث هو بليغ متوقفة على معرفة البلاغة ، وقد عرفها في كتابه^(٦) بقوله : البلاغة هي بلوغ المتكلم في تأدية المعنى حداله اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها^(٧) وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها^(٨) فإن أراد بالتراكيب في حد البلاغة تراكيب البلاغ.

- (١) هو كتاب في الطب للحسين بن عبدالله المعروف بابن سينا
 (٢) هو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب صاحب — الشافية — في التصريف
 (٣) ٨٦ — المفتاح — المطبعة الادبية
 (٤) المراد بها أحوال اللفظ في تعريف الخطيب
 (٥) غير الاستحسان هو الاستهجان ، ويريد بذلك أن تراكيب الكلام لها خواص مستحسنة وخواص مستهجنة وكل منهما يبحث في علم المعاني .
 (٦) ٢٠٨ — المفتاح
 (٧) هذا يكون بإيرادها مطابقة لمقتضى الحال
 (٨) بأن تكون خالية من التعقيد المعنوي ، وبهذا يرجع عنده علم البيان إلى البلاغة لا إلى الفصاحة كما ذكر الخطيب في المقدمة ، وإما لم يقيد تعريف البلاغة بفصاحة الكلام ليحترز به عن غير التعقيد أيضا كما سبق في تعريفها ، لأنه يرى أنها غير لازمة لها ، وسيأتى زيادة بيان لهذا في آخر علم البيان .

وهو الظاهر فقد جاء الدور ^(١) وإن أراد غيرها فلم يبيّنه ، على أن قوله — ونيره — مبهم لم يبين مراده به ^(٢)

أبواب علم المعاني : ثم المقصود من علم المعاني منحصر في ثمانية أبواب :
أولها أحوال الإسناد الخبري ، وثانيها أحوال المسند اليه ، وثالثها أحوال المسند
ورابعها أحوال متعلقات الفعل ، وخامسها القصر ، وسادسها الإنشاء ، وسابعها
الفصل والوصل ، وثامنها الإيجاز والإطناب والمساواة

ووجه الحصر أن الكلام ، إما خبر أو إنشاء ، لأنه إما أن يكون لنسبته خارج ^(٣)
تطابقه أولاً تطابقه أولاً لا يكون لها خارج ، الأول الخبر ، والثاني الإنشاء ، ثم الخبر لا بد
له من إسناد ومسند اليه ومسند ، وأحوال هذه الثلاثة هي الأبواب الثلاثة الأولى ،
ثم المسند قد يكون له متعلقات إذا كال فعلاً أو متصلاً به أو في معناه ^(٤) كاسم الفاعل
ونحوه ، وهذا هو الباب الرابع ، ثم الإسناد والتعلق كل واحد منهما يكون إما
بقصر أو بغير قصر ، وهذا هو الباب الخامس ، والإنشاء هو الباب السادس ،
ثم الجملة إذا قرّرت بأخرى فتكون الثانية إما معطوفة على الأولى أو غير معطوفة ،
وهذا هو الباب السابع . ولغظ الكلام البليغ إما زائد على أصل المراد لفائدة
أو غير زائد عليه ، وهذا هو الباب الثامن :

تنبيهه

انحصار الخبر في المصادر والطائفة : اختلف الناس في انحصار الخبر في

(١) لأن معرفة البلاغة على هذا تتوقف على معرفة البلغاء ، مع أن معرفة
البليغ من حيث هو بليغ متوقفة على معرفة البلاغة .

(٢) يجاب عنه بأنه سبق بيان مراده به فلا شيء عليه فيه ، ومع هذا أرى أن
تعريف السكاكي ركيب العبارة ، وأنه كان الأجدر بالخطيب إهماله

(٣) المراد بالخارج الواقع ونفس الأمر ولو لم يكن له وجود خارجي .

(٤) يريد بالمتصل بالفعل اسم الفاعل واسم المفعول ونحوهما ، ويريد بما
في معنى الفعل المصدر لأنه يدل على الحدث كالفعل .

الصادق والكاذب ^(١) فذهب الجمهور إلى أنه منحصر فيهما، ثم اختلفوا، فقال الأكثر منهم: صدقه مطابقة حكمه للواقع، وكذبه عدم مطابقة حكمه له، هذا هو المشهور وعليه التعويل.

وقال بعض الناس ^(٢) صدقه مطابقة حكمه لاعتقاد المخبر صوابا كان أو خطأ، وكذبه عدم مطابقة حكمه له ^(٣) واحتج له بوجهين:

أحدهما أن من اعتقد أمرا فأخبر به ثم ظهر خبره بخلاف الواقع يقال — ما كذب ولكنه أخطأ — كما رُيَ عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت فيمن شأنه كذلك: ما كذب ولكنه أخطأ. وهم. ورد بأن المنفسي تعمّد الكذب لا الكذب، بدليل تكذيب الكافر كاليهودي إذا قال — الاسلام باطل — وتصديقه إذا قال — الاسلام حق — فقوله — ما كذب — متناول بما كذب عمداً.

الثاني قوله ^(٤) تعالى (والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) كذبهم في قولهم (إنك لرسول الله) وإن كان مطابقاً للواقع، لأنهم لم يعتقدوه، وأجيب عنه بوجوه: أحدها أن المعنى ^(٥) نشهد شهادة وأطأت فيها قلوبنا ألسنتنا كما يترجم عنه — إن واللام وكون الجملة اسمية ^(٦) في قولهم (إنك لرسول الله) فالتكذيب

(١) مثل هذا لا يصح الاشتغال به في علوم البلاغة. لأنه لا فائدة له فيها

(٢) هو إبراهيم بن سيار المعروف بالنظام.

(٣) أي لاعتقاده، وهذا بأن يكون له اعتقاد يخالفه أولاً يكون له اعتقاد أصلاً، فيدخل خبر الشاك عند النظام في الكذب، ويكون من يقول — محمد رسول — وهو شاك فيه كاذباً عنده، وهو صادق عند الجمهور، وقيل: إن خبر الشاك ليس خبراً، فهو خارج عن المقسم، ولكن هذا لا يأتي مع ما سيأتي عن الجاحظ

(٤) — ي — ١ — س — ٦٣

(٥) يريد معنى قولهم (نشهد إنك لرسول الله)

(٦) لأن كل واحد من الثلاثة يفيد تأكيد الخبر كما سيأتي.

في قولهم (شاهد) وادعائهم فيه المواطأة ، لافي (إنك لرسول الله) وثانيها أن التكذيب في تسميتهم إخبارهم شهادة لأن الإخبار اذا خلا عن المواطأة لم يكن شهادة في الحقيقة. وثالثها أن المعنى لكاذبون في قولهم (إنك لرسول الله) عند أنفسهم ، لا اعتقادهم أنه خبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه ^(١)

وأنكر الجاحظ انحصار الخبر في القسمين، وزعم أنه ثلاثة أقسام: صادق وكاذب وغير صادق وكاذب ، لأن الحكم إما مطابق للواقع مع اعتقاد المخبر له أو عديم ^(٢) وإما غير مطابق مع الاعتقاد أو عديم ^(٣) فالأول أى المطابق مع الاعتقاد ^(٤) هو الصادق. والثالث أى غير المطابق مع الاعتقاد ^(٥) هو الكاذب ، والثاني والرابع أى المطابق مع عدم الاعتقاد ^(٦) وغير المطابق مع عدم الاعتقاد ^(٧) كل منهما ليس بصادق ولا كاذب ^(٨) فالصدق عنده مطابقته الحكم للواقع مع اعتقاده ، والكذب عدم مطابقته مع اعتقاده ، وغيرهما ضربان: مطابقته مع عدم اعتقاده ، وعدم مطابقته مع عدم اعتقاده ، واحتج بقوله ^(٩) تعالى

(١) فيكون الكذب راجعا إلى الواقع في زعمهم كما عليه الجمهور لا إلى الاعتقاد، وعلى هذا يكون التكذيب في المشهود به لا في الشهادة كما في الوجه الثاني

(٢) أى مع اعتقاد المخبر بأنه مطابق أو عدم اعتقاده بأنه مطابق .

(٣) أى مع الاعتقاد بأنه غير مطابق أو عدم الاعتقاد بأنه غير مطابق .

(٤) بأنه مطابق .

(٥) بأنه غير مطابق .

(٦) بأنه مطابق ، وعدم الاعتقاد بهذا تحته صورتان : ألا يكون عنده اعتقاد أصلا ، وأن يكون عنده اعتقاد بأنه غير مطابق ، والصورة الأولى تأتي في خبر الشاك ، والثانية كقول المنافق — محمد رسول .

(٧) بأنه غير مطابق ، وعدم الاعتقاد بهذا تحته صورتان أيضا : عدم الاعتقاد أصلا ، والاعتقاد بأنه مطابق ، كقول الكافر — محمد غير رسول

(٨) بهذا يكون بين الصدق والكذب واسطة عند الجاحظ بخلاف الجمهور والنظام .

(أقترى على الله كذباً أم به جنة^(١)) فإنهم حصر وادعوى النبي ﷺ الرسالة في الافتراء والإخبار حال الجنون ، بمعنى امتناع الخلو^(٢) وليس إخباره حال الجنون كذبا لجعلهم الافتراء في مقابلته ، ولا صدقا لأنهم لم يعتقدوا صدقه ، فثبت أن من اخطب ما ليس بصادق ولا كاذب . وأجيب عنه بأن الافتراء هو الكذب عن عمد ، فهو نوع من الكذب ، فلا يمتنع أن يكون الإخبار حال الجنون كذبا أيضا ، لجواز أن يكون نوعا آخر من الكذب وهو الكذب لا عن عمد ، فيكون التقسيم للخبر الكاذب لا للخبر مطلقا ، والمعنى أقترى أم لم يقتر ؟ وعبر عن الثاني بقوله : (أم به جنة) لأن المجنون لا اقترأ له^(٣)

تنبية آخر

وهو مما يجب أن يكون على ذكر الطالب لهذا العلم ، قال السكاكي^(٤) ليس من الواجب في صناعة وإن كان المرجع في أصولها وتفاريعها إلى مجرد العقل أن يكون الدخيل فيها كالناشيء عليها في استفادة الذوق منها ، فكيف إذا كانت الصناعة مستندة إلى تحكمات وضعية ، واعتبارات إلمية ، فلا على الدخيل في صناعة علم المعاني أن يقلد^(٥) صاحبه في بعض فتاواه إن فاته الذوق هناك ، إلى أن يتكامل له على مهل موجبات ذلك الذوق .

(١) أى والجمع ، لأن قوله — وليس إخباره حال الجنون كذبا — يدل على أنها مانعة جمع أيضا . ولو كانت مانعة خلو فقط لجاز أن يكون إخباره حال الجنون كذبا ، لأن مانعة الخلو تجوز الجمع ، فلا تثبت الوساطة بين الصدق والكذب

(٢) رأي في هذه الخلافات بعد الانتهاء منها أنها خلافات لا طائل تحتها

(٣) ٩٠ — المفتاح

(٤) خير له عندى ألا يقلد في ذلك إلى أن يترن له الذوق فيذوق بنفسه ، لأن التقليد مذموم في كل علم ، على أن دعواه أن هذه الصناعة مستندة إلى تحكمات وضعية لا تصح في علم المعاني ، وإنما تصح في علم النحو ، كما ذكره ابن الأثير في — المثل السائر

وكثيراً ما يشير الشيخ عبد القاهر في — دلائل الإعجاز — إلى هذا ، كما ذكر في موضع ^(١) ما تلخيصه هذا : اعلم أنه لا يصادف القول في هذا الباب موقعاً من السامع ، ولا يجيد لديه قبولا ، حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة ، ومن تحدثه نفسه بأن لما تَوَعَّى إليه من الحسن أصلا ، فيختلف الحال عليه عند تأمل الكلام ، فيجد الأريحية تارة ، ويعرى منها أخرى ، وإذا عجبتَه تعجَّب ، وإذا نهته لموضع المزية انتبه ، فأما من كانت الخلال ^(٢) عنده على سواء ، وكان لا يتفقد من أمر النظم إلا الصحة المطلقة ، وإلا إعرابا ظاهراً ، فليسكن عندك بمنزلة من عَدِمَ الطبع الذي يدرك به وزن الشعر ، ويميز به مزاجه من سألته ، في أنك لا تنصدي لتعريفه ، لعلك أنه قد عدم الآداة التي بها يعرف ^(٣) واعلم أن هؤلاء وإن كانوا هم الآفة العظمى في هذا الباب ، فإن من الآفة أيضا من زعم أنه لا سبيل إلى معرفة العلة في شيء مما تُعرَفُ المزية فيه ، ولا يُعَلَمُ إلا أن له موقعاً من النفس ، وحظاً من القبول ^(٤) فهذا ربّوا زعمهم في حكم القائل الأول ^(٥) . واعلم أنه ليس إذا لم يمكن معرفة الكل وجب ترك النظر في الكل ، ولأن تعرف العلة في بعض الصور فتجعلها شاهداً في غيره أخرى من أن تسد باب المعرفة على نفسك ، وتعودها السكل والمؤينة . قال الجاحظ : وكلام كثير جرى على السنة الناس وله مضرة شديدة ، ونمرة مرة ، فمن أضُرَّ ذلك قولهم : لم يدع الأول للآخر شيئاً . فلو أن علماء كل عصر مُنْجَرَتْ هذه الكلمة في أسماعهم تركوا الاستنباط لما لم يَنْتَهَرِ اليهم عن قبلهم لرأيت العلم مُخْتَلَاً

(١) ١٩٠ ، ١٩١ — دلائل الإعجاز

(٢) يعني الحال التي توجب الأريحية والحال التي تعرى منها .

(٣) عبد القاهر في هذا يخالف السكاكي في تجويزه التقليد عند تعذر المعرفة .

(٤) فلا يعرف لذلك علة وسبباً ، لأنه لا سبيل إلى معرفة ذلك عنده ، وإنما هو

خوق لا غير .

(٥) هو من كانت الخلال عنده على سواء

القول في أحوال الإسناد الخبري

أغراض الخبر : من المعلوم لكل عاقل أن قصد المخبر بخبره إفادة
المُخاطَبِ إما نفسَ الحكم ، كقولك — زيد قائم — لمن لا يعلم أنه قائم ،
ويسمى هذا ^(١) فائدة الخبر ، وإما كَوْنُ المُخبرِ عالماً بالحكم ، كقولك لمن
زيد عنده ولا يعلم أنك تعلم ذلك — زيد عندك — ويسمى هذا ^(٢) لازم فائدة الخبر.

(١) اسم الإشارة يعود الى إفادة المخاطب نفس الحكم ، لأن هذا هو
الذي يُسمَّى فائدة الخبر ، وقيل : إنه يعود الى نفس الحكم ، ورُدَّ بأن الحكم
ركن من أركان الخبر ، وفائدة الشيء لا تكون جزءاً منه ، وهذه الفائدة هي المقصد
الأول من مقاصد الإسناد الخبري

(٢) أي كون المخبر عالماً بالحكم ، وإنما تُسمَّى هذا لازم فائدة الخبر لأنه
يلزم من إفادة المخاطب الحكم إفادته أن عنده علماً أو ظناً به ، ولأزم فائدة الخبر
هو المقصد الثاني من الإسناد الخبري

وللإسناد الخبري مقاصد وأغراض أخرى : منها إظهار التحسر ، كما في قوله
تعالى حكاية عن امرأة عمران (رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ — ٣٦ — س- ٣)
ومنها إظهار الفرح ، كما في قول الشاعر :

هَنَاءٌ سَخَا ذَاكَ الْعَزَاءُ الْمُقَدَّمَا فَمَا عَبَسَ الْمَحْزُونُ حَتَّى تَبْدَأَ
ومنها إظهار الضعف والخشوع ، كقول الآخر :

إِلَهِي عَبْدُكَ الْعَاصِي أَمَّا كَا مُقَرَّرًا بِالذُّنُوبِ وَقَدْ دَعَا
ومنها توبيخ السابح ، كقول الحماسية :

وَأَنْتَ الَّذِي أَخْلَفْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي وَأُثِمَّتْ بِي مِنْ كَانَ فِيكَ يُلُومُ
والغرض الأول وهو فائدة الخبر يستفاد من ذات الخبر ، وما عداه من
الأغراض يدل عليها الخبر دلالة تبعية ، فهي من مُسْتَنْبَعَاتِ الكلام ،
ولا توصف بأنها حقيقة ولا مجاز ولا كناية.

قال السكاكي^(١) والأولى^(٢) بدون هذه^(٣) تمتنع، وهذه بدون الأولى لا تمتنع، كما هو حكم اللازم المجهول المساواة^(٤) أى تمتنع ألا يحصل العلم الثانى من الخبر نفسه عند حصول الأول منه، لا تمتنع حصول الثانى قبل حصول الأول، مع أن سماع الخبر من المخبر كاف فى حصول الثانى منه^(٥) ولا تمتنع ألا يحصل الأول من الخبر نفسه عند حصول الثانى منه، لجواز حصول الأول قبل حصول الثانى^(٦) وامتناع حصول الحاصل.

وقد ينزل العالم بفائدة الخبر ولازم فائدته منزلة الجاهل اعدم جريه على موجب العلم، فيلقى اليه الخبر كما يلقى إلى الجاهل بأحدهما^(٧).

(١) ٨٨ — المفتاح

(٢) هى فائدة الخبر

(٣) اسم الاشارة يعود إلى لازم فائدة الخبر، وقد أنهى باعتبار كونه فائدة أيضاً.

(٤) كلزوم الحيوانية للإنسانية، لأن الحيوانية أعم، فيلزم من العلم بالإنسانية العلم بالحيوانية، ولا يلزم من العلم بالحيوانية العلم بالإنسانية.

(٥) لأن من يخبر بشئ لابد أن يكون عنده علم أو ظن به، فالمراد بالعلم الثانى علم المخاطب بأن المخبر عالم بالحكم، والمراد بالعلم الأول علمه بذلك الحكم.

(٦) بأن يكون المخاطب عالماً بالحكم قبل الاخبار به، فيحصل بالخبر فى هذه الحالة لازم فائدته دونها لا تمتناع تحصيل الحاصل.

(٧) من تنزيل العالم بالفائدة منزلة الجاهل بها قول الفرزدق لهشام بن عبد الملك حين تجاهل معرفة على بن الحسين رضى الله عنهما :

هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا النقي النقي الطاهر العلم

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهلاً يحدّهُ أنبياء الله قد خُتمُوا

ومن تنزيل العالم بلازم الفائدة منزلة الجاهل به قولك لمن يؤذيك وهو يعلم أنك مسلم — الله ربنا ومحمد نبيّنا — وقد جعل السكاكى هذا من باب تخريج

قال السكاكي ^(١) وإن شئت فعمليك بكلام ^(٢) رب العزة (وَلَقَدْ عَلِمُوا
لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَالُهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبَسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا
يَعْلَمُونَ) كيف تجد صدره يصف أهل الكتاب بالعلم على سبيل التوكيد التسمي ،
وآخره ينفيه عنهم حيث لم يعملوا بعلمهم ، ونظيره في النفي والإثبات (وَمَا رَمَيْتَ
إِذْ رَمَيْتَ) ^(٣) وقوله ^(٤) تعالى (وَإِنْ نَكُنْهُمْ أَتَمَنَّا مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا
فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ) هذا اللفظ ،
وفيه إيهام أن الآية الأولى من أمثلة تنزيل العالم بفائدة الخبر ولازم فائدته
منزلة الجاهل بهما ، وليست منها ، بل هي من أمثلة تنزيل العالم بالشئ منزلة
الجاهل به لعدم جريه على موجب العلم ، والفرق بينهما ظاهر ^(٥)

أضراب الخبر : وإذا كان غرض المخبر بخبره إفادة المخاطب أحد الأمرين

الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ، فهو عنده مثل تنزيل خير السائل منزلة السائل
ونحوه مما يأتي . وقيل : إن الخطيب لم يجعل ما هنا من ذلك الباب لأن الخبر
لا يختلف في التأكييد وتركه في مخاطبة الجاهل بفائدة الخبر ولازمها ومخاطبة العالم
بهما المنزل منزلة الجاهل ، أما تنزيل غير السائل منزلة السائل ونحوه فيختلف في
ذلك كما سيأتي ، والخطيب في هذا سهل

(١) ٩٢ — المفتاح

(٢) — ي — ١٠٢ — من — ٢

(٣) — ي — ١٧ — س — ٨

(٤) — ي — ١٢ — س — ٩

(٥) أوجب عن السكاكي بأن غرضه التنظير لتنزيل العالم بفائدة الخبر
ولازمها منزلة الجاهل بهما ، وليس غرضه التمثيل له ، ولهذا ذكر أيضا قوله تعالى
(وما رميت إذ رميت) وهو من تنزيل الموجود منزلة المعدوم وليس من تنزيل
العالم منزلة الجاهل .

فينبغي أن يقتصر من التركيب على قدر الحاجة
فإن كان المخاطب خالي الذهن من الحكم بأحد طرفي الخبر على الآخر
والتردد فيه استغنى^(١) عن مؤكّدات الحكم، كقولك — جاء زيد، وعمر
ذاهب — فيتمكن في ذهنه لمصادفته إياه خالياً

وإن كان منصّوراً لطرفيه متردداً في إسناد أحدهما إلى الآخر طالباً له
حسن تقويته بمؤكد^(٢) كقولك — لزيد عارف أو إن زيدا عارف
وإن كان حاكماً بخلافه وجب توكيده بحسب الإنكار^(٣) فنقول — إني صادق
— لمن ينكر صدقك ولا يبالغ في إنكاره، و — إني أصادق — لمن يبالغ في

(١) مثله إذا كان المخاطب عالماً بالحكم وأراد المخبر إفادته لازم فائدة الخبر
أو إظهار التحسر ونحوه أو تنزيله منزلة الجاهل، فيستغنى في ذلك أيضاً عن المؤكّدات.
(٢) أي واحد ليزيل ترددّه في الإسناد بالتوكيد، ومثل التردد في الإسناد
التردد في لازم فائدة الخبر، وحسن التأكيد في ذلك إنما هو بالنظر إلى حال
الإنكار، وإلا فهو واجب أيضاً، ولا يراد إلا التمييز باللفظ بين الحالين، وأن
درجة الوجوب في التردد ليست كدرجة الوجوب في الإنكار، والمراد بالتردد
ما يشمل الظان والمتوهم، وقد ذهب عبد القاهر إلى أنه لا يحسن التأكيد إلا إذا
كان للمخاطب ظن على خلاف حكم المتكلم، وسيأتي قريباً ما يفيد جواز تعدد
التوكيد في التردد كالإنكار

ومن التأكيد للتردد في الحكم قوله تعالى (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى
وَجْهِهِ فَأَرْتَدَّ بُصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)

— ٩٦ س — ٢١

(٣) فيؤتى له بمؤكد واحد أو اثنين أو أكثر على حسب إنكاره في القوة
والضعف، وقيل: إنه لا يكتفى في الإنكار بمؤكد واحد، ومثل إنكار الإسناد
في هذا إنكار لازم فائدة الخبر، ومن هذا قوله تعالى (قَالُوا تَشْهَدُ إِنَّكَ

إنكاره ، وعليه قوله ^(١) تعالى (وَأَضْرَبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ، إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ، قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا كَاذِبُونَ ، قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ) حيث قال ^(٢) في المرة الأولى (إنا إليكم مرسلون) وفي الثانية (إنا إليكم لمرسلون)

ويؤيد ما ذكرناه جواب أبي العباس للكندي ^(٣) عن قوله : إني أجد في كلام العرب حشوا ، يقولون — عبد الله قائم ، وإن عبد الله قائم ، وإن عبد الله لقائم — والمعنى واحد ، بأن قال : بل المعاني مختلفة ، فعبد الله قائم إخبار عن قيامه ، وإن عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل ، وإن عبد الله لقائم جواب عن إنكار منكر

ويُسمى النوع الأول من الخبر ابتدائيا ، والثاني طلبيا ، والثالث إنكاريا ، وإخراج الكلام على هذه الوجوه ^(٤) إخراجا على مقتضى الظاهر ^(٥)

لرسول الله (ي — ١ — س ٦٣ — لأنه ينكر عليهم بذلك فأكدوه له ومن أدوات التأكيد : إن ، والقسَم ، ونونا التوكيد ، ولام الابتداء ، وأما الشرطية ، وحروف التنبية ، وضمير الفصل ، وقد ، وأدوات الاستفحة ، والحروف الزائدة .

(١) — ي — ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ — س — ٣٦

(٢) فأكد في المرة الأولى بيان واسمية الجملة ، وفي الثانية بهما وبالقسم واللام ، لأنهم بالغوا في الإنكار فقالوا (ما أنتم إلا بشر مثلنا — الآية)

(٣) أبو العباس هو محمد بن يزيد المبرّد ، والكندي هو يعقوب بن إسحاق الفليسوف

(٤) هي الخلو عن التأكيد في الأول ، وعن التنوية بمؤكد استحسانا في الثاني وجوبا في الثالث

(٥) أي يسمى إخراجا على مقتضى الظاهر : والمراد به ظاهر الحال ، وهو

تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر : وكثيراً ما يخرج على

خلافه ^(١) فينزل غير السائل منزلة السائل إذا قُدم اليه ما يلوح له بحكم الخبر، فيستشرف له استشراف المتردد الطالب ^(٢) كقوله ^(٣) تعالى (وَلَا تَخْطُبْنِي بِفِي الدِّينِ ظَلَمُوا إِلَيْهِمْ مَعْرُوفُونَ) وقوله (وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنْ النَّفْسُ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ^(٤)) وقول بعض العرب :

فَعَنَّا وَهِيَ لَكَ الْفَدَاءُ إِنْ غَنَاءَ الْإِبِلِ الْحُدَّةُ ^(٥)

الحال الداعي الذي له ثبوت في الواقع، تكلو المخاطب من الحكم أو ترده أو إنكاره، والحال أعم من ظاهر الحال، لأنه يشمل أمرين: أحدهما ماله ثبوت في الواقع، والثاني مالا ثبوت له، كتنزيل غير السائل منزلة السائل ونحوه مما سيأتي .

(١) هذا باب من البلاغة أوقع في النفس من تخريج الكلام على مقتضى الظاهر، لدقة مسأله، وحسن موقعه في النفس، وقد قيل: إنه من باب الكناية، وقيل: إنه من الاستعارة بالكناية والنخيل، وقيل: إنه من مستبغات الكلام فلا يوصف بحقيقة ولا مجاز ولا كناية .

(٢) الحال هنا تقديم ما يلوح للمخاطب بالخبر، ومن نكت تنزيل غير السائل منزلة السائل أيضاً الاهتمام بشأن الخبر لكونه مستبعداً، والتنبيه على غفلة السامع، وغير ذلك

(٣) — ي ٣٧ — س ١١، فإن قوله (ولا تخطبني في الدين ظلموا) يلوح باستحقاقهم العذاب .

(٤) — ي ٥٣ — س ١٢ — فإن قوله (وما أبرئ نفسي) يلوح بفتح نفسها، ولا يخفى أن هنا تأكيداً، وهذا يفيد جواز تعدد التوكيد في المتردد وما ينزل منزلته، فيسكون الفرق بينهما وبين المنكر في الوجوب والاستحسان فقط، وقيل: إن أحد التوكيدين لاستبعاد الخبر في ذاته

(٥) لا يعلم قائله، والضمير في قوله — فعنها — للإبل أي فغن لها، والحداء بضم الحاء وكسر ها مصدر — حدا الإبل — إذا ساقها وغنى لها، والشاهد في

وسلوك هذه الطريقة شعبية من البلاغة فيها دقة وغموض ، روى عن الأصمعي أنه قال : كان أبو عمرو بن العلاء ^(١) وخلف الأحمر يأتیان بشاراً فيسلمان عليه بغاية الإعظام ، ثم يقولان : يا أبا معاذ ، ما أحدثت ؟ فيخبرهما وينشدهما ويكتبان عنه متواضعين له ، حتى يأتي وقت الزوال ، ثم ينصرفان ، فأتياه يوماً فقالا : ما هذه القصيدة التي أحدثتها في ابن قتيبة ؟ قال : هي التي بلغتكما . قالوا : بلغنا أنك أكرت فيها من الغريب . قال : نعم ، إن ابن قتيبة يتقاصرُ بالغريب ، فأحببت أن أوردَ عليه ما لا يعرف . قالوا : فأنشدها . يا أبا معاذ . فأنشدها :

بَكْرًا صاحبي قبل الهجير ^(٢) إن ذاك النجاح في التبكير
حتى فرغ منها ، فقال له خلف : لو قلت يا أبا معاذ مكان — إن ذاك النجاح —
بكرًا فالتجاح ، كان أحسن . فقال بشار : إنما بنيتها أعرابية وحشية ^(٣)
فقلت — إن ذاك النجاح — كما يقول الأعراب البدويون ، ولو قلت — بكرًا
فالتجاح — كان هذا من كلام المؤلدين ، ولا يشبه ذلك الكلام ^(٤) ولا يدخل

أنه حين يقول غنها ليشتد سيرها يفهم السامع أن غناها هو الحداء الذي تساق به ، فتستشرف له نفسه

(١) رواية الأغاني . كان خلف بن أبي عمرو بن العلاء وخلف الأحمر . وقد ساق القصة كما هنا

(٢) هو لبشارين بُرد ، والهجير من الزوال إلى العصر ، أو شدة الحر ، والشاهد في أن الشطر الأول يلوح بالثاني ، ولهذا أتى به مؤكداً

(٣) وحشية صفة كاشفة لأعرابية ، ولا يريد الوحشية المخلة بالفصاحة

(٤) لأنه ليس فيه من دقة الإشارة إلى تهزيل غير السائل منزلة السائل مافي قوله — إن ذاك النجاح — وإنما فيه تكرير الأمر بالتبكير لنا كيده على وجه ظاهره لادقة فيه .

في معنى القصيدة . قال : فقام خلف فقبَّلَ بين عينيه . فهل كان ما جرى بين خلف وإبشار بمحضر من أبي عمرو بن العلاء وهم من فُحُولَةِ هذا الفن إلا اللَّطْفُ المعنى لذلك وخفائه .

وكذلك يُنْزَلُ غير المنكر منزله المنكر ^(١) إذا ظهر عليه شيء من أمارات الإنكار ، كقوله :

جاء شقيقٌ عارضاً رُمُحَهُ إن بني عمِّك فيهم رماحٌ ^(٢)
فإن مجيئه هكذا مُدْلاً بشجاعته قد وضع رُمحه عَرْضاً دليل على إعجاب شديد منه ، واعتقاد أنه لا يقوم إليه من بني عمه أحد ، كأنهم كلهم عزل ليس مع أحد منهم رمح .

وكذلك يُنْزَلُ المنكر منزلة غير المنكر ^(٣) إذا كان معه ما إن تأمله ارتدع عن

(١) غير المنكر يشمل خالي الذهن من الحكم والمردد والعالم به من غير إنكار ولكنه لا يعمل بعلمه ، كقولك للمسلم التارك للصلاة — إن الصلاة واجبة — وفائدة تنزيل المتردد منزلة المنكر المبالغة في توكيد الخبر له

(٢) هو الحَجَل بن فضالة ، وقوله — عارضاً رُمحه — معناه أنه وضعه على عَرْضِهِ . بأن جعله على فخذه بحيث يكون عرضه إلى جهمهم ، وكان هذا من أماراة عدم التصدي للحرب ، والشاهد في قوله — إن بني عمِّك فيهم رماح — وهو من تنزيل العالم منزلة المنكر

(٣) المراد بغير المنكر خالي الذهن من الحكم فقط ، لأنه لافائدة لتنزيل المنكر منزلة المتردد ، وقيل : إن له فائدة في تقليل التوكيد كما سيأتى في قوله تعالى (ثم لانسكن يوم القيامة مُبْعَثُونَ)

هذا وقد ترك تنزيل السائل منزلة غير السائل ، وهو أيضاً مما يدخل في باب تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ، وإنما ينزل السائل منزلة غير السائل إذا لم يكن هناك وجه لتردده .

الإفكار، كما يقال لشكر الاسلام — الاسلام حق^(١) وعليه قوله^(٢) تعالى في حق القرآن (لَا رَيْبَ فِيهِ)

ومما يتفرع على هذين الاعتبارين^(٣) قوله^(٤) تعالى (ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَسِيَّتُونَ ، ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ) أكد إثبات الموت تأكيداً وإن كان مما لا ينكر، لتنزيل المخاطبين منزلة من يبالغ في إنكار الموت، لتأديبهم في الغفلة والإعراض عن العمل لما بعده ، ولهذا قيل (ميتون) دون تموتون كما سيأتي الفرق بينهما^(٥) وأكّد إثبات البعث تأكيداً واحداً وإن كان مما ينكر ، لأنه لما كانت أدلته ظاهرة كان جديراً بالآلأ ينكر ، بل إما أن يُعترف به أو يتردّد فيه ، فنزل المخاطبون منزلة المترددين تنبيهاً لهم على ظهور أدلته ، وحنا على النظر

(١) أى من غير تأكيد ، واعتراض على هذا بأنه جملة اسمية ، وأجيب بأن الجملة الاسمية إما تفيد التوكيد إذا اعتبر تحويلاً عن الجملة الفعلية، نحو — زيد يقوم — فإنها يمكن اعتبارها محولة عن — يقوم زيد .

(٢) — ي — ٢ — س — ٢ — فإن معناه أن القرآن ليس محل شك، وهذا ينكره المخاطبون من الكفار ، فكان حقه في الظاهر التأكيد ، ولكنهم نزّلوا منزلة غير المنكرين ، فترك التأكيد لهم ، وقيل : إن هذا ليس تمثيلاً لتنزيل المنكر منزلة غير المنكر بناء على أن المراد نفي الريب نفسه مع أنه واقع منهم تنزيلاً له منزلة عدمه ، فيكون هذا تنظيراً لتنزيل المنكر منزلة غيره لامتثال له ، ويؤيد هذا أن قوله فيما يأتي — وهكذا اعتبارات النفي — ظاهر في أنه لم يسبق مثال منه

(٣) يعنى اعتبار تنزيل غير المنكر منزلة المنكر واعتبار تنزيل المنكر منزلة غير المنكر .

(٤) — ي — ١٥ ، ١٦ — س ٢٣

(٥) أى في الكلام على المسند من أن ذكره قد يكون ليتعين كونه اسماً فيستفاد منه الثبوت ، أو كونه فعلاً فيستفاد منه التجدد ، وبهذا يكون مافى الآية من تنزيل العالم منزلة المنكر

فيها ، ولهذا جاء (تبعثون) على الأصل ^(١)

هذا كله اعتبارات الإثبات ، وقس عليه اعتبارات النفي ، كقولك — ليس زيد أو ما زيد منطلقاً أو بمنطلق ، والله ليس زيد أو ما زيد منطلقاً أو بمنطلق ، وما ينطلق أو ما إن ينطلق زيد ، وما كان زيد ينطلق ، وما كان زيد لينطلق ، ولا ينطلق زيد ، ولن ينطلق زيد ، والله ما ينطلق أو ما إن ينطلق زيد ^(٢)

(١) أى على الفعلية دون الاسمية ، لأن المعنى على التجدد لا الثبوت ، وبهذا يكون ما فى الآية من تنزيل المنكر منز المنرد

(٢) هذا والتأكيديأتى أيضاً فى الإنشاء كما يأتى فى الخبر ، كقول الشاعر :

كَلَّا تَمُتُّنْ بوعْدٍ غَيْرِ مُخْلَفَةٍ كما عهدتُكَ فى أيامِ ذى سَلَمٍ

ولكن التأكيديأتى فى الإنشاء لدفع التردد والإنكار لأنهما لا يأتيان فيه ، وإنما يأتى لأغراض أخرى من أغراض التأكيدي فى الخبر ، لأنها لا تنحصر فيما ذكر — : فمنها الدلالة على استبعاد الحكم من الخبر ، كما فى قوله تعالى (رَبِّ إِنْ قَوْمِى كَذَّبُونِ) — ي — ١١٧ — س — ٢٦ ، ومنها الاعتناء بشأن الحكم ، كما فى قول أبى بكر — إن البلاء مُؤَكَّلٌ بالمنطق . ومنها تهئية الذكرة للابتداء بها ، كما فى قول الشاعر :

إِنَّ دَهْرًا يَلْفُ شَمْلِي بِسُعْدَى لَزَمَانٌ بِهِمُ بِالْإِحْسَانِ

ومنها إظهار صدق الرغبة فى الحكم وقصد ترويجه ، كما فى قوله تعالى (وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ) — ي — ١٤ — س — ٢ — فلم يؤكدوا فى خطاب المؤمنين لعدم رواجه منهم عندهم ، وأكدوا فى خطاب إخوانهم لصدق رغبتهم فيهم .

تمرينات على أغراض الخبر وأضر به

تمرين ١ -

بين الغرض من الخبر فيما يأتي

- (١) ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجر
- (٢) محالين ما أبت عيون المهامني فشبث ولم أقض اللبانة من سني
- (٣) قوله تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر) - ي - ١ - س - ٥٤

تمرين ٢ -

من أي أضر به الخبر ما يأتي :

- (١) عليك يا لباس من الناس إن غني نفسك في اليأس
- (٢) لقد عظم البعير بغير أب فلم يستغن بالعظم البعير
- (٣) ما إن ندمت على سكوتي مرة ولقد ندمت على الكلام كثيرا

تمرين ٣ -

بين ما جرى من أضر به الخبر على مقتضى الظاهر أو خلافه فيما يأتي :

- (١) ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجرى على اليابس
- (٢) قوله تعالى (إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم) - ي - ٧٦ - س - ٢٨
- (٣) قوله تعالى (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) - ي - ٦٢ - س - ١٠

تمرين ٤ -

بين الغرض من التأكيده فيما يأتي :

- (١) إن محلاً وإن مر محلاً وإن في السفر إذ مضوا مهلاً
- (٢) قوله تعالى (إن الباطل كان زهوقاً) - ي - ٨١ - س - ١٧
- (٣) إن البغاث بأرضنا يستنسر
- (٤) ألا إن أخلاق الفتى كزمانه فمنهن بيض في العيون وسود

فصل

الحقيقة والمجاز العقليان : الإسناد منه حقيقة عقلية ومنه مجاز عقلي (١)

أمّا الحقيقة فهي إسناد الفعل (٢) أو معناه إلى ما هو له (٣) عند المتكلم في الظاهر (٤)

(١) الحقيقة والمجاز العقليان يأتیان في الإسناد الإنشائي أيضاً ، وقيل :
لهما يأتیان في الإسناد الإضافي ونحوه ، كما في قوله (مكر الليل والنهار) — ي —
٣٣ — س — ٣٤ (ذلك هو الضلال البعيد) — ي — ١٢ — س — ٢٢ — وقيل : إن
الإضافة قد تكون لمطلق الملابس ، فتكون في نحو (مكر الليل) حقيقة عقلية ، ويسمى
المجاز العقلي مجازاً حكماً ومجازاً إنشادياً أيضاً ، ومن الإسناد ما لا يكون حقيقة
ولا مجازاً كما سيأتي .

(٢) المراد بالإسناد ما يشمل الإسناد الإيجابي والسلبی .

(٣) الإسناد إلى ما هو له يشمل الاسناد إلى الفاعل وإلى المفعول : ويريد
بكونه له إذا كان فاعلاً أن معناه قائم به ووصف له وحقه أن يستند إليه ،
سواء أكان مخلوقاً لله تعالى كما يقول أهل السنة ، أم كام لغيره كما يقول المعتزلة ،
والأفعال من هذه الجهة تنقسم إلى أفعال استأثر الله بها مثل الخلق والرزق ، وإلى
أفعال لغيره كسب فيها ، مثل — أحسن وأساء وقام وقعد — وإلى أفعال يراد
من إسنادها مجرد الاتصاف بها ، مثل — صح ومرض وعظم وتنزّه —
فالأولى إسنادها إلى الله حقيقياً ولا يصح إسنادها إلى غيره إسناداً حقيقياً ، والثانية
يصح إسنادها إلى غيره إسناداً حقيقياً ، ومنها ما لا يصح إسنادها إليه تعالى مثل
— قام وقعد — والثالثة منها ما يستند إليه تعالى ، مثل — عظم وتنزّه — ومنها
ما يستند إلى غيره مثل — صح ومرض — هذا والمأمول عليه عند الخطيب هو
إسناد الفعل أو معناه ولو في جملة اسمية ، كما سيأتي تحقيقه .

(٤) أي في ظاهر حال المتكلم ، بالألّا ينصب قرينة تدل على أنه غير ما
هو له في اعتقاده كما سيأتي .

والمراد بمعنى الفعل نحو المصدر واسم الفاعل^(١) وقولنا — في الظاهر — يشمل ما لا يطابق اعتقاده مما يطابق الواقع وما لا يطابقه ، فهي أربعة أضرب :
أحدها ما يطابق الواقع واعتقاده ، كقول المؤمن — أنبت الله البقل ، وشفى الله المريض .

والثاني ما يطابق الواقع دون اعتقاده ، كقول المعتزلي لمن لا يعرف حاله وهو يخفيها منه^(٢) خالق الأفعال كلها هو الله تعالى .

والثالث ما يطابق اعتقاده دون الواقع ، كقول الجاهل — شفى الطبيب المريض — معتقداً شفاء المريض من الطبيب ، ومنه قوله تعالى^(٣) حكاية عن بعض الكفار (وَمَا يَهْدِيكُمْ إِلَّا الدَّهْرُ) ولا يجوز أن يكون مجازاً والإينكار عليهم من جهة ظاهر اللفظ لما فيه من إيهام الخطأ^(٤) بدليل^(٥) قوله تعالى عَقِيبُهُ (وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ) وَالْمُتَجَوِّزُ المخطئ في العبارة لا يُوصَفُ بالظن ، وإنما الظانُّ من يعتقد أن الأمر على ما قاله .
والرابع ما لا يطابق شيئاً منهما ، كالأقوال الكاذبة التي يكون القائل علماً بحالها دون المخاطب^(٦)

(١) مثلها اسم المفعول والصفة المشبهة واسم التفضيل والظروف ، لأن المراد بالاسناد ما يشمل الاسناد على جهة المفعولية كما سبق ، فيدخل في ذلك إسناد اسم المفعول كما يدخل فيه إسناد الفعل إلى المفعول .

(٢) لأن الاسناد في قوله حيثئذ يكون إلى ما هو له في ظاهر حاله ، ولا يخفى أن الجملة هنا مركبة من مبتدأ وخبر ، ولكن يصدق عليها أن فيها إسناد معنى الفعل لما هو له

(٣) — ي — ٢٤ — س — ٤٥

(٤) هذا تعليل للإينكار عليهم مع كونه مجازاً ، فقوله — لما — متعلق بالإنكار

(٥) متعلق بقوله — ولا يجوز

(٦) قيل : إن الأقوال الكاذبة حقيقة عقلية ولو علم المخاطب بحالها ، لأن الفعل فيها

وأما المجاز فهو إسناد الفعل ^(١) أو معناه إلى ملأس له ^(٢) خير ما هو له بتأويل ^(٣)

وللفعل ^(٤) ملأست شتى : يلبس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والسبب ^(٥)

فإسناده إلى الفاعل إذا كان مبنيا له حقيقة كما مر ، وكذا إلى المفعول إذا كان مبنيا له ^(٦) وقولنا — ما هو له — يشملهما

وإسناده إلى غيرهما ^(٧) لمضاهاته ^(٨) لما هو له في ملاسة الفعل مجاز ، كقولهم في

فيها مُسنند إلى ما هو له بحسب وضع اللغة ، فهو بظاھر من شأنه أن يدل على ذلك وإن تخلفت الدلالة لما نفع اعتقاد الكاذب ، وبهذا تنقسم الحقيقة العقلية إلى صادقة وكاذبة .

(١) المراد بالاسناد هنا أيضا ما يشمل الايجابي والسلبي ، والثاني كقوله تعالى (فأرجعت تجارتهم) — ي — ١٦ — س — ٢ — وكذلك ما يشمل إسناد

الفعل إلى الفاعل وإلى المفعول ، كما في قولك — أجرى الله النهر (٢) يشير بهذا إلى أنه لا بد فيه من العلاقة كسائر المجازات ، فالعلاقة هنا هي

الملاسة ، أي ملاسة الفعل للفاعل المجازي من جهة وقوعه عليه أو فيه أو به أو نحو ذلك (٣) أي بقرينة صارفة عن إرادة الظاهر ، لأن التأويل صرف اللفظ عن

ظاھر إلى غيره ، فالمتبادر في نحو — أنبت الربيع البقل — أن الاسناد فيه إلى ما هو له والقرينة تصرفه عن ظاھر

(٤) مثله ما في معناه بقرينة التعريف

(٥) لم يذكر المفعول معه والحال ونحوهما لأن الفعل لا يسند إلى ذلك

على سبيل المجاز العقلي

(٦) نحو — أنبت البقل

(٧) هذا يشمل إسناد ما هو للفاعل إلى المفعول به ، نحو — عيشة راضية —

وإسناد ما هو للمفعول إلى الفاعل ، نحو — سبل مفعم

(٨) يريد بالمضاهاة في ذلك علاقة الملاسة السابقة ، ولا يريد أن العلاقة

في ذلك المشابهة ، لأن المشابهة علاقة المجاز بالاستعارة لا المجاز العقلي ، وقيل : إن

المفعول به ^(١) عيشة راضية، وماء دافق ^(٢) وفي عكسه — سيل مُقَمَّم ^(٣) وفي المصدر — شعرُ شاعر ^(٤) وفي الزمان — نهارُهُ صائمٌ وليله قائمٌ ^(٥) وفي المكان — طريق سائر، ونهر جارٍ ^(٦) وفي السبب — بنى الأمير المدينة — وقال :
إذا ردَّ عافى القدر من يستعيرها ^(٧)

العلاقة هنا المشابهة في الملابس، وهو تكلف ياباه أسلوب المجاز العقلي، لأنه لا يلاحظ فيه ذلك أصلاً، على أن علاقة المشابهة لا تكفي فيها هذه الملابس

(١) أى فى إسناد ما هو للفاعل إلى المفعول به، والعلاقة فيه الملابس بالمفعولية

(٢) منه أيضاً قول الشاعر :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي
يربد المطعوم المكسو، والأصل فى ذلك — راض صاحبها ودافق دافقه وطاعم وكاس طاعمه وكاسيه

(٣) منه أيضاً قوله تعالى (إنه كان وعده مائياً) — ي — ٦١ — س — ١٩

أى آتياً، والعلاقة فيه الملابس بالفاعلية، والأصل مقعم واديه ومأتى مضمونه

(٤) منه أيضاً قول الشاعر :

سيدكرنى قومى إذا جدَّ جدُّهم وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر
والأصل فى ذلك — شعر شاعر صاحبه وجدَّ صاحب جدِّهم، والعلاقة فيه الملابس بالمصدرية

(٥) منه أيضاً قوله تعالى (فذلك يومئذٍ عسيرٌ) — ي — ٩ — س — ٧٤

والعلاقة فيه الملابس بالزمانية، والأصل صائم الصائم فيه الخ

(٦) العلاقة فيه الملابس بالمكانية، والأصل — سائر السائر فيه الخ

(٧) هو من قول عوف بن الأحوص :

فلا تسألنى واسألى عن خليفتى إذا رد عافى القدر من يستعيرها
وقد نسب فى — أسائر البلاغة — للكسيت، والعلاقة فى ذلك الملابس بالسببية، والأصل — بنى البناء المدينة بسببه، ورد المعير القدر بسببه. وعافى القدر المرق الذى يبقى فيها فيكون سبباً فى رد المستعير لها، فإسناد الرد الى عافى القدر من الإسناد الى السبب، وهذا كناية عن كسب الزمان وكونه يمنع إعاره القدر

وقولنا — بتأول — يخرج نحو قول الجاهل — شفى الطبيب المريض — فإن
 إسناد الشفاء إلى الطبيب ليس بتأول، ولهذا لم يُحْمَلْ نحو قول الشاعر الحماسي:
 أشاب الصغير وأفنى الكبير رَكَرُ الغداة ومرَّ العشي^(١)
 على المجاز ما لم يُعْلَمْ أو يُظَنَّ أن قائله لم يَرُدْ ظاهره^(٢) كما استدل على
 أن إسناد — مَيَّز — إلى جذب الليالي في قول أبي النجم:
 قد أصبحت أم الخيار تدعى على ذنبا كله لم أصنع
 من أن رأيت رأسي كراس الأصلم مَيَّز عنه قُنْزُ عَاغَن قنزع
 جذبُ الليلى أبطنى أو أسرعى^(٣)
 مجاز بقوله عَيْبَةُ:

أفناه قبلُ الله للشمس اطلعى حتى إذا وارك أفقُ فارجعي^(٤)

تلك البقية، وقيل: إن عافى القدر هو الضيف، والمعنى أن المستعير يراه والقدر
 منصوبة له فلا يطلبها، وقيل: إن البيت لعبيد بن الأبرص. وقيل: إنه لمضرس
 الأسدي

(١) هو لقشَّم بن جبية المعروف بالصلتان العبدي، وقيل: إنه للصلتان
 الضبي، والغداة أول النهار، وكرها رجوعها بعد ذهابها، والعشي أول الليل
 (٢) قد جاء في قصيدة الصلتان ما يدل على أنه لم يَرِدْ بذلك الإسناد ظاهره،
 وهو قوله:

فَلَيْسَ أَنَا مُسْلَبُونَ على دين صديقنا والنبي

(٣) هو للفضل بن قدامة المعروف بأبي النجم، والقنزع الشعرُ المجتمع في
 وراحي الرأس، و — عن — الثانية بمعنى بعد، والأصلع الذي سقط شعر مقدم
 رأسه، وجملتا — أبطنى أو أسرعى — حال من الليالي على تقدير القول، أى
 مقولا فيها ذلك بالنظر إلى اختلاف أحوالها في المسرة والمساءة.

(٤) فقد أسند فيه إفناه شعر الرأس إلى الله، فدل على أن إسناده قبله إلى
 الليالى مجاز، وقيل الله قوله، وقوله — وارك — بمعنى غيبك وستر

ومعى الإسناد فى هذين القسمين من الكلام عقليا لاستناده الى العقل دون الوضع ، لأن إسناد الكلمة الى الكلمة شئ يحصل بقصد المتكلم دون واضع اللغة ، فلا يصير - ضَرَبَ - خبرا عن - زيد - بوضع اللغة ، بل بمن قصد إثبات الضرب فعلا له . وإما الذى يعود إلى واضع اللغة أن - ضَرَبَ - لإثبات الضرب لا لإثبات الخروج ، وأنه لإثباته فى زمان ماض وليس لإثباته فى زمان مستقبل ، فأما تعيين من ثبت له فأنما يتعلق بمن أراد ذلك من المخبرين ، ولو كان لغويا لكان حكما بأنه مجاز فى مثل قولنا - خطُّ أحسنُ مما وشى الربيعُ - من جهة أن الفعل لا يصح إلا من الحى القادر ^(١) حكما بأن اللغة هى التى أوجبت أن يختص الفعل بالحى القادر دون الجماد ، وذلك مما لا يشك فى بطلانه ^(٢)

وقال السكاكى ^(٣) الحقيقة العقلية هى الكلام المُقَادُّ به ما عند المتكلم من الحكم فيه ، قال : وإنما قلت - ما عند المتكلم - دون أن أقول ما عند العقل ^(٤) ليمتنأول كلام الجاهل إذا قال - شفى الطبيب المريض - رأيا شفاء المريض من الطبيب ، حيث عُدَّ منه حقيقة مع أنه غير مفيد لما فى العقل من الحكم فيه ^(٥) وفيه نظر ، لأنه غير مُطَرِّد ، لصدقه على ما لم يكن المُسْتَدُّ فيه فعلا ولا متصلا به ^(٦) كقولنا - الانسان حيوان - مع أنه لا يسمى حقيقة ولا مجازا ^(٧)

(١) أى لا من الربيع

(٢) يقصد بهذا الرد على قول بعضهم إن الإسناد فى هذين القسمين لغوى لا عقلى ، وقيل : إن جرينا على أن المركبات موضوعة فهو لغوى ، وإن لم نجر على هذا فهو عقلى ، وهذا خلاف لا طائل تحته

(٣) ٢١١ - المفتاح (٤) أى كما قال عبد القاهر

(٥) لأن العقل يرى إسناد ذلك إلى الله لا إلى العايب

(٦) المتصل بالفعل هو اسم الفاعل ونحوه

(٧) الحق أنه لا معنى للاعتراض بهذا على السكاكى ، لأنه يرى أن الحقيقة

ولا منعكس لخروج ما يطابق الواقع دون اعتقاد المتكلم وما لا يطابق شيئاً منهما منه مع كونهما حقيقتين عقليتين كما سبق^(١)

وقال^(٢) المجاز العقلي هو الكلام المُفَاد به خلاف ما عندما المتكلم من الحكم فيه لضرب من التأول إفادة للخلاف لا بوساطة وضع ، كقولك — أنبت الربيع البقل ، وشفى الطبيب المريض ، وكسا الخليفة السكبة — قال : وإنما قلت — خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه — دون أن أقول خلاف ما عند العقل ، لئلا يمنع طرده بما اذا قال الدهري^(٣) عن اعتقاد جهل أو جاهل غيره — أنبت الربيع البقل — رائياً إنباته من الربيع ، فإنه لا يسمى كلامه ذلك مجازاً وإن كان بخلاف

والمجاز العقليين يجربان في كل إسناد ، ولا يخصهما بما خصه به الخطيب ، على أن الخطيب قد ذكر في المجاز العقلي أمثلة مركبة من مبتدأ وخبر ، مثل — نهاره صائم — ولا ينفع في الجواب عنه أن المجاز عنده في إسناد الخبر إلى ضمير المبتدأ لأن هذا الإسناد غير مقصود في الكلام ، وإنما المقصود الاسناد إلى المبتدأ ، على أنه قد ذكر من أمثلة الحقيقة العقلية فيما سبق — خالق الأفعال كلها هو الله — وهذا الجواب لا يأتي فيه ، وقد ذكر عبد القاهر من المجاز العقلي قول الحسناء :

تَرَسَّعُ ما رتعتُ حتى إذا اذكرتُ فإنما هي إقبال وإدبار

وهذا مبتدأ وخبر ، وإنما جعله مجازاً لأن كلا من الإقبال والإدبار لم يحمل على الناقصة حمل ، وإضافة وإن كان وصفها . وعبد القاهر حجة في هذا الفن ، وقد قيل : إنه مجاز مرسل من إطلاق الصفة وإرادة الموصوف ، وقيل : إنه على حذف مصاف تقديره ذات إقبال ، والحق أنه لا داعي إلى هذا التكلف ، لأنهما تقصداً المبالغة بالأخبار بالمصدر من غير تأويل أو حذف ، وهذا ويمكن أن يؤخذ من اقتضار الخطيب على الاعتراض بمثل — الإنسان حيوان — أن الذي لا يسمى عند السكاكي حقيقة ولا مجازاً هو الذي يكون الخبر فيه جامداً لا فعلاً أو في معناه ، ولكنهم قالوا إن مذهبه أعم من ذلك

(١) لأنهما دخلا في تعريفه لها بزيادة قيد — في الظاهر — وقد أهمله السكاكي

(٢) ٢٠٨ — المفتاح (٣) هو من ينسب الأفعال إلى الدهر

العقل في نفس الأمر ، واحتج بيت الحماسة ^(١) وقول أبي النجم على ما تقدم ، ثم قال : ولئلا يمتنع عكسه بمثل — كما الخليفة السكعبة ، وهزم الأمير الجند — فليس في العقل امتناع أن يسكو الخليفة نفسه السكعبة ، ولا أن يهزم الأمير وحده الجند ، ولا يقدح ذلك في كونهما من المجاز العقلي ، وإنما قلت — لضرب من التأول — ليحترز به عن الكذب ، فإنه لا يسمى مجازا مع كونه كلاما مفيدا خلاف ما عند المتكلم ، وإنما قلت — إفادة للخلاف لا بوساطة وضع — ليحترز به عن المجاز اللغوي في صورة ، وهي اذا ادّعى أن — أثبت — موضوع لاستعماله في القادر المختار أو وضع لذلك ^(٢) وفيه نظر ، لانا لا نسلّم بطلان طرده بما ذكر ، لخروجه بقوله — لضرب من التأول — ولا بطلان عكسه بما ذكر ، إذ المراد بخلاف ما عند العقل خلاف ما في نفس الأمر ^(٣) وفي كلام الشيخ عبد القاهر ^(٤) إشارة إلى ذلك ، حيث عرّف الحقيقة العقلية بقوله : كل جملة وضعت على أن الحكم المفاد بها على ما هو عليه في العقل واقع موقعه . فإن قوله — واقع موقعه — معناه في نفس الأمر ، وهو بيان لما قبله ^(٥) وكذا في كلام الزمخشري ، حيث عرّف المجاز العقلي بقوله : أن يسند الفعل إلى شيء يتلبس بالذي هو في الحقيقة له . فان قوله — في الحقيقة — معناه في نفس الأمر ،

(١) هو بيت الصلتان العبدى السابق

(٢) الفرق بين الأمرين أن — أثبت — على الأول موضوع لخراج النبات مطلقا ولكنه لا يستعمل إلا في القادر المختار ، وعلى الثاني يكرن موضوعا لخراج القادر المختار النبات

(٣) فلا يخرج نحو — هزم الأمير الجند — لانه خلاف ما في نفس الأمر ، لأن الذي يهزم الجند جيشه .

(٤) ٤٢٩ — أسرار البلاغة — مطبعة الاستقامة

(٥) يعني قوله — على ما هو عليه في العقل — وهو جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر — أن — قبله ، وهذا بيان له

ونحو — كسا الخليفة السكبية — إذا كان الإسناد فيه مجازا كذلك ، ثم القول بأن الفعل موضوع لاستعماله في القادر ضعيف ، وهو معترف بضعفه ، وقد ركدته في كتابه بوجوه : منها أن وضع الفعل لاستعماله في القادر قيد لم ينقل عن واحد من رواقر اللغة ، وترك القيد دليل في العرف على الإطلاق ، فقله — إفادة للخلاف لا بوساطة وضع — لاحاجة اليه ، وإن ذكر فينبغي ألا يذكر إلا بعد ذكر الحد على المذهب المختار ، على أن نمثله بقول الجاهل — أنبت الربيع البقل — ينافي هذا الاحتراز ^(١)

تفصيله

قد تبين بما ذكرنا أن المسمى بالحقيقة العقلية والمجاز العقلي على ما ذكره السكاكي هو الكلام لا الإسناد ^(٢) وهذا يوافق ظاهر كلام الشيخ عبد القاهر في مواضع. من — دلائل الإعجاز ^(٣) وعلى ما ذكرناه هو الإسناد لا الكلام ، وهذا ظاهر ما نقله الشيخ أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله عن الشيخ عبد القاهر ، وهو قول الزمخشري في — الكشف — وقول غيره ، وإنما اخترناه لأن نسبة المسمى حقيقة أو مجازا إلى العقل على هذا لنفسه بلا وساطة شيء ، وعلى الأول

(١) لأنه لا يتفق ودعوى أن — أنبت — لا يستعمل إلا في القادر المختار ، إذ لو صح هذا يكون مجازا لا حقيقة لإسناد الإنبات فيه إلى الربيع ، وهو ليس بقادر مختار ، هذا وقد أطل الخطيب هنا في الرد على السكاكي بما لا يحتمله علم البلاغة .

(٢) قيل : إن السكاكي يرى أن المسمى بهما هو الإسناد ، لأنه في جميع الباب يقول — إسناد حقيقة وإسناد مجاز — وما في تعريفه لهما يمكن حمله على التساهل في العبارة .

(٣) من هذا تعريفه للحقيقة العقلية والمجاز العقلي بأنهما كل جملة الخ كما سبق في تعريفه . ويمكن حمل كلامه في هذا على التساهل أيضا ، لتصريحه في عدة مواضع بأنهما وصفان للإسناد .

لاشتماله على ما ينتسب إلى العقل — أعنى الإسناد .
أقسام المجاز العقلي : ثم المجاز العقلي باعتبار طرفيه ، أعنى
 — المسند والمستند إليه — أربعة أقسام لا غير :
 لأنها إما حقيقتان ^(١) كقولنا — أنبت الربيع البقل — وعليه قوله :
 فَنَامَ لَيْلَى وَتَجَلَّى هَمَّى ^(٢)
 وقوله : وشيب أيام الفراق مفارقة ^(٣)
 وقوله : ونمت وما ليل المطى بنائم ^(٤)
 وإما مجازان ^(٥) كقولنا — أحيا الأرض شبَّابُ الزمان ^(٦)
 وإما مختلفان ، كقولنا — أنبت البقل شبَّاب الزمان -- وكقولنا — أحيا

- (١) أى لغويتان
 (٢) هو من أرجوزة لرؤبة بن العجاج يقول فيها قبله :
 يارب قد فرجت عني غمِّي قد كنت ذاهمًا ورأى نجم
 وقوله -- تجلى -- بمعنى انكشف ، والشاهد في قوله — فنام ليل
 (٣) هو من قول جميل بن معمر :
 وشيب أيام الفراق مفارقة وأنشزن نفسى فوق حيث تكون
 وقوله — أنشزن — بمعنى رفعت ، وقوله — تكون — أخذ من كان
 التامة ، والمعنى أن أيام الفراق رفعت نفسه عن مكانها في الجسم وبلغت بها
 الحلقوم ، والشاهد في قوله — وشيب أيام الفراق .
 (٤) هو من قول جرير بن عطية :
 لقد ملنني بالأم غيلان في السرى ونمت وما ليل المطى بنائم
 والسرى السير ليلًا ، والشاهد في قوله — وما ليل المطى بنائم — والمعنى
 أنه لا يقطع السير بالليل ولا ينام .
 (٥) أى لغويان .
 (٦) فإحياء الأرض مجاز عن خصبها ، وشباب الزمان مجاز عن الربيع ،
 وفي اجتماع المجاز اللغوي والمجاز العقلي طرفة تجعل لذلك التقسيم فائدة .

الأرض الربيع — وعليه قول الرجل لصاحبه — أحيقني رؤيتك — أي
أَسَدَنِي وَمَرَّتَنِي ، فقد جعل الحاصل بالرؤية من الأنس والمسرة حياة ، ثم
جعل الرؤية فاعلة له ، ومثله قول أبي الطيب :

وَنَحْبِي لَهُ الْمَالُ الصَّوَارِمُ وَالْفَنَّا وَيَقْتُلُ مَا نَحْبِي التَّبَسُّمُ وَالْجَدَا ^(١)
جعل الزيادة والوفور حياة للعال وتفريقه في العطاء قتلا له. ثم أثبت الإحياء
فعلا للصوارم والقتل فعلا للتبسم ، مع أن الفعل لا يصح منهما ، ونحوه قوطم
— أهلك الناس الدينار والدرهم — جعلت الفتنه إهلاكاً ، ثم أثبت الإهلاك فعلاً
لله دينار والدرهم .

وقوعه في القرآن : وهو في القرآن كثير ^(٢) كقوله ^(٣) تعالى (وَإِذْ أَتَيْنَا
عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا زَادَتْهُمْ إِيمَانًا) نُسَبِّتُ الزيادة التي هي فعل الله الى الآيات
لحكونها سبباً فيها ، وكذا قوله ^(٤) تعالى (وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ
أَرَدَأَ لَكُمْ) ومن هذا الضرب قوله (يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ ^(٥)) الفاعل غيره ونُسِبَ
الفعل اليه لكونه الآمر به ، وكقوله (يَنْزِعُ عَنْهُمْ لِبَاسَهُمْ ^(٦)) نُسِبَ النزع
الذي هو فعل الله تعالى الى إبليس ، لأن سببه أكل الشجرة ، وسبب أكلها
وسوسته ومقامته إياها أنه لما لمن الناصحين ، وكذا قوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ

(١) هو لأبي الطيب أحمد بن الحسين المعروف بالمتنبي من قصيدة له في مدح سيف
الدولة ، والصوارم السيوف القاطعة ، والقنا الرماح واحداً قناتاً ، والجدا العطاء .
(٢) يريد بالنص على وجود المجاز العقلي في القرآن الرد على من ينكر
وجود المجاز مطلقاً في القرآن ، لأنه يوم الكذب والقرآن منزله عنه ، ورد بأنه
لا إلهام مع وجود القرينة .

(٣) — ي — ٢ — س — ٨ .

(٤) — ي — ٢٣ — س — ٤١ .

(٥) — ي — ٤ — س — ٢٨ . (٦) — ي — ٢٧ — س — ٧ .

بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كَفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ^(١) نُسِبَ الإِحْلَالُ الَّذِي هُوَ
فَعَلَ اللَّهُ إِلَى أَكْبَرِهِمْ ، لِأَن سَبَبَهُ كَفَرَهُمْ ، وَسَبَبَ كَفَرَهُمْ أَمْرُ أَكْبَرِهِمْ إِيَابَهُمْ
بِالْكُفْرِ ، وَكَقَوْلِهِ^(٢) تَعَالَى (يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا) نُسِبَ الْفَعْلُ إِلَى الظَّرْفِ لَوُقُوعِهِ
فِيهِ ، كَقَوْلِهِمْ — نَهَارُهُ صَائِمٌ — وَكَقَوْلِهِ^(٣) تَعَالَى (وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا)
وَهُوَ غَيْرُ مُخْتَصٍ بِالْخَبَرِ^(٤) بَلْ يَجْرِي فِي الْإِنْشَاءِ ، كَقَوْلِهِ^(٥) تَعَالَى (وَقَالَ
فِرْعَوْنُ يَا هَآمَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا) وَقَوْلِهِ (فَأَوْقِدْ لِي يَا هَآمَانُ عَلَى الطِّينِ
فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا^(٦)) وَقَوْلِهِ (وَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى^(٧))
تَقْسِمُ قَرَيْبَتُهُ : وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ قَرِينَةٍ : إِمَّا لَفْظِيَّةً ، كَمَا سَبَقَ فِي قَوْلِ أَبِي النَّجْمِ ، أَوْ

غَيْرِ لَفْظِيَّةٍ ، كَمَا سَتَحَالَةُ صُدُورِ الْمُسْتَدِّ مِنَ الْمُسْتَدِّ إِلَيْهِ الْمَذْكُورِ^(٨) أَوْ قِيَامِهِ بِهِ^(٩)
عَقْلًا ، كَقَوْلِكَ — مَحَبَّتِكَ جَاءَتْ بِي إِلَيْكَ^(١٠) أَوْ عَادَةً ، كَقَوْلِكَ — هَزَمَ الْأَمِيرُ

(١) — ي — ٢٨ — س — ١٤ — (٢) — ي — ١٧ — س ٧٣ .

(٣) — ي — ٢ — س — ٩٩ — فَقَدْ نُسِبَ فِيهِ الْإِخْرَاجُ إِلَى مَكَانِهِ
وَهُوَ الْأَرْضُ مَعَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَخْرُجُ لِلدَّفَائِنِ وَهِيَ الْمَوْتَى ، وَقِيلَ : إِنَّ الْإِسْنَادَ
لِلْفِعْلِ لِأَنَّهُ عَلَى تَقْدِيرِ — مَنْ — أَى أَخْرَجَ اللَّهُ مِنَ الْأَرْضِ .

(٤) مِثْلُهُ الْحَقِيقَةُ الْعَقْلِيَّةُ كَمَا سَبَقَ .

(٥) — ي — ٣٦ — س — ٤٠ — وَالشَّاهِدُ فِي نِسْبَةِ الْبِنَاءِ لَهَا مَانٌ ، وَلَيْسَ هُوَ الَّذِي
يَفْعَلُهُ وَإِنَّمَا يَأْمُرُ بِهِ ، لِأَنَّهُ كَانَ وَزِيرًا لِفِرْعَوْنَ ، فَيَكُونُ مِنَ الْإِسْنَادِ لِلشَّبَبِ .
وَالْمَجَازُ الْعَقْلِيُّ يَجْرِي أَيْضًا فِي كُلِّ أَنْوَاعِ الْإِنْشَاءِ مَعَ مُتَلَابَسَاتِ الْفِعْلِ السَّابِقَةِ .

(٦) — ي — ٣٨ — س — ٢٨ — وَالشَّاهِدُ فِي نِسْبَةِ الْإِقَادِ لَهَا مَانٌ لِأَنَّهُ بِسَبَبِهِ .

(٧) — ي — ١١٧ — س — ٢٠ — وَالشَّاهِدُ فِي نِسْبَةِ الْإِخْرَاجِ لِإِبْلِيسَ لِأَنَّهُ بِسَبَبِهِ .

(٨) أَى فِي الْكَلَامِ وَهُوَ الْمُسْتَدُّ إِلَيْهِ الْمَجَازَى ، لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَذْكُرُ فِي الْمَجَازِ الْعَقْلِيِّ .

(٩) هَذَا مُعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ — صُدُورَ — لِأَنَّ الصُّدُورَ الْخَبَرُ ، وَالْقِيَامُ
الْإِنْصَافُ ، وَالْأَوَّلُ مِثْلُ — ضَرْبَ — وَالثَّانِي مِثْلُ — قَرَبَ وَبَعْدَ .

(١٠) لَظْهُورُ اسْتِحَالَةِ قِيَامِ الْمَجِيءِ بِالْمَحَبَّةِ ، وَهَذَا إِنَّمَا يَجْرِي عَلَى مَذْهَبِ الْمُبَرِّدِ
فِي بَاءِ التَّعْدِيَةِ ، فَهِيَ تَقْضِي عَنْدَهُ بِمُشَارَكَةِ الْفَاعِلِ لِلْفِعْلِ فِي الْفِعْلِ ، وَهِيَ عَنْدَ

الجنند ، وكسا الخليفة الحكمة ، وبنى الوزير القصر — وكصدر الكلام^(١) من الموحّد^(٢) في مثل قوله^(٣) أشاب الصغير — البيت .

دقة مسلّكة : واعلم أنه ليس كل شيء يصلح لأن تتعاطى فيه المجاز العلى بسهولة ، بل نجد كفى كثير من الأمر تحتاج الى أن تهىء الشيء وتصلحه له بشيء تتوخّاه في النظم ، كقول من يصف جملا :

نحوب له الظلماء عين كائنها زجاجة شرب غير ملائ ولا صفر^(٧)

يريد أنه يهتدى بنور عينه في الظلماء . ويمكنه بها أن يخرقها ويمضى فيها ، ولولاها لكانت الظلماء كالسد الذي لا يجد السائر شيئا يفرجه به ، ويجعل لنفسه فيه سبيلا ، فلولا أنه قال — نحوب له — فعلق — له — كما تبين جهة النجوز في جعل الجوب فعلا للعين كما ينبغي ، لأنه لم يكن حينئذ في الكلام دليل على أن اهتمام صاحبها في الظلماء ومضيه فيها بنورها ، وكذلك لو قال — نحوب له الظلماء عينه — لم يكن له هذا الموقع ، ولا نقطع السلك من حيث كان يعنيه

سليويه بمعنى همزة النقل في نحو — أذهبت زيدا — أى جعلته ذاهبا ، فتكون المحبة عنده حاملة فقط على المجيء ، وليس في هذا مجاز عقلى .

(١) عطف على — كاستحالة .

(٢) المراد به الموحّد الكامل بخلاف المعتزلة ، والقرينة هنا حالية ، وإنما لم يكن هذا من الاستحالة العقلية ، لأن المراد بها الاستحالة الضرورية التى لاخلاف فيها ، وما هنا محل خلاف بين المؤمن والدّهري . والمعتزلة من الموحدين يقولون بتأثير الأسباب العادية ، فلا يكون الإسناد إليها مجزا عندهم .

(٣) أى الصلطان العبدى فيما سبق . (٧) لا يعلم ، قائله ، وقبله :

تنام طلاب العامرية إذ نأت بأسجح مرقال الضحى قلق الضفر

إذا ما أحسته الافاعى تحيزت شواء الافاعى من مكلمة سمر

والشرب جمع شارب ، والصفر الخالية ، والمجاز في إسناد — نحوب — إلى العين ، وإنما قيد الزجاجة بكونها غير ملائ ولا صفر لأن العين إنما تشبهها في هذه الحالة .

حيث أن يصف العين بما وصفها به ^(١)

الخصوف في استلزام الحقيقة : واعلم أن الفعل المبني للفاعل في المجاز العقلي

واجب أن يكون له فاعل في التقدير، إذا أسند إليه صار الإسناد حقيقة، لمسا
يشعر بذلك تعريفه كما سبق ^(٢) وذلك قد يكون ظاهراً، كما في قوله ^(٣) تعالى
(فما ربحتم تجارتهم) أي فاربحوا في تجارتهم، وقد يكون خفياً لا يظهر إلا بعد
نظر وتأمل، كما في قولك — سرتني رؤيتك — أي سرني الله وقت رؤيتك،
كما تقول أصل الحكم في — أنبت الربيع البقل — أنبت الله البقل وقت الربيع،
وفي — شفى الطبيب المريض — شفى الله المريض عند علاج الطبيب، وكما
في قولك — أقدمني بلدك حق لي على فلان — أي أقدمتني نفسي بلدك لأجل
حق لي على فلان أي قدمت لذلك، ونظيره — محبتك جاءت بي اليك — أي
جاءت بي نفسي اليك لمحبتك أي جئتكم لمحبتك، وإنما قلنا إن الحكم فيهما
مجاز لأن الفعلين فيهما مسندان إلى الداعي ^(٤) والداعي لا يكون فاعلاً، وكما
في قول الشاعر :

وَصَبَّرَنِي هَوَاكَ وَبَنِي لِحَيْتِي يُضْرَبُ الْمَثَلُ ^(٥)

(١) لأن تنكيرها هو الذي هباً له وصفها به .

(٢) يراد بهذا على ما يفيد ظاهراً كلام عبد القاهر من أن الفعل المبني للفاعل
في المجاز العقلي لا يجب أن يكون له فاعل حقيقي، كما في قولك — سرتني رؤيتك —
والخلاف في هذا لا أثر له ولا يصح الاشتغال به في علم البلاغة، ولا يريد
عبد القاهر إلا أن العرف في مثل هذا لم يجر بإسناد الفعل إلى الفاعل الحقيقي،
فلا يقال فيه — سرني الله عند رؤيتك .

(٣) — ي — ١٦ — س — ٢ .

(٤) يعني الداعي إلى الفعل وهو السبب .

(٥) هو لابن البواب عبد الله بن محمد، وقيل : إنه لمحمد بن أبي محمد

اليزيدي، وقيل له :

أى وصيرنى الله لهواك وحالى هذه ، أى أهلكنى الله ابتلاء بسبب هواك .
وكما فى قول الآخر وهو أبو نؤاس :

يزيدك وجهه حسناً إذا ما زِدْتَهُ نظراً ^(١)

أى يزيدك الله حسناً فى وجهه لما أودعه من دقائق الجمال منى تأملت .

انظر السلكى له : وأنكر السكاكى ^(٢) وجود المجاز العقلى فى الكلام ^(٣)

وقال : الذى عندى نظمه فى سلك الاستعارة بالسكنية ، يجعل الربيع استعارة

أنتيك عائدًا بك من ك لما ضاقت الخيل

وبعده :

فإن ظفرت بكم نفسى فإلا لقيته جليل

وإن قتل الهوى رجلاً فإنى ذلك الرجل

والحين فى الأصل الهلاك .

(١) هو للحسن بن هانئ المعروف بأبى نؤاس . والمراد بالحسن حسن

الوجه وجماله ، وليس المراد به استحسان الناظر إليه ، ورواية الديوان .

وجوهر عندنا تحكى بدارة وجهها القمر

يزيدك وجهها حسناً إذا ما زِدْتَهُ نظراً

وقيل إن البيت لابن المعتز ، وقبلة :

لعتبة صفحتنا قمر

يزيدك وجهها . . .

(٢) ٢١٢ — المفتاح .

(٣) ذهب ابن الحاجب أيضاً إلى أن المجاز فى لفظ - أنبتت - مثلاً من قولك

- أنبت الربيع البقل - وهو يوافق السكاكى فى إنكار المجاز العقلى ، وذهب

الفخر الرزائى إلى إنكاره أيضاً ، ولكنه يحمل نحو - أنبت الربيع البقل - على أنه

تمثيل يورد ليتصور معناه وينتقل الذهن منه إلى إنبات الله تعالى ، فلا يجاز عنده

فى الإسناد ولا فى طرفيه ، وذهب سيديويه إلى أنه من التوسع فى الكلام ، فيحتاج

فيه إلى التأويل فقط ، كما يؤول - نام ليلى - بأنه على تقدير نمت فى ليلى ، فجملة

بالكناية عن الفاعل الحقيقي ^(١) بواسطة المبالغة في التشبيه ، على ما عليه مبنى الاستعارة كما سيأتى ، وجعل نسبة الإنبات اليه قرينة للاستعارة ، ويجعل الأمير المدير لأسباب هزيمة العدو استعارة بالكناية عن الجند الهازم ، وجعل نسبة الهزم اليه قرينة للاستعارة . وفيما ذهب اليه نظر ، لأنه يستلزم أن يكون المراد بعيشة في قوله ^(٢) تعالى (فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ) صاحب العيشة لا العيشة ^(٣) وبما في قوله (خَلَقَ مِنْ مَّاءٍ ذَاقٍ) ^(٤) فاعل الذوق لا المني ^(٥) لما سيأتى من تفسيره للاستعارة بالكناية ^(٦) وألا تصح الإضافة في نحو قولهم — فُلَانٌ نَهَارُهُ صَائِمٌ ، وليله قائمٌ — لأن المراد بالتهار على هذا فلان نفسه ، وإضافة الشيء إلى نفسه لا تصح . والأى يكون الأمر بالإيقاد على الطين في إحدى الآيتين ^(٧) وبالبناء فيهما لها مان ^(٨) مع أن النداء له ^(٩) وأن يتوقف جواز التركيب في نحو

المذاهب في ذلك خمسة ، والخلاف بينهم فيها عما لا يصح الاشتغال به في هذا العلم ، وأقربها إلى أسلوب اللغة جعل التجوز في الاسناد كما ذهب اليه الخطيب ، وهو مذهب عبد القاهر إمام هذا الفن ، لأنه لا تكلف فيه كغيره من المذاهب .

(١) هو الله تعالى ، وإنما لم يصرح به ليتعد عن سوء الأدب في التشبيه من ناحية اللفظ ، وما كان أغنى السكاكي عن ذلك المذهب الذى يحوج إلى هذا التكلف

(٢) — ي — ٢١ — س — ٦٩

(٣) وجه اللزوم أن ضمير - راضية - يعود إلى عيشة فيلزم أن يكونا بمعنى واحد ، ووجه بطلان اللازم ما فيه من ظرفية الشيء في نفسه .

(٤) — ي — ٦ — س — ٨٦

(٥) لأن ضمير - ذاق - يعود إلى ماء ، فيلزم أن يكونا بمعنى واحد ، ووجه بطلان اللازم ما فيه من إثبات خلق الإنسان من نفسه .

(٦) ما سيأتى هو أن مبناها عنده على دعوى أن المشبهة فرد من أفراد المشبه به .

(٧) أى السابقتين وهما (يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صِرْحًا) (فَتَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطَّيْنِ فَاجْعَلْ لِي صِرْحًا) .

(٨) بل يكون للعملة الذين شُبِّهَ هَامَانُ بهم .

(٩) فيكون الأمر له لثلا يلزم تعدد المخاطب في كلام واحد .

قولهم — أنبت الربيع البقل ، وسرنتى رؤيتك — على الإذن الشرعى ، لأن أسماء الله تعالى توقيفية ، وكل ذلك منتف ظاهر الانتفاء ، ثم ما ذكره منقوض بنحو قولهم — فلان نهارة صائم — فان الإسناد فيه مجاز ولا يجوز أن يكون النهار استعارة بالكناية عن فلان ، لأن ذكر طرف التشبيه يمنع من حمل الكلام على الاستعارة ، ويوجب حمله على التشبيه ، ولهذا عدُّ نحو قولهم — رأيت بفلان أسداً ، ولقيني منه أسد — تشبيها لاستعارة كما صرح السكاكى أيضاً بذلك فى كتابه^(١)

تفسيه

إنما لم نورد الكلام فى الحقيقة والمجاز العقليين فى علم البيان كما فعل السكاكى ومن تبعه ، لدخوله فى تعريف علم المعانى دون تعريف علم البيان^(٢)

(١) أجاب أصحاب الحواشى عن السكاكى بأجوبة أعرضنا عنها ، لأنه لا يصح التطويل بها فى علم البلاغة ، والحق أن المجاز العقلى طريقه غير طريق الاستعارة بالكناية ، لأنها تقوم على علاقة المشابهة كغيرها من الاستعارات بخلافه ، فلا يصح حمله عليها .

(٢) بيان ذلك أن الحقيقة والمجاز العقليين حالان من أحوال اللفظ ، وأنه يؤثر فى لهما لأحوال تقتضيهما ، لأن مُلابسات الفعل السابقة تقتضى الإتيان بالمجاز العقلى عند قصد المبالغة ، وعدمها يقتضى الإتيان بالحقيقة العقلية ، وهذا يدخلان فى تعريف علم المعانى ، وإنما لم يدخل فى تعريف علم البيان لاهما ليسا من أحوال الدلالة ، وقد اعترض على هذا بأن الحقيقة والمجاز اللغويين حالان من أحوال اللفظ أيضاً ، وكل منهما له أحوال تقتضيه كالحقيقة والمجاز العقليين ، وقد ذكرهما الخطيب كغيره فى علم البيان ، فإذا أُجيب بأنهما من أحوال الدلالة فيدخلان فى علم البيان ، قيل : إنه يمكن جعل الحقيقة والمجاز العقليين من أحوال الدلالة أيضاً ، لأن إنبات البقل مثلاً يمكن أن يدل عليه بقولنا — أنبت الله البقل — على طريق الحقيقة ، وبقولنا — أنبت الربيع البقل — على طريق المجاز ، وهكذا ، ولكن هذا يتوقف على دخول دلالة الحقيقة فى طرق الدلالة المذكورة فى تعريف علم البيان

تمرينات على الحقيقة والمجاز العقليين

تمرين ١ —

بين الحقيقة والمجاز العقليين والأحوال الداعية إليهما فيما يأتي :

- (١) فدعها وسلّ الهمّ عنها بجسرة ذمول إذا صام النهار وهجرًا
- (٢) إني لمن معشر أفتى أوائلهم قيلُ السكاة ألا أين الحمامونا
- (٣) إن المنبت لا أرضا قطع ، ولا ظهراً أبقى .
- (٥) قوله تعالى (والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون .) — ي — ٦٥ — س — ١٦

تمرين ٢ —

بين نوع الملابس فيما يأتي من المجاز العقلي :

- (١) هي الأمور كما شاهدتها دُولُ من سرّهُ زَمَنُ ساءتُه أزمانُ
- (٢) وكل امرئ يولى الجليلَ محبوبٌ وكل مكان ينبت العزَّ طيبٌ
- (٣) قوله تعالى (هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مُبْخِرًا) — ي — ٦٧ — س — ١٠

تمرين ٣ —

- (١) ما وجه من جعل الحقيقة والمجاز العقليين من علم المعاني؟ وما وجه من جعلهما من علم البيان؟ وهل لهذا الخلاف ثمرة في البلاغة .
- (٢) بين الخلاف في كون الحقيقة والمجاز العقليين وصفين للكلام أو للاسناد، وما هي ثمرة هذا الخلاف في المقصود من علوم البلاغة .

القول في أحوال المسند إليه

أغراض الحذف : أما حذفه فإما المجزئ الاختصار ^(١) والاحتراز عن العبث

بناء ^(٢) على الظاهر . وإما لذلك مع ضيق المقام ^(٣) وإما لتخييل ^(٤) أن في تركه تعويلاً على شهادة العقل وفي ذكره تعويلاً على شهادة اللفظ من حيث الظاهر ، وم بين الشهادتين ، وإما لاختبار تنبئه السامع له عند القرينة ^(٥) أو مقدار تنبيهه ^(٦)

(١) الحذف هو حال المسند إليه وكذا ما سيأتى من الذكر والتعريف والتكثير والتقديم والتأخير ، ومجرد الاختصار وما عطف عليه هي الأحوال الداعية إلى الحذف ، وهكذا يقال في غير الحذف بما يأتى ، وهذه الأحوال تسمى أغراضاً أيضاً والاختصار غرض مُطَرِّد في الحذف ، فتارة يكون وحده ، وتارة يكون مع غيره من أغراض الحذف ، وحذف المسند إليه يشمل حذف المبتدأ وحذف الفاعل مع إنباء المفعول عنه .

(٢) حال من العبث أى حال كون العبث مَبْنِيّاً على الظاهر بأن تكون هناك قرينة تدل على المحذوف ، لأنه لا يصح حذفه من غير قرينة تدل عليه ، وظاهره أن الاختصار والاحتراز عن العبث غرضان لا ينفصل أحدهما عن الآخر (٣) ضيق المقام قد يكون بسبب شعر أو صجر أو خوف فوات فرصة أو نحو ذلك .

(٤) إنما كان — تخييل — لأن الدال حقيقة عند الحذف هو اللفظ المدلول عليه بالقرينة ، وهذه نمكة فلسفية أتى بها السكاكي في أغراض الحذف وليست في شيء من البلاغة العربية .

(٥) هذا كأن يزورك رجلان سبقت لأحدهما صحبة لك ، فتقول لمن معك — وفي — تريد الصاحب وفي .

(٦) هذا كأن يزورك رجلان أحدهما أقدم صحبة من الآخر ، فتقول لمن معك

وإما لإيهام أن في تركه تطهيراً له عن اسانك أو تطهيراً لسانك عنه^(١) وإما ليكون لك سبيل الى الإنكار إن مسّت اليه حاجة^(٢) وإما لأن الخبر لا يصلح إلا له حقيقة أو ادّعاء^(٣) وإما لا اعتبار آخر مناسب لا يهدى الى مثله إلا العقل السليم والطبع المستقيم^(٤)

— جدير بالإحسان — تريد الأقدم صحة جذبر بالإحسان ، والفرق بين هذا وما قبله أن اختبار مقدار التنبيه لا يكون الا في القرائن الخفية . وهذا الغرض بقسميه من تكلفاتهم أيضا

(١) قيل: إن لفظ — إيهام — هنا لاداعي اليه ، وكذلك لفظ — تخييل — فيما سبق ، لأن ذلك يقع حقيقة لا تخيلا ولا إيهاما ، والاول كقولك — خاتم الانبياء — أى محمد صلى الله عليه وسلم ، والثاني سيأتى فى أمثلة الإيضاح
(٢) هذا كقولك — فاجر — تريد رجلا معروفا ، فلا تذكره لتقول عند الحاجة ما أردته

(٣) الاول كقوله تعالى (عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) — ي — ٩ —
س — ١٣ والثاني كقولك — وَهَابُ الْآلُوفِ — تريد كريما لا تذكره ادّعاء لتعينه وشهرته

(٤) من ذلك تعجيل المسرة أو المساءة ، كقولك للسائل — دينار — ومنه المحافظة على وزن أو سجع ، كقولهم — من طابت سريرتهُ حُمدتْ سيرتهُ — فلو قيل حمد الناسُ سيرتهُ لقات السجع ، وإنى أرى أن هذا غرض يراعى من أجل تحسّن بديعى ، فلا يفوت بتركه إلا ذلك المحسن ، ولا يكون مقامه فى البلاغة كغيره ، وقد ذكر بعضهم من أغراض الحذف اتباع الاستعمال الوارد على تركه ، كما فى قولهم — رميةٌ من غير رام — أو على ترك نظائره ، كالرفع على المدح أو الذم فى النعت المقطوع ، واعتراض عليه بأن الحذف فى ذلك ليس لأغراض بلاغية ، وإنما يرجع إلى اقتضاء العربية له ، وأجيب بأن هذا الحذف مع وجوبه عربية لا يصار اليه إلا لغرض بلاغى يتمتضيه ، وهو جواب ظاهر الضعف ، لانه لا معنى لتوقف الحذف على الغرض البلاغى مع وجوبه فى ذاته ، إذ لا بد منه وجد هذا الغرض أو لم يوجد

كقول الشاعر :

قال : لي كيف أنت قلت : عليلٌ سهرٌ دائمٌ وحزنٌ طويلٌ (١)

وقوله :

سأشكر عمراً إن تراخت منيئتي أيادي لم تمنن وإن هي جلت
فتى غير محبوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت (٢)

وقوله :

أضأت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
نجوم سماء كما انقض كوكب بدا كوكب تأوى إليه كواكبه (٣)

(١) لا يعلم فائله ، والشاهد في قوله — عليل — لأن التقدير أنا عليل .
وفي قوله — سهر دائم — لأن التقدير حالى سهر دائم ، والحذف فيه للاختصار
والاحتراز عن العبث مع ضيق المقام بسبب الضجر والشعر

(٢) هما لهبد الله بن الزبير الاسدى فى مدح عمرو بن عثمان بن عفان ،
وقيل : إنما إبراهيم بن العباس الصولى ، وقيل : غير هذا فى نسبتها ، وأياذى بدل
اشتغال من عمرو والتقدير أباذى له ، وهى جمع أيد بمعنى النعم ، وأيد جمع يد ،
وقوله — لم تمنن — معناه لم تقطع أو لم تخلط بمننة ، وقوله — إذا النعل زلت — كناية
عن نزول الشر ، وزلت بمعنى زلفت ، والشاهد فى قوله — فتى — لأن التقدير هو فتى ،
والحذف فيه للاختصار والاحتراز عن العبث مع ضيق المقام بسبب الشعر ، وقد
قيل : إنه لصون المحذوف عن لسان المادح ، وقيل : إنه لادعاء تعينه ، وكلاهما
ضعيف لأنه صرح باسمه قبله .

(٣) هما لآبى الطمّحان القينى ، وقيل : للقيط بن زُرارة وهو الصحيح ،
وكان فى أسر بجير بن أوس الطائى فأطلقه ، فدحه بذلك ، والجزع تحرّزه بياض
وسواد ، والشاهد فى قوله — نجوم سماء — لأن التقدير هم نجوم سماء ، والحذف
فيه للاختصار والاحتراز عن العبث مع ضيق المقام بسبب الشعر ، وقيل : إنه
لصون المحذوف عن لسان المادح .

وقول بعض العرب في ابن عم له **مُؤَمِّرٌ** سأله فنهقه ، وقال : كم أعطيتك ، إلى وأنت تنفقه فيما لا يعنيك ، والله لأعطينك . فتركه حتى اجتمع القوم في ناديهم وهو فيهم ، فشكاه إلى القوم وذمه ، فوثب إليه ابن عمه فلفظه ، فأنشأ يقول :

سريعٌ إلى ابن العم يُلطم وجهه وليس إلى داعي الندى سريع
حريص على الدنيا مضيع لدينه وليس لِمَسَا في بيته بمضيع^(١)
وعليه قوله^(٢) تعالى (صُمُّ بُسْكُم عَمِي) وقوله^(٣) تعالى (وما أدراك
ما هيّة ، نَارُ حَامِيَةٍ) وقيام القرينة شرط في الجميع^(٤)
اغراض الذكر : وأما ذكره فامّا لأنه الأصل ولا مقتضى للحذف^(٥)

(١) هما للغيرة بن عبد الله المعروف بالآقيشر الأسدي . والندى الكرم ،
والشاهد في قوله - سريع إلى ابن العم - لأن التقدير هو سريع ، والحذف فيه
لصون اللسان عن المحذوف مع الاختصار والاحتراز عن العبث .

(٢) — ي — ١٨ — س — ٢

(٣) — ي — ٩ ، ١٠ — س — ١٠١

(٤) أي في جميع أغراض الحذف ، لأنه لا يصح الحذف إلا معه ، واعتبار
البلاغة إنما يكون بعد اعتبار الصحة ، وقد يغني عن هذا قوله فيما سبق - بناء على الظاهر
هذا وقد ترك أمثلة حذف المسند إليه الفاعل مع إنابة المفعول عنه . ومن
ذلك هذه الأمثلة :

سُبِقْنَا إلى الدنيا فلو عاس أهلها مُنِعْنَا بها من جِيئَةٍ وذُهِوبِ
فَبَيَّتْ أن أبا قابوس أو عَدَنِي ولا قرارَ على زار من الإسدي
أَسْرَتْ وَمَا صَحِيحِي بُعْزِلَ لَدَى الوغى ولا فرسى مُهْرٍ ولا رَبَّةً سَحْمُ
لئن كنت قد بُلُغْتَ عني خيانة لمُبْلَغُكَ الواشي أغش وأكذب
والحذف في الأول للعلم بالمحذوف ، وفي الثاني للخوف عليه ، وفي الثالث
لتضييق المقام ، وفي الرابع لاحتقار المحذوف
(٥) إنما قدم أغراض الحذف على أغراض الذكر لأن الأولى أهم في البلاغة من

وإما للاحتياط لضعف التعويل على القرينة ^(١) وإما للتنبيه على غباوة السامع ^(٢) وإما لزيادة الإيضاح والتقريب ^(٣) وإما لإظهار تعظيمه أو إهانته كما في بعض الأسماء المحموده أو

الثانية، والذي الذي يبحث عن أغراضه هو الذي يصح الاستغناء عنه لوجود القرينة، فوجودها شرط في الذكر كما هو شرط في الحذف، لأنه مع فقد ما يتعين الذكر، وإلما يبحث في هذا العلم عن الأغراض المرجحة كما سبق، وقد اعترض على هذا الغرض بأنه مع وجود القرينة يكون مقتضى الحذف موجوداً، ويكون الأصل الحذف لا الذكر، وأجيب بأنه يريد ولا مقتضى للحذف في قصد المتكلم وإن كان موجوداً في نفسه، وإن أرى أنه متى وجدت القرينة يتعين الحذف بلاغة ولا يصح الذكر لمثل هذا الغرض، فالأولى الاقتصار على ما بعده، وقيل: إن مراده أن الذكر هو الأصل عند فقد القرينة، ويكون ما بعده من الأغراض عند وجودها، ولا يخفى ضعف هذا الجواب أيضاً.

(١) هذا عند خفاء القرينة، كما نقول — من حضر ومن سافر؟ فيقال — الذي حضر زيد والذي سافر عمرو — ولا يقال زيد وعمرو، لأن السامع قد يحمل تعيين ذلك من السؤال ..

(٢) هذا عند ظهور القرينة، كما نقول من حضر؟ فيقال — الذي حضر زيد

(٣) نحو قول الشاعر:

وقد علم القبائل من مَسْعَدٍ	إذا قُبِسَبَ بأبطحها بُنينا
بأننا المَطْعَمون إذا قَدَرْنَا	وأنا المَهْلِكُون إذا اُبْطَلِينَا
وأنا المعانعون لِمَا أَرَدْنَا	وأنا النازلون بَحِيث شِينَا
وأنا التاركون إذا سَخَطْنَا	وأنا الآخذون إذا رَضِينَا

المذمومة ^(١) وإما للنبرك بذكره ^(٢) وإما لاستلذاذه ^(٣) وإما لبسط الكلام حيث الإصغاء المطلوب ، كقوله تعالى ^(٤) حكاية عن مومى عليه السلام (هِيَ عَصَايَ) ولهذا زاد على الجواب ^(٥) وإما لنحو ذلك ^(٦)

قال السكاكي ^(٧) وإما ليكون الخبر عامً النسبة إلى كل مسند إليه ، والمراد تخصيصه بمعين ^(٨) كقولك - زيد جاء ، وعمر وذهب ، وخالد في الدار - وقوله:

(١) الأول نحو - أمير المؤمنين حاضر - والثاني نحو - السارق اللئيم حاضر - جواباً لمن سأل عنهما .

(٢) كقولك لمن سألك هل الله يرضى هذا - الله يرضاه .

(٣) نحو قول الشاعر :

بِاللَّهِ يَا طَبِيبَاتِ الْقَاعِ قُلْنَ لَنَا لَيْلَايَ مِنْكُمْ أَمْ لَيْلَى مِنَ الْبَشَرِ

(٤) - ي - ١٨ - س - ٢٠

(٥) فقال (أَتَوَكَّلُ عَلَيْهَا وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَرَلَى فِيهَا مَا رُبُّ أُخْرَى) وكل هذا لأن الكلام مع رب العزة ، وإصغاء المخاطب في مثل هذا مطلوب للتكلم ، والإصغاء محال على الله تعالى ، ولكن كلامه يجري على أساليب العربية بقطع النظر عن كونه كلامه .

وقد يطلب بسط الكلام لغير ذلك من مقامات المدح والثناء والفخر ونحوها ، كقول الشاعر :

فَعَبَّاسٌ يَصْدُ الْخَطْبَ عَنَّا وَعَبَّاسٌ يُجِيرُ مِنْ اسْتِجَادَا

(٦) كالسجيل على السامع حتى لا يتأتى له الإنكار ، ومنه قول الفرزدق في

على بن الحسين رضى الله عنهما حين أنكر هشام بن عبد الملك معرفته :

هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمْ هَذَا التَّقِيُّ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلِيُّ

هَذَا ابْنُ فَاطِمَةَ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَهُ بِجَدِّهِ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ قَدْ خُتِمُوا

(٧) - ٩٥ - المفتاح

(٨) أى ذكر مسند إليه خاص يستند إليه الخبر ، فلا يريد بالتخصيص قصر

اللهُ أَنْجَحَ مَا طَلَبْتَ بِهِ وَالْبِرُّ خَيْرُ حَقِيقَةٍ الرَّحْلِ^(١)
وقوله :

النَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغِبَتْهُمَا وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ^(٢)

وفيه نظر ، لأنه إن قامت قرينة تدل عليه إن حذف فعموم الخبر وإرادة
تخصيصه بمعين وحدهما لا يقتضيان ذكره ، والإيماء فيكون ذكره واجبا^(٣)

الخبر عليه لأنه لا قصر فيما ذكره من الأمثلة . وقيل : إنه يريد به القصر على ما سيأتي
في تقديم المسند إليه ، ورد بأن هذا خلاف مذهب السكاكي ، لأنه يرى أن المبتدأ
إذا كان اسما ظاهرا لا يفيد القصر كما سيأتي .

(١) هو لامرئ القيس حنْدُج بن حَجْر ، واختار صاحب الأغاني أنه
لامرئ القيس بن عابس . وأنجح أفعال تفضيل من — أنجح الله طلبته — على
مذهب سيديويه في تجويز بنائه من المزيد ، وما في قوله — ما طلبت به — نكرة
موصوفة بمعنى شيء ، والبر الطاعة ، والحقبة ما يوضع فيه الزاد ونحوه .

(٢) هو الخويلد بن خالد المعروف بأبي ذؤيب الهذلي ، وقوله — رغبتهما —
بمعنى أطمعتهما ، ورواية الجهرة — والنفس — بالواو .

(٣) أجيب عن هذا النظر بأنه لا مانع من أن يكون ذكره لعدم القرينة
وللتخصيص بمعين معا ، ولا يخفى ضعف هذا الجواب لما سبق من وجوب القرينة
في الذكر كالحذف .

تمرينات على الذكر والحذف

تمرين ١ -

لماذا حذف المسند إليه في الأمثلة الآتية :

- (١) وما المالُ والأهلون إلا ودائعُ ولا بُدَّ يوماً أن تُردَّ الودائعُ
- (٢) سأولونى فى سقامى كيف حالى قلتُ: رَضُوْهُ
- (٣) وإني رأيت البخلُ يزرى بأهلِهِ فأكرمتُ نفسى أن يقال بخيلُ

تمرين ٢ -

لماذا ذكر المسند إليه في الأمثلة الآتية :

- (١) وإني لخرُّوْهُ تعزيتى مرارةً وإني لتراك لمسلم أعورِدُ
- (٢) قوله تعالى (فأصبحَ فى المدينة خائفاً يترقبُ فإذا الذى استنصره بالأمس يستنصره) قال له موسى إياكَ لغوى مُبين (ي - ١٨ - س - ٢٨)
- (٣) قوله صلى الله عليه وسلم : أنا النبى لا كنزبُ ، أنا ابن عبد المطلبُ

تمرين ٣ -

بين حال المسند إليه في الذكر والحذف والداعى إليهما فيما يأتى :

- (١) قوَالُ مُحْكَمَةٍ نَقَاضُ مَبْرَمَةٍ فَتَاحُ مُبْهِمَةٍ حَبَاسُ أُرَادِ
- (٢) قوله تعالى (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ، اللهُ الصَّمَدُ) - ي - ١ - ، ٢ - س - ١١٢
- (٣) إِنَّ تَبْدَدَ رَغَايَةَ يَوْمًا لِمَكْرَمَةٍ تَلَقَّ السَّوَابِقَ مِنَّا وَالْمُصْلِينَ
- (٤) قوله تعالى (فصبرٌ جميلٌ والله المستعانُ على ما تصفون) - ي - ١٨ - س - ١٢

أغراض التعريف : وأما تعريفه فلتسكون الفائدة أتم^(١) لأن احتمال تحقق

الحكم متى كان أبعد كانت الفائدة في الإعلام به أقوى، ومتى كان أقرب كانت أضعف، وبُعْده بحسب تخصيص المسند إليه والمُسند^(٢) كلما ازداد اختصاصاً ازداد الحكم بُعْداً، وكلما ازداد عموماً ازداد الحكم قرباً. وإن شئت فاعتبر حال الحكم في قولنا — شيء ماموجود — وفي قولنا — فلانُ بنُ فلان يحفظ الكتاب — والتخصيص كما له بالتعريف

أغراض التعريف بارضمار : ثم التعريف مختلف، فإن كان بالإضمار فما

لأن المقام مقام التكلم^(٣) كقول بشار :

أنا المرُعْتُ لأخني على أحدٍ ذَرْتُ بِي الشمسُ للقاصي وللداني^(٤)
وإما لأن المقام مقام الخطاب، كقول الحماسية :

(١) أى مع اقتضاء المقام له، ولهذا أثر عليه التذكير في قوله تعالى (وجاء رجلٌ من أقصى المدينة يسعى) — ي — ٢٠ — س — ٢٨

(٢) المراد بالتخصيص التعيين، وإنما كان التعيين سبباً في بعد الحكم، لأن كل واحد يعلم حصول ضربٍ مأمثلاً من أى إنسان، ولا يعلم حصول ضربٍ معين من شخص معين، فتسكون الفائدة أتم في الحكم على المعين

(٣) لا يخفى أن مقام التكلم يوجب ضمير المتكلم، ومقام الخطاب يوجب ضمير الخطاب، ومقام الغيبة يوجب ضمير الغيبة، ومثل هذا لا يبحث عنه في البلاغة كما سبق، وإنما هي معان نحوية لا يصح ذكرها في علم البلاغة

(٤) هو لبشار بن برد، والمرعث المقرط، لُقِّبَ به لرُعْثَةٍ كان يعلقها وهم صغير في أذنه، وقوله — ذرت — معناه طلعت، وهو كناية عن شهرته، والشاهد في قوله — أنا — لأن المقام للتكلم وقد علمت ما فيه، والحق أن ضمير التكلم يؤتى به في مقام الفخر ونحوه لما فيه من الإشعار بالاعتداد بالنفس

وَأَنْتَ الَّذِي أَخْلَقْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي وَأَشْمَتَ بِي مَنْ كَانَ فِيكَ يَوْمٌ ^(١)
وإما لأن المقام مقام الغيبة لكون المسند اليه مذكورا أو في حكم المذكور
لقريظة ^(٢) كقوله :

مَنْ الْبَيْضُ الْوَجْوهُ بَنَى سَنَانٍ لَوْ أَنَّكَ تَسْتَفْضِي بِهِمْ أَضَاءُوا
هُمْ حُلُوءًا مِنَ الشَّرَفِ الْمُهْلَى وَمَنْ حَسَبَ الْعَشِيرَةَ حَيْثُ شَاءُوا ^(٣)
وقوله ^(٤) تعالى (اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) أى العدل ، وقوله ^(٥) تعالى
(وَلَا بَوِيهَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ) أى ولا بوى الميـت ^(٦)
وأصل الخطاب أن يكون لمعيـن ، وقد يترك الى غير معين ^(٧) كما تقول
— فُلَانٌ لَتَيْمٍ إِنْ أَكْرَمْتَهُ أَهَانَكَ وَإِنْ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ أَسَاءَ إِلَيْكَ — فلا تريد مخاطباً بعينه
بل تريد إن أكرم أو أحسن إليه ، فتخرجه في صورة الخطاب ليفيد العموم ، أى

(١) هو لأمامة الخشعية تخاطب ابن الدمينه الشاعر ، وكان يتغزل بها في
شعره ، وقد تزوجها بعد ذلك

(٢) بهذا يمتاز مقام ضمير الغيبة عن مقام الاسم الظاهر ، لانه للغيبة أيضا
(٣) هما للقاسم بن حنبل المُرْسَى ، وبياض الوجه كناية عن السيادة والشرف.
والشاهد في ضمائر الغيبة الأربعة في البيتين

(٤) — ي — ٨ — س — ٥

(٥) — ي — ١١ — س — ٤

(٦) المثالان في الآيتين لعود الضمير على ما هو في حكم المذكور ، والقريظة
في الاول لفظية وفي الثاني حالية

(٧) فيدل على العموم البدلى بطريق المجاز أو الحميمة ، وقيل : إن ذلك من
الإخراج على خلاف مقتضى الظاهر ، لان قوله تعالى (ولو ترى) الظاهر فيه ولو
يرى كل أحد ، ومثل هذا هو الذى يعد من وجوه البلاغة في هذا الباب لما فيه من تلك
المزية الظاهرة ، ويمكن أن يعد منها الالتفات الآتى ، واستعمال ضمير الجمع
في الواحد ، ونحو ذلك مما لا يدخل في المعاني النحوية للضمائر .

سوء معاملته غير مختص بواحد دون واحد ، وهو في القرآن كثير ، كقوله ^(١) تعالى (وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ) أخرج في صورة الخطاب لما أريد العموم للقصد إلى تفضيع حاشهم ، وأنها تناهت في اللفظ وخرجت امتنع خفاؤها ، فلا تختص بها رؤية راء ، بل كل من يتأتى منه الرؤية داخل في هذا الخطاب ^(٢)

أغراضه التعريف بالعلمية : وإن كان بالعلمية فيما لإحضاره بعينه في ذهن السامع ابتداء باسم مختص به ^(٣) كقوله ^(٤) تعالى (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) وقول الشاعر :

أبو مالك قاصِرٌ فقرهُ على نفسه ومُشيعٌ رَغناه ^(٥)
وقوله :

اللهُ يعلم ما تركتُ قتالهم حتى علوا فرمى بأشقر زبد ^(٦)

(١) — ي — ١٢ — س — ٣٢

(٢) منه أيضا قول الشاعر :

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها هواناً بها كانت على الناس أهونا
وقول الآخر .

إذا ما كنت ذا قلب فتَنوع فأنت ومالك الدنيا سواء

(٣) هذا أيضا من استعمال العام في معناه الأصلي ، فلا يصح أن يعد من وجوه البلاغة

(٤) — ي — ١ — س — ١١٢ — وإنما تكون الآية من تعريف المسند إليه بالعلمية إذا جعل لفظ الجلالة مبتدأ ثانيا لا خبرا عن الضمير

(٥) هو لمالك بن عويمر المعروف بالمتنخل الهذلي من قصيدة له في رثاء أبيه ، وكان يكنى أبا مالك والكنية علم ، ومعنى قصره فقره على نفسه أنه لا يسأل أحدا ، ومعنى إشاعة غناه أنه يعطي كل الناس

(٦) هو للحارث بن هشام في الاعتذار عن فراره عن أخيه أبي جهل يوم بدر ، والأشقر لون يأخذ من الأحمر والأصفر ، والمزبد الذي له زبد ، يعتذر بأنه لم يفر إلا بعد أن جرح فعلا دمه فرسه

وإما لتعظيمه أولا هانته ، كما في الكُنى والألقاب المحمودة والمذمومة^(١)
وإما للكنية حيث الاسم صالح لها^(٢) ومما ورد صالحاً للكنية من غير
باب المسند إليه قوله^(٣) تعالى (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ) أى جَهَنَّمَى .

وإما لإيهام^(٤) استلذاذه أو التبرك به .

وإما لاعتبار آخر مناسب^(٥)

اغراضه التعريف بالموصولية : وإن كان بالموصولية فيما لعدم علم المخاطب
بالأحوال المختصة به سوى الصلة^(٦) كقولك — الذى كان معناه من رجل عالم —
وإما لامتزاجان النصريح بالاسم ، وإما لزيادة التقرير ، نحو قوله^(٧) تعالى (وَرَأَوُذْتَهُ
السَّيِّئُ هُوَ فِي يَدَيْهَا عَنْ نَفْسِهِ) فإنه مسوق لتنزيه يوسف عليه السلام عن الفحشاء ،

(١) كقولك — أبو المعالى حضر ، وأنف الناقة ذهب — ومثل الكنى
والألقاب الأعلام المنقولة من معان محمودة أو مذمومة

(٢) الفرق بين هذا وما قبله أن ما هناك مجرد إشعار ، وما هنا يقصد فيه المعنى
اللازم وتنسب العلية . وصلاح الاسم للكنية بالنظر إلى أصله قبل العلية ، وقيل :
إنه لا يراد بالكتابة هنا معناها الاصطلاحى الآتى فى علم البيان ، لأنه لا يمكن
بأبى لهب عن جهنمى باعتبار معناه المستعمل فيه وهو الذات المخصوصة ، وهذا لا بد
منه فى الكنية الاصطلاحية .

(٣) — ى — ١ — من — ١١١

(٤) لامعنى لإقحام لفظ — إيهام — لأن الترك والاستلذاذ حاصلان
تحقيقاً ، وذلك كقول الشاعر :

بأنه ياطببات القاع قلن لنا ليلى مذكراً أم ليلى من البشر

(٥) كالتفاؤل والتطير . نحو — سعد فى دارك ، والسفاح فى دار صديقك

(٦) هذا أيضاً معنى لغوى لاسم الموصول ، فلا يصح عده فى وجوه البلاغة .

(٧) — ى — ٣١ — س — ١٢

والمنذ كور أدل عليه من امرأة العزيز وغيره^(١)
 وإما للنفخيم، كقوله^(٢) تعالى (فغشيهم من اليمِّ ما غشيهم) وقول الشاعر:
 مَضَى بها ما مضى من عقل شاربها وفي الزجاجة باقى يطلب الباقي^(٣)
 ومنه في غير هذا الباب قوله^(٤) تعالى (فغشاهما غشي) وبيت الحماسة
 صبا ما صبا حتى علا الشيبُ رأسه فلما علاه قال للباطل: ابعدي^(٥)
 وقول أبي نواس:
 ولقد نهزتُ مع الغواة بدلوهم وأممتُ مَرَحَ اللاحظ حيث أساموا

(١) لأنه إذا كان في بيتها وتمكن منها ولم يفعل كان هذا أقوى في نزاهته ،
 والآية تصلح أيضا مثالا لغرض استهجان التصريح بالاسم لقبح الفعل المنسوب
 إليها ، وبما عدل فيه عن التصريح بالاسم لاستهجان قول الشاعر :
 قالت الزَّربُ عندها جالسة في قَصْرها: هذا الذي أراه من
 قالت : فني يشكو الغرام عاشق قالت : لمن ، قالت : لمن قالت لمن
 والتكرار في ذلك قبيح يخل بفصاحته وبلاغته

(٢) — ي — ٧٨ — س — ٢٠

(٣) هو لعبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع ، وقيل : إنه لأبي نواس ،
 والضمير في قوله — بها — للخمر ، ومعنى البيت أنه مضى بالخمر قدر كبير من
 عقل شاربها ، ولا يزال الباقي من الخمر في الزجاجة يطلب الباقي من عقله حتى
 يذهب به كله .

(٤) — ي — ٥٤ — س — ٦٣ — وإنما يكون ما في الآية من غير هذا الباب
 إذا جعلت — ما — مفعولا به ، فإذا جعلت فاعلا كانت منه .

(٥) هو لسُريد بن الصَّمَّة ، وإنما لم يكن من هذا الباب لأن — ما —
 فيه مفعول به أى تعاطى الصبا الذي تعاطاه ، ويجوز أن تكون مصدرية ظرفية ،
 والصبا الميل إلى الصَّبوة وهي جهلة الصبيان .

وبلغت ما بلغ أمرؤ بشبابه فاذا عَصَارُهُ كُلُّ ذَاكَ أَفَامُ ^(١)
 وإما لتنبية المخاطب على خطأ ، كقول الآخر :
 إن الذين تَرَوْنَهُمْ إِخْوَانَكُمْ يشفي غليل صدورهم أن تُصْرَعُوا ^(٢)
 وإما للإيحاء إلى وجه بناء الخبر ^(٣) نحو (إنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي
 سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) ^(٤) ثم إنه ^(٥) ربما جعل ذريعة إلى التبريز بالتعظيم
 لشأن الخبر ^(٦) كقوله :
 إنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ ^(٧)

(١) هما للحسن بن هانيء المعروف بأبي نواس ، ويقال — نهز بالدلو في
 البئر — إذا ضرب بها في الماء لتمتليء ، ويقال — أسام الماشية — إذا أخرجها
 إلى المرعى ، والكلام على التمثيل في الموضعين ، والإضافة في — سرح اللحظ — من إضافة
 الصفة إلى الموصوف ، والسرح في الأصل ذهاب الماشية إلى المرعى ، والعصارة ما تحلب
 مما تُعَصَرُ والمراد بها هنا الثمرة والتقيحة . والشاهد في قوله — ما بلغ أمرؤ — لأنه مفعول به
 (٢) هو لعبد بن الطبيب في وعظ بذي ، وقيل لغيره ، وقوله — ترونهم — بمعنى
 تظنونهم ، والواو فيه فاعل لأنه مما يبنى على صورة المجهول وهو للفاعل ، ويجوز أن
 يكون من — أرى — المتعدية إلى ثلاثة مفاعيل ، والغليل اللطش الشديد أو الحقد ،
 والشاهد في أن الموصول في البيت يفيد من تخطئهم في ظنهم ما لا يفيد إن فلانا وفلانا
 (٣) أى طريق إسناده إلى الموصول من كونه مدحاً أو ذماً أو نحوهما ، بأن
 يذكر في الصلة ما يناسب ذلك (٤) — ي — ٦٠ — س — ٤٠

(٥) الضمير يعود إلى الإيحاء إلى وجه بناء الخبر
 (٦) ربما جعل ذريعة أيضاً إلى الإهانة لشأنه ، كقولك — إن الذي لا يحسن الفقه
 صنف فيه — أو شأن غيره ، كقولك — إن الذي يتبع الشيطان خاسر
 (٧) هو لهُسَّام بن غالب المعروف بالفرزدق يفتخر ببنته في تميم على جرير ،
 لأنه كان من ذوى الشرف فيهم ، وليس المراد بالبيت الكعبة كما ذكر الدسوقي
 في حاشيته على المختصر ، وقوله — سمك — بمعنى رفع . والشاهد في أن قوله

أولشأن غيره ^(١) نحو (الذين كذبوا شُعيباً كانوا همُ الخاسرين) ^(٢)
قال السكاكي ^(٣) وربما جعل ذريعة إلى تحقيق الخبر، كقوله:
إنَّ التي ضربتُ بيدنا مهاجرةً بكوفه الجند غالتُ ودَّها غُولُ ^(٤)

وربما جعل ذريعة إلى التنبيه للمخاطب على خطأ، كقوله — إن الذين ترونها من
البيت — وفيه نظر، إذ لا يظهر بين الإيما إلى وجه بناء الخبر وتحقيق الخبر
فرق ^(٥) فكيف يجعل الأول ذريعة إلى الثاني، والمسند إليه في البيت الثاني ليس فيه
إيما إلى وجه بناء الخبر عليه، بل لا يبعد أن يكون فيه إيما إلى بناء نقيضه عليه ^(٦)

— الذي سمك السماء — إيما إلى أن الخبر المبني عليه من جنس الرفعة والبناء، وأعر
وأطول أي من بيت جرير أو من كل عزيز وطويل أو من السماء المذكورة قبله
أو بمعنى عزيرة طويلة، فيكون أفعال التفضيل على غير باب، وقد حذف — من —
على الأول للدلالة على قوة الخبر

(١) كشعيب عليه السلام في الآية، لأن فيها إيما إلى الخبر يشعر بتعظيمه،
لإذ جعل خسرانهم بسبب تكذيبه، وفيها إيما أيضا إلى أن الخبر من جنس الخسران

(٢) — ي — ٩٢ — س — ٧

(٣) ٩٧ — المفتاح

(٤) هو لعبد بن الطبيب وكوفة الجند هي مدينة الكوفة، وروى أبو زيد
— بكوفة الخلد — على أنه موضع، وقال الأصمعي: إنها هو — بكوفة الجند — والأول
تصحيح، وقوله — غالت — بمعنى أكلت، والغول حيران خرافي وقد يطلق على الداهية.
والشاهد في أن ضرب البيت بالكوفة والهجرة إليها فيه إيما إلى أن طريق بناء الخبر
أمر من جنس زوال المحبة، وهو مع هذا يحقق زوال المودة ويقره حتى كأنه دليل عليه
(٥) فرق بينهما بأن الإيما إشعار بالخبر سواء أكان معه تحقيق له أم لا،
والأول كما في بيت عبدة، والثاني كما في بيت الفرزدق، فالإيما إلى الخبر أعم من
تحقيقه وإفادة الجزم به.

(٦) نقيضه نفي الأخوة عنهم، وهذا لا يخرجهم فيما أرى عن كونه فيه إيما إلى
وجه بنا الخبر، لأنهم أطلقوا فيه ولم يقيده بشيء، ومن هذا الإيما قول أبي العلاء:

أغراض التعريف بالوسارة : وإن كان بالإشارة فإما لتمييزه أو كل تمييز

لصحة إحضاره في ذهن السامع بوساطة الإشارة حساً ^(١) كقوله :

هذا أبو الصقر فردا في محاسنه ^(٢)

وقوله :

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا أشدوا ^(٣)

وقوله

وإذا تأمل شخص ضيف مقبل متسر بل سر بال ليل أغبر

إن الذي الوحشة في داره تؤنسه الرحمة في لحدّه

وربما يقصد بالإناء تشويق السامع إلى الخبر ليتمكن في نفسه ، كما قيل الشاعر :

والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد

ومن أغراض التعريف بالموصولية إخفاء الأمر عن غير المخاطب ، كقول الشاعر :

وأخذت ماجاد الأمير به وقضيت حاجاتي كما أهوى

(١) هذا أيضا معنى أصلي لاسم الإشارة ، فلا يصح أن بعده من وجوه البلاغة

ولأنها يعدمها أن يعنى بتمييزه أو كل تمييز لأن المقام مقام مدح أو نحوه ، لأن تمييزه

أو كل تمييز يكون أعون على كمال المدح ، وأبعده من التقصير في الاعتناء بأمر المدوح

(٢) هو من قول علي بن العباس المعوف بابن الرومي في مدح أبي الصقر الشيباني

وزير المعتمد :

هذا أبو الصقر فردا في محاسنه من نسل شيبان بين الضال والسلم

والضال شجر السدر البري ، والسلم شجر ذو شوك ، وقوله - بين الضال

والسلم - كناية عن عزهم ، لأن هذه الأشجار بالبادية ، وهي مجد العرب وعزم

(٣) هو لجرول بن أوس المعروف بالحطيئة ، وقوله - بنوا - يعنونه ما ينونه

من المسكرم ، والبناء بضم الباء يقال - بنا بني بناء وبنية بكسر الباء في العمران ،

وبنا بينونية بضم الباء في الشرف - وقوله - عقدوا - معناه أبرموا أمرا من أمورهم

أو ما إلى الكو ماء هذا طارق نحر تني الأعداء إن لم تُنحرى^(١)
وقوله :

ولا يقيم على ضم يراد به إلا الأذلان غير الحى والوتد
هذا على الخسف مربوط برُمته وذا يشج فلا يرئى له أحد^(٢)
وإما للقصد إلى أن السامع غي لا يميز الشئ عنده إلا بالحس، كقول الفرزدق:
أولئك آبائي فجننى بمنهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع^(٣)
وإما لبيان حاله فى القرب أو البعد أو التوسط^(٤) كقولك - هذا زيد
وذلك عمرو وذلك بشر - وربما جعل القرب ذريعة إلى التحقير^(٥) كقوله^(٦)
تعالى (واذا رآك الذين كفروا إن يتخذوك لأهزواً أهذا الذى يذكركم آلهمكم)
وقوله تعالى^(٧) (وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب) وعليه من غير هذا الباب قوله^(٨)

(١) قبلى : إن البيت لرجل يمدح حاتماً . وقيل : إنهما الحسان بن ثابت، وقيل
إنهما لابن المولى وهو محمد بن عبد الله بن مسلم ، وفى مجموعة المعاني أنهما للعلوى
صاحب الزنج ، وقومه - أو ما - تخفيف أو ما بمعنى أشار ، والكو ماء الناقة الضخمة .
(٢) هما للتلبس وهو جرير بن عبد المسيح الضبعى ، والضمير فى - به - يعود
إلى المستثنى منه المقدر وهو أحد مثلاً ، والعر الحمار . والرمة القطعة من الحبل
البالى ، وقوله - هذا - يعود إلى العير . وقوله - ذا - يعود إلى الوند
(٣) التعريض بالغباوة ناشئ من استعمال اسم الإشارة فى آياته وهم غائبون
لموتهم ، والأمر فى قوله - فجننى - للتعجيز

(٤) هذا أيضاً من المعاني الأصلية لاسم الإشارة
(٥) قد يجعل أيضاً ذريعة إلى التعظيم ، كقوله تعالى (إن هذا القرآن بهدى للسنى هى
أقوم) - ي - ٩ - س - ١٧ - فينزل قربه من ساحة الحضور وخطاب منزلة قرب المسافة

(٦) - ي - ٣٦ - س - ٢١

(٧) - ي - ٦٤ - س - ٢٩

(٨) - ي - ٢٦ - س - ٢

تعالى (ماذا أراد الله بهذا مثلاً) وقول عائشة رضي الله عنها العبد الله بن عمرو بن العاص:

يا عجباً لابن عمرو هذا ^(١) وقول الشاعر:

تقولُ وودقتُ نحرها بيمينها : أبعلَى هذا بالرحا المتقاعس ^(٢)

وربما جعل البعد ذريعة إلى التعظيم، كقوله ^(٣) تعالى (ألم ذلك الكتاب) ذهاباً إلى بعد درجته، ونحوه (وتلك الجنة التي أوردتموها) ^(٤) ولذا قالت (فذلكن الذي لمثني فيه ^(٥)) لم تقل فهذا هو حاضر ^(٦) رفعا لمنزله في الحسن، وتمهيداً للعذر في الافتتان به، وقد يجعل ذريعة إلى التحقير، كما يقال — ذلك اللعين فعل كذا

وإما للتنبيه — إذا ذكر قبل المسند إليه مذكور ^(٧) وعقب بأوصاف — على أن ما يرد بعد اسم الإشارة فالمذكور جدير باكتسابه من أجل تلك الأوصاف، كقول حاتم الطائي:

ولله صعلوكٌ يساورُ همه ويمضي على الأحداث والدهر مقدما ^(٨)

ففي طلبات لا يرى الخنص نرجة ولا شعبة إن نالها عدٌ مغنيا ^(٩)

(١) تريد بهذا تخطئته في فتواه بنقض النساء ذوائهن في الاغتسال

(٢) هو الهذلول بن كعب العنبري، وقيل لغيره، وكانت امرأته تراها تعطن بالرحا لأضيافه فأنكرت عليه، وبعده:

فقلت لها: لا تعجبي وتبينني بلائي إذا التفقت على الفوارس

والمقاعس الذي يدخل ظهره ويخرج صدره ضد الاحدب، والشاهد في أن اسم الإشارة فيه مسند لا مسند إليه

(٣) — ي — ٢٠١ — س — ٢ — (٤) — ي — ٧٢ — س — ٤٣

(٥) — ي — ٣٢ — س — ١٢ — (٦) أي يوسف عليه السلام

(٧) المسند إليه هو اسم الإشارة، والمذكور هو المشار إليه قبلها

(٨) الصعلوك الفقير، وقوله يساور — بمعنى يواش

(٩) الخنص الجوع، وشعبة مفعول أول أعد، ومغنيا مفعول ثان

إذا مارأي يوماً مكارم أعرضت^(١) تيمم - كبراهن ثمت صمما^(٢)
 يرى رحمه ونبله وبجته وذاشطب غضب الضريبة نخدما^(٣)
 وأحناء سرج قاتر ولجامة عتاد أخى هيجاً وطر فامسوماً^(٤)
 فذلك إن يهلك فحسنى ثناؤه وإن عاش لم يقعد ضعيفاً مذمماً^(٥)
 فقد له كما ترى خصالاً فاضلة من المضاء على الأحداث مقدماً ، والصبر
 على ألم الجوع ، والأنفة من عد الشبعة مغماً ، وتيمم كبرى المسكرات ، والتأهب
 للحرب بأدواتها ، ثم عقيب ذلك بقوله - فذلك - فأفاد أنه جدير باتصافه
 بما ذكر بعده ، وكذا قوله^(٦) تعالى (أولئك على هدى من ربهم) وأولئك هم الفالحون)
 أفاد اسم الإشارة زيادة الدلالة على المقصود من اختصاص المذكورين قبله باستحقاق
 الهدى من ربهم والفلاح .
 وإما لاعتبار آخر مناسب^(٧)

-
- (١) أعرضت بمعنى ظهرت ، وتيمم بمعنى قصد
 (٢) الجن الترس ، وشطب السيف الخطوط في متنه ، وضربته حده ،
 والعصب القاطع ، والنخند القاطع بسرعة .
 (٣) أحناء السرج جمع حنوه وهو اسم لكل من قرب بوسيه المقدم والمؤخر ، والقائر
 الجيد الوقوع على الظهر ، وعتاد عدة وهو مفعول - يرى - الثاني ، وهيجاء مقصور
 هيجاء وهى الحرب ، والطرف الجواد الكريم الاصل ، والمسوم الذى يرسل
 ليرعى او للإغارة ، أى ويرى طرفاً مسوماً كذلك .
 (٤) الحسنى مصدر كالبشرى أو اسم للإحسان خبر مقدم ، وثناؤه مبتدأ مؤخر
 (٥) - ي - ٥ - س - ٢
 (٦) كنزىل الغائب منزلة الحاضر والمعقول منزلة المحسوس فى نحو قوله تعالى
 (تلك عقيب الذين انتقموا وعقبى الكافرين النار) - ي - ٣٥ - س - ١٣ -
 وقوله (وذلكم ظنكم الذى ظنتم برؤسكم) - ي - ٢٣ - ٤١ - وقوله
 (ذلكمما علمنى ربى) - ي - ٣٧ - س - ١٢

أُعْرَاضُ التَّعْرِيفِ بِاللَّامِ : وَإِنْ كَانَ بِاللَّامِ فَمَا لِلإِشَارَةِ إِلَى مَعْنَى ^(١) بَيْنِكَ .

وَبَيْنَ مَخَاطِبِكَ ، كَمَا إِذَا قَالَ لَكَ قَائِلٌ — جَاءَنِي رَجُلٌ مِنْ قَبِيلَةِ كَذَا — فَتَقُولُ — مَا فَعَلَ الرَّجُلُ ؟ وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ ^(٢) تَعَالَى (وَلَيْسَ الَّذِي كَرُّ كَالْأَنْثَى) أَيْ وَلَيْسَ الَّذِي كَرُّ الَّذِي طَلَبَتْ ^(٣) كَالْأَنْثَى الَّتِي وَهَبَتْ لَهَا .

وَأَمَّا لِإِرَادَةِ نَفْسِ الْحَقِيقَةِ ^(٤) كَقَوْلِكَ — الرَّجُلُ خَيْرٌ مِنَ الْمَرْأَةِ ، وَالْدِينَارُ خَيْرٌ مِنَ الدَّرْهَمِ — وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي الْعَلَاءِ الْمَعْرِيِّ :

وَالْخَلُّ كَالْمَاءِ يَبْدَى لِي ضَمَائِرُهُ مَعَ الصَّفَاءِ وَيُخْفِيهَا مَعَ السَّكْرِ ^(٥)
وَعَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُ ^(٦) تَعَالَى (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ) أَيْ

(١) أَيْ فِي الْخَارِجِ مَذْكُورًا أَوْ غَيْرَ مَذْكُورٍ ، وَلِهَذَا تَسَمَّى اللَّامُ فِيهِ لَامُ الْعَهْدِ الْخَارِجِي ، وَهَذَا الْمَعْنَى لِلَّامِ التَّعْرِيفُ وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الْمَعَانِي الْأَصْلِيَّةِ لَهَا ، فَلَا يَصِحُّ ذِكْرُهَا عَلَى نَحْوِ مَا ذَكَرَهُ الْخَطِيبُ وَغَيْرُهُ

(٢) — ي — ٣٦ — س — ٣

(٣) فِي قَوْلِهَا قَبْلَهُ (رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي) لِأَنَّ نَذْرَ الْأَوَّلَادِ لِدِفْعَةِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ كَانَ مَقْصُورًا عِنْدَهُمْ عَلَى الذَّكَورِ ، وَاللَّامُ فِي (الْذَكَرِ) عَائِدَةٌ إِلَى مَذْكُورٍ بِالسَّكْنَاءِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ ، وَاللَّامُ فِي (الْإِنثَى) عَائِدَةٌ إِلَى مَذْكُورٍ صَرِيحًا فِي قَوْلِهَا قَبْلَهُ (رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى) وَقَدْ تَعَوَّدَ اللَّامُ إِلَى مَعْنَى غَيْرِ مَذْكُورٍ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى (إِذْ يَبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ) — ١٨ — س — ٤٨ — وَتَسَمَّى اللَّامُ فِيهِ لَامُ الْعَهْدِ الْعَلِيِّ ، فَأَقْسَامُ لَامِ الْعَهْدِ الْخَارِجِي ثَلَاثَةٌ : صَرِيحِي وَكُنَائِي وَعَلِي .

(٤) هَذِهِ لَامُ الْجِنْسِ

(٥) هُوَ لِأَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَعْرُوفِ بِأَبِي الْعَلَاءِ الْمَعْرِيِّ ، وَالْخَلُّ الصَّدِيقُ ، وَضَمَائِرُهُ مَا يَضْمُرُهُ مِنَ الْمَوَدَّةِ وَغَيْرِهَا ، وَلَيْسَ الْحَكْمُ هُنَا عَلَى خَلِّ مَعْمُودٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ عَلَى جِنْسِ الْخَلِّ .

(٦) — ي — ٢٠ — س — ٢١

جعلنا مبدأ كل شيء حتى هذا الجنس الذي هو الماء، رُوي أنه تعالى خالق الملائكة من ريح خلقها من الماء، والجن من نار خلقها منه، وآدم من تراب خلقه منه، ونحوه (أولئك الدين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة) ^(١)

والمعروف باللام ^(٢) قد يأتي لواحد ^(٣) باعتبار عهديته في الذهن ^(٤) لمطابقته الحقيقة ^(٥) كقولك — ادخل السوق — وليس بينك وبين مخاطبك سوق مهود في الخارج، وعليه قول الشاعر:

ولقد أمر على اللثيم يسبنى ^(٦)

وهذا يقرب في المعنى من النكرة ^(٧) ولذلك يقدر — يسبنى — وصفاً للثيم

(١) - ي - ٨٩ - س - ٦

(٢) يعني لام الحقيقة لأنها هي التي يأتي فيها لام العهد الذهني ولام الاستغراق، وقيل: إن لام العهد الذهني ولام الاستغراق مقابلان للام العهد الخارجي ولام الحقيقة، وعلى هذا تكون لام الحقيقة هي التي يراد منها الحقيقة بقطع النظر عن الأفراد، ويقصر عليها اسم لام الجنس.

(٣) أي مبهم بخلاف لام العهد الخارجي فإنها لمعين.

(٤) تسمى اللام فيه لام العهد الذهني.

(٥) يريد بمطابقته الحقيقة اشتغالها عليه.

(٦) هو من قول عُميرة بن جابر الحنفي:

ولقد أمر على اللثيم يسبنى فضيت نُصمت قلت لا يعنيني

وتمت حرف عطف لحقها تاء التأنيث، وقوله — أمر — مضارع بمعنى الماضي لاستحضار تلك للصورة العجيبة عنده، ورواية الكامل - فأجوز ثم أقول لا يعنيني - والشاهد في لام اللثيم، لأن المراد منه واحد غير معين

(٧) قال - يقرب - لأن النكرة تدل على واحد غير معين من جملة الحقيقة،

لا حالا^(١)

وقد يفيد الاستغراق ، وذلك اذا امتنع حمله على غير الأفراد وعلى بعضها دون بعض^(٢) كقوله^(٣) تعالى (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُ خَاسِرٌ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا)
والاستغراق ضربان :

حقيقى^(٤) كقوله^(٥) تعالى عالمُ الْقَيْبِ وَالشَّهَادَةِ (أى كل غيب وشهادة .
وعرفى^(٦) كقولنا — جمع الأمير الصاغية — إذا جمع صاغية

والمعرف بلام العهد ذهنى يدل على نفس الحقيقة فى ذاته ولا يدل على الواحد المبهم إلا وساطة القرينة ، كالدخول فى قولك — ادخل السوق — فهما بالنظر إلى القرينة سواء ، وبقطع النظر عنها مختلفان
(١) لأن المعرفة بلام العهد ذهنى فى معنى النكرة ، والجل بعد النكرات صفات لأحوال ، وإمكن يرد على هذا أنهم جعلوه كالنكرة فى المعنى فقط ، وأجروا عليه فى اللفظ. أحكام المعارف ، على أن تقدير — يسبنى — حالاً هو المناسب لقوله — فضيت — لأنه ظاهر فى أن السب كان منه فى حال المرور فقط ، ولم يكن صفة لازمة له .

(٢) بأن تقوم قرينة على أنه ليس المقصد الحقيقة من حيث هى ، ولا بعض الأفراد دون بعض ، كالاستثناء فى الآية ، فتكون اللام لاستغراق جميع الأفراد . ولهذا تسمى لام الاستغراق

(٣) — ي — ٢٠١ — س — ١٠٣

(٤) هو الذى يتناول كل فرد بحسب وضع اللفظ

(٥) — ي — ٧٣ — س — ٦

(٦) هو الذى يتناول كل فرد بحسب العرف العام ، أما العرف الخاص كعرف الشرع فيدخل الاستغراق بحسبه فى الاستغراق الحقيقى

بلده أو أطراف مملكته فحسب لا صاغة الدنيا^(١)
 واستغراق المفرد أشمل من استغراق الجمع^(٢) بدليل أنه لا يصدق - لا رجل
 في الدار - في نفي الجنس^(٣) إذا كان فيها رجل أو رجلان ، ويصدق - لا رجال
 في الدار - ولاتنافي بين الاستغراق وإفراد اسم الجنس^(٤) لأن الحرف إنما يدخل
 عليه مجرداً عن الدلالة على الوحدة والتعدد^(٥) ولأنه بمعنى كل الأفراد^(٦)
 لا كل المجموع ، أي معنى قولنا - الرجل - كل فرد من أفراد الرجال لا مجموع
 الرجال ، ولهذا امتنع وصفه بنعت الجمع^(٧) ولمحافظة على التقابل بين الصفة
 والموصوف أيضاً .

والحاصل أن المراد باسم الجنس المعروف باللام إما نفس الحقيقة لا ما يصدق عليه

(١) أل في - الصاغة - معرفة لاموصولة ، لأنها إنما تكون موصولة في اسم
 الفاعل إذ دل على الحدوث .

(٢) هذا صحيح في استغراق النسكرة المنفية ، أما استغراق المعروف باللام
 فالمفرد والجمع فيه سواء ، ولهذا كان قوله تعالى (البيُّ أوَّلِيَّ المؤمنين من أنفسهم)
 - ٦ - م - ٣٣ - شاملاً لكل مؤمن ، وليس خاصاً بجماعات المؤمنين .

(٣) بخلاف نفي الوحدة ، نحو - لا رجل في الدار - فإنه يصدق إذا كان
 فيها رجلان أو أكثر ، ويكون لاستغراق الواحد كما يكون الجمع لاستغراق المجموع
 دون الأفراد .

(٤) هذا جواب عن اعتراض بعضهم بأن أفراد الاسم يتنافى أن تكون الأداة
 الداخلة عليه للاستغراق ، لأن إفراده يدل على الوحدة والاستغراق يدل على التعدد
 (٥) لأنه قصد به الجنس الصالح لها .

(٦) هو الذي يدل على كل فرد على طريق البذل ، وعلى هذا لا تنافي الدلالة
 على الوحدة والدلالة على التعدد .

(٧) هذا عند الجمهور ، وقد أجازوه الاخفش لما سمع من كلامهم - أهلك
 الناس الدينار الحر والدرهم البيض .

من الأفراد، وهو تعريف الجنس والحقيقة، ونحوه علم الجنس كأسماء، وإما فرد معين، وهو العهد الخارجى، ونحوه العلم الخاص كزيد، وإما فرد غير معين، وهو العهد الذهنى، ونحوه النسبة كرجل، وإما كل الأفراد وهو الاستغراق، ونحوه لفظ - كل - مضافاً إلى النسبة، كقولنا - كل رجل

وقد شكك السكاكى^(١) على تعريف الحقيقة والاستغراق بما خرج الجواب عنه مما ذكرنا^(٢) ثم اختار^(٣) بناءً على ما حكاه عن بعض أئمة أصول الفقه من كون اللام موضوعاً لتعريف العهد لا غير^(٤) أن المراد بتعريف الحقيقة تنزيلها منزلة المهور بوجه من الوجوه الخطابية، إما ليكون الشيء حاضراً في ذهن السامع محتاجاً إليه على طريق التحقيق أو التمسك^(٥) أولاً لأنه عظيم الخطر معقوده المهم^(٦)

(١) ١١٥ - المفتاح .

(٢) أما تشكيكه في تعريف الحقيقة من حيث هي فبدعى أنه لا فرق بين المراد منها والمراد من أسماء الاجناس النسب كرجل وقيام إن قصد منها الدلالة على الحقيقة من حيث هي، فإن قصد منها الحقيقة باعتبار حضورها في الذهن لم يفتقر عن لام العهد الخارجى، وأما تشكيكه في الاستغراق فبدعى التناقض بينه وبين إفراد الاسم، وقد أجاب الخطيب عن الأول بما أشار إليه من أن لام الحقيقة تدل على الحقيقة بقيد استحضارها في الذهن ولازم العهد الخارجى بقيدها نرد معين، وبهذا تمتاز لام الحقيقة عن أسماء الاجناس النسب كرجل وعن لام العهد الخارجى، وعن الثانى بدفع التناقض بين الاستغراق وإفراد اسم الجنس .

(٣) أى فى الجواب عن تشكيكه فى تعريف الحقيقة .

(٤) أى لا للحقيقة، فلا تأتى لتعريفها إلا بعد تنزيلها منزلة المهور بوجه من الوجوه الآتية .

(٥) كقولهم — الدينار خير من الدرهم — ويمكن أن يكون من هذا فى انهم قولهم — إن البغاث بأرضنا يستنسر .

(٦) كقوله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب والحسبم النبوة) - ٨٩ - ص ٦ -

على أحد الطريقين ^(١) وإما لأنه لا يغيب عن الحس ^(٢) على أحد الطريقين لو كان معهوداً ^(٣) وقال ^(٤) الحقيقة من حيث هي لا واحدة ولا متعددة ، لنحققها مع الوحدة تارة ومع التعدد أخرى ، وإن كانت لا تنفك في الوجود عن أحدهما ، فهي صالحة للتوحد والتكثر ، فكون الحكم استغراقاً أو غير استغراق إلى مقتضى المقام ^(٥) فإذا كان خطايا ^(٦) مثل - المؤمن غرّ كريم ، والفاجر خبّ لئيم - حيلّ المعرفة باللام مفرداً كان أوجهاً على الاستغراق بعلّة إيهام أن القصد إلى فرد دون آخر مع تحقق الحقيقة فيهما ترجيح لأحد المتساويين ، وإذا كان استدلالاً حيلّ على أقل ما يَحْتَمِلُ ، وهو الواحد في المفرد والثلاثة في الجمع ^(٧)

أغراضه التعريف بالإضافة : وإن كان بالإضافة فإمّا لأنه ليس للمتكلم إلى إحضاره في ذهن السامع طريق أخصر منها ، كقوله :

هوى مع الركب البانين مُصْعِدٌ جَنِيبٌ وَجْثَانِي بِمَكَّةَ مَوْثِقٌ ^(٨)

(١) أي طريق التحقيق وطريق التهكم .

(٢) كقولك - الأرض مبسوطة - في الأول ، وقولك - الطغفيل حضر - في الثاني .

(٣) هذه الجملة الشرطية لا توجد في كلام السكاكي .

(٤) أي في الجواب عن تشكيكه في الاستغراق ، وهذا هو الذي أجاب به الخطيب فيما سبق .

(٥) يعني أن دلالة لالة اللام على هذا ليست بمقتضى الوضع ، وإنما هي بمقتضى المقام .

(٦) المقام الخطابي هو الذي يكتفي فيه بالظن ، والمقام الاستدلالي هو الذي يطلب فيه اليقين .

(٧) مثل - حصل الدرهم أو الدراهم - هذا وكل ما ذكره السكاكي والخطيب في التعريف باللام ليس من البلاغة في شيء ، لأنه لا يخرج عما تفيد به بمقتضى دلالاتها الوضعية ، وقد حاول السكاكي أن يجعل لذلك وجهاً من البلاغة ، ولكنه تكلف فيه على عادته .

(٨) هو الجعفر بن عُلْبَسَه الحارثي ، وكان مسجوناً بمكة في جنابة فزارته

وإما لإغنائها عن تفصيل متعذر أو مرجوح لجهة ^(١) كقوله :

بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ الْقَسَاءِ كَانَتْهُمْ أَسْوَدُ لَهَا فِي غَيْلِ خَمَانٍ أَشْبَلُ ^(٢)

وقوله :

قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أَمِيمَ أَخِي فَإِذَا رَمِيَتْ يَصِيبُنِي سَهْمِي ^(٣)

وأما لنضمامها تعظيماً لشأن المضاف إليه ، كقولك — عبيد حضر — فتمظيم شأنك ، أو لشأن المضاف ، كقولك — عبد الخليفة ركب — فتمظيم شأن العبد ، أو شأن غيرهما ، كقولك — عبد السلطان عند فلان — فتمظيم شأن فلان ، أو تحقيراً ، نحو — ولد الحجام حضر ^(٤)

محبته مع ركب من قومها ، فلما رحلت قال فيها ذلك ، وأثر قوله — هوأى — على نحو — الذى أهوى أو المهورى لى — لأن الإضافة أخصر وأنسب بما هو فيه من ضيق الصدر بالحبس ، وكذلك ضيق الشعر ، وقد أطلق الهوى على المهورى مجازاً مرسلًا ، واليانين جمع يمان وألفه عوض عن ياء النسب ، والمصعد اسم فاعل من — أصعد — بمعنى أبعد فى السير ، والجنيب المستتبع من — جنب البعير — إذا قاده إلى جنبه .
(١) يعنى أنه غير متعذر ولكنه مرجوح لجهة كما سيأتى فى الشاهد .

(٢) هو لمروان بن أبى حفصة فى مدح معن بن زائدة ، وبنو مطر قومه بطن من شيبان ، والغيل الشجر المجتمع ، وخفان مأسدة قرب الكوفة . والاشبل أولاد الأسود ، والشاهد فى قوله — بنو مطر — لإغناء الإضافة فيه عن تفصيل متعذر

(٣) هو للحارث بن وعللة الجرمى ، وأميمة منادى مُرَحَّمٌ ، وكانت تحضه على الأخذ بشار أخيه ممن قتله من قومه ، والشاهد فى قوله — قومي — لإغناء الإضافة فيه عن تفصيل تركه أرجح لجهة هى خوف تنفيرهم منه وحقدهم عليه إذ اصرح بأسمائهم (٤) هذا مثال لإفادتها تحقير المضاف ، ومن إفادتها تحقير المضاف إليه قولك — ضارب بكر حضر — ومن إفادتها تحقير غيرهما قولك — ولد الحجام جليس زيد — ومن إفادتها التعظيم والتحقير قول الشاعر :

أَبُوكُ حَبَابٌ سَارِقُ الضَّيْفِ بُرْدُهُ وَجَدَى يَاحْجَاجُ فَارَسُ شَمْرَا

وإما لا اعتبار آخر مناسب^(١)

اغراضه التنكير: وأما تنكيره فللافراد^(٢) كقوله^(٣) تعالى (وجاء رجل من

(١) كالاستعفاف في قوله تعالى (لا تضارّ والدة بولدها ولا مولود له بولده) - ي - ٢٣٣ - س - ٢ - وكتضمنها لفظا مجازيا في نحو قول الشاعر:
إذا كوكبُ الخرقاء لاح بسجرةٍ سهيلٌ أذاعت غزلها في الأقاربِ
فأضاف التنكير إلى الخرقاء لأدنى ملابسة، وهي أنها لا تذكر كسوة الشتاء إلا وقت طلوعه سحرا، وهو لا يطلع سحرا إلا في الشتاء. وسهيل بدل من كوكب.

هذا ولا تختص هذه المزايا بالتعريف بالإضافة، بل تأتي في الإضافة إلى النكرة، فتفيد التعظيم في نحو قول امرأة من بني عامر:

وحرب يضجُّ القوم من نغيانها ضجيجَ الجمالِ الحِلّةِ الدّيراتِ
سينرّ كما قوم ويصلى بحرّها بنو نسوةٍ للشكلِ مصطبراتِ
وتفيد التقليل والتحقير في قول الشاعر:

إذا جاع لم يفرحْ بأكلةٍ ساعةٍ ولم يبتس من فقدّها وهو ساغبُ

(٢) أي الدلالة على فرد منتشر، وهذا عام في كل نكرة، فإذا كانت مفردا دلت على واحد، وإذا كانت مثنى دلت على اثنين، وإذا كانت جمعا دلت على ثلاثة، وإذا كانت نوعاً دلت على النوعية أي فرد من سائر الأنواع، ولا يخفى أن هذا معنى أصلي للنكرة لا يصح ذكره هنا، وإنما يعد من البلاغة إذا دل بمعونة المقام على نوعية غريبة أو نحو ذلك مما يأتي، وقد يقتضى المقام المعنى الأصلي للنكرة إذا كان لا يتعلق بتعيينها غرض، وذلك نحو - رجل - في الآية، ومثل هذا قد يعد وجهاً من وجوه البلاغة.

أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى) أى فرد من أشخاص الرجال ، أو للنوعية ، كقوله ^(١) تعالى (وعلى أبصارهم غشاوة) أى نوع من الأغطية غير ما يتعارفه الناس ^(٢) وهو غطاء التعامى عن آيات الله ، ومن تنكير غير المسند إليه للإفراد قوله ^(٣) تعالى (ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ) وللنوعية قوله تعالى ^(٤) (وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ) أى نوع من الحياة مخصوص وهو الحياة الزائدة ، كأنه قيل — ولتجدنهم أحرص الناس وإن عاشوا ما عاشوا على أن يزدادوا إلى حياتهم فى الماضى والحاضر حياة فى المستقبل ، فإن الإنسان لا يوصف بالحرص على شىء إلا إذا لم يكن ذلك التنىء موجوداً له حل وصفه بالحرص عليه ، وقوله ^(٥) تعالى (والله خلق كل دابة من ماء) يحتمل الأفراد والنوعية أى خلق كل فرد من أفراد الدواب من نقطة معينة ، أو كل نوع من أنواع الدواب من نوع من أنواع المياه

أو للتعظيم والتهويل أو للتحقير أى ارتفاع شأنه أو انحطاطه إلى حد لا يمكن معه أن يعرف ، كقول ابن أبى السمط :

له حاجبٌ فى كل أمر يشينه وليس له عن طالب العرف حاجب ^(٦)

(١) — ي — ٧ — ٢

(٢) لهذا تكررت فى الآية ، ولو عرفت لانصرفت إلى ما يتعارفه الناس منها مع أنه ليس مراداً ، فليسا أريد غيره تكررت ليعتبروا عنها فيعرفوها ، وإنما كان التنكير هنا للنوعية لأنه هو الذى يقال أبصارهم المتعددة بخلاف تنكير الأفراد . وقيل : إن التنكير فى الآية للتعظيم .

(٣) — ي — ٢٩ — س — ٣٩

(٤) — ي — ٩٦ — س — ٢ (٥) — ي — ٤٥ — س — ٢٤

(٦) قيل : إنه لآبى السمط مروان بن أبى حفصة (زهر الآداب ج ٢ ص ٢١٨)

وقيل : إنه لمولى ابن أبى السمط وهو أبو الطمحان القين (ديوان المعاني — ج ١ ص ٢٣) وقبله :

فتى لا يبالى المدلجون بنوره إلى بابهِ ألا تضىء الكواكب

أى له حاجب أى حاجب ، وليس له حاجب ما
 أولئك كثير^(١) كقولهم - إن له لإبلا ، وإن له لغنماً - يريدون الكثرة ،
 وحمل الزمخشري التذكير في قوله^(٢) تعالى (قلوا آمين لنا لأجرآ) عليه ، أولئك قبل^(٣)
 كقوله^(٤) تعالى (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار
 خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر) أى وشى بما
 من رضوانه أكبر من ذلك كله ، لأن رضاه سبب كل سعادة وفلاح ، ولأن
 العبد إذا علم أن مولاه راض عنه فهو أكبر في نفسه مما وراه من النعم ، وإنما
 تنها له برضاه ، كما أنه إذا علم بسخطه تنغصت عليه ، ولم يجد لها لذة وإن عظمت ،
 وقد جاء للتعظيم والتكثير جميعاً ، كقوله^(٥) تعالى (وإن يسكبوك فقد كذبت
 رسل من قبلك) أى رسل ذوو عدد كثير وآيات عظام^(٦) وأعمار طويلة ونحو ذلك

ومعنى البيت أن مدوحه له حاجب عظيم من نفسه يمنعه عن فعل ما يشينه ، وليس
 له حاجب ما عن طالب الدى ، فالحاجب الأول نفسى والتكثير فيه للتعظيم ،
 والحاجب الثانى حسي والتكثير فيه للتحقير على سبيل المبالغة في النفي ، وفي قوله
 - وليس له عن طالب العرف حاجب - قلب ، والاصل - وليس لطالب
 العرف حاجب عنه

(١) فيفيد أنه كثير إلى حد لا يعرف ، وإنما أفاد التكثير التكثير مع أن الاصل
 فيه الدلالة على الوحدة لأنه لا تنافى بين الدلائل كما سبق ، والفرق بين التكثير
 والتعظيم أن الأول ينظر فيه إلى الكميات والمقادير ، والثانى ينظر فيه إلى علو الشأن ،
 وبهذا يعرف الفرق بين التقليل والحقير .

(٢) - ى - ١١٢ - س - ٧ (٣) فيفيد أنه قليل إلى حد لا يعرف .

(٤) - ى - ٧٢ - س - ٩ (٥) - ى - ٤ - س - ٣٥

(٦) قد يقال إن الذى فى الآية تنكير رسل ، فيدل على عظمهم لأعلى عظم
 الآيات ، وأجيب بأنه يشير بهذا إلى أنه هو المراد بعظم الرسل ، أو إلى أنه داخل
 فى عظمهم .

والسكاكى^(١) لم يفرق بين التعظيم والتكثير ولا بين التحقير والتقابل ، ثم جعل التنكير في قولهم — شرُّ أهرَّ ذناب — للتعظيم ، وفي قوله^(٢) تعالى (واين مسَّهم نفعه من عذاب ربك) لخلافه ، وفي كليهما نظر ، أما الأول فله كاسياتى^(٣) وأما الثانى فلأن خلاف التعظيم مستفاد من البناء المرة ، ومن نفس الحكمة^(٤) لأنها إما من قولهم — نفحت الريح — إذا هبت أى هبة ، أو من قولهم — نفح الطيب — إذا فاح أى فوحة ، كما يقال شمة ، واستعماله بهذا المعنى فى الشر استعارة ، إذ أصله أن يستعمل فى الخير ، يقال — له نفعه طيبة — أى هبة من الخير . وذهب أيضا إلى أن قوله^(٥) تعالى (يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمان) بالتنكير دون عذاب الرحمان بالإضافة إما للتحويل أو لخلافه^(٦) والظاهر أنه لخلافه واليه ميل الزمخشري ، فإنه ذكر أن إبراهيم عليه السلام لم يخل هذا الكلام من حسن الأدب مع أبيه ، حيث لم يصرح فيه أن العذاب لاحق لأصق به . ولكنه قال (إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمان) فذكر الخوف والمس ونسب العذاب

وأما التنكير فى قوله^(٧) تعالى (ولستم فى القصارى حياة) فيجوز النوعية

(١) المفتاح — ١٠٣

(٢) — ى — ٤٦ س — ٢١

(٣) من أن تقديم المسند اليه فى ذلك للتخصيص لا للتعظيم ، لأن المعنى ما أهر ذناب إلا شر .

(٤) لا يخفى أن هذا لا يمنع أن يكون للتنكير دلالة عليه أيضا ، لأن المعنى الواحد قد يجتمع فيه دالتان وثلاث لغرض من الأغراض

(٥) — ى — ٤٥ س — ١٩

(٦) خلاف التحويل هو التحويل

(٧) ى — ١٧٩ س — ٢

والتمظيم ، أى وإلـكم فى هذا الجنس من الحكم الذى هو القصاص حياة عظيمة ، لمنعه عما كانوا عليه من قتل جماعة بواحد متى اقتدروا ، أو نوع من الحياة وهو الحاصل للمقتول والقاتل بالارتداع عن القتل للعلم بالاقتصاص ، فان الإنسان اذا هم بالقتل تذكر الاقتصاص فترتدع ، فسلم أصحابا من القتل وهو من القوود ، فتسبب الحياة نفسين .

ومن تمكيد غير المسند اليه للنوعية (وأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا) ^(١) أى وأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ نَوْعًا مِنَ الْمَطَرِ عَجِيبًا ، يعنى الحجارة ، ألا ترى إلى قوله ^(٢) تعالى (فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ) وللنحقيق ^(٣) (إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا) ^(٤)

(١) — ي — ١٧٣ — س — ٢٦

(٢) أى فى الآية نفسها ، لأن قوله — فساء — صيغة تعجب

(٣) فالمعنى فى الآية إلا ظنا ضعيفا . وإنما حمل على هذا ولم يجعل مصدرا مؤكدا ، لأن الاستثناء لا يصح فى المصدر المؤكد ، وعلى الأول يكون من المصدر المبين لنوع فعله

(٤) — ي — ٣٢ — س — ٤٥

هذا وقد يأتى التأكيد لأغراض أخرى :

منها قصد التجاهل فى قوله تعالى (هلْ نَدَّبَكُم عَلَىٰ رَجُلٍ يَبْتَغِي لَكُمْ مَسَكِينًا) ^(١) كل مَزَقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) — ي — ٧ — س — ٣٤
ومنها أن يمنع مانع من التعريف ، كما فى قول الشاعر :

إذا سَمِعْتَ مَهْدَاهُ يَمِينُ لَطُولُ الْحُلِّ بِدَلِّهِ شَمَالًا

لم يقل — يمينه — لأنه كره أن ينسب ذلك إلى يمين ممدوحه ، فنكرها ولم يصفها إليه .

تمارين على التعريف والتذكير

تمرين — ١

(١) قال الله تعالى: (كأ أرسلنا إلى فرعونَ رسولاً، فعمسى فرعونُ الرسولَ) — ي — ١٥، ١٦ — س — ٧٣ — فلماذا نكرَ رسولاً أولاً وعرفه ثانياً؟ ومن أى أقسام اللام لام الرسول؟

تمرين — ٢

(١) قال الله تعالى: (فذلك الذى يدعُ اليتيمَ) — ي — ٢ — س — ١٠٧ — فلماذا أتى باسم الإشارة للبعيد ولم يأت بها للقريب

(٢) لماذا أوتر اسم الموصول على غيره من المعارف فى قول الشاعر:
أعبادَ المسيح يخاف صبحي ونحن عبيدُ من خلق المسيحا

تمرين — ٣

(١) ما الغرض من تنكير المسند إليه فى قول الشاعر:

وفى السماء نجومٌ لا عدادَ لها وليس يكسفُ إلا الشمسُ والقمرُ
(٢) لماذا عرف المسند إليه بالعلمية وبالوصولية فى قوله تعالى: (محمدٌ رسولُ الله والذينَ معه أشدُّاءُ على الكفَّارِ رحماءُ بينهم) — ي — ٢٩ — س — ٤٨

تمرين - ٤

(١) قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان لسحراً ، وإن من الشعر لحكمة » فلماذا نكر المسند اليه ولم يعرفه ؟

(٢) لماذا عرف المسند اليه بالإضافة في قول الشاعر :

أخوك الذي إن تدعاه لملةٍ يجيبك وإن تفضب الى السيف يفضب

تمرين - ٥

(١) قال الله تعالى (إن مع العسر يسراً ، إن مع العسر يسراً) - ي ٦٥ -

س - ٩٤ - فلماذا عرّف العسر في الموضعين ونكر يسرا فيهما ؟ ومن أي أقسام اللام لام العسر ؟

(٢) ما الغرض من التذكير في قول الشاعر :

شقت لمنظرك العيوب عقالٌ وبكتك بالدمع المهنون غوان

تمرين - ٦

(١) قال الشاعر :

أحياؤنا لا يرزقون بدرهم وبألف ألف ترزق الأموات

فلماذا عرف المسند اليه الأول بالإضافة والثاني باللام ولم يعكس فيهما ،

(٢) بين الغرض من التذكير في قول الشاعر :

ولله مني جانبٌ لأضيعه وللهم مني والخلاعة جانبٌ

(٣) بين الغرض من التعريف والتذكير في قول المتنبي :

أهمُّ بشيءٍ والليالي كأنها تطاردني عن كونه وأطاردُ .

اغراضه الوصف. وأما وصفه فليكون الوصف تفسيراً له كاشفاً عن معناه^(١)
كقولك — الجسم الطويل العريض العميق محتاج إلى فراغ يشغله — ونحوه في
الكشف قول أوُس:

الآلمى الذى يظن بك الظنَّ كأنَّ قد رأى وقد سمعاً^(٢)
حكى أن الأصمى سئل عن الآلمى فأنشده ولم يزد، وكذا قوله^(٣) تعالى:
(إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا. إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا)
قال الزمخشري: الهلع سرعة العجز عند مسِّ المكروه، وسرعة المنع عند
مسِّ الخير، من قولهم — ناقة هلوع — سريعة السير، وعن أحمد بن يحيى^(٤)
قال لى محمد بن عبد الله بن طاهر: ما الهلع؟ قلت: قد فسرهُ الله تعالى: أنتهى
كلام الزمخشري.

(١) هذا معنى أصلى للوصف فلا يصح ذكره في وجوه البلاغة، وكذلك كونه
مخصصاً للوصف.

(٢) هو لاؤُس بن حجر بن فضالة بر كلدة، وقيل:
أيتها النفس أجلى جزعاً إن الذى تحذرين قد وقعاً
إن الذى جمع الشجاعة والنجدة والسير والتقى جمعاً
فالآلمى بالرفع خبر. إن. ولهذا قال — ونحوه في الكشف — لانه ليس مستندا
إليه، وقد روى بالنصب على أنه وصف لأمم. إن. ويؤيد هذه الرواية إتيان
خبر. إن. بعد هذا في قوله:

أودى فلا تنفع الإشاحة من أمرٍ لمَرٍّ يحاول البدعا

(٣) — ٥ — ١٩، ٢٠، ٢١ — س ٧٠

(٤) هو أبو العباس ثعلب من أئمة اللغة والنحو.

أو لكونه مخصّصاً له ^(١) نحو — زيد التاجر عندنا .
 أو لكونه مدحاً له ، كقولنا — جاء زيد العالم — حيث يتعين فيه زيد قبل
 ذكر العالم ، ونحوه من غيره ^(٢) قوله ^(٣) تعالى : (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)
 وقوله ^(٤) تعالى : (هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ) .
 أو لكونه ذماً له ، كقولنا — ذهب زيد الفاسق — حيث يتعين فيه
 زيد قبل ذكر الفاسق ، ونحوه من غيره قوله ^(٥) تعالى (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ
 فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) .
 أو لكونه تأكيداً له ^(٦) كقولك — أمس الدابر كان يوماً عظيماً .
 أو لكونه بياناً له ، كقوله ^(٧) تعالى (لَا تَسْخِذُوا إِلَهَيْنِ إِثْنَيْنِ إِنَّمَا

(١) التخصيص رفع الاحتمال في المعارف وتقليل الاشتراك في النسكرات .
 (٢) نحوه أيضاً من المسند إليه قوله تعالى (فتبارك الله أحسن الخالقين) وقول
 خرنق أخت طرفة :

لا يبعدا قومي الدين هم سم العداة وآفة الجزر
 النازلون بكل معترك والطيبون معاهد الأزر

(٣) — ي — ١ — س — ١ (٤) — ي — ٢٤ — س — ٥٩

(٥) — ي — ٩٨ — س — ١٦

(٦) أي لغويا لا اصطلاحيا ، ولا بد للوصف المؤكد من حال يقتضيه كإظهار
 السرور أو التأسف في المثال ، والتأكيد بقصد هنا زائداً على الوصفية بخلافه
 في التوكيد بالنفس ونحوه مما يأتي .

(٧) — ي — ٥١ — س — ١٦ .

وقد ذكروا هنا فروقا بين الوصف المبين وغيره مما سبق ، وقيل : إن الوصف
 المبين يمكن جعله من الوصف المؤكد ، وإنما جعل وصفاً ولم يجعل عطف بيان ،
 لأن عطف البيان لا يكون مشتقاً ولا مؤولاً به .

هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ) قال الزمخشري : الاسم الحامل لمعنى الإفراد والتثنية دالٌّ على شيئين : على الجنسية والعدد المخصوص . فإذا أريدت الدلالة على أن المعنى به منهما والذي يساق له الحديث هو العددُ شفعَ بما يؤكدُه فذلٌّ به على القصد إليه والعناية به ، ألا ترى أنك لو قلت إنما هو إله ولم تؤكدُه بواحد لم يحسنُ وخيَّلَ أنك تثبت الإلهية لا الوجدانية ، وأما قوله (١) تعالى (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ) فقال السكاكي (٢) شفع — دابة — بنى الأرض ، و — طائر — يطير بجناحيه لبيان أن القصد بهما إلى الجنسين (٣) وقال الزمخشري : معنى ذلك زيادة التعميم والإحاطة (٤) كأنه قيل : وما من دابة قطُّ في جميع الأرضين السبع ، وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه .

واعلم أن الجملة قد تقع صفة للنكرة ، وشرطها أن تكون خبرية ، لأنها في المعنى حكم على صاحبها بالخبر ، فلم يستقم أن تكون إنشائية مثله ، وقال السكاكي (٥) لأنه يجب أن يكون المتكلم يعلم تحقق الوصف للموصوف ، لأن الوصف إنما يؤتى به ليميّز به الموصوف بما عده ، وتميز المتكلم شيئاً من شيء بما لا يعرفه له مُحالٌ ، فما لا يكون عنده محققاً للموصوف يتمتع أن يجعله وصفاً له بحكم عكس النقيض (٦) ومضمون الجمل الظلية كذلك ،

(١) — ي — ٣٨ — س — ٦ — (٢) ١٠١ — المفتاح (٣) أى لا إلى العدد

(٤) (٤) أما أصل التعميم فمستفاد من وقوع النكرة في سياق النفي ، والزيادة لرفع احتمال إرادة دواب أرض واحدة أو طيور جو واحد ، وجعل الاستغراق حقيقياً في جميع الدواب والطيور ، ولا يخفى أن كلام السكاكي يؤول إلى ذلك أيضاً ، لأنه عند قصد الجنس يكون الاستغراق حقيقياً .

(٥) ١٠٠ و ١٠١ — المفتاح .

(٦) أى لقوله — يجب أن يكون المتكلم يعلم تحقق الوصف للموصوف .

لأن الطلب يقتضى مطلوباً غير متحقق لا متنازع طلب الحاصل ، فلا يقع شيء منها صفة لشيء ، والتعليل الأول أعم ، لأن الجملة الإنشائية قد لا تكون طلبية ^(١) كقولنا — نعم الرجل زيد . وبئس الصاحب عمرو ، وربما يقوم بكر ، وكم غلام ملك ، وعسى أن يجيء بشر ، وما أحسن خالد ، وصيغ العقود نحو بعث واشترت — فإن هذه كلها إنشائية وليس شيء منها بطلي . ولا متنازع وقوع الإنشائية صفة أو خبراً قيل في قوله :

جاؤا بمدق هل رأيت الذئب قط ^(٢)

تقديره — جاؤا بمدق مقول عنده هذا القول ، أي بمدق يحمل رائيته أن يقول لمن يريد وصفه له هل رأيت الذئب قط ، فهو مثله في اللون لإيراده في خيال الراي لون الذئب لورقته ^(٣) وفي مثل قولنا — زيد اضربه أولاً تضربه — تقديره — مقول في حقه اضربه أو لا تضربه ^(٤) .

(١) لا يخفى أن الجملة الإنشائية غير الطلبية كالإنشائية الطلبية فيما ذكره السكاكي ، ولا معنى للتطويل بهذه المباحكات اللفظية في هذا العلم ، ولا سيما أن مذكره من ذلك الشرط من مسائل علم النحو .

(٢) هو من قول عبد الله بن ربيعة بن حنيفة التميمي المعروف بالعجاج :

حتى إذ جن الظلام واختلط جاؤا بمدق هل رأيت الذئب قط

والمدق اللبن المخلوط بالماء مصدر بمعنى اسم المفعول ، وقوله — جن الظلام — بمعنى أقبل أوله ، واختلاطه إنما يكون بعد ذهاب نور النهار كله ، يصف قوماً أضافوه وأطالوا عليه ثم أتوه بهذا المدق .

(٣) الواو في سواد في غبرة .

(٤) قد يأتي الوصف لأغراض أخرى : منها الترحم في قول الشاعر :

إلهي عبدك العاصي أتاك مقرأ بالذنوب وقد دعاك

ومنها قصد الإبهام ، نحو قولك — تصدقت صدقة كبيرة أو صغيرة .

ومنها قصد التعميم ، مثل قولك — أكرم الناس الصغار والكبار .

أغراض التوكيد :

وأما توكيده فللتقرير ، كما سيأتى فى باب تقديم الفعل وتأخيرهِ^(١) .
أو لدفع توهم التجوُّز أو السهو^(٢) كقولك — عرفتُ أنا ، وعرفتَ أنت ، وعرف زيد زيد — أو عدم الشمول ، كقولك — عرفتُ الرجلان كلاهما ، أو الرجال كلهم^(٣) قال السكاكى^(٤) ومنه — كل رجل عارف ، وكل إنسان حيوان — وفيه نظر ، لأن كلمة — كل — تارة تقع تأسيساً وذلك إذا أفادت الشمول من أصله حتى لولا مكانها لمسا عُلّ ، وتارة تقع تأكيداً ، وذلك إذا لم تفده من أصله بل تمنع أن يكون اللفظ المقتضى له مستعملاً فى غيره ،

(١) كقولك — هو يعطى الجزيل — فهو يفيد من تقوية الحكم مالا يفيدهِ قولك — يعطى زيد الجزيل — لتكرار الإسناد فى الأول ، ولا يخفى أن هذا ليس من توكيد المسند اليه فلا معنى لذكره هنا .

(٢) بأن يكون فى الكلام أو المقام ما يؤهم ذلك فيؤتى بالتوكيد لدفعه ، وبهذا يمتاز نظر علم المعانى عن نظر علم النحو الى التوكيد ، وهذا كما فى قولك — قطع الأمير نفسه السارق — فإنه لو قيل — قطع الأمير السارق — لتوهم أن القاطع غيره بأمره على ماجرت به العادة فى ذلك ، أما النحو فيجوز فيه أن يقال — قطع الأمير نفسه السارق ، وقطع الأمير السارق — بلانظر إلى هذه . الاعتبارات ، وعلى هذا ورد التوكيد فى قوله (ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى) — ي — ٥٦ س ٢٠ — وقوله (فسجد الملائكة كلهم أجمعون ، إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين) — ي — ٣٠ ، ٣١ — س ١٥ — ففى هذا إشارة إلى فظاعة تكذيب فرعون واستكبار إبليس اللعين .

(٣) فإنه قبل التأكيد يحتمل أن أحد الرجلين أو بعض الرجال لم يحىء ، ولكنه لم يعتد به فأطلق الكل وأريد البعض على سبيل المجاز .

(٤) ١٠١ — المفتاح

أما الأول فهو أن تكون مضافة إلى نكرة ^(١) كقوله ^(٢) تعالى (كُلُّ حَزْبٍ
بِمَا لَدَيْهِمْ فَسِرَّ حُورٍ) وقوله (وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَلَّاهُ تَفْصِيلاً ^(٣)) وقوله
(وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَذَبٍ يَنْسِلُونَ ^(٤)) وأما الثاني فما عدا ذلك ، كقوله ^(٥)
تعالى (فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ) وهي في قوله — كل رجل عارف ،
وكل إنسان حيوان — من الأول لا الثاني ، لأنها لو حذفت منهما لم يفهم
الشمول أصلاً .

أغراض عطف البيان :

وأما بيانه وتفسيره فلا يضاحه باسم مختص به ^(٦) كقولك — قدم
صديقك خالد .

- (١) كذلك المضافة إلى معرفة ، كقوله تعالى (كل الطعام كان حلاً لبني
إسرائيل) — ي — ٩٣ — س — ٣ .
(٢) — ي — ٥٣ — س — ٢٣
(٣) — ي — ١٢ — س — ١٧
(٤) — ي — ٩٦ — س — ٢١
(٥) — ي — ٣٠ — س — ١٥

(٦) هذا معنى نحوي لعطف البيان ، وإنما يعد من البلاغة إذا كان للسند إليه
شأن يقتضي العناية بأمره كعظم شأنه أو حقارته ، فيكون عطف البيان لمدحه
أو ذمه أو نحو ذلك ، كقوله تعالى (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس)
— ي — ٩٧ — س — ٥ — وقوله (ويسقي من ماء صديد) — ي — ١٦
س — ١٤ — وقد يكون عطف البيان غدير مختص بمتبوعه ولكن يحصل
الإيضاح والاختصاص بمجموعهما ، كما في قول الشاعر :

والمؤمن العائدات الطير بمسحها ركبان مسكة بين القيل والسند
ما إن أتيت بشيء أنت تسكره إذن فلا رفعت سوطاً إلى يدي

أغراض البذل :

وأما الإبدال منه فلزيادة التقرير والإيضاح ^(١) نحو — جاءني زيد أخوك ،
وجاء القوم أكثرهم ، وسلب عمرو ثوبه ^(٢) ومنه في غيره قوله تعالى ^(٣)
(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) .

أغراض عطف النسق :

وأما العطف فلتفصيل المسند إليه مع اختصار ^(٤) نحو — جاء زيد
وعمر وخاله .

فالطير عطف بيان للعائدات ، وكل منهما غير مختص بصاحبه في ذاته ، وإنما
حصل هذا بمجموعهما .

(١) يعني أنه يؤتى به لمزيدين الأمرين زيادة على قصده بالحكم وهو المعنى
النحوى للبذل ، أو أن فيه زيادة تقرير عن التوابع السابقة لأنه على نية تكرار
العامل ، فيكون إسناده أقوى من غيره .

(٢) لم يأت بمثال لعطف الغلط لأنه لا يقع في فصيح الكلام إلا أن يكون
بدل بداء ، وهو أن تذكر المبدل منه عن قصد ثم تذكر البذل بعده فتوهم أنك
غالط لقصد المبالغة والتفنن ، وشرطه أن يرتقى فيه من الأدنى إلى الأعلى ، كما
في قول الشاعر :

المع برق سرى أم ضوء مصباح أم ابتسامتها بالمنظر الضاحي
هذا وفي البذل من وجوه البلاغة وجه الإجمال ثم التفصيل والعناية بإثبات
الحكم ، ولا يكون هذا إلا لمقام يقتضيه ، كما في قول الشاعر :

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا وإنما لترجو فوق ذلك مظهرأ

(٣) — ي — ٦ ، ٧ — س — ١

(٤) هذا غير ما يفيد العطف من معناه النحوى كالدلالة على مطلق الجمع

أو لتفصيل المسند مع اختصار، نحو - جاء زيد فعمره ، أو ثم عمرو ، أو جاء القوم حتى خالد ^(١) ولا بدّ في - حتى - من تدريج ، كما ينبغي عنه قوله :
وكنْتُ قتي من جند إبليس فارتمى

في الحال حتى صار إبليس من جندى ^(٢)

أو لرد السامع عن الخطأ في الحكم إلى الصواب ^(٣) كقولك - جاءني زيد لا عمرو - لمن اعتقد أن عمراً جاءك دون زيد ، أو أنهما جاآك جميعاً ، وقولك - ما جاءني زيد لكن عمرو - لمن اعتقد أن زيداً جاءك دون عمرو ،

في الواو ، ووجه الاختصار في المثال أنه في معنى - جاء زيد وجاء عمرو وجاء خالد ، وقد أشار به إلى أن تفصيل المسند إليه خاص بالواو .
هذا ولا بدّ لذلك من مقام يقتضيه ، كما في قوله تعالى (إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) - ي - ٨ - ٢٨ - فذكر بالتفصيل فرعون وهامان لأنهما السبب في الخطأ دون جنودهما .

(١) أشار بهذا إلى أن تفصيل المسند خاص بالغاء و ثم وحتى ، لأنها تبين أنه حصل بترتيب وتعقيب أو بترتيب و تراخ أو بترتيب ذهني ، ووجه الاختصار فيها أنها تغني عن - جاء زيد و عمرو بعده بيوم أو سنة أو نحو ذلك - ولا يخفى أنه يحصل فيها أيضاً تفصيل المسند إليه ولكنه غير مقصود منها ، لأنه يكون معلوماً قبلها فتساق لأجل تفصيل المسند وحده .

(٢) هو الحسن بن هانيء المعروف بأبي نواس ، وحتى فيه ليست عاطفة ، وإنما يقصد التخييل به لإفادتها التدريج ، وإنما لم تكن عاطفة فيه لأن للشهور أنها لاتأتي في عطف الجمل ، ولأن الجملة قبلها لا يستقل بها الكلام حتى يصح العطف عليها عند من يقول بصحة العطف بها في الجمل .

(٣) أي مع الاختصار على ما سبق ، لأن هذا هو الذي يعني به في هذا العلم .

أو لصرف الحكم عن محكوم له إلى آخر ، نحو — جاءني زيد بل عمرو ، وما جاءني زيد بل عمرو ^(١) .

أو للشك فيه أو التشكيك ^(٢) نحو — جاءني زيد أو عمرو ، أو إمّا زيد وإمّا عمرو ، أو إمّا زيد أو عمرو — أو للإيهام ، كقوله ^(٣) تعالى (وإنّا أوّيناكم على هدى أو فى ضلال مبين) أو للإباحة أو التخيير ، وهو أن يفيد ثبوت الحكم لأحد الشيئين أو الأشياء ^(٤) فحسب ^(٤) مثالها قولك — ليدخل الدار زيد أو عمر — والفرق بينهما واضح ، فإن الإباحة لا تمنع من الإتيان بهما أو بها جميعاً .

(١) فالمعنى فيه على نقل حكم النفي إلى عمرو على ما ذهب إليه اللبرد ، والجمهور على أن — بل — تنقل حكم الإثبات لا النفي .

(٢) أى مع الاختصار أيضاً ، والشك من التكلم ، والتشكيك للسامع ، والبلاغة فى التشكيك أعلى من البلاغة فى الشك ، لأن التشكيك يجعل وسيلة إلى بلوغ اليقين ووصول الحق إلى المخالفين على وجه لا يثير غضبهم ، لينظروا فيه فيؤديهم النظر إلى العلم به ، وقد جعل السكاكى من هذا قوله (وإنّا أوّيناكم — الآية) ولم يجعله للإيهام على السامع كما فعل الخطيب ، ومنه أيضاً قول الشاعر :

وقد زعمت لى بأنى فاجر لنفسى تقاها أو عليها فجورها

وقيل: إن — أو — فيه بمعنى الواو .

(٣) — ي — ٢٤ — س — ٣٤

(٤) أى من غير قصد إلى تشكيك أو إيهام

أغراض ضمير الفصل :

وأما تَوْشُّطُ الفصل بينه وبين المسند فلتخصيصه به ^(١) كقولك
— زيد هو المنطلق، أو هو أفضل من عمرو، أو خير منه، أو هو يذهب ^(٢)

(١) يعنى تخصيص المسند إليه بالمسند ، فالباء داخلة على المقصور وما قبلها هو المقصور عليه ، ومن أغراض الفصل أيضاً التأكيد ، وإنما يفيد التأكيد إذا حصل التخصيص بغيره بأن تكون الجملة معرفة الطرفين مثلاً ، كما فى قوله تعالى (إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) — ي — ٥٨ — س ٥١ — وقوله (فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم) — ي — ١١٧ — س ٥ — وقوله (لا يستوى أصحاب النار أصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون) — ي — ٢٠ — س ٥٩ — وقد يكون لتخصيص المسند بالمسند إليه ، نحو — الكرم هو التقوى — لأنه بمعنى لا كرم إلا التقوى .

(٢) الحق أن هذا ليس ضمير فصل ، وإنما يعرب توكيداً أو مبتدأً ثانياً ، لأنه يشترط فى ضمير الفصل أن يكون ما بعده خبراً معرفة أو كالمعرفة فى عدم قبول — أل — كلفظ خير ، ويشترط فيما قبله أن يكون مبتدأً ولو باعتبار الأصل ، وأن يكون معرفة ، ويشترط فيه نفسه أن يكون بصيغة المرفوع ، وأن يطابق ما قبله ، فلا يجوز كنت هو الفاضل .

تمرينات على التوابع

تمرين - ١

- (١) بين الغرض من البديل في قول الشاعر :
وكنت كندى رجلين: رجل صحيحة ورجل رعى فيها الزمان فشلت
(٢) هل يجوز بلاغة كما يجوز نحو أن يجعل عطف البيان بدلا مطابقاً وبالعكس ،
أو ان لسكل منهما مقاما خاصا به ؟
(٣) بين معنى - أو - ومنزلتها بلاغة في قول الشاعر :
نحن أو أنتم الأولى ألفوا الحق فبعداً للمبطلين وسحقا

تمرين - ٢

- (١) من أى أقسام البديل قوله تعالى (وممّن يفعل ذلك يلقى أثاما . يضاعف له
العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا) - ي - ٦٨ ، ٦٩ - س - ٢٥ - وأى
غرض دعا إليه ؟ وما منزلته في البلاغة ؟
(٢) أى غرض دعا إلى التوكيد في قول الشاعر :
لكنه شاقه أن قيل ذا رجب يا ليت عدة حول كله رجبا
(٣) قال تعالى (فله الحمد رب السماوات ورب الأرض رب العالمين) - ي - ٣٦ -
س - ٤٥ - فلماذا عطف في الأول دون الثاني ؟

تمرين - ٣

- (١) قال الله تعالى (إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) - ي - ٨ -
س - ٢٨ - فما فائدة العطف بلاغة فيه ؟ ولماذا أوثرت فيه الواو على غيرها ؟
(٢) أى غرض دعا إلى العطف بحق في قول الشاعر :
قهرناكم حتى السكامة فأنتم تهابوننا حتى بنينا الأصاغرا
(٣) ما الغرض من الوصف في قول الشاعر :
ويأوى إلى نسوة عطل وشعثاً مراضيع مثل السعالى

أغراض التقديم :

وأما تقديمه فليكون ذكره أهم، إما لأنه الأصل ولا مقتضى للعدول عنه^(١) وإما ليتمكن الخبر في ذهن السامع لأن في المبتدأ تشويقاً إليه ، كقوله :
والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد^(٢)
وهذا أولى من جعله شاهداً لكون المسند إليه موصولاً كما فعل السكاكي^(٣) .

وإما لتعجيل المسرة أو المساءة لكونه صالحاً للتفاؤل أو التطيّر ، نحو — سعد في دارك ، والسفاح في دار صديقك .
وإما لإيهام أنه لا يزول عن خاطر أو أنه يستلذّ ، فهو إلى الذكر أقرب^(٤) .

(١) هذا إذا كان المسند اليه مبتدأ أو نحوه لافاعلاً أو نحوه ، ولا يخفى أن هذه نكتة ضعيفة لا يعول عليها هنا .

(٢) هو لأحمد بن عبد الله المعروف بأبي العلاء المعري ، وقوله — حارت — بمعنى اختلفت من إطلاق المسازوم وإرادة اللازم على سبيل المجاز المرسل ، واسم الموصول مبتدأ وخبره حيوان على تقدير مضاف ، أي معاد حيوان كما يدل عليه سياق القصيدة ، ويجوز أن يراد استحداث الحيوان من النطفة فلا يحتاج إلى تقدير مضاف .

(٣) ٩٨ — المفتاح ، ولا مانع من جعله شاهداً لهما معاً . وبما يدخل في هذا الغرض أن يكون المسند اليه ضمير شأن أو قصة ، كما في قول الشاعر :

هي الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشى وفتكى
(٤) كقول جميل :

بئنة ما فيها إذا ما تبصرت معاب ولا فيها إذا نسبت أشب

وإما لنحو ذلك ^(١).

قال السكاكي ^(٢) وإما لأن كونه متصفاً بالخبر يكون هو المطلوب
لأنفس الخبر ، كما إذا قيل لك : كيف الزاهد ؟ فتقول : الزاهد يشرب
ويطرب . وإما لأنه يفيد زيادة تخصيص ، كقوله :

مَتَى تَهْزُزُ بَنِي قَطَنَ تَجِدُهُمْ سَيُوفًا فِي عَوَاتِقِهِمْ سَيُوفُ

جُلُوسٍ فِي مَجَالِسِهِمْ رِزَانٌ وَإِنْ ضَيْفُ أَلَمَ فَهُمْ خُفُوفٌ ^(٣)

والمراد — هم خفوف — وفيه نظر ، لأن قوله — لا نفس الخبر —
يشعر بتجويز أن يكون المطلوب بالجملة الخبرية نفس الخبر ، وهو باطل ^(٤)
لأن نفس الخبر تصور لا تصديق والمطلوب بها إنما يكون تصديقاً ،

(١) كإظهار تعظيمه في نحو قوله تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء
على الكفار رحماء بينهم) — ي — ٢٩ — س — ٤٨ — أو تحقيره
في قوله — الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة .

(٢) ١٠٤ ، ١٠٥ — المفتاح .

(٣) لا يعلم قائلهما ، وقوله — تهز — بمعنى تهيجهم للحرب ، وقوله — تجدهم
سبواً — معناه كالسيوف في المضاء ، ورزان جمع رزين ، وخفوف مصدر خف
بمعنى أسرع ، يمدحهم بالنخوة في قوله — متى تهز الخ — وبالعظمة والشرف
في قوله — جلوس الخ — وبالكرم في قوله — وإن ضيف ألم الخ . وبعد البيتين :

إذا نزلوا حسبهم بدورا وإن ركبوا فإنهم حنوا

(٤) أجيب عنه في هذا بأنه لا يريد نفس الخبر مجرداً عن الحكم حتى يلزمه
ذلك ، فهو لا يقصد إلا أنه إذا علم تحقق المسند في الجملة ولم يعلم المسند إليه قدم
على المسند ، وهذا ظاهر لا اعتراض عليه .

وإن أراد بذلك وقوع الخبر مطلقاً فغير صحيح أيضاً ، لما سيأتى ^(١) أن العبارة عن مثله لا يتعرض فيها إلى ما هو مسند إليه ، كقولك — وقع القيام — ثم في مطابقة الشاهد الذى أنشده للتخصيص نظر ^(٢) لما سيأتى أن ذلك مشروط بكون الخبر فعلياً ، وقوله — والمراد هم خفوف — تفسير للشئ بإعادة لفظه ^(٣) .

قال عبد القاهر ^(٤) وقد يقدم المسند إليه ليفيد تخصيصه بالخبر الفعلى إن وَلِيَ حرف النفي ^(٥) كقولك — ما أنا قلت هذا — أى لم أقله مع أنه مقول ، فأفاد نفي الفعل عنك وثبوته لغيرك ، فلا تقول ذلك إلا فى شئ ثبت أنه مقول وأنت تريد نفي كونك قائلاً له ، ومنه قول الشاعر :

وما أنا أسقمتُ جسمى به ولا أنا أضربت فى القلب نارا ^(٦)
إذ المعنى أن هذا الشئ الموجود والضرر الثابت ما أنا جالباً لها ،

(١) فى أول الكلام على متعلقات الفعل .

(٢) أجيب عنه فى هذا بأنه لا يريد بالتخصيص هنا الحصر وإنما يريد التخصيص بالذكر ، ولا يخفى أن حمل التخصيص على ذلك بعيد ، على أنه سيأتى أن السكاكى يريد فى هذا ونحوه التخصيص بمعنى الحصر ، وأنه لا يشترط فيه كون الخبر فعلياً .

(٣) لا يخفى أن السكاكى لا يريد بهذا تفسيره ، وإنما يريد بيان محل الشاهد ، وما كان أغنى الخطيب عن الإطالة فى هذه المباحكات اللفظية .

(٤) ٨٤ — دلائل الإعجاز .

(٥) يعنى أنه فى هذه الحالة يفيد قصر نفي الخبر الفعلى على المسند إليه وإثباته لغيره على الوجه الذى نفي به من خصوص أو عموم على ما سيأتى فى الأمثلة ، فالباء داخلة هنا على المقصور ، والمراد بإيلائه حرف النفي إثباته بعده ولو كان بينهما فاصل ، فيشمل نحو — ما زيدا أنا ضربت ، وما فى الدار أنا جلست .

(٦) هو لأبى الطيب أحمد بن الحسين المعروف بالمتنبى ، وقوله — أضربت — يعنى أشعلت ، يعنى نار الحب ، ونحوه قول الشاعر :

فالقصد إلى نفي كونه فاعلا لها لا إلى نفيهما ، ولهذا لا يقال — ما أنا قلت ولا أحد غيرى — لمناقضة منطوق الثانى ^(١) مفهوم الأول ^(٢) بل يقال — ما قلت أنا ولا أحد غيرى — ولا يقال — ما أنا رأيت أحداً من الناس — ولا — ما أنا ضربت إلا زيدا — بل يقال — ما رأيت أو ما رأيت أنا أحداً من الناس ، وما ضربت أو ما ضربت أنا إلا زيدا — لأن المنفى فى الأول الرؤية اراقعة على كل واحد من الناس ، وفى الثانى الضرب الواقع على كل واحد منهم سوى زيد ^(٣) وقد سبق أن ما يفيد التقديم ثبوته لغير المذكور هو ما نئفى عن المذكور ، فيكون الأول مقتضياً لأن إنساناً غير المتكلم قد رأى كل الناس ، والثانى مقتضياً لأن إنساناً غير المتكلم قد ضرب من عدا زيداً منهم ، وكلاهما محال ، وعلل الشيخ عبد القاهر والسكاكى ^(٤) امتناع الثانى بأن نقض النفى يلا يقتضى أن يكون القائل له قد ضرب زيدا ، وإيلاء الضمير حرف النفى يقتضى ألا يكون ضربه ، وذلك تناقض ، وفيه نظر ،

وما أنا وحدى قلت ذا الشعر كله ولكن لشعرى فيك من نفسه شعر

وقوله صلى الله عليه وسلم : ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم

(١) هو — ولا أحد غيرى .

(٢) هو — ما أنا قلت — لأن مفهومه أن غيره قاله .

(٣) لا يخفى أن هذا ليس هو النفى فى المثالين وإلا كانا من سلب العموم لا من عموم السلب ، وإنما النفى فى الأول رؤية أى واحد من الناس ، وفى الثانى ضرب أى واحد سوى زيد ، وعلى هذا يكون مفهوم المثالين أن إنساناً غير المتكلم رأى واحداً من الناس وضرب أى واحد سوى زيد ، وهو صحيح لا شىء فيه ، وإنما الذى يؤدى إلى ما ذكره الخطيب أن يقال — ما أنا رأيت كل رجل ، وما أنا ضربت كل رجل إلا زيدا .

لأننا لا نسلّم أن إبلاء الضمير حرف النفي يقتضى ذلك ، فإن قيل : الاستثناء الذى فيه مفرغ ، وذلك يقتضى ألا يكون ضرب أحدًا من الناس ، وذلك يستلزم ألا يكون ضرب زيداً ، قلنا : إن لزم ذلك ^(١) فليس للتقديم لجريانه فى غير صورة التقديم أيضاً ، كقولنا — ما ضربت إلا زيداً . هذا إذا ولى المسندُ إليه حرف النفي ، وإلا فإن كان معرفة ، كقولك — أنا فعلت — كان القصد إلى الفاعل ^(٢) وينقسم قسمين :

أحدهما ما يفيد تخصيصه بالمسند ^(٣) للرد على من زعم انفراد غيره به أو مشاركته فيه ، كقولك — أنا كتبت فى معنى فلان ، وأنا سعت فى حاجته — ولذلك إذا أردت التأكيد قلت للزاعم فى الوجه الأول — أنا كتبت فى معنى فلان لا غيرى — ونحو ذلك ، وفى الوجه الثانى — أنا كتبت فى معنى فلان وحدى — فإن قلت — أنا فعلت كذا وحدى — فى قوة — أنا فعلته لا غيرى — فليم اخترص كل منهما بوجه من التأكيد دون وجه ؟ قلت : لأن جدوى التأكيد لمّا كانت إمالة شبهة خالجت قلب السامع ، وكانت فى الأول أن الفعل صدر من غيرك وفى الثانى أنه صدر منك بشركة الغير أكدت وأمطت الشبهة فى الأول بقولك — لا غيرى — وفى الثانى

(١) الحق أنه لا يلزم لأن إبلاء الضمير حرف النفي إنما يقتضى نفي ما عدا المستثنى ، وما ذكره عبد القاهر والسكاكى إنما هو غفلة منهما .

(٢) أى لا إلى الفعل كما فى النفي .

(٣) يعنى قصر المسند عليه ، ويلزمه أيضاً تقوية الحكم كما فى القسم الثانى ، ولسكنها تحصل هنا تبعاً لا قصداً .

بقولك - وحدي - لأنه محزؤه ، ولو عكست أحلت (١)
ومن البين في ذلك (٢) المثل: أنْعَلَسْنِي بَضْبٌ أَنَا حَرَشْتُهُ (٣) وعليه قوله (٤)
تعالى (وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ لَا يَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ) أى لا يعلمهم
إلا نحن ولا يطلع على أسرارهم غيرنا ، لإبطانهم الكفر في سُوَيْدَاوات قلوبهم .
الثاني ما لا يفيد إلا تقوى الحكم وتقرُّره في ذهن السامع وتمكُّنه ،
كقولك - هو يعطى الجزيل - لا تريد أن غيره لا يعطى الجزيل ولا أن
تُعَرِّضَ بإنسان ، ولكن تريد أن تقرر في ذهن السامع وتحقق أنه يفعل
إعطاء الجزيل ، وسبب تقويته هو أن المبتدأ يستدعى أن يستند إليه شيء ،
فإذا جاء بعده ما يصلح أن يستند إليه صرفه إلى نفسه ، فيعتقد بينهما حكم
سواء كان خالياً عن ضميره ، نحو - زيد غلامك - أو متضمناً له ، نحو
- أنا عرفت ، وأنت عرفت ، وهو عرف أو زيد عرف - ثم إذا كان
متضمناً لضميره صرفه ذلك الضمير إليه ثانياً ، فيكتسب الحكم قوة (٥) .
وبما يدل على أن التقديم (٦) يفيد التأكيد أن هذا الضرب من الكلام يحىء

(١) يعنى حوت كلا منهما عن موضعه المناسب له ، لأن - لاغيرى - تدل
صريحاً على نفي صدور من غيرك ، أما وحدي فيدل عليه التزاما ، وكذلك - وحدي -
يدل صريحاً على نفي الشركة ، أما - لاغيرى - فيدل عليه التزاما .

(٢) أى في إفادة التخصيص .

(٣) حرشته بمعنى صدرته ، والمثل يضرب لمن يخبرك بشيء أنت أعلم به منه .

(٤) - (٤) - ي - ١٠١ - س - ٩ .

(٥) علاه عبد القاهر بأن تقديم المسند إليه ينه السامع لقصد به بالحديث قبل
ذكره تحقيقاً وتأكيداً له .

(٦) أى في هذا القسم ، وبهذا يكون له مقام في الكلام يبين مقام القسم
الأول ، لأن المقصود منه التخصيص لا التأكيد كما سبق .

فيمسبوق فيه إنكار من منكّر ، نحو أن يقول الرجل - ليس لي علم بالذي تقول - فتقول - أنت تعلم أن الأمر على ما أقول - وعليه قوله (١) تعالى (وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) لأن الكاذب لا يثبت في الدين لا يعترف بأنه كاذب ، فيمتنع أن يعترف بالعلم بأنه كاذب .

وفيما اعترض فيه شك ، نحو أن تقول للرجل - كأنك لا تعلم ما صنع فلان - فيقول - أنا أعلم .

وفي تكذيب مدّع ، كقوله (٢) تعالى (وإذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) فإن قولهم (آمنا) دعوى منهم أنهم لم يخرجوا بالكفر كما دخلوا به .

وفيما يقتضي الدليل ألا يكون ، كقوله (٣) تعالى (والذين تدعون من دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ) فإن مقتضى الدليل ألا يكون ما يتخذ لها مخلوقاً .

وفيما يستغرب ، كقولك - ألا تعجب من فلان يدعى العظيم وهو يعياً باليسير .

وفي الوعد والضمان ، كقولك للرجل - أنا أكفيك ، أنا أقوم بهذا الأمر - لأن من شأن من تعدّه وتضمن له أن يعترضه الشك في إنجاز الوعد والوفاء بالضمان ، فهو من أحوج شيء إلى التأكيد .

وفي المدح والافتخار ، لأن من شأن المادح أن يمنع السامعين من الشك فيما يمدح به ويعدّم عن الشبهة ، وكذلك المفتخر ، أما المدح فكقول الحماسي :

(١) - ي - ٧٨ - س - ٣ (٢) - ي - ٦١ - س - ٥

(٣) - ي - ٢٠ - س - ١٦

هم يفرشون اللبد كل طمرة (١)

وقول الخامسة :

هما يلبسان المجد أحسن لبسة (٢)

وقول الخامسة :

فهم يضربون الكبش يبرق بيضه (٣)

وأما الافتخار فكقول طرفة :

نحن في المشتاة ندعو النجفلى (٤)

(١) هو من قول المعذل بن عبد الله اللبثي .

هم يفرشون اللبد كل طمرة وأجرد سباح يبد المغاليا
والطمرة الفرس الكريم ، والأجرد القصير الشعر ، والسباح اللين الجرى ،
والمغالي يضم اليم السهم ، وافتحها جمع مغلى أو مغلاة وهى السهم أيضاً ، يعنى أنه
أسرع منه .

(٢) هو من قول عمرة الخثعمية فى رثاء ابنها :

هما يلبسان المجد أحسن لبسة شحيجان ما استطاعا عليه كلاهما
واللبسة اسم هيئة من لبس ، والشحيج الذى لا يفرط فيما فى يده ، وقيل :
إن البيت لدرماء بنت سيار الجحدرية فى رثاء أخوها .

(٣) هو من قول الأخنس بن شهاب التغلبى :

فهم يضربون الكبش يبرق بيضه على وجهه من الدماء سبائب
وروى — هم يضربون — والكبش الشجاع ، والبيض اللأمة ، والسبائب
الطرائق جمع سبيبة ، يعنى أنهم يضربونه فيسيل دمه كأنه طرائق حمر .

(٤) هو من قول عمرو بن العبد المعروف بطرفة :

وعما لا يستقيم المعنى فيه إلا على ما جاء من بناء الفعل على الاسم قوله (١)
 تعالى (إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ)
 وقوله (٢) تعالى (وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً
 وَأَصِيلًا) وقوله (٣) تعالى (وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ
 وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ) فإنه لا يخفى على من له ذوق أنه لو جيء في ذلك
 بالفعل غير مبني على الاسم لَوُجِدَ اللفظ قد نبأ عن المعنى، والمعنى قد زال
 عن الحال التي ينبغي أن يكون عليها .

وكذا إذا كان الفعل منفياً (٤) كقولك — أنت لا تكذب — فإنه
 أشد لنفي الكذب عنه من قولك — لا تكذب — وكذا من قولك
 — لا تكذب أنت — لأنه لتأكيد المحكوم عليه لا الحكم، وعليه قوله (٥)
 تعالى (وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ) فإنه يفيد من التأكيد في نفي

نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الآدب فينا ينتقر
 والمشتاة الشتاء وهو زمن الجذب عندهم، والجفلى الدعوة العامة، والآدب
 الداعى إلى المأدبة، وقوله — ينتقر — معناه يدعو بعضاً ويترك بعضاً .

(١) — ي — ١٩٦ — س — ٧

(٢) — ي — ٥ — س — ٢٥

(٣) — ي — ١٧ — س — ٢٧

(٤) أى بحرف نفي مؤخر عن المسند إليه. فهو يأتي كالمثبت تارة للتخصيص،
 وتارة لتقوية الحكم، ومن إثباته للتخصيص قولك — أنا ما قلت هذا — أى وحدى،
 بقوله لمن يعتقد أنه لم يقل مصيباً في هذا ولكنه نسبته خطأ إلى غيرك، وكل
 الأمثلة التي ذكرها الخطيب لافادة تقوية الحكم .

(٥) — ي — ٥٩ — س — ٢٣

الإشراك عنهم مالا يفيد قولنا — والذين لا يشركون ربهم — ولا قولنا — والذين ربهم لا يشركون — وكذا قوله (١) تعالى (لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) وقوله (٢) تعالى (فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ) وقوله (٣) تعالى (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) .

هذا كله إذا بُنِيَ الفعل على مُعْرِفٍ فَإِنْ بُنِيَ عَلَى مُنْكَرٍ أَفَادَ ذَلِكَ تَخْصِصَ (٤) الجنس أو الواحد (٥) بالفعل ، كقولك — رجل جاءني — أى لا امرأة أو لا رجلان ، وذلك لأن أصل النكرة أن تكون للواحد من الجنس ، فيقع القصد بها تارة إلى الجنس فقط ، كما إذا كان المخاطب بهذا

(١) — ي — ٧ س — ٣٦

(٢) — ي — ٦٦ س — ٢٨

(٣) — ي — ٥٥ س — ٨

(٤) ظاهر هذا أن بناء الفعل على المنكر لا يفيد تقوية الحكم ، وقد ذكر السعد أنه قد يفيد ذلك ، كأن يقال — رجل جاءني — فالعنى أنه جاء ولا بد . ثم ذكر أن هذا هو الذى يشعر به كلام عبد القاهر فى — دلائل الإعجاز — ولسكى رجعت إلى كلامه فيه فوجدته صريحاً فى أنه لا يفيد إلا التخصيص ، لأنه ذكر أنك إذا قلت — رجل جاءني — لم يصلح حتى تريد أن تعلم المخاطب أن الذى جاءك رجل لا امرأة أو لا رجلان ، ويكون كلامك مع من عرف أن قد أتاك آت ، فإن لم ترد ذلك كان الواجب أن تقول — جاءني رجل — ولا شك أن ما ذكره السعد لا يصح عربية لعدم صحة الابتداء بالنكرة إلا عند إرادة التخصيص كما سيأتى ، وإذا لم يصح عربية لم يصح بلاغة .

(٥) هذا إذا كان المنكر مفرداً ، فإذا كان مثنى أو جمعا أفاد تخصيص الجنس أو المثنى أو الجمع .

الكلام قد عرف أن قد أتاك آت ، ولم يدر جنسه أرجل هو أو امرأة ؟
أو اعتقد أنه امرأة ، وتارة إلى الوحدة فقط ، كما إذا عرف أن قد أتاك من
هو من جنس الرجال ، ولم يدر أرجل هو أم رجلان ؟ أو اعتقد أنه رجلان .
واشترط السكاكي ^(١) في إفادة التقديم الاختصاص ^(٢) أمرين :
أحدهما أن يجوز تقدير كونه في الأصل مؤخرأ على أن يكون فاعلا
في المعنى فقط ، كقولك - أنا قمت - فإنه يجوز أن تُقدَّر أصله - قُمتُ أنا -
على أن - أنا - تأكيد للفاعل ^(٣) الذي هو التاء في قمت ، فقَدِّمَ - أنا -
وجعل مبتدأ .

وثانيهما أن يقدر كونه كذلك ، فإن اتفنى الثاني دون الأول
كالمثال المذكور إذا أجرى على الظاهر ، وهو أن يقدر الكلام من الأصل
مبنياً على المبتدأ والخبر ، ولم يقدر تقديم وتأخير ، أو اتفنى الأول بأن يكون
المبتدأ اسماً ظاهراً ^(٤) فإنه لا يفيد إلا تقرري الحكم .

واستثنى المُسَكَّر ^(٥) كما في نحو - رجل جامنى - بأن قدر أصله
- جامنى رجل - لا على أن - رجل - فاعل جامنى ، بل على أنه بدل
من الفاعل الذى هو الضمير المستتر فى جامنى ، كما قيل فى قوله ^(٦) تعالى
(وأمرؤا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) إن (الذين ظلموا) بدل من الواو فى

(١) ١١٩ ، ١٢٠ - المفتاح

(٢) أما تفوية الحكم فلا خلاف فيها بين السكاكى وعبد القاهر ، لأنها
تأتى فى جميع صور التقديم وإن لم تكن مقصودة فى بعضها كما سبق .

(٣) أى وتأكد الفاعل فاعل فى المعنى لا فى اللفظ .

(٤) نحو - زيد قام - فإنه إذا قدر تأخيره يكون فاعلا فى اللفظ والمعنى لافى

المعنى فقط

(٥) أى من ذلك الشرط فلم يشترطه فيه .

(٦) ٣ - ٢ - ٢١

(أُسرُوا) وفَرَّقَ بينه وبين المُعَرَّفِ بأنه لو لم يقدر ذلك فيه انتفى تخصيصه، إذ لا سبب لتخصيصه سواه، ولو انتفى تخصيصه لم يقع مبتدأ (١) بخلاف المعروف لوجود شرط الابتداء فيه وهو التعريف .

ثم قال : وشرطه (٢) ألا يمنع من التخصيص مانع (٣) كقولنا — رجل جاءني — أى لا امرأة أو لا رجلان — دون قولهم — شرٌّ أهره — ذأنا ب — أما على التقدير الأول (٤) فلا متناع أن يراد المُهرُّ شر لا خير (٥) وأما على الثانى (٦) فلكونه نائياً عن مكان استعماله (٧) وإذ قد صرح الأئمة بتخصيصه حيث تأولوه بما أهر ذا ناب إلا شر فالوجه تفضيع شأن الشر بتشكيكه كما سبق (٨) هذا كلامه ، وهو مخالف لما ذكره الشيخ

(١) لأنه لا يجوز الابتداء بالنكرة إلا إذا خصصت ، فإذا كان لها محصص غير ذلك من وصف أو نحوه لم يجب جعل التقديم للتخصيص .
(٢) أى شرط تقدير ذلك فى المنكر ليفيد التخصيص .
(٣) يريد بالمانع انتفاء فائدة التخصيص من رد اعتقاد المخاطب فى قيد الحكم مع تسليم أصله .

(٤) هو أن يكون لتخصيص الجنس .
(٥) لأنه لا يوجد من يتوهم أن الخير يهر السكب حتى يرد عليه بذلك .
(٦) هو أن يكون لتخصيص الواحد .
(٧) لأنه مثل يقال فى مقام الحث على شدة الجزم لدفع هذا الشر لمظلمه ، فإذا أريد أن الذى أهره شر لا شران نافي القصد منه ، لأنه مما يوجب التساهل فى دفعه (٨) من أن التشكيك قد يأتى للتعظيم ، وبهذا يجمع بين قولهم بتخصيصه وقوله بعدمه ، فقولهم بالتخصيص مبنى على جعل التشكيك للتعظيم ، والمعنى شر عظيم أهر ذا ناب لا شر ضعيف ، فيكون التخصيص فى الوصف لا فى جنس الشر ، ويكون له فائدة ، وقوله بعدم التخصيص مبنى على عدم إرادة ذلك من التشكيك ، فيكون التقديم عنده لتقوية الحكم فقط

عبد القاهر ^(١) لأن ظاهر كلام الشيخ فيما يلي حرف النفي القطع بأنه يفيد التخصيص مضمراً كان أو مظهراً معترفاً أو منكرأ من غير شرط ولكنه لم يمثل إلا بالمضمر ، وكلام السكاكي صريح في أنه لا يفيد إلا إذا كان مضمراً أو منكرأ بشرط تقدير التأخير في الأصل ، فنحو — ما زيد قام — يفيد التخصيص على إطلاق قول الشيخ ، ولا يفيد على قول السكاكي ، ونحو — ما أنا قمت — يفيد على قول الشيخ مطلقاً ، وعلى قول السكاكي بشرط ، وظاهر كلام الشيخ أن المعارف إذا لم يقع بعد النفي وخبره مثبت أو منفي قد يفيد الاختصاص مضمراً كان أو مظهراً ، ولكنه لم يمثل إلا بالمضمر ،

(١) من يرجع إلى كلام السكاكي في — المفتاح — يرى أنه حاكي عبد القاهر فيما يفيد تقديم السند إليه على الخبر الفعلي ، فقد رأى في النكرة أن البناء عليها لا يفيد إلا التخصيص كما يرى عبد القاهر ، ولم يخالفه إلا في توجيه ذلك بما لا يؤثر في موافقته له ، وقد رأى فيما يلي حرف النفي ما يراه عبد القاهر ، فلا يصح عنده مثله — ما أنا رأيت أحداً ، ولا ما أنا رأيت إلا زيدا — وكذلك لا يصح عنده — ما زيدا ضربت ولا أحداً من الناس ، ولا ما أنا ضربت زيدا ولا أحد غيري — فالمضمر والمظهر عنده في ذلك سواء ، ولهذا لم يذكر شرط تقدير التأخير فيما يلي حرف النفي ، ولا يوجد في كلامه ما يشعر بحمله على المثبت في هذا الشرط ، وقد رأى في المعارف المثبت أنه يحتمل التخصيص وتقوية الحكم كما يرى عبد القاهر ، ولكنه يرى أن البناء على المظهر لبس كالبناء على المضمر في احتمال هذين الاعتبارين على سواء ، فهو لا يبنى فيه الاختصاص بل بعبده ، ولعل عبد القاهر لم يمثل إلا بالمضمر كما ذكر الخطيب لضعف اعتبار التخصيص في المظهر ، ولعل الخطيب أشار بقوله — لأن ظاهر كلام الشيخ ألح إلى أنه يمكن الجمع بينهما .

فالحق أنه لا خلاف بين عبد القاهر والسكاكي في ذلك كله إلا في التوجيه فقط ، والخلاف في التوجيه لا يؤثر في اتفاقهما على ذلك بشيء ، وما كان أغنى الخطيب عن التطويل بما طول به في هذا الموضع .

وكلام السكاكى صريح في أنه لا يفيد إلا المضمر ، فنحو — زيد قام —
قد يفيد الاختصاص على إطلاق قول الشيخ ، ولا يفيد عند السكاكى ،
ثم فيما احتج به لما ذهب إليه نظر ، إذ الفاعل وتأكيده سواء في امتناع
التقديم ما دام الفاعل فاعلا والتأكيد تأكيداً ، فتجوز تقديم التأكيد دون
الفاعل تحككهم ظاهر ، ثم لا نسلم انتفاء التخصيص في صورة المنكر لولا
تقدير أنه كان في الأصل مؤخرأ فتقدم ، لجواز حصول التخصيص فيها
بالتهويل كما ذكر ^(١) وغير التهويل ، ثم لا نسلم امتناع أن يراد المُنْهَرُ شر
لا خير ، قال الشيخ عبد القاهر : إنما قُدمَ — شر — لأن المراد أن يُعلمَ
أن الذى أهرَّ ذا ناب هو من جنس الشر لا من جنس الخير ^(٢) فبجَرى
جَرى أن تقول — رجل جاءنى — تريد أنه رجل لا امرأة ، وقول العلماء
إنه إنما صلح لأنه بمعنى — ما أهر ذا ناب إلا شر — بيان ذلك ، وهذا صريح
في خلاف ما ذكره .

ثم قال السكاكى ^(٣) ويقرب من قبيل — هو عرف — في اعتبار تقوى الحكم ^(٤)

(١) أى في قولهم — شر أهر ذا ناب — وغير التهويل كالتحقير والتسكين
والتقليل ، ولكن هذا لا يرد على السكاكى ، لأنه إنما يقدر ذلك في النكرة إذا
لم يكن هناك سبب للتخصيص سواء ، نحو — رجل جاءنى — على إرادة الجنس
أو الواحد ، فليس فيه احتمال تهويل ولا غيره .

(٢) ٩٤ — دلائل الإعجاز ، ولكن قد سبق أن التخصيص في مثل هذا لا فائدة
فيه ، وقيل : إن السكب قد يهر في الدفاع عن أصحابه وهو من جنس الخير ،
فيكون على هذا في التخصيص بجنس الشر فائدة ، ولا حاجة مع هذا إلى تسويغ
التخصيص فيه بجعل التنكير للتعظيم كما سبق .

(٣) ١١٩ — المفتاح .

(٤) ظاهر هذا أنه لا يأتي للتخصيص عنده ، وقيل : إنه يأتي عنده أيضاً
للتخصيص . ويدل على هذا ما سيأتى في قوله تعالى (وما أنت علينا بعزير) وما سيأتى
له في باب القصر من إفادة — أنا عارف — الحصر .

— زيد عارف — وإنما قلت — يقرب — دون أن أقول — نظيره —
لأنه لَمْ يَمَّا لم يتفاوت في التكلم والخطاب والغيبة في — أنا عارف، وأنت
عارف، وهو عارف — أشبه الخالي عن الضمير ، ولذلك لم يحكم على
— عارف — بأنه جملة ولا غومل معاملتها في البناء ^(١) حيث أغرب
في نحو — رجلٌ عارفٌ، رجلاً عارفاً، رجلٍ عارفٍ — واتَّبَعَهُ في حكم
الإفراد، نحو — زيد عارف أبوه — يعني أتبع عارف عرف في الإفراد
إذا أسند إلى الظاهر مفرداً كان أو مثني أو مجموعاً ^(٢)

ثم قال : وما يفيد التخصيص ما يحكيه عُلِّتْ كُتِبَتْ عن قوم شعيب عليه
السلام (وما أنت علينا بعزير ^(٣)) أي العزيز علينا يا شعيب رهطك لا أنت ^(٤)
لكونهم من أهل ديننا ، ولذلك قال عليه السلام في جوابهم : (أرهطى أعزُّ
عليكم من الله) أي من نبي الله ، ولو كان معناه معنى — ما عززت علينا — لم يكن
مطابقاً . وفيه نظر ، لأن قوله (وما أنت علينا بعزير) من باب — أنا عارف —
لا من باب — أنا عرفت ^(٥) والتمسك بالجواب ليس بشيء ، لجواز أن يكون

(١) المراد به عدم ظهور إعرابها ، لأنه لا يلزم البناء فيها .

(٢) فلا تلحقهما علامة التثنية ولا علامة الجمع .

(٣) — ي — ٩١ — س — ١١ .

(٤) يفيد التخصيص مع تقوية الحكم .

(٥) هذا لا يرد على السكاكي عند من يرى أنه لا فرق عنده بين البابين في احتمال
إفادة التخصيص وتقوية الحكم ، ولكن الحق خلاف ما ذهب إليه السكاكي
من التسوية بين البابين ، بدليل أنه لو كان نحو — زيد عارف — يفيد تقوية
الحكم لما صح خطاب خالي الدهن به ، وهو خلاف ما سبق عن أبي العباس
في جواب الكندي في باب الإسناد الجبري من الفرق بين — عبد الله قائم ،
وإن عبد الله قائم ، وإن عبد الله لقائم .

عليه السلام فهم كون رهطه أعز عليهم من قولهم (وَلَوْ لَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ)
وقال الزمخشري : دل إيلاء ضميره حرف النفي على أن الكلام في الفاعل
لا في الفعل ، كأنه قيل : وما أنت علينا بعزير بل رهطك هم الأعزة علينا^(١)
وفيه نظر ، لأننا لنسلم أن إيلاء الضمير حرف النفي إذا لم يكن الخبر فعلياً يفيد
الخصر ، فإن قيل : الكلام واقع فيه وأنهم الأعزة عليهم دونه ، فكيف صح
قوله (أرهطى أعز عليكم من الله) قلنا : قال السكاكي : معناه من نبي الله ،
فهو على حذف المضاف ، وأجود منه ما قال الزمخشري : وهو أن تهاونهم
به وهو نبي الله تهاون بالله ، فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه أعز عليهم
من الله ، ألا ترى إلى قوله^(٢) تعالى (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ)

(١) فيكون الزمخشري في هذا موافقاً للسكاكي ، ويرى مثله أن نحو
— زيد عارف — من قبيل — هو عرف — في إفادة التقوية والتخصيص .

(٢) — ي — ٨٠ — س — ٤

هذا ومما ورد من الشعر في إفادة التقديم التقوية أو التخصيص قول جرير :

إن العيون التي في طرفها مرض قتلنا ثم لم يحيين قتلنا
بصر عن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله أركاناً
وقول بعضهم :

كانت قناتي لاتلين لغامز فالأنها الإصباح والإمساء
ودعوت ربي بالسلامة جاهداً ليصحنى فإذا السلامة داء
وقول الآخر :

لمست بكفى كفه أبتغى الغنى ولم أدر أن الجود من كفه يعدى
فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى أفدت وأعداني فأتلفت ما عندي

ويجوز أن يقال : لا شك أن همزة الاستفهام هنا ليست على بابها ، بل هي للإنكار للتوبيخ ، فيكون معنى قوله (أرهطى أعز عليكم من الله) إنكار أن يكون مانعهم من رجه رهطه لانتسابه إليهم دون الله تعالى مع انتسابه إليه أيضاً ، أى أرهطى أعز عليكم من الله حتى كان امتناعكم من رجى بسبب انتسابي إليهم بأنهم رهطى ، ولم يكن بسبب انتسابي إلى الله تعالى بآنى رسوله ، والله أعلم .

ونما يرسى تقديمه ^(١) كاللازم لفظ — مثل إذا استعمل كناية من من غير تعريض ^(٢) كما في قولنا — مثلك لا ييخل — ونحوه مما لا يرد بلفظ — مثل — غير ما أضيف إليه ، ولكن أريد أن من كان على الصفة التي هو عليها كان من مقتضى القياس وموجب العرف أن يفعل ما ذكر أو ألا يفعل ^(٣) ولكون المعنى هذا ^(٤) قال الشاعر :

(١) أى على الخبر الفعلى ، ويلحق بلفظ — مثل — ما هو بمعناه كلفظ — شبه ونظير — وإنما كان التقديم فيها كاللازم ولم يكن لازماً لأنه لا شيء يوجب من جهة القياس ولا من جهة الكناية ، وإنما هو مما يساعد على الغرض المقصود منها ، وهى حاصلة مع التقديم والتأخير ، فليس هذا اللازم إلا فى استعمال البقاء .

(٢) أى بغير ما أضيف إليها ، فلو أريد بها غيره لم يلزم تقديمها لأنها تخرج من الكناية إلى الحقيقة ، كما فى قول أبى إسحاق الصابى :

تشابه دمى إذ جرى ومدامتى فمن مثل ما فى الكأس عيني تسكب
فليس المراد بالتعريض هنا التعريض المحدود من الكناية ، وإنما المراد به معناه اللغوى وهو الإشارة على وجه الإجمال .

(٣) هذا يلزمه أنه هو نفسه يفعله أولاً يفعله ، فالكناية فى ذلك من إطلاق المللزم وإرادة اللازم .

(٤) أى على أنه لا يرا بمثل غير ما أضيفت إليه .

ولم أقل مثلك أعنى به سواك يا فَرْدَاً بلا مُشَبِّه (١)
وعليه قوله :

مثلك يثنى الحزنَ عن صَوْبِهِ ويستردُّ الدَّفْعَ عن غَرَبِهِ (٢)
وكذا قول القَبْعَثَرِي (٣) للحجاج لما توعده بقوله — لأحملنك على
الأدحم والأشهب : مثل الأمير حمل على الأدحم والأشهب (٤) أى من كان على
هذه الصفة من السلطان وبسطة اليد ، ولم يقصد أن يجعل أحداً مثله .
وكذلك حكم — غير — إذا سُلِكَ بهذا المسلك (٥) فقيل — غيرى يفعل ذاك —

(١) هو لأبى الطيب أحمد بن الحسين المعروف بالمتنبى ، ومثلك فيه مفعول
— أقل — على حكايته فى البيت الآتى بعده لأنه قبله فى القصيدة .

(٢) هو المتنبى أيضاً من قصيدة له فى الرثاء ، وقوله — يثنى الحزن —
بمعنى يكفه بالصبر ، والصوب الجهة ، والغرب عرق فى العين يجرى منه الدمع ،
وفى رواية — يثنى المزن — وهو السحاب . وهى خلاف رواية الديوان ،
ولا تناسب مقام الرثاء .

(٣) الصواب ابن القبعثرى ، وهو الغضبان بن القبعثرى الشيبانى ، وكان ممن
خرج على الحجاج بن يوسف الثقفى .

(٤) الأدحم فى كلام الحجاج بمعنى القيد من الحديد ، وفى كلام الغضبان بمعنى
الفرس الأسود ، وسيأتى هذا فى الكلام على تلقى المخاطب بغير ما يترقب .

(٥) فلم يقصد بها سوى ما أضيف إليها ، فإن قصد بها سوى ما أضيف إليها
لم يلزم تقديمها ، كما فى قول الشاعر :

غيرى جنى وأنا المعاقب فيكم فكأننى سبابة المنتدم
ويعطى حكم — غير — فى ذلك ما أعناها مثل — سوى وسواء ونحوهما — ومن
ذلك قول ابن سناء الملك :

سواى يهاب الموت أو يرهب الردى وغيرى يهوى أن يعيش مخلداً

على معنى - أئى لأفعله ^(١) من غير إرادة التعريض بإنسان ^(٢) وعليه قوله :

غيرى بأكثر هذا الناس ينخدع ^(٣)

فإنه معلوم أنه لم يُرِدْ أن يُعَرِّضَ بواحد هناك فيصفه بأنه ينخدع ، بل أراد أنه ليس ممن ينخدع ، وكذا قول أبى تمام :

وغيرى يأكل المعروف سُخْتاً وَيَشْحَبُ عنده يعضُ الأيادى ^(٤)

فإنه لم يُرِدْ أن يعرض بشاعر سواه فيزعم أن الذى قُصِرَ به عند الممدوح من أنه هجاه كان من ذلك الشاعر لا منه ، بل أراد أن ينفى عن نفسه أن يكون ممن يكفر النعمة ويلتؤم لا غير .

واستعمال - مثل وغير - هكذا مركوز فى الطباع ، وإذا تصفحت الكلام وجدتهما يُقدِّمانِ ابداً على الفعل إذا نُحِىَ بهما نحو ما ذكرناه ، ولا يستقيم المعنى فيهما إذا لم يُقدِّما ، والسر فى ذلك أن تقديمهما يفيد

(١) هذا أيضاً بطريق السكناية كما فى لفظ - مثل - وهى من إطلاق الملتزم وإرادة اللزوم أيضاً ؛ لأنه إذا كان غيره هو الذى يفعله لزم أنه هو لا يفعله بحكم المقابلة ، وإذا كان غيره لا يفعله لزم أنه هو يفعله ، لأنه لا بد له من محل يقوم به .
(٢) لا يعنى به التعريض الآتى فى السكناية ، وإنما يعنى به قصد إنسان غير المخاطب على طريق الحقيقة كما سبق .

(٣) هو من قول أبى الطيب أحمد بن الحسين المعروف بالمتنبى :

غيرى بأكثر هذا الناس ينخدع إن قاتلوا جنبوا أو حدثوا شجعوا

يريد أنهم جنباء فى قتالهم شجعان فى حديثهم ، فلا تصدق أفعالهم أقوالهم .

(٤) هو من قول حبيب بن أوس المعروف بأبى تمام ، والسحت الحرام ، ويعنى

بذلك أنه لا يجحد المعروف فياً كله سحتاً ، وقوله - يشحب - من الشحوب وهو فى الأصل تغير اللون ، والأيدى النعم .

تقوَّى الحكم كما سبق تقريره ، وسيأتى أن المطلوب بالكناية فى مثل قولنا - مثلك لا يخل وغيرك لا يوجد - هو الحكم ^(١) وأن الكناية أبلى من التصريح فيما قصد بها ، فكان تقديمها أعون للمعنى الذى جلبنا لأجله .

قيل ^(٢) وقد يقدم ^(٣) لأنه دالٌّ على العموم ^(٤) كما تقول - كل إنسان لم يقم - فيقدم ليفيد نفي القيام عن كل واحد من الناس ، لأن الموجبة المعدولة المهمة ^(٥) فى قوة السالبة الجزئية المستلزمة نفي الحكم عن جملة

(١) لأنه من قسم الكناية التى يطلب بها نسبة .

(٢) ١٣ - الصباح - للبدرين مالك - المطبعة الخيرية .

(٣) أى المسند إليه على الخبر الفعلى .

(٤) لا يخفى أن دلالة التقديم هنا على العموم دلالة لغوية لا وجه لذكرها هنا ، وإن كانت تدل على دقة العربية فى ترتيب كلامها ، وإنما ينظر هنا إلى أن نحو - كل إنسان لم يقم - يفيد تقوية حكم العموم ، بخلاف نحو - لم يقم إنسان - فهو داخل فى تقديم المسند إليه على الخبر الفعلى ، وما كان أغنى الخطيب عن الإطالة فى هذا البحث الذى لا صلة له بهذا العلم ، وإنما هو أشبه بعلم المنطق .

(٥) المعدولة هى التى وقع النفي جزءاً من موضوعها أو محمولها ، والمهمة هى التى لم تسور بسور كلى أو جزئى ، والمراد بالموجبة للمعدولة المهمة هنا جملة - إنسان لم يقم - قبل دخول - كل - عليها ، فهى فى قوة السالبة الجزئية أى - لم يقم بعض الانسان - فكل منهما يفيد نفي الحكم عن جملة الأفراد لا عن كل واحد منها .

الأفراد دون كل واحدة منها ، فإذا سورت بكل وجب أن تكون لإفادة العموم لا لتأكيد نفي الحكم عن جملة الأفراد ، لأن التأسيس خير من التأكيد ^(١) ولو لم تقدم فقلت — لم يقيم كل إنسان — كان نفيًا للقيام عن جملة الأفراد دون كل واحد منها ^(٢) لأن السالبة المهمة ^(٣) في قوة السالبة الكلية ^(٤) المقتضية سلب الحكم عن كل فرد لورود موضوعها في سياق النفي ^(٥) فإذا سورت بكل وجب أن تكون لإفادة نفي الحكم عن جملة الأفراد ، لئلا يلزم ترجيح التأكيد على التأسيس . وفيه نظر ، لأن النفي عن جملة الأفراد في الصورة الأولى — أعني الموجبة المعدولة المهمة — كقولنا — إنسان لم يقيم — وعن كل فرد في الصورة الثانية — أعني السالبة المهمة — كقولنا — لم يقيم إنسان — إنما أفاده الإسناد إلى إنسان — فإذا أضيف — كل — إلى إنسان وحوّل الإسناد إليه ، فأفاد في الصورة الأولى نفي الحكم عن جملة الأفراد ، وفي الثانية نفيه عن كل فرد منها ، كان — كل — تأسيساً لا تأكيداً ، لأن التأكيد لفظ يفيد تقوية ما يفيد لفظ آخر ، وما نحن فيه ليس كذلك ، ولئن سلمنا أنه يسمى تأكيداً ^(٦) فقولنا — لم يقيم إنسان —

(١) يريد بالتأسيس إفادة معنى جديد ، وبالتأكيد خلافه .

(٢) هذا باعتبار الغالب ، وقد يتقدم النفي على — كل — ويكون المعنى على عموم النفي ، كما في قوله تعالى (والله لا يحب كل كفار أثيم) — ي — ٢٧٦ — س — ٢ — وقيل : إن دلالة هذا ونحوه على عموم النفي ليس بأصل الوضع ، وإنما هو بمعونة القرائن .

(٣) هي جملة — لم يقيم إنسان .

(٤) هي جملة — لا شيء من الإنسان بقائم .

(٥) لأن النكرة في سياق النفي نعم .

(٦) بالأيراد التأكيد الاصطلاحي ، وإنما يراد به أن — كل — أفادت معنى

كان مستفاداً قبلها ، ويقصد الخطيب أنه إذا سلم هذا صح توجيهه في الصورة الأولى دون الثانية .

إذا كان مفيداً للنفي عن كل فرد كان مفيداً للنفي عن جملة الأفراد لا محالة ، فيكون كل في — لم يقم كل إنسان — إذا جعل مفيداً للنفي عن جملة الأفراد تأكيداً لا تأسيساً ، كما قال في — كل إنسان لم يقم — فلا يلزم من جعله للنفي عن كل فرد ^(١) ترجيح التأكيد على التأسيس ^(٢) ثم جعله قولنا — لم يقم إنسان — سالبة مهمة في قوة سالبة كلية مع القول بعموم موضوعها لوروده منكراً في سياق النفي خطأ ، لأن النكرة في سياق النفي إذا كانت للعموم كانت القضية التي جعلت هي موضوعاً لها سالبة كلية ، فكيف تكون سالبة مهمة ^(٣) ولو قال — لو لم يكن الكلام المشتمل على كلية — كل — مفيداً لخلاف ما يفيد الخالي عنها لم يكن في الإتيان بها فائدة — لثبت مطلوبه في الصورة الثانية دون الأولى ، لجواز أن يقال : فائدته فيها الدلالة على نفي الحكم عن جملة الأفراد بالمطابقة ^(٤) .

(١) أى لا يلزم من جعل — لم يقم كل إنسان — لعموم السلب مثل — لم يقم إنسان .

(٢) إذ لا تأسيس مع هذا أصلاً ، وإنما يلزم ترجيح أحد التأكيدين على الآخر بلا مرجح وهو باطل ، ويكون هذا هو التوجيه الصحيح في الصورة الثانية لا ما ذكره من لزوم ترجيح التأكيد على التأسيس .

(٣) أجب عن هذا بأنه جرى على اصطلاح علم المنطق ، لأن هذه القضية خالية من سور السلب الكلى ، وهو — لا شيء — ونحوه ، فتسكون مهمة لا سالبة كلية .

(٤) لأن قولنا — إنسان لم يقم — يدل بالمطابقة على نفي الحكم عن بعض الأفراد ، ولا يحتمل المجموع إلا بدلالة الالتزام ، أما — كل إنسان لم يقم — فإنه إذا جعل لنفي الحكم عن المجموع تكون دلالة عليه بالمطابقة .

واعلم أن ما ذكره هذا القائل من كون - كل - في النفي مفيدة للعموم تارة وغير مفيدة أخرى مشهور ^(١) وقد تعرض له الشيخ عبد القاهر وغيره . وقال الشيخ ^(٢) كلمة - كل - في النفي إن أُدْخِلَتْ في حَيْزِهِ بَأَن قُدِّمَ عليها لفظاً ، كقول أبي الطيب :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه ^(٣)

وقول الآخر :

ما كل رأى الفتي يدعو إلى رشد ^(٤)

وقولنا — ما جاء القوم كلهم ، وما جاء كل القوم ، ولم آخذ الدراهم كلها ، ولم آخذ كل الدراهم — أو تقديرأ ^(٥) بَأَن قُدِّمَتْ على الفعل المنفي وأَعْمِلَ فيها ، لأن العامل رتبته التقديم على المعمول ، كقولك — كل الدراهم لم آخذ — توجه النفي ^(٦) إلى الشمول خاصة دون أصل الفعل ، وأفاد الكلام بثبوته لبعض أو تعلقه ^(٧) ببعض .

وإن أخرجت من حيزه بَأَن قدمت عليه لفظاً ولم تكن معمولة للفعل المنفي توجه النفي إلى أصل الفعل ، وعمَّ ما أضيف إليه

(١) فهو مسلم في ذاته ، ولم يرد الخطيب بما سبق إلا بإبطال توجيه ابن مالك له ، لأنه يرجع في الحقيقة إلى أصل الوضع ، لا إلى تلك التكاليف المنطقية السابقة .

(٢) ١٨٦ — دلائل الإعجاز .

(٣) هو من قول أبي الطيب أحمد بن الحسين المعروف بالمتنبي :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن
والشهور رواية — كل — بالرفع ، وقد جوز ابن جني نصبها على الاشتغال .

(٤) هو من قول إسماعيل بن القاسم المعروف بأبي العتاهية :

ما كل رأى الفتي يدعو إلى رشد إذا بدا لك رأى مشكل فقف

(٥) معطوف على — لفظاً (٦) هذا جواب — إن

(٧) إفادة الثبوت فيما يكون — كل — فيه فاعلا في المعنى ، وإفادة التعلق فيما يكون فيه مفعولا في المعنى .

— كل — كقول النبي صلى الله عليه وسلم لما قال له ذو اليمين ^(١)
أَقْصُرَتِ الصَّلَاةُ أَمْ نَسِيتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ «كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ ، أَى لَمْ يَكُنْ
واحد منهما : لا القصر ولا النسيان ، وقول أبي النجم :

قد أصبحتُ أُمُّ الْخِيَارِ تَدْعِي عَلَى ذَنْبِ كُلِّهِ لَمْ أَصْنَعْ ^(٢)
ثم قال : وعلة ذلك أنك إذا بدأت بكل كنت قد بنيت النفي عليه
وَسَلَّطْتَ السَّكِيَّةَ عَلَى النَّفْيِ وَأَعْمَلْتَهَا فِيهِ ، وإعمال معنى السككية في النفي يقتضى
أَلَا يَشِدُّ شَيْءٌ عَنِ النَّفْيِ ، فاعرفه . هذا لفظه ، وفيه نظر ^(٣)

وقيل : إنما كان التقديم مفيداً للعموم دون التأخير لأن صورة التقديم
تفهم سلب لحق المحمول للموضوع ^(٤) وصورة التأخير تفهم سلب الحكم
من غير تعرض للمحمول بسلب أو إثبات . وفيه نظر أيضاً ، لاقتضائه
أَلَا تَكُونُ — ليس — فى نحو قولنا — ليس كل إنسان كاتباً — مفيدة

(١) هو الحرباق أو العرياض بن عمرو .

(٢) هو للفضل بن قدامة المعروف بأبي النجم ، والرواية برفع — كله —
على أنه مبتدأ خبره جملة — لم أصنع — والرابط محذوف أى لم أصنعه .

(٣) لعل وجه النظر ما قيل إن تمثيله بما جاء القوم كلهم ليس بجيد ، لأن
— كلهم — هنا ليس مسنداً ولا مسنداً إليه بل هو تأكيد ، ولكن سلب العموم
هنا فى الألف واللام فى القوم ، ومثل هذا تمثيله بلم آخذ الدراهم كلها ، وإنى أرى
أن المثالين من باب عموم السلب لا من باب سلب العموم ، و — كل — فيهما
تفيد شمول النفي كما تفيد شمول الإثبات فى نحو — جاء القوم كلهم — لأن الغرض
من التوكيد واحد فيهما ، وهو إفادة الشمول فى النسبة لإثباتا كانت أو نفيًا .

(٤) المراد بالموضوع لفظ إنسان فى قولنا — كل إنسان لم يقم ، وليس كل إنسان قائماً —
لا لفظ — كل — وهذا اصطلاح أهل المنطق ، وإنما أفادت صورة التقديم ذلك
لانصال النفي فيه بالمحمول دون الحكم ، لأنها موجبة معدولة المحمول .

لنفي كاتب ، هذا إن حمل كلامه على ظاهره ، وإن تَوَوُّلَ بأن مراده أن التقديم يفيد سلب لحوق المحمول عن كل فرد ، والتأخير يفيد سلب لحوقه لكل فرد اندفع هذا الاعتراض ، لكن كان مصادرة على المطلوب (١)

واعلم أن الْمُعْتَمَدَ في المطلوب الحديث وشعر أبي النجم ، وما نقلناه عن الشيخ عبد القاهر وغيره لبيان السبب ، وثبوت المطلوب لا يتوقف عليه ، والاحتجاج بالخبر من وجهين : أحدهما أن السؤال بأم عن أحد الأمرين لطلب التعيين بعد ثبوت أحدهما عند المتكلم على الإبهام ، فجوابه إما بالتعيين أو بنفي كل واحد منهما (٢) وثانيهما مَرُوي أنه لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل ذلك لم يكن ، قال له ذو اليمين : بعض ذلك قد كان . والإيجاب الجزئي نقيضه السلب الكلي ، ويقول (٣) أبي النجم ما أشار إليه الشيخ عبد القاهر ، وهو أن الشاعر فصيح ، والفصيح الشائع في مثل قوله نصب كل (٤) وليس فيه ما يكسر له وزناً ، وسياق كلامه أنه لم يأت بشيء مما ادَّعت عليه هذه المرأة ، فلو كان النصب مفيداً لذلك والرفع

(١) لأن الدليل حينئذ يكون عين المطلوب .

(٢) والجواب لم يحصل بالتعيين ، فتعين أنه بنفي كل واحد منهما ، وهذا هو عموم السلب . (٣) معطوف على قوله — بالخبر — فهو متعلق بالاحتجاج مثله .

(٤) لأن في الرفع تهئية العامل للعمل ثم قطعه عنه وذلك ضعيف غير فصيح ، بل ذهب ابن هشام وغيره إلى منعه ، وقد أجازته سيبويه احتجاجاً بقول الشاعر :

ثلاث كلهن قتلت عمداً

هذا ومما جاء فيه تقديم — كل — على النفي وتأخيرها عنه قول دعبل الخزاعي

فو الله ما أدرى بأى سهامها رمتني وكل عندنا ليس بالمسكدي

أبا الجيد أم مجرى الوشاح وإنني لأنهم عينيها مع الفاحم الجعد

وقول أبي الأسود :

وما كل ذى لب بمؤتيك نصحه وما كل مؤت نصحه بلبيب

غير مفيد لم يعدل عن النصب إلى الرفع من غير ضرورة .
ومما يجب التنبيه له في فصل التقديم أصل ، وهو أن تقديم الشيء على
الشيء ^(١) ضربان :

١ . تقديم على نية التأخير ، وذلك في شيء أقرّ مع التقديم على حكمه الذي
كان عليه ، كتقديم الخبر على المبتدأ والمفعول على الفاعل ، كقولك — قائم زيد ،
وضرب عمرا زيد — فإن — قائم وعمرا — لم يخرج بالتقديم عما كانا عليه
من كون هذا مسنداً ومرفوعاً بذلك ، وكون هذا مفعولاً ومنصوباً من أجله .
وتقديم لا على نية التأخير ، ولكن على أن ينقل الشيء عن حكم إلى حكم ،
ويجْعَل له إعراب غير إعرابه ، كما في اسمين يحتمل كل منهما أن يجعل
مبتدأً والآخر خبراً له ، فَيُقَدِّمُ تارة هذا على ذاك وأخرى ذاك على
هذا ، كقولنا — زيد المنطلق ، والمنطلق زيد — فإن المنطلق لم يقدم على أن
يكون متروكاً على حكمه الذي كان عليه مع التأخير ، فيكون خبر مبتدأ كما كان ،
بل على أن ينقل عن كونه خبراً إلى كونه مبتدأً ، وكذا القول في تأخير زيد .
أغراض التأخير :

وأما تأخيره فلا قتضاء للمقام تقديم المسند ^(٢)

وقول الآخر :

إن العلم والطبيب كلاهما لا ينصحان إذا هما لم يكرما

(١) هذا تقسيم قد مهد به عبد القاهر في — دلائل الإعجاز — للكلام
على التقديم والتأخير ، وهو عام في تقديم المسند إليه وتقديم المسند وتقديم غيرهما ،
وتقديم المسند إليه يكون دائماً من القسم الثاني ، لأن رتبته التقديم فلا يأتي فيه
تقديم على نية التأخير .

(٢) سيأتي في الكلام على المسند بيان أغراض تقديمه ، وذلك كتخصيصه
بالمسند إليه في نحو قوله تعالى (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) — ي — ٦ — م — ١٠٩
وكالتشويق إلى ذكر المسند في قول الشاعر :

ثلاثة تشرق الدنيا بهجتها شمس الضحى وأبو إسحاق والفر

تمريبات على التقديم والتأخير

تمرين — ١

(١) لماذا قدم للسند إليه في قول الشاعر :

أنا لا أختار تعجيل يد قطعها أجل من تلك القبل

(٢) لماذا أخر السند إليه أولا وقدم ثانيا في قوله تعالى (لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون)

— ي — ٤٧ — س — ٣٧

تمرين — ٢

(١) أى الأمرين — التخصيص وتقوية الحسك — يقصد من قول الشاعر :

أنا الذى نظن الأعمى إلى أدبى وأسمعت كلانى من به صمم

(٢) لماذا أخر للسند إليه أولا وقدم آخره في قول الشاعر :

وكلنار الحياة فمن رماد أواخرها وأولها دخان

تمرين — ٣

(١) ماذا تدل عليه — سوى — من السكناية أو الحقيقة في قول الشاعر :

وإذا تباع كريمة أو تشترى فسواك بائعها وأنت المشتري

(١) ماذا تدل عليه — كل — من سلب العموم أو عموم السلب في قولهم — ما كل

سوداء تمر ، وما كل بيضاء شحمة .

تمرين — ٤

(١) لماذا أخر — كل — على النفي في قول الشاعر :

فيا لك من ذى حاجة حيل دونها وما كل ما يهوى امرؤ هو نائله

(٢) لماذا قدم السند إليه في قول الشاعر :

خير الصنائع فى الأنام صنيعه تنبو بحاملها عن الإذلال

تمرين - ٥

(١) لماذا قدمت - سوي وغير - في قول الشاعر :

سواى بتحنان الأغاريد يطرب وغيرى باللذات يلهو ويلعب

(٢) لماذا أخر المسند إليه في قول الشاعر :

إذا نطق السفية فلا تجبه فخير من إجابته السكوت

تمرين - ٦

(١) ما أحسن طريق يختار في إثبات إفادة - كل - عموم السلب إذا وقعت قبل النفي ،

وسلب العموم إذا وقعت بعده ؟

(٢) أى فائدة لتقسيم عبد القاهر التقديم إلى تقديم على نية التأخير وتقديم لا على

نية التأخير ؟

تمرين - ٧

قال بعض الشعراء :

أحيأونا لا يرزقون بدرهم ويألف ألف ترزق الأموات

فلماذا أتى بالشرط الأول جملة اسمية خبرها فعلى دون الثانى ؟

(٢) من أى قسمي التقديم قوله تعالى (قال أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم)

- ١٩ - ٤٦ - س

تمرين - ٨

(١) لماذا أخر المسند إليه في قول الشاعر :

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل عفاف وإقدام وحزم ونائل

(٢) لماذا قدم المسند إليه في قول الشاعر :

وما أنا بمن تأسر الحجر لبه ويملك سمعيه اليراع المنقب

تخریج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر : وضع المضمر موضع المظهر :

هذا كله مُقتَضَى الظاهر ^(١) وقد يُخرَج المسند إليه على خلافه ،
فَيُوضَع المضمر موضع المظهر ، كقولهم ابتداء من غير جرئٍ ذِكْرٍ
لَفْظاً أَوْ قَرِینَةً حال — نعم رجلاً زید ، وبئس رجلاً عمرو — مكان
نعم الرجل وبئس الرجل ، على قول من لا يرى الأصل — زید نعم رجلاً ،
وعمر و بئس رجلاً ^(٢) وقولهم — هو زید عالم ، وهی عمرو شجاع ^(٣) مكان
— الشأن زید عالم ، والقصة عمرو شجاع — ليتمكن في ذهن السامع
ما يعقبه ^(٤) فإن السامع متى لم يفهم من الضمير معنى بقي مُنتَظِراً لِعُقْبِي
الكلام كيف تكون ؟ فيتمكن المسموع بعده في ذهنه فضل تمكن ، وهو

(١) أي مقتضى ظاهر الحال على ما سبق في باب الإسناد الخبري ، واسم الإشارة
يعود إلى كل ما سبق من الكلام على أحوال المسند إليه ، وقيل : إنه يستثنى منه
توجيه الخطاب لغير معين ، لأنه من تخريجه على خلاف مقتضى الظاهر .

(٢) من لا يراه يجعل المخصوص خبر مبتدأ محذوف ، فيكون الضمير الفاعل
عائداً على معقول معهود في الذهن ، أما الذي يرى أن الأصل — زید نعم
رجلاً — فلا يكون عنده من التخریج على خلاف مقتضى الظاهر ، لأنه يجعل
المخصوص مبتدأ مؤخرأ ، وما قبله خبر عنه ، فيكون الضمير الفاعل عائداً
على مذکور متقدم رتبة .

(٣) الأولى أن يذكر بدله — وهی هند مليحة — لأن ضمير القصة لا بد
معه من أن يكون في الكلام مؤنث غير فضلة أو شبيه بها ، فلا يقال — إنها بنيت
عرفة — ولا — إنها كان القرآن معجزة .

(٤) هذا هو الاعتبار الذي اقتضى تخریج السند اليه في ذلك على خلاف مقتضى
الظاهر ، ولكنه لا يأتى في باب — نعم — لأنه لا يعلم أن فيها ضميراً قبل سماع مفسره ،
ومثل ضمير — نعم — وضمير الشأن في ذلك كل ضمير يتقدم مرجعه حكماً ويتأخر

السّر في التزام تقديم ضمير الشأن أو القصة ، قال الله (١) تعالى (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) وقال (إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) (٢) وقال (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ) (٣)

وضع المظهر موضع المضمّر :

وقد يُعكّسُ فيُوضَعُ المظهر موضع المضمّر ، فإن كان المظهر اسم إشارة فذلك إما لجمال العناية بتمييزه لاختصاصه بحكم بديع ، كقوله :
كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذي ترك الأوهام حائرة وصير العالم التّخريّر زنديقا (٤)

لفظاً ورتبة ، كما في قولك — ربه فتي — وكما في قوله تعالى (وأسرّوا النّجوى

الذين ظلموا) — ي — ٣ — س — ٢١ — وكما في قول الشاعر :

جفوني لم أجف الأخلاء إنّي لغير جميل من خليلى مهمل

(١) — ي — ١ — س — ١١٢

(٢) — ي — ١١٧ — س — ٢٣

(٣) — ي — ٤٦ — س — ٢٢

(٤) هما لأحمد بن يحيى المعروف بابن الراوندى ، وكان يرمى بالزندقة ،

وقيل : إنه كان من المتصوفة ، وكل من — عاقل — الثانية — وجاهل — الثانية صفة للأولى منهما على معنى كامل في العقل وكامل في الجهل ، وليس ذلك من التأكيد اللفظي ، لأنه إنما يكون لدفع توهم سهو أو نحوه وهو غير محتمل هنا ، وقوله — أعيت مذاهبه — بمعنى أعجزته طرق معاشه أو أعيت عليه متعديّة أولاًزمة ، والأوهام يراد بها العقول من تسميه المحل باسم الحال على المجاز المرسل ، والتحرير من — نحر الأمور علماً — أثقنها ، والزندق الذي يبطن الكفر ويظهر الإسلام ، والشاهد في اسم الإشارة لأنه يعود إلى الحكم

وإما للتهكم بالسامع ، كما إذا كان فاقده البصر أو لم يكن ثمَّ مشار إليه أصلاً ^(١) وإما للنداء على كمال بلاذته بأنه لا يدرك غير المحسوس بالبصر ، أو على كمال فطاطته بأن غير المحسوس بالبصر عنده كالمحسوس عند غيره ، وإما لادعاء أنه كمل ظهوره حتى كأنه محسوس بالبصر ، ومنه في غير باب المسند إليه قوله :

تَسْعَالَسْتُ كى أَشْجَى وَمَا بِكَ عِلَّةٌ تريدن قتلى قد ظفرت بذلك ^(٢)
وإما لنحو ذلك ^(٣)

وإن كان المظهر غير اسم إشارة فالعدول إليه عن المضمحل إما لزيادة التمكن ^(٤)

السابق عليه ، وهو كون العاقل محروماً والجاهل مرزوقاً ، فالتمام للضمير لأن هذا الحكم غير محسوس ، واسم الإشارة موضوع للمحسوس ، والحكم البديع الذى أسند إلى اسم الإشارة هو جعل الأوهام حائرة والعالم التحرير زنديقاً .

(١) كأن يقول لك أعمى : أتشهد أن زيدا ضربى ؟ فتقول له — نعم ذلك الذى فى جانبك — سواء أكان فى جانبه أم لم يكن .

(٢) هو لمرة بن عبد الله الهلالى كما رواه المبرد ، وقيل : إنه لعبد الله بن الدميثة ، وقوله — تعالت — بمعنى ادعاء العلة ، وقوله — أشجى — بمعنى أحزن ، والشاهد فى وضع اسم الإشارة موضع الضمير لأن الظاهر أن يقال قد ظفرت به أى بالقتل ، والداعى إلى ذلك هو ادعاء كمال ظهوره حتى كأنه محسوس بالبصر .

(٣) كالإشارة إلى بعده ، ويمكن أن يحمل عليه ما فى البيت السابق أيضاً ، بأن يكون مراده به الإشارة إلى بعد قتله لسكال شجاعته .

(٤) هذا إذا كان اللقاع يقتضى الاعتناء بالمسند إليه .

كقوله (١) تعالى (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ) ونظيره من غيره قوله (وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ (٢)) وقوله (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَاهُ عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا (٣)) وقول الشاعر :

إن تسألوا الحقَّ نعطِ الحق سائله (٤)

بدل — نعطكم إياه .

وإما لإدخال الرُّوع في ضمير السامع وتربية المهابة ، وإما لتقوية داعي المأمور (٥) مثالها قول الخلفاء - أمير المؤمنين يأمر بكذا - وعليه من غيره (فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ (٦)) . وإما للاستعطاف ، كقوله :

(١) — ي — ٢٠١ — س — ١١٢

(٢) — ي — ١٠٥ — س — ١٧

(٣) — ي — ٥٩ — س — ٢

(٤) هو قول عبد الله بن عتبة الضبي :

إن تسألوا الحق نعط الحق سائله والدرع عقيقة والسيف مقروب والمحبة المشدودة في الحقيقة ، والمقروب الموضوع في قرابه ، وسيأتي هذا البيت مع بيت قبله في شواهد الالتفات .

(٥) أي إلى امتثال ما أمر به .

(٦) — ي — ١٥٩ — س — ٣ — لأنه لم يقل فيه — فتوكل على — ولكنه من باب تقوية داعي المأمور إلى الامتثال ، لا من باب إدخال الرُّوع في ضمير السامع ، لأن الاطمئنان بالتوكل لا يناسبه الرُّوع من الطمأن إليه .

إلهي عبدك العاصي أتاكا (١)

وإما لنحو ذلك (٢).

الالتفات:

قال السكاكي (٣) هذا (٤) غير مختص بالمسند إليه ، ولا بهذا القدر (٥)

(١) هو من بيتين لا يعلم قائلهما :

إلهي عبدك العاصي أتاكا مقرا بالذنوب وقد دعاكا

فإن تغفر فأنت لئلك أهل وإن تطرد فمن يرحم سواكا

والشاهد في قوله — عبدك — فلم يقل أنا أتيتك .

(٢) كأن يقصد التوصل بالظاهر إلى الوصف ، نحو قوله تعالى (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم) إلى أن قال (فآمنوا بالله ورسوله النبي الأُمِّي) — ي — ١٥٨ — س — ٧ — وكأن يكون المعنى على الإظهار هو المراد ، نحو قوله تعالى (فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها) — ي — ٧٧ — س — ١٨ — لأن جملة (استطعما أهلها) صفة قرية وليس صفة أهل ، لأنه مسوق للحدث عن القرية وجدارها لا عن أهلها ، وليست أيضاً جواباً لإذا ، لأن جوابها قوله بعد (قال لو شئت لاتخذت عليه أجراً) فوضع للظهور موضع المضمرة لأن الصفة جارية على غير من هي له .

(٣) ١٠٦ — المفتاح .

(٤) أي النقل من الحكاية إلى الغيبة .

(٥) أي ولا النقل مطلقاً مختص بهذا القدر ، وهو النقل من الحكاية إلى الغيبة ، وإنما أولت عبارته هذا التأويل لما في ظاهرها من التهاافت .

بل التكلم والخطاب والغيبة مطلقاً^(١) ينقل كل واحد منها إلى الآخر ،
ويُسَمَّى هذا النقل — التفاتاً — عند علماء المعاني^(٢) كقول ربيعة
ابن مقسر^{رؤم} :

بانت سعادُ فأَمسى القلبُ معموداً وأخلفتكِ ابنة الحرِّ المواعيداً^(٣)

فالتفت كما ترى حيث لم يقل — وأخلفتني — وقوله :

تذكرتَ والذكرى تهيجك زينبا وأصبح باقي وصلها قد تَقَضَّبَا
وَحَلَّ بِفَلَاحٍ فَلَا بَاتِرٍ أَهْلُنَا وَشَطَطَتْ فَحَلَّتْ غَمْرَةٌ فَمُتَّقِبَا^(٤)
فالتفت في البيتين —

(١) أى في السند إليه وغيره، وحيث سبق التعبير بأحدها ثم عبر بالآخر على خلافه أو لم يسبق ، كما سيأتى .

(٢) بعضهم يجعل منه التعبير بالمضارع عن الماضي وعكسه ، والانتقال من خطاب الواحد أو الاثنين أو الجماعة إلى الآخر منها .

(٣) للعمود الحزين ، وابنة الحر هي سعاد من وضع المظهر موضع المضمهر ، ويجوز أن يكون الخطاب في قوله — وأخلفتكِ — تجريداً لا التفاتاً على ما هو الحق من الفرق بينهما، لأن مبنى التجريد على المغايرة لأنه مجرد من الشخص شخصاً آخر ، ومبنى الالتفات على اتحاد المعنى ، وكذلك يقال في كل ما أشبه هذا الخطاب .

(٤) هما ربيعة بن مقروم أيضاً ، وقوله — والذكرى تهيجك — معترض بين الفعل ومفعوله ، وقوله — تقضب — بمعنى انقطع ، وفلج وألأباتر وغمرة ومثقب مواضع ، وقوله — شطط — بمعنى بعدت ، والالتفات في البيت الأول من التكلم إلى الخطاب ويجوز سحله على التجريد كما سبق ، والالتفات في البيت الثانى من الخطاب إلى التكلم .

والمشهور عند الجمهور أن الالتفات هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها ^(١) وهذا أخص من تفسير السكاكي ، لأنه أراد بالنقل أن يُعَبَّرَ بطريق من هذه الطرق عما عُبِّرَ عنه بغيره أو كان مقتضى الظاهر أن يعبر عنه بغيره منها ^(٢) فكل التفات عندهم التفات عنده من غير عكس ^(٣) .

مثال الالتفات من التكلم إلى الخطاب قوله ^(٤) تعالى (وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ

(١) يجب فيه أيضاً أن يكون التعبير الثاني على خلاف ما يقتضيه ظاهر السياق وإن كان موافقاً لظاهر المقام ، فلا يعد منه الخطاب الثاني في قوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) — ي — ٥ — س ١ — وإنما حصل الالتفات بالأول فقط وجرى الثاني على سياقه ، وكذلك لا يعد منه الانتقال من التكلم إلى الغيبة في قول الشاعر :

نحن اللذون صبحو الصباحا يوم النخيل غارة ملحاحا

لأن الموصول من الاسم الطاهر وهو يدل على الغيبة ، ومقتضى سياقه أن يعود الضمير عليه من الصلة بطريق الغيبة أيضاً ، ويعد منه الانتقال من الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى (عبس وتولى ، أن جاءه الأعمى ، وما يدريك لعله يزكى) — ي — ١ ، ٢ ، ٣ — س ٨٠ — وإن كان الخطاب ظاهر المقام ، لأنه خلاف ظاهر السياق .

(٢) يعني أو لم يعبر عنه بغيره وكان مقتضى الظاهر الخ . وهذا الشق الثاني هو الذي ينفرد فيه الالتفات عند السكاكي عن الالتفات عند الجمهور ، كالالتفات من التكلم إلى الخطاب في الشاهدين السابقين لربيعة بن مقروم ، والجمهور يعملونه من التجريد لا من الالتفات ، والخطب في هذا سهل .

(٣) أي لغوى لا منطقي لصحة العكس المنطقي هنا بخلاف اللغوى ، لأنه يؤدي إلى أن يكون كل التفات عند السكاكي التفاتاً عند الجمهور وهو باطل .

(٤) — ي — ٢٢ — س ٣٦ — فالسياق يقتضى — وإليه أرجع — وإن كان الخطاب

الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ).

ومن التكلم إلى الغيبة ^(١) قوله تعالى (إِنَّا أَعْظَمْنَاكَ الْكُوثَرَ ، فَصَلِّ
لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ^(٢)).

ومن الخطاب إلى التكلم قول علقمة بن عبدة :

طَحَا بِكَ قَلْبٌ فِي الْحَسَنِ طَرُوبٌ مُبْعِيدُ الشَّبَابِ عَصْرَ حَانَ مَشِيبٌ
يُكَلِّفُنِي لَيْلِي وَقَدْ شَطَّ وَلَيْسَ بِهَا وَعَادَتِ عَوَادِ بَيْنَنَا وَخُطُوبِ ^(٣)
ومن الخطاب إلى الغيبة قوله ^(٤) تعالى (حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ

هو ظاهر المقام ، لأن قوله (وما لي لا أعبد) تعريض بالمخاطبين ، والمراد - وما لكم
لا تعبدون ، وقيل : إنه لا الالتفات في قوله (وإليه ترجعون) لأنه يجوز إرادة المخاطبين
فلا يكون في معنى - وإليه ارجع ، وقيل : إن في قوله (وما لي) التفاتاً ، والحق أنه
من التعريض لا من الالتفات ، ومن الالتفات من التكلم إلى الخطاب قوله تعالى
(وقل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين)
— ي — ١٤ — س ٦ — وهو أظهر من الآية السابقة .

(١) المراد بالغيبة ما يشمل الاسم الظاهر كما في الآية ، وكان مقتضى السياق
فيها أن يقال — فصل لنا وانحر .

(٢) — ي — ٢٠١ — س ١٠٨

(٣) قوله — طحا — بمعنى ذهب وأتلف . وطروب بمعنى أن له طرباً ونشاطاً
في طلبهن ، وقوله — يكلفني — ضميره يعود إلى القلب ، وروى — تسكلفني —
فيجوز أن يكون فاعله القلب على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ، ويجوز أن يكون
فاعله - لي - بمعنى أنها تكلفه شدة فراقها ، وقوله — شط وليها - بمعنى بعد قربها ،
وقوله - عادت عواد - بمعنى رجعت عوائق كانت تحول بيننا إلى ما كانت عليه ، ويجوز
أن تكون - عادت - من المعادة ، والشاهد في قوله - يكلفني - لأن الأصل - يكلفك
على مقتضى السياق ، أما قوله — طحاًبك — فهو التفات أو تجريد على ما سبق .

(٤) — ي — ٢٢ — س ١٠

وَجَرَيْنِ بِرِيمِ).

ومن الغيبة إلى التكلم قوله (١) تعالى (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسُقْنَاهُ).

ومن الغيبة إلى الخطاب قوله (٢) تعالى (مَا لَكَ يَوْمَ الدِّينِ، إِيَّاكَ نَعْبُدُ) وقول عبد الله بن عَصَمَةَ :

ما إن ترى السَّيِّدُ زيدا في نفوسهم كما يراه بنوكوز ومرهوب
إن تساوا الحقَّ نعطِ الحقَّ سائله والدرع محقبة والسيف مقروب (٣)
وأما قول امرئ القيس :

تطاول ليلك بالأثمد ونام الخلى ولم ترقد
وبات وبات له ليلة كليلة ذى العائر الأرمد
وذلك من نأى جامنى وخبرته عن أبى الأسود (٤)
فقال الزمخشري : فيه ثلاث التفاتات (٥) وهذا ظاهر على تفسير السكاكى ،

(١) — ي — ٩ — س — ٣٥

(٢) — ي — ٤ ، ٥ — س — ١

(٣) السيد وزيدو كوزو مرهوب أحياء من ضبة قوم الشاعر . يريد أن السيد لا يوجبون لزيد في نفوسهم من الحرمة والنصرة ما يوجب كوزو ومرهوب ، والضمير في قوله — تسألوا — لزيد وفيه الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ، والمحقبة المشدودة في الحقيبة ، والقروب الموضوع في قرابة ، وبعد البيتين :

وإن أبيتم فإننا معشر أنف لانطمع الحسف إن السم مشروب

(٤) هي لامرئ القيس حندج بن حجر ، والأثمد اسم موضع ، وقوله — وبات وبات له ليلة — بات الأولى فيه تامة ، والثانية يجوز أن تكون ناقصة وأن تكون تامة ، والعائر قذى العين ، وأبو الأسود كنية أبيه حجر ملك بنى أسد ، والخبر الذى خبره عنه خبر قتلهم له ، وقيل : إن الأبيات لامرئ القيس بن عابس من من قصيدة له في رثاء ابن عمه أبى الأسود .

(٥) الالتفات الأول في قوله — ليلك — من التكلم إلى الخطاب وكافها

لأن على تفسيره في كل بيت التفاتة ، لا يقال : الالتفات عنده من خلاف مقتضى الظاهر ، فلا يكون في البيت الثالث التفات لوروده على مقتضى الظاهر ، لأننا نمنع انحصار الالتفات عنده في خلاف المُقْتَضَى ^(١) لِما تَقَدَّمَ ^(٢) وأما على المشهور ^(٣) فلا التفات في البيت الأول ، وفي الثاني التفاتة واحدة ، فيتعين أن يكون في الثالث التفاتتان ، فقول : هما في قوله — جاءني — إحداهما باعتبار الانتقال من الخطاب في البيت الأول ، والأخرى باعتبار الانتقال من الغيبة في الثاني . وفيه نظر ، لأن الانتقال إنما يكون من شيء حاصل مُلْتَبَس به ، وإذا قد حصل الانتقال من الخطاب في البيت الأول إلى الغيبة في الثاني لم يبق الخطاب حاصلًا مُلْتَبَسًا به ، فيكون الانتقال إلى التكلم في الثالث من الغيبة وحدها لا منها ومن الخطاب جميعاً ، فلم يكن في البيت الثالث إلا التفاتة واحدة . وقيل : إحداهما في قوله — وذلك — لأنه التفات من الغيبة إلى الخطاب ^(٤) والثانية في قوله — جاءني — لأنه التفات من الخطاب إلى التكلم ، وهذا أقرب .

مفتوحة أو مكسورة على ما سيأتي ، وهو الذي يأتي على مذهب السكاكي ، والالتفات الثاني في قوله — وبات — من الخطاب إلى الغيبة ، والالتفات الثالث في قوله — جاءني — من الغيبة إلى التكلم .

(١) يعني خلاف مقتضى ظاهر المقام

(٢) من أن الالتفات عنده ينقسم إلى ما يجري على خلاف ظاهر المقام وإن لم يجر على خلاف السياق ، وهو الذي يخالف فيه الجمهور ، وإلى ما يجري على خلاف السياق وإن لم يخالف ظاهر المقام ، وهو الذي يوافق فيه الجمهور .

(٣) قد ذكروا أن مذهب السكاكي في الالتفات هو مذهب الزحشرى ، فلا معنى لتكلف تحقيق عدد الالتفات الذي ذكره في البيتين على مذهب الجمهور لأن مذهبه يخالف مذهبهم

(٤) الالتفات في — ذلك — متكلف ، لأنه لا دليل على أنه يعني بالخطاب فيها نفسه ، بل

واعلم أن الالتفات من محاسن الكلام، ووجه حسنه على ما ذكر الزمخشري هو أن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب^(١) كان ذلك أحسن تعاربية^(٢) لنشاط السامع وأتم إيقاظا للإصغاء من إجرائه على أسلوب واحد^(٣)

الظاهر أن المعنى بها غير المتكلم ، ولهذا لم ينظر إليها قبل هذا التكلف .

(١) إنما خص بيان محاسن الالتفات بما فيه نقل من أسلوب إلى أسلوب لأنه هو الغالب فيه ، أما الالتفات الذي انفرد به السكاكي فوجه حسنه أن المخاطب إذا سمع خلاق ما يترقب نشط وأصغى إليه ، وقد قيل : إن الالتفات على هذا يكون من المحسنات البديعية ، فلا يصح ذكره هنا لأن حسنه يرجع إلى ما ذكره الزمخشري ، ولا يرجع إلى اقتضاء المقام ، وأجيب بتسليم أنه من المحسنات البديعية ، ولكن هذا لا يمنع من إدخاله في علم المعاني عند اقتضاء المقام لفائده . من سلب مزيد الإصغاء لكون الكلام دعاء أو مدحا أو نحوهما ، والحق أن مثل هذا يكون شرطا لحسنه ، ولا يقتضى وجوبه في البلاغة ، فلا يصح أن يعن به من علم المعاني .

(٢) أى تجديدا ، تقول — طرئت الثوب — إذا عملت ما يجعله طريا كأنه جديد .

(٣) أورد ابن الأثير على ما ذكره الزمخشري من ذلك أنه لو كان صحيحا لما حسن الالتفات إلا في الكلام الطويل ، مع أنه قد أتى في القرآن حيث لا يمكن أن يقال إن الكلام قد طال ، ثم ذكر أن الالتفات لا يكون إلا لفائدة اقتضته ، وأن تلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب ، ولكنها لا تتحدد بحد ، ولا تضبط بضابط ، وإنما يشار إلى مواضع منها ليقاس عليها ، كما سيأتى في سورة الفاتحة ، ولكنه عاد فذكر أنه لا ينكر أن في الانتقال من أسلوب إلى أسلوب اتساعا وتفنا في أساليب الكلام ، مع أنه قد يكون لمقصد آخر معنوى هو أعلى وأبلغ ، لا يخفى أن مثل هذا لا يخالفه فيه الزمخشري ، لأنه فيما ذكره من ذلك لم يرد إلا بسان وجه عام لحسن الالتفات ، ولا يمنع أن تختص الواقعة بطائفة أخرى خاصة .

وقد نختص مواقفه بلطائف ^(١) كما في سورة الفاتحة ^(٢) فان العبد اذا افتتح حمد مولاه الحقيقي بالحمد عن قلب حاضر ونفس ذاك كره لما هو فيه بقوله (الحمد لله) الدال على اختصاصه بالحمد وأنه حقيق به - وجد من نفسه لا محالة محركا للإقبال عليه ، فاذا انتقل على نحو الافتتاح إلى قوله (رب العالمين) الدال على أنه مالك للعالمين لا يخرج منهم شيء عن ملكوته ربوبيته قوى ذلك المحرك ، ثم إذا انتقل إلى قوله (الرحمن الرحيم) الدال على أنه منعم بأنواع النعم جلالها ودقاتها تضاعفت قوة ذلك المحرك ، ثم إذا انتقل إلى خاتمة هذه الصفات العظام وهي قوله (مالك يوم الدين) الدال على أنه مالك للأمر كله يوم الجزاء تناهت قوته ، وأوجب الإقبال عليه وخطابه بتخصيصه بغاية الخضوع والاستعانة في المهمات ^(٣)

وكما في قوله ^(٤) تعالى (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ) لم يقل - واستغفرت لهم - وعدل عنه إلى طريق الالتفات تفخيما لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتعظيما لاستغفاره ، وتنبهيا على أن شفاعة من اسمه الرسول من الله يمكن .

وذكر السكاكي ^(٥) لالتفات امرئ القيس في الأبيات الثلاثة على تفسيره وجوها: أحدها أن يكون قصد تهويل الخطب واستغفاره ، فبَيَّه في التفات الأول على أن

(١) قيل : إنه يلزم أن يلتبس ذلك في كل التفات ، وقيل : إنه لا يلزم أن يكون له في كل مقام نكتة خاصة .

(٢) - ي - ٢ و ٣ و ٤ و ٥ - س - ١

(٣) يعني خطابه بقوله (إياك نعبد وإياك نستعين) .

(٤) - ٦٤ - س - ٤

(٥) ١٠٧ - المفتاح .

نفسه وقت ورود ذلك النبأ عليها ولدت له الشكلى، فأقامها مقام المصاب الذى لا يتسلى بعض التسلى إلا بتفجع الملوك له، ونحزُّنهم عليه، وخاطبها بنطاول أيمك تسلمية^(١) أو على أنها لفظاعة شأن النبأ أبدت قلقاً شديداً ولم تنصبر فى الملوك، فشك فى أنها نفسه، فأقامها مقام مكروب وخاطبها بذلك تسلمية. وفى الثانى على أنه صادق فى التحزن خاطب أرولا، وفى الثالث على أنه يريد نفسه

أونبه^(٢) فى الأول على أن النبأ لشدة تركه حائراً فما فطن معه لطفه حتى الحال، فجرى على لسانه ما كان ألقه من الخطاب الدائر فى مجارى أمور السكبار أروا ونهياً، وفى الثانى على أنه بعد الصدمة الأولى أفاق شيئاً، فلم يجد النفس معه فبنى الكلام على الغيبة، وفى الثالث على ما سبق.

أونبه^(٣) فى الأول على أنها حين لم تثبت ولم تنصبر غاظه ذلك، فأقامها مقام المستحق للعتاب، فعاطبها على سبيل التوبيخ والتعبير بذلك، وفى الثانى على أن الحامل على الخطاب والعتاب لما كان هو الغيظ والغضب وسكت عنه الغضب بالعتاب وكى عنها الوجه وهو يدعى قائلًا - وبات وباتت له - وفى الثالث على ما سبق هذا كلامه، ولا يخفى على المنصف ما فيه من التعسف^(٤)

الأسلوب الحكيم: ومن خلاف المقضى ما سماه السكاكى^(٥) الأسلوب

(١) فكافها مكسورة، وبصح فتحها نظراً إلى كون النفس يراد بها شخصه.

(٢) هذا هو الوجه الثانى، وكان المناسب لسياقه أن يقول وثانيتها.

(٣) هذا هو الوجه الثالث.

(٤) لأنه يحتمل أروا القيس ما لا يمكن أن يكرن قد خطر بباله من ذلك، ولا يخفى أن كثيراً من اللطائف التى تلمس للائفاف فيها مثل هذا التعسف، وأن ذلك يرجع إلى أنها غير مضبوطة، لأنها لو كانت مضبوطة لا يمكن الرجوع إلى أمر ظاهر مقرر منها.

(٥) ١٧٥ - المفتاح.

الحكيم^(١) وهو تلقى الخطاب^(٢) بغير ما يتروى بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيهها على أنه الأولى بالقصد، أو السائل بغير ما يتطلب^(٣) بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيهها على أنه الأولى بحاله أو المهم له

أما الأول فكقول القبعثرى^(٤) للحجاج لما قال له متوعدا بالقيد - لا جملك على الأدم : مثل الأمير يحمل على الأدم^(٥) والأشهب . فانه أبرز وعيده في معرض الوعد وأراه بالطف وجه أن من كان على صفته في السلطان وبسطة اليد فجدير بأن يصفده لأن يصفده^(٦) وكذا قوله للماقال له في الثانية - إنه حديد : لأن

(١) أكثر العلماء يذكره في علم البديع ، على أن الخطيب سيذكر في علم البديع القول بالموجب ويقسمه إلى قسمين ، والقسم الثاني هو الأسلوب الحكيم بعينه ، ولا شك أن مراعاة ذلك مما يورث الكلام حسنا ، ولا يصل تركه إلى إخلال بفصاحة أو بلاغة ، فاللائق به أن يعد في علم البديع ، وقد ذكر السعد أنه لما انجر الكلام إلى ذكر خلاف مقتضى الظاهر أورد عدة أقسام منه وإن لم تكن من مباحث المسند إليه ، وهي الأسلوب الحكيم والتعبير عن المستقبل بلفظ الماضي الخ (٢) بكسر الطاء أى المتكلم من إضافة المصدر لمفعوله ، وهذا أولى من فتح الطاء لما فيه من التعقيد .

(٣) الفرق بينه وبين ما عطف عليه أن فيه سؤالا ، فهو أخص منه بهذا الاعتبار ، ولكنه أعم منه باعتبار آخر ، وهو أنه لا يشترط فيه حمل كلام سابق على خلاف ظاهره كما يشترط في الأول .

(٤) الصواب ابن القبعثرى كما سبق في ص ١٢٤ .

(٥) فقد أراد الحجاج بالأدم القيد ، فحمله على غير مراده وهو الفرس الذى يغلب سواده على بياضه . وعطف عليه الأشهب وهو الفرس الذى يغلب بياضه على سواده

(٦) أى جدير بأن يعطى لا أن يقيد ، لأن الإصفاة الإعطاء من الصفة وهو العطاء ، ويقال - صَفَّدَهُ يَصْفِدُهُ - بمعنى قيده ، ولهذا يسمى القيد صَفَاداً

يكون حديداً خير من أن يكون بليداً^(١) وعن سلوك هذه الطريقة في جواب
المخاطب عبّر من قال مفقراً :

أَتَمَّتْ تَشْتَكِي عِنْدِي مَرْأُولَةَ الْقَرَى وَقَدْ رَأَتْ الضَّيْفَانَ يَنْحُونُ مَنْزِلِي
فَقُلْتُ كَأَنِّي مَا سَمِعْتُ كَلَامَهَا هُمُ الضَّيْفُ جَدِي فِي قَرَاهِمِ وَعَجَلِي^(٢)
وسماه الشيخ عبد القاهر مَعَالِطَةً^(٣)

وأما الثاني فذكره قوله^(٤) تعالى (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْإِهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ
النَّاسِ وَالْحَجِّ) قالوا : ما بال الهلال يبدو دقيقاً مثل الخيط ؟ ثم يزايد قليلاً
قليلاً حتى يتملى ويستوى ، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا^(٥) وكقوله^(٦) تعالى
(يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّادِينَ وَالْآقِرِينَ وَالْيَتَامَى
وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) سألوا عن بيان ما ينفقون فأجيبوا ببيان المصروف^(٧)

(١) أراد الحجاج بقوله — إنه حديد — أنه قيد حديد ، لحمله على الحدة ،
والمعنى — لأن يكون العطاء حديداً الخ .

(٢) لا يعلم قائمها ، والقرى طعام الضيف ، وقوله — ينحون — بمعنى
يقصدون ، والشاهد في أنه أجابها بغير ما تتطلب من الشكوى ، ولهذا قيل : إن هذا
من القسم الثاني لا الأول ، لأنه ليس فيه حمل كلام على خلاف ظاهره ، وإنما هو
من تلقى السائل بغير ما يتطلب للتنبيه على أن الأولى بها الاستعداد لهم لا الشكوى منهم
(٣) — ٩٢ — دلائل الإعجاز ، وقيل : إن الأسلوب الحكيم بقسميه
يسمى . هاء ، لا القسم الأول وحده .

(٤) — ١٨٩ — س — ٢ .

(٥) فأجابهم ببيان حكمته تنبيهاً على أنه هو الأولى بحالهم لا السؤال عن سببه

(٦) — ٢١٥ — س — ٢

(٧) للتنبيه على أنه هو المهم لهم .

ومن هذا أيضاً أجوبة موسى لفرعون في قوله تعالى (قَالَ فَرَّعُونُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ)

التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي: ومنه التعبير عن المستقبل بلفظ

الماضي ^(١) تبينها على تحقق وقوعه ، وأن ما هو للواقع كالواقع ، كقوله ^(٢) تعالى
(وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ)
وقوله (وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَا لَهُمْ فَلَمَّ نَقَادِرُ مِنْهُمْ
أَحَدًا) ^(٣) وقوله ^(٤) تعالى (وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ) وقوله ^(٥) تعالى (وَنَادَى
أَصْحَابُ الْأُفْرَافِ) جعل المتوقع الذي لا بد من وقوعه بمنزلة الواقع ، وعن حسان
أن ابنه عبد الرحمن لسمه زُبور وهو طفل فجاء إليه يبكي ، فقال له : يا بُنَى .
مالك ؟ قال : لسمنى طَوِيرٌ كأنه ملنق في بُرْدَى حَبِرَةٍ ^(٦) فضمه إلى صدره
وقال : قد قلت الشعر .

قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين ، قال لمن
حواله ألا تستمعون ، قال ربكنم ورب آبائكم الأولين ، قال إن رسولكم
الذى أُرسل إليكم لمجنون ، قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن
كنتم تعقلون) — ي ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ — س ٢٦ —

٢٧ ، ٢٨ — س ٢٧ .

(١) مثله التعبير عن الماضي بلفظ المضارع استحضارا لصورته العجيبة ،
كقوله تعالى (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُسِيرُ سَحَابًا) — ي ٩ — س
٣٥ — أى فأتارت ، ولا يخفى أن النوعين من المجاز المرسل أو الاستعارة ، فلا
معنى لذكرهما في علم المعاني ، لأنه لا فرق بينهما وبين غيرهما من أنواع المجاز
فيما جعلاه من خلاف مقتضى الظاهر .

(٢) — ي ٦٨ — س ٣٩ — (٣) — ي ٢٧ — س ١٨ —

(٤) — ي ٥٠ — س ٧ — (٥) — ي ٤٨ — س ٧ —

(٦) طرير تصغير طائر ، والحبرة ضرب من برود اليم ، والشاهد في قوله

— قد قلت الشعر — لأنه بمعنى ستقول

ومثله التعبير عنه باسم الفاعل ^(١) كقوله ^(٢) تعالى (وإن الدين لواقع) وكذا اسم المفعول ، كقوله ^(٣) تعالى (ذلك يومٌ يجتمع له الناسُ وذلك يومٌ مشهودٌ).

القلب : ومنه القلب ^(٤) كقول العرب : عرضت الناقة على الخوض ^(٥) ورده مطلقاً قوم ^(٦) وقبله مطلقاً قوم ^(٧) منهم السكابي ^(٨) والحق أنه إن تضمن

(١) لأن كلام من اسم الفاعل واسم المفعول حقيقة في المتلبس بالفعل في الحال اتفاقاً ، وفي الماضي على قول ضعيف ، فيكون استعماله في المستقبل مجزأً

(٢) - ي - ٦ - س - ٥١

(٣) - ي - ١٠٣ - س - ١١

(٤) هو في الاصطلاح أن يجعل جزء من الكلام مكان آخر يجعل مكانه على وجه يثبت حكم كل منهما للآخر ، فليس منه نحو - في الدار زيد ، وضرب عمر أزيد - وهو قسمان : لفظي ومعنوي ، وسيأتي بيانهما في أمثله

(٥) هذا من القلب المعنوي ، لأن المعروض عليه يجب أن يكون ذا شعور واختيار لاجل أن يعيل إلى المعروض أو يحجم عنه ، ولكن لما كان المعتاد في ذلك أن يوثق بالمعروض إلى المعروض عليه وكانت الناقة هي التي يوثق بها إلى الخوض نُزِلَ كل منهما منزلة الآخر ، وقيل : إنه لا قلب في ذلك ، وإنما القلب في - عرضت الخوض على الناقة - لأن المعروض عليه هو المستقر

(٦) لأنه عكس المطلوب ونقيض المقصود ، وقيل : إنه لا يكاد أحد يمثله مطلقاً. لوروده في القرآن وفصيح الكلام ، ولعلمهم يردون القلب اللفظي دون المعنوي (٧) لأن قلب الكلام مما يحوج إلى التنبيه للأصل ، وذلك ما يورث الكلام ملاحه ولطفاً .

(٨) ١١٣ - المفتاح

اعتباراً لطيفاً^(١) قبل وإلا رُدَّ

أما الأول^(٢) فمكقول رؤية :

ومهمّة مغبرة أرجاؤه كأن لون أرضه سماؤه^(٣)

أى كأن لون سماءه لغبرتها لون أرضه ، فعكس التشبيه المبالغة ، ونحوه قول

أبى تمام يصف قلم الممدوح :

لُعَابُ الْإِفَاعَى الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ وَأَرَى الْجَنَى اشْتَارَتْهُ أَيْدٍ عَوَاسِلُ^(٤)

وأما الثانى^(٥) فمكقول القطامي :

(١) أى غير تلك الملاحظة التى احتج بها من قبله مطلقاً ، وذلك كالأعتبار السابق فى قولهم — عرضت الناقة على الحوض — وكالأعتبارات الآتية فى باقى الأمثلة ، وإنما لم يقبل القلب إلا بهذا لأنه من غيره يكون عدولاً عن مقتضى الظاهر من غير تسكّنة يعتد بها ، إذ لا يعتد فيه بتلك الملاحظة العامة وحدها ، ولا يخفى أن القلب بتلك الملاحظة يكون من المحسنات البديعية ، فالإليق ذكره فى علم البديع ، لأن تلك الأعتبارات التى يقبل بها فى علم المعانى ليست محدودة ولا مضبوطة ، وهى مع هذا شرط لحسنه ولا وجوبه .

(٢) هو المقبول

(٣) هو لرؤية بن عبد الله بن رؤية ، والمهمة المفازة ، والأرجاء جمع رجاء وهو الناحية ، والقلب فى هذا معنوى أيضاً ، وهو من التشبيه المقلوب الآتى فى علم البيان ، والاعتبار اللطيف فيه قصد المبالغة .

(٤) هو لحبيب بن أوس المعروف بأبى تمام ، وأرى الجنى العسل من إضافة الموصوف إلى الصفة وقوله — اشتارته — بمعنى جنته ، والأيدى العواسل العارفة بجنيه ، والأولى مسفة القلم مع الأعداء ، والثانية صفته مع الأصدقاء ، والشاهد فى شطره الأول ، وهو من القلب المعنوى أيضاً ، لأنه من التشبيه المقلوب ، والاعتبار اللطيف فيه قصد المبالغة

(٥) هو المردود

كما طينت بالغدن السباعا^(١)

وقول حسان .

يكون مزاجها عسل وماء^(٢)

وقول عروة بن الورد :

(١) هو من قول عُمَيْر بن شَيْمٍ المعروف : لِقَطَامِي :

فلما أن جرى سَمْنٌ عليها كما طينت بالغدن السباعا

أمرتُ بها الرجالَ ليأخذوها ونحن نَظُنُّ أن لن تَسْتَطَاعا

يصف بذلك ناقته ، والغدن القصر ، والسباع الطين المخلوط بالطين أو الآلة التي يُطَيَّنُ بها ، يعني أنها صارت ملساء من السمن كالقصر المطين بالسباع ، وفي ذلك قالب معنوي ، فإن حمل السباع على الآلة لم يتضمن اعتبارا لطيفا ، وفيه الشاهد ، وإن حمل على الطين فيجوز أن يكون المقصود المبالغة في سمنها ، لأنه يقصد تشبيهه بالسباع الذي صار لكثرتِه كأنه الأصل ، والغدن هو الفرع ، فيكون هو أيضا مثله مع أصله من العظم ونحوه ، ولكنه لا يخلو من تكلف .

(٢) هو من قول حسان بن ثابت الانصاري :

كأن مبيثة من بيت رأس يكون مزاجها عسل وماء

على أنيابها أو طعمُ غَضٍّ من التفاح عصره اجتناء

والسبيثة الخمر المشتراة للشراب وبيت رأس بلد بالشام بين رملة وغزة ، والغض الطرى وقوله — عصره — بمعنى أماله كناية عن إدراكه وقت نضجه ، شبه ريق محبوبته بخمر مزجت بعسل ، والقلب في قوله — يكون مزاجها عسل — قلب لفظي ، لأنه لا قلب في المعنى ، وإنما القلب في اللفظ ، لأنه تنكسر ما هو في موضع المبتدأ وعرف الخبر ، والأصل فيهما العكس ، ويروي برقع — مزاجها — على أن اسم يكون ضمير الشأن ، فلا يكون فيه قلب .

فدیت بنفسه نفسی ومالی ^(١)

وقول الآخر :

ولایک موقف منک الوداعا ^(٢)

وقد ظهر من هذا أن قوله ^(٣) تعالى (وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا) ليس وارداً على القلب ^(٤) إذ ليس في تقدير القلب فيه اعتبار لطيف ، وكذا قوله ^(٥) تعالى (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى) وكذا قوله ^(٦) تعالى (اذْهَبْ بِكِتَابِي)

(١) هو من قوله :

فلو أننى شهدت أباسعاد غداة غدا لمهجته يفوق

وقد رواه المرتضى في أماليه والآنبارى في - الأضداد - للعباس بن مرداس :

فدیت بنفسه نفسی ومالی وما آلوک إلا ما أطق

يقال - فاق بمهجته ولمهجته يفوق - إذا أشرفت نفسه على الخروج أو خرجت ، وقوله - وما آلوک - بمعنى لم أقصّر فيك ، والقلب فيه معنى ، والأصل - فدیت نفسه بنفسی ومالی ، وليس في قلبه اعتبار لطيف لأنه يوم خلاف المراد

(٢) هو من قول عمير بن شعيب المعروف بالقطامي :

فنى قبل التفرق يا ضباعا ولا يک موقف منک الوداعا

وألف ضباعا للإطلاق وهو مرخم ضباعة اسم بنت له أو امرأة غيرها ، والقلب في قوله - ولایک موقف منک الوداعا - لفظي كالقلب في بيت حسان السابق

(٣) - ی - ٤ - س - ٧

(٤) يردُّ بهذا على من زعم أن أصله - جاء ما بأسنا فأهلكناها :

(٥) - ی - ٨ - س - ٥٣ - وعلى تقدير القلب فيه يكون أصله - ثم تدلى فدنا

(٦) - ی - ٢٨ - س - ٢٧ - وعلى تقدير القلب فيه يكون

أصله - فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم .

هَذَا قَالَتْهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَأَنْظَرَ مَاذَا يَرْجِعُونَ (فأصل الأول - أردنا إهلا كها فجاءها بأسنا أى إهلا كها، وأصل الثانى - ثم أراد الدنو من محمد ﷺ فذرى فتعلق عليه فى الهواء، ومعنى الثالث - تنح عنهم إلى مكان قريب تنوارى فيه ليسكون ما يقولونه بسمع منك فانظر ماذا يرجعون، فيقال : إنه دخل عليها من كوة فالتقى الكتاب إليها وتوارى فى الكوة . وأما قول خدّاش :

وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر^(١)

فقد ذكر له سوى القلب^(٢) وجهان : أحدهما أن يجعل شقاء الرماح بهم استعماله عن كسرها بطعنهم بها ، الثانى أن يجعل نفس طعنهم شقاء لها تحية الشائهم وأنهم ليسوا أهلا لأن يطعنوا بها ، كما يقال - شقى أنظر بجسم فلان - إذا لم يكن أهلا للبه

وقيل فى قول طبرى بن الفجاءة :

ثم انصرفت وقد أصبْتُ ولم أصبْ جذع البصيرة قارح الإقدام^(٣)
إنه من باب القلب^(٤) على أن - لم أصب - بمعنى لم أجرح ، أى قارح البصيرة

(١) هو من قول خدّاش بن زهير :

وتلحق خيل لا هوادة بينها وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر
والهوادة اللين والرفق أو ما يرجى به الصلاح بين القوم ، وعلى هذا يكون المراد
لأهواة بين أصحابها ، والضياطرة جمع ضبط وهو الضخم اللين العظيم الاست ، والحمر
جمع أحمر اللون ، وقيل : هو الذى لاسلاح معه ، وقد روى - وتركب خيل
(٢) على أنه من القلب يكون أصله - وتشقى الرماح بالضياطرة بالرمح ، وليس لها اعتبار
لطيف .

(٣) جذع البصيرة بمعنى غير مجرب للأمور ، وقارح الإقدام بمعنى إقدام أصحاب
السن القديم ، يقال - فلان جذع إذا كان حديث السن ، وقارح إذا كان قديما
(٤) لأنه يقصد التمدح بذلك ، وإنما يتمدح بعكسه لابه

جذع الإقدام ^(١) كما يقال — إقدامٌ غرٌّ ورأىٌ مجرَّبٌ — وأجيب عنه ^(٢)
 بأن — لم أصب — بمعنى لم أَلَفْ بهذه الصفة بل وجدت بخلافها جذع الإقدام
 قارح البصيرة ، على أن قوله — جذع البصيرة قارح الإقدام — حال من الضمير
 المستتر في لم أصب — فيكون متعلقاً بأقرب مذكور ، ويؤيد هذا الوجه قوله قبله :
 لا يركنن أحد إلى الإحجام يوم الوغى مُنْخَوْفًا لِحِمَامٍ ^(٣)
 فلقد أراني للرماع دَرِيْشَةً من عن يميني مرّةً وأمامي ^(٤)
 حتى خَضَبْتُ بما تحدر من دمي أكتاف سرجي أو عنان لجامي ^(٥)
 فإن الخضاب بما تحدر من دمه دليل على أنه جرح ، وأيضاً فخوى كلامه أن
 مراده أن يدل على أنه جرح ولم يمت ، إعلاما أن الإقدام غير علة للحمام ، وحثاً
 على الشجاعة وبغض الفرار .

(١) على هذا يكون — جذع البصيرة قارح الإقدام — حالين من فاعل

— انصرفت

(٢) هذا جواب يجعل كلامه لا قلب فيه . لأنه قلب غير مقبول لما فيه من إيهام
 خلاف المراد ، وقيل أيضاً : إنه يريد تشبيه بصيرته بالجذع في عدم الاختلاط والزلزل
 من الهول ، وتشبيه إقدامه بالقارح في الصبر والاحتمال ، وعلى هذا لا قلب أيضاً
 (٣) الإحجام التأخر ، والوغى الحرب ، والحمام الموت

(٤) الدريئة حلقة يتعلم عليها الطعن شبه نفسه بها ، وقد أدخل — من — على

— عن — لأنها هنا اسم بمعنى جانب

(٥) أكتاف السرج جوانبه ، والعنان سير اللجام .

تمرينات على تخریج المسند الیه على خلاف مقتضى الظاهر

تمرین — ١

بین ما یحتمل الالتفات والتعجید وما یتعین للالتفات مما یأتی :

(١) قوله تعالى (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَمَرُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ)

— ی — ٥٣ — س — ٣٩

(٢) هل غادر الشعراء من مترككم أم هل عرفت الدار بعد توهم

تمرین — ٢

(١) بین الالتفات فی قوله تعالى (آتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ

عَمَّا يُشْرِكُونَ) ی — ١ — س — ١٦ — ومن أى قسم من أقسام الالتفات ؟

(٢) هل يعدُّ من الالتفات أولاً يعدُّ قول الشاعر :

أأنت الهلالي الذي كنت مرّةً ممعنا به والارحى المغلب

تمرین — ٣

(١) من أى أنواع خلاف مقتضى الظاهر ما فی قول الشاعر :

ومية أجمل التمكن جيداً وسالفة وأحسنه قدالا

(٢) هل يقبل القلب أولاً يقبل فی قول الشاعر :

رأين شيخاً قد نحني صلبه يمشى فبتمس أو يذب فيعثر

تمرین — ٤

(١) من أى أنواع خلاف مقتضى الظاهر ما فی قول الشاعر :

فرجى الخير وانتظري إياي إذا ما القارظ العنزى آبا

(٢) هل يُعَدُّ من القابِ أولاً يُعَدُّ ما في قول الشاعر :
وعذلتُ أهلَ العشقِ حتى ذُقْتُه فحجبت كيف يموت من لا يعشقُ

تمرين — ٥

(١) من أى نوعى الأسلوب الحكيم ما في قول الشاعر :
وقالوا: قد صفتُ منا قلوبُ نعم صدقوا ولكن عن ودادى
(٢) من أى أنواع الالتفات ما في قول الشاعر :
سألتُ نسيمَ أرضك حين وافى وقلتُ: صفِ القوامَ ولا تُحاشى

تمرين — ٦

(١) من أى أنواع خلاف مقتضى الظاهر ما في قول الشاعر :
كلوا في بعض بطونكمُ تعفوا فإن زمانكم زمنٌ خخيصُ
(٢) متى يكون من خلاف مقتضى الظاهر ما في قول الشاعر :
نعم امرءاً هريمٌ لم تعرَّ نائبةً إلا وكان لمُرُتاعٍ بها وزراً

تمرين — ٧

(١) بين ما في قوله تعالى (قالوا أجنثنا لنلفننا سمّا وجدنا عليه آباءنا وتكون
لسمّا الكبرياء في الأرض) — ي — ٧٨ — س — ١٠ — من الخروج
على مقتضى الظاهر

(٢) بين ما في قوله تعالى (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء) — ي — ١ — س
— ٦٥ — من الخروج على مقتضى الظاهر

(٣) بين ما في قوله تعالى (وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوأ لقومكما بمصر بيوتاً
واجعلوا بيوتكم قبلةً) — ي — ٨٧ — س — ١٠ — من الخروج على
مقتضى الظاهر

القول في أحوال المسند

أغراض الحذف: أما تركه فلنحو ما سبق في باب المسند إليه ^(١) من تخييل العدول

إلى أقوى الدليلين ، ومن اختبار تنبه السامع عند قيام القرينة أو مقدار تنبيهه ، ومن الاختصار والاحتراز عن العبث ببناء دلي الظاهر ^(٢) إمام مع ضيق المقام كقوله :
فأني وقيار بها لقريب ^(٣)

أي : وقيار كذلك ^(٤) وكقوله :

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأي مختلف ^(٥)

(١) أي في الكلام على حذفه ، والتعبير بالترك هنا بدل الحذف هناك من التفنن في العبارة

(٢) كان الأحسن أن يذكر هذا الغرض في أول الأغراض ليجعله مطرداً في جميعها كما صنع في حذف المسند إليه

(٣) هو من قول ضابي بن الحارث البرجمي :

ومن يك أمسى بالمدينة رحله فأني وقيار بها لقريب

وكان عثمان رضى الله عنه حبسه في المدينة لهجائه قوماً في شعره ، والرحل المنزل والمأوى ، وقيار اسم فرسه أو غلامه ، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما بعده الفاء عليه وتقديره — فقد حسنت حاله وسامت حالي

(٤) فهو من عطف الجمل ، ولا يصح جعل — قيار — معطوفاً على محل اسم — إن — لا متناع العطف على محل اسمها قبل مضي خيرها ، ولا يصح أن يكون — غريب — خيراً عن — قيار — والمحذوف خبر — إن — لا قترانه بلام الابتداء ، وخبراً بابتداء لا يقرن بها في الفصيح إلا إذا كان منسوخاً ، وضيق المقام في البيت بسبب الشعر والسجع (٥) هو لعمر بن امرئ القيس الخزرجي ، أو لقيس بن الخطيم ، وقد أراد بقوله

أى نحن بما عندنا راضون ، وكقول أبى الطيب :
 قالت وقد رأيت اصفرارى : مَنْ به وتهدت فاجبتها المتنهد^(١)
 أى المتنهد هو المطالب به^(٢) دون - المطالب به هو المتنهد - إن فُسِّرَ
 عن المطالب به ، لأن مطلوب السائلة على هذا الحكم على شخص معين بأنه
 المطالب به لينمين عندها ، لا الحكم على المطالب به بالتعيين ، وقيل : معناه
 من فعل به ؟ فيكون التقدير - فعل به المتنهد^(٣)

وإما بدون الضيق ، كقوله^(٤) تعالى (والله ورسوله أحق أن يرضوه) على
 وجه ، أى والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك ، ويجوز أن يكون جملة واحدة ، وتوحيد

- والرأى مختلف - أن يتبع كل منهما رأيه على اختلافهما ، لرضا كل منهما برأيه
 وعدم انقياده لصاحبه ، وهو يخاطب بهذا مالك بن العجلان حين رد قضاءه في واقعة
 الأوس والخزرج ، وضيق المقام هنا بسبب الشعور بعدم استعداد المخاطب لقبول
 الكلام ، وقد حذف في هذا البيت من الأول لدلالة الثاني على عكس البيت السابق

(١) هو لابي الطيب أحمد بن الحسين المعروف بالمتنبي : وقد عني اصفراره مما
 يلقاه من حبه ، وقوله - به - متعلق بمحذوف تقديره المطالب ، وقوله
 - وتهدت - يعنى به أنها تنهدت لما رآته من اصفراره

(٢) فيكون من حذف المسند لا المسند اليه ، وقد أجاز السكاكي كلاما من التقديرين
 لأنه إذا جعلت - من - مبتدأ على مذهب سيبويه والمحذوف خبر فالأحسن أن
 يقدر - المتنهد هو المطالب به - ليطابق الجواب السؤال ، وإذا جمعت - من -
 خبرا مقدما فالأحسن أن يقدر - المطالب به هو المتنهد ، ليطابق الجواب
 السؤال أيضا

(٣) هو من حذف المسند أيضا ولكنه فعل على هذا التقدير

الضمير لأنه لا تَفَاوُتَ بين رضا الله ورضا رسوله ، فسكانا في حكم مَرْضَى واحد ،
 كقولنا — إحسان زيد وإجماله نعمتى وجبرمنى ^(١) وكقولك — زيد منطلق
 وعمرو — أى وعمرو كذلك ، وعليه قوله ^(٢) تعالى (وَاللَّائِي يَكْسَنُ مِنَ الْحَبِيزِ
 مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضَنْ) أى
 واللأئى لم يحضن مثلهن ، وقولك — خرجت فاذا زيد ^(٣) وقولك لمن قال: هل
 لك أحد ؟ إن الناس إلب عليك — إن زيدا وإن عمرا — أى إن لى زيدا
 وإن لى عمرا ^(٤) وعليه قوله :

إِن مَحَلًّا وَإِنْ مَرْتَحَلًا ^(٥)

(١) فإفراد الضمير فيه لأن إحسانه وإجماله بمعنى واحد .

(٢) — ي — ع — س — ٦٥ .

(٣) أى موجود أو حاضر أو بالباب أو ما أشبه ذلك ، والحذف هنا
 لاتباع الاستعمال مع الاختصار والاحتراز عن العبث ، لأنه يطرد حذف المسند
 إليه بعد — إذا — الفجائية ، لأنها تدل على مطلق وجود ، وقد توجد معها
 قرائن تدل على نوع خصوصية كلفظ الخروج في المثال .

(٤) الحذف فيه أيضاً لاتباع الاستعمال مع الاختصار والاحتراز عن
 العبث ، لأنه يطرد حذف المسند مع تكرير — إن — وتعدد اسمها .

(٥) هو من قول ميمون بن قيس المعروف بالأعشى :

إِنَّ مَحَلًّا وَإِنْ مَرْتَحَلًا وَإِنْ فِي السَّفَرِ إِذْ مَضَوْا مَهَلًا

محلا ومرتحلا مصدران ميميَّان بمعنى لخلول والارتحال ، والسفر اسم جمع بمعنى
 المسافرين وقد أراد بهم الموقى ، والمهل مصدر بمعنى الإمهال وطول الغيبة ، والمعنى

أى إن لنا محلا في الدنيا وإن لنا مرتحلا عنها إلى الآخرة ، ر قوله ^(١) تعالى
 (قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي) تقديره لو تملكون تملكون مكررا
 لفائدة التأكيد ، فأضمر — تملك — الأول إضمارا على شريطة التفسير ، وأبدل
 من الضمير المتصل الذى هو الواو ضمير منفصل وهو (أنتم) لسقوط ما
 يتصل به من اللفظ ، فأنتم فاعل الفعل المضمر و (تملكون) تفسيره . قال
 الزمخشري : هذا ما يقتضيه علم الإعراب ، فأما ما يقتضيه علم البيان ^(٢) فهو
 أن (أنتم تملكون) فيه دلالة على الاختصاص وأن الناس هم المختصون
 بالشح المتبالغ ^(٣) ونحوه قول حاتم — لو ذات سوار لطمتنى ^(٤) وقول المنلس :

إن في غيبة الموتى طولا وبعدا ، لأنهم مضوا مضيا لارجوع معه إلى الدنيا ، وروى
 — إذ مضوا مثلا — والحذف هنا لاتباع الاستعمال وضيق المقام مع الاختصار
 والاحتراز عن العبث .

(١) — ي — ١٠٠ — س — ١٧ — وهذا من حذف المسند إلى الفاعل

(٢) يعنى بعلم البيان ما يشمل علم المعاني

(٣) رد هذا على الزمخشري بأن الاختصاص إنما يكون في الجملة الاسمية التي
 يقدم فيها المسند إليه على خبره الفاعل كما سبق ، وما هنا ليس كذلك لأنه من
 الجملة الفعلية ، وبأنه على تسليم ذلك يكون معناه لو اختصصتم بملك تلك الخزائن
 لأمسكنم ، وهذا لا يقتضى اختصاصهم بالشح ، وإنما يقتضى ذلك أن يقال — أنتم
 لو تملكون ذلك لأمسكنم

(٤) رواه الأصمعي — لو غير ذات سوار اطمتنى — على أن حاتما
 من بيلاد عسرة فناداه أسير لهم : يا أبا سفة ، أكلنى الإيسار والنمل . ولم
 يكن مع حاتم شيء ، فساومهم به ثم قال : أطلقوه واجملوا يدي في القيد مكانه
 ففعلوا ، ثم جاءت امرأه ببيعير ليفصده فنحره فلطمته ، فقال لها ذلك ، يعنى أنه
 لا يقتص من النساء ، ر قيل : إن التي ضربته كانت أمة لهم فقال لها — لو ذات

ولو غير إخواني أرادوا نقيصتي ^(١)

وذلك لأن الفعل الأول ^(٢) لما سقط لأجل المفسر برز الكلام في صورة
المبتدأ والخبر .

وكقوله ^(٣) تعالى (أَفَمَنْ زُينَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا) أى كمن
لم يزين له سوء عمله ، والمعنى أفن زين له سوء عمله من الفريقين اللذين تقدم
ذكرهما — اللذين كفروا واللذين آمنوا — كمن لم يزين له سوء عمله ، ثم كأن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قيل له ذلك قال : لا . فقيل (فإن الله يُضِلُّ مَنْ
يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ) وقيل المعنى : أفن
زين له سوء عمله ذهب نفسك عليهم حسرات ؟ فحذف الجواب ^(٤) لدلالة (فلا
تذهب نفسك عليهم حسرات) أ . أفن زين له سوء عمله كمن هداه الله ؟ فحذف لدلالة
(فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء)

وأما قوله ^(٥) تعالى (بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) وقوله ^(٦)

سوار لطمتى — يعنى حرة من النساء ، وهو أظهر لتأنيث الفعل

(١) هو من قول جرير بن عبد المسيح المعروف بالمتلس :

ولو غير إخواني أرادوا نقيصتي جعلت لهم فرق للعرائن ميسما

والعرائن جمع عرنين وهو الأنث كله أو ما صلب منه ، والميسم العلامة ،
وهو على تقدير — ولو أراد غير إخواني الخ

(٢) فى قوله تعالى (لو أنتم تملكون) . وهذا تعابيل لإفادة الاختصاص

(٣) — ي — ٨ — س — ٣٥

(٤) على هذا تكون — من — شرطية

(٥) — ي — ١٨ — س — ١٢

(٦) — ي — ١ — س — ٢٤

تعالى (سورة أنزلناها) وقوله (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ
لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ) ^(١) فكل منها يحمل الآمرين :
حذف المسند إليه وحذف المسند، أى فأمرى صبر جميل، أو فصبر جميل أجمل ^(٢)
وهذه سورة أنزلناها أو فيها أوحينا إليك سورة أنزلناها، وأمركم أو الذى يطلب
منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب، كطاعة الخالص من المؤمنين الذين
طابق باطنُ أمرهم ظاهره، لا أيمان تقسمون بها بأفواهكم وقلوبكم على إخلافها،
أو طاعتكم طاعة معروفة، أى بأنها بالقول دون الفعل، أو طاعة معروفة أمثل
وأولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة

ومما يحتمل الوجهين قوله سبحانه ^(٣) وتعالى (ولا تقولوا ثلاثة) قيل: التقدير
ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة، ورد بأنه تقرير لثبوت آلهة، لأن النفي إنما يكون للمعنى
المستفاد من الخبر دون معنى المبتدأ، كما تقول — ليس أمراؤنا ثلاثة — فأنك
تنفى به أن تكون عدة الأمراء ثلاثة دون أن تكون لكم أمراء، وذلك ^(٤)
إشراك، مع أن قوله تعالى بعده (إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ) يناقضه، والوجه أن
(ثلاثة) صفة مبتدأ محذوف أو مبتدأ محذوف بميزه لا خبر مبتدأ، والتقدير
— ولا تقولوا أن فى الوجود آلهة ثلاثة أو ثلاثة آلهة ^(٥) ثم حذف الخبر كما حذف من
لا إله إلا الله، وما من إله إلا الله — ثم حذف الموصوف أو المميز كما يحذفان فى
غير هذا الموضع، فيكون النهى عن إثبات الوجود لآلهة، وهذا ليس فيه تقرير
لثبوت إلهين، مع أن ما بعده أعنى قوله (إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ) ينفى ذلك، فيحصل

(١) — ي — ٥٢ — س — ٢٤

(٢) أى من الصبر الذى ليس بجميل بأن يكون معه شكاية، ولكنه مع هذا
خير من عدمه، فيصح تفضيل الصبر الجميل عليه

(٣) — ي — ١٧١ — س — ٤ (٤) أى تقرير ثبوت آلهة

(٥) التقدير الأول على أنها صفة مبتدأ، والثانى على أنها مبتدأ محذوف بميزه

النهي عن الإثراك والتوحيد^١ من غير تناقض ، ولهذا يصح أن تتبع نفي الاثنين فيقال - ولا تقولوا لنا آلهة ثلاثة ولا إلهان - لأنه كقولنا - ليس لنا آلهة ثلاثة ولا إلهان - وهذا صحيح ، ولا يصلح أن يقال على التقدير الأول - ولا تقولوا آلهتنا ثلاثة ولا اثنين - لأنه كقولنا - أيدت آلهتنا ثلاثة ولا اثنين - وهذا فاسد ، ويجوز أن يقدر - ولا تقولوا الله والمسيح وأمه ثلاثة^(١) أي لا تعبدوها كما تعبدونه ، لقوله^(٢) تعالى (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ) فيكون المعنى ثلاثة مستوون في الصفة والرتبة ، فإنه قد استقر في العرف أنه إذا أريد إلحاق اثنين بواحد في وصف وأنهما شبيهان له أن يقال - هم ثلاثة - كما يقال إذا أريد إلحاق واحد بآخر وجهه في معناه - هما اثنان - وأعلم أن الحذف لا بد له من قرينة ، كوقوع الكلام جواباً عن سؤال : إمام محقق^(٣) كقوله^(٤) تعالى (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) وقوله (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ الْأَرْضَ بُعْدَ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ)^(٥) وإما مقدّر ، نحو :

ليبيك يزيد ضارع لخصومة^(٦)

(١) فيكون من حذف المسند اليه والمعنى صحيح بخلاف التقدير الذي أبطله ، وقد أجيب عنه بأن السالبة تحتل نفي موضوعها كما تحتل نفي محمولها وحده ، فيكون المعنى عليه محتملاً لنفي الثلاثة والاثنين أيضاً ، ولكن الحمل على هذا نادر

(٢) - ي - ٧٣ - س - ٥

(٣) السؤال المحقق هو المذكور في الكلام والمقدر بخلافه .

(٤) - ي - ٢٥ - س - ٣١

(٥) - ي - ٦٣ - س - ٢٩

(٦) هو من قول الخارث بن ضرار النهشلي أو الخارث بن نهيك :

وقراءة من قرأ (يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ، رَجَالٌ)^(١) وقوله
(كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)^(٢) ببناء
الفعل للمفعول^(٣) وفضل هذا التركيب على خلافه أعنى نحو - ليبيك يزيد
ضارع - ببناء الفعل للفاعل ونصب يزيد من وجوه : أحدها أن هذا التركيب
يفيد إستناد الفعل إلى الفاعل مرتين إجمالاً ثم تفصيلاً ، الثاني أن نحو - يزيد -
فيه ركن الجملة لأفضلة^(٤) الثالث أن أوله غير مطمع للسامع في ذكر الفاعل ،
فيكون ورود ذكره كمن تيسرت له غنيمة من حيث لا يحتسب ، وخلافه بخلاف
ذلك

ومن هذا الباب - أعنى الذى قريبته وقوع الكلام جواباً عن سؤال
مقدر - قوله^(٥) تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن) على وجهه^(٦) فإن (لله شركاء) إن

لِيُبَيِّنَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِمُخَصِّمِهِ وَخُتْبَطُ مِمَّا تُطَيِّحُ الطَّوَائِفُ
بمعنى يزيد بن نهشل ، والضارع الذليل ، والمختبط الذى يأتى اليك المعروف
من غير وسيلة ، وقوله - تطيح - بمعنى تذهب وتهلك ، والطوائف جمع مطيحة
على غير القياس وقياسه مطاوع أو مطيحات ، والشاهد فى حذف فعل - ضارع -
إذ التقدير - يبيكه ضارع ، يصفه بأنه كان ملجأ الذليل وعون المحتاج

(١) - ١ - ٣٦ - س - ٢٤

(٢) - ١ - ٣ - س - ٤٢

(٣) فيكون كل من لفظ الجلالة ورجال فى الآيتين فاعلاً لفعل محذوف تقديره
- يوحى ويستبح .

(٤) كونه ركن الجملة يفيد الاعتناء بشأنه ، ويناسب مقام رثائه .

(٥) - ١ - ١٠٠ - إس - ٦

(٦) هو الوجه الذى سينقله عن عبد القاهر لا الوجه الذى المذكوران بعده .

جُعِلَا مفعولين لجمعوا فالجن يحتمل وجهين : أحدهما ما ذكره الشيخ عبد القاهر^(١) من أن يكون منصوبا بمحذوف دل عليه سؤال مقدر ، كأنه قيل : من جعلوا الله شركاء ؟ فقيل : الجن . فيفيد الكلام إنكار الشرك مطلقا ، فيدخل اتخاذ الشريك من غير الجن في الإنكار دخول اتخاذ من الجن ، والثاني ما ذكره الزمخشري ، وهو أن ينتصب (الجن) بدلا من شركاء ، فيفيد إنكار الشريك مطلقا أيضا كما مر^(٢) وإن جعل (الله) لغوا^(٣) كان (شركاء الجن) مفعولين قدّم ثانيهما على الأول ، وفائدة التقديم استعظام أن يتخذ الله شريك مَلَكًا كان أو جنبا أو غيرها ، ولذلك قسم اسم الله على الشركاء ، ولولم يبين الكلام على التقديم وقيل — وجعلوا الجن شركاء لله — لم يفد إلا إنكار جعل الجن شركاء ، والله أعلم . ومنه ارتفاع الخصوص في باب — نعم وبئس — على أحد القولين^(٤) .
أغراضه الزكر : وأما ذكره فيما لنحو ما مر في باب المسند اليه من زيادة التقرير والتعريض بعبادة السامع والاستلذاذ والتعظيم والإهانة وبسط الكلام^(٥)

(١) ١٨٧ ، ١٨٨ — دلائل الإعجاز

(٢) لأنه يكون بدل بعض من كل ، والتقدير الجن منهم

(٣) أي جارا ومجرورا متعلقا بشركاء مقدما عليه

(٤) هو قول من يجعله مبتدأ محذوف الخبر ، فيكون التقدير في قولك — نعم الرجل زيد — زيد الممدوح ، وهو واقع في جواب سؤال مقدر أيضا ، كأنه قيل : من الممدوح ؟ وقيل : إنه خبر مبتدأ محذوف . وقيل : إنه بدل من الفاعل قبله . فالأقوال أربعة لا اثنان .

(٥) زيادة التقرير كما في قوله تعالى (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْبَرُّزُ الْعَلِيمُ) — ي ٩ — س — ٤٣ — والتعريض بعبادة السامع كما في قولك — محم — نبينا — في جواب سؤال — من نبيكم ؟ والاستلذاذ

وإما ليتعين كونه اسما فيستفاد منه الثبوت ^(١) أو كونه فعلا فيستفاد منه التجدد ^(٢) أو كونه ظرفا ^(٣) فيورث احتمال الثبوت والتجدد ^(٤) وإما التحو ذلك قال السكاكي ^(٥) وإما للتعجيب من المسند اليه بذكره ، كما إذا قلت -زيد يقاوم الأسد - مع دلالة قرائن الأحوال ^(٦) وفيه نظر ، لحصول التعجيب بدون الذكر إذا قامت القرينة ^(٧)

كما في قولك - هي سعاد - في جواب هل هذه سعاد ؟ وهكذا ، ولا بد في الذكر من قرينة كما سبق في ذكر المسند اليه

(١) أى الدلالة على النسبة من غير تقييد بزمان

(٢) أى الدلالة على الحدوث بعد العدم

(٣) أو جارا ومجرورا

(٤) لأن نحو - زيد في الدار - تقديره زيد مستقرا واستقر في الدار ، وهذا وما قبله معان أصلية للاسم والفعل والظرف ، فليست في شيء من البلاغة

(٥) ١١١ - المفتاح

(٦) بأن يكون جواب سائل - من يقاوم الأسد - ؟

(٧) أجيب عنه بأن القرينة على المسند لاعلى التعجيب ، وإنما يحصل التعجيب

بذكره مع الاستغناء عنه

تمرينات على الذكر والحذف

تمرين — ١

(١) لم حذف المسند في قول الشاعر

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يُفقرُ والإقدام قتال

(٢) لم ذكر المسند بعد — بل — في قوله تعالى (قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِلِئَالِنَا

يَا إِبْرَاهِيمُ ، قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ)

— ي — ٦٢ ، ٦٣ — من — ٢١

تمرين — ٢

(١) لم حذف المسند الأول وأعيد ذكر الثاني في قول الشاعر .

لولا النقي لجعلت قبرك كعيني وجعلت قولك سنئي وكتابي

(٢) لم حذف المسند في قوله تعالى (وَأَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ

مِنْهُ يَصِيذُونَ) — ي — ٥٧ — من — ٤٣

تمرين — ٣

(١) لم حذف المسند أولاً ثم المسند إليه ثانياً في قول الشاعر :

والناسُ هذا حظُّهُ مالٌ وذاً رِعلُهم وذاك مكارمُ الأخلاقِ

(٢) بين المحذوف والداعي إلى حذفه في قول الشاعر :

والطيبيرُ أقعدها السُّكَّرُ والناسُ نامتِ والوُجُودُ

تمرين — ٤

(١) لماذا حذف المسند في قولهم — أَحْشَنَّا وَسُوءَ رَكِيلَةٍ .

(٢) لماذا أعيدَ ذكر المسند في قول الخنساء :

أَعَيْنِي جُودًا وَلَا تَجْمُدَا أَلَا تَبْكِيَانِ رِاصِحِرِ الزَّمَى

أَلَا تَبْكِيَانِ الْجَوَادَ الْجَمِيلَ أَلَا تَبْكِيَانِ الْفَقَى الْيَمِيدَا

أغراضهم المفرار: وأما إفراده فلـكونه غير سببي مع عدم إفادة تقوى الحكم^(١) كقولك - زيد منطلق، وقام عمرو - والمراد بالسببي نحو - زيد أبوه منطلق^(٢) قال السكاكي^(٣) وأما الحالة المقنضية لإفراده فهي إذا كان فعلها ولم يكن المقصود من نفس التركيب تقوى الحكم، وأعني بالمسند الفعلي ما يكون مفهومه محكوماً به بالثبوت للمسند إليه أو بالانتفاء عنه، كقولك - أبوزيد منطلق، والسكر^(٤) من البرء يستبين، وضرب أخو عمرو، ويشكر بك إن تعطه، وفي الدار خالد - إذ تقديره - استقرأ وحصل في الدار - على أقوى الاحتمالين^(٥) تمام الصلة بالظرف، كقولك - الذي في الدار أخوك^(٦) وفيه نظر من وجهين:

(١) نحو - زيد قائم - وإنما يكون ذلك عند اقتضاء المقام له بأن يكون المخاطب خالي الذهن من الحكم، فلا يؤتى له بصورة تفيد تقوية، وهي صورة تقديم الاسم على الخبر الفعلي كما سبق في المسند إليه، وإنما اختص إفراده بذلك لأنه إذا كان سببياً أو مفيداً للتقوى كان جملة لا مفرداً

(٢) فالسببي كل جملة علق على مبدء بعائد لا يكون مسنداً إليه في تلك الجملة، لأنه إذا كان مسنداً إليه فيها كان من صورة تقرية الحكم نحو - زيد ينطلق - والسببي نسبة إلى السبب وهو ضمير الربط

(٣) ١١١ - المفتاح

(٤) هو مكيال مقداره أربعون أردباً، وقيل: غير ذلك

(٥) الاحتمال الثاني تقديره إما أي مستقر أو حاصل

(٦) فإن تقديره - الذي استقرأ وحصل في الدار أخوك، ولا يصح تقدير حاصل أو مستقر فيه، لأن الصلة لا تتم به، ولكن تعين هذا في الصلة لا يوجب أرجحية في غيرها

أحدهما أن ما ذكره في تفسير المسند الفعلي يجب أن يكون تفسيراً للمسند هاتفاً^(١) والظاهر أنه إنما قصد به الاحتراز عن المسند السببي ، إذ فسر المسند السببي بعد هذا بما يقابل تفسير المسند الفعلي ، ومثله بقولنا — زيد أبوه منطلقاً وانطلاق ، والبئر الكُر منه بستين — فجعل كما ترى أمثلة السببي مقابلةً لأمثلة الفعلي مع الاشتراك في أصل المعنى^(٢) والثاني أن الظرف الواقع خبراً إذا كان مقدراً بجملة كما اختاره كان قولنا — الكر من البر بستين — تقديره — الكر من البر استقر بستين ، فيكون المسند جملة ويحصل تقوى الحكم كما مر ، وكذا إذا كان — في الدار خالد — تقديره — استقر في الدار خالد — كان المسند جملة أيضاً ، ليكون — استقر — مسنداً إلى ضمير خالد لا إلى خالد على الأصح لعدم اعتماد الظرف على شيء^(٣) .

أغراض كونه المسند فعلاً أو اسماً : وأما كونه فعلاً فلا تنقييد بأحد الأزمنة الثلاثة على أخصر ما يمكن^(٤) مع إفادة النجدة^(٥)

(١) لأنه يشمل المسند إذا كان فعلاً أو غيره ، نحو انطلق زيد ، وزيد منطلق ، وزيد أبوه منطلق .

(٢) يعني به المعنى الذي ذكره للفعل ، لأنه يشمل كل مسند كما سبق فيدخل فيه السببي ، وإذا كان داخلاً في معنى الفعل لم تصح المقابلة بين أمثلتهما .

(٣) مقابل الأصح يجعل خالداً فاعلاً لمتعلق الظرف ، فلا تكون جملة مركبة من مبتدأ وخبر ، وهذا إنما يأتي في الأصح إذا اعتمد الظرف على نفي أو شبهة ، نحو — في الدار خالد ؟

(٤) نكتة الاختصار هي في الحقيقة مرجع البلاغة في هذا الغرض ، لأن دلالة الفعل على الأزمنة الثلاثة بأصل وضعه ، ووجه الاختصار أن قولك — قام زيد أو زيد قام — يفيد مع الاختصار معنى قولك — زيد حصل منه القيام في الزمن الماضي — ولكن هذا الاختصار لا يكاد يمتاز به بليغ عن غيره ، والذي يدخل منه في معنى البلاغة دلالة على الاستمرار المتجدد كما سيأتي .

(٥) المراد بالتجدد حصول الشيء بعد عدمه ، والفعل يدل عليه بأصل وضعه أيضاً ،

وأما كونه اسما فلا فائدة عدم التقييد ^(١) والتجديد، ومن البين فيه ما قول الشاعر:
لا يأنف الدرهم المضروب صُرْتُنا لسكن يَمُرُّ عليها وهو منطق ^(٢)
وقوله :

أو كلمنا وردت عكاظ قيمة ^(٣) بعثوا إلى عريفهم يتوسم ^(٤)
إذ معنى الأول على انطلاق ثابت للدرهم مطلقا من غير اعتبار تجدد وحدوثه،
ومعنى الثانى على توسم وتأمل ونظر يتجدد ^(٥) من العريف هناك.

ولما تعرض لإفادته ذلك لأن من الاسماء ما يشارك الفعل فى الدلالة على أحد
الازمنة كاسم الفاعل، فإنه حقيقة فى الحال مجاز فى الاستقبال
(١) أى بأحد الازمنة لأنه يدل على الثبوت فقط، وهى دلالة وضعية
لا يصح عددها من وجوه البلاغة، ولما الذى يصح عدده دلالة على الدوام بمعونة
القرائن إذا كان المقام يقتضى كمال المدح أو الذم ونحوهما، كما سيأتى فى البيت
الآتى.

(٢) هو للنضر بن جُؤيَّة، والمشهور نصب — صرنا — على أنه مفعول،
ولكن الاحسن نصب الدرهم ليكون عدم الإلف من جانب الصرة، فيدل على
غناهم وإنفاقهم، أما الأول فيحتمل أن عدم إلف الدرهم صرتهم لفقرهم، مع أنه
يقصد المدح بغناهم وجودهم، ولهذا حمل بعضهم الجملة الاسمية — وهو منطلق —
على إفادة الدوام ليكون المدح أكمل

(٣) هو لطريف بن تميم العبدي، وعكاظ سوق بين نخلة والطائف، والعريف
القيسم الذى يقوم بأمر القوم، يريد أنهم يبعثون اليه عريفهم من أجل شهرته وعظمته،
(٤) يريد به الدوام التجددى، والفعل إنما يدل عليه بمعونة القرائن، لأن
التجدد الذى يدل الفعل عليه بأصل وضعه هو حصول الشيء بعد عدمه، والبلاغة
فى الفعل إنما تكون بدلالته على الدوام التجددى، وما يقين الفرق فيه بين المسند
الفعلى والمسند الاسمى قوله تعالى (الله يزيهم) (بعده قوله) (إنما نحن مستهزئون)
— ١٤، ١٥ — س — ٢ — لأن دلالة الأول على الاستمرار التجددى وهو أبلغ

اغراض تقييد الفعل بمفعول ونحوه وترك تقييده : وأما تقييد الفعل

بمفعول ونحوه فترتبة الفاعلة ^(١) كقولك - ضربت ضرباً شديداً ، وضربت زيدا ، وضربت يوم الجمعة ، وضربت أمامك وضربت تأديباً ، وضربت بالسوط ، وجلست والسارية ، وجاء زيد راكباً ، وطاب زيد نفساً ، وما ضرب إلا زيد ، وما ضربت إلا زيدا ^(٢)

والمقيّد في نحو - كان زيد قائماً - هو - قائماً - لا - كان ^(٣)

وأما ترك تقييده فلمّا نزع من ترتبة الفاعلة ^(٤)

(١) أى تسكثيرها ، ولا يخفى أن تقييد الفعل بذلك من أحوال متعلقات الفعل فلا معنى لذكره هنا ، ولا يخفى أيضاً أن هذا التقييد يرجع إلى أصل معاني تلك المتعلقات ، فيجب أن يكون اعتبار ذلك هنا عد وجود القرينة التي تغني عن ذكرها ، كما اعتبر وجود القرينة في ذكر المسند اليه والمسند ، ومثال ذلك هنا أن يقال لك : هل تحب هذا ؟ فتقول : أحب هذا

(٢) الاستثناء في الأول من الفاعل وفي الثاني من المفعول ، وقيد الفعل فيهما هو المستثنى لأنه في الحقيقة مذكوب إلى المستثنى منه المحذوف ، فيكون المستثنى قيداً فيهما وإن كان في الأول هو الفاعل في الظاهر

(٣) لأن - قائماً - هو المسند ، فهو الذي يدل على الحدث المراد إسناده - وكان - تدل على زمانه ، فكأنك قلت - زيد قائم في الزمان الماضي

(٤) كخوف انقضاء فرصة أو ضيق مقام أو نحو ذلك من أغراض الحذف ، وبهذا يرجع اعتبار التقييد وتركه إلى اعتبار الحذف والذكر ، ومن ترك التقييد لخوف انقضاء فرصة قول الصائد لمن معه - حبس الصيد - فلا يقول في الشّرْك ليبادر إليه قبل فواته بالفرار أو مرته قبل ذبحه .

أغراضه تغيير الفعل بالشرط : إن وذا : وأما تقييده ^(١) بالشرط فلا اعتبارات

لا تعرف إلا بمعرفة ما بين أدواته من التفصيل ، وقد يُبين ذلك في علم النحو ^(٢)
ولكن لا بد من النظر ههنا في - إن و إذا ولو

أما - إن و إذا - فهما للشرط في الاستقبال ^(٣) لكنهما يفترقان في شيء وهو
أن الأصل في - إن - ألا يكون الشرط فيها مقطوعاً بوقوعه ^(٤) كما تقول
لصاحبك - إن تسكرني أكرمك - وأنت لا تقطع بأنه يكرمك .

والأصل في - إذا - أن يكون الشرط فيها مقطوعاً بوقوعه ^(٥) كما تقول - إذا
زالت الشمس آتيتك - ولذلك كان الحكم النادر مَوْقِعاً لِإِنْ ، لأن النادر غير مقطوع

(١) أى الفعل الواقع مسنداً في الجزاء ، فالشرط قيد لحكم الجزاء كالمفعول
ونحوه ، لأن قولك - إن جئتني أكرمك - بمنزلة أكرمك وقت مجيئك .

(٢) لا يخفى أن تلك الاعتبارات اعتبارات نحوية ، وليست في شيء من
اعتبارات البلاغة إلا أن ينظر إلى دلالة أدوات الشرط على تعليق الجزاء بالشرط
في أحصر عبارة ، فتكون نظير حروف العطف فيما سبق ، وذلك وجه ضعيف
من وجوه البلاغة .

(٣) أى لتعليق حصول الجزاء بحصول الشرط في الاستقبال

(٤) بأن يتردد في وقوعه أو يظن عدم وقوعه ، أما القطع بعدم وقوعه
لاستحالة فلا تستعمل فيه - إن - إلا لنسكتة كما سيأتى في قوله تعالى (قُلْ إِنْ
كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ) - ي - ٨١ - س - ٤٣ - ومثل - إن - في دلالتها على ذلك
بأى أدوات الشرط كما ذكره الدسوقي في حاشيته على المختصر .

(٥) مثل القطع في ذلك ظن وقوعه ، ولا يخفى أن الأداتين يدلان على ذلك
بأصل الوضع ، ولكن إشار إحداهما على الأخرى في موضع يصلح لهما قد يكون
لاعتبارات دقيقة كما سيأتى في أمثلتهما .

به في غالب الأمر، وغلب لفظ الماضي مع — إذا — لكونه أقرب إلى التقطع بالوقوع نظراً إلى اللفظ ^(١) قال تعالى ^(٢) (فَأِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطْفِرُوا يَمْوَسُونَ وَمَنْ مَعَهُ) ^(٣) أتى ^(٤) في جانب الحسنه بلفظ — إذا — لأن المراد بالحسنه الحسنه المطلقة التي حصوها مقطوع به، ولذلك عرفت تعريف الجنس ^(٥) وجوز السكاي ^(٦) أن يكون تعريفها للعهد، وقال : وهذا أقصى لحق البلاغة . وفيه نظر ^(٧) وأتى في جانب السيئة بلفظ — إن — لأن السيئة نادرة بالنسبة إلى الحسنه المطلقة ولذلك فُكِّرَتْ ^(٨)

ومنه قوله ^(٩) تعالى (وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصيبهم سيئة بما قدمتم أيديهم إذا هم يفتنون) أتى بإذا في جانب الرحمة، وأما تكثيرها فجعله

(١) إنما كان هذا بالنظر إلى اللفظ. لأن الماضي معها ينقل إلى الاستقبال

(٢) - ي - ١٣١ - س - ٧

(٣) هذه الاعتبارات تأتي في كلام الله تعالى لأنه وارد على أساليب كلام البشر. وإن لم يتصور فيه جزم ولا عدمه، فغير آتى فيه ذلك على فرض أنه مخلوق يجوز عليه الجرم والتردد.

(٤) يعني الحقيقة في ضمن فرد مهم بدليل إسناد المجيء إليها.

(٥) ١٣٠ - المفتاح

(٦) وجهه أنه ذكر أن المراد الحسنه المطلقة والإطلاق ينافي العهد، وأجيب عنه بأنه يريد العهد على مذهبه من تنزيل الحقيقة منزلة المعبود لاعتبار من الاعتبارات، والذي ينافي الإطلاق العهد الحقيقي الذي يراد فيه فرد معين، وإنما كان ذلك أقصى لحق البلاغة لأن المعبود أقرب إلى التحقق من الجنس الذي لا عهد فيه، ولكن هذا لا يخلو من تكلف.

(٧) لأن التكثير في أصله يفيد التقليل لدلالته على الوحدة، بخلاف - أل - الجنسية.

(٨) - ي - ٣٦ - س - ٣٠

السكاكى ^(١) للنوعية نظراً إلى لفظ الإذاقة ، وجعله للتقليل نظراً إلى لفظ الإذاقة كما قال أقرب ^(٢) وأما قوله ^(٣) تعالى (وَإِذَا مَسَّ النَّاسُ ضُرًّا) بلفظ — إذا — مع الضّر فلانظر إلى لفظ المس، وإلى تنكير الضّر المفيد في المقام التوبيخى القصد إلى اليسير من الضر ، وإلى الناس المستحقين أن بلحقهم كل ضرر ، وللتنبية على أن مساس قدر يسير من الضر لا مثال هؤلاء حقّه أن يكون في حكم المقطوع به ، وأما قوله ^(٤) تعالى (وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَوَدُّ عَاءَ عَرِيضٍ) بعد قوله عز وجل (وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ) أى أعرض عن شكر الله وذهب بنفسه وتكبر وتعظم ، فالذى تقتضيه البلاغة أن يكون الضمير في (مسه) للمعرض المتكبر ، ويكون لفظ — إذا — للتنبية على أن مثله يحق أن يكون ابتلاؤه بالشّر مقطوعاً به .

قال الزّخّشّرئى : وللجهل بموقع — إن وإذا — يزيغ كثير من الخاصة عن الصواب فيغلطون ، ألا ترى إلى عبد الرحمان بن حسان ^(٥) كيف أخطأ بهما للموقع في قوله يخاطب بعض الولاة وقد سأله حاجة فلم يقضها ، ثم شفع له فيها فقضاهما :
 ذَمِّتْ وَلَمْ تُحْمَدْ وَأَدْرَكْتُ حَاجَتِي قَوْلِي سِوَاكُمْ أَجْرَهَا وَاصْطَنَاعَهَا
 أَنِي لَكَ كَسْبُ الْحَمْدِ رَأْيٌ مُقَصَّرٌ وَنَفْسِي أَضَاقَ اللَّهُ بِالْخَيْرِ بِأَعْيَا
 إِذَا هِيَ حَيْثُهُ عَلَى الْخَيْرِ مَرَّةً عَصَاهَا وَإِنْ هَمَّتْ بِشَرِّ أَطَاعَهَا

(١) ١٣٦ — المفتاح

(٢) لأن الإذاقة أثرها أضمر من غيرها ، وقد اعترض على هذا بأنه يتنافى ما ذكر في الآية السابقة من أن إطلاق الحسنة المفيد للكثير هو الذى يناسب — إذا — فلا يكون التقليل هنا فى الرحمة مناسباً لها

(٣) — ي — ٢٣ — س — ٣٠ — (٤) — ي — ٥١ — س — ٤٤

(٥) قيل : إن هذه القصة وما فيها من الشعر لسعيد بن عبد الرحمان بن حسان

ظلو عكس لأصاب^(١)

وقد تستعمل — إن — في مقام القطع بوقوع الشرط لنكتة :

كالتجاهل لاستدعاء المقام إياه^(٢)

وكعدم جزم المخاطب ، كقولك لمن يكذبك^(٣) فيما تخبر — إن صدقت

فقل لي ماذا تفعل ؟

وكنزيلة منزلة الجاهل^(٤) لعدم جريه على موجب العلم ، كما تقول لمن

يؤذى أباه — إن كان أباك فلا تؤذه

والتوبيخ على الشرط وتصوير أن المقام لاشتماله على ما يقلعه عن أصله

لا يصلح إلا لفرضه كما يفرض المحال لفرض^(٥) كقوله^(٦) تعالى (أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ

الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) فيمن قرأ — إن — بالكسر لقصد التوبيخ

(١) يعني بالعكس أن يقول — إن هي حشته، وإذا همت — ووجه الصواب

فيه أنه هو المناسب لما يقصده من الهجاء ، وأجيب عنه بأنه يقصد في — إذا —

لإثبات حث نفس الوالي له على الخير وأنه مع ذلك يعصيه ، وهو أبلغ في الذم ،

وبأنه يقصد في — إن — أنه يبادر إلى الشرع مجرد توهم نفسه له ، وهو أبلغ في الذم أيضاً

(٢) كأن يسأل خادم عن سيده : هل هو في الدار ؟ وهو يعلم أنه فيها ، فيقول

— إن كان فيها أخبرك — فيتجاهل خوفاً من سيده .

(٣) أي لمن يجوز كذبك ، لأن المقام في عدم جزم المخاطب .

(٤) يعني به الشاك لأنه هو الأصل في استعمال — إن — والفرق بين هذا

وما قبله أن الشك غير حقيق هنا ، وفيما قبله حقيق

(٥) كإرخاء العنان لإلزام الخصم

(٦) — ي — ٥ — س — ٤٣

والتهجيل في ارتكاب الإسراف، وتصوير أن الإسراف من العاقل في هذا المقام واجب الانتفاء، حقيق ألا يكون ثبوته إلا على مجرد الفرض وكتغليب غير المنتصف بالشرط على المنتصف به ^(١) وبحجج قوله ^(٢) تعالى (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا) بأن يحتمل أن يكون للتوبيخ على الرية لاشتغال المقام على ما يقلعها عن أصلها، ويحتمل أن يكون لتغليب غير المرتابين من المخاطبين على المرتابين منهم ^(٣) فإنه كان فيهم من يعرف الحق وإيمانه عناداً ^(٤)

(١) يعني تغليب المشكوك في اتصافه بالشرط على المجزوم باتصافه به، ولا يعني تغليب المجزوم بعدم اتصافه به على المجزوم فيه بذلك، لأن كلامها ليس هو المذموم الأصلي لها، والمراد تغليب مقامها الأصلي على غيره

(٢) - ي - ١٣ - س - ٢

(٣) استعرض على هذا بأن ما هنا جمع بين مراتب يقينا وغير مراتب يقينا، وكل منهما لا تستعمل فيه - إن - فالوجه أن يحتمل من تغليب من يشك في أرتيابه كالمنافين على غيرهم. ويمكن أن يحتمل من تغليب غير المرتابين، على المرتابين على أنه بعد التغليب صار الجميع بمنزلة غير المرتابين، فصار الشرط قطعي الانتفاء فاستعمل - إن - فيه على سبيل الفرض للتبكيك والإلزام، ولا يخفى ما في هذا من التكلف (٤) هؤلاء هم غير المرتابين

هذا وكما تستعمل - إن - في مقام القطع بوقوع الشرط لنسكته، تستعمل في مقام القطع بعدم وقوعه لنسكته أيضا، وذلك كالتبكيك والإلزام الخصم والمبالغة ونحو ذلك، ومن هذا الاستعمال قوله تعالى (قُلْ إِنْ كَانَتْ لِرَأْسِ الْوَيْدِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) - ي - ٨١ - س - ٤٣

وقد تستعمل - إذا - في مقام الشك لنسكته، كالإشعار بأن الشك في الشرط لا ينبغي أن يكون، كقولك لمن قال: لا أدري هل يتفضل على الأمير؟ - إذا تفضل عليك

وكذلك قوله ^(١) تعالى (إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ)

استطرد الى التغليب : والتغليب باب واسع ^(٢) يجرى في فنون كثيرة ^(٣)

كقوله ^(٤) تعالى (لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا) أدخل شعيب عليه السلام في (لنعوذن في ملتنا) بحكم التغليب إذ لم يكن شعيب في ملتهم أصلاً ، ومثله قوله ^(٥) تعالى (إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ) وكقوله ^(٦) تعالى (وَكُنْتَ مِنَ الْفَارِثِينَ) عُدَّتِ الْإِنْفَى مِنْ

فكيف يكون شركك ؟ الإشعار بأن الأمير لا ينبغي الشك في تفضله ، وقد تستعمل في ذلك أيضاً لتغليب المتصف بالشرط على غير المتصف به ، ولكن استعمال - إذا - في مقام الشك نادر ، بخلاف استعمال - إن - في مقام الجزم .

(١) - ي - ٥ - س - ٢٢ .

(٢) لا يخفى أن التغليب معدود في المحسنات البديعية ، فلا معنى لذكره هنا ، وهو إعطاء أحد المتصاحبين أو المتشابهين حكم الآخر بجعله موافقاً له في الهيئة أو المادة . فالأول كقوله تعالى (وكانت من القاتنين) والثاني كالآبوين للأب والام ، وكالقمرين للقمر والشمس ، وقيل : إن التغليب من المجاز المرسل لعلاقة المجاورة ، أو من باب عموم المجاز ، بأن يراد من (القاتنين) مثلاً الذوات المتصفة بالقنوت ، ويصح بهذا أن يلحق التغليب بعلم البيان ، والحق أنه ليس من المجاز ، لأن المجاز نقل اللفظ من معنى إلى آخر . أما التغليب فهو كالمشكلة الآتية في البديع ، فيأتما ينقل فيه المعنى من لباس إلى لباس لا اللفظ ، وهذا إلى أنه لا علاقة فيه من مجاورة أو غيرها ، لأن علاقة المجاورة تكون بين مدلولي اللفظين لا بين اللفظين ..

(٣) أي يجرى في أساليب من الكلام لاعتبارات مختلفة غير محدودة ولا مضبوطة ، وشأنه في ذلك شأن غيره من المحسنات البديعية .

(٤) - ي - ٨٨ - س - ٧ .

(٥) - ي - ٨٩ - س - ٧ .

(٦) - ي - ١٢ - س - ٦٦ .

الذكور بحكم التغليب ^(١) وكقوله ^(٢) تعالى (فَسَجَدُوا لِأَبْلِيسَ) عُدَّ إبليس من الملائكة بحكم التغليب ، وكقوله ^(٣) تعالى (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بُغَا) بناء الخطاب ، غَلَبَ (أَنْتُمْ) على جانب (قَوْم) ^(٤) ومثله (وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) ^(٥) فيمن قرأ بالناء ^(٦) وكذلك قوله ^(٧) تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) غلب المخاطبون في قوله (اعلمكم تتقون) على الغائبين ^(٨) في اللفظ، والمعنى على إرادتهم جميعاً لأن لكل

(١) هذا على أن — من — تبعيضية ، ويجوز جعلها ابتدائية على أن المراد بالقائتين آباؤها الأولون كإبراهيم وإسحاق ، والأول أبلغ لما في التغليب من الإشعار بأنها بلغت في طاعتها مبلغ أولئك الرجال القائتين حتى عُدَّتْ منهم .

(٢) — ي — ٣٤ — س — ٢ .

(٣) — ي — ٥٥ — س — ٢٧ .

(٤) قيل : إن ذلك التفات من الغيبة إلى الخطاب ، وَرَدَّ بِأَنَّ الخطاب فيه مسبوق بخطاب مثله ، فلم يجر على خلاف السياق حتى يكون التفاتاً .

(٥) — ي — ١٢٣ — س — ١١ .

(٦) غلب فيها خطاب النبي في قوله تعالى قبل ذلك (فَاعْبُدْهُ) وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ) على من ورد ذكرهم قبله في قوله (وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِكُمْ إِنَّا سَاهٍ) .

(٧) — ي — ٢١ — س — ٢ .

(٨) في قوله (وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) والمخاطبون هم الناس في قوله (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) وهم أمة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم .

متعلقة بخلقكم لا باعبدوا^(١) وهذا من غواض التغليب ، وكقوله تعالى^(٢) (وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّوكُمْ فِيهِ) فَإِنْ اِخْطَأَ فِيهِ^(٣) شامل للعقلاء والأنعام ، فغالب فيه المخاطبون^(٤) على الغيب^(٥) والعقلاء^(٦) على الأنعام^(٧) وقوله تعالى (يَذُرُّوكُمْ فِيهِ) أى يَبْشُرُكُمْ ويكثركم فى هذا التدبير ، وهو أن جعل للناس والأنعام أزواجاً حتى كان بين ذكورهم وإناثهم التوالد والتناسل ، فجعل هذا التدبير كالتنبيح والمعدن للبحث والتكثير ، ولذلك قيل (يَذُرُّوكُمْ فِيهِ) ولم يقل — به — كما فى قوله تعالى (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ)^(٨)

واعلم أنه لما كانت هاتان السكنتان لتعليق أمر بغيره — أعنى الجزاء بالشرط — فى الاستقبال^(٩) امتنع فى كل واحدة من جملتيهما الثبوت وفى أفعالها المضى — أعنى أن يكون كلتاهما الجلتين أو إحداها اسمية أو كلا الفعلين أو أحدهما

(١) فلو تعلق به لم يكن ذلك من التغليب ، لأنه يراد به المخاطبون وخدم

(٢) — ي — ١١ — سر ٤٢

(٣) أى فى قوله (يَذُرُّوكُمْ)

(٤) أى فى قوله (وَجَعَلَ لَكُمْ)

(٥) هم الأنعام

(٦) هم المخاطبون

(٧) لأنه جمع مالا يعقل ، فالأفصح فيه أفراد الضمير العائد عليه ، ولكنه غلب عليه العقلاء فجمع الضمير

(٨) — ي — ١٧٩ — س — ٢ — فقد جعل القصاص كالمنبع للحياة

(٩) متعلق بمحذوف تقديره كائنين فى الاستقبال ، ولا يتعلق بالمصدر وهو

— تعليق — لأنه حاصل فى الحال لافى الاستقبال .

ما ضيا - ولا يُخالف ذلك لفظاً^(١) نحو - إن أكرمتني أكرمتك ، وإن أكرمتني
أكرمتك ، وإن تكرمني أكرمتك ، وإن تكرمني فأنت مكرم ، وإن أكرمتني
الآن فقد أكرمتك أمس - إلا لنسكتة^(٢) ما^(٣) مثل إبراز غير الحاصل في صورة
الحاصل : إما لقوة الأسباب المتأخذة في وقوعه ، كقولك - إن اشتريتنا كذا -
حال انعقاد الأسباب في ذلك . وإما لأن ماهو للوقوع كالواقع ، كقولك - إن
مت كان كذا وكذا - كما سبق ، وإما للتناول ، وإما لإظهار الرغبة في وقوعه^(٤)
نحو - إن ظفرت بحسن العاقبة فهو المرام - فإن الطالب إذا تبالفت رغبته في

(١) أما في المعنى فالاستقبال باق على حاله ، ولو قلت - إن أكرمتني الآن
فقد أكرمتك أمس - لأن معناه إن تعمد بإكرامي الآن أعتد بإكرامك أمس ،
وكذلك قوله تعالى (وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلُ مِنْ قَبْلِكَ)
- ي - ٤ - س - ٣٥ - لأن جواب الشرط فيه محذوف تقديره فأصبر
وقد تستعمل - إن - في الماضي لفظاً ومعنى باطراد مع - كان - كقوله تعالى
(إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَهُ فَيُلْقُهُمْ فَتَقْدَرُ عَلَيْهِمْ) ي - ١٦ - س - ٥ - وعلى قلة مع
غيرها ، كقول أبي العلاء

فياً وطني إن فاني بك سابق من الدهر فلينعهم لساكنك البال

وقد تستعمل - إذا - في الماضي كذلك ، كما في قوله تعالى (حَتَّى إِذَا
سَارَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا) - ي - ٩٦ - س - ١٨ -
وهذا استعمال لغوي لهما لا يحتاج إلى نسكتة كاستعمالهما في الماضي لفظاً فقط

(٢) المثال الأخير على تقدير - إن تعمد بإكرامي الآن أعتد بإكرامك أمس
كما سبق ،

(٣) التناول للسامع وهو ذكر ما يسره ، والرغبة من المتكلم ، والمثال
المذكور صالح لهما

حصول أمر يسكنر تصويره إياه ، فربما يخيّل اليه حاصله ، وعليه قوله ^(١) تعالى
(وَلَا تُكْرَهُوا قَتِيلًا تَكُمُ عَلَى الْبَغَاءِ إِنْ أَرَدْتَ تَحَصُّنًا) وقد يقوى هذا التخيل
عند الطالب حتى اذا وجد حكم الحس بخلاف حكمه غلطه تارة ، واستخرج له
محلا أخرى ، وعليه قول أبي العلاء المعري :

ما سررت إلا وظيف منك يصحبنى سررى أمامى وتأويلاً على أثرى ^(٢)
يقول : لكثرة ما ناجيت نفسى بك انتقشت فى خيالى ، فأعدت بين يدي مغالطاً
للبرص بعلّة الظلام اذا لم يدركك ليلاً أمامى ، وأعدك خلفى اذا لم يتيسر لى
تغليظه حين لا يدركك بين يدي نهاراً
وإما لنحو ذلك :

قال السكاكى ^(٣) أول التمرىض ^(٤) كما فى قوله ^(٥) تعالى (لَنْ أَشْرَكَتْ

(١) — ي — ٣٣ — س — ٢٤ — ومعنى إظهار الرغبة فى حقه تعالى
إظهار كمال رضاء ، لتزوجه تعالى عن الرغبة .

(٢) هو لأحمد بن عبد الله المعروف بأبى العلاء المعري ، والتأليف الخيال ،
والسرى السير ليلاً ، والتأويب السير نهاراً مشتق من الأوب ، لأن الغالب أنهم
يسرون ليلاً ويؤوبون إلى منازلهم نهاراً ، وفى البيت تعقيد ظاهر .

(٣) ١٣٢ — المفتاح .

(٤) معطوف على ما ذكر السكاكى من الأسباب السابقة لإبراز غير الحاصل
فى صورة الحاصل ، وإنما صرح الخطيب باسم السكاكى فى هذا السبب مع أن ما
سبق منقول عنه ، لأن التعريض يحصل فى ذلك ولو عبّر بالمضارع بدل الماضى ،
فلا يصلح نكتة للتعبير بالماضى دونه كالأسباب السابقة ، وأجيب عر السكاكى
بأن ذكر المضارع فى ذلك لا يفيد التعريض لكونه على أصله ، والحق أنه يفيد
لأن مبنى التعريض فيه على نسبة الفعل إلى من لا يصح وقوعه منه ، وهى حاصلة
فى المضارع كالماضى .

(٥) — ي — ٦٥ — س — ٣٩

لِيَجْبِطُنَّ عَمَلُكَ (١) وقوله تعالى (وَلْتَنِ اتَّبِعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لِمَنْ الظَّالِمِينَ) وقوله (فَإِنْ زِلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ) (٢)

ونظيره في التعريض قوله (وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (٣) المراد ومالككم لا تعبدون الذي فطركم، والمنبئة (٤) عليه (ترجعون) وقوله (٥) تعالى (أَتَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقَذُونَ، إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) إذ المراد - أتتخذون من دونه آلهة إن يردكم الرحمن بضر لا تغن عنكم شفاعتهم شيئاً ولا ينقذونكم إنكم إذا لفي ضلال مبين، ولذلك قيل (٦) (آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ) دون - بربي - وأتبعه (فَأَسْمِعُونِ) ووجه حسنه (٧) تَطْلُبُ أَسْمَاعُ الْخَاطِبِينَ الَّذِينَ هُمْ أَعْدَاءُ الْمُسْمِعِ الْحَقِّ عَلَى وَجْهِ لَا يورثهم مزيد غضب، وهو ترك التصريح بنفسهم إلى الباطل ومواجهتهم

(١) - ي - ١٤٥ - س - ٢

(٢) - ي - ٢٠٩ - س - ٢

(٣) - ي - ٢٢ - س - ٣٦ - وإما كان نظيره ولم يكن منه لخلوه عن أداة الشرط.

(٤) لأنه لولا التعريض لكان المناسب للسياق واليه أرجع، وقد سبق التمثيل بالآية للاتفات، ولا منافاة بينه وبين التعريض

(٥) - ي - ٢٤٠ ٢٣ - س - ٣٦

(٦) في قوله تعالى بعد الآيتين السابقتين (إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ)

(٧) أي حسن هذا التعريض في قوله تعالى (وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي) وما بعده. أما التعريض في قوله (لَنْ أَشْرَكَتُ لِيَجْبِطُنَّ عَمَلُكَ) فيفيد نسبة الجبیط إليهم على وجه أبلغ من التصريح بنسبته إليهم.

بذلك ، ويعين على قبوله ^(١) لكونه أدخل في إحاط الصبح لهم ، حيث لا يريد لهم الا ما يريد لنفسه ، ومن هذا القبيل قوله ^(٢) تعالى (قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أُجِرْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا نَعْمَلُونَ) — فإن من حق النسق من حيث الظاهر — قل لا تسألون عما عملنا ولا نسأل عما نعملون ، وكذا ما قبله ^(٣) (وَإِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) قال السكاكي رحمه الله ^(٤) وهذا النوع من الكلام يسمى المنصف .

ومما يتصل بما ذكرناه أن الرُّخْشَرَىَّ قدَّرَ قوله ^(٥) تعالى (إِنْ يَكْفُرُوا بِكَ) يكونوا لكم أعداء ويَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَسْنَنَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ) وقال : الماضي وان كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع في علم الإعراب ^(٦) فإن فيه نسكنة ، كأنه قيل : وودوا قبل كل شيء كفركم وادادكم ، يعني أنهم يريدون أن يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعاً من قتل الأنفس وتزيق الأعراض وَرَدَّكُمْ كَفَارًا . وَرَدَّكُمْ كَفَارًا أَسْبَقُ الْمَضَارِ عِنْدَهُمْ وَأَوَّلُهَا ، أعلمهم أن الدين أعز عليكم من أرواحكم ، لأنكم بذلوا لها دونه ، والمعدو أهم شيء عنده أن يقصد أعز شيء عند صاحبه . هذا كلامه ، وهو حسن دقيق ، لكن في جعل (وودوا لوتكفرون) عطفاً على جواب الشرط نظر ، لأن وادادهم أن يرتدوا كفاراً حاصلة وإن لم يظفروا بهم ، فلا يكون في تقييدها بالشرط فائدة ، فلا دلي

(١) أى قبول الحق

(٢) — ي — ٢٥ — س — ٣٤

(٣) الضمير في قوله — قبله — يعود إلى قوله (قل لا تسألون) الآية

(٤) ١٣٣ — المفاتيح

(٥) — ي — ٢ — س — ٦٠

(٦) لأنه ينقلب فيه من الماضي إلى المستقبل

أَنْ يُجْعَلَ قَوْلُهُ (وَوَدُّوا لَوْ كَفَرُوا) عطفاً على الجملة الشرطية ، كقوله ^(١) تعالى (وَإِنْ يَأْتِلُوكُمْ يُؤْتُواكُمْ الْأَذْبَارُ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ) .

لو : وأما - لو - فهي للشرط في الماضي مع القطع بانتفاء الشرط فيلزم انتفاء الجزاء ^(٢) كانتفاء الإكرام في قولك - لوجتني لأكرمك - ولذلك قيل : هي لامتناع الشيء لامتناع غيره ^(٣) ويلزم كَوْنُ جملتيها فعليتين وكون الفعل ماضياً ^(٤)

(١) ي - ١١١ - س - ٣ - فإن قوله (لا ينصرون) معطوف على الجملة الشرطية .

(٢) يعني أن - لو - موضوعه للدلالة على امتناع الجزاء وعلى أن امتناعه ناشئ عن امتناع الشرط ، ولا يريد أن دلالاتها على امتناع الشرط بالوضع وعلى امتناع الجزاء بالضرورة ، فلا يعترض عليه بأن الشرط سبب في الجزاء ، ولا يلزم من انتفاء السبب انتفاء المسبب ، لأنه يجوز أن يكون له سبب آخر غيره ، وإذا كان هذا معنى - لو - بالوضع فإنه يلزمه أن العلم بامتناع الشرط لأجل العلم بامتناع الجزاء ، وبهذا يكون لهما معنيان : أحدهما وضعي ، وهو الشائع في القرآن والحديث وأشعار العرب ، كقول الحماسي :

ولو طار ذو حافرٍ قبلها لطارت* ولكنه لم يعطّر .

وقول أبي العلاء :

ولودامت الذُّلُّواتُ كانوا كغيرهم رعايا ولُسكين* ما هُنَّ دوام
ونانٍهما عقل . وهو المعتمد في علم المنطق والشائع في مقام الاستدلال العقلي ،
وعليه قوله تعالى (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا) - ي - ٢٢ -
س - ٢١ - لأن الغرض منه الاستدلال بامتناع الفساد على امتناع تعدد الآلهة
دون العكس .

(٣) أي لا امتناع الجزاء لامتناع الشرط ، لأن - لو - في كلامهم إنما تستعمل في الشرط الذي لا سبب سواه لجزائه ، فإذا حصل حصل وإذا انتق انتق
(٤) ذهب المبرد إلى أنها قد تستعمل وضعاً في المستقبل ، فلا يلتمس لها فيه
نكته ، كقول الشاعر

فدخولها على المضارع ^(١) في نحو قوله تعالى (لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ) لقصد استمرار الفعل فيما مضى وقتاً فوقتاً ^(٢) كما في قول الله تعالى (اللَّهُ يُسْتَهْزَى بِهِمْ) بعد ^(٣) قوله (إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ) وفي قوله تعالى (قَوْلِيلٌ لَهُمْ إِنَّمَا كُنْتُمْ بَشَرٌ مِّثْلَهُمْ وَيُؤْتِيهِمْ لَيْفٌ مِنْ رَبِّهِمْ) ودخولها عليه في نحو قوله ^(٤) (وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَارَ كِسُورِ زُورِهِمْ) وقوله ^(٥) تعالى (وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ) لتنزيله منزلة الماضي لصدوره عن لاخلاف في إخباره ، كما نزل (يُودُ) منزلة - وُدٌ - في قوله ^(٦)

ولو تلتقي أصداؤنا بعد موتنا ومن دون رمسينا من الأرض صَبَسْبُ
لظُلِّ صَدَى صَوْنِي وَإِنْ كُنْتُ رِمَةً لِيَصُوتَ صَدَى لَيْلِي يَهْشُ وَيَطْرَبُ
(١) هذا هو الذي يدخل في معنى البلاغة من استعمال - لو - وغيره
استعمال وضعي لا بلاغي

(٢) - ي - ٧ - س - ٤٩

(٣) فيكون المعنى في الآية أن امتناع عنهم بسبب امتناع استمراره على إطاعتهم

(٤) - ي - ١٥ - س - ٢

(٥) فلم يقل - الله مستهزى بهم - كما قالوا (نحن مستهزئون) لأن
المضارع يفيد استمرار الاستهزاء على سبيل التجدد ، وهو أبلغ من الاستمرار
والثبوت الذي تفيد الجملة الاسمية

(٦) - ي - ٧٩ - س - ٢ - إذ لم يقل - بما كسبوا - كما قال
(بما كُنت أيدىهم) لأن كسبهم يتجدد بخلاف ما كتبوه .

(٧) - ي - ١٢ - س - ٣٢

(٨) - ي - ٣١ - س - ٣٤

(٩) - ي - ٢ - س - ١٥ - لأن الفعل الواقع بعد - رَبٌّ - المكفوفة يجب
أن يكون ما ضيا عند ابن السراج وأبي علي ، والجمهور لا يوجبون ذلك .

تعالى (رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا) ويجوز أن يُرَدَّ الغرض من لفظ - ترى ويود - الى استحضار صُورَةٍ ^(١) رؤية المجرمين فاكسى الرؤوس قائلين لما يقولون ، وصورة رؤية الظالمين موقوفين عند ربهم متقلولين بملك المقالات ، وصورة ودادة الكافرين لو أسلموا ، كما في قوله ^(٢) تعالى (والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميث فاحييئنا به الأرض بعد موتها) إذ قال (فتثير سحابا) استحضاراً ^(٣) لتلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة ، من إثارة السحاب مُسَحَّرًا بين السماء والأرض ، تبدو في الأول كأنها قطع قطن مندوف ، ثم تنضمُّ متقابلة بين أطوار حتى يعدن رؤى ، وكقول تأبط شراً ^(٤)

أَلَا مَنْ مَبْلَغُ فَنِيَانٍ فَهَمَّ بِمَا لَاقَيْتُ عِنْدَ رَحَا بَطَانٍ ^(٥)
بَاقِي قَدْ لَقَيْتُ الْغَوْلَ نَهْوً بِسَبَبِ كَالصَّحِيفَةِ صَحْصَحَانٍ ^(٦)

(١) الحق أن هذا إنما يكون في حكاية الحال الماضية ، كما في قوله تعالى (وَنُفِثَ سَنَامُ رَبِّهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَذَاتَ الشِّمَالِ) - ي - ١٨ - س - ١٨ - ولم يثبت في كلامهم حكاية الحال المستقبلية كما هنا ، وقيل : إن ما هنا من حكاية الحال الماضية بعد تنزيل المنارخ منزلة الماضي ، وهو تكلف ظاهر

(٢) - ي - ٩ - س - ٣٥

(٣) هذا من استحضار الحال الماضية ، فلا يصح قياس ما سبق عليه .

(٤) هذا لقب غلب عليه ، واسمه ثابت بن جابر بن سفيان ، وقيل : إن الأبيات

لأبي الغول الطهوي

(٥) فهم قبيلة تأبط شرا ، ورحا بطان موضع .

(٦) قوله - نهوى - بمعنى تسرع ، والسهب الفلاة ، والصحصحان ما استوى

من الأرض .

فقلت لها كلابا نضو أرضي أخو سفر فغثي لي مكاني (١)
فشدت شدة نحوى فأهوت لها كفى بمصقول يمانى
فأضربها بلاد كمش فخرت صريعاً للدين وللجيران (٢)

إذ قال — فأضربها — ليصور لقومه الحالة التي تشجع فيها على ضرب الغول
كأنه يبصرهم إياها، ويتطلب منهم مشاهدتها، تعجيباً من جراته على كل هول،
وثباته عند كل شدة، ومنه قوله (٣) تعالى (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم
خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) إذ قال (كن فيكون) دون — كن
فكان — وكذا قوله (٤) تعالى (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء
فتمخضت الطير أو نهوى به الريح في مكان سحيق) .

(١) النضو الممزول من كل شيء فعل بمعنى مفعول، كأنه تُضَيَّ وأخرج
لحه من جذعها .

(٢) صريعاً فاعيل بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث، والجيران في
الأصل مقدم عنق البعير من مذبحه إلى منجره .

(٣) — ي — ٥٩ — س — ٣

(٤) — ي — ٣١ — س — ٢٢

تمرينات

على أفراد المسند واسميته وفعليته وتقييده وترك تقييده

تمرين — ١

(١) بين الداعى إلى فعلية المسند وظرفيته فى قوله تعالى (يَحْجُوا اللَّهَ مَا يَشَاءُ وَيُقْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ السَّكِينَاتِ) — ي — ٣٦ — س — ١٣

(٢) لم أتنى المتنبي بالمسند فعلا ثم ظرفا فى قوله :
تَدْبُرُ شَرْقَ الْأَرْضِ وَالْغَرْبَ كَفَّهُ وليس لها يوما عن الجود شاغل

تمرين — ٢

سلام على القبر الذى لا يجمينا ونحن نُحْيِي تَرْبَهُ وَنُخَاطِبُهُ

(٢) بين ما يستفاد من اسمية المسند وفعليته فى قول الشاعر :
يَهْوَى الثَّنَاءَ مُبَرَّرًا وَمَقْصُرًا حُبُّ الثَّنَاءِ طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ

تمرين — ٣

(١) أفرق بين الدوام الذى تفيد اسمية المسند بمعونة القرائن والدوام الذى تفيد فعليته بمعونة القرائن .

(٢) أيهما أحسن فى تقدير متعاقب الظرف والجار والمجرور ؟ وهل يدخل هذا فى البلاغة أولا يدخل ؟

تمرين — ٤

(١) لم عُبِّرَ بان فى قوله تعالى (وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَعْتِرٌ) — ي — ٢ — س — ٥٤

(٢) لم عُبِّرَ بأذا فى قوله تعالى (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ) — ي —

أغراضه التنكير : وأما تنكيره فإما لإرادة عدم الحصر والعهد ^(١) كقولك

— زيد كاتب ، وعمرو شاعر — وإما للتنبيه على ارتفاع شأنه أو انخفاضه على ما مر في المسند إليه ، كقوله ^(٢) تعالى (هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) أى هدى لا يُكَنَّنُهُ كُنْهُهُ ^(٣)

أغراضه التخصيص بالوصافة أو الوصف وتركه : وأما تخصيصه بالإضافة

أو الوصف فلتكون الفائدة أتم كما مر ^(٤)

وأما ترك تخصيصه بهما فظاهر مما سبق ^(٥)

(١) لأن تعريف المسند إذا كان بأداة عهدية أو بمضمر أو اسم إشارة أفاد العهد ، وإذا كان بأداة جنسية أو بموصول أفاد الاستغراق المستلزم للحصر ، وقد يفيد في هذا غير الحصر كما سيأتى .

(٢) - ي - ٢ - س - ٢

(٣) فالتنكير في ذلك للتعظيم ، ومن التنكير للتحقير قول قيس بن جريرة يخاطب عمرو بن هند :

غدرتْ بأمر كُنتِ أنتِ دعوتنا إليه وبئس الشيعة العُدْرُ بالعهد
وقد يترك العُدْرُ القى وطعامه إذا هو أمسى حلبة من دَمِ القَصْدِ

(٤) من أن زيادة الخصوص توجب تمام الفائدة ، وإنما ذكر الإضافة هنا مع الوصف لاتحادها معه في ذلك الغرض ، وقد ذكر السعد أن جعل معمولات المسند كالحال ونحوه من التقييد وجعل الإضافة والوصف من التخصيص إنما هو مجرد اصطلاح ، لأنه لا فرق بينهما في ذلك ، ولا يخفى أن أغراض الإضافة والوصف في المسند إليه تأتى هنا أيضا ، ومن التخصيص بالإضافة قول الشاعر :

حمي الحديد عليهم فكنائهم ومضان برق أو شعاع شمس
ومن التخصيص بالوصف قول الشاعر :

وكنيت أمرا لا أسمع الدهر سبة أسب بها إلا كشفت غطاءها

(٥) أى في ترك تفيد المسند من أنه يكون لمانع من تربية الفائدة ، وذلك

أغراضه لتعريف : وأما تعريفه ^(١) فلا فائدة السامع إما حكماً على أمر معلوم له بطريق من طرق التعريف بأمر آخر معلوم له كذلك ^(٢) وإما لازماً حكماً بين أمرين كذلك ^(٣) تفسير هذا أنه قد يكون لشيء صفتان من صفات التعريف ويكون السامع عالماً باتصافه بأحدهما دون الأخرى ^(٤) فإذا أردت أن تخبره بأنه متصف بالأخرى فاعلم إلى اللفظ الدال على الأولى وتبعه مبتدأ ، وتعد إلى اللفظ الدال على الثانية وتبعه خبراً ، فتفيد السامع ما كان يحمله من اتصافه بالثانية ، كما إذا كان للسامع أخ يسمى زيدا وهو يعرفه بعينه واسمه ولكن لا يعرف أنه أخوه ، وأردت أن تعرفه أنه أخوه ، فتقول له - زيد أخوك - سواء عرف أن له أخاً ولم يعرف أن زيداً أخوه أو لم يعرف أن له أخاً أصلاً ^(٥) وإن عرف أن له أخاً

كفصد الإخفاء على السامعين ونحو ذلك .

- (١) أخوه هنا عن الكلام على التنكير وذكر بينهما التخصيص بالإضافة والوصف ، ولا يخفى أن أغراض الإضافة من أغراض التعريف ، وأن أغراض الوصف من أغراض التوابع ، وما كان أحسن لورتب الكلام هنا كما رتبته في باب المسند إليه .
- (٢) لا يقال : إنه يلزم من علم السامع بكل منهما أن يكون هذا إخباراً بمعلوم له ، لأن المراد أنه يعلم كلا منهما ويجهل إسناد أحدهما إلى الآخر ، وإنما جعل الحكم في ذلك على أمر معلوم لوجوب تعريف المسند إليه بعد تعريف المسند ، ولهذا حكم بالقلب في قول القطامي السابق - ولا يترك موقف منك الوداع .
- (٣) لازم الحكم هو ما سماه في باب الإسناد الخيري لازم فائدة الخبر ، كأن تقول لمن مدحك أمس في غيبتك - أنت المادح لي أمس .
- (٤) هذا لا يمنع عليه بالأخرى في ذاتها كما سبق .
- (٥) هذا ينافي ما سبق له من وجوب أن يعرف السامع كلا من المسند إليه والمسند بإحدى طرق التعريف ، لأن هذا يلزمه أن يعرف أن له أخاً في الجملة ، فإذا لم يعرف ذلك قيل له - زيد أخ لك - بالتنكير .

الجملة^(١) وأن تعينه عنده قلت - أخوك زيد - أما إذا لم يعرف أن له أخا أصلا فلا يقال ذلك، لامتناع الحكم بالتعيين على من لا يعرفه المخاطب أصلا، فظهر الفرق بين قولنا - زيد أخوك - وقولنا - أخوك زيد.

وكذا إذا عرف السامع إنسانا يسمى زيدا بعينه واسمه، وعرف أنه كان من إنسان انطلق، ولم يعرف أنه كان من زيد أو غيره، فأردت أن تعرفه أن زيدا هو ذلك المنطلق^(٢) فنقول - زيد المنطلق - وإن أردت أن تعرفه أن ذلك المنطلق هو زيد قلت - المنطق زيد^(٣)

وكذا إذا عرف السامع إنسانا يسمى زيدا بعينه واسمه وهو يعرف معنى جنس المنطلق، وأردت أن تعرفه أن زيدا متصف به، فنقول - زيد المنطلق - وإن أردت أن تعين عنده جنس المنطلق قلت - المنطق زيد

لا يقال: زيد دال على الذات فهو متعين للابتداء تقدم أو تأخر، والمنطلق دال على أمر نسبي فهو متعين للخبرية تقدم أو تأخر، لانا نقول: المنطلق لا يجعل مبتدأ إلا بمعنى الشخص الذي له الانطلاق، وإنه بهذا المعنى لا يجب أن يكون خبرا، وزيد لا يجعل خبرا إلا بمعنى صاحب اسم زيد، وإنه بهذا المعنى لا يجب أن يكون مبتدأ

(١) أي وكان يعرف زيدا بعينه واسمه.

(٢) على هذا تكون - أل - في المنطق للعهد الذهني، أما فيما بعده فهي قية الجنس كما صرح به.

(٣) ضابط هذا أن ما يعرف السامع انصاف الذات به منهما يجب تقديمه وخلفه مسندا إليه، وقد اختلف النحويون في إعراب ذلك على أربعة مذاهب: فقيل وهو المشهور: إن الأول هو المبتدأ. وقيل: إن المبتدأ أعرفهما. وقيل: إن المبتدأ هو المعلوم عند السامع منهما. وقيل: إن كلا منهما يجوز أن يكون مبتدأ وخبرا.

ثم التعريف بلام الجنس ^(١) قد لا يفيد قصر المَعْرِف على ما حكم عليه به.
كقول الخنساء :

إذا قُبِحَ البكاء على قتيل رأيت بُكَاءَكَ الْحَسَنَ الْجَمِيلَا ^(٢)

وقد يفيد قصره ^(٣) إما تحقيقاً ، كقولك — زيد الأمير — إذا لم يكن
أمير سواء ، وإما مبالغة لكمال معناه في المحكوم عليه ^(٤) كقولك — عمرو الشجاع —
أى الكامل في الشجاعة ، فتخرج الكلام في صورة توهم أن الشجاعة
لم توجد الا فيه ، لعدم الاعتماد بشجاعة غيره لقصورها عن رتبة الكمال .

(١) أى فى المسند، لأن الكلام فيه ، وإن كان التعريف بلام الجنس فى المسند
اليه يفيد القصر أيضا كما سيأتى .

(٢) هو لتماضر بنت عمرو المعروفة بالخنساء ، تريد بقولها — على قتيل —
كل قتيل بقرينة المقام ، لأن النكرة فى سياق الإثبات لاتعم فى أصل الوضع ،
ولأنى أرى أنه لا حاجة إلى هذا العموم ، ويكفى أن يراد — إذا قبح البكاء على أى
قتيل ، وإنما لم يفد تعريف — الحسن — القصر لأن كلامها للرد على من يتوهم قبح
البكاء على قتيلا كغيره ، والرد عليه يكفى فيه إخراج البكاء على قتيلا من القبح
إلى الحسن ، وإنما يصح القصر إذا كان الكلام للرد على من يسلم حسن البكاء
على قتيلا ، ولكنه يدعى أن بكاء غيره حسن أيضا ، وهذا لا يلائمه أول البيت ،
وفائدة تعريف — الحسن — ادعاء أنه معلوم لا ينكره أحد ، لأن — أل — الجنسية
تفيد هذا كما سبق .

(٣) أى قصره على المسند اليه

(٤) فالأول قصر تحقيقى والثانى ادعائى ، وتعريف المسند اليه بلام الجنس
يفيد القصر كما سبق ، ولكنه يفيد قصر المسند اليه على المسند ، كقولك
— الأمير زيد ، والشجاع عمرو — وتعريف المسند بالعكس كما سبق ، ولهذا
لا يتفاوت المعنى فيهما من جهة القصر .

ثم المقصور قد يكون نفس الجنس مطلقاً، أى من غير اعتبار تقييده بشئ.
كما مر، وقد يكون الجنس باعتبار تقييده بظرف أو غيره، كقولك — هو الوفى
حين لا تظن بنفس بنفس خيراً — فإن المقصور هو الوفاء فى هذا الوقت لا الوفاء
مطلقاً، وكقول الأعشى :

هو الواهبُ المائة المصطَفَاةَ إِمَّا مُحَاضَاً وإِمَّا رَعِشَاراً ^(١)

فانه قصر هبة المائة من الإبل فى إحدى الحالتين، لاهبتها مطلقاً ولا الهبة
مطلقاً. وهذا الوجوه الثلاثة — أعنى العهد والجنس للقصر تحقيقاً والجنس للقصر
مبالغة — تمنع جواز العطف بالفاء ونحوها ^(٢) على ما حكم عليه بالمعروف بخلاف
المشكر، فلا يقال — زيد المنطلق وعمرو — ولا — زيد الأمير وعمرو — ولا
زيد الشجاع وعمرو.

أغراضه كونه المسند بجملة: وأما كونه جملة ^(٣) فاما لإرادة تقوى الحكم
بنفس التركيب كاسبق ^(٤) وإما لكونه سببياً، وقد تقدم بيان ذلك ^(٥) وفعليتها لإفادة

(١) هو ليمون بن قيس المعروف بالأعشى، والمخاض الحوامل من النوق اسم جمع،
والعشار جمع عشار وهو من النوق كالنفساء من النساء، وأولى منى لهما عشرة أشهر.

(٢) أى مما يفيد الجمع من حروف العطف كالواو وثم، وإنما امتنع العطف
بذلك لأنه يناهى القصر.

(٣) هذا يقابل قوله فيما سبق — وأما لإفراده — وقد وسط بينهما الأحوال
السابقة لدخولها فى حال الأفراد

(٤) أى فى الكلام على الخبر الفعلى فى تقديم المسند إليه، نحو — هو يعطى الجزيل

(٥) أى بيان كونه سببياً عند قوله — وأما لإفراده — وقيل: إن كل ما خبره جملة
يفيد التقوى ولو كانت اسمية، وعلى هذا تكون الجملة السببية مفيدة للتقوى أيضاً،
فيفيد قولك — زيداً بوجه متطابق — تقوى الحكم بخلاف — أبو زيد متطابق — ولا يرد
على الحصر فى الغرضين أن خبر ضمير الشأن جملة وليس للتقوى ولا للسببية، لأن جملة

المتجدد^(١) واصلتها لإفادة الثبوت ، فان من شأن الفعلية أن تدل على التجدد ، ومن شأن الاسمية أن تدل على الثبوت ، وعليها قول^(٢) رب العزة (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم) وقوله^(٣) تعالى (قالوا سلاماً قال سلام) إذاً أصل الأول — نُسَلِّمُ عليك سلاماً ، وتقدير الثاني — سلام عليكم ، كأن إبراهيم عليه السلام قصد أن يحييهم بأحسن مما حيَّوه به^(٤) أخذاً بأدب الله تعالى في قوله^(٥) تعالى (واذا حيَّيتهم بتحية تحيوا بأحسن منها) وقد ذُكر له وجه آخر فيه دقة غير أنه بأصول الفلاسفة أشبه ، وهو أن التسليم دعاء للمُسَلَّم عليه بالسلامة من كل نقص ، ولهذا أُطلق ، وكل الملائكة لا يتصور فيه التجدد لأن حصوله بالفعل مقارن لوجودهم ، فناسب أن يُحيَّوا بما يدل على الثبوت دون التجدد ، وكال الإنسان متجدد لأنه بالقوة وخروجه إلى الفعل بالتدرُّج ،

الخبر عن ضمير الشأن في حكم المفرد لتفسيرها له ، وقيل : إنها تفيد انتقوى لما فيها من البيان بعد الإبرام .

(١) الضمير في قوله — وفعليتها — يعود إلى الجملة الواقعة مسنداً ، فليس في هذا تكرار مع ماسبق ، لأنه كان في الفعل الواقع مسنداً ، وهو مفرد لاجملة ، وفي هذا إشارة إلى أن الجملة الاسمية إذا كان خبرها فعلياً تفيد التجدد .

(٢) - ي - ١٤ - س - ٢ - ويريد بهذا وما بعده الاستشهاد على إفادة الفعلية التجدد والاسمية الثبوت بقطع النظر عن أصل الموضوع ، لأن أصله فيهما إذا كانا مسندين ، وهما فيا ذكره من الشواهد ليس كذلك والشاهد في قوله (آمنا) وقوله (إنا معكم)

(٣) - ي - ٦٩ - س - ١١

(٤) لأن الجملة الاسمية في ذلك تفيد الثبوت والدوام بخلاف الفعلية .

(٥) - ي - ٨٦ - س - ٤

فناسب أن يُحْيَا بما يدل على التجدد دون الثبوت، وفيه نظر^(١) وقوله^(٢) تعالى
(سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَارِمُونَ) أى أحدثتم دعاءهم أم
استمر صمتكم عنه؟ فإنه كانت حالهم المستمرة أن يكونوا صامتين عن دعائهم،
فقيل: لم يفترق الحال بين إحداثكم دعاءهم وما أنتم عليه من عادة صمتكم
عن دعائهم، وقوله^(٣) تعالى (قَالُوا أَجِئْنَا بِبَلَاءٍ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ) أى
أحدثت عندنا تعاطى الحق فيما نسمعه منك أم اللعب أى أحوال الصبابة بعد
مستمرة عليك؟ وأما قوله (وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) فى جواب (آمَنَّا بِاللَّهِ وباليوم
الآخر^(٤)) فلاخراج ذواتهم من جنس المؤمنين مبالغة فى تكذيبهم، ولهذا
أطلق قوله (مؤمنين) وأكد نفيه بالباء^(٥) ونحوه (يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوكَ مِنَ
النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا)^(٦).

وشرطيتها لما مر^(٧) وظرفيتها لا احتضار الفعلية، إذ هى^(٨) مقدرة بالفعل على الأصح

(١) وجهه أن إبراهيم لم يكن يعلم وقت السلام أنهم ملائكة، بدليل قوله (قَالَ
سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ) على أن ذلك يقتضى أن يكون رفع — سلام — فى
تحية البشر بعضهم البعض غير بليغ، ولا يقول بهذا أحد

(٢) — ي — ١٩٣ — س — ٧

(٣) — ي — ٥٥ — س — ٢١ (٤) — ي — ٨ — س — ٢

(٥) فكل هذا كان له أثره فى أنه لم يقل — ولم يؤمنوا — مع أنه هو المطابق

لقولهم (آمنا)

(٦) — ي — ٣٧ — س — ٥

(٧) أى فى الكلام على تقييد المسند إذا كان فعلا بالشرط، ولا تذكر أرفى

هذا أيضا مع ما سبق، لأن الكلام هنا فى شرطية الجملة الواقعة مسندا، وفيما سبق
فى تقييد الفعل إذا كان مسندا بالشرط.

(٨) كان الأحسن إذا ظرف، لأن ظاهر عبارته يقتضى أن الجملة الظرفية مقدرة باسم
الفاعل فى غير الأصح، ولا يخفى فساد، وقد سبق توجيه الأصح فى الكلام على أفراد المسند

تمرينات على تعريف المسند وتنكيره وكونه جملة

تمرين - ١

(١) لم نُكِّر المسند في قول الشاعر :

أَرَاؤُهُ وَعَطَايَاهُ وَنِعْمَتُهُ وَعَفْوُهُ رَحْمَةٌ لِنَاسٍ كُلِّهِمْ

(٢) لم عُرِّف المسند بالإضافة أولاً ونكر ثانياً في قوله تعالى (مُحَمَّدٌ رَسُولُ

اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) - ي - ٢٩ - س - ٤٨

تمرين - ٢

(١) لم كان المسند جملة اسمية في قوله تعالى (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ)

- ي - ٢ - س - ٣ -

(٢) لم كان المسند جملة فعلية في قوله تعالى (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)

- ي - ٥ - س - ٢٠ -

تمرين - ٣

(١) لم نكر المسند في قول الشاعر :

لَنْ صَدَفْتُ عَنَّا قَرِيبَتْ أَنْفُسُ صَوَادٍ إِلَى تِلْكَ النُّفُوسِ الصَّوَادِفِ

ولم جاءت الجملة الأولى فيه فعلية والجملة الثانية اسمية ؟

(٢) بين الغرض من تعريف المسند بآل في قول الشاعر :

وإِنْ سَنَامَ الْمَجْدِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ بَنُو أُمٍّ مَخْزُومٍ وَوَالِدُكَ الْعَبْدُ

تمرين — ٤

(١) لم نكر المسند وأضيف في قوله تعالى (مَا كُنْ تَحْمَدُ أَبَا أَحَدٍ مِنْ
وَجَارِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) — ي — ٤٠ — س — ٣٣ —
ولم عرف بالإضافة في المعطوف بعد تنكيره في المعطوف عليه ؟

(٢) بين المسند والمسند إليه في قول الشاعر :
أَبُوكَ حُبَابٌ سَارِقُ الضَّيْفِ بُرْدُهُ وَجَدَتِي يَاحْجَاجُ فَارِسُ كَفَّرِ

تمرين — ٥

(١) ما هو الضابط الذي يميز بين المسند والمسند إليه في حال تعريفهما ؟
وما الفرق بين نظر علم المعاني وعلم النحو في هذه الحالة ؟

(٢) لم عرف المسند في قوله الشاعر :
كَلَّمْتُ أَنْتَ الْهَمُّ بِأَكَلْتُمْ وَأَنْتَ دَائِي الَّذِي أَكَنْتُمْ
ولم نكر في قول الآخر :

خَيْرُ الصَّنَائِعِ فِي الْأَنَامِ صَنِيعَةٌ تَنْبُو بِحَامِلِهَا عَنِ الْإِذْلَالِ
وقول الآخر :

وَكُنْتُ قَى مِنْ جَنْدِ إِبْلِيسَ قَارِنِي بَنِي الْحَالِ حَتَّى صَارَ إِبْلِيسُ مِنْ جَنْدِي

أغراضه التأخير: وأما تأخيره فلأن ذكر المسند إليه أهم كما سبق^(١)

أغراضه التقديم: وأما تقديمه فاما لتخصيصه بالمسند إليه^(٢) كقوله تعالى

(لَكُمْ دِينُكُمْ وَرِلْيَ دِينِ) وقولك - قائم هو - لمن يقول - زيد إمامنا

أو قاعد - فيردده بين القيام والفقود من غير أن يخصه بأحدهما، ومنه قولهم

- نبي أنا - وعليه قوله^(٣) تعالى (لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ) أي

بخلاف خور الدنيا فإنها تغتال العقول^(٤) ولهذا لم يُقدّم الظرف في قوله^(٥) تعالى

(لَا رَيْبَ فِيهِ) لئلا يفيد ثبوت الريب في سائر كتب الله تعالى^(٦)

وإما للتنبيه من أول الأمر على أنه خبر لا نعت^(٧) كقوله:

(١) أي في الكلام على تقديم المسند إليه، فأغراض تأخير المسند هي ما سبق من

أغراض تقديم المسند إليه

(٢) الباء داخلة على المقصور، فيكون المسند إليه في ذلك مقصوراً والمسند مقصوراً عليه

(٣) - ي - - - - - ١٠٩

(٤) - ي - - - - - ٤٧ - س - ٣٧

(٥) فالمعنى أن عدم الغول مقصور على الكون في خمرة الجنة، أو أن الغول مقصور

على عدم الحصول فيها، وهذا على ما قيل من اعتبار النفي في جانب المسند أو المسند إليه

(٦) - ي - ٢ - س - ٢

(٧) لأنها المعتمدة في مقابلة القرآن، والقصر إنما يكون باعتبار النظر

الذي يتوهم فيه المشاركة، والمراد أن التقديم يوهم ذلك باعتبار الغالب، لأنه قد

يكون للاهتمام لا للتخصيص، ومن تقديم المسند للتخصيص قول الشاعر:

رضينا قسمة الجبار فينا لَنَا عِلْمٌ وَلِلْأَعْدَاءِ مَالٌ
وقول الآخر:

لَكَ التَّلَامُ الْأَعْلَى الَّذِي يَشْبَاهُ يُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ السَّكْنَى وَالْمَفَاضِلُ

(٨) لأن النعت لا يتقدم على المنهوت بخلاف الخبر مع المبتدأ

لَهُ رَحْمَةٌ لَّا تُنْتَهَى لِكِبَارِهَا وَرَهْمَتُهُ الصَّغِيرَى أَجَلٌ مِنَ الدَّهْرِ ^(١)

وقوله ^(٢) تعالى (وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ)

وإما للتناول ^(٣)

وإما للتشويق إلى ذكر المسند إليه ، كقوله :

ثَلَاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِيَهْجِهَا شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ ^(٤)

وقوله :

وَكُلُّ النَّارِ الْحَيَاةُ فَن رَمَادٍ أَوَّخَرَهَا وَأَوَّلَهَا دَخَانٌ ^(٥)

(١) هو ليكر بن النطاح في مدح أبي دلف العجلي . وقيل : إنه لحسان بن ثابت في مدح النبي صلى الله عليه وسلم . والشاهد في قوله - له همم - لأنه لو عكس لاوهم أن الجار والمجرور صفة والجملة بعد هي الخبر ، مع أن الكلام - سوق لمدحه لالمدح هممه ، ويصح أن يكون التقديم لإفادة التخصيص ، وهو أبلغ

(٢) - ٢٤ - ٥ - ٧

(٣) كقول ابن الرومي :

يَمْنُ اللَّهِ طَلْعَةُ الْمَهْرَجَانِ كُلُّ يَمْنٍ عَلَى الْأَمِيرِ الْمُهْجَانِ

وقول الآخر :

سَعِدْتُ بَغْرَةٍ وَبِهْجِكَ الْإِيَّامُ وَتَزِينَتْ بِبِقَانِكَ الْإِعْوَامُ

(٤) هو لمحمد بن وهيب في مدح أبي إسحاق المعتمد ، وإنما لم يجعل - ثلاثة مبتدأ أو شمس الضحى وما دُخِلَ عليه خبر ، لأنه لا يخبر بمعرفة عن تنكرة .

(٥) هو لاحد بن عبد الله المعروف بأبي العلام المعمرى ، يعنى أن أول الحياة وآخرها وهما الصبا والشيب ليسا بشيء ، وأن وسطها وهو الشباب هو المعتد به ، وقد شبهها في ذلك بالنار في أحوالها الثلاث

قال السكاكي رحمه الله ^(١) "وحق هذا الاعتبار تطويل الكلام في المسند"^(٢)
والإلم يحسن ذلك الحسن .

تنبيه

كثير ^(٣) مما في هذا الباب والذي قبله غير مختص بالمسند إليه والمسند ،
كالذكر والحذف وغيرها مما تقدمت أمثله ، والفطن إذا اتقن اعتبار ذلك فيهما
لا يخفى عليه اعتباره في غيرها ^(٤)

(١) ١١٩ - المفتاح

(٢) كما في بيت ابن وهيب ، وكما في قوله تعالى (إن في خلق السموات
والأرض واختلاف الليل والنهار لآياتٍ لأولى الأبصار) - ي - ١٩٠ -
س - ٣ - وقد يكون تقديم المسند لمجرد الاهتمام ، كقول الشاعر :

سلام الله يامطرٌ عليها وليس عليك يامطرُ السلامُ

وقد يكون لإظهار التألم ، كقول المتنبي :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوآله ما من صداقته بُد

(٣) أما القليل منه فيختص بالبابين ، كضمير الفصل وكون المسند فعلاً ، والذي
لا يختص بهما لا يلزم أن يجري في كل ماعداهما ، كالنعريف فإنه لا يجري في
الحال والتمييز .

(٤) أي من المفعولات ونحوها ، وسيأتي بيان شيء من هذا في أحوال متعلقات الفعل

تمرينات على التقديم والتأخير وغيرها

تمرين - ١

(١) لماذا قدم المسند في قوله: ثلاثة يذهبن النعم والحزن، الماء والخضرة والوجه الحسن؟

(٢) لماذا عبر بـ «إن» - إذا - في قول الشاعر:

إن دام هذا ولم تحدث له غيرٌ لم يُبكِ ميتٌ ولم يفرح بمولودٍ

تمرين - ٢

(١) هل تأخير المسند للتخصيص أو لتقوية الحكم في قول الشاعر:

ربم على القاع بين البان والعلم أحل سقك دمي في الأشهر الحرم

(٢) لماذا قدم المسند في قول الشاعر:

ثلاثة ليس لها إيابٌ الوقت والجمال والشباب

تمرين - ٣

(١) هل تقديم المسند للتخصيص أو لمجرد الاهتمام في قول الشاعر:

وليس بمن في المودة شافعٌ إذا لم يكن بين الضلوع شافعٌ

(٢) لماذا قدم المسند في قوله تعالى: (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) - ي - ٤ - س - ١١٢

تمرين - ٤

(١) هل تقديم المسند للتخصيص أو لمجرد الاهتمام في قوله تعالى: (وإن كذب بؤك

فقل لي سملي ولكم عملكم) - ي - ٤١ - س - ١٠

(٢) لماذا قدم المسند في قول الشاعر

إذا نطق السفية فلا تُجبه فخيرٌ من إجابته السكوت

تمرين - ٥

(١) لماذا عبر بأذا دون - إن - في قوله تعالى: (وإذا المودة سُلت، بأي

ذنب قُنت) - ي - ٨، ٩ - س - ٨١

(٢) كيف صحت التثنية في قوله ﷺ «اللهم أعز الإسلام بأحب الغمرين

إليك» مع أنها في تثنية عمر وعمره؟ ولماذا أوثرت تثنية الأول على الثاني؟

مباحث الجزء الاول

ص	الموضوع
٢	خطبة بغية الإيضاح
٣	خطبة الإيضاح
٤	مقدمة في تفسير الفصاحة والبلاغة
٤ -	الخلاف في تفسير الفصاحة والبلاغة - ٥ - فصاحة المفرد
١٠ -	فصاحة الكلام - ١٨ - فصاحة المتكلم - ١٩ - بلاغة
٢٣ -	الكلام - ٢٣ - بلاغة المتكلم - حصر علوم البلاغة - ٢٥ -
	تمريعات على الفصاحة والبلاغة
٢٧	الفن الاول علم المعاني
٣٧ -	تعريف علم المعاني - ٢٩ - أبواب علم المعاني -
	تنبيه : انحصار الخير في الصادق والكاذب - ٣٢ - تنبيه آخر
٣٤	القول في أحوال الإسناد الخبري
٣٤ -	أغراض الخبر - ٣٦ - أضرب الخبر - ٣٩ - تخريج
	الكلام على خلاف مقتضى الظاهر - ٤٤ - تمرينات على أغراض الخبر
	وأضربه - ٤٥ - فصل : الحقيقة والمجاز العقليان - ٥٤ - أقسام
	المجاز العقلي - ٥٥ - وقوعه في القرآن - ٥٦ - تقسيم قرينه - ٥٧ -
	دقة مساكنه - ٥٨ - الخلاف في استلزامه الحقيقة - ٥٩ - إنكار
	السكاكن له - ٦١ - تنبيه : في بيان سبب عدم إيراد الحقيقة والمجاز
	العقليين في علم البيان - ٦٢ - تمرينات على الحقيقة والمجاز العقليين
٦٣	القول في أحوال المسند إليه
٦٣ -	أغراض الحذف - ٦٦ - أغراض الذكر - ٧٠ - تمرينات

الموضوع

ص

على الذكر والحذف - ٧١ - أغراض التعريف : أغراض التعريف
بالإضمار - ٧٣ - أغراض التعريف بالعلية - ٧٤ - أغراض التعريف
بالموصولية - ٧٨ - أغراض التعريف بالإشارة - ٨٢ - أغراض
التعريف باللام - ٨٧ - أغراض التعريف بالإضافة - ٨٩ - أغراض
التشكيك - ٩٤ - تمرينات على التعريف والتشكيك - ٩٦ - أغراض
الوصف - ١٠٠ - أغراض التوكيد - ١٠١ - أغراض عطف البيان
- ١٠٢ - أغراض البدل - أغراض عطف النسق - ١٠٥ - أغراض
ضمير الفصل - ١٠٦ - تمرينات على التوابع - ١٠٧ - أغراض التقديم
- ١٣٢ - أغراض التأخير - ١٣٣ - تمرينات على التقديم والتأخير
- ١٣٥ - تخريج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر : وضع
المضمر موضع المظهر - ١٣٦ - وضع المظهر موضع المظهر - ١٣٩ -
الالتفات - ١٤٧ - الأسلوب الحكيم - ١٥٠ - التعبير عن المستقبل
بلفظ الماضي - ١٥١ - القلب - ١٥٧ - تمرينات على تخريج المسند
إليه على خلاف مقتضى الظاهر

القول في أحوال المسند ١٥٩

- ١٥٩ - أغراض الحذف - ١٦٧ - أغراض الذكر - ١٦٩ - تمرينات
على الذكر والحذف - ٧٠ - أغراض الإفراد - ١٧١ - أغراض
كون المسند فعلاً أو اسماً - ٧٣ - أغراض تقييد الفعل بمفعول ونحوه
وترك تقييده - ١٧٤ - أغراض تقييد الفعل بالشرط : إن وإذا
- ١٧٩ - استطراد إلى التغليب - ١٨٦ - لو - ١٩٠ - تمرينات

الموضوع

ص

- على أفراد المسند واسميته وفعليته وتقييده وترك تقييده - ١٩١ -
أغراض التنكير - أغراض التخصيص بالإضافة أو الوصف وتركه
- ١٩٢ - أغراض التعريف - ١٩٥ - أغراض كون المسند جملة
- ١٩٨ - تمرينات على تعريف المسند وتنكيره وكونه جملة
- ٢٠٠ - أغراض التأخير - أغراض التقديم - ٢٠٢ -
تنبيه : في بيان عدم اختصاص كثير مما ذكر في هذا الباب والذي
قبله بالمسند إليه والمسند - ٢٠٣ - تمرينات على التقديم والتأخير

كتب للمؤلف

- ١ - القضايا الكبرى في الإسلام
- ٢ - المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى الرابع عشر
- ٣ - لماذا أنا مسلم؟
- ٤ - الميراث في الشريعة الإسلامية والشرائع السماوية والوضعية
- ٥ - النظم الفنى فى القرآن
- ٦ - توجيهات نبوية
- ٧ - فى ميدان الاجتهاد
- ٨ - تاريخ الإصلاح فى الأزهر
- ٩ - أسرار التمثيل بين الطريقة الأدبية والتقديرية
- ١٠ - السياسة الإسلامية فى عهد النبوة
- ١١ - السكيت بن زيد شاعر العصر المروانى
- ١٢ - النحو الجديد
- ١٣ - اجتهاد جديد فى آية (وعلى الذين يعاقبونه فدية)
- ١٤ - من أين نبأ
- ١٥ - مع زعيم الأدب العربى فى القرن العشرين

تصحیحات

ص	س	الصواب	ص	س	الصواب
١٤	٢١	يغتم	١٠١	٢٢	العائدات
١٦	١٥	الخصر	١٠٤	٧	عمرو
١٧	١١	الجمعي	١١٤	١٤	ما اسطاعا
٣٤	١٩	السامع	١١٨	٤	التخصيص
٥١	٢٢	عنده	١١٩	٩	السكاكي
٦٧	٢٠	المانعون	١٤٧	٢٠	للالتفات
٧٢	١١	الخشعية	١٧٧	١٠	إن كنتم ^(١)
٧٨	٩	كما في قول	١٧٨	٨	منهما
٨٠	٣	تقول ودقت	١٨٥	٥	أو في ضلال ^(٢)
٩٩	٢١	الورقة	١٨٩	١١	عن لجه
١٠٠	١٦	وقطع الأمير السارق	١٨٩	١٢	المذكر

(١) في بعض النسخ

(٢) في بعض النسخ

بَغْيَةُ الْإِيضَاحِ

لِلدَّخِيسِ الْمَفْتِاحِ

فِي عِلْمِ الْبَلَاغَةِ

تَأَلَّفَ

عَبْدُ الْمَعَالِ الضَّمِيرِ

المدرس بكلية اللغة العربية من كليات الجامعة الأزهر

الجزء الثاني

من القول في أحوال متعلقات الفعل إلى آخر علم المعاني

الطبعة الخامسة

« تنبيه » قد وضعنا كتاب الإيضاح بأعلى الصفحة ، وشرحه « بغية الإيضاح » بأسفلها

ملقزم الطبع والنشر

مكتبة الآداب ومطبعتها : ت ٢٧٧٧

مطبعة الاعتماد بمصر مليون ٤٥٥٤٥
شارع حسن الكبر - عتايين

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في أحوال متعلقات الفعل^(١)

حال الفعل مع المفعول والفاعل : حال الفعل مع المفعول كحال مع الفاعل^(٢) فكما أنك إذا أسندت الفعل إلى الفاعل كان غرضك أن تفيد وقوعه منه ، لا أن تفيد وجوده في نفسه فقط ، كذلك إذا عديته إلى المفعول كان غرضك أن تفيد وقوعه عليه ، لا أن تفيد وجوده في نفسه فقط ، فقد اجتمع الفاعل والمفعول في أن عمل الفعل فيهما إنما كان ليعلم التباسه بهما ، فعمل الرفع في الفاعل ليعلم التباسه به من جهة وقوعه منه ، والنصب في المفعول ليعلم التباسه به من جهة وقوعه عليه . أما إذا أريد الإخبار بوقوعه في نفسه من غير إرادة أن يعلم ممن وقع في نفسه^(٣) أو على من وقع فالبارة عنه أن يقال — كان ضرب^١ أو وقع ضرب^٢ أو وجد^٣ — أو نحو ذلك من ألفاظ تفيد الوجود المجرد.

(١) يلحق بالفعل ما في معناه كاسم الفاعل واسم المفعول ونحوهما .
(٢) يريد بهذا أن يمهّد للكلام على حذف المفعول به . وقد ذكر في هذا الباب ثلاثة أحوال لمتعلقات الفعل : أولها حذف المفعول به ، ومثله في ذلك باقي المتعلقات من المفعولات والحال والتمييز وغيرها . وثانيها تقديم المفعول ونحوه من المتعلقات على الفعل . وثالثها تقديم بعض معمولات الفعل على بعض . وقد ترك الكلام على غير هذه الأحوال الثلاثة اكتفاء بما ذكره في التنبيه الواقع في آخر القول في أحوال المسند ، فقد ذكر فيه أن أمرها يجري في غير المسند إليه والمسند كما يجري فيهما .

(٣) لا داعي إلى لفظ — في نفسه — هنا ، ولهذا حذفها السعد في شرحه على التلخيص .

أغراض حذف المفعول به : وإذا تقرر هذا فنقول :

الفعل المتعدى إذا أسند إلى فاعله ولم يذكر له مفعول فهو على ضربين :
الأول أن يكون الغرض إثبات المعنى في نفسه للفاعل على الإطلاق أو
نفيه عنه كذلك ، وقولنا — على الإطلاق — أى من غير اعتبار عمومه
وخصوصه ولا اعتبار تعلقه بمن وقع عليه ، فيكون المتعدى حينئذ بمنزلة
اللازم ، فلا يذكر له مفعول لثلاثيهم السامع أن الغرض الإخبار به باعتبار
تعلقه بالمفعول^(١) ولا يقدّر أيضاً لأن المقدّر في حكم المذكور^(٢) .

وهذا الضرب قسمان^(٣) لأنه إما أن يجعل الفعل مطلقاً كناية^(٤) عن الفعل
متعلقاً بمفعول مخصوص دلت عليه قرينة ، أو لا^(٥) .

الثاني^(٦) كقوله تعالى^(٧) (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ

(١) مع أنه في هذا الضرب يقصد إثباته في نفسه من غير اعتبار تعلقه بمفعول ،
ولكل منهما مقام خاص به ، فإذا قيل — فلان يعطى — كان هذا لمن يحفل إعطاءه ، وإذا
قيل — فلان يعطى الدنانير — كان هذا لمن يعلم إعطاءه ويحفل أنه يعطى الدنانير .

(٢) قيل : إنه في هذه الحالة لا يسمى المفعول محذوفاً ، ولكن هذه نظرة نحوية ،
أما هنا فيعد محذوفاً ويبحث عن نكتته ، بدليل أنه لا يبحث عن مثل هذا في اللازم .

(٣) جرى عبد القاهر على حصر هذا الضرب في القسم الثاني ، وجعل القسم
الأول من الضرب الثاني الآتي ، لأن له عنده مفعولاً مقصوداً محذوفاً لدلالة الحال
ونحوه عليه ، ولا يؤثر في ذلك محاولة المتكلم أن ينسبه نفسه لغرض من الأغراض
الآتية ، فلا يرى عبد القاهر فيه من الكناية ما يراه الخطيب كما يأتي .

(٤) الكناية في هذا من باب إطلاق المألوم وإرادة اللازم على سبيل
الادعاء ، لأن المقيد لا يكون لازماً للبطلان إلا على هذا التقدير .

(٥) يعنى أولاً يجعل كذلك .

(٦) أى من الضرب الأول وهو الذى لا يجعل الفعل فيه مطلقاً كناية عن
الفعل متعلقاً بمفعول مخصوص .

لا يعلمون) أى من يحدث له معنى العلم ومن لا يحدث .
قال السكاكى^(١) ثم إذا كان المقام خطايا لا استدلالياً^(٢) أفاد العموم فى
أفراد الفعل بعلّة إيهام أن القصد إلى فرد دون فرد آخر مع تحقق الحقيقة فيها
تحكمهم ، ثم جعل قولهم فى المبالغة — فلا يعطى ويمنع ، ويصل ويقطع —
محتملاً لذلك^(٣) ولتعميم المفعول كما سيأتى^(٤) .

وعده الشيخ عبد القاهر^(٥) مما يفيد أصل المعنى على الإطلاق من غير
إشعار بشئ . من ذلك^(٦) .

والأول^(٧) كقول البحرى يمدح المعتز ويعرض بالمستعين بالله :
شجّو حسادِهِ وغيظُ عداهِ أن يَرى مبصرٌ ويسمعَ واعي^(٨)
أى أن يكون ذو رؤية وذو سمع ، يقول : محاسن الممدوح وآثاره لم
تخفَ على من له بصر لكثرتها واشتهارها ، ويكفى فى معرفة أنها سبب
لاستحقاقه الإمامة دون غيره أن يقع عليها بصر ويسعها سمع ، لظهور دلالتها

(١) ١١٦ و ١٢٣ — المفتاح .

(٢) المقام الخطابى هو الذى يكتفى فيه بالظن كالمَدح والفخر ونحوهما ،
والاستدلالى هو الذى يطلب فيه اليقين .

(٣) أى لتعميم أفراد الفعل ، فيكون المعنى يفعل كل إعطاء وكل منع وكل
صلة وكل قطع .

(٤) فى قوله تعالى من الضرب الثانى — ي — ٢٥ — س — ١٠ —
(والله يدعو إلى دارِ السلام) أى كل أحد ، فيكون المعنى عليه فى ذلك يعطى
كل أحد إلخ .

(٥) ١٠١ و ١٠٢ — دلائل الإعجاز .

(٦) أى من شمول أفراد الفعل أو المفعول ، وهذا هو المختار لأنه المفهوم
فيما بين الناس من ذلك ، وما ذكره السكاكى تكلف لا وجه له .

(٧) أى من الضرب الأول ، وهو الذى يجعل الفعل فيه مطلقاً كناية عن
الفعل متعلقاً بمفعول مخصوص .

(٨) الشجّو الحزن ، وهو مصدر بمعنى اسم الفاعل ليصح حمل الخبر عليه .

على ذلك لكل أحد ، فسادُه وأعداؤه يتمنون ألا يكون في الدنيا من له عين يبصر بها وأذن يسمع بها ، كي يخفى استحقاقه للإمامة فيجدوا بذلك سبيلا إلى منازعته إياها . فجعل كما ترى مطلق الرؤية كناية عن رؤية محاسنه وآثاره ، ومطلق السماع كناية عن سماع أخباره ^(١) .

وكقول عمرو بن معبدٍ يكرِب :

فلو أن قومي أنطقني رِماحهم نطقْتُ ولكنَّ الرماح أجرت ^(٢)
لأن غرضه أن يثبت أنه كان من الرماح إجمار وحبس للألسن عن النطق بمدحهم والافتخار بهم ، حتى يلزم منه بطريق الكناية مطلوبه وهو أنها أجرت ^(٣) .
وكقول طُفَيْل الغَسَنَوِي لبي جعفر بن كلاب :

جزى الله عنا جعفرا حين أزلت بنا نعلُنا في الواطئين فزلت ^(٤)
أبوا أن يملؤنا ولو أن أمنا تُلَاقِي الذي لا قوهُ منا لمسلر
هم خلطونا بالنفوس وأجؤوا إلى حُجرات أدفأت وأظلت

(١) هذا بادعاء الملازمة بينهما كما سبق ، وفائدة ذلك الإشارة إلى شهرة محاسنه مبالغة في مدحه ، ومثل هذا يفوت بالتصريح بالمفعول وترك الكناية بذلك عنه ، وعلى مذهب عبد القاهر في هذا القسم لا يكون في البيت كناية ، وإنما يكون قصده من أول الأمر أن يرى مبصر محاسنه ، ولكنه حذفها ادعاء لشهرتها وأن رؤية البصر لا تقع إلا عليها ، وهو معنى حسن أيضاً .

(٢) قوله — أجرت — من الإجمار ، وهو في الأصل شق لسان الفصيل لئلا يرضع ، والمراد أنها حبست لسانه عن مدحهم على سبيل الاستعارة ، وإنما حبست لسانه عن مدحهم لأنها لم تبل في الحرب بلاء حسنا .

(٣) قال عبد القاهر في بيان معناه على مذهبه : إنه يقصد أجرتني ، ولكنه حذف المفعول لتوفر العناية على إثبات الفعل للفاعل ، ويوهم أن إجمارها كان عاملاً له ولغيره .

(٤) قوله — أزلت — بمعنى زلت ولم تثبت ، وعلى هذا يتحد معناه مع قوله — فزلت — ويجوز أن يكون المراد زلق ما تحتها فيتغايران ، وكلاهما كناية عن سوء حالهم .

فإن الأصل — مللتنا وأدفأتنا وأظلتنا — إلا أنه حذف المفعول من هذه المواضع ليدل على مطلوبه بطريق الكناية^(١) فإن قلت : لاشك أن قوله — أَلْجَوْا — أصله أَلْجَوْنا فلأى معنى حذف المفعول منه ؟ قلت : الظاهر أن حذفه لمجرد الاختصار ، لأن حكمه حكم ما عطف عليه وهو قوله — خلطونا^(٢) .
الضرب الثاني^(٣) أن يكون الغرض إفادة تعلقه بمفعول ، فيجب تقديره بحسب القرائن^(٤) .

ثم حذفه من اللفظ إما للبيان بعد الإبهام ، كما في فعل المشيئة إذا لم يكن في تعلقه بمفعوله غرابة^(٥) كقولك — لو شئتُ جئتُ أو لم أجيء — أى لو شئتُ المجيء أو عدم المجيء ، فإنك متى قلت — لو شئت — علم السامع أنك عاقت المشيئة بشيء ، فيقع في نفسه أن هنا شيئاً تعلقت به مشيئتُك بأن يكون أو لا يكون ، فإذا قلت — جئتُ أو لم أجيء — عرف ذلك الشيء ، ومنه قوله^(٦) تعالى (فلو شاء لهداكم أجمعين) وقوله^(٧) تعالى (فإن يشأ الله يُخسِّم على قلبك) وقوله^(٨) تعالى (من يشأ الله يُضللْهُ) (وقول طرفة :

(١) جعل عبد القاهر حذف المفعول في ذلك لتوفر العناية على إثبات الفعل للفاعل .

(٢) قد جعله عبد القاهر مثل الحذف في — ملكت وأدفأت وأظلت — وما ذهب إليه الخطيب أقوى وأدق .

(٣) أى من الفعل المتعدى الذى لم يذكر له مفعول .

(٤) يشير بهذا إلى أن حذف المفعول لا بد فيه من قرينة تدل عليه .

(٥) مثله فعل الإرادة والمحبة ونحوهما ، نحو — لو أحب لأعطاكم —

ولا يلزم أن يكون شرطاً كما ذكر في هذه الأمثلة ، ومن يجيئه غير شرط قوله تعالى — ي — ٢٥٥ — س — ٢ — (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) ولكن الظاهر أن الحذف في الآية ليس للبيان بعد الإبهام .

(٦) — ي — ١٤٩ — س — ٦

(٧) — ي — ٢٤ — س — ٤٢

(٨) — ي — ٣٩ — س — ٦

فإن شئت لم تر قل وإن شئت أرقلت^(١) مخافة ملوى من القيد محصدة^(٢)
وقول البحترى :

لو شئت عدت بلاد نجد عودة^(٣) فجللت بين عقيقه وزر^(٤) وده^(٥)
وقوله :

لو شئت لم تفسد سماحة حاتم^(٦) كرماً ولم تهديم مأثر خالد^(٧)
فإن كان في تعلق الفعل به غرابة ذكرت المفعول لتقرره في نفس
السامع وتؤنسه به ، يقول الرجل يخبر عن عزه — لو شئت أن أرد على
الإمير رددت ، وإن شئت أن ألقى الخليفة كل يوم لقيته — وعليه قول الشاعر :
ولو شئت أن أبكي دما لبكيت^(٨) عليه ولكن ساحة الصبر أوسع^(٩)
فأما قول أبي الحسين على بن أحمد الجوهرى أحد شعراء الصاحب
ابن عباد :

فلم يبق منى الشوق غير تفكرى^(١٠) فلو شئت أن أبكى بكيت تفكرا^(١١)
فليس منه ، لأنه لم يرد أن يقول : فلو شئت أن أبكى تفكرا بكيت
تفكرا ، ولكنه أراد أن يقول : أفناني النحول فلم يبق منى وفى غير خواطر

(١) قوله — لم تر قل — بمعنى لم تسرع ، والضمير لناقته ، والملوى السوط
المفتول ، والقيد الجلد المشقوق ، والمحصدة المفتول المحكم .

(٢) قوله — عدت بلاد نجد — بمعنى عدت إليها ، وعقيق نجد وزروده
موضعان به ، وخطابه للسحاب الوارد في قوله قبل هذا البيت في مطلع القصيدة :
يا عارضا متلفعا بروده يختمال بين بروقه وروده

(٣) هو للبحترى أيضاً ، والمراد بحاتم حاتم الطائي ، وبخالد خالد بن إصبع
النهائي الذي نزل عليه امرؤ القيس الشاعر .

(٤) هو لأبي يعقوب إسحاق بن حسان الخثري — بالراء — في رثاء
أبي الهيثم كما في — البيان والتبيين — وهو من قصيدة له مطلعها :

تجول ، حتى لو شئت البكاء فريئت جفوني وعصرت عيني ليسيل منها دمع لم أجده ، ولخرج منها بدل الدمع التفسكر ، فالمراد بالبكاء في الأول الحقيقي ، وفي الثاني غير الحقيقي ، فالثاني لا يصلح لأن يكون تفسيراً للأول^(١) .
وإما لدفع أن يتوهم السامع في أول الأمر إرادة شيء غير المراد ، كقول البحرى :

وكم ددت عني من تحامل حادث وسورة أيام حزنن إلى العظم^(٢)
إذ لو قال — حزنن اللحم — لجاز أن يتوهم السامع قبل ذكر ما بعده أن الحزن كان في بعض اللحم ولم ينته إلى العظم ، فترك ذكر اللحم ليبرى السامع من هذا الوهم ، ويصور في نفسه من أول الأمر أن الحزن مضى في اللحم حتى لم يرده إلا العظم^(٣) .

وإما لأنه أريد ذكره ثانياً على وجه يتضمن إيقاع الفعل على صريح لفظه إظهاراً لكمال العناية بوقوعه عليه^(٤) كقول البحرى أيضاً :
قد طلبنا فلم نجد لك في الشؤ دَر والمجد والمكارم مثلاً
أى قد طلبنا لك مثلاً في السوود والمجد والمكارم ، فحذف المثل إذ كان

قضى وطراً منك الحبيب المودع وحلّ الذى لا استطاع فيدفع

والشاهد في قوله — ولو شئت أن أبكى دما — لأن بكاء الدم غريب

(١) لهذا ذكر الأول ولم يحذف .

(٢) قوله — ددت — بمعنى دفعت ، وكم خبرية في موضع نصب مفعول

به مقدم ويميزها — من تحامل حادث — وقيل إن التقدير كم مرة ، فتكون — من — زائدة في الإثبات على قول بعض النحاة ، والسورة الشدة والصولة .

(٣) لا شك أنه يمكن تأدية هذا الغرض بتأخير المفعول . بأن يقول — حزنن

إلى العظم اللحم — ولكن تأخير المفعول لا يجعل لذكره فائدة .

(٤) هذه نكتة الإتيان بصريح اسم المفعول ثانياً ، وأما نكتة حذفه أولاً

فهى لزوم التكرار مع ذكره ثانياً .

غرضه أن يوقع نفي الوجود على صريح لفظ المثل^(١) ولأجل هذا المعنى بعينه عكس ذو الرُّمة في قوله :

ولم أمدح لأرضيه بشعري لئلا أن يكون أصاب مالا
فإنه أعمل الفعل الأول الذي هو — أمدح — في صريح لفظ اللثيم ،
والثاني الذي هو — أرضى — في ضميره ، إذ كان غرضه إيقاع نفي المدح على
اللثيم صريحاً دون الإرضاء ، ويجوز أن يكون سبب الحذف في بيت البحترى
قصد المبالغة في التأدب مع الممدوح بترك مواجهته بالتصريح بما يدل على
تجوز أن يكون له مثل ، فإن العاقل لا يطلب إلا ما يجوز وجوده^(٢) .

ولما للقصد إلى التعميم^(٣) في المفعول والامتناع عن أن يقصره السامع
على ما يذكر معه دون غيره مع الاختصار ، كما تقول — قد كان منك
ما يؤلم — أى ما الشرط في مثله أن يؤلم كل أحد وكل إنسان^(٤) وعليه قوله
تعالى^(٥) (والله يدعو إلى دار السلام) أى يدعو كل أحد^(٦) .

ولما للرعاية على الفاصلة^(٧) كقوله^(٨) سبحانه وتعالى (والضحى والليل

(١) إنما كان هذا غرضه لأنه آكد في كمال المدح ، ولو عكس فصرح أولاً
وأضمر ثانياً لفات هذا الغرض ، لأنه قد يتوهم عود الضمير على غيره .

(٢) يجوز أيضاً أن يكون الحذف فيه لقصد البيان بعد الإيهام .

(٣) التعميم يؤخذ في الحقيقة من قرينة المقام ولا يؤخذ من الحذف لوجوده
مع الذكر ، ولكن الحذف له فيه تأثير في الجملة ، لأن تقدير مفعول خاص فيه
دون آخر ترجيح بلا مرجح ، وبهذا يحمل على العموم ، وهذا إلى ما فيه من
الاختصار كما ذكره بعد .

(٤) بقرينة أن المقام مقام مبالغة .

(٥) — ي — ٢٥ — س — ١٠

(٦) الآية تفيد العموم تحقيقاً ، والمثال يفيد مبالغة .

(٧) لا يخفى أن هذا يقصد لمحسن بديعى ، فيكون مطلوباً من أجله ، ويقدر
في البلاغة بقدره .

(٨) — ي — ٢٠١ — س — ٩٣

إِذَا سَجَنِي ، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (١) أَي وَمَا قَلَاكَ (١) .
 وإما الاستهجان ذكره ، كما روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت :
 ما رأيت منه ولا رأى مني (٢) تعني العورة .
 وإما لمجرد الاختصار ، كقولك — أصغيت إليه — أي أذني ،
 — وأغضيت عليه — أي بصري ، ومنه قوله (٣) تعالى (أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ)
 أي ذاته ، وقوله (٤) تعالى (أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا) أي بعثه ، وقوله (٥)
 تعالى (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أي أنه لا يماثل أو ما بينه وبينها
 من التفاوت أو أنها لا تفعل كفعله ، كقوله (٦) (هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ
 مِنْ ذَلِكَ مِثْلَ مَا تَعْمَلُونَ) ويحتمل أن يكون المقصود نفس الفعل من غير تعميم ،
 أي وأنتم من أهل العلم والمعرفة (٧) ثم ما أنتم عليه في أمر ديانته من جعل
 الأصنام لله أنداداً غاية الجهل .

وبما عدَّ السكاكي (٨) الحذف فيه لمجرد الاختصار قوله (٩) تعالى (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ
 مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ
 قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يَصْدُرَ الرَّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَى لَهُمَا)

(١) سيأتي أنه حذف أيضاً لصونه عن نسبة (قلى) إليه ، وهذا إلى أن
 ذكره في (ودعك) يغني عن ذكره في (قلى) فلا يكون حذفه لمجرد ذلك المحسن البديعي
 (٢) هو من قولها : كنت أغتسل أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من
 إناء واحد ، فأرأيت منه ولا رأى مني .

(٣) — ي — ١٤٣ — س — ٧ — (٤) — ي — ٤١ — س — ٢٥

(٥) — ي — ٢٤ — س — ٢

(٦) — ي — ٤٠ — س — ٣٠ — — والكاف للتنظير للوجه الأخير
 وهو أنها لا تفعل كفعله .

(٧) فيكون من القسم الثاني من الضرب الأول .

(٨) ١٢٣ — المقتاح .

(٩) — ي — ٢٣ — س — ٢٨ — — وحل الشاهد فيه (يسقون —
 تذودان — نسقى) .

والأولى أن يجعل لإثبات المعنى في نفسه للشيء على الإطلاق كما مر^(١) وهو ظاهر قول الزخشرى ، فإنه قال : ترك المفعول لأن الغرض هو الفعل لا المفعول ، ألا ترى أنه رحمهما لأنها كانتا على الذيادة وهم على السقي ، ولم يرحمهما لأن مذكودهما غنم ومسقيهم إبل مثلاً ، وكذلك قولها (لا نسقي حتى يصدر الرعاء) المقصود منه السقي لا المسقي .

واعلم أنه قد يشتبه الحال في أمر الحذف وعدمه لعدم تحصيل معنى الفعل ، كما في قوله^(٢) تعالى (قل ادعُوا الله أو ادعُوا الرحمان أياماً تدعوا فله الأسماء الحسنى) فإنه يُظن أن الدعاء فيه بمعنى النداء فلا يقدر في الكلام محذوف ، وليس بمعناه ، لأنه لو كان بمعناه لزم إما الإشراك أو عطف الشيء على نفسه ، لأنه إن كان مسمى أحدهما غير مسمى الآخر لزم الأول ، وإن كان مسامهما واحداً لزم الثاني ، وكلاهما باطل ، تعالى كلام الله عز وجل عن ذلك ، فالدعاء في الآية بمعنى التسمية التي تتعدى إلى مفعولين ، أى سموه الله أو الرحمان أياماً تسموه فله الأسماء الحسنى^(٣) كما يقال — فلان يدعى الأمير — أى يسمى الأمير ، وكما في قراءة^(٤) من قرأ (وقالت اليهود عزير بن الله) بغير تنوين على القول بأن سقوط التنوين لكون الابن صفة واقعة بين علمين ، كما في قولنا — زيد بن عمر قائم — فإنه قد يظن أن فعل القول فيه لحكاية الجملة كما هو أصله^(٥) فقليل : تقدير الكلام — عزير بن الله معبودنا — وهذا باطل ، لأن التصديق والتكذيب إنما ينصرفان إلى الإنسان لا إلى وصف ما يقع في الكلام موصوفاً بصفة ، كما إذا حكيت عن إنسان أنه قال — زيد ابن عمرو سيد — ثم كذبه فيه ، لم يكن تكذيبك أن يكون زيد ابن عمرو ، ولكن أن يكون زيد سيداً ، فلو كان التقدير ما ذكر لكان الإنكار راجعاً

(١) فيكون من القسم الثاني من الضرب الأول ، وجعله عبد القاهر بما قصد فيه إلى مفعول خاص ثم حذف لتوفر العناية على إثبات الفعل للفاعل .

(٢) - ي - ١١٠ - س ١٧ (٣) الحذف فيه لمجرد الاختصار .

(٤) - ي - ٣٠ - س ٩ - وهذا من باب التنظير في اشتباه الحال في أمر الحذف وعدمه ، لأن ما هنا ليس من حذف المفعول به .

(٥) أى كما هو الأصل في القول . لأن الأصل فيه أن يكون لحكاية الجملة .

إلى أنه معبودهم، وفيه تقرير أن عزيزاً ابن الله تعالى عن ذلك، فالقول في الآية بمعنى الذكر^(١) لأن الغرض الدلالة على أن اليهود قد بلغوا في الرسوخ في الجهل والشرك إلى أنهم كانوا يذكرون عزيزاً هذا الذكر، كما تقول في قوم تريد أن تصفهم بالغلو في أمر صاحبهم وتعظيمه: إني أراهم قد اعتقدوا أمر أعظيماً، فهم يقولون أبداً — زيد الأمير — تريد أنه كذلك يكون ذكرهم له إذا ذكروه .
واعلم أن لحذف التنوين من عزيز في الآية وجهين^(٢) :

أحدهما أن يكون لمنعه من الصرف لعجمته وتعريفه كعزاز^(٣) .
والثاني أن يكون لالتقاء الساكنين، كقراءة^(٤) من قرأ (قل هو الله أحد، الله الصمد) بحذف التنوين من (أحد) وكما حكى عن عمار بن عقيل أنه قرأ^(٥) (ولا الليل سابق النهار) بحذف التنوين من (سابق) ونصب (النهار) فقليل له: وماتريد؟ فقال (سابق النهار) .

فالمعنى على هذه الوجهين كالمعنى على إثبات التنوين، فعزير مبتدأ وابن الله خبره، و — قال — على أصله^(٦) والله أعلم .

(١) أى على قراءة (ابن) بغير تنوين، وعلى هذا لا يحتاج إلى تقدير محذوف في ذلك ليكون جملة .

(٢) أى غير الوجه السابق وهو أن حذف تنوينه ليكون الابن صفة واقعة بين علمين فيحذف تنوين العلم قبله . فتكون الوجوه في ذلك ثلاثة .

(٣) من يصرف عزيزاً مع عجمته وتعريفه يرى أن خفته عارضت ذلك فصرفته

(٤) - (٥) - ١ - ٢ - ١١٢ (٥) - ٤٠ - ٣٦ - س

(٦) من الدخول على الجملة . ولا حاجة إلى تأويله بمعنى الذكر . كما أوّل به في الوجه السابق الذي جعل فيه الابن صفة لا خبراً .

هذا وقد يكون حذف المفعول لأغراض أخرى : منها إخفاؤه خوفاً عليه ، ومنها تعميمه حقيقة أو ادعاء ، ومنها صونه عن اللسان أو صون اللسان عنه . وقد قيل في قوله تعالى - ٥ - ٢ - س - ٩٣ (ما ودعك ربك وما قلى) إنه يجوز أن يكون حذف مفعول (قلى) لصونه صلى الله عليه وسلم عن التصريح بتعلقه به وإن كان على جهة النقي، وهذا بخلاف (ودعك) لأنه يدل على الترك فقط ولا يدل على البغض كما يدل عليه (قلى) وقد تقول — نحمد ونشكر — أى الله فتحذفه لتعنيته ، وتقول — لعن الله وأخزى — أى الشيطان فتحذفه لصون لسانك عنه .

تمارين على الذكر والحذف

تمرين (١)

(١) لماذا حذف المفعول في قوله تعالى — ي — ٢ — س — ١٨ —

(لينذر بأساً شديداً من لدنهُ ويبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً).

(٢) من أى ضرب حذف المفعول قول الشاعر :

برّد حشاي إن استطعت بلفظة فلقد تضر إذا تشاء وتنفع

تمارين (٢)

(١) لماذا ذكر الحال في قوله تعالى — ي — ١٩ — س — ٢٧ — (فتبسّم

ضاحكا من قولها).

(٢) من أى ضرب حذف المفعول حذفه أولا وثانياً في قوله تعالى — ي —

٥٦ — س — ٢٨ — (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء)

تمارين (٣)

(١) لماذا ذكر المفعول المطلق في قوله تعالى — ي — ٢١ — س — ٢٥ —

(لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً).

(٢) لماذا حذف وصف المضاف إلى المفعول في قوله تعالى — ي — ٧٩ —

س — ١٨ — (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا).

(٣) لماذا حذف المفعول في قول الشاعر :

إذا بعدت أبلت وإن قربت شفت فهجرائها يبلى ولقيانها يشقى

تمرين (٤)

(١) من أى ضرب حذف المفعول حذفه في قول الشاعر :

وإذا المسية أنشبت أظفارها ألفت كل تيمة لا تنفع

(٢) لماذا حذف المفعول في قول الشاعر :

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والإقدام قتال

أغراض تقديم المتعلقات على الفعل : وأما تقديم مفعوله ونحوه ^(١) عليه فلرد الخطأ في التعيين ^(٢) كقولك — زيدا عرفت — لمن اعتقد أنك عرفت إنساناً وأنه غير زيد وأصاب في الأول دون الثاني ، وتقول لتأكيد تقريره — زيد أعرفت لا غيره — ولذلك لا يصح أن يقال — ما زيدا ضربت ولا أحداً من الناس — لتناقض دلالتى الأول والثاني ^(٣) ولا أن تعقب الفعل المنفي بإثبات ضده ، كقولك — ما زيدا ضربت ولكن أكرمه — لأن مبنى الكلام ليس على أن الخطأ في الضرب فترده إلى الصواب في الاكرام ، وإنما هو على أن الخطأ في المضروب حين اعتقد أنه زيد ، فردّه إلى الصواب أن تقول — ولكن عمرأ ^(٤) .

وأما نحو قولك — زيدا عرفته ^(٥) فإن قدر المفسّر المحذوف قبل المنصوب ، أى عرفت زيدا عرفته ، فهو من باب التوكيد ، أعنى تكرير اللفظ ، وإن قدر بعده ، أى زيدا عرفت عرفته ، أفاد التخصيص ، وأما نحو ^(٦) قوله ^(٧) تعالى

(١) من كل متعلقات الفعل التى يجوز تقديمها عليه ، وذلك كالظرف والجار والمجرور والحال ونحوها .

(٢) أو فى اعتقاد الشركة ، وذلك كقولك — زيدا عرفت وحده — كما سبق فى تقديم المسند إليه .

(٣) يريد بالاول — ما زيدا ضربت — وبالثانى — ولا أحداً من الناس — لأن الثانى يناقض ما يفيد الأول من ضرب غير زيد من الناس ، وإنما لا يصح أن يقال إذا كان التقديم للتخصيص لا لمجرد الاهتمام .

(٤) هذا أيضاً على أن التقديم للتخصيص لا لمجرد الاهتمام .

(٥) نحوه كل ما يكون التقديم فيه من باب الاشتغال ، وقد ذهب الزمخشري إلى أن التقديم فيه للتخصيص مطلقاً ، وإنى أرى أنه لا يفيد إلا التوكيد ، لأنه يفيد التخصيص من غير الاشتغال ، فالعدول إليه لا يكون إلا لغرض غير التخصيص ، ولأنه يجب تقدير الفعل قبل الاسم الظاهر ليوافق مفسره فى تقدمه على الضمير .

(٦) يريد بهذا تقييد ما ذكره من حكم التقديم فى الاشتغال .

(٧) — سى — ١٧ — س — ٤١ .

(وَأَمَّا ثُمُودَ فهديناهاهم) فيمن قرأ بالنصب^(١) فلا يفيد إلا التخصيص ، لامتناع تقدير — أما فهدينا ثُمُودَ^(٢) .

وكذلك إذا قلت — يزيد مررت — أفاد أن سامعك كان يعتقد مرورك بغير زيد ، فأزلت عنه الخطأ مخصصاً مرورك بزيد دون غيره^(٣) .

والتخصيص في غالب الأمر لازم للتقديم . ولذلك يقال في قوله تعالى^(٤) (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) معناه نخصك بالعبادة لانعبد غيرك ، ونخصك بالاستعانة لانستعين غيرك ، وفي قوله^(٥) تعالى (إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَوْيَاةَ اللَّهِ) معناه إن كنتم تحبونه بالعبادة ، وفي قوله^(٦) تعالى (لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) ويكون الرسول عليكم شهداء^(٧) أخرت صلة الشهادة في الأول وقدمت في الثاني ، لأن الغرض في الأول إثبات شهادتهم على الأمم ، وفي الثاني اختصاصهم بكون الرسول شهداء عليهم ، وفي قوله^(٨) تعالى : (وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا) معناه لجميع الناس من العرب والعجم على أن التعريف للاستغراق ، لا لبعضهم المعين على أنه للعهد أي للعرب ، ولا لمسمى الناس على أنه للجنس ، لئلا يلزم من الأول^(٩) اختصاصه بالعرب دون العجم ، لانحصار الناس في الصنفين ، ومن

(١) يعني نصب (ثُمُود)

(٢) لوجوب الفصل بين أما والفاء ، وإنما التقدير — أما ثُمُود فهديناهاهم — وقد يقال : إن هذا إنما يقتضي امتناع ذكره لا امتناع تقديره ، لأن كثيراً مما يقدر يمتنع ذكره ولا يمنع تقديره ، كالضمير المستتر وجوباً ونحوه ، والحق أن التقديم في ذلك لإصلاح اللفظ لا للتخصيص ، لأن غير ثُمُود مثلها في ذلك الحكم ،

(٣) مثل تقديم الجار والمجرور في ذلك تقديم غيره ، كقولك — يوم الجمعة سرت ، وتأديبا ضربت ، وماشياً حججت — ومن تقديم الجار والمجرور للتخصيص قول تعالى — ي — ٣٠ — س — ٧٥ (إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسَاقُ)

(٤) — ي — ٤ — س — ١ (٥) — ي — ١٧٢ — س — ٢

(٦) — ي — ١٤٣ — س — ٢ (٧) — ي — ١٥٨ — س — ٣

(٨) — ي — ٧٩ — س — ٤ (٩) هو أنه للعهد .

الثاني^(١) اختصاصه بالانسان دون الجن لانحصار من يتصور الإرسال اليهم من أهل الأرض فيهما ، وعلى تقدير الاستغراق لا يلزم شيء من ذلك ، لأن التقديم لما كان مفيداً لثبوت الحكم للمقدم ونفيه عما يقابله كان تقديم (الناس) على (رسولا) مفيداً لنفي كونه رسولا لبعضهم خاصة^(٢) لأنه هو المقابل لجميع الناس ، لا لبعضهم مطلقاً ولا لغير جنس الناس^(٣) .

وكذلك يُذهب في معنى قوله^(٤) تعالى (وبالآخرة هم يوقنون) إلى أنه تعريض بأن الآخرة التي عليها أهل الكتاب فيما يقولون إنه لا يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ، وإنه لا تمسهم النار إلا أياماً معدودات ، وإن أهل الجنة لا يتلذذون في الجنة إلا بالنسيم والأرواح العسيفة والسماع اللذيذ^(٥) ليست الآخرة^(٦) وإيقانهم بمثلها ليس من الإيقان التي هي الآخرة عند الله في شيء ، أي بالآخرة يوقنون لا بغيرها كأهل الكتاب .

ويفيد التقديم في جميع ذلك وراء التخصيص اهتماماً بشأن المقدم ، ولهذا قدر المحذوف في قوله (بسم الله) مؤخراً ، وأورد قوله^(٧) تعالى (اقرأ باسم ربك) فإن الفعل فيه مقدم ، واجيب بأن تقديم الفعل هناك^(٨) أهم لأنها أول سورة نزلت ، وأجاب السكاكي^(٩) بأن (باسم ربك) متعلق بأقرأ

(١) هو أنه للجنس .

(٢) يعني قومه من العرب ، لأنهم هم الذين يتوهم أنه أرسل اليهم دون غيرهم .

(٣) لأن كلا منهما لا يقابل جميع الناس ، وإنما يقابل الأول تعريف العهد ويقابل الثاني تعريف الجنس ، هذا ويجوز أن يكون (لناس) متعلقاً بقوله (وأرسلناك) فلا يكون فيه تقديم ولا تعين اللام فيه للاستغراق وإن كان هو الظاهر .

(٤) - ي - ٤ - س - ٢

(٥) لأنهم يشكرون أن تكون فيها لذائذ جسمانية .

(٦) جملة ليس واسمها وخبرها أخبر أن في قوله - بأن الآخرة الخ

(٧) - ي - ١ - س - ٩٦ (٨) أي في قوله (اقرأ باسم ربك)

(٩) ١٢٧ - المفتاح .

الثاني (١) ومعنى الأول — افعل القراءة وأوجدتها — على نحو ما تقدم في قولهم — فلان يعطى ويمنع — يعنى إذا لم يحمل على العموم (٢) وهو بعيد (٣).

أغراض تقديم بعض المعمولات على بعض : وأما تقديم بعض معمولاته على بعض فهو :

إما لأن أصله التقديم ولا مقتضى للعدول عنه (٤) كتقديم الفاعل على المفعول (٥) نحو — ضرب زيد عمراً — وتقديم المفعول الأول على الثاني ، نحو — أعطيت زيدا درهما .

وإما لأن ذكره أهم والعناية به أتم (٦) .

(١) في قوله بعده (اقرأ وربك الأكرم) .

(٢) أى العموم في المفعول ، فإن السكاكى يجعله محتملاً للعموم في المفعول وللعموم في أفراد الفعل ، وعلى هذا يكون (اقرأ) الأول منزلاً منزلة لازم .

(٣) لأنه خلاف ظاهر نظم الآيتين ، أبعد ما بين — اقرأ — الثاني والجار والمجرور الذى يراد تعليقه به .

هذا وقد يأتى التقديم لأغراض خرى : منها مجرد الاهتمام وقصد التبرك والالتذاذ وموافقة كلام السامع ونحو ذلك ، كقولك — العلم طلبت . وعمداً اتبعت ، وليلي أحببت — ومن ذلك قوله تعالى — ي — ٨٤ — س — ٦ — (ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هديتنا ونوحا هدينا من قبل) .

(٤) قد سبق أن مثل هذا لا يصح أن يعد في وجوه البلاغة ، لأن الكلام معه لا يفيد معنى ثانوياً يعتد به .

(٥) تقديم الفاعل على المفعول لا يدخل في تقديم المعمولات ، فذكره هنا استطراد ، ولبيان اختلاف الغرض عند تقديم كل منهما على الآخر .

(٦) لا بد أن يكون هذا الغرض من الأغراض كما سيأتى في الأمثلة ، لأنه لا يكفي كما ذكر عبد القاهر أن يقال قدم للعناية من غير معرفة وجهها .

فيقدم المفعول على الفاعل إذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل على من وقع عليه لا وقوعه من وقع منه ، كما إذا خرج رجل على السلطان وعاث في البلاد وكثر منه الأذى فقتل وأردت أن تخبر بقتله ، فتقول — قتل الخارجي فلان — إذ ليس للناس فائدة في أن يعرفوا قاتله ، وإنما الذي يريدون عليه هو وقوع القتل به ليخلصوا من شره .

ويقدم الفاعل على المفعول إذا كان الغرض معرفة وقوع الفعل من وقع منه لا وقوعه على من وقع عليه ، كما إذا كان رجل ليس له بأس ولا يقدر فيه أن يقتل فقتل رجلاً وأردت أن تخبر بذلك ، فتقول — قتل فلان رجلاً — بتقديم القاتل ، لأن الذي يعنى الناس من شأن هذا القتل ندوره وبعده من الظن ، ومعلوم أنه لم يكن نادراً ولا بعيداً من حيث كان واقعاً على من وقع عليه ، بل من حيث كان واقعاً من وقع منه .

وعليه قوله ^(١) تعالى (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم) وقوله ^(٢) تعالى (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم) قدم المخاطبين في الأولى دون الثانية ، لأن الخطاب في الأولى للفقراء بدليل قوله تعالى (من إملاق) فكان رزقهم أهم عندهم من رزق أولادهم ، فقدم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم ، والخطاب في الثانية للأغنياء بدليل قوله (خشية إملاق) فإن الخشية إنما تكون مما لم يقع ، فكان رزق أولادهم هو المطلوب دون رزقهم لأنه حاصل فكان ^(٣) أهم ، فقدم الوعد برزق أولادهم على الوعد برزقهم .

وإما لأن في التأخير إخلاصاً ببيان المعنى ، كقوله ^(٤) تعالى (وقال رجل

(١) — ي — ١٥١ — س — ٦

(٢) — ي — ٣١ — س — ١٧

(٣) — أى رزق أولادهم .

(٤) — ي — ٢٨ — س — ٤٠

مؤمن من آل فرعون يكتُم إيمانه) فإنه لو آخر (من آل فرعون) عن (يكتُم إيمانه) لتوهم أن (من) متعلقة بيكتُم، فلم يفهم أن الرجل من آل فرعون^(١) أو بالتناسب كناية الفاصلة، نحو (فأوجس في نفسه خيفة موسى^(٢)) وإما لاعتبار آخر مناسب^(٣).

وقسم السكاكي^(٤) التقديم للعناية مطلقاً^(٥) قسمين :
أحدهما أن يكون أصل ما قدّم في الكلام هو التقديم ولا مقتضى للعدول عنه، كالمتبدي المعروف^(٦) فإن أصله التقديم على الخبر، نحو — زيد عارف — وكذا الحال المعروف فإن أصله التقديم على الحال، نحو — جاء زيد راكباً — وكالعامل فإن أصله التقديم على معموله، نحو — عرف زيد عمرأ، وكان زيد عارفاً، وإن زيداً عارف — وكالفاعل فإن أصله التقديم على المفعولات وما يشبهها من الحال والتمييز، نحو — ضرب زيد الجاني بالسوط يوم الجمعة أمام بكر ضرباً شديداً تأديباً له ممتلاً من الغضب، وامتلاً الإبناء ماء — وكذلك يكون في حكم المتبدي من مفعولى باب علمت، نحو — علمت زيداً منطلقاً — أو في حكم الفاعل من مفعولى باب أعطيت وكسوت، نحو — أعطيت زيداً

(١) فالتقديم في ذلك لدفع اللبس، ولأن الأصل عند اختلاف النعموت تقديم التعت المفرد ثم الظرف ثم الجملة.

(٢) — ي ٦٧ — س — ٢٠ — وقد سبق أن مثل هذا إنما يفوت به محسن بدعي، فتكون منزلته في البلاغة بقدر الغرض منه، ويمكن أن يكون تقديم (في نفسه) على (خيفة) لأنه لو آخر عنه لتوهم تعلقه به لا بقوله (فأوجس) وهو المقصود.

(٣) كإفادة التخصيص في نحو — جاء راكباً زيد — كما ذهب إليه ابن الأثير وهو خلاف مذهب الجمهور.

(٤) ١٢٧ — المفتاح . (٥) أى في المفعولات وغيرها .

(٦) أما المنكر فإنه قد يتقدم عليه الخبر لتسوية الابتداء به، وكذلك صاحب الحال المنكر.

درهما، وكسوت عمر آجبة^(١) وكالمفعول المتعدى إليه بغير واسطة فإن أصله التقديم على المتعدى إليه بواسطة، نحو — ضربت الجاني بالسوط — وكالتو بع فإن أصلها أن تذكر بعد المتبوعات^(٢).

ثانيهما أن تكون العناية بتقديمه والاعتناء بشأنه لكونه في نفسه نُصْبَ عينك، والتفات خاطرِك إليه في التزايد، كما تجددك قد مُمِيتَ بهجر حبيبك وقيل لك: ما أتمنى؟ تقول — وجه الحبيب أتمنى — وعليه قوله^(٣) تعالى (وجعلوا لله شركاء) ي على القول^(٤) بأن (لله شركاء) مفعولا (جعلوا).

أول عارض يورثه ذلك^(٥) كما إذا توهمت أن مخاطبك ملتفت الخاطر إليه ينتظر أن تذكره، فيبرز في معرض أمر يتجدد في شأنه التقاضى ساء فساعة، فتجد له مجالا للذكر صالحا أو رذلة، نحو قوله^(٦) تعالى (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) دم فيه المجرور لاشتغال ما قبله على سوء معاملة أهل القرية الرسل من إصرام على تكذيبهم، فكان مظنة أن يلعن السامع على مجرى العادة تلك القرية، ويبقى بجيلا في فكره أ كانت كلها كذلك أم

(١) فكل من زيد وعمرو في حكم الفاعل، لأن زيدا هو الآخذ والدرهم مأخوذ. وعمرو هو اللابس والجلبة ما بوسة.

(٢) فلا تتقدم عليها ولا يتقدم عليها غيرها بعدها، كالحال في نحو — جاء زيد الطويل راكبا.

(٣) — ي — ١٠٠ — ٦.

(٤) هناك قول في هذه الآية (وجعلوا لله شركاء الجن) بأن (شركاء الجن) هما المفعولان، والجار والمجرور متعلق بشركاء، ولا يخفى أن الاستشهاد جار عليه أيضا، لأن الشاهد في تقديم (لله) لكونه في نفسه مما يلتفت إليه.

(٥) معطوف على قوله — لكونه في نفسه — والمقابلة ظاهرة.

(٦) — ي — ٢٠ — ٣٦.

كان فيها قُطْر دان أم قاصٍ منبت خير ، منتظراً لإمام الحديث به ، بخلاف ما في سورة القصص ^(١).

أو كما إذا وُعدت ^(٢) ما تستبعد وقوعه من جهتين: إحداهما أدخل في تبعيده من الأخرى ، فإنك حال التفات خاطرك إلى وقوعه باعتبارهما تجد تفاوتاً في إنكارك إياه قوة وضعفاً بالنسبة ، ولا امتناع إنكاره بدون القصد إليه يستتبع تفاوته ذلك تفاوتاً في القصد إليه والاعتناء بذكره ، فالبلاغة توجب أنك إذا أنكرت تقول في الأول ^(٣) شيء حاله في البعد عن الوقوع هذه أنى يكون ؟ لقد وعدت هذا أنا وأبى وجدى ؟ - فتقدم المنكر على المرفوع ^(٤) وفي الثاني - لقد وعدت أنا وأبى وجدى هذا - فتؤخر ، وعليه قوله تعالى ^(٥) في سورة النمل (لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا) وقوله تعالى ^(٦) في سورة المؤمنين (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا) فإن ما قبل الأولى (إذا كننا تراباً وآباؤنا أنثنا مخرجون) وما قبل الثانية (إذا مستنا وكنا تراباً وعظاماً أنثنا لمبعوثون) فالجهة المنظور فيها هناك كونهم أنفسهم وآباؤهم تراباً ،

(١) هو قوله تعالى في قصة موسى - ي - ٢٠ - س - ٢٨ - (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى) وقد جاء الكلام فيها على أصله من تأخير الجار والمجرور ، لأنه ليس فيها من ذلك ما يقتضى تقديمه ، وقيل : إن تقديمهما في الآية الأولى لتبكيك أولئك القوم بكون البعيد عما شاهدوا ينصح لهم ما لم ينصحوه لأنفسهم (٢) معطوف على قوله - كما إذا توهمت .

(٣) أى في الحال الأول وهو ما كانت جهته أدخل في تبعيد ذلك ، فتجعل العناية بذكره أهم ، والثاني هو ما كانت جهته أضعف في تبعيد ذلك ، فلا تكون هناك عناية بذكره قبل غيره .

(٤) المنكر هو اسم الإشارة - هذا - لأنه هو المستبعد ، والمرفوع هو مؤكد نائب الفاعل - أنا - وما عطف عليه .

(٥) - ي - ٦٨ - س - ٢٧ .

(٦) - ي - ٨٣ - س - ٢٣ .

والجهة المنظور فيها هنا كونهم تراباً وعظاماً ، ولا شبهة أن الأولى أدخل عندهم في تبعيد البعث^(١) .

أو كما إذا عرفت في التأخير مانعاً^(٢) . كما في قوله تعالى^(٣) في سورة المؤمنين (وقال الملائمة قوميه الذين كفروا وكذبوا بولقاء الآخرة وأترفناهم) بتقديم المجرور على الوصف ، لأنه لو أخر عنه — وأنت تعلم أن تمام الوصف بتمام ما يدخل في صلة الموصول ، وتمامه (وأترفناهم في الحياة الدنيا) — لا يحتمل أن يكون من صلة الدنيا ، واشتبه الأمر في القائلين أنهم من قومه أم لا ، بخلاف قوله تعالى^(٤) في موضع آخر منها (فقال الملائمة الذين كفروا من قومهم) فإنه جاء على الأصل^(٥) لعدم المانع ، وكفاي قوله تعالى^(٦) في سورة طه (أمنابر رب هارون وموسى) للحافظة على الفاصلة ، بخلاف قوله تعالى^(٧) في سورة الشعراء (رب موسى وهارون) .

وفما ذكره نظر من وجوه :

أحدها أنه جعل تقديم (لله) على (شركاء) للعناية والاهتمام ، وليس كذلك ، فإن الآية مسوقة للإنكار التوبيخي ، فيمتنع أن يكون تعلق (جعلوا) بالله منكرأ من غير اعتبار تعلقه بشركاء إذ لا ينكر أن يكون جعل ما متعلقاً

(١) لأنهم صاروا فيها إلى تراب ولم يبق لهم فيها عظام ، وقد قيل في سر التقديم والتأخير في الآيتين : إن قوله (لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا) جاء على أسلوب ما قبله (إذا كنا تراباً وآباؤنا) فقدم المفعول الثاني لوعده كما قدم خبر كان على المعطوف على اسمها ، ولا شك أن الخبر كمفعول لها .

(٢) معطوف على قوله ، كما إذا وعدت

(٣) — ي — ٣٣ — س — ٢٣ .

(٤) — ي — ٢٤ — س — ٢٣ .

(٥) من تقديم الصفة على الحال لأنه متأخر الرتبة عن التابع .

(٦) — ي — ٧٠ — س — ٢٠ .

(٧) — ي — ٤٨ — س — ٢٦ .

به . فیتعين أن يكون إنكار تعلقه به باعتبار تعلقه بشركاء ، وتعلقه بشركاء كذلك منسكراً باعتبار تعلقه بالله ، فلم يبق فرق بين التلاوة وعكسها^(١) وقد علم بهذا أن كل فعل متعدد إلى مفعولين لم يكن الاعتناء بذكر أحدهما إلا باعتبار تعلقه بالآخر إذا قدم أحدهما على الآخر لم يصح تعليل تقديمه بالعناية .
وثانيها أنه جعل التقديم للاحتراز عن الإخلال ببيان المعنى والتقديم للرعاية على الفاصلة من القسم الثاني ، وليساً منه^(٢) .
وثالثها أن تعلق (من قومه) بالدنيا على تقدير تأخره غير معقول المعنى إلا على وجه بعيد^(٣) .

(١) يعنى من هذه الجهة ، فلا ينافى هذا ما سبق له فى الكلام على حذف المسند ، وهو أن تقديم (لله) على (شركاء) لإفادة استعظام أن يتخذ له شريك ملكاً كان أو جنياً أو غيرهما . ويمكن الجواب عن السكاكى بأنه جعل تقديم (لله) لكونه نصب العين ، وهذا يوجب تقديمه عنده وإن كان ما سيقى له الآية من الإنكار التوبيخى يحصل عند تأخيرها .

(٢) لأن المراد به تقديم ما حقه التأخير . والجار والمجرور فى قوله (وقال الملائ من قومه الذين كفروا — الآية) حال من الملائ ، واسم الموصول صفة لقومه لا للملائ كما ذهب إليه السكاكى ، فلا يكون الحال حقه التأخير عنها ، لأنها ليست صفة لصاحبه ، وكذلك تقديم هارون على موسى فى قوله (آمنا برب هارون وموسى) لأن المتعاطفين بالواو ليس من حق أحدهما التأخير عن الآخر ، وقد أجيب عن السكاكى بأن تقسيمه التقديم للعناية مبنى على أن العناية فى القسم الأول ترجع إلى مجرد أن التقديم فيه هو الأصل ، وفى القسم الثانى ترجع إلى الأمور التى ذكرها ، وليس مبنياً على أن التقديم فى القسم الأول تقديم ما أصله التقديم ، وفى القسم الثانى تقديم ما حقه التأخير حتى يصح الاعتراض عليه بذلك .

(٣) أجيب عن هذا بأن احتمال ذلك فيه ولو كان بعيداً يكفى فى إثبات ما ذكره السكاكى فى نسكته تقديمه ، ولكن الأوجه من هذا أن يجعل المانع من تأخيرها طول الصفة بالصلة وما عطف عليها ، فلو أخرج عنها لاطال الفصل بين ضمير (قومه) ومفعوله .

تمرينات على التقديم والتأخير

تمرين ١

(١) لماذا قدم الظرف على الفعل في قول الشاعر :

أبعد المشيب المنقضى في الذوائب تحاول وصل الغانيات الكواعب

(٢) هل تقديم الجار والمجرور للتخصيص أو مجرد الاهتمام في قول

الشاعر :

على الأخلاق خُطِّطوا الملك وابنوا فليس ورامها للعز ركن

تمرين ٢

(١) لماذا قدم المفعول الثاني على نائب الفاعل في قول الشاعر :

أفي الحق أن يعطى ثلاثون شاعراً ويحرّم ما دون الرضى شاعر مثلي

(٢) لماذا قدم الجار والمجرور على متعلقه وعلى الفاعل في قوله تعالى :

— ي — ٩١ — س — ٢٠ — (قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع

إلينا موسى) .

تمرين ٣

(١) ما الغرض من تقديم المفعول على الفعل في قول الشاعر :

صهوة الجوّ اعتلوا تحسبهم جمع أفلاك على الخيل تسامى

(٢) ما الغرض من تقديم الجار على المجرور على الفعل في قول الشاعر :

إذا شئت يوماً أن تسود عشيرة فبالحلم سُدّلاً بالتسرّع والشم

تمرين ٤

(١) لماذا قدم المفعول على الفعل في قوله تعالى — ي — ٣ ، ٤

— س — ٧٤ — (وربّ بك فكبر ، وثيابك فطهر)

(٢) ما الغرض من تقديم بعض المفعولات على بعض في قول الشاعر :

ألقت مقاليدها الدنيا إلى رجل مازال وقفاً عليه الجود والكرم

(٣) هل تقديم الجار على المجرور للاهتمام أو التخصيص في قول الشاعر :

بك اقتدت الأيام في حسناتها وشيمتها لولاك هم وتكريب

القول في القصر

أقسام القصر : القصر حقيقي وغير حقيقي^(١) وكل واحد منهما ضريان :
قصر الموصوف على الصفة ، وقصر الصفة على الموصوف^(٢) والمراد الصفة
المعنوية^(٣) لا النعت ، والأول من الحقيقي كقولك — ما زيد إلا كاتب —

(١) القصر في اللغة الحبس وفي الاصطلاح تخصيص شيء بشيء بطريق
مخصوص ، والشئ الأول هو المقصور ، والثاني هو المفصور عليه . والطريق
المخصوص هو أدوات القصر ، والمراد بتخصيص الشيء بالشيء إثبات أحدهما
للآخر ونفيه عن غيره ، وبهذا تكون جملة القصر في ذواته جملتين ، ويكون القصر
طريقاً من طرق الإيجاز ، ويكون الإيجاز من أهم أغراضه ، وقد يصرح في القصر
بالجملتين معاً كما سيأتي في القصر بسكن وبل وليس ، ومن أغراض القصر أيضاً
أنه قد يقصد به تمكين الكلام وتقريره في الذهن لدفع ما فيه من إنكار أو شك ،
ولا يخفى أن هذه المزايا إنما هي للقصر بأدواته الآتية ، وبهذا يبطل ما ذهب إليه
بعض مؤلفي عصرنا من التعميم في تعريف القصر ليشمل نحو قول الشاعر :

أروني أمة بلغت مناهيها بغير العلم أو حجة التمانى

وقوله تعالى — ي — ١٠٥ — س ٢ — (والله يختص برحمته من يشاء)
وقولك — زيد مقصور على الكتابة — والقصر في الآية والمثال معنى أولى ،
والبيت من الاستدلال في الإثبات وسيأتي

والقصر الحقيقي هو ما يكون فيه النفي لكل ما عدا المقصور عليه ، كقولك
— ما خاتم الرسل إلا محمد — والقصر غير الحقيقي هو ما يكون فيه النفي لبعض
ما عدا المقصور عليه ، كقولك — زيد كاتب لا شاعر — فهو يفيد نفي الشعر
فقط لا كل ما عدا الكتابة من أكل وشرب وغيرهما ، والقصر غير الحقيقي هو
الذي يسمى القصر الإضافي .

(٢) قصر الموصوف على الصفة هو ما لا يتجاوز فيه الموصوف صفته وإن
جاز أن تكون الموصوف آخر ، وقصر الصفة على الموصوف هو ما لا يتجاوز فيه
الصفة موصوفها وإن جاز أن يكون له صفة أخرى .

(٣) هي كل أمر قائم بغيره ، وكذلك يراد بالموصوف كل ما قام به غيره

إذا أردت أنه لا يتصف بصفة غير الكتابة ، وهذا لا يكاد يوجد في الكلام ،
لأنه ما من متصور إلا وتكون له صفات تتعذر الإحاطة بها أو تنعسر^(١)
والثاني منه كثير ، كقولنا — ما في الدار إلا زيد^(٢) والفرق بينهما ظاهر ،
فإن الموصوف في الأول لا يمتنع أن يشاركه غيره في الصفة المذكورة ، وفي الثاني

وإن كان هو صفة في نفسه ، فيدخل في ذلك نحو — إنما الصبر عند الصدمة الأولى —
فهو من قصر الموصوف على الصفة ، أي ما الصبر إلا الكائن عند هذه الصدمة ،
وكذلك قوله تعالى — ي — ٣ — س — ٣٩ — (ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى
إلى الله زلفى) وإنما لم يكن المراد بالصفة النعت النحوي ، لأنه لا يتأتى قصر بينه
وبين موصوفه لخلوهما عن الحكم ، ولا يمكن أن يخرج قصر عن كونه قصر موصوف
على صفة أو صفة على موصوف ، سواء أكان قصر مبتدئ على خبر أم كان قصر
فاعل على مفعول أم كان غيرهما ، فقصر الفاعل على المفعول معناه في الحقيقة
قصر الفعل الصادر من الفاعل على المفعول ، لا قصر ذات الفاعل عليه ، وإذا كان
كل من المبتدئ والخبر يدل على ذات نحو — ما الباب إلا ساج — أو في أحدهما
حتى يكون صفة ، فالمراد في هذا المثال قصر الباب على الاتصاف بكونه ساجاً ، وهكذا
(١) قد يوجد هذا النوع من القصر في الكلام عند قصد الادعاء والمبالغة
في مقام المدح والفخر ونحوهما ، كقوله تعالى — ي — ٩٠ — س — ٥ —
(إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان) .
وقول الشاعر :

هل الجود إلا أن تجود بأنفس على كل ماضى الشفرتين صقيل
وقد تكلفوا هذا المثال — إنما الله تعالى متصف بكل كمال منزه عن كل
نقص — لقصر الموصوف على الصفة قصرأ تحقيقاً صادقاً .

(٢) يعني من البشر ، لأنه هو المقصود في مثل هذا ، وإلا فالدار يوجد فيها
متاعها وغيره ، ولكن مثل هذا لا ينظر إليه في ذلك الكلام ، فلا يجعله من القصر
الإضافي ، ومن ذلك قول الشاعر :

ولا ينال العلا إلا فتي شرفت خلاله فأطاع الدهر ما أمرا

يُمتنع ، وقد يقصد به ^(١) المبالغة لعدم الاعتماد بغير المذكور فينزل منزلة المعدوم .

والأول من غير الحقيقي تخصيص أمر بصفة دون أخرى ^(٢) أو مكان أخرى ، والثاني منه تخصيص صفة بأمر دون آخر ^(٣) أو مكان آخر ، فكل واحد منهما ضربان والمخاطب بالأول من ضربين كل - أعني تخصيص أمر بصفة دون أخرى وتخصيص صفة بأمر دون آخر - من يعتقد الشركة ^(٤) أى اتصاف ذلك الأمر بتلك الصفة وغيرها جميعاً في الأول ، واتصاف ذلك الأمر وغيره جميعاً بتلك الصفة في الثاني ، فالمخاطب بقولنا - ما زيد إلا كاتب - من يعتقد أن زيداً كاتب وشاعر ، وبقولنا - ما شاعر إلا زيد - من يعتقد أن زيداً شاعر لسكن يدعى أن عمر أياً شاعر ، وهذا يسمى قصر أفراد ، لقطعه الشركة بين الصفتين

(١) أى بقصر الصفة على الموصوف ، وهذا يسمى قصر ادعائيا ، أما قصر الموصوف على الصفة فلا يوجد إلا على سبيل الادعاء كما سبق ، والمراد بالمبالغة في كمال الصفة في الموصوف بها ، ومن قصر الصفة على الموصوف قصر حقيقياً ادعائياً قول الله تعالى - ي - ٢٨ - س - ٣٥ - (إنما يخشى الله من عباده العلماء) لأن غيرهم قد يخشاه أيضاً ولكن لا اعتماد بخشيته ، وكذلك قول الفرزدق : أنا الذائد الحامى الذمار وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى

(٢) أى دون صفة أخرى ، والمعنى دون جنسها ، فيشمل الصفة الواحدة ، ويشمل أيضاً ما فوقها بشرط أن يكون على التفصيل ليفترق القصر الإضافي عن الحقيقي ، فلا يكون من الإضافي نحو - إنما زيد كاتب لا شاعر ولا غير ذلك من الصفات - والباء في التعريف داخلة على المقصور عليه .

(٣) أى دون موصوف آخر ، والمعنى دون جنسه ، فيشمل الموصوف الواحد ، ويشمل أيضاً ما فرق ذلك بشرط أن يكون على التفصيل أيضاً ، فلا يكون من الإضافي نحو - إنما الكاتب زيد لا غيره من الناس .

(٤) مثل اعتقاد الشركة في ذلك ظنها وتجويزها مطلقاً ، وكذلك يقال في اعتقاد العكس الآتي ، لأن كل هذا يقابل التساوى الآتي في قصر التعيين .

في الثبوت للموصوف أو بين الموصوف وغيره في الاتصاف بالصفة .
 والمخاطب بالثاني من ضربين كل - أعني تخصيص أمر بصفة مكان
 أخرى وتخصيص صفة بأمر مكان آخر - إما من يعتقد العكس ، أى اتصاف
 ذلك الأمر بغير تلك الصفة عوضاً عنها في الأول ، واتصاف غير ذلك الأمر
 بتلك الصفة عوضاً عنه في الثاني ، وهذا يسمى قصر القلب ، لقلبه حكم
 السامع . وإما من تساوى الأمران عنده ، أى اتصاف ذلك الأمر بتلك
 الصفة واتصافه بغيرها في الأول ، واتصافه بها واتصاف غيره بها في الثاني ،
 وهذا يسمى قصر تعيين ، فالمخاطب بقولنا - ما زيد إلا قائم - من يعتقد
 أن زيدا قاعد لا قائم ، أو يعلم أنه إما قاعد أو قائم ولا يعلم أنه بماذا يتصف
 منهما بعينه ، وبقولنا - ما قائم إلا زيد - من يعتقد أن عمرأ قائم
 لا زيدا ، أو يعلم أن القائم أحدهما دون كل واحد منهما ، لكن لا يعلم من
 هو منهما بعينه^(١) .

(١) على هذا يكون قصر التعيين كقصر القلب من الضرب الثاني في القصر
 الإضافي ، وهو التخصيص بشئ مكان شئ . وقد جعل السكاكي قصر التعيين من
 الضرب الأول وهو التخصيص بشئ دون شئ . فجعله شاملاً لقصر الأفراد
 وقصر التعيين ، وجعل الضرب الثاني خاصاً بقصر القلب ، والخطب في ذلك سهل
 هذا والمقام الداعي إلى القصر في الأقسام الثلاثة هو الرد على المخاطب في
 قصر الأفراد والقلب ، وتعيين المبهم عند المخاطب في قصر التعيين . وإنما لم يجر
 هذه الأقسام في القصر الحقيقي ، لأن القصر فيه بالنسبة إلى كل ما عدا المقصور عليه
 على الإطلاق ، فلا يتصور فيه اعتقاد شركة أو غيرها ، وقد تكلف بعضهم تقسيم
 الحقيقي إلى ذلك أيضاً ، والقصر الادعائي لا يجرى في الإضافي كما جرى في الحقيقي ،
 لأنه فيما قيل لم يقع في كلام البلغاء ، وإن لم يكن هناك مانع عقلي من إتيانه في
 الإضافي ، ويمكن أن يكون من الإضافي الادعائي قول الشاعر :

هل الجود إلا أن تجود بأنفس على كل ماضى الشفرتين صقيل
 إذا كان يريد قصر الجود على الجود بالنفس لا الجود بالمال على سبيل المبالغة
 والرد على من يعتقد خلاف ذلك .

وشرط قصر الموصوف على الصفة إفرادا عدم تنافى الصفتين^(١) حتى تكون المنفية في قولنا — مازيد إلا شاعر — كونه كاتباً أو منجماً أو نحو ذلك ، لا كونه مفحماً لا يقول الشعر ، ليتصور اعتقاد المخاطب اجتماعهما . وشرط قصره قلباً تحقق تنافيهما ، حتى تكون المنفية في قولنا — مازيد إلا قائم — كونه قاعداً أو جالسا أو نحو ذلك ، لا كونه أسود أو أبيض أو نحو ذلك ، ليسكون إثباتها مشعراً بانتفاء غيرها^(٢) وقصر التعيين أعم ، لأن اعتقاد كون الشيء موصوفاً بأحد أمرين معيّنين على الإطلاق لا يقتضى جواز اتصافه بهما معاً ولا امتناعه ، وبهذا علم أن كل ما يصلح أن يكون مثلاً لقصر الإفراد أو قصر القلب يصلح أن يكون مثلاً لقصر التعيين ، من غير عكس^(٣) وقد أهمل السكاكي^(٤) القصر الحقيقي ، وأدخل قصر التعيين في قصر الإفراد^(٥) فلم يشترط في قصر الموصوف إفرادا عدم تنافى الصفتين^(٦) ولا في قصره قلباً تحقق تنافيهما^(٧) .

(١) لم يذكر هذا الشرط في قصر الصفة على الموصوف لأن الموصوفات لا تكون إلا متنافية .

(٢) تكون قاعدة القصر مع ذلك ما فيه من التنبيه على رد الخطأ في اعتقاد العكس لأن ذلك الإشعار لا يستفاد منه هذا التنبيه .

(٣) أى لغوى ، وهو أن كل ما يصلح أن يكون مثلاً لقصر التعيين يصلح أن يكون مثلاً لقصر الإفراد أو القلب . (٤) ١٥٦ — المفتاح .

(٥) لأنه جعله لمن يعتقد الشركة ومن لا يعتقد شيئاً ، وقد سعى ذلك قصر إفراد ولم يتعرض لما يدخل فيه مما سماه غيره قصر تعيين ، وهذه كلها اصطلاحات لا مشاحة فيها .

(٦) لدخول ما يسمى قصر التعيين عند غيره في قصر الإفراد عنده ، وقصر التبيين لا يشترط فيه ذلك .

(٧) لأنه قد يأتي في نحو — مازيد إلا شاعر — لمن اعتقد أنه كاتب لا شاعر ولا تنافى بين الشعر والكتابة ، وما ذكره الخطيب في تعليل ذلك الشرط مردود بأن أداة القصر فيها ذلك الإشعار ، فلا حاجة إلى إفادته بذلك الشرط .

تمريبات على أقسام القصر

تمرين — ١

- (١) هل القصر في البيت الآتي حقيقى أو إضافى :
قد علمت سدى وجاراتها ما قىطر الفارس إلا أنا
(٢) بأى اعتبار ينقسم القصر إلى حقيقى وغير حقيقى ؟ وما هى فائدة
هذا التقسيم بلاغة ؟ ولماذا أهمله السكاكى ؟

تمرين — ٢

- (١) من أى القصرين — قصر الموصوف على الصفة والعكس —
قول الشاعر :
وما المرء إلا هالك وابن هالك وذو نسب في الهالكين عريق
(٢) بأى اعتبار ينقسم القصر إلى قصر صفة على موصوف وبالعكس ؟
وما فائدة ذلك بلاغة ؟

تمرين — ٣

- (١) هل القصر في البيت الآتي قصر أفراد أو قلب أو تعيين :
فإن كان في لبس الفتى شرف له فما السيف إلا غمده والحمائل
(٢) بأى اعتبار ينقسم القصر إلى قصر أفراد وقصر قلب وقصر تعيين ؟
وما فائدة ذلك بلاغة ؟ وما هو الحال ومقتضى الحال في الأقسام الثلاثة ؟

تمرين — ٤

- (١) هل من القصر التحقيق أو الادعاءى قول الشاعر :
وما البأس إلا حمل نفس على الشرى وما العجز إلا نومة وتشمس
(٢) هل يأتي القصر الادعاءى في القصر الإضافى ؟ وأيها أبلغ : التحقيق
أم الادعاءى ؟

طرق القصر : العطف : وللقصر طرق : منها العطف^(١) كقولك في قصر الموصوف على الصفة لإفراداً — زيد شاعر لا كاتب ، أو ما زيد كاتباً بل شاعر^(٢) وقلباً — زيد قائم لا قاعد ، أو ما زيد قاعداً بل قائم^(٣) وفي قصر الصفة على الموصوف إفراداً أو قلباً بحسب المقام — زيد قائم لا عمرو أو ما عمرو قائماً بل زيد^(٤) .

(١) إنما قدم العطف لأنه أقوى دلالة على القصر للتصريح فيه بالإنبات والنفي ، وبليته النفي والاستثناء ، فأنما ، فالتقديم . وإنما كان آخرها لأن دلالة على القصر ذوقية لا وضعية كما يأتي ، ولا تنحصر طرق القصر في هذه الطرق التي ذكرها ، لأن منها ضمير الفصل وتعريف المسند بأل الجنسية كما سبق في الكلام عليه .
(٢) إنما ذكر — بل — بعد النفي لأنها بعد الإنبات تجعل ما قبلها في حكم المسكوت عنه فقط ، فلا تفيد بعده القصر كما تفيد بعد النفي .

(٣) جرى في هذا على مذهبه من اشتراط التنافي بين الصفتين في قصر القلب واشتراط عدمه في قصر الإفراد . فلا يمكن اجتماعهما في مثال واحد ، والخطب في ذلك سهل .

(٤) إنما جمع قصر الصفة على الموصوف إفراداً أو قلباً في مثال واحد ، لأنه لا يشترط في قصر الإفراد فيه عدم تنافي الاتصافين اتفاقاً ، فلا يتنافى هو وقصر القلب في ذلك ، ويصح اجتماعهما بحسب المقام في مثال واحد . وإنما لم يذكر مثالا لقصر التعيين في الموضوعين لأن كل ما يصلح مثالا لقصر الإفراد أو القلب يصلح مثالا له كما سبق ، وقد ادعى عبد الحكيم أن قصر التعيين لا يأتي في طريق العطف ، وذكر عبد القاهر أن — لا — لا تنفي عن الثاني أن يكون قد شارك الأول في الفعل . بل تنفي عنه أنه قد كان منه دون الأول ، فهي عنده لقصر القلب دون الإفراد ، والحق أن أنواع القصر الثلاثة تأتي كلها فيما ذكر من حروف العطف ، وأن القصر الحقيقي يأتي فيها أيضاً ، كما تقول — محمد خاتم الأنبياء لا غيره — وأن — لكن — العاطفة تفيد القصر أيضاً ، نحو — ما الشاعر أبو تمام والمتنبى لكن البحترى — وقد تأتي لكن للاستدراك كما في قول الشاعر :
إن ابن ورقاء لا تحشى بوادره لكن وقاعه في الحرب تستظره

النفي والاستثناء : ومنها النفي والاستثناء^(١) كقولك في قصر الموصوف
على الصفة إفراداً — مازيد إلا شاعر — وقلباً — مازيد إلا قائم — وتعييناً
كقوله^(٢) تعالى (وما أنزل الرحمن من شيء إلا أنتم إلا تكذبون) أى لستم
في دعواكم للرسالة عندنا بين الصدق والكذب^(٣) كما يكون ظاهر حال المدعى
إذا ادعى ، بل أنتم عندنا كاذبون فيها ، وفي قصر الصفة على الموصوف

لأنها لا تعطف جملة على جملة . وكذلك — بل — قد تأتي للإضراب لا للعطف ،
ولكنهما مع هذا يحملان في إفادة القصر على — بل — ولكن — العاطفتين كما ذكره
ابن يعقوب ، لإفادتهما معنى العطف أيضاً ، ولا يخفى أن مزية الإيجاز في القصر
تتضام في طريق العطف ، للتصريح فيه بالإثبات والنفي . فتكون بلاغة القصر
فيه أقل منها في غيره ، وإن كانت فائدة التأكيد فيه أقوى ، وما ورد في الشعر
من القصر بالعطف هذه الآيات

ليس اليتيم الذي قد مات والده	بل اليتيم يتيم العلم والأدب
إن الجديدين في طول اختلافهما	لا يفسدان ولكن يفسد الناس
كأن دثاراً حلتقت بلبونه	عقاب تنوفي لأعقاب القواعل

(١) بخلاف الاستثناء من الإثبات فإنه ليس بقصر عندهم ، وقيل : إنه قصر
أيضاً ، لأنك إذا قلت — قام القوم إلا زيداً — قصرت عدم القيام على زيد ،
ومن يذهب إلى أنه ليس بقصر يرى أنه قيد مصحح للحكم لا غير ، فكأنك في
هذا المثال قلت — جاء القوم المغايرون لزيد — كما تقول — جاء القوم الصالحون — وهذا
بخلاف قولك — ما جاءني إلا زيد — فإن الغرض منه النفي والإثبات المحققان
للقصر ، ولهذا يستعمل النفي والاستثناء عند : كإخبارك بالاستثناء من الإثبات

(٢) — ي — ١٥ — س — ٣٦

(٣) أى مترددين بينهما ، ولهذا كان القصر على الكذب قصر تعيين ، ولكن
هذا لا يصح إلا بتنزيل المشركين للرسالة منزلة المترددين مبالغة في إنكارهم لدعواهم
وإعراضهم عنها ، والظاهر أن القصر في ذلك قصر قلب لا تعيين .

بالاعتبارين^(١) ما قائم أو ما من قائم أو لا قائم إلا زيد .

وتحقيق وجه القصر في الأول^(٢) أنه متى قيل — ما زيد — توجه النفي إلى صفته لا ذاته ، لأن أنفُسَ الذوات يمتنع نفيها وإنما تنفى صفاتها كما يُبين ذلك في غير هذا العلم ، وحيث لا نزاع في طوله وقصره وما شاكل ذلك ، وإنما النزاع في كونه شاعراً أو كاتباً تناولها النفي ، فإذا قيل — إلا شاعر — جاء القصر^(٣) .

وفي الثاني^(٤) أنه متى قيل — ما شاعر — فأدخل النفي على الوصف المستلزم ثبوته — أعني الشعر — لغير من الكلام فيهما كزيد وعمر ومثلاً توجه النفي إليهما ، فإذا قيل — إلا زيد — جاء القصر^(٥) .

إنما : ومنها إنما ، كقولك في قصر الموصوف على الصفة إفراداً^(٦) إنما

(١) كان عليه أن يكتفى أيضاً في قصر الموصوف على الصفة بمثال واحد للاعتبارين لأن المنفى في النفي والاستثناء غير مصرح به ، فيجوز في قولك — ما زيد إلا شاعر — أن يكون لنفي أنه كاتب فيكون قصر إفراد . وأن يكون لنفي أنه مفحس فيكون قصر قلب ، وكذلك القصر في إنما وفي التقديم الآتين .

(٢) أى قصر الموصوف على الصفة .

(٣) لتحقيق النفي والإثبات المحقق للقصر .

(٤) أى قصر الصفة على الموصوف .

(٥) لتحقيق النفي والإثبات كما سبق ، ولا يخفى أن دلالة النفي والإثبات على القصر بالوضع ، فلا يحتاج إلى تكلف ما ذكره في تحقيق إفادته القصر . هذا ولا فرق في إفادة النفي والاستثناء القصر بين أداة وأداة ، ومن ذلك قول الشاعر في — ما ولا وإلا — .

وما الخوف إلا ما تخوفه الفتى ولا الأمن إلا ما رآه الفتى أمناً

وقول الآخر في — لا وغير — :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

(٦) يرى عبد القاهر أن — إنما — لا تستعمل في الكلام البليغ إلا في

زيد كاتب — وقلباً — إنما زيد قائم — وفي قصر الصفة على الموصوف
بالاعتبارين — إنما قائم زيد — والدليل على أنها تفهد القصر كونها متضمنة
معنى — ما وإلا^(١) لقول المفسرين^(٢) في قوله تعالى^(٣) (إنما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ
وَالدَّمَ) بالنصب معناه ما حرم عليكم إلا الميتة ، وهو المطابق لقراءة الرفع^(٤)
لما مرَّ في باب — المنطلق زيد — ولقول النحاة^(٥) إنما لإثبات ما يذكّر
بعدها ونفى ما سواه ، وصحة انفصال الضمير معها^(٦) كقولك — إنما يضرب
أنا — كما تقول — ما يضرب إلا أنا — قال الفرزدق :

قصر القلب ، والحق أنها تستعمل فيه وفي غيره ، ومن قصر الإفراد فيها قوله تعالى
ي — ٦٠ — س — ٩ — (إنما الصدقاتُ للفقراء — الآية) إذ ليس هناك من
يعتقد عدم استحقاق الفقراء ونحوهم الصدقة ، فلا يكون القصر في ذلك قصر قلب .
(١) لا يخفى أن دلالة — إنما — على القصر بالوضع ، فلا تحتاج إلى دليل
في دلالتها عليه ، وإنما جعلها متضمنة معنى — ما وإلا — ولم يجعلها مرادفة لها ، لما ساقى
من الفرق بينها وبينهما ، وشرط المترادفين أن يكونا متحدين معنى وإفراداً وتركيباً
(٢) أى من الذين يحتاج بهم في اللغة كابن عباس ومجاهد ونحوهما من
الصحابة والتابعين .

(٣) — ي — ١٧٣ — س — ٢ —

(٤) هي قراءة (إنَّ ما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ) وعليها يتعين أن تكون — ما —
موصولة اسم إن ، أى إن الذى حرمه عليكم الميتة ، وهى جملة معرفة الطرفين فتفيد
القصر كما مر في نحو — المنطلق زيد — وهناك قراءة أخرى بالرفع على بناء
— حرم — للفعول ، وهى غير مرادة له ، لأن — ما — فيها يصح أن تكون
كافّة وأن تكون موصولة ، فلا يتم بها الدليل الذى يريده .

(٥) أى الذين أخذوا اللغة من كلام العرب مشافهة ، وبهذا يحتاج بقولهم .

(٦) فلا يجب فصله خلافاً لابن مالك ، بدليل قوله تعالى — ي — ٦ —

س — ١٢ — (إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله) والحق أن الضمير إذا كان
محسوراً فيه وجب فصله وتأخير ، وإلا أتى به متصلاً كما في الآية ، لأن الجار

أنا الذائدُ الحامى الذمارَ وإنما يُدافعُ عن أحسابهم أنا أو مثلى^(١)

وقال عمرو بن مَعْدِيكَرِب :

قد علمتُ سَلَمَى وجارأتها ما قَطَرَ الفارسَ إلا أنا^(٢)

قال السكاكى^(٣) : ويُذكرُ لذلك وجه لطيف يُسند إلى على بن عيسى الرِّبْعَى ، وهو أنه لما كانت كلمة — إن — لتأكيد إثبات المسند للمسند إليه ، ثم اتصلت بها — ما — المؤكدة لا النافية كما يظنه من لا وقوف له على علم النحو — ناسب أن يضمّن معنى القصر ، لأن القصر ليس إلا تأكيداً على تأكيد^(٤) فإن قولك — زيد جاء لا عمرو — لمن يردد المحجى الواقع بينهما يفيد إثباته لزيد في الابتداء صريحاً وفي الآخر ضمناً .

والمجرور فيها هو المحصور فيه لا الضمير ، ووجه الاستدلال بذلك أن وصل الضمير يمكن في إنما ، والانفصال إنما يجوز عند تعذر الاتصال ، ولا تعذر هنا إلا بكونها في معنى — ما وإلا .

(١) الذائد من الذود وهو الدفع ، والذمار ما يلزم الشخص حمايته من أهل ومال ونحوهما ، مأخوذ من الذمر وهو الحث ، لأن ما تجب حمايته كانوا يتذامرون أى يحث بعضهم بعضاً على حمايته ، والأحساب جمع حسب وهو ما يعده الشخص من مفاخر نفسه وآبائه ، والمراد أنه لا يدفع عن أحسابهم إلا هو ، ولهذا فصل الضمير وأخره لأنه المحصور فيه .

(٢) قوله — قطر — مضعف قطر كنصر بمعنى صرعه صرعة شديدة ، والشاهد في فصله الضمير بعد .. إلا — وأن — إنما — يفصل الضمير بعدها مثلها .

(٣) ص ١٥٨ — المفتاح .

(٤) رد هذا بأنه لو كان اجتماع تأكيدين يفيد القصر لأفاده نحو — إن زيدا لقاتم — واللازم باطل فبطل الملزوم .

هذا وقد اختلف في إفادة — أنما — بفتح الهمزة القصر ، فقيل : إنها تفيد مثل المكسورة الهمزة ، وقد اجتمعا في قوله تعالى — ي — ١١٠ — من — ١٨ — قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهم واحد وهو من القصر الإضافى .

التقديم : ومنها التقديم^(١) كقولك في قصر الموصوف على الصفة إفراداً — شاعر هو — لمن يعتقده شاعراً وكاتباً ، وقلباً — قائم هو — لمن يعتقده قاعداً^(٢) وفي قصر الصفة على الموصوف إفراداً — أنا كفيت مُهمك — بمعنى وحدي ، لمن يعتقداً نك وغيرك كفيتا مهمه ، وقلبا — أنا كفيت مهمك — بمعنى لا غيري ، لمن يعتقد أن غيرك كفي مهمه دونك كما تقدم^(٣) .

فروق طرق القصر : وهذه الطرق تختلف من وجوه :

الأول أن دلالة الثلاثة الأولى بالوضع دون الرابع^(٤) .

والمعنى ما أوحى إلى إلا التوحيد أى لا الشرك ، ومن القصر وإنما قول الشاعر :
وإنما المراء حديثٌ بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى
وقول الآخر :

وما لا مرى طول الخلود وإنما يخالده طول الشناء فيخلد
(١) هو ثلاثة أقسام : أولها تقديم المسند اليه على نحو ما سبق في بابه ،
كقول المتنبي :

وما أنا أسقمتُ جسمي به ولا أنا أضرمْتُ في القلب نارا
وثانيها تقديم المسند على نحو ما سبق في بابه ، كقول عمرو بن كلثوم
لنا الدنيا ومن أضحي عليها ونبطش حين نبطش قادرينا
وثالثها تقديم بعض القيود على نحو ما سبق في باب متعلقات الفعل ، كقول الشاعر :
إلى الله أشكو لا إلى الناس لأنني أرى الأرض تبقى والأخلاء تذهبُ
وأما تقديم بعض المعمولات على بعض فقدم سبق الخلاف في إفادته القصر بين
الجمهور وابن الأثير .

(٢) المثالان من تقديم الخبر على المبتدأ ، وهو إنما يفيد القصر إذا كان
المبتدأ معرفة لانكسرة .

(٣) في الكلام على تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي
(٤) فدلالته على القصر بالذوق والبحث في سر التقديم حتى يفهم بالقرائن
الحالية أنه للتخصيص لا لغيره من أغراض التقديم ، ولا تنافي الدلالة الوضعية
في الثلاثة الأولى البحث عنها في علم المعاني ، لأنه لا يبحث فيه عن دلالتها على

الثاني أن الأصل في الأول أن يدل على المثبت والمنفى جميعاً بالنص، فلا يترك ذلك إلا كراهة الإطناب في مقام الاختصار، كما إذا قيل - زيد يعلم النحو والتصريف والعروض والقوافي، أو زيد يعلم النحو وعمرو وبكر وخالد - فتقول فيهما - زيد يعلم النحو لا غير^(١) وفي معناه - ليس إلا - أى لا غير النحو ولا غير زيد، وأما الثلاثة الباقية فتدل بالنص على المثبت دون المنفى^(٢).

الثالث أن النفي^(٣) لا يجامع الثاني، لأن شرط المنفى بلا ألا يكون منفيًا قبلها بغيرها، ويجامع الأخيرين، فيقال - إنما زيد كاتب لا شاعر، وهو

القصر، وإنما يبحث فيه عن مزايا القصر وأحواله وعن المقامات التي تدعو إليها ولا شك أن هذا من صميم علم المعاني.

(١) ببناء - غير - على الضم، وقيل إنها لا تستعمل كذلك إلا بعد - ليس - وهو مرود بقول الشاعر:

جواباً به تنجو اعتمد فوربنا لعن عمل أسلفت لا غيرُ تسألُ
وقيل: إن - لا - في ذلك لنفي الجنس لا للعطف، وخبرها محذوف أى لا غيره معلوم أو عالم في المثالين، وتكون مع هذا للقصر حملاً على - لا - العاطفة لأنها بمعناها.

(٢) أى بحسب الأصل. وقد تجيء على خلافه، كما يقال في التقديم - ما أنا قلت هذا - بالنص على المنفى دون المثبت، وكما يقال في النفي والاستثناء - ما قام القوم إلا زيد - بالنص على المثبت والمنفى معاً، والاستثناء المفرغ هو الأصل في القصر.

(٣) يعنى النفي بلا كما يؤخذ من توجيهه له، ولأن المراد أن طريق القصر بلا لا يجامع طريق النفي والاستثناء، وقد جاء ذلك في كلام المولدين كقول الحريري:

لعمرك ما الإنسان إلا ابن يومه على ما تجلّ يومه لا ابن أمسه
أما النفي بغير - لا - فيجامع النفي والاستثناء، ولا وجه للفرق بينهما إلا السبا

يأتيني لاعمرو — لأن النفي فيهما غير مصرح به^(١) كما يقال امتنع زيد عن المجيء لاعمرو .

قال السكاكي^(٢) شرط بجامعته للثالث ألا يكون الوصف مختصاً بالموصوف^(٣) كقوله تعالى^(٤) (إنما يستجيبُ الَّذِينَ يسمعون) فإن كل عاقل يعلم أن الاستجابة لا تكون إلا لمن يسمع ، وكذا قولهم — إنما يعجلُ من يخشى الفوت — وقال الشيخ عبد القاهر^(٥) : لا تحسن بجامعته له في المختص كما تحسن في غير المختص ، وهذا أقرب^(٦) قيل : وبجامعته له إما مع التقديم كقوله^(٧) تعالى (إنما أنت مذكرٌ لست عليهم بمسيطر) وإما مع التأخير ، كقولك — ماجأني زيد وإنما جاءني عمرو — وفي كون نحو هذين مما نحن فيه نظر^(٨) .

الرابع أن أصل الثاني أن يكون ما استُغْمِلَ له مما يجمله المخاطب

(١) بخلاف الثاني لأنه يصرح فيه بأداة النفي وإن لم يصرح فيه بالمنفى .

(٢) ص ١٥٩ — المفتاح .

(٣) أى بالنظر إلى الوصف في نفسه وإن كان مختصاً بالموصوف بحسب المقام الذي اقتضى قصره عليه .

(٤) — (٥) — ٣٦ — س — ٦

(٥) ص ٢٢٩ — دلائل الإعجاز .

(٦) لأنه لا دليل على امتناع ذلك عند قصد زيادة التأكد، على أن السكاكي يناقض هنا ما سبق له في الكلام على تقديم المسند إليه ، لأنه هنا أجاز التخصيص مع اختصاص الوصف في نفسه بالموصوف ، وهناك منعه في نحو قولهم — شرُّ أهرَّ ذئاب — لأن المهر لا يكون إلا شراً ، أى لأن الوصف في نفسه مختص بالموصوف ، فلا فائدة فيه للتخصيص .

(٧) — (٨) — ٢٢، ٢١ — س — ٨٨

(٨) لأن النفي فيهما بغير — لا .

وينكره^(١) كقولك لصاحبك وقد رأيت شبحاً من بعيد — ما هو إلا زيد —
إذا وجدته يعتقده غير زيد ويصرُّ على الإنكار ، وعليه قوله^(٢) تعالى (وَمَا مِنْ
إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ) وقد يُنزلُ المعلوم منزلة المجهول لاعتبار مناسبات
فَيُسْتَعْمَلُ له الثاني إفراداً ، نحو (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ
خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ^(٣)) أى أنه صلى الله عليه وسلم مقصور على
الرسالة لا يتعداها إلى التبرُّى من الهلاك ، نزل استعظامهم هلاكه منزلة
إنكارهم إياه^(٤) ونحوه (وما أنت بمُسْمِعٍ مَنْ فِي النُّجُومِ ،
إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ^(٥)) فإنه صلى الله عليه وسلم كان لشدة حرصه على
هداية الناس يكرر دعوة المستعنيين عن الإيمان ولا يرجع عنها ، فكان في
معرض من ظنَّ أنه يملك مع صفة الإنذار إيجاد الشيء فيما يمتنع قبوله إياه .
أو قلباً ، كقوله تعالى^(٦) حكاية عن بعض الكفار (إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ
مِثْلُنَا) أى أنتم بشر لا رسل ، نزلوا المُخَاطَبِينَ^(٧) منزلة من ينكر
أنه بشر ، لاعتقاد القائلين^(٨) أن الرسول لا يكون بشراً مع إصرار المخاطبين

(١) المراد بذلك أن يكون شأنه مما يحمله المخاطب وينكره لا الجهل بالفعل ،
لأن الجهل بالفعل شرط في القصر مطلقاً .

(٢) — ي — ٦٢ — س — ٣

(٣) — ي — ١٤٤ — س — ٣

(٤) فكأنهم يعتقدون الشراكة بين الرسالة والتبرُّى من الهلاك . وبهذا كان
القصر على الرسالة قصر إفراد ، والاعتبار المناسب في ذلك هو الإشعار بعظم
ذلك الأمر في نفوسهم وشدة حرصهم على بقاءه بينهم ، وقيل : إن ذلك قصر قلب ،
لأن محط القصر هو الجملة الواقعة بعد المستثنى لكونها صفة له ، والمعنى أنه رسول
يخلو كما خلت الرسل من قبله ، لا رسول لا يخلو كما هو لازم استعظامهم هلاكه

(٥) — ي — ٢٢ ، ٢٣ — س — ٣٥

(٦) — ي — ١٠ — س — ١٤

(٧) هم الرسل لأنهم مخاطبون في الآية (قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا)

(٨) هم المشركون ، وهذا هو الاعتبار المناسب في الآية لتزليل المعلوم فيها

على دعوى الرسالة ، وأما قوله تعالى ^(١) حكاية عن الرسل (إن نحن إلا بشرٌ مثلكم ولكن الله يمتن على من يشاء من عباده) فمن مجارة الخصم للتبكيك والإلزام والإلغام ^(٢) فإن من عادة من ادعى عليه خصمه الخلاف في أمر هو لا يخالف فيه أن يعيد كلامه على وجهه ، كما إذا قال لك من يناظرك — أنت من شأنك كيت وكيت — فتقول — نعم أنا من شأنى كيت وكيت ، ولكن لا يلزمنى من أجل ذلك ما ظننت أنه يلزم — فالرسل عليهم السلام كأنهم قالوا : إن ما قلتم من أنا بشر مثلكم هو كما قلتم لا ننكره ، ولكن ذلك لا يمنع أن يكون الله تعالى قد منّ علينا بالرسالة . وأضل الثالث أن يكون ما استعمل له مما يعلمه المخاطب ولا ينكره على عكس الثانى ، كقولك — إنما هو أخوك ، وإنما هو صاحبك القديم — لمن

عندهم منزلة المجهول ، فصفة الرسالة تنافى عندهم صفة البشرية ، ولهذا كان القصر فى كلامهم قصر قلب ، وقد روعى فيه حال المتكلم مع المخاطب على خلاف الأصل فى القصر من مراعاة حال المخاطب فقط ، وقيل : إن ذلك يمكن ألا يكون من تنزيل المعلوم منزلة المجهول ، بأن يجعل قصر أفراد على معنى أن الرسل لم تجتمع لهم الرسالة والبشرية كما يدعون فى زعمهم ، أو قصر قلب على معنى ما أتتم إلا بشر مثلاً ، أى لا بشر أعلى منا بالرسالة .

(١) أى بعد قول المشركين السابق — ي — ١١ — س — ١٤

(٢) مجارة الخصم على وجهين : أحدهما اعتراف المجارى بمقدمة فاسدة ليرتب عليها ما يخالف مقصود الخصم ، وثانيهما اعترافه بمقدمة صحيحة ليبين أنها لا تستلزم مقصود الخصم ، وما هنا من الوجه الثانى ، والقصر فى قول الرسل (إن نحن إلا بشر مثلكم) قصر صورى يقصد منه المشاكاة اللفظية لقول المشركين لتكون أقوى فى المجارة ، ولا يراد منه إلا أصل الإثبات على سبيل التجريد ، وقيل : إنهم يريدون حقيقة القصر ، لأن المشركين يريدون من قصرهم أن الرسل بشر لا ملائكة ، فجاءهم الرسل بتسليم أنهم كذلك ، ويكون المقصود من القصر هذه المجارة لا الرد عليهم ، لأنهم لا ينكرون بشرية الرسل بل هى ثابتة عندهم .

يعلم ذلك ويُسْقَرُّ به ، وتريد أن ترققه عليه وتنبهه لما يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب^(١) وعليه قول أبي الطيب :

إنما أنت والدٌ والآبُ النقا طعُ أحسنَى من واصل الأولاد^(٢)
لم يُرد أن يُعلمهم كافورا أنه بمنزلة الوالد ، ولا ذاك مما يحتاج كافور فيه إلى الإعلام ، ولكنه أراد أن يُذكِّره منه بالأمر المعلوم ليبنى عليه استدعاء ما يوجبه .

وقد يُنزَلُ المجهول منزلة المعلوم لادعاء المتكلم ظهوره فيُسْتَعْمَلُ له الثالث^(٣) نحو (إنما نحنُ مُصلِحون)^(٤) ادعوا أن كونهم مُصلحين ظاهر جلي ، ولذلك جاء (ألا إنهم همُ المُفسِدون)^(٥) لرد عليهم مؤكِّداً بما ترى من جعل الجملة اسميةً وتعريف الخبر باللام وتوسيط الفصل والتصدير بحرف التنبيه ثم يان .

ومثله قول الشاعر :

إنما مُصْغَبٌ شهابٌ من الله سجَلْتُ عن وجهه الظلماءُ^(٦)

(١) هذا هو المقصود من — إنما — التعريض به ، وتكون فائدة القصر المبالغة في الترقيق لما فيه من زيادة التأكيد .

(٢) الخطاب لكافور ، يعني أنه بمنزلة الوالد لمولاه ابن الإخشيذ . والآب القاطع هو الذي لا يصل أولاده ، وإنما كان أحنى من الأولاد الواصلين لأبيهم لأن حنو الآب على أولاده أشد من حنو الأولاد على أبيهم بمقتضى الفطرة والطبيعة .
(٣) يقصد من استعماله هنا الرد على المخاطب كغيره من أدوات القصر ، ولا يقصد منه التعريض كما قصد منه في أصل استعماله .

(٤) — ى — ١١ — س — ٢ (٥) — ى — ١٢ — س — ٢

(٦) هو لعبيد الله بن قيس الرقيسات في مدح مصعب بن الزبير بن العوام ، وقوله — تجلت — بمعنى تكشفت . وهذا من بالغ المدح ، ولذلك فضله عبد الملك على مدحه له بقوله :

يأتلج التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهبُ

ادعى أن كون مصعب كما ذكر جلي معلوم لكل أحد على عادة الشعراء إذا مدحوا أن يدعوا في كل ما يصفون به بمدوحهم الجلاء ، وأنهم قد شهرروا به حتى إنه لا يدفعه أحد ، كما قال الآخر :

وتعذلى أفئساء سعدٍ عليهمُ وما قلتُ إلا بالتي علمتُ سعدُ^(١)
وكما قال البحترى :

لا أدعى لأبي العلاء فضيلةً حتى يُسلمَها إليه عداهُ^(٢)
واعلم أن لطريق — إنما — مزية^(٣) على طريق العطف ، وهي أن يعقل منها إثبات الفعل لشيء ونفيه عن غيره دفعة واحدة بخلاف العطف ، وإذا ما استقرت وجدتها أحسن ما تكون موقعا إذا كان الغرض بها التعريض بأمر هو مقتضى معنى الكلام بعدها^(٤) كما في قوله تعالى (إنما

(١) هو للحطيمية في مدح بغيض بن شماس وقومه بن أنف الناقية وذم الزرقان ابن بدر وقومه ، وجميعهم ينتمون إلى سعد بن مناة . والأفاء جمع فاء . وهو الجماعة ، والشاهد في دعواه أن مقاله في حق مدوحيه لا يدفعه أحد من سعد . وقيل : إن الرواية — أبناء سعد — لأن أفاء الناس أخلاطهم ، ولا يريد الحطيمية ، وكذلك روى — الذى — بدل التى .

(٢) هو من أبيات له في مدح أبي العلاء صالح بن مخلد وابنه أبى عيسى .
(٣) توجد هذه المزية أيضا في طريق النفى والاستثناء وطريق التقديم .
(٤) هذا إنما يكون إذا استعملت في أصلها وهو ما يعمله المخاطب ولا ينكره كما سبق ، لأنه إذا كان ذلك معلوما له فلا يهم المتكلم إفادته له ، وإنما يهمه المعنى الآخر الملوّح إليه بالتعريض ، لأنه هو الذى يحمله المخاطب ويصر على إنكاره .
هذا وقد قيل : إن عبد القاهر يرى أن — إنما — يقصد منها دائما التعريض ولو استعملت فى المجحول المنزل منزلة المعلوم ، ولا يقصد منها الرد على المخاطب إذا استعملت هذا الاستعمال ، مع أن عبد القاهر قد ذكر أنها تأتي فى كثير من الكلام والقصد بالخبر بعدها أن تعلم السامع أمر أقدر غلط فيه بالحقيقة واحتاج إلى معرفته ، ولكن لا بد مع ذلك من أن يدعى هناك فضل انكشاف وظهور فى أن الأمر كالذى ذكر .

يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ^(١) فإنه تعريض بدم الكفار وأنهم من فرط العناد وغلبة الهوى عليهم في حكم من ليس بذي عقل ، فأتى في طمعكم منهم أن ينظروا ويتذكروا كن طمع في ذلك من غير أُولِي الْأَلْبَابِ . وكذا قوله^(٢) تعالى (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَّنْ يَخْشَاهَا) وقوله (لَا تَنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ^(٣)) المعنى على أن من لم تكن له هذه الخشية فكأنه ليس له أذن تسمع وقلب يعقل ، فالإنذار معه كلاً إنذار ، قال الشيخ عبد القاهر^(٤) ومثال ذلك من الشعر قوله :

أَنَا لَمْ أَرْزُقْ حُبَّهَا إِنَّمَا لِلْعَبْدِ مَا رَزَقَا^(٥)
فإنه تعريض بأنه قد علم أنه لا مَطْمَعُ له في وصلها . فيئس من أن يكون منها إسعاف به ، وقوله :

وإِنَّمَا يَعْنِدُ الْعَشَّاقُ مَنَ عَشِيقَا^(٦)

يقول : ينبغي للعاشق ألا يُشْكِرَ لوم من يلومه ، فإنه لا يعلم كونه بلوى العاشق ، ولو كان قد ابتلى بالعشق مثله لعرف ماهو فيه فيعذره ، وقوله :

مَا أَنْتَ بِالسَّبَبِ الضَّعِيفِ وَإِنَّمَا تَنْجِجُ الْأُمُورَ بِقُوَّةِ الْأَسْبَابِ
فاليوم حاجتنا إليك وَإِنَّمَا يَدْعِي الطَّيِّبُ لِسَاعَةِ الْأَوْصَابِ^(٧)

(١) - ي - ١٩ - س - ١٣ (٢) - ي - ٤٥ - س - ٧٩

(٣) - ي - ٨ - س - ٣٥ (٤) - ٢٣٠ - دلائل الإعجاز

(٥) هو للعباس بن الأحنف ، وفي رواية - مودتكم - بدل محبتها ، والإضافة في ذلك من إضافة المصدر إلى فاعله . وقبل البيت :

كَانَ لِي قَلْبٌ أَعِيشَ بِهِ فَاصْطَلَى بِالنَّارِ فَاحْتَرَقَا

(٦) هو من قول العباس بن الأحنف أيضاً :

يَلُومُ فِي الْحُبِّ مَنْ لَمْ يَدْرِ طَعْمَ هَوَى وَإِنَّمَا يَعْذِرُ الْعَشَّاقُ مَنْ عَشِيقَا

(٧) جاء في معجم الشعراء أنهما لمحمد بن أحمد بن سليمان العمراني في عبيد الله ابن يحيى بن خافان ، وقيل : لهما اللزير بن بكار ، وقيل : لهما للباخرزي ، والسبب كل ما يتوصل به إلى غيره ، والأوصاف جمع وصب وهو المرض .

يقول في البيت الأول : إنه ينبغي أن أنجح في أمرى حين جعلتك السبب إليه ، وفي الثاني : إنا قد طلبنا الأمر من جهة حين استعنا بك فيما عرض لنا من الحاجة وعولنا على فضلك ، كما أن من يعول على الطيب فيما يعرض من السقم كان قد أصاب في فعله .

ثم القصر كما يقع بين المبتدأ والخبر كما ذكرنا^(١) يقع بين الفعل والفاعل وغيرهما^(٢) في طريق النفي والاستثناء يؤخر المقصور عليه مع حرف الاستثناء ، كقولك في قصر الفاعل على المفعول إفراداً أو قلباً بحسب المقام - ماضرب زيد لإعمر^(٣) وعلى الثاني لا الأول قوله^(٤) تعالى (مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ) لأنه ليس المعنى أنى لم أزد على ما أمرتني به شيئاً ، إذ ليس الكلام في أنه زاد شيئاً على ذلك أو نقص منه ، ولكن المعنى أنى لم أترك ما أمرتني به أن أقوله إلى خلافه^(٥) لأنه قاله في مقام اشتتمل على معنى أنك يا عيسى تركت ما أمرتك أن تقوله إلى ما لم أمرك أن تقوله . فإني أمرتك أن تدعو الناس أن يعبدوني ، ثم إنك دعوتهم إلى أن

هذا وإنما ترك الكلام على أصل الطريق الأول والطريق الرابع من جهة استعمالهما فيما يجمله المخاطب أو يعلله ، لأنهما كما قال صاحب الأطول مستويان النسبة إلى المعلوم والمجهول .

(١) في التمثيل لأقسام القصر وطرقه ، لأن ما ذكره في ذلك من باب المبتدأ والخبر إلا ما ندر .

(٢) مما سيذكره وما لم يذكره كالتمييز والظرف وسائر المتعلقات إلا المصدر المؤكد والمفعول معه .

(٣) يجوز في هذا ونحوه أن يكون الفعل المستند إلى الفاعل مقصوراً على المفعول ، فيكون من قصر الصفة على الموصوف ، وأن يكون الفاعل مقصوراً على الفعل المتعلق بالمفعول ، فيكون من قصر الموصوف على الصفة ، وكذلك يقال في قصر المفعول على الفاعل ونحوهما .

(٤) - ي ١١٧ - س - ٥

(٥) بهذا يكون قصر قلب لا إفراد .

يعبدوا غيرى ، بدليل قوله^(١) تعالى (أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُوا مِنِّي وَآمِسْ
إِلَهِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) وفي قصر المفعول على الفاعل — ماضرب عمرآ
إلا زيد — وفي قصر المفعول الأول على الثاني في نحو^(٢) كسوت وظننت
— ما كسوت زيدا إلا جبة . وما ظننت زيدا إلا منطلقاً — وفي قصر الثاني
على الأول — ما كسوت جبة إلا زيدا ، وما ظننت منطلقاً إلا زيدا — وفي
قصر ذى الحال على الحال^(٣) ما جاء زيد إلا راكباً — وفي قصر الحال على
ذى الحال — ما جاء راكباً إلا زيد .

والوجه في جميع ذلك^(٤) أن النفي في الكلام الناقص — أعني الاستثناء المفسرغ —
يتوجه إلى مقدر هو مستثنى منه عام^(٥) مناسب للمستثنى في جنسه وصفته ،
أما توجهه إلى مقدر هو مستثنى منه فليكون — إلا — الإخراج واستدعاء الإخراج
مُخَرَّجاً منه ، وأما عموم فليتحقق الإخراج منه ، ولذلك قيل : تأنيث المضمر
في — كانت — على قراءة^(٦) أبي جعفر المدنى (إن كانت الا صبيحةً)
بالرفع ، وفي — ترى — مبنيًا للمفعول في قراءة^(٧) الحسن (فأصبحُوا لا تُرى إلا
مساكنهم) برفع مساكنهم ، وفي — بقيت — في بيت ذى الرمة :

(١) — ي — ١١٦ — س — ٥

(٢) نحو — كسوت — كل فعل ينصب مفعولين ليس أصلهما المبتدأ والخبر ،
ونحو — ظننت — كل فعل ينصب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر .

(٣) هو من قصر الموصوف على الصفة ، فيقال في هذا المثال : إن زيدا قصر على
المجئ . حال الركوب ، وقيل : إن المجئ . هو الذى قصر على الركوب ، أما قصر الحال
على ذى الحال فهو من قصر الصفة على الموصوف .

(٤) هذا عود إلى ما سبق من توجيه لفادة النفي والاستثناء القصر ، وقد سبق
أن دلالة على القصر بالوضع ، فلا تحتاج إلى توجيهها بما ذكر .

(٥) لا فرق في هذا بين القصر الحقيقي والإضافى إلا بأن الإضافى يقدر فيه
فيه عام يراد به الخاص الذى يكون القصر بالإضافة إليه .

(٦) — ي — ٢٩ — س — ٣٦ (٧) — ي — ٢٥ — س — ٤٦

فما بقيت إلا الضلوع الجراشع^(١)

للنظر إلى ظاهر اللفظ ، والأصل التذكير لاقتضاء المقام معنى شئ . من الأشياء . وأما مناسبتة في جنسه وصفته فظاهرة ، لأن المراد بجنسه أن يكون في نحو - ماضرب زيد إلا عمرأ - أحدأ^(٢) وفي نحو قولنا - ما كسوت زيدأ إلا جبة - لباسا ، وفي نحو - ما جاء زيد إلا راكبا - كائنا على حال من الأحوال ، وفي نحو - ما اخترت رفيقا إلا منكم - من جماعة من الجماعات ، ومنه قول السيد الخميني :

لو مُخِيرُ المنبرُ فِرْسَانُهُ ما اختار إلا منكمُ فارسا^(٣)
لما سيأتى إن شاء الله تعالى أن أصله ما اختار فارسا إلا منكم ، والمراد بصفته كونه فاعلا أو مفعولا أو ذا حال أو حالا ، وعلى هذا القياس ، وإذا كان النفي متوجها إلى ما وصفناه فإذا أوجب منه شئ جاء القصر^(٤) .

ويجوز تقديم المقصور عليه مع حرف الاستثناء بحالهما على المقصور ، كقولك - ماضرب إلا عمرأ زيد ، وماضرب إلا زيد عمرأ ، وما كسوت إلا جبة زيدا . وما ظننت إلا زيدا منطلقا . وما جاء إلا راكبا زيد ، وما جاء إلا زيد راكبا - وقولنا - بحالهما - احتراز من إزالة حرف الاستثناء عن مكانه

(١) هو من قوله :

طوى النحر والأجراز ما في غروضها

فما بقيت إلا الضلوع الجراشع

يصف بذلك ناقته ، وقوله - طوى - بمعنى أضمر ، والنحر الدفع والنخس ، والأجراز جمع مجرّمز وهي الأرض اليابسة التي لانبات فيها ، والفروض جمع غرض وهو الحزام ، والجراشع المنتفخة الغليظة جمع جرّشع .

(٢) هو خبر يكون ، وكذلك نظائره مما بعده .

(٣) أى ما اختار فارسا من جماعة من الجماعات إلا منكم ، والفارس في الأصل راكب الفرس استعير في البيت لخطيب المنبر ، وإسناد الاختيار إلى المنبر مجاز عقلي .

(٤) لتحقيق النفي والإثبات المحققين لمعنى القصر .

بتأخيره عن المقصور عليه ، كقولك في الأول - ماضرب عمرا إلا زيد - فإنه يختل المعنى ^(١) فالضابط أن الاختصاص إنما يقع في الذي يلي إلا ^(٢)، ولكن استعمال هذا النوع أعنى تقديمها قليل ، لاستلزامه قصر الصفة قبل تمامها ^(٣) كالضرب الصادر من زيد في - ماضرب زيد إلا عمرا - والضرب الواقع على عمرو في - ماضرب عمرا إلا زيد - وقيل ^(٤) إذا أخر المقصور عليه والمقصور عن - إلا - وقدم المرفوع كقولنا - ماضرب إلا عمرو زيدا - فهو على كلامين ، وزيدا منصوب بفعل مضمر ، فكأنه قيل - ماضرب إلا عمرو - أي ما وقع ضرب إلا منه ، ثم قيل : من ضرب ؟ فقيل - زيدا - أي ضرب زيدا ، وفيه نظر ، لاقتضائه الحصر في الفاعل والمفعول جميعاً ^(٥) .

- (١) لأنه ينتقل المقصور مقصورا عليه وهو خلاف المراد . ومن تقديم المقصور عليه مع حرف الاستثناء قول الشاعر :
الناس إلّٰب علينا فيك ليس لنا إلا السيوف وأطراف القنا ورْدُ
(٢) فيكون هو المقصور عليه تأخرا معا أو تقدما معا .
(٣) إنما جاز التقديم مع استلزامه ذلك لأنه في نية التأخير ، فكأنه مؤخر فعلا .

- (٤) على هذا لا يلزم قصر الصفة قبل تمامها ، ولا يكون في الكلام تقديم وتأخير
(٥) أجب عن هذا بأنه إنما يلزم من يجوز أن يستثنى شيئا أو أكثر بأداة واحدة دون عطف ، ولعل من قال إن نحو - ماضرب إلا عمرو زيدا - على كلامين لا يجوز ذلك ، فلا يقتضى ما ذهب إليه الحصر في الفاعل والمفعول جميعا ، ويؤيد هذا أنه لو كان من يجوز ذلك لم يحتج إلى تقدير الفعل ثانيا ، بدليل أن من لا يجوز ذلك يرى في قوله تعالى - ي - ٢٧ - س - ١١ - (وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي) . أنه لم يستثن فيه الموصول والظرف جميعا بإلا ، وإنما الظرف منصوب بمضمر تقديره اتبعوك بادي الرأي ، والراجح أن الكلام . على التقديم والتأخير وليس على تقدير كلامين لما يظهر فيه من التكلف .

وأما في — إنما — فيؤخر المقصور عليه^(١) نقول — إنما زيد قائم ،
وإنما ضرب زيد ، وإنما ضرب زيد عمرا ، وإنما ضرب زيد عمرا يوم الجمعة ،
وإنما ضرب زيد عمرا يوم الجمعة في السوق — أي ما زيد إلا قائم ، وما
ضرب إلا زيد ، وما ضرب زيد إلا عمرا ، وما ضرب زيد عمرا إلا يوم الجمعة ،
وما ضرب زيد عمرا يوم الجمعة إلا في السوق ، فالواقع أخيراً هو المقصور
عليه أبداً^(٢) ولذلك تقول — إنما هذا لك ، وإنما لك هذا — أي ما هذا
إلا لك ، وما لك إلا هذا ، حتى إذا أردت الجمع بين إنما والعطف فقل — إنما
هذا لك لا لغيرك ، وإنما لك هذا لا ذاك ، وإنما أخذ زيد لا عمرو ، وإنما زيد
يأخذ لا يعطى^(٣) ومن هذا نعر على الفرق بين قوله تعالى : إنما يخشى الله من

(١) فلا يجوز تقديمه لئلا يلتبس بالمقصور ، وقد يعرض ما يوجب تقديم
المقصور عليه فيتقدم ، كقولك — إنما قت — قصر فيه المتكلم على القيام ،
فقدم الفعل مع أنه هو المقصور عليه لعدم صحة تقديم الفاعل عليه .

(٢) إنما يكون الواقع أخيراً هو المقصور عليه إذا كان جزءاً مستقلاً في آخر
الكلام ولو كان فضلة ، فالمقصور عليه في قولك — إنما جاء الذي أكرمه يوم الجمعة —
هو الموصول مع صلته ، وفي قولك — إنما جاءني رجل عالم — هو الموصوف مع
صفته ، وهكذا . وقد اعترض على ذلك بمواضع لا يظهر فيها أن الواقع أخيراً هو
المقصور عليه . كقوله صلى الله عليه وسلم : إنما يأكل آل محمد من هذا المال ليس
فيه إلا المأكل ، أي لا يقع إلا أكلهم منه ، وليس المعنى لا يأكلون إلا منه ، وكقوله
تعالى - ي- ٩١ - س - ٥ - (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء
في الخمر والميسر) ويمكن أن يجاب عن هذا بأن هذه المواضع جاءت على خلاف
الأصل في — إنما — لأن اللبس فيها بقرينة من القرائن ، كقوله في الحديث
— ليس لهم فيه إلا المأكل — فإنه يدل على أن المراد أنه لا يقع إلا أكلهم منه .

(٣) لأنه إذا اجتمع طريق إنما وطريق العطف يكون القصر مستفاداً من
— إنما — والعطف مؤكد له ، ولا ينسب القصر إليه لأنه تابع من التوابع ، وعلى هذا
يكون المقصور عليه هو الواقع أخيراً قبل العطف ، وقد ذهب بعض مؤلفي عصرنا
إلى أن القصر ينسب في ذلك إلى العطف لأنه الأقوى ، فأجاز أن يقال — إنما محمود

عباده العلماء^(١) (١) وقولنا — إنما يخشى العلماء من عباد الله الله — فإن الأول يقتضى قصر خشية الله على العلماء ، والثاني يقتضى قصر خشية العلماء على الله^(٢) .
واعلم أن مُحكم — غير^(٣) مُحكم — إلا — فى إفادة القصيرين — أى قصر الموصوف على الصفة وقصر الصفة على الموصوف — وفى امتناع مجامعة — لا — العاطفة ، تقول فى قصر الموصوف لإفراداً — ما زيد غير شاعر — وقلباً — ما زيد غير قائم — وفى قصر الصفة بالاعتبارين بحسب المقام — لا شاعر غير زيد — ولا تقول — ما زيد غير شاعر لا كاتب ، ولا شاعر غير زيد لا عمرو .

شاعر لا على — بتقديم المقصور عليه ، وإنى أرى أن الحجة فى ذلك يجب أن يعتمد فيها على أساليب البلغاء لا على نحو هذا المثال ، على أن كون العطف أقوى من غيره فى الدلالة على القصر لا يذكر مع ماله من رتبة التابع فى الكلام ، لأن هذا يجعله تابعا فى إفادته بلا نزاع .

وقد يجتمع طريق — إنما — وطريق التقديم ، فقليل : إن الذى يفيد القصر فى هذه الحالة التقديم ، وقيل إن الذى يفيد — إنما — وهذا كما فى قول الشاعر :
ألا فليمت من شاء بعدك إنما عليك من الأقدار كان حذاريا
وقول الآخر :

أسامياً لم تزده معرفة
وإنما لذة ذكرناها
والمقصود عليه فى ذلك هو المقدم كما هو طاهر .

(١) - ٢٨ - س - ٣٥ .

(٢) هذا والمقصود عليه فى العطف ببل وليسكن هو ما بعدهما ، وفى العطف بلا هو المعطوف عليه قبلها ، وفى التقديم هو المقدم ، وقد يجتمع العطف والتقديم ، كقولك — هو يأتينى لا أخوه — فينسب القصر فى ذلك إلى التقديم لأن العطف تابع كما سبق ، وقيل هنا أيضاً : إنه ينسب إلى العطف ، وإنه يجوز على هذا أن يقال — فى الدار سعيد لا محمود — وهو مردود بمثل ما سبق .

(٣) وكذلك — سوى — ونحوه من أدوات الاستثناء ، لأنه لا فرق بينها جميعاً فى إفادة القصر كما سبق ، ومثال ذلك فى — سوى — قول الشاعر :
أترك ليلي ليس بيني وبينها
سوى ليلة إنى إذن لصبور

تمرينات على طرق القصر

تمرين — ١

(١) بين لماذا أوتر القصر بالعطف على غيره في قوله تعالى — ي — ٤٠ :
س — ٣٣ — (ما كان محمدٌ أباً أحديهم من رجالكم ولكن رسول الله)
وبين ما فيه من مزايا القصر .

(٣) بين طريق القصر والمقصور والمقصور عليه في قول الشاعر :
بك اجتمع الملك المبددُ شملهُ ومضمتُ قواص منه بعد قواصي

تمرين — ٢

(١) لماذا أوتر القصر بإنما في قول الشاعر :
وإنما الأممُ الأخلاقُ ما بقيتُ فإن هُمتُ ذهبَتْ أخلاقهم ذهبوا
(٢) من أى طرق القصر قول الشاعر :
وإن سنتم المجد من آل هاشم بنو أم مخزوم ووالدك العبدُ
وما هو المقصور فيه ؟ وما هو المقصور عليه ؟

تمرين — ٣

(١) لماذا لم يفد تعريف المسند بأل القصر في قول الخنساء :
إذا قبح البكاءُ على قتيلٍ وجدتُ بكاءك الحسن الجميلاً
(٢) لماذا أوتر القصر بالنفي والاستثناء في قوله تعالى — ي — ١٨ :
س — ٢٩ — (وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على
الرسول إلا البلاغُ المبينُ) وإنما في قوله — ي — ٢١ — س — ٨٨ —
(فذكر إنما أنت مذكرٌ) .

تمرين — ٤

(١) ما هو طريق القصر والمقصور عليه في قول الشاعر :
ما افتريننا في وصفه بل وصفنا بعض أخلاقه وذلك يكفى

(٢) بين كيف اختصت المزايا البلاغية بالقصر بطرقه من العطف وغيره

تمرين - ٥

- (١) لماذا قال الله تعالى — ي — ١٠٥ — من — ٢ — (والله يختص برحمته من يشاء) ولم يفد الاختصاص بطريق من طرقه المعروفة .
- (٢) يأتي التوكيد لدفع التردد في نحو — إن زيدا شاعر — ويأتي قصر التعيين لدفع التردد في نحو — إنما زيد شاعر — فما هو الفرق بين دفع التردد فيهما

تمرين - ٦

- (١) لماذا قدم المقصور عليه في قول الشاعر :
- ومالٍ إلا آلَ أحمدَ شيعهٌ ومالٍ إلا مذهبَ الحقِّ مذهبٌ
- (٢) بين موقع المقصور عليه في جملتيه في قول الشاعر :
- ما بعتكم مهبتي إلا بوصلكمم ولا أسلمها إلا يداً بيدٍ

تمرين - ٧

- (١) هل من قصر الفعل على الفاعل أو من قصر المفعول عليه قول الشاعر :

في ليلة لا نرى بها أحداً يحكي علينا إلا كواكبها

(٢) بين الذي أفاد القصر من التقديم أو العطف في قول الشاعر :

للفتي من ماله ما قدمت يداه قبل موته لا ما اقتني

(٣) هل من القصر قول الشاعر :

وكلُّ أخٍ مفارقُهُ أخوه لعمركُ أيبك إلا الفراقدان

(٤) اختلف في افادة الاستثناء من الإثبات القصر ، فبين ما تختاره في ذلك

القول في الإنشاء

أقسام الإنشاء : الإنشاء ضربان : طلب وغير طلب ، والطلب يستدعى مطلوباً غير حاصل وقت الطلب لامتناع تحصيل الحاصل^(١) وهو المقصود بالنظر ههنا^(٢) وأنواعه كثيرة :

التمنى : منها التمنى^(٣) ؛ واللفظ الموضوع له - ليت - ولا يُشترط في التمنى الإمكان ، تقول - ليت زيدا يحيى ، وليت الشباب يعود - قال

(١) فإذا استعمل الطلب فيما هو حاصل - وجب - تأويله ، كقوله تعالى - ي - ١٣٦ - س - ٤ - (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) وقوله - ي - ١ - س - ٣٣ - (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ) فالغنى فيهما على طلب دوام الإيمان والتقوى للترقى في مراتب الكمال فيهما .

(٢) أما الإنشاء غير الطلبي فلا يقصد بالنظر ههنا لقلة المباحث البلاغية المتعلقة به ، ولأن أكثر أنواعه في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء . ومن الإنشاء غير الطلبي الترجى ، ويرى كثير من العلماء أنه من الإنشاء الطلبي ، والحق أنه لا طلب فيه بدليل أنه يأتي في المكروه ، نحو - لعل الحبيب مريض - ولا طلب في مكروه ، وإنما فيه مجرد ترقب وإشفاق ، ومنه أفعال المدح والذم ، كنعم وبئس . وأفعال التعجب ، فهي لإنشاء المدح والذم والتعجب . وقيل : إنها أخبار تحتل الصدق والكذب ، ولهذا بشر أعرابي ببنت فقييل له : نعمت المولودة . فقال : والله ما هي بنعمت المولودة . ومنه القسم وصيغ العقود كبعث واشترت ، ومنه رُبَّ وكُم الخبرية ، لدلالتهما على إنشاء التكثير أو التقليل ، وقيل : إنها خبر لإنشاء . (٣) هو طلب المحبوب الذي لا طمع فيه ، بان يكون غير ممكن أو يكون بعيد الحصول . فالأول كقول الشاعر :

ليت الكواكب تدنوا لي فأنظمها عقود مدح فما أرضى لكم كلمي
والثاني كقول الآخر :

فيا ليت ما بيني وبين أحبتي من البعد ما بيني وبين المصائب

الشاعر :

يا ليت أيام الصَّبَا رواجهاً^(١)

وقد يُسَمَّيْ بَهِل^(٢) كقول القائل — هل لي من شفيح — في مكان
يعلم أنه لا شفيح له فيه^(٣) لإبراز المُتَمَنَّى لِكَمال العناية به في صورة
الممكن^(٤) وعليه قوله^(٥) تعالى حكاية عن الكفار (فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ
فِي شُفَعَاؤِنَا) وقد يتمنى بلو^(٦) كقولك — لو تأتيتني فتحدثني — بالنصب^(٧)
قال السكاكي^(٨) وكان حروف التنديم والتضيض — هلاً، وألاً بقلب
الهاء همزة، ولولا، ولوما — مأخوذة منهما^(٩) مركبتين مع — لا وما —
المزيدتين، لتضمينهما معنى التمني^(١٠) ليتولد منه في الماضي التنديم، نحو — هلا
أكرمت زيدا — وفي المضارع التضيض، نحو — هلا تقوم.

(١) هو من أرجوزة للعجاج، وقد نصب الجزء من بليت على مذهب الكوفيين،
والبصريون على أن خبرها محذوف تقديره — أقبلن رواجهاً، أو تكون رواجهاً.
(٢) استعمالها في التمني مجاز بالاستعارة التبعية كما سيأتى في علم البيان
(٣) فتحمل على التمني لأن الاستفهام لا يكون مع الجزم بانتفاء الشيء بل
مع الجهل به.

(٤) هذا هو الحال الداعي إلى استعمال — هل — في التمني

(٥) — ي — ٥٣ — س — ٧

(٦) استعمالها في التمني مجاز أيضاً، ونسكتته الإشعار بعزة المتمنى بإبرازه في
صورة ما لم يوجد. لأن — لو — في أصلها حرف امتناع لامتناع، ومن ذلك
قول مهمل :

فلو أنشر المقابر عن كليب فيخسبر بالذنانب أي زير

(٧) أي نصب — تحدث — لأنه إنما يكون بعد الطلب

(٨) ١٦٦ — المفتاح

(٩) أي من — هل ولو — اللتين للتمنى، وهذا تكلف من السكاكي، والنحويون
على أنها موضوعة للتضيض والتنديم من أول الأمر.
(١٠) يريد بتضمينهما ذلك جعلهما دالين عليه مطابقة لا تضمننا.

وقد يتمنى بلعل فتعطى حكم ليت^(١) نحو — لعل أحج فأزورك — بالنصب، لبعء المرجوع عن الحصول^(٢) وعليه قراءة عاصم^(٣) في رواية حفص (لعل أبلغ الأسباب، أسباب السماوات فأطَّلَعَ إلى إله موسى) بالنصب الاستفهام: ومنها الاستفهام^(٤) والألفاظ الموضوعية له: الهمزة، وهل، وما، ومن، وأى، وكف، وأين، وأنى، ومتى، وأيان. فالهمزة لطلب التصديق^(٥) كقولك — أقام زيد، وأزيد قائم — أو التصور^(٦)

(١) هو نصب المضارع بالفاء بعدها، وهذا مبني على مذهب البصريين لأنهم لا ينصبونه بعد الترجي، واستعمالها في التي مجاز أيضاً، ومنه قول الشاعر: أسرب القطا هل من يعير جناحه لعل إلى من قد هويت أطيرو (٢) لا يخفى أن — لعل — لاتدل على بعء المرجو حتى يشار بها إلى ذلك، فالأحسن أن تجعل نكته إظهار الممتنى في صورة الممكن المتوقع الحصول لشدة الرغبة فيه.

هذا ولا يخفى أن الحروف السابقة بعضها يستعمل في التني حقيقة، وبعضها يستعمل فيه مجازاً، وعلى هذا لا يكون هناك محل لذكرها في علم المعاني، وما ذكر لذلك من النكت والأغراض شأنه فيها كشأن سائر المجازات.

(٣) — ي — ٣٦، ٣٧ — س — ٤٠

(٤) هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن بأدوات مخصوصة، كالهمزة ونحوها مما يأتي.

(٥) في هذا الحال لا يذكر معها معادل، وإذا جاءت أم بعدها كانت منقطعة بمعنى — بل — كقول الشاعر:

ولست أبالي بعء فقدي ما لسا أموتى ناء أم هو الآن واقع

(٦) ذكر له مثالين: أحدهما لطلب تعيين المسند إليه، والثاني لطلب تعيين المسند، وقد يكون المطلوب تعيين المفعول أو نحوه من متعلقات الفعل كما سيأتي في الأمثلة، ويكون الجواب هنا بتعيين المسئول عنه، وفي طلب التصديق بنعم أو لا.

كقولك — أدبست في الإلزام أم عمل ، وأنى الخاية دبستك أم في الرق — ولهذا لم يقبح — أزيد قام ، وأعمراً عرفت^(١) والمسئول عنه بها هو ما يليها ، فتقول — أضربت زيداً — إذا كان الشك في الفعل نفسه وأردت بالاستفهام أن تعلم وجوده^(٢) وتقول — أنت ضربت زيداً — إذا كان الشك في الفاعل من هو ؟ وتقول — أزيداً ضربت — إذا كان الشك في المفعول من هو ؟^(٣) .

و - هل - لطلب التصديق فحسب ، كقولك — هل قام زيد ، وهل عمرو

(١) لأنه إذا كان التقديم للتخصيص استدعى حصول التصديق بنفس الفعل ويكون المسئول عنه زيداً بخصوصه وعمراً بخصوصه وذلك تصور ، وإذا كان لتقوية الحكم كان المسئول عنه التصديق به . وكل منهما تصلح له الهمزة ، وهذا لاف — هل — كما سيأتى .

(٢) على هذا تكون إذا وليها الفعل لطلب التصديق ، وقد تقوم في ذلك قرينة على خلافه ، كذكر المعادل في نحو — أجاز زيد أم عمرو — فيكون المطلوب بها التصور ويكون المسئول عنه غير ما يليها .

(٣) أما إذا وليتها جملة اسمية خبرها ليس فعلاً فيكون المطلوب بها التصديق ، نحو — أزيد قائم .

وهذه أبيات للهمزة في هذه الأحوال :

ألا اضطبار لسلى أم لها جسد	إذن ألاقى الذى لاقاه أمشال
فوالله ما درى وإن كنت دارياً	بسبع رمين البحر أم بثمان
أفى الحق أن يعطى ثلاثون شاعراً	ويحرم مادون الرضا شاعر مثلى
فدع الوعيد فما وعيدك ضائرى	أطنين أجنحة الذباب يضير

قاعد — ولهذا امتنع — هل زيد قام أم عمرو^(١) وقبح — هل زيداً ضربت — لما سبق أن التقديم يستدعي حصول التصديق بنفس الفعل والشك فيما قُدِّمَ عليه^(٢) ولم يقبح — هل زيداً ضربته — لجواز تقدير المحذوف المفسر مُقَدِّمًا كما مر، وجعل السكاكي^(٣) قبح نحو — هل رجل عرف — لذلك، أى لما قبح له — هل زيداً ضربت — ويلزمه ألا يقبح نحو — هل زيد عرف — لامتناع تقدير التقديم والتأخير فيه عنده على ما سبق^(٤) وعلل غيره^(٥) القبح فيهما بأن أصل — هل — أن تكون بمعنى — قد — إلا أنهم تركوا الهمزة قبلها لكثرة وقوعها في الاستفهام .
و — هل — تخصص المضارع بالاستقبال ، فلا يصح أن يقال — هل تضرب زيداً وهو أخوك^(٦) كما تقول — أتضرب زيداً وهو أخوك — ولهذين^(٧)

(١) لأن وقوع المفرد فيه بعد — أم — دليل على أنها متصلة يطلب بها تعيين أحد الشئيين مع العلم بثبوت الحكم ، فلا يصح اجتماعها و — هل — ويصح اجتماعها و — أم — المنقطعة لأنها بمعنى — بل — كقول الشاعر :

ألا ليت شعري هل تغيرتِ الرِّحَا رِحا الحرب أم أضحت بفلسجٍ كاهيا

(٢) إنما لم يمتنع لجواز أن يكون — زيداً — مفعول لفعل محذوف ، أو أن يكون تقديمه للاهتمام لا للتخصيص .

(٣) ١٦٧ — المفتاح

(٤) في الكلام على تقديم المسند اليه على الخبر الفعلي ، فيكون التقديم عنده فيه للاهتمام لا للتخصيص ، ولا يخفى أن كل ما ذكر هنا أحكام نحوية لا يصح ذكرها في هذا العلم .

(٥) هو الزحشرى في المفصل

(٦) أى على أن الضرب واقع في الحال كما يفهم عرفاً من تقييده بالأخوة لأنها حالية لا مستقبلية ،

(٧) لا يخفى أن كون — هل — لها مزيد اختصاص بالفعل يرجع فيه إلى استعمال العرب ، ولا حاجة إلى تكلف تعليله بذلك ، لأنه في الحقيقة لا تأثير له فيه

أعني اختصاصها بالتصديق وتخصيصها المضارع بالاستقبال — كان لها مزيد اختصاص بما كونه زمانيا أظهر ، كالفعل ^(١) أعا الثاني ^(٢) فظاهر ، وأما الأول ^(٣) فلأن الفعل لا يكون إلا صفة ، والتصديق حكم بالثبوت أو الانتفاء ، والنفي والإثبات إنما يتوجهان إلى الصفات لا الذوات ، ولهذا ^(٤) كان قوله ^(٥) تعالى (فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ) أدلّ على طلب الشكر من قولنا — فهل تشكرون — وقولنا — فهل أتم تشكرون ^(٦) لأن إبرازها ما سيتجدد في معرض الثابت أدل على كمال العناية بحصوله من إبقائه على أصله ^(٧) وكذا من قولنا — أفأتم شاكرون — وإن كانت صيغته للثبوت ، لأن — هل — أدعى للفعل من الهمزة ، فتركه معها أدلّ على كمال العناية بحصوله ، ولهذا

(١) الكاف في ذلك استقصائية ، لأن الفعل وحده هو المقصود بذلك الحكم

(٢) هو تخصيصها المضارع بالاستقبال ، والمراد أن اقتضاه لا اختصاصها

بالفعل ظاهر .

(٣) هو اختصاصها بالتصديق .

(٤) أى لكونها لها مزيد اختصاص بالفعل .

(٥) — ي — ٨٠ — س — ٢١ .

(٦) مع ما فيه من التأكيد بالتسكير ، لأنه على تقدير — فهل تشكرون

تشكرون ، ثم حذف الفعل الأول فانفصل ضميره .

(٧) يمكن أن يؤخذ من هذا أن — هل — لا يعدل بها عن الجملة الفعلية إلى

الجملة الاسمية إلا لهذه النكتة ، وهذا هو الذى له صلة بعلم المعاني من كل هذه

المباحث التى لا صلة لها به ، ومثله فى ذلك ما قيل فى الفرق بين الاستفهام بالهمزة

وبهل ، من أن الهمزة لا يستفهم بها حتى يهجن فى النفس إثبات ما يستفهم عنه ، أما هل —

فإنه لا يرجح فيها لإثبات ولا نفي ، وبممكنك أن تدرك هذا فى السؤال بهل فى

هذه الآيات :

هل بالطول لسائل ردّ أم هل لها بتكلم عهد

ألا أبلغ الأحلاف عني رسالة وذبيان هل أقسمت كل مُقسم

ليت شعري هل مُنم هل آتينهم أو يحولنّ دون ذاك حمام

ذلك ، وكذلك تقول — ما الكلمة ؟ وما الكلام ؟ وفي التنزيل (فَمَا لَا يَحْسُنُ — هل زيد منطلق — إلا من البليغ^(١) .

وهي قسمان : بسيطة ، وهي التي يطلب بها وجود الشيء ، كقولنا — هل الحركة موجودة — ومركبة ، وهي التي يطلب بها وجود شيء لشيء ، كقولنا — هل الحركة دائمة^(٢) .

والألفاظ الباقية لطلب التصور فقط^(٣) .

أمّا — ما — فقول : يطلب به إمّا شرح الاسم^(٤) كقولنا — ما العنقاء ؟ وإمّا ماهية المسمى ، كقولنا — ما الحركة ؟ والقسم الأول يتقدم على قسمي — هل — جميعا ، والثاني يتقدم على — هل — المركبة دون البسيطة ، فالبسيطة في الترتيب واقعة بين قسمي — ما^(٥) .

وقال السكاكي^(٦) يُسأل بما عن الجنس^(٧) تقول — ما عندك ؟ أى أى أجناس الأشياء عندك ؟^(٨) وجوابه إنسان أو فرس أو كتاب أو نحو

(١) لأنه هو الذي يراعى دقائق النسك ، ويأتى بالكلام على مقتضى المقام
(٢) الحق أن هذا التقسيم لا يختص بهل ، لأن الهزمة مثلها فيه ، على أن البحث فيه لا شأن لعلم المعاني به .

(٣) لكنه تصور مشوب بشيء من التصديق ، لأن هذا شأن التصور المطلوب في الاستفهام ، ولهذا يصح الجواب عنه أحيانا بالتصديق ، كقوله تعالى — ي — ١٤ — س — ٦١ (كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله) .

(٤) أى بيان مدلوله الإجمالي الذي لا يعرف منه حقيقته .
(٥) فيطلب أولا شرح الاسم ، ثم وجود المفهوم في نفسه ، ثم حقيقته ، ثم ما يعرض لها وهو الذي يسأل عنه بهل المركبة ، وقد قال بعضهم : إن هذا الترتيب مستحب لا واجب ، لأنه لا مانع مثلا من طلب وجود المفهوم قبل معرفته .
(٦) ١٦٧ — المفتاح .

(٧) يعنى به الحقيقة الكلية ، فيشمل جميع أقسام ما يقال في جواب — ما هو — من النوع والجنس والحقيقة الإجمالية والتفصيلية ، كما يشمل الجنس من ذوى العلم وغيرهم
(٨) في هذه العبارة تساهل من وجهين : أولها أن — ما — يسأل بها عن جنس واحد لا عن جمع من الأجناس ، فالمراد أى جنس من أجناس الأشياء عندك ؟ وثانيهما أن السؤال بما غير السؤال بأى ، ففى تفسيرها بها تساهل .

نُحَاطِبُكُمْ^(١) أَي أَيُّ أَجْناسِ الْخُطُوبِ خُطْبُكُمْ ؟ وَفِيهِ (مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي^(٢)) أَي أَيُّ مَنْ فِي الْوُجُودِ تَوْثُرُونَهُ لِلْعِبَادَةِ ؟ أَوْ عَنِ الْوَصْفِ^(٣) تَقُولُ مَا زِيدَ ؟ وَمَا عَمِرَ ؟ وَجَوَابُهُ السَّكْرِيمُ أَوْ الْفَاضِلُ وَنَحْوُهُمَا^(٤) وَسُؤَالُ فِرْعَوْنَ (وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ^(٥)) إِمَّا عَنِ الْجِنْسِ لاعتقاده لجهله بالله تعالى أَنَّ لَا مَوْجُودَ مُسْتَقِلًّا بِنَفْسِهِ سِوَى الْأَجْسَامِ ، كَأَنَّهُ قَالَ أَيُّ أَجْناسِ الْأَجْسَامِ هُوَ ؟ وَعَلَى هَذَا جَوَابُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْوَصْفِ^(٦) لِلتَّنْيِيزِ عَلَى النَّظَرِ الْمَوْدِيِّ إِلَى مَعْرِفَتِهِ ، وَلَسَكُنَ لِمَا لَمْ يَطَابِقِ السُّؤَالُ عِنْدَ فِرْعَوْنَ عَجَبَ الْجَهْلَةِ الَّذِينَ حَوْلَهُ مِنْ قَوْلِ مُوسَى بِقَوْلِهِ لَهُمْ (أَلَا تَسْتَسْمِعُونَ^(٧)) . ثُمَّ لَمَّا وَجَدَهُ مُصِرًّا عَلَى الْجَوَابِ بِالْوَصْفِ إِذْ قَالَ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ (رَبِّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ) اسْتَهْزَأَ بِهِ وَجَسَّسَنَهُ بِقَوْلِهِ (إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ) وَحِينَ رَأَاهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَفْطَنُوا لِذَلِكَ فِي الْمَرَّتَيْنِ غَلْظَ عَلَيْهِمْ فِي الثَّلَاثَةِ بِقَوْلِهِ (إِنْ كُنْتُمْ تَسْعَفِقُونَ) وَإِمَّا عَنِ الْوَصْفِ^(٨) طَمَعًا فِي أَنْ يَسْلُكَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْجَوَابِ مَعَهُ مَسْلُكَ الْحَاضِرِينَ^(٩) لَوْ كَانُوا هُمُ الْمُسْتَوَلِينَ مَكَانَهُ ، لِشَهْرَتِهِ بَيْنَهُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَى دَرَجَةِ دَعَتْ السَّحَرَةَ إِذْ عَرَفُوا الْحَقَّ أَنَّ أَعْقَبُوا قَوْلَهُمْ (آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ)^(١٠) بِقَوْلِهِمْ (رَبِّ

(١) — ي — ٥٧ — س ١٥ (٢) — ي — ١٣٣ — س ٢

(٣) هذا خلاف ما عليه علماء المنطق ، لأن الذي يسأل به عن الوصف عندهم هو — أي — ولعل السكاكي ينظر في ذلك إلى أصل اللغة ، لأنها لا تمنع أن يسأل بما عن الوصف على سبيل الحقيقة أو المجاز ، والفرق بين مذهب السكاكي في — ما — وما قيل فيها قبله أنها على ما قبله يطلب بها شرح الاسم ولو كان جزئيا ولا يسأل بها عن الوصف ، أما عنده فيسأل بها عن الوصف ولا يطلب بها إلا الكل .

(٣) هو قوله (قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين)

(٤) الأحسن أن يقال في الجواب: كريم أو فاضل بالتنكير .

(٥) — ي — ٢٣ — س ٢٦ — والآيات الآتية تقع بعدها في الترتيب .

(٦) معطوف على قوله — إِمَّا عَنِ الْجِنْسِ

(٧) فيجيب بأن فرعون رب العالمين مثلهم .

(٨) — ي — ٤٧ ، ٤٨ — س ٢٦

موسى وهارون) نفيًا لاتهمهم أن يعنوه ، ولجهله ^(١) بحال موسى إذ لم يكن جمعهما قبل ذلك مجلس ، بدليل ^(٢) (قال أو لو حشمتك بشيء مبين ، قال فأت به إن كنت من الصادقين ^(٣)) حين سمع الجواب تعداه عجب وجتن وتفيق بما تفيق من قوله (لئن اتخذت إلهاً غيرى لأجعلنك من المسجونين ^(٤)) .

وأما — من — فقال السكاكي ^(٥) هو للسؤال عن الجنس من ذوى العلم ^(٦) تقول — من جبريل ؟ بمعنى أبشر هو أم ملك أم جنى ؟ وكذا — من إبليس ؟ ومن فلان ؟ ومنه قوله تعالى ^(٧) حكاية عن فرعون (فمن ربكم يا موسى) أى أملك هو أم بشر أم جنى ؟ منكر لأن يكون لهما رب سواه ، لادعائه الربوبية لنفسه ، ذاهباً في سؤاله هذا إلى معنى — ألكارب سواى ؟ فأجاب موسى عليه السلام بقوله (ربنا الذى أعطى كل شيء طريق الذى يسن بإيجاده لما أوجد وتقديره إياه على ما قدره ، واتبع فيه الخريت الماهر وهو العقل الهادى عن الضلال ، لزمك الاعتراف بكونه رباً ، وأن لا رب سواه ، وأن العبادة له منى ومنك ومن الخلق أجمع حق لمدفع له .

وقيل : هو للسؤال عن العارض المشخص لذى العلم ^(٨) وهذا أظهر ، لأنه إذا قيل — من فلان ؟ يحجب بزيد ونحوه بما يفيد التشخيص ، ولا نسلم

(١) معطوف على قوله — لشهرته بينهم — يعنى جهله بعلو شأن موسى ، والظاهر أنه فى جعل السؤال عن الوصف يكون مراده سؤال موسى عن صفة ربه ، كما أنه فى جعل السؤال عن الجنس كان مراده سؤاله عن جنسه ، وما ذكره السكاكى هنا فى غاية التكلف . (٢) يستدل بهذا على أنهما لم يجمعهما قبل هذا المجلس

(٣) — ي — ٣١، ٣٠ — س — ٢٦

(٤) — ي — ٢٩ — س — ٢٦ (٥) ١٦٨ — المفتاح

(٦) أى العقل ، والمراد بالجنس ما يشمل النوع والصنف ، لأنه يطلق عليهما

فى اللغة اسم الجنس . (٧) — ي — ٤٩ — س — ٢٠

(٨) أى العقل ، يريد بذلك ما يتعلق به من علمه ووصفه الخاص به ،

فإذا قيل : من فلان ؟ صح فى جوابه زيد كما ذكره ، وصح أن يحجب بوصف خاص به

صحة الجواب بنحو بشر أو جنى كما زعم السكاكي (١).

وأما - أى - فليسؤال عما يميز أحد المتشاركين في أمر يعمهما (٢) يقول القائل - عندى ثياب - فتقول - أى الثياب هي ؟ فتطلب منه وصفاً يميزها عندك عما يشاركها في الثوبية ، وفي التنزيل (أى الفريقين خيرٌ مَقَاماً) (٣) أى أنحن أم أصحاب محمد عليه السلام (٤) وفيه (أَيُّكُمْ يَأْتِنِي بِعَرَشِهَا) (٥) أى الإنسى أم الجنى .

وأما - كم - فليسؤال عن العدد ، إذا قلت - كم درهما لك ؟ وكم رجلاً رأيت ؟ فكأنك قلت - أعشرون أم ثلاثون أم كذا أم كذا ؟ وتقول - كم درهمك ؟ وكم مالك ؟ أى كم دنانيراً أو كم ديناراً (٦) وكم ثوبك ؟ أى كم شبراً أو كم ذراعاً ؟ وكم زيد ما كت ؟ أى كم يوماً أو كم شهراً ؟ وكم رأيتك ؟ أى كم مرة ؟ وكم سرت ؟ أى كم فرسخاً أو كم يوماً ؟ قال الله (٧) تعالى (قال قائلٌ منهم كم لبثتم) أى كم يوماً أو كم ساعة ؟ وقال (٨) (كم لبثتم في الأرض عدد سنين) وقال (٩) (سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة) ومنه قول الفرزدق :

(١) أما قول الشاعر :

أتوا نارى فقلت منون أنتم فقالوا الجنة قلت عمو ظلاما
فيحتمل أنه من أسلوب الحكميم ، وذلك أنه سأل عن مشخصهم لظنه أنهم من البشر ، فأجابوه بذلك لتحطته فيه ، فلا يكون إذن السؤال بها عن الجنس في البيت ، ولكن لا يخفى ما في حمل ذلك على الأسلوب الحكميم من البعد .

(٢) هو مضمون ما تضاف إليه كالثوبية في المثال الأول ، فيكون السؤال بها عن الوصف المميز لها ، ومثل المتشاركين المتشاركون والمتشاركات .

(٣) - ي - ٩٣ - س - ١٩ .

(٤) في هذا تساهل ، لأن السؤال عن الوصف المميز لأفضل الفريقين لا عن ذات كل منهما .

(٥) - ي - ٣٨ - س - ٢٧ .

(٦) يشير بهذا وما بعده إلى أن الشيء قد يكون واحداً والتمييز لأجزائه ، وإلى أن المميز قد يحذف للعلم به .

(٧) - ي - ١٩ - س - ١٨ (٨) - ي - ١١٢ - س - ٢٣ (٩) - ي - ٢١١ - س - ٢٠

كم عمّة لك يا جريرٌ وخالةٌ فدعاءٌ قد حلبت على عشاري^(١)
 فيمن روى بالنصب ، وعلى رواية الرفع تحتل الاستفهامية والخبرية^(٢)
 وأما - كيف - فـللسؤال عن الحال ، إذا قيل - كيف زيد ؟ بجوابه
 صحيح أو سقيم أو مشغول أو فارغ ونحو ذلك .
 وأما - أين - فـللسؤال عن المكان ، إذا قيل - أين زيد ؟ بجوابه في
 الدار أو في المسجد أو في السوق ونحو ذلك .
 وأما - أنى - فتستعمل تارة بمعنى - كيف - قال الله^(٣) تعالى (فاتوا
 حرثكم أنى شئتم) أى كيف شئتم ، وأخرى بمعنى - من أين^(٤) قال الله^(٥) تعالى
 (أنى لك هذا) أى من أين لك هذا .
 وأما - متى ، وأيان - فـللسؤال عن الزمان ، إذا قيل - متى جئت أو أيان
 جئت ؟ قيل : يوم الجمعة أو يوم الخميس أو شهر كذا أو سنة كذا . وعن علي بن
 عيسى الرّبعي : أن - أيان - تستعمل في مواضع التفخيم^(٦) كقوله^(٧) تعالى
 (يسأل أيان يوم القيامة) (يسألون أيان يوم الدين)^(٨) .
 ثم هذه الألفاظ كثيراً ما تستعمل في معان غير الاستفهام بحسب

(١) الدعاء مشتقة من الفدع وهو عوج في المفاصل كأنها قد زالت عن مواضعها ، والعشار جمع عسراء وهى النّساء أو الناقة التى مضى لخلها عشرة أشهر .

(٢) وعلى رواية الجرّ تمعين للخبرية ، وقيل : إن - كم - الخبرية تنصب المميز أيضاً

(٣) - ي - ٢٢٣ - س - ٢

(٤) الفرق بين - أين ومن أين - أن - أين للسؤال عن المكان الذى حل فيه الشيء ، ومن أين للسؤال عن المكان الذى برز منه .

(٥) - ي - ٣٧ - س - ٣

(٦) كذلك تستعمل في الاستبعاد ، وهو الأظهر في الآيتين ، لأن السؤال فيهما بمن لا يؤمن بيوم القيامة ولا بيوم الدين ، فالظاهر في سؤاله الاستبعاد لا التفخيم .

(٧) - ي - ٦ - س - ٧٥ (٨) - ي - ١٢ - س - ٥١

ما يناسب المقام^(١) منها الاستبطاء^(٢) نحو — كم دعوتك؟ وعليه قوله تعالى^(٣) (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) ومنها التعجب^(٤) نحو قوله (مالي لا أرى الهدهد)^(٥) ومنها التنبيه على الضلال^(٦) نحو (فأين تذهبون)^(٧) ومنها الوعيد^(٨) كقولك لمن يسيء الأدب — ألم أودب فلاناً — إذا كان عالماً بذلك ؛ وعليه قوله تعالى^(٩) (ألم نهلك الأولين) .

(١) لأن دلالتها عليها من قبيل المجاز ، ولكل مجاز مقام يناسبه ، وإرجاع هذه المعاني إلى ما يناسبها من المقام هو الذي يجعل لها صلة بعلم المعاني ، وهي صلة ضعيفة كما سبق في نحو ذلك ، وقيل : إن دلالتها على هذه المعاني من الكسائية ، وقيل : إنها من مستبغات الكلام .

(٢) دلالتها عليه من إطلاق اسم المسبب وإرادة السبب على سبيل المجاز المرسل ، لأن الاستفهام عن عدد الدعاء مثلاً مسبب عن تكرير الدعوة ، وتكريرها مسبب عن الاستبطاء في إجابتها .

(٣) — ي — ٢١٤ — س ٢

(٤) دلالتها عليه من إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللازم على سبيل المجاز المرسل . لأن سؤال العاقل في الآية عن حال نفسه مثلاً يستلزم جهله به . وجهله به يستلزم التعجب منه .

(٥) — ي — ٢٠ — س ٢٧

(٦) دلالتها عليه من إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللازم أيضاً ، لأن الاستفهام عن الطريق في الآية مثلاً يستلزم تنبيه المخاطب إليه ، وتنبيهه إليه يستلزم تنبيهه على ضلاله في غفلته عن ذلك الطريق وسلوكه طريقاً واضح الضلالة ، وقيل : إنه يجوز أن يكون اللفظ مستعملاً في الاستفهام ليتوصل به إلى ذلك على طريق الكسائية ، وقيل : إنه يجوز أن يجعل من مستبغات الكلام ، ولا يخفى أن الحمل على ذلك يجوز في كل هذه المعاني كما سبق .

(٧) — ي — ٢٦ — س ٨١

(٨) دلالتها عليه من إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللازم أيضاً ، لأن الاستفهام في المثال ينبه المخاطب إلى جزاء إساءة الأدب ، وهذا يستلزم وعيده لا تصافه بها .

(٩) — ي — ١٦ — س ٧٧

الله تدعون^(٢) (أغير الله اتخذوا ليا^(١)) (أبشرا منسا واحداً تَبَّعه^(٣))
 وكقوله^(٤) تعالى (وقالوا لو لا نُنزل هذا القرآن على رَجُلٍ من القريتين
 عظيم، أَمْ يَقْسُمُونَ رَحْمَةً رَبِّكَ) أى ليسوا هم المتخيرين للنبوة من يصلح
 لها، المتوَلَّينَ لقسم رحمة الله التى لا يتولاها إلا هو بياهر قدرته وبالغ حكمته،
 وعدَّ الزمخشريُّ قوله (أفأنت تُكفره الناسَ حتى يكونوا مؤمنين^(٥))
 وقوله (أفأنت تسميعُ الصَّمِّ أو تهدى السُّعْمى^(٦)) من هذا الضرب، على
 أن المعنى — أفأنت تقدر على إكراههم على الإيمان؟ وأفأنت تقدر على هدايتهم
 على سبيل القسر والإلجاء؟ أى إنما يقدر على ذلك الله لأنت، وحمل السكاكى^(٧)
 تقديم الاسم فى هذه الآيات الثلاث^(٨) على البناء على الابتداء دون تقدير
 التقديم والتأخير كما مر^(٩) فى نحو — أناضربت — فلا يفيد إلا تقوى الإنكار^(١٠)
 ومن مجيء الهزمة للإنكار نحو قوله^(١١) تعالى (أليس الله بكاف عبده)
 وقول جرير .

أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونٌ رَاحَ^(١٢)
 أى الله كاف عبده، وأتم خير من ركب المطايا، لأن نفي النفي إثبات،

(١) - (١) - ١٤ - س - ٦

(٢) - (٢) - ٢٤ - س - ٥٤ (٣) - (٣) - ٣١، ٣٢ - س - ٤٣

(٤) - (٤) - ٩٩ - س - ١٠ (٥) - (٥) - ٤٠ - س - ٤٣

(٦) - (٦) - ١٧٠، ١٧١ - المفتاح .

(٧) - (٧) - هى آية (أَمْ يَقْسُمُونَ) والآيتان بعدها .

(٨) - (٨) - أى فى الكلام على تقديم المستند إليه على الخبر الفعلى

(٩) - (٩) - على هذا لا يكون للتخصيص كما ذهب إليه الزمخشري ،

(١٠) - (١٠) - ٣٦ - س - ٣٩

(١١) - (١١) - هو من قصيدة له فى مدح عبد الملك بن مروان ، وأندى أفعل تفضيل

من الندى ، والراح واحده راحة وهى باطن الكف ، ويجوز أن يراد بها
 الكف على سبيل المجاز كما فى البيت ، بقريئة لإضافة بطون إليها .

وهذا مراد من قال إن الهمزة فيه للتقرير ، أى للتقرير بما دخله النفي لا للتقرير بالانتفاء^(١) وإنكار الفعل مختص بصورة أخرى^(٢) وهى نحو قولك — أزيدا ضربت أم عمرأ ؟ لمن يدعى أنه ضرب إمّا زيدا وإمّا عمرأ دون غيرهما ، لأنه إذا لم يتعلق الفعل بأحدهما والتقدير أنه لم يتعلق بغيرهما فقد انتفى من أصله لا محالة ، وعليه قوله^(٣) تعالى (قل آلذّكرين حرم أم الأنثيين أم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين) أخرج اللفظ مخرجه إذا كان قد ثبت تحريم فى أحد الأشياء ثم أريد معرفة عين المحرم ، مع أن المراد إنكار التحريم من أصله ، وكذا قوله (الله أذن لكم)^(٤) إذ معلوم أن المعنى على إنكار أن يكون قد كان من الله تعالى إذن فيما قالوه ، من غير أن يكون هذا الإذن قد كان من غير الله فأضافوه إلى الله ، إلا أن اللفظ أخرج مخرجه إذا كان الأمر كذلك ، ليكون أشد لنفى ذلك وإبطاله ، فإنه إذا نفى الفعل عما جُسِعِلَ فاعلا له فى الكلام ولا فاعل له غيره لزم نفيه من أصله .

قال السكاكى رحمه الله^(٥) وإياك أن يزول عن خاطرك التفصيل الذى سبق^(٦) فى نحو — أنا ضربت ، وأنت ضربت ، وهو يضرب — من احتمال الابتداء واحتمال التقديم وتفاوت المعنى فى الوجهين ، فلاتحمل نحو قوله تعالى (الله أذن لكم) على التقديم ، فليس المراد أن الإذن ينكر من الله دون غيره^(٧) ولكن أحمله على الابتداء مراداً منه تقوية حكم الإنكار ، وفيه نظر ،

(١) لأن التقرير فى مثل هذا لا يجب أن يكون بالحكم الذى دخلت الهمزة عليه ، وإنما يكون بما يعرفه المخاطب فيه من إثبات أو نفي ، كقوله تعالى — ي - ١١٦ - س - ٥ - (أنت قلت للناس اتخذوني وأمى إلهين من دون الله) .

(٢) هذه الصورة لا يكون الفعل فيها وإياها للهمزة كالصور السابقة ، ومع هذا يكون هو المنكر . وهذه الصور أبلغ فى نفي الفعل كما سيأتى تقريره .

(٣) - ي - ١٤٣ - س - ٦ - (٤) - ي - ٥٩ - س - ١٠ -

(٥) ١٧١ - المفتاح

(٦) أى فى الكلام على تقديم المسند إليه على الخبر الفعلى .

(٧) لأنه بهذا يكون مفيداً للتخصيص ، وليس مراداً .

لأنه إن أراد أن نحو هذا التركيب — أعني ما يكون الاسم الذي يلي الهمزة فيه مظهرأ — لا يفيد توجيه الإنكار إلى كونه فاعلاً للفعل الذي بعده فهو ممنوع^(١) وإن أراد أنه يفيد ذلك إن قُدِّرَ تقديم وتأخير وإلا فلا على ما ذهب إليه فيما سبق ، فهذه الصورة مما منع هو ذلك فيه على ما تقدم^(٢) .

لا يقال : قد يلي الهمزة غير المنكسر في غير ما ذكرتم ، كما في قوله :

أَيَقْتَلْنِي وَالْمَشْرِفِي مَضَاجِعِي

فإن معناه أنه ليس بالذي يحيى منه أن يقتل مثلي^(٣) بدليل قوله :
يَغْطُ غَطِيطَ الْبَكْرِ شُدَّخِيقَهُ لَيَقْتَلْنِي وَالْمَرْءُ لَيْسَ بِقَاتِلٍ^(٤)
لأننا نقول : ليس ذلك معناه ، لأنه قال — والمشر في مضاجعي — فذكر ما يكون منعاً من الفعل ، والمنع إنما يحتاج إليه مع من يتصور صدور الفعل منه دون من يكون في نفسه عاجزاً عنه .
ومنها التهمك^(٥) نحو (أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تُتْرِكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أُمُورِنَا مَا نَشَاءُ)^(٦) .

(١) لأن المعنى على هذا قطعاً في المظهر والمضمر .

(٢) لأن البناء فيها على المظهر فلا تحتل تقدير التقديم والتأخير . والحق أن السكاكي لا يخالف غيره في توجيه الإنكار في الآية إلى الفاعل على أن المراد منه إنكار الفعل ، وإنما ينكر أن يكون التقديم في ذلك للتخصيص ، وهذا موافق لمذهبه السابق في الفرق بين البناء على المضمر والبناء على المظهر . وما ذكره في منع تقدير التقديم هنا لا يمنع أنه ممنوع عنده أيضاً لأن البناء فيه على المظهر لا المضمر .

(٣) فيكون لإنكار الفاعل لا الفعل .

(٤) هذا البيت قبل البيت السابق ، والبكر الفتى من الإبل ، وغطيطه هديره في شقيقته . والخناق ما يخنق به من حبل ونحوه .

(٥) دلالتها عليه من إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللازم ، لأن الاستفهام عن الشيء يستلزم الجهل به وبفائدته ، والجهل بذلك يستلزم التهمك به .

(٦) - (٥ - ٨٧ - س - ١١)

ومنها التحقير^(١) كقولك — من هذا؟ وما هذا؟ .

ومنها التهويل^(٢) كقراءة ابن عباس^(٣) رضى الله عنهما (ولقد نجسينا
بنى إسرائيل من العذاب المهين ، من فرعون^(٤)) بلفظ الاستفهام ،
لما وصف الله تعالى العذاب بأنه مهين لشدة وفضاعة شأنه أراد أن يصور
كنهه فقال (من فرعون) أى أعرفون من هو فى فرط عتوه وتجبّره ؟
ما ظنكم بعذاب يكون هو المعذب به ؟ ثم عرّف حاله بقوله (لأنه كان
عالياً من المُسْرَفِين) .

ومنها الاستبعاد^(٥) نحو (أنى لهم الذّكرى وقد جاءهم رسول^م
مبين^م ، ثم تولوا عنه^م وقالوا مُعَلِّمُ مَجْشُون^م)^(٥)

(١) دلالتها عليه من إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللزوم ، لأن الاستفهام
عن الشيء يستلزم الجهل به ، والجهل به يستلزم تحقيره ، والفرق بين التحقير
والتهكم أن التهكم قد يكون بمن هو عظيم فى نفسه بخلاف التحقير ، ومن التحقير
قول الشاعر :

من أَيْسَ الطُّرُقِ يَأْتِي نَحْوُكَ السَّكْرُمُ أَيْنَ الْحَاجِمِ يَا كَافُورَ وَالْجَلْمُ

(٢) دلالتها عليه من إطلاق اسم المسبب وإرادة السبب ، لأن الاستفهام
عن الشيء ينشأ عن الجهل به ، والجهل به ينشأ عن كونه هائلا لا يدرك كنهه .

(٣) — ي — ٣٠ ، ٣١ — س — ٤٤

(٤) دلالتها عليه كدلالتها على الاستبطاء السابق للقرب بين معنيهما ، والفرق
بينهما أن الاستبطاء يتوقّع ما يتعلق به بخلاف الاستبعاد .

(٥) — ي — ١٣ ، ١٤ — س — ٤٤

ومنها التوبيخ والتعجيب جميعاً^(١) كقوله^(٢) تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون) أى كيف تكفرون والحال أنكم عالمون بهذه القصة ؟ أما التوبيخ فلأن الكفر مع هذه الحال ينبي عن الانهماك فى الغفلة أو الجهل ، وأما التعجيب فلأن هذه الحال تأبى ألا يكون للعاقل علم بالصانع ، وعلمه به يأتى أن يكفر ، وصدور الفعل مع الصارف القوى مظنة تعجب ، ونظيره (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب^(٣)) ،

(١) دلالتها عليهما كدلالتها على الإنكار من إطلاق اسم اللازم وإرادة الملزوم ، لأنهما يستلزمان إنكار الموبخ عليه والمتعجب منه ، وإنكارهما يستلزم عدم توجه الذهن إليهما ، وهذا يستلزم الجهل بهما ، والجهل بهما يستلزم الاستفهام عنهما .

هذا ولا يخفى أن البحث هنا عن الاستفهام وأدواته كالبحث عن التثنية وأدواته ، فليس له كبير علاقة بعلم المعانى ، ولا وجه للاشتغال به فيه .

(٢) — ي — ٢٨ — س — ٢ . (٣) — ي — ٤٤ — س — ٢

تمريبات على التمني والاستفهام

- (١) لماذا آثر الشاعر في التمني - ليت - على غيرها في قوله :
ليت الكواكب تدنو لي فأنظّمها عُقودٌ مدح فما أرضى لكم كلبى
(٢) لماذا أوثرت - لو - في التمني على - ليت - في قوله تعالى (ي - ١٠٢ -
س - ٢٦ -) (فلو أن لناكرة فنكسون من المؤمنين).

تمرين - ٢

- (١) بين ما تدل عليه - هل - في قوله تعالى حكاية عن أهل النار - ي - ٤٤ -
س - ٤٢ - (هل إلى مرد من سبيل) وما الداعي إلى إشارتها على غيرها فيه؟
(٢) بين معنى الاستفهام في قول الشاعر :
أضاعوني وأى فتى أضاعوا ليوم كريمة وسدادٍ ثغرٍ

تمرين - ٣

- (١) هل الإنكار بالاستفهام في البيت الآتي للتوبيخ أو للتكذيب؟ وهل المقصود
به الفعل أو غيره؟ :
أعندى وقد مارست كل خفيّة يصدق واش أو يخيب سائل
(٢) بين ما يدل عليه الاستفهام في قول الشاعر :
فدع الوعيد فما وعيدك ضاثرى أطنين أجنحة الذباب يضير

تمرين - ٤

- (١) بين معنى - هل - في قول الشاعر :
هل الدهر إلا ساعة ثم تنقضى بما كان فيها من بلاء ومن خفض
(٢) بين معنى - ليت - في قول الشاعر :
فليت لي بهم قوما إذا ركبوا شئوا الإغارة فرسانا وركباناً

ومنها التوبيخ والتعجيب جميعاً^(١) كقوله^(٢) تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أممواتاً فأحياكم ثم يُميتكم ثم يحْيِيكم ثم إليه تُرجعون)
 أى كيف تكفرون والحال أنكم عالمون بهذه القصة ؟ أما التوبيخ فلأن الكفر مع هذه الحال ينفي عن الانهماك في الغفلة أو الجهل ، وأما التعجيب فلأن هذه الحال تأتي ألا يكون للعاقل علم بالصانع ، وعلمه به يأتى أن يكفر ، وصدور الفعل مع الصارف القوى مظنة تعجب ، ونظيره (أتأمرون الناس بالبر وتنفسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب^(٣)) ،

(١) دلالتها عليهما كدلالتها على الإنكار من إطلاق اسم اللازم وإرادة الملزوم ، لأنهما يستلزمان إنكار الموبخ عليه والمتعجب منه ، وإنكارهما يستلزم عدم توجه الذهن إليهما ، وهذا يستلزم الجهل بهما ، والجهل بهما يستلزم الاستفهام عنهما .

هذا ولا يخفى أن البحث هنا عن الاستفهام وأدواته كالبحث عن التثنية وأدواته ، فليس له كبير علاقة بعلم المعاني ، ولا وجه للاشتغال به فيه .

(٢) — ي — ٢٨ — س — ٢ . (٣) — ي — ٤٤ — س — ٢

تمرينات على التمني والاستفهام

- (١) لماذا آثر الشاعر في التمني - ليت - على غيرها في قوله :
ليت الكواكب تدنو لي فأنظمتها عُقودٌ مدح فما أرضى لكم كلبى
(٢) لماذا أوثرت - لو - في التمني على - ليت - في قوله تعالى (ي - ١٠٢ -
س - ٢٦ -) (فلو أن لنا كرة فنتكئون من المؤمنين) .

تمرين - ٢ -

- (١) بين ما تدل عليه - هل - في قوله تعالى حكاية عن أهل النار - ي - ٤٤ -
س - ٤٢ - (كل إلى مرء من سبيل) وما الداعي إلى إثارتها على غيرها فيه؟
(٢) بين معنى الاستفهام في قول الشاعر :

أضاعوني وأى فتي أضاعوا ليوم كريمة وسداد ثغر

تمرين - ٣ -

- (١) هل الإنكار بالاستفهام في البيت الآتي للتوبيخ أو للتكذيب؟ وهل المقصود
به الفعل أو غيره؟ :

أعندى وقد مارست كل خفية يصدق واش أو يخيب سائل

- (٢) بين ما يدل عليه الاستفهام في قول الشاعر :
فدع الوعيد فما وعيدك ضاثرى أطنين أجنحة الذباب يضير

تمرين - ٤ -

- (١) بين معنى - هل - في قول الشاعر :
هل الدهر إلا ساعة ثم تنقضى بما كان فيها من بلاء ومن خفض
(٢) بين معنى - ليت - في قول الشاعر :
فليت لي بهم قوما إذا ركبوا شئروا الإغارة فرسانا وركبانا

الأمر : ومن أنواع الإنشاء الأمر ، والأظهر أن صيغته من المقترنة باللام نحو — لَيْسْ خَضِرٌ زَيْدٌ — وغيرها ، نحو — أَكْرَمَ عَمْرًا ، وَرُوِيَ بِكَرًا — موضوعة لطلب الفعل استعلاء ، لتبادُر الذهن عند سماعها إلى ذلك وتوقف ما سواه على القرينة ، قال السكاكي ^(١) ولإطباق أئمة اللغة على إضافتها إلى الأمر بقولهم — صيغة الأمر ومثال الأمر ولام الأمر — وفيه نظر لا يخفى على المتأمل ^(٢) .

ثم إنها — أعني صيغة الأمر — قد تستعمل في غير طلب الفعل بحسب مناسبة المقام ^(٣) كالإباحة ^(٤) كقولك في مقام الإذن — جالس الحسن أو ابن سيرين — ومن أحسن ما جاء فيه كقول **كثير** :

أَسْبَيْتُ بِنَا أَوْ أَحْسَنَى لَا مَلُومَةٌ لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةٌ ^(٥) إِنْ تَقَلَّتْ ^(٥)
أَي لَا أَنْتَ مَلُومَةٌ وَلَا مَقْلِيَّةٌ ، ووجه حسنه إظهار الرضا بوقوع الداخل تحت لفظ الأمر حتى كأنه مطلوب ، أي مهما اخترت في حق من الإساءة والإحسان فأنا راض به غاية الرضا ، فعاملين بهما وانظري هل تتفاوت حالى معك في الحالين ؟

(١) ١٧١ — المفتاح

(٢) لأن أئمة اللغة لا يريدون بالأمر في هذا طلب الفعل استعلاء ، وإنما يريدون الأمر في نحو — قُمْ وَلِيَقُمْ — ولو لم يكن على جهة الاستعلاء ، لأنهم يقولون ذلك في مقابلة الماضي والمضارع .

(٣) استعمالها في ذلك مجاز إن منعت قرينة من إرادة الأمر وإلا فكسائية ، وتبعية ذلك للمقام هي التي تجعل له صلة بعلم المعاني ، وهي صلة لا تقتضى ذكره فيه كما سبق في التثنية والاستفهام .

(٤) استعمالها فيها يكون في مقام يتوهم السامع فيه حظر شيء عليه ، لا اشتراكها هي والأمر في مطلق الإذن ، فهو مجاز مرسل من إطلاق اسم الأخص على الأعم .

(٥) الخطاب لعزة محبوبته ، وملومة خبر مبدئي تقديره لَا أَنْتَ مَلُومَةٌ ، والمقليّة اسم مفعول من القلى وهو البغض ، وقوله — تَقَلَّتْ — فعل ماض منه مسند إلى ضمير المؤنث ، ومفعوله محذوف أي تَقَلَّتْ شَأْنًا ، وفيه التفات من الخطاب إلى الغيبة .

والتهديد^(١) كقولك لعبد شتم مولاه وقد أدبته - اشم مولاك - وعليه
(اعملوا ما شئتم^(٢))
والتعجيز^(٣) كقولك لمن يدعي أمراً تعتقد أنه ليس في وسعه - افعله -
وعليه (فأتسوا بسورة من مثله^(٤))
والتسخير^(٥) نحو (كنوا قرادة خاسين^(٦))
والإهانة نحو^(٧) (كونوا حجارة أو حديداً^(٨)) وقوله تعالى (ذوق
إنك أنت العزيز الكريم)
والتسوية^(٩) كقوله (أنفقوا طوعاً أو كرها لن يستقبل منكم^(١٠))
وقوله (فاصبروا أو لا تصبروا^(١١))
والتمنى^(١٢) كقول امرئ القيس :

(١) تستعمل فيه صيغة الأمر في مقام عدم الرضا بالمأمر به ، واستعمالها فيه مجاز لعلاقة شبه التضاد بينه وبين الأمر . (٢) — ي — ٤٠ — س — ٤١
(٣) تستعمل فيه صيغة الأمر في مقام إظهار عجز من يدعي القدرة على ما يعجز عنه ، واستعمالها فيه لعلاقة شبه التضاد أيضاً .

(٤) — ي — ٢٣ — س — ٢

(٥) تستعمل فيه صيغة الأمر في مقام انقياد المأمور للأمر من غير قدرة له فيه ، واستعمالها فيه لعلاقة المشابهة بينه وبين الأمر في مطلق الإلزام .

(٦) — ي — ٦٥ — س — ٢

(٧) تستعمل فيها صيغة الأمر في مقام عدم الاعتداد بشأن المأمور ، واستعمالها فيها لعلاقة اللزوم ، لأن طلب الشيء من غير قصد حصوله لعدم القدرة عليه مع خسته يستلزم إهانة المأمور ، والفرق بين الإهانة والتسخير أن الإهانة لا يحصل فيها المأمور به بخلاف التسخير .

(٨) — ي — ٥٠ — س — ١٧ . (٩) — ي — ٤٩ — س — ٤٤

(١٠) تستعمل فيها صيغة الأمر في مقام توهم رجحان أحد الأمرين على الآخر ، واستعمالها فيها لعلاقة التضاد بينها وبين الأمر ، وقيل : إن صيغة التسوية خبر لا إنشاء .

(١١) — ي — ٥٣ — س — ٩ (١٢) — ي — ١٦ — س — ٥٢

(١٣) تستعمل فيه صيغة الأمر في مقام طلب شيء محبوب لا قدرة للطالب عليه ، واستعمالها فيه لعلاقة التضاد أيضاً .

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى^(١)

والدعاء ، إذا استعملت في طلب الفعل على سبيل التضرع^(٢) نحو (رب اغفر لي ولوالدي^(٣))

والالتماس ، إذا استعملت فيه على سبيل اللطف^(٤) كقولك لمن يساويك في الرتبة - أفع - بدون الاستعلاء .

والاحتمار^(٥) نحو (ألقوا ما أنتم ملسبون^(٦)) .

ثم الأمر قال السكاكي^(٧) حقه الفور ، لأنه الظاهر من الطلب ، ولتبادر الفهم عند الأمر بشئ . بعد الأمر بخلافه إلى تغيير الأمر الأول دون الجمع وإرادة التراخي ، والحق خلافه لما تبين في أصول الفقه^(٨) .

النهى : ومنها النهى ، وله حرف واحد وهو - لا - الجازمة في قولك

(١) هو من قوله :

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى بصبح وما الإصباح منك بأمثل
وقوله - انجلى - بمعنى انكشف ، والأمثل الأفضل . وإنما طلب انجلاء الليل مع هذا لأن في تغير الزمن راحة على كل حال .

(٢) هو طلب الأدنى من الأعلى ، وقيل : إن استعمال صيغة الأمر فيه حقيقة لا بجاز ، وكذلك استعمالها في الالتماس .

(٣) - ي - ٢٨ - س - ٧١ (٤) هو الطلب مع المساواة .

(٥) هو قريب من الإهانة أو هما بمعنى واحد .

(٦) - ي - ٤٣ - س - ٢٦ (٧) ١٧٢ - المفتاح

(٨) الحق أنه لا معنى لذكر مثل هذا هنا ، لأنه من خلط مسائل علم بمسائل

علم آخر .

- لا تفعل - وهو كالامر في الاستعلاء ، وقد يستعمل في غير طلب الكف أو الترك^(١) كالتهديد^(٢) كقولك لعبد لا يمثل أمرك - لا يمثل أمرى .

واعلم أن هذه الأربعة - أعنى التنى والاستفهام والامر والنهى - تشترك في كونها قرينة دالة على تقدير الشرط بعدها^(٣) كقولك - ليت لي ما لا أنفقه - أى إن أرزقه ، وقولك أين يبتك أزرك - أى إن تعرفني ، وقولك - أكرمى أكرمك - أى إن تكرمنى ، قال^(٤) تعالى (فهب لي من لدنك ولياً يرثنى) بالجزم ، فأما قراءة الرفع فقد حملها

(١) يشير بهذا إلى الخلاف بين أهل السنة والمعتزلة في أن المطلوب في النهى الكف أو الترك ، وهو خلاف أصولى لا معنى لذكره هنا .

(٢) استعمال النهى فيه مجاز مرسل علاقته السببية ، لأن النهى عن الشيء يترتب عليه التخويف على مخالفته

وقد يستعمل النهى في الدعاء ، كقوله تعالى - ي - ٢٨٦ - س - ٢ -

(ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) وفي الالتباس ، كقول الشاعر :

لا تطويا السر عنى يوم نائبة فإن ذلك ذنب غير مغفّر

وفي التنى ، كقول الشاعر :

يا ليل طل يا نوم زل يا صبح قف لا تطلع

وفي الإرشاد ، كقول بشار :

ولا تحسب الشورى عليك غضاضة فإن الخوافى قوة للقوادم

وذكر النهى في علم المعاني كذكر التنى والاستفهام والامر .

(٣) وجه ذلك أن الحامل على الطلب إما كون المطلوب مقصودا لذاته أو

لغيره لتوقفه عليه ، أى على ذلك المطلوب ، فإذا كان مقصودا لغيره وذكر بعده

تبادر إلى الذهن أن المطلوب شرط فيه ، فيكون الطلب متضمنا لشرطه ومعنيا

عن ذكره ، ولا يخفى أن ذكر هذا في باب الإيجاز الآتى أليق من ذكره هنا .

الزخشرى على الوصف^(١) ، وقال السكاكى^(٢) الأولى حملها على الاستئناف دون الوصف لهلاك يحيى قبل ذكرها عليهما السلام ، وأراد بالاستئناف أن يكون جواب سؤال مقدر تضمنه ما قبله ، فكأنه لما قال (فهب لى من لدنك ولياً) قيل ما تصنع به ؟ فقال (يرثنى) فلم يكن داخلًا فى المطلوب بالدعاء^(٣) وقولك — لا تشتم يكن خيراً لك — أى إن لا تشتم .

وأما العَرَضُ كقولك لمن تراه لا ينزل — ألا تنزل تصب خيراً — أى إن تنزل ، فمؤدته من الاستفهام^(٤) وليس به ، لأن التقدير أنه لا ينزل ، فلا استفهام عن عدم النزول طلب للحصول وهو محال .

وتقدير الشرط فى غير هذه المواضع لقريته جائز أيضاً ، كقوله تعالى (فאלله هو الولي) أى إن أرادوا أولياء بالحق فאלله هو الولي بالحق لا ولياً سواه^(٥) وقوله (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذْنٌ لَذَهَبَ)^(٦) أى لو كان معه إله إذن لذهب^(٧) .

(١) أى للسكره قبله (٢) ١٧٢ — المفتاح

(٣) فلا يقدح تخلفه فى دعائه بعدم إرثه له مع أنه نبى مستجاب الدعاء . وقد أجاب عن ذلك من حملها على الوصف بأن المراد بالإرث إرث العلم والنبوة ، وقد حصل ليحيى فورث قبل موته أباه فيهما .

(٤) فهو مثله فى كونه قريته دالة على شرط ، والله جى فى ذلك أيضاً مثل التنى ، والدعاء ونحوه مثل الأمر والنهى .

(٥) لأنه من قوله تعالى — ي — ٩ — س ٤٢ — (أم اتخذوا من دونه أولياء فאלله هو الولي) وقيل : إن قوله (أم اتخذوا) إنكار وتوبيخ بمعنى أنه لا ينبغي لهم أن يتخذوا من دونه أولياء لأن الله هو الولي ، فتكون الفاء للتعليل للشرط وهو ضعيف لأن المألوف فى ذلك أن يقال — والله هو الولي — كما يقال — أنضرب زيداً وهو أخوك .

(٦) — ي — ٩١ — س — ٢٣

(٧) تمام الآية (لذهب كل إله بما خلق) .

النداء : ومنها النداء^(١) وقد تستعمل صيغته في غير معناه ، كالإغراء في قولك لمن أقبل يتظلم^(٢) يامظلوم .

والاختصاص^(٣) في قولهم — أنا أفعل كذا أيها الرجل^(٤) ونحن نفعل

(١) هو طلب الإقبال بحرف نائب مناب أدعو وهو — يا — أو إحدى أخواتها ، ودلالة النداء على الطلب التزامية ، لأنه بمقتضى تعريفه في معنى — أدعو — وهو فعل مضارع لا أمر ، ولكن الدعاء يتضمن طلب الإقبال ، فلهذا جعل النداء من أقسام الطلب ، وقيل : إنه مجرد تلبيه لا طلب فيه ، وقيل : إنه بمعنى — أقبل — فيدل على الطلب مطابقة لا التزاما .

(٢) بهذا لا تكون — يا — في ذلك للنداء لأن الإقبال حاصل فلا معنى لطلبه ، بل يكون المراد بها الإغراء على طلب الأمر الذي ينادى له . واستعمال النداء في الإغراء مجاز مرسل علاقته الإطلاق والتقييد .

(٣) استعمال النداء فيه مجاز مرسل علاقته كعلاقة الإغراء ، وهو في الحقيقة صورة نداء لانداء كما سيأتي .

(٤) يريد بالرجل نفسه ، فهو في الحقيقة صورة نداء لا نداء ، ولكن أداة الاختصاص لما كثر استعمالها مع أدوات النداء نزلت منزلتها ، وقيل : إن الاختصاص نداء حقيق لا مجازي ، لأنه لا مانع من نداء الشخص نفسه ، كما قال عمر رضي الله عنه : كل الناس أقره منك يا عمر . فنادى نفسه .

وقد تستعمل صيغة النداء في الاستغاثة ، كقول الشاعر :

يا كل رجالِ اليوم الأربعاءِ ينفكُ يحدث لي بعد النهي طرباً
وفي التعجب ، كقول الشاعر :

يا لك من قسرة بمعمر خلا لك الجوع قبضي واصفري

كذا أيها القوم ، واغفر اللهم لنا أيتها العصابة — أي متخصصاً من بين الرجال ، ومتخصصين من بين الأقوام والعصائب .

ثم الخبر قد يقع موقع الإنشاء^(١) إما للتفاؤل وإظهار الحرص في وقوعه كما مر^(٢) والدعاء بصيغة الماضي من البليغ يحتمل الوجهين^(٣) أو للاحتراز عن صورة الأمر ، كقول العبد للمولى إذا حول عنه وجهه — ينظر المولى

وفي التحسر والتوجع . كقول الشاعر :

أيا منازل سلى أين سلبك من أجل هذا بكيهاها بكيهاك
وذكر النداء في علم المعاني كذكر التمني والاستفهام والأمر والنهي ، وماله صلة وثيقة منه بعلم المعاني استعمال نداء القريب في البعيد وبالعكس لتنزيل كل منهما منزلة الآخر ، كما قيل في نداء القريب المنزل منزلة البعيد :

يأيا السادر المزور من صلف مهلا فإنك بالأيام متخدع

وكما قيل في نداء البعيد المنزل منزلة القريب :

أسكان نعمان الأراك تيقنوا بأنكم في ربيع قلبي سكان
(١) استعمال الخبر إذا كان ماضياً في الطلب مجاز مرسل علاقته الضدية ، أو استغارة بتشبيهه غير الحاصل بالحاصل للتفاؤل أو الحرص على وقوعه ، واستعماله إذا كان مستقبلاً في الطلب مجاز أيضاً ، ويجوز أن يكون كناية بجمل حصول الفعل في المستقبل لازماً لطلبه في الحال ، ثم يطلق اللازم ويراد الملزوم ، وقيل : إنه لا يصح أن يكون كناية ، لأنه عليها يكون خبراً لفظاً ومعنى مع أنه قد جعل لإنشاء بصيغة الخبر .

(٢) في الكلام على الشرط في باب المسند .

(٣) يعني التفاؤل وإظهار الحرص في الوقوع ، ومن ذلك قول الشاعر :

إن الثمانين — وبلغتها قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

إلى ساعة — أو لحمل المخاطب على المطلوب ، بأن يكون المخاطب ممن لا يجب أن يكذب الطالب^(١) أو لنحو ذلك^(٢) .

تفليـه

ما ذكرناه في الأبواب الخمسة السابقة ليس كله مختصاً بالخبر ، بل كثير منه حكم الإنشاء فيه حكم الخبر^(٣) يظهر ذلك بأدنى تأمل ، فليعتبره الناظر .

(١) كأن تقول لصاحبك - تأتيني غداً - بدل انتنى ، لتحمله بلطف على الإتيان ، لأنه إذا لم يأتك صرت كاذباً وهو لا يجب تكذيبك .

(٢) كالنبيه على سرعة الامتثال في قولك — أخذت عليكم عهداً لا تختلفون في أمركم — مكان لا تختلفوا .

وقد يقع الإنشاء موقع الخبر لأغراض : منها الاهتمام بالشئ ، كقوله تعالى - ي - ٢٩ - س - ٧ - (قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) ومنها الرضا بالواقع حتى كأنه مطلوب ، كقوله صلى الله عليه وسلم من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ، ومنها الاحتراز عن مساواة اللاحق بالسابق ، كقوله تعالى - ي - ٥٤ - س - ١١ - (قال إني أشهد الله وأشهدوا أفى برى بما تشركون من دونه) .

ولا يخفى أن مثل هذا يمكن ذكره في أحوال الإسناد الخبرى .

(٣) كالذكر والحذف ونحوهما ، وقليل منه يختلف فيه حكم الإنشاء والخبر ، كالتأكيد ونحوه ، فانه لا يكون في الإنشاء للشك أو الإنكار من المخاطب ، وإنى أرى أن ذلك الكثير هو الذى يعد في الإنشاء من علم المعانى ، أما الكلام على أنواعه فهو قليل الجدوى فيه ، نالاحسن الاستغناء عن هذا الباب من أبوابه ، وأن يلحق ما ذكره فيه بما يليق به من علم البيان وغيره .

تمرينات على الامر والنهى والنداء

تمرين - ١

- (١) ما يراد بالنهى فى قول الشاعر :
لا تحسب المجدَ تمرّاً أنت آكلُهُ لن تبلغ المجد حتى تلعق الصّبرا
(٢) ما يراد بالامر فى قول الشاعر :
أرى ما ترين أو بخيلا مُخلداً أرى ما ترين أو بخيلا مُخلداً

تمرين - ٢

- (١) ما يراد بالنداء فى قول الشاعر :
يا ذرّة نُزِعتْ من تاج والدها فأصبحتْ حليّةً فى تاج رصوان
(٢) لماذا أتى بنداء القريب فى قول الشاعر :
أأبى لا تبعدْ وليس بخالدٍ حتى ومن تصب المشونُ بعيدُ

تمرين - ٣

- (١) لآى شيء استعمل الأمر باللام فى قوله تعالى - ي - ٩ - س - ٤ -
(وليسخنس الذين لو تركوا من خلفهم ذريةً ضِعَافاً خافوا عليهم)
(٢) لماذا أتى بنداء البعيد فى قوله تعالى - ي - ٧٧ - س - ٤٣ -
(ونادوا يا مالِكُ ليقضِ علينا ربُّك قال إنكم ماكثون) وما يراد
بالأمر فيه .

تمرين - ٤

- (١) لماذا عبر بالخبر عن الطلب فى قوله تعالى - ي - ٨٤ س - ٢ (وإذا أخذنا
مِيسِقَكمْ لا نُنْفِيكُمْ من دماءكم ولا نخسرْكمْ جُؤنَ أنفسكمْ من دياركم)
(٢) ما يراد بالأمر فى قول الشاعر :
أولئك آبائى فيجئنى بمثلهم إذا جمعتنا يا جريرُ المجمعُ

القول في الوصل والفصل

تعريف الوصل والفصل : الوصل عطف بعض الجمل على بعض ،
والفصل تركه^(١) وتمييز موضع أحدهما من موضع الآخر على ما تقتضيه
البلاغة فن منها عظيم الخطر ، صعب المسلك ، دقيق المأخذ ، لا يعرفه على

(١) جرى الخطيب في جعل كل من الوصل والفصل خاصا بالجل على ما جرى عليه
عبد القاهر في — دلائل الإعجاز — والعلوى — في الطراز — وابن قسيم الجوزية
في — الفوائد — بل الذي جرى عليه علماء البلاغة أن كلا منهما خاص بالعطف بالواو
وتركه دون غيره من حروف العطف ، وبالجل التي لا محل لها من الإعراب ،
لأن دقة الوصل والفصل إنما تظهر في ذلك ، أما عطف المفرد على المفرد فإنه يأتي
للتشريك في الحكم فأمره سهل ، وكذلك الجمل التي لها محل من الإعراب لوقوعها
موقع المفرد ، ومثلها العطف بغير الواو ، لأنه يأتي لمعانيه النحوية المعروفة ،
وليس كذلك العطف بالواو في الجمل التي لا محل لها من الإعراب ، لأنك إذا
قلت — زيد قائم ، وعمرو قاعد — لم يكن معك حكم تدعى أن الواو أشركت بين
الجمليتين فيه ، فيشكل في ذلك أمرها ، وتحتاج إلى إعتبار آخر من الاعتبارات الآتية ،
وظاهر كلام عبد القاهر أن واو الوصل يوقى بها اعتبارات الوصل فقط ، وأنها
تفيد من ذلك غير ما تفيده واو العطف .

وقد ذهب السكاكي إلى أن كلا من الوصل والفصل يأتي في عطف الجمل
والمفردات ، وفي العطف بالواو وغيره من حروف العطف ، وأن المعول عليه
في ذلك هو الجهة الجامعة ، فتي وجدت صح العطف في الجمل وغيرها ، كما تقول
— الشمس والقمر والسماء والأرض والجن والإنس كل ذلك محدث — ومتى
تقدت امتنع العطف ، فلا تقول — الشمس ومرارة الأرنب ودين الجوس كلها
محدثه — وقد انتصر للسكاكي في هذا بعض مؤلفي عصرنا ، والحق ما جرى
عليه عبد القاهر وغيره ، لأنه إذا كان هناك اشتراك في الحكم بين المفردات

وجهه ولا يحيط علماً بكُنْهه إلا من أوقى في فهم كلام العرب طبعاً سليماً ، ورزق في إدراك أسرارهِ ذوقاً صحيحاً ، ولهذا قصر بعض العلماء البلاغة على معرفة الفصل من الوصل ، وما قصرها عليه لأن الأمر كذلك ^(١) وإنما حاول بذلك التنبيه على مزيد غموضه ، وأن أحداً لا يكمل فيه إلا كمل في سائر فنونها . فوجب الاعتناء بتحقيقه على أبلغ وجه في البيان ، فنقول والله المستعان :

أحوال الوصل والفصل : الوصل للاشتراك في الحكم : إذا أتت جملة بعد جملة فالأولى منهما إما أن يكون لها محل من الإعراب أو لا ، وعلى الأول إن قصد التشريك بينها وبين الثانية في حكم الإعراب عطفت عليها ^(٢) وهذا كعطف المفرد على المفرد ^(٣) لأن الجملة لا يكون لها محل من

وأردت أن تخبر عنه لم يجوز أن يمنعك من ذلك فقد الجهة الجامعة بينها ، وقد يشترطه في ذلك بما حكى عن نصيب أنه اجتمع بالكسُمِيت فأنشده :

أم هل ظمائنُ بالعلياء رافعه
فمقد نصيب واحدة ، فقال الكيت : ماذا تحصى ؟ فقال : خطأك ، فإنك تباعدت في القول ، أين الدل من الشلب ؟ ألا قلت كما قال ذو الرُّمَّة .

لمياء في شفتيها حُوءة للعس وفي اللثات وفي أنيابها برْدُ
فالدل يذكر مع الغنج وما أشبهه ، والشنب يذكر مع اللعس وما أشبهه . ولكن ما ذكره نصيب يرجع إلى محسن بدعي يسمى مراعاة النظر ، وعلم المعاني لا شأن له بالمحسنات البديعية .

(١) أي لأن الأمر في البلاغة مقصور على معرفة الوصل والفصل ، لأنه لا يقتصر عليها ، بل يشمل الإيجاز ونحوه من فنونها .
(٢) أي وجوباً .

(٣) فإنه واجب عند قصد التشريك ، ولكن يجوز تركه في الأخبار والصفات المتعددة . وقد بين هذا في علم النحو .

الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد ، فكما يشترط في كون العطف بالواو ونحوه^(١) مقبولا في المفرد أن يكون بين المعطوف والمعطوف عليه جهة جامعة^(٢) كما في قوله^(٣) تعالى (يَعْلَمُ مَا بَلَّغُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يُخْرِجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرِجُ فِيهَا) يشترط في كون العطف بالواو ونحوه مقبولا في الجملة ذلك ، كقولك — زيد يكتب ويشعر ، أو يعطي ويمنع — وعليه قوله^(٤) (وَاللَّهُ يَقْسِي قُلُوبَهُمْ وَيَبْسُطُ رَحْمَتَهُ لِمَن يَشَاءُ) ولهذا عيب على أبي تمام قوله :

(١) قيل : إنه يريد بنحو الواو ما يدل على التشريك كالفاء وثم وحتى ، ورد بأن هذا الحكم مختص بالواو ، لأن لكل من الفاء وثم وحتى معنى محصلا غير التشريك ، فإن تحقق هذا المعنى حسن العطف وإن لم توجد جهة جامعة ، كما تقول — إن تخرج من المنزل فتمطر السماء تبطل — أما الواو فلا بد فيه من تلك الجهة ، وقيل : إنه يريد بنحو الواو ما يأتي بمعناه من حروف العطف ، وذلك نحو — أو — في قول توبة :

وقد زعمت ليلى بأني فاجر
لنفسى تقاها أو عليها فجورها
وربما يؤيد هذا ما سيأتي من تفرقه بين الواو وغيره في عطف الجمل التي لا محل لها من الإعراب .

(٢) اراد بالجهة الجامعة الجامع الآتي بيانه ، واشترط ذلك في عطف المفرد على المفرد إنما يوافق مذهب السكاكي السابق ، ولا يوافق ما سبق له في تعريف الوصل والفصل من تخصيصهما بالجمل .

(٣) — ي — ٢ — س — ٣٤ — والجهة الجامعة فيه التقابل بين — ما يبلغ وما يخرج — وبين — ما ينزل وما يعرج — وقد تكون شبه التماثل ، كقول الشاعر :

ثلاثة تشرق الدنيا بهجتها شمس الضحى وأبولسحاق والقمر
ومثل هذا يدخل في المحسنات البديعية عند من يرى قصر الوصل والفصل على الجمل .

لا والذي هو عالم أن النوى صبر وأن أبا الحسين كريم^(١)
إذ لا مناسبة بين كرم أبي الحسين ومرارة النوى ولا تعلق لأحدهما بالآخر^(٢)

الفصل لعدم الاشتراك في الحكم : وإن لم يقصد ذلك ترك عطفها
عليها^(٣) كقوله^(٤) تعالى (وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ
إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ، اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) لم يعطف (الله يستهزئ بهم)
على (إننا معكم) لأنه لو عطف عليه امكن من مقول المنافقين وليس منه ،
وكذا قوله^(٥) تعالى (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا
إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ، أَلَا لَهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ) وكذا قوله (وَإِذَا
قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ مِنْ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ
أَلَا إِنَّهُمْ بِهَمٍّ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ)^(٦)

(١) قوله - لا - نفى لما ادعته محبوبته في البيت قبله :

زعمت هواك عفا الغداة كما عفا عنها طول بالسوى ورسوم
والنوى الفراق ، والصبر عصارة شجر مر ، وأبو الحسين هو محمد بن المهيم
الذي مدحه أبو تمام بهذه القصيدة ، ويصح أن يكون ما في البيت من عطف المفرد
(٢) أجيب عن أبي تمام بأن الجامع بين الأمرين شبه التضاد ، لأن مرارة
النوى كالضد لحلاوة الكرم ، وهو إلى هذا تحيل للتخلص من النسب إلى المدح .
(٣) لا يخفى أن ترك العطف لهذا يكون لما منع نحوى لا لوجه بلاغى ، فلا
يصح أن يعد من أحوال الفصل الذى هو باب من أبواب البلاغة .

فالحق أنه لا يصح البحث عن الداعى إلى الفصل في ذلك من هذه الجهة النحوية ،
وإنما يبحث عن الداعى إلى الفصل فيه بالنظر إلى جملة - قالوا - أو جملة الشرط
وجوابه ، كما يأتي في الفصل لعدم الاشتراك في القيد ولشبهه كمال الانقطاع .

(٤) - ي - ١٤ ، ١٥ - س - ٢

(٥) - ي - ١١ ، ١٢ - س - ٢

(٦) - ي - ١٣ - س - ٢

الوصل بغير الواو من حروف العطف : وعلى الثاني إن قُصِدَ بيان ارتباط الثانية بالاولى على معنى بعض حروف العطف سوى الواو عطفَت عليها بذلك الحرف ^(١) فتقول — دخل زيد فخرج عمرو — إذا أردت أن خروج عمرو كان بعد دخول زيد من غير مهلة ، وتقول — خرجت ثم خرج زيد — إذا أردت أن تخبر أن خروج زيد كان بعد خروجك بمهلة ، وتقول — يعطيك زيد ديناراً أو يكسوك جبة — إذا أردت أن تخبر أنه يفعل واحداً منهما لا بعينه ، وعليه قوله ^(٢) تعالى (سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُذِّبْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) .

الفصل لعدم الاشتراك في القيد : وإن لم يقصد ذلك فإن كان للأولى حكم ولم يقصد إعطاؤه للثانية تعين الفصل ^(٣) كقوله ^(٤) تعالى (وَإِذَا خَلَوْا

(١) أى من غير اشتراط جهة جامعة ، فلا يشترط ذلك في عطف هذه الحروف للجمل كما لا يشترط في عطفها للمفردات ، وعلى هذا يصح أن تقول — خرجت من المنزل فأمرت السماء — مع أنه لا يصح فيه العطف بالواو لعدم الجهة الجامعة ، وقيل : إنه تشترط الجهة الجامعة في عطف الجمل بهذه الحروف ، بدليل أنه لا يصح أن تقول — جالينوس طيب ثم صورة الإخلاص من القرآن ثم إن القرد يشبه آدمى — ولا يخفى أن فساد هذا ليس لفقد الجهة الجامعة الآتية ، لأنه لا يصح من غير العطف أيضاً ، وهذا لأن كل كلام لابد فيه من ارتباط ما بين أجزائه ، ثم يأتي بعد ذلك اعتبار الوصل والفصل بالنظر إلى الجامع الخاص الآتى وغيره من الاعتبارات الآتية .

(٢) - ى - ٢٧ - س ٢٧

(٣) أى بلاغة لا نحواً ، لأن العطف يقتضى التشريك في حكم الإعراب لا في القيود ، فإذا قيل — ضربت زيدا يوم الجمعة وعمرأ — لا يلزم أن يكون ضرب عمرو يوم الجمعة أيضاً ، ولكن ذلك هو الظاهر من العطف وإن لم يقتضه ، فلذا تعين الفصل بلاغة فيما هنا دفعا لإرادة ذلك الظاهر .

(٤) - ى - ١٥١٤ - س ٢

إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزون ، الله يستهزي بهم) لم يعطف (الله يستهزي بهم) على (قالوا) لئلا يشاركه في الاختصاص بالظرف المتقدم ^(١) وهو قوله (وإذا خلوا إلى شياطينهم) فإن استهزاء الله تعالى بهم — وهو أن خذلهم بخلافهم وما سولت لهم أنفسهم مستدرجا إياهم من حيث لا يشعرون — متصل لا ينقطع بكل حال ، خلوا إلى شياطينهم أم لم يخلوا إليهم ، وكذلك في الآيتين الأخيرتين ^(٢) فإنهم مفسدون في جميع الأحيان قيل لهم لا تفسدوا أو لا ، وسفهاء في جميع الأوقات قيل لهم آمنوا أو لا .

أحوال أخرى للفصل : وإن لم يكن للأولى حكم كما سبق فإن كان بين الجملتين كمال الانقطاع وليس في الفصل إيهام بخلاف المقصود كما سيأتي ، أو كمال الاتصال ، أو كانت الثانية بمنزلة المنقطعة عن الأولى ، أو بمنزلة المتصلة بها — فكذلك يتعين الفصل ^(٣) أما في الصورة الأولى فلأن الواو للجمع والجمع بين الشئيين يقتضى مناسبة بينهما كما مر ، وأما في الثانية فلأن العطف

(١) لأن هذا هو ظاهر العطف وإن لم يقتضه كما سبق ، والمراد باختصاصه بالظرف أنه قيد فيه لكونه شرطاً له ، والشرط قيد في الجواب كما هو معلوم .

(٢) هما قوله (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض) الآية — وقوله (وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس) الآية . والمراد أنهما أخيرتان باعتبار ترتيبهما فيما ذكره سابقاً ، وإن كانتا في التنزيل قبل هذه الآية .

(٣) هذه أربع حالات للفصل : كمال الانقطاع بلا إيهام ، وكمال الاتصال ، وشبه كمال الانقطاع ، وشبه كمال الاتصال . ويضاف إليها الحالة السابقة التي تتناسب فيها الجملتان ويوجد في أولاهما حكم لا يقصد إعطاؤه للشانية ، وتسمى التوسط بين الكالين مع وجود المانع من العطف . فيكون للفصل خمس حالات .

فيها بمنزلة عطف الشيء على نفسه مع أن العطف يقتضى المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه ^(١) وأما فى الثالثة والرابعة فظاهر بما مر ^(٢) .

الأول كمال الانقطاع : وأما كمال الانقطاع فيكون لأمر يرجع إلى الإسناد أو إلى طرفيه :

الأول أن تختلف الجملتان خبراً أو إنشاء لفظاً ومعنى ، كقولهم — لا تبدين من الأسد يا كلثك ، وهل تصلح لى كذا أذفع إليك الأجرة — بالرفع فيهما . وقول الشاعر :

وقال رائدكم أرسوا نزاو لها

فكئله حثف امرى . يجرى بمقدار ^(٣)

(١) ولا يرد على هذا عطف التفسير لأنه ليس من أسلوب البلاغ ، وإنما هو من أسلوب المؤلفين وأشباههم ، وقيل : إن الواو فيه حرف تفسير لا عطف ، وقد وردت هذه الواو فى قول الشاعر :

وقد دت الأديم لراهشيه وألقى قولها كذباً وميئنا

فإن كانت للتفسير فأمرها ظاهر ، وإن كانت للعطف فذلك خشو كما سيأتى فى باب الإيجاز والإطناب والمساواة .

(٢) لأن حكم كل واحدة منهما حكم ما حى بمنزلته من كمال الانقطاع أو كمال الاتصال .

(٣) نسبه سيمويه إلى الأخطل ولكنه لا يوجد فى ديوانه ، والرائد هو من يتقدم القوم لطلب الماء ونحوه ، والمراد به عريفهم وقائدهم ، وقوله — أرسوا — بفتح الهمزة أو ضمها من أرسى أو رسا بمعنى أقيموا ، وقوله — نزاو لها — بمعنى نحاو لها والضمير للحرب ، والحثف الهلاك ، والمقدار مصدر بمعنى القدر . وفى العبارة قلب والأصل فحثف كل امرى . وقيل : إنه لا قلب فيها لأن الحثف يتنوع بتنوع أسبابه ، والشاهد فى قوله — أرسوا نزاو لها — ويجوز أن يكون الفصل فيه لشبه كمال الاتصال ، لجواز كون الجملة الثانية — نزاو لها — مبنية على — قال مقدر ، والاستشهاد بذلك لما لا محل له من الإعراب منظور فيه إلى ما قبل تسليط القول عليه .

أو معنى لا لفظاً ، كقولك — مات فلان رحمه الله (١)

وأما قول اليزيدى :

مَلَسَتْهُ جَبَلِي وَلَسِكِنَّهُ أَلْقَاهُ مِنْ زُهْدٍ عَلَى غَارِي

وقال : إني في الهوى كاذبٌ انتقم الله من الكاذب (٢)

فعده السكاكي (٣) رحمه الله من هذا الضرب ، وحمله الشيخ عبد القاهر (٤)

رحمه الله على الاستئناف بتقدير — قلت (٥) .

(١) فإذا اختلفتا لفظاً لا معنى ، لم يكن عندهم من كمال الانقطاع كما سيأتي في أحوال الوصل .

(٢) الحبل في الأصل الرباط أو الرَسْنُ والمراد به عهد الود ، والغارب الكاهل ، والمراد بإلقاء عهد الود عليه تركه له ، والشاهد في البيت الثاني بين جملة — قال — وجملة — انتقم — على ما سيأتي .

(٣) ١٤٦ — المفتاح

(٤) ١٥٥ — دلائل الإعجاز

(٥) أى قلت انتقم الله ، فيكون من شبه كمال الاتصال . ورجح هذا بأن ما ذهب إليه السكاكي لا يأتي إلا بجعل — انتقم الله من الكاذب — من كلام المحكى عنه وهو بعيد ، ويمكن أن يجاب عنه بأن الفصل عنده أيضاً بين جملة — انتقم الله — وجملة — قال إني في الهوى كاذب — لا جملة — إني في الهوى كاذب — من غير — قال — ولكنه لا يقدر قلت ، ولا مانع من الجمع بين كونه لكلاً الانقطاع والاستئناف .

هذا وإني أرى أن ترك العطف في هذا الضرب لمانع نحوي ، فلا يصح أن يعدد من الفصل المعدود من أبواب البلاغة ، على أن سيبويه يميز العطف في نحو — هذا زيد ومن عمرو ؟ مع اختلافهما خبراً وإنشاء ، ومن ذلك قوله تعالى — ي — ١٧٣ — س — ٣ — (حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) .

الثاني ألا يكون بين الجملتين جامع كما سيأتي (١)

(١) انتفاء الجامع بين الجملتين قد يكون بسبب انتفائه عن المسند إليه فيهما ، كقولك — زيد طويل ، عمر وقصير — إذا لم يكن بينهما جامع من صداقة ونحوها ، وقد يكون بسبب انتفائه عن المسند فيهما ، كقولك — زيد طويل ، عمر وأنا — في حال وجود صداقة بينهما ، وهذا هو ما يريده القوم بكال الانقطاع في هذا الضرب ، فلا يريدون به إلا انتفاء الجامع الخاص الآتي ، ولا يعنون به أن يتفكك الكلام بحيث لا يكون فيه ارتباط ما يجمع بين أجزائه ، وإذا كان هذا هو ما يريدونه من ذلك فلا معنى لاعتراض بعض مؤلفي عصرنا عليهم في تلك التسمية ، ولماذا ذكره من أنها توهم جواز تفكيك الكلام ، ولما بناه على ذلك من وجوب أن يكون ما يسمونه كمال انقطاع وشبه كمال الانقطاع وغيرهما وجوه ارتباط واتصال بين الجمل ، ولا ضير بعد هذا في كون الاتصال بالواو أو بتركة ، ولست أدري كيف يكون الاتصال بترك الواو ؟ ولا كيف يكون الاختلاف خبراً وإنشاء مثلاً وجهاً من وجوه الارتباط ؟ ولا أية فائدة للاشتغال بمثل هذا في علم المعاني ؟ وكل ما أتى به لم يغير شيئاً من مواضع الوصل ، ولا شيئاً من مواضع الفصل . وهذه أبيات من الشعر يبين منها كيف يوجد كمال الانقطاع بمعناه الاصطلاحي في الكلام ، وهو مع هذا متسق تتلاقى أجزاؤه في غرض من الأغراض :

سَلِمَتْ وما الديار بِسالماتٍ على عَثَبِ البَلِّ يا دارِ هَندٍ
ولا زالت مَشْفُوفَةٌ الغوادي تُصِيبُ رُبَّكَ من خطأ وعَمَدٍ
على أتى مَطَرُكَ عيني ففَضِّلْ ما سَقَاكَ الغيثُ بَعْدِي

أرى بصرى عن كُتْلٍ يومَ وليلةٍ يَكلُ وخطوى عن مَدَى الخطو يقصرُ
ومن يصحب الأيامَ تسعينَ حِجَّةً يُغَيِّرُهُ والدهرُ لا يتغيَّرُ
لعمري لئن أُمِيتَ أُمِّي مُقيداً لما كنتُ أُمِّي مطلقَ القيدِ أكثرُ

وقد يبلغ من تلاقى الجملتين مع ما بينهما من كمال الانقطاع بمعناه الاصطلاحي أن تكون الثانية منهما مفرعة على الأولى ، وفي هذه الحالة يصح عطف الثانية على الأولى بالفاء ، ويصح الاكتفاء بالإتيان بها بعدها من غير عطف . كقول الشاعر :

الشيبُ كرهٌ وكرهٌ أن يفارقني لعجبٍ لشيءٍ على البغضاء مودودٍ
وقد روى بالفاء - فاعجب لشيءٍ .

الثاني كمال الاتصال : وأما كمال الاتصال فيكون لأمور ثلاثة :

الأول أن تكون الثانية مؤكدة للأولى ، والمقتضى للتأكيد دفع توهم التجوز والغلط ، وهو قسبان :

أحدهما أن تنزل الثانية من الأولى منزلة التأكيد المعنوي من متبوعه في إفادة التقرير مع الاختلاف في المعنى^(١) كقوله^(٢) تعالى (ألم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه) فإن وزان (لا ريب فيه) في الآية وزان نفسه في قولك — جامن الخليفة نفسه^(٣) فإنه كلاً بولغ في وصف الكتاب ببلوغه الدرجة القصوى من الكمال يجعل المبتدأ ذلك وتعريف الخبر باللام^(٤) كان عند السامع قبل أن يتأمله مظنة أنه يُرمى به جزافاً من غير تحقق^(٥) فانبهته^(٦) (لا ريب فيه) نفيًا لذلك^(٧) إتباع الخليفة — نفسه — إزالة للماعى

(١) ضابط ذلك أن يختلف مفهوم كل منهما ولكن يلزم من ثبوت معنى إحداهما ثبوت معنى الأخرى ، ومقتضى تنزيله منزلة التأكيد المعنوي أنه ليس منه وإنما هو تأكيد لغوى لا اصطلاحى ، وقيل : إن المراد تنزيله منزلة التأكيد في المفرد ، فيكون من التأكيد الاصطلاحى .

(٢) — ى — ٢٠١ — س — ٢

(٣) هذا إنما يأتي بجعل (ألم) طائفة من الحروف أو جملة مستقلة حذف أحد جزأها . وجعل (ذلك الكتاب) جملة ثانية ، وجعل (لا ريب فيه) جملة ثالثة ، ويجوز أن يجعل (ذلك الكتاب لا ريب فيه) جملة واحدة ، وعلى هذا لاشاهد فيه للتأكيد المعنوي بين جملتين .

(٤) لأن — ذلك — إشارة إلى بعد المنزلة ، وتعريف الخبر باللام يقتضى الحصر ، أى ذلك الكتاب لا غيره .

(٥) هذا بقطع النظر عن كونه كلام الله تعالى ، لأنه يجرى في ذلك على أساليب البشر .

(٦) فكانه قيل : لا ريب في بلوغه تلك الغاية من الكمال ، وهذا المعنى يخالف معنى (ذلك الكتاب) لكنهما متلازمان كما هو ظاهر .

أن يتوهم السامع أنك في قولك — جاءني الخليفة — متجاوز أو ساه ، وكذا قوله (كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرأ^(١)) الثاني مقرر لما أفاده الأول^(٢) وكذا قوله (إنما معكم إنما نحن مستهزون^(٣)) لأن قوله (إنما معكم) معناه الثبات على اليهودية ، وقوله (إنما نحن مستهزون) رد الإسلام ودفع له منهم ، لأن المستهزى بالشئ المستخف به منكر له ودافع له لكونه غير معتد به ، ودفع تقيض الشئ تأكيد لثباته^(٤) وبجمل الاستئناف^(٥) أى فما بالكم إن صح أنكم معنا توافقون أصحاب محمد ؟ وثانيهما أن تنزل الثانية من الأولى منزلة التأكيد اللفظي من متبوعه في اتحاد المعنى^(٦) كقوله^(٧) تعالى (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى

(١) — ي — ٧ — س — ٣١

(٢) لأن معنى الجملة الأولى أنه لم يسمعها مصادفة أو قصداً إلى عدم سماعها ، ومعنى الثانية أنه لم يسمعها لفساد سمعه ، والمقصود من التشبيه في الجملتين هو عدم التأثير بسماع الآيات ، وهذا هو ما يتلزمان فيه مع اختلاف معناهما ، وعلى هذا تكون الجملتان مستأنفتين ، وقد قيل : إن قوله (كأن لم يسمعها) حال من قوله قبله (ولم يسمعها) وقوله (كأن في أذنيه وقرأ) حال من قوله (لم يسمعها) وعلى هذا يكون لها محل من الإعراب ، فلا يكونان مما نحن فيه ، وهو الجملتان اللتان لا محل لهما من الإعراب .

(٣) — ي — ١٤ — س — ٢

(٤) هذا والاستشهاد بذلك لما لا محل له من الإعراب منظور فيه إلى حاله قبل الحكاية ، لأنه في محل نصب بقوله قبله (قالوا) .

(٥) فيكون من شبه كمال الاتصال .

(٦) مع هذا قد يختلفان في اللفظ كما في الأمثلة التي ذكرها ، وقد يتحدان في المعنى واللفظ كما في قوله تعالى ي — ١٧ — س — ٨٦ — (فمهل السكاقرين أمهلهم رؤيدا) واستحسن بعضهم قصر التأكيد اللفظي على ما اتحد لفظه ومعناه ، فيكون كل ما اختلف لفظه من التأكيدي المعنوي ، والخطب في ذلك سهل .

(٧) — ي — ٢ — س — ٢

للمتقين) فإن (هدى للمتقين) معناه أنه في الهداية بالغ درجة لا يدرك كسبها حتى كأنه هداية محضة^(١) وهذا معنى قوله (ذلك الكتاب) لأن معناه كما مر الكتاب الكامل، والمراد بكلامه كماله في الهداية^(٢) لأن الكتب السماوية بحسبها تتفاوت في درجات الكمال. وكذلك قوله^(٣) تعالى (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرتهم لا يؤمنون) فإن معنى قوله (لا يؤمنون) معنى ماقبله^(٤) وكذا ما بعده^(٥) تأكيد ثان، لأن عدم التفاوت بين الإنذار وعدمه لا يصح إلا في حق من ليس له قلب يخلص إليه حق. وسمع تدرك به حجة^(٦)، وبصر تثبت به عبادة^(٧)، ويجوز أن يكون (لا يؤمنون) خبرا لإن^(٨) فالجملة قبلها اعتراض.

(١) هذا مأخوذ من تنكير هدى وأنه لم يقل هادي، وهدى على هذا خبر مبتدأ محذوف تقديره — هو.

(٢) يجوز أن يراد به الكمال الأعم، فيكون ذلك من التأكيد المعنوي لاختلاف معنى الجملتين.

(٣) — ي — ٦ — س — ٢

(٤) قيل: إنه غيره وهو الظاهر، فيكون ذلك من التأكيد المعنوي.

(٥) هو قوله (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة^(٩)) والظاهر أنه تأكيد معنوي.

(٦) في قوله قبل ذلك (إن الذين كفروا)

هذا وكما يجب الفصل بين الجملة المؤكدة لآخرى يجب الفصل بين الجملتين المؤكدة بين جملة قبلهما كما سبق في قوله تعالى (الم، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) وقد تعطف الجملة المؤكدة بالفاء أو ثم، كقوله تعالى — ي — ٣٤، ٣٥ — س — ٧٥ — (أولى لك فأولى، ثم أولى لك فأولى) وقيل: إن ذلك عطف صوري لا حقيقي، وقيل: إنه تأسيس لا تأكيد، لأن الجملة الثانية أبلغ في الإنذار من الأولى.

والحق أن ترك العطف في الجملة المؤكدة لجملة قبلها لما منع نحوي، فلا يصح أن

يعد من الفصل كما سبق.

الثاني^(١) أن تكون الثانية بدلا من الأولى ، والمقتضى للإبدال كون الأولى غير وافية بتمام المراد بخلاف الثانية ، والمقام يقتضى اعتناء بشأنه لنكتة ، ككونه مطلوباً في نفسه أو فظيلاً أو عجبياً أو لطيفاً ، وهو ضربان: أحدهما أن تُنَزَّلَ الثنية من الأولى منزلة بدل البعض من متبوعه^(٢) كقوله^(٣) تعالى (أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ، أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامِ وَبَنِينَ ، وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) فإنه مسوق للثنية على نعم الله تعالى عند المخاطبين ، وقوله (أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامِ وَبَنِينَ ، وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) أو في بتأديته بما قبله^(٤) لدلالته عليها بالتفصيل من غير إحالة على علمهم مع كونهم معاندين ، والإمداد بما ذكر من الأنعام وغيرها بعض الإمداد بما يعلمون^(٥) ويحتمل الاستئناف^(٦).

وثانيهما أن تنزل الثانية من الأولى منزلة بدل الاشتمال من متبوعه ، كقوله^(٧) تعالى (اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ، اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ) فإن المراد به حمل المخاطبين على اتباع الرسل ، وقوله تعالى (اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ) أو في بتأدية ذلك ، لأن معناه — لا تخسرون معهم شيئاً من دنياكم ، وترجعون صحة دينكم ، فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة . وقول الشاعر :

أقول له : ارحلْ لا تنقسم عندنا وإلا فكُنْ في السرِّ والجهر مسلماً^(٨)

(١) أى من الأمور التي يكون بها كمال الاتصال .

(٢) أى في المفرد ، فيكون ذلك بدلا اصطلاحيا على ما سبق في التأكيد .

(٣) — ي — ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ — س — ٢٦

(٤) فنكتته كونه مطلوباً في نفسه .

(٥) يعنى أنه بعضه في الظاهر وإن كان المراد منهما واحداً كالمراد من قولك

— أكلت الرغيف ثلثه

(٦) فيكون من شبه كمال الاتصال ، ورُددَ بأنه لو كان منه لكان التأكيد

مستحسناً كما سيأتى ، مع أن الجملة الثانية قد أعيدت من غير تأكيد .

(٧) — ي — ٢٠ ، ٢١ — س — ٣٦

(٨) يريد بقوله — مسلماً — أن يكون معه كالمسلم في استواء ظاهره وباطنه ،

ويجوز أن يكون المراد به مُسْلِماً ، والاستشهاد بقوله — ارحلْ لا تقيم — بالنظر إلى حاله قبل حكايته بالقول كما سبق في نظائره .

فإن المراد به كمال إظهار الكراهة لإقامته بسبب خلاف سرِّ العَلَن، وقوله — لا تقيمن عندنا — أوفى بتأديته لدلالته عليه بالمطابقة مع التأكيد^(١) بخلاف — ارحل^(٢) ووزان الثانية مع كل واحد من الآية والبيت وزان حسنها في قولك — أعجبتني الدار حسنها — لأن معناها مغاير لمعنى ما قبلها وغير داخل فيه مع ما بينهما من الملازمة^(٣).

الثالث^(٤) أن تكون الثانية بياناً للأولى ، وذلك بأن تُنزلَ منها منزلة عطف البيان مع متبوعه في إفادة الإيضاح ، والمقتضى للتبيين أن يكون في الأولى نوع خفاء مع اقتضاء المقام إزالته ، كقوله^(٥) تعالى (فَوَسَّوْاْ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَآدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةٍ الْخُلْدِ وَمَلِكِ

(١) كون هذه الدلالة مطابقة منطور فيه إلى العرف ، لأنك إذا قلت لآخر - لا تقيم عندى - لم تقصد كفه عن الإقامة ، وإنما تقصد إظهار الكراهة لإقامته .
(٢) لأن دلالة عليه بالالتزام . وهى باعتبار العرف أيضاً ، لأن طلب الارتحال يقتضى عرفاً محبته ، ومحبته تقتضى كراهة ضده وهو الإقامة .
(٣) يريد بهذا تحقيق كون ذلك بدل اشتال لا تأكيداً ولا بدل بعض من كل ، ولكنه لا يمنع إلا أن يكون تأكيداً لفظياً كما هو ظاهر . ولهذا قيل : إنه يصح أن يكون مافى البيت تأكيداً معنوياً ، لأن عدم الإقامة مغاير للارتحال بحسب المفهوم ، ولكنه ملازم له في الوجود .

هذا وما نكتة البدل فيه كونه عجيبياً قوله تعالى - ي - ٨١ ، ٨٢ - س - ٢٣ (بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ، قَالُوا أَأَنذَانَا مِثْلَ مَا نُنذِرُ الْأَوَّلِينَ) وما نكتة البدل فيه كونه فظيماً قولك لمن تزف وتصدق - أتجمعين بين قيسح وحسن : تزنين وتصدقين - وما نكتة البدل فيه كونه لطيفاً قولك - زيد جمع أمرين : جمع اللطف والاستقامة - وهذا من البدل المطابق على أنه يأتي هنا أيضاً ، وقد تركه الخطيب لما سيأتى ، وأمر البدل بعد هذا عندى كأمر التأكيد في أن ترك العطف فيه لمانع نحوى لا لمانع بلاغى ، فلا يصح أن يعد من الفصل أيضاً .

(٤) أى من الأمور التى بها يكون كمال الاتصال .

(٥) - ي - ١٢٠ - س ٢٠

لا يَبْلَى (فصل جملة (قال) عما قبلها لكونها تفسيراً له وتبييناً^(١) ووزانه وزانٌ عمر في قوله :

أقسم بالله أبو حفص عمر^(٢)
وأما قوله^(٣) (ما هذا بشراً إن هذا إلا مَلَكٌ كريم) فيحتمل
التبيين والتأكيد ، أما التبيين فلأنه يمتنع أن يخرج من جنس البشر ولا يدخل
في جنس آخر ، فإثبات الملكية له تبيين لذلك الجنس وتعيين ، وأما التأكيد
فلأنه إذا كان ملكاً لم يكن بشراً ، ولأنه إذا قيل في العرف لإنسان — ما هذا
بشراً — حال تعظيم له وتعجب مما يشاهد منه من حسن خلق أو خلق
كان الغرض أنه ملك بطريق الكناية .

فإن قيل : هلاً نزلت الثانية منزلة بدل الكل من متبوعه في بعض الصور
ومنزلة النعت من متبوعه في بعض ؟ قلنا : لأن بدل الكل لا ينفصل عن
التأكيد إلا بأن لفظه غير لفظ متبوعه وأنه مقصود بالنسبة دون متبوعه
بخلاف التأكيد ، والنعت لا ينفصل عن عطف البيان إلا بأنه يدل على بعض

(١) أورد على الاستشهاد به أن جملة (وسوس) معطوفة على جملة
(قلنا) في قوله قبل ذلك (وإذ قلنا للملائكة) الآية ، فتكون في محل جر مثلاً ،
ولا يصح الاستشهاد بذلك لما معنا من الجمل التي لا محل لها من الإعراب .
(٢) هو من قول عبد الله بن كَيْسَبَة :

أقسم بالله أبو حفص عمر
ما مسّها من نَسَبٍ ولا دَبَرٍ
فاغفر له اللهم إن كان لجر

والنقب ضعف أسفل الخف ، والدبر جراحة الظهر ، وقوله - جر - بمعنى
حش ، وكان قد أتى عمر فشكا له بعد أهله وضعف ناقته ، وطلب منه أن
يستحمه غيرها ، فلم يصدق وقال : والله ما نقبت . فلما قال ذلك حمله عمر على
بغير وزوده وكساه .

هذا ولا يخفى أن ترك العطف في عطف البيان لما نعى أيضاً ، فلا يصح
عده من الفصل كالتأكيد والبدل .

أحوال متبوعه لا عليه ، وعطف البيان بالعكس ، وهذه كلها اعتبارات لا يتحقق شيء منها فيما نحن بصدده ^(١) .

الثالث شبه كمال الانقطاع : وأما كون الثانية بمنزلة المنقطعة عن الأولى فليكون عطفها عليها مؤوهاً لعطفها على غيرها ^(٢) ويسمى الفصل لذلك قطعاً ، مثاله قول الشاعر :

وتظنُّ سَلَمَى أنى أبغى بها — بدلاً أراها في الضلال تهيم ^(٣)

لم يعطف — أراها — على — تظن — لثلاث يتوهم السامع أنه معطوف على — أبغى — لقربه منه مع أنه ليس بمراد ، ويحتمل الاستئناف ^(٤) وقسم السكاكي ^(٥) القطع إلى قسمين : أحدهما القطع للاحتياط ، وهو ما لم يكن لما نفع من العطف كافي هذا البيت . والثاني القطع للوجوب ، وهو ما كان

(١) أى من الجمل التى لا يحمل لها من الإعراب ، وبهذا يستغنى فيها بمعطف البيان عن النعت وبالتأكيد عن بدل الكل من الكل ، وأما بدل الغلط فلا يقع فى فصيح الكلام كما سبق فى باب المسند إليه عند الكلام على الإبدال منه ، فلماذا لم يتعرض له هنا أيضاً .

هذا والظاهر من كلام عبد القاهر أنه يجعل كل كمال الاتصال من باب التأكيد ، وإن كان قد يشتمل أحياناً على نوع من البيان ، ولعل هذا أسهل من تكلف ما سبق من الفروق بين التوابع فى الجمل .

(٢) هذه نكشة الفصل هنا ، ويجب بها ترك العطف بلاغة لانحواً ، لأنه لا مانع من العطف من جهة النحو .

(٣) لا يعلم قائله ، وقوله — أراها — بمعنى أظنها على صورة المبني للمفعول وهو للفاعل ، وقوله — تهيم — مأخوذ من هام على وجهه إذا مشى من غير قصد .

(٤) فيكون من شبه كمال الاتصال .

(٥) ١٣٦ — المفتاح

لما منع ، ومثله بقوله (١) تعالى (اقْتَرِبُوا يَوْمَ تَأْتِي سَافِرًا يَمْكُمُونَ) قال : لأنه لو عطفَ
 اعْطِفَ إما على جملة (قالوا) وإما على جملة (إنا معكم) وكلاهما لا يصح
 لما مرَّ (٢) وكذا قوله (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ) وقوله (أَلَا إِنَّهُمْ
 هُمُ السَّافِرُونَ) (٣) وفيه نظر ، لجواز أن يكون المقطوع في المواضع الثلاثة
 معطوفاً على الجملة المصدرة بالظرف (٤) وهذا القسم (٥) لم يُبيِّن امتناعه .
 الرابع شبه كمال الاتصال : وأما كونها بمنزلة المتصلة بها فلكونها جواباً
 عن سؤال اقتضته الأولى ، فتزول منزلته فتفصل الثانية عنها كما يفصل الجواب
 عن السؤال (٦) وقال السكاكي (٧) فينزل ذلك منزلة الواقع (٨) .

(١) — ١٥ — ي — س — ٢

(٢) في الفصل لعدم الاشتراك في الحكم أو القيد .

(٣) — ي — ١٢ ، ١٣ — س — ٢

(٤) هي جملة الشرط وجوابه ، وإذا جاز العطف عليها نحواً كان القطع فيه
 من القسم الأول وهو القطع للاحتياط ، وإذن يكون الفصل لشبهه كمال الانقطاع
 منحصراً في هذا القسم ، أما الفصل في القسم الثاني فهو للتوسط بين الكمالين مع
 وجود المانع من العطف كما سبق .

(٥) أي كون العطف على جملة الشرط وجوابه

ومن الفصل لشبهه كمال الانقطاع قول الشاعر :

يقولون : إني أحمل الضيـمَ عندهم أعوذُ برَبِّي أن يسْضامَ نظائري
 لم يعطف جملة — أعوذ — على جملة — يقولون — لئلا يتوهم عطفها على
 جملة — أحمل — فتكون من مقولهم ، مع أنها ليست منه وإنما هي من مقوله .
 (٦) كما في قوله تعالى — ي — ١٠ ، ١١ — س — ١٠١ (وما أدراك
 ما هيـم ؟ نار حامية) وفصل الجواب عن السؤال قيل : إنه لكمال الاتصال .
 وقيل : إنه لكمال الانقطاع وهو الظاهر ، لأن جملة السؤال إنشاء وجملة الجواب خبر .

(٧) ١٢٧ — المفتاح

(٨) أي ينزل السؤال المقدّر منزلة السؤال الواقع ، فيكون من فصل الجواب

عن السؤال بخلاف ما ذهب إليه الخطيب .

ثم قال : وتنزيل السؤال بالفحوى^(١) منزلة الواقع لا يصار إليه إلا لجهات لطيفة : إما لتنبه السامع على موقعه ، أو لإغناؤه أن يسأل ، أو لئلا يُسَمَّع منه شيء ، أو لئلا ينقطع كلامك بكلامه ، أو للقصد إلى تكثير المعنى بتقليل اللفظ. وهو تقدير السؤال وترك العاطف ، أو لغير ذلك مما ينخرط في هذا السِّلَك .

ويُسمَّى الفصل لذلك استئنافاً ، وكذا الجملة الثانية أيضاً تسمى استئنافاً . والاستئناف ثلاثة أضرب :

لأن السؤال الذي تضمنته الجملة الأولى إما عن سبب الحكم فيها مطلقاً ، كقوله :

قال لي : كيف أنت قلتُ عليلٌ سهرٌ دائمٌ وحزنٌ طويلٌ^(٢)

أى ما بالك عليلًا ؟ أو ما سبب عللك ؟ وكقوله :

وقد غرَضْتُ من الدنيا فهل زَمَنِي مُعْطِ حَيَاتِي لغيرٍ بعدُ ما غرضنا
جربْتُ دهرى وأهليه فما تركتُ لي التجاربُ في وُدِّ امرئ غرضاً^(٣)

(١) هو السؤال المقدر .

(٢) سبق هذا البيت في الكلام على حذف المستند إليه من الجزء الأول ، وإنما يكون من الفصل للاستئناف إذا جعل — سهر — خبر مبتدأ تقديره — حالى سهر ، أما إذا جعل خبراً بعد خبر على المبالغة فلا شاهد فيه للفصل ، ولا شاهد في قوله — قال لي كيف أنت قلتُ عليل — للاستئناف للتصريح فيه بالسؤال .

(٣) هما لأحمد بن عبد الله المعروف بأبي العلاء المعرِّي ، وقوله — غرضت — بمعنى ضجرت ، والغر الغافل ، وقوله — ما غرضنا — ألفه الإيلاق والظرف قبله متعلق به ، أى لم يضجر الحياة بعد كما ضجرت ، ومعنى البيت الثانى أن تجربته للناس لم تترك له غرضاً وحاجة في ودعهم ، وجعلته يسأم الحياة معهم ، والشاهد في فصل — جربت دهرى — عن جملة — وقد غرضت .

أى لم تقول هذا ويحك؟ وما الذى اقتضاك أن تطوى عن الحياة إلى هذا الحد كشمسك؟

وإما عن سبب خاص له^(١) كقوله^(٢) تعالى (وَمَا أَرَىٰ نَفْسِي إِلَّا النَّفْسَ لَامَّارَةً بِالسُّوءِ) كأنه قيل: هل النفس أماراة بالسوء؟ فقيل: إن النفس لآماراة بالسوء، وهذا الضرب يقتضى تأكيد الحكم^(٣) كما مر في باب أحوال الإسناد.

وإما عن غيرهما^(٤) كقوله^(٥) تعالى (قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ) كأنه

(١) ضابط هذا وما قبله أن الجملة السابقة أو سياقها إذا لوحا بالاستئناف فالسؤال المقدر عن سبب خاص، وإلا فهو عن سبب عام، فقول الشاعر في البيت السابق — قال لى كيف أنت قلت عليل — لا يدل إلا على وجود علة مستدعية لسبب ما، وقوله تعالى فى الآية (وما أرى نفسى) ينصرف الذهن فيه إلى سبب خاص هو أنها أماراة بالسوء.

(٢) — ي — ٥٢ — س ١٢

(٣) لأن السؤال فيه عن حكم تصديق، أما السؤال العام فهو سؤال عنه ما هو؟ وذلك تصور لا يأتى فيه شك حتى يؤتى بالتأكيد من أجله، وقد يؤكد فى السؤال عن السبب العام ويترك التأكيد فى السؤال عن السبب الخاص لإمكان رد التصور إلى التصديق وبالعكس، ومن ترك التأكيد فى السؤال عن السبب الخاص قول الشاعر:

إذا ما الدهر جر على أناس كلاكه أناخ بأخسر بنا

فقل للشامتين بنا: أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

(٤) أى عن شىء آخر له تعلق بالجملة الأولى غير التعلق بالسببية. وهو أيضا إما عام كما فى المثال الأول، وإما خاص كما فى المثال الثانى، وهو يقتضى التأكيد أيضا كالسؤال عن السبب الخاص. ومنه قول الشاعر:

فغنَّها وهنى لك القدام إن غناء الإبل الحُداة

فتقدير السؤال فيه — هل غناء الإبل الحداة؟ لأنه هو الذى تتجه إليه النفس بعد الأمر بالغناء للإبل، وكذلك قول الشاعر:

يرى البخیل سبيل المال واحدة إن الكريم يرى فى ماله سبيلا

(٥) — ي — ٦٩ — س ١١

قيل : فماذا قال إبراهيم عليه السلام ؟ فقيل : قال سلام . ومنه قول الشاعر :
زعم العواذلُ أنني في غمِّرةٍ صدقوا ولكن غمّرتي لا تنسجلى^(١)

فإنه لما أبدى الشكاية من جماعات العذال كان ذلك مما يحرك السامع ليسأل
أصدقوا في ذلك أم كذبوا ؟ فأخرج الكلام مُخرّجه إذا كان ذلك قد قيل
له ففصل ، ومثله قول جندب بن عمار :

زعم العواذلُ أن ناقةً جُنْدُبٍ بجنوبٍ خبثت عريّت وأجمت
كذب العواذلُ لو رأين منا خناً بالقادسية قلن لجّ وذلت^(٢)

وقد زاد هنا أمر الاستئناف تأكيداً بأن وضع الظاهر^(٣) موضع المضمّر
من حيث وضعه وضعاً لا يحتاج فيه إلى ما قبله ، وأتى به مأتى ما ليس قبله
كلام ، ومن الأمثلة قول الوليد :

عرفتُ المنزلَ الخالي عفاً من بعد أحوال

(١) لا يعلم قائله ، وقوله — زعم — بمعنى قال ، لأنه قد يستعمل في القول
مطلقاً كما هنا ، والعواذل جمع عاذل وإن كان صفة لعافل ، لأنه جازئ سماعاً
كفارس وفارس ، وقيل : إنه جمع عاذلة بمعنى جماعة عاذلة من الذكور ليوافق
قوله — صدقوا — وهو الذي جرى عليه الخطيب في تفسيره للبيت ، والغمرة
الشدة ، وقد ترك التأکید هنا مع أن السؤال تصدق لتزيله ذلك منزلة الظاهر
الذي لا يعتريه شك .

(٢) خبت من ديار كلب ، وقوله — عريت — بمعنى أزيل عنها رحلها ،
وقوله — أجمت — بمعنى تركت فلم تتركب ، وهذا كناية عن قعوده بهذا المكان
دون غرضه ، والقادسية بالعراق ، وقوله — لجّ وذلت — بمعنى جد في السير
وانقادت ناقته له .

(٣) أى في جملة الاستئناف وهو العواذل في قوله — كذب العواذل —
لأن حقه الإضمار لسبق ذكره .

عَفَاهُ كُلُّ حَنَّانٍ عَسُوفٍ الْوَبْلُ هَطَّالٌ^(١)
فإنه لما قال - عفا - وكان العفاء مما لا يحصل للنزل بنفسه كان مظنة
أن يسأل عن الفاعل ، ومثله قول أبي الطيب :

وما عَفَتِ الرياحُ له حَلًّا عَفَاهُ من حدا بهم وساقا^(٢)

فإنه لما نفى الفعل الموجود عن الرياح كان مظنة أن يسأل عن الفاعل .
وأيضا من الاستئناف ما يأتي بإعادة اسم ما استؤنف عنه ، كقولك
- أحسنت الى زيد ، زيد حقيق بالإحسان - ومنه ما يبني على صفته ،
كقولك - أحسنت الى زيد ، صديقك القديم أهل لذلك - وهذا أبلغ
لانطوائه على بيان السبب^(٣) وقد تحذف صدر الاستئناف لقيام قرينة ،
كقوله^(٤) تعالى (يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ، رجال) فيمن
قرأ (يسبح) مبنيًا للمفعول^(٥) وعليه نحو قولهم - نعم الرجل أو رجلا
زيد ، وبئس الرجل أو رجلا عمرو - على القول بأن المخصوص خبر
مبتدأ محذوف أي هو زيد ، كأنه لما قيل ذلك فأبهم الفاعل بجعله معهوداً
ذهنيا مظهرا^(٦) أو مضمرا^(٧) سئل عن تفسيره ف قيل - هو زيد - ثم تحذف المبتدأ .

(١) هما للوليد بن يزيد الأموي ، وقوله - عفا - بمعنى درس ، والمراد
بأحوال في قوله - من بعد أحوال - الأحوال التي سعد فيه بسكانه من أحبابه ،
والحنان السحاب ، وعسوف الوبل شديد المطر .

(٢) قوله - عفت - بمعنى حث ، وقوله - حدا - من الحداء وهو غناء
الإبل ، والمراد بها الإبل التي سارت بهم وجعلتهم يجرؤنه .

(٣) هو وصفة الصداقة التي دعت إلى الإحسان ، أما الأول ففيه بيان سبب
لا يشتمل على مثل تلك الصفة . (٤) - ي - ٣٦ ، ٣٧ - س - ٢٤

(٥) فالتقدير يسبح فيها رجال ، والفعل المبني للفاعل هو صدر الاستئناف
المحذوف ، وعلى قراءته مبنيًا للفاعل يكون رجال فاعلا له .

(٦) في - نعم الرجل زيد ، وبئس الرجل عمرو .

(٧) في - نعم رجلا زيد ، وبئس رجلا عمرو - وإذا قدر المخصوص
في ذلك مبتدأ محذوف الخبر كان ذلك من حذف عجز الاستئناف .

وقد يُحذفُ الاستئنافُ كله ويُقامُ ما يدلُّ عليه مقامه ، كقول الحماسي :
زعمتم أن إخوانكم قريشٌ لهم ألفٌ وليس لكم إلا ألفٌ^(١)

حذف الجواب الذي هو - كذبتُم في زعمكم - وأقام قوله - لهم ألف - وليس لكم إلا ألف - مقامه لدلالته عليه ، ويجوز أن يقدر قوله - لهم ألف - وليس لكم إلا ألف - جواباً لسؤال اقتضاه الجواب المحذوف ، وكأنه لما قال المتكلم : كذبتُم . قالوا : لم كذبنا ؟ قال - لهم ألف وليس لكم إلا ألف - فيكون في البيت استئنافان .

وقد يحذف ولا يُقامُ شيء مقامه^(٢) كقوله^(٣) تعالى (نَعِمْ السَّعِيدُ)
أى أيُّوب أو هو لدلالة ما قبل الآية وما بعدها عليه ، ونحوه قوله (فَنِعْمْ)

(١) هو لمساور بن هند العبسي في هجاء بني أسد وتكذيبهم في انتسابهم إلى قريش ، والإلف مصدر - أَلَفَ - والإلف مصدر - أَلَفَ - يريد بذلك ألف قريش رحلتى الشتاء والصيف إلى اليمن والشام ، ويجوز أن يكون الفصل لدفع إتهام العطف على قوله - أن إخوانكم قريش - فيكون لشبه كمال الاقتران . هذا وقد يدخل على الاستئناف لام التعليل أو فائده ، كقول أبي تمام :
لا تُسْكَرَى عَطْلُ الكَرِيمِ مِنَ الْغَنَى فَالسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمَسْكِينِ الْعَالِي
وقد تأتى الواو في ذلك بدل الفاء واللام فتكون للاستئناف لا للعطف ، كقول الشاعر :

أرى بصرى عن كسلٍ يومٍ وليلةٍ يكلُّ وخطوى عن مدى الخطو يقصر
ومن يصحب الأيام تسعين حجةً يغيرُّه والدهر لا يتغير
وقيل : إن الواو في هذا للعطف على محذوف مفعول عما قبله كأنه قيل : من يقاسى أهوالى يكن حاله كحالى ومن يصحب الأيام الخ ، والاستئناف من غير أداة أدق وأبلغ من الاستئناف بها واوٌ كانت أو لا ما أو فاء ، لأنه يؤدى معناها من غير ذكرها . ويشير إلى السؤال المقدر مثلها ،

(٢) لوجود قرينة تدل عليه ، لأنه لا بد في كل حذف من قرينة

المَاهِدُونَ^(١) (أى نحن^(٢))

الوصل لدفع الإيهام : وإن لم يكن بين الجملتين شئ من الأحوال الأربع
تعين الوصل : إما لدفع إيهام خلاف المقصود^(٣) كقول البلغاء - لا ،
وأيدك الله^(٤) وهذا عكس الفصل للقطع^(٥) .

الوصل للتوسط بين الكمالين : وإما للتوسط بين حالتى كمال الانقطاع
وكمال الاتصال ، وهو ضربان :

أحدهما أن يتفقا خبراً أو إنشأ^(٦) لفظاً ومعنى ، كقواه^(٧) تعالى (إن
الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ) وقوله (يُخْرِجُ الْحَيَّ
مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ)^(٨) وقوله (يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ
خَادِعُهُمْ)^(٩) وقوله تعالى (وَكُلُّوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا)^(١٠)
والثاني أن يتفقا كذلك معنى لا لفظاً ، كقوله^(١١) تعالى (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ

(١) - (١) - ي - ٤٨ - س - ٥١

(٢) تقديره - هم نحن - على ما سبق

(٣) الوصل في ذلك يجب بلاغة لا نحواً ، وهو إنما يكون في كمال الانقطاع
بين الجملتين عند إيهام الفصل فيه خلاف المقصود ، وقيل : إنه يأتي في كمال الاتصال
أيضاً عند ذلك الإيهام ، كما تقول لمن سألك : هل تشرب خمرًا ؟ - لا ، وتركت شربه -
وقيل : إنه يتعين الفصل في مثل هذا ويدفع الإيهام فيه بطريق آخر . فيقال مثلاً
- لا قد تركت شربه - أو يسكت قليلاً بعد - لا

(٤) أى ليس الأمر كذلك وأيدك الله ، وقد اختلف في هذه الواو ، فقيل :
لأنها عاطفة . وقيل : إنها زائدة ، وقيل : لأنها استئنافية .

(٥) لأن هذه الصورة من الوصل تقابل ما اشترط في الفصل لكمال الانقطاع
من عدم تأديته إلى إيهام خلاف المقصود .

(٦) أى مع وجود الجامع الآتى ، وهو شرط في الضرب الثاني أيضاً ، لأن
هذه الصورة من الوصل بضربها تقابل صورة الفصل في كمال الانقطاع لعدم
وجود الجامع .

(٧) - (٧) - ي - ١٣ ، ١٤ - س - ٨٢

(٨) - (٨) - ي - ٣١ - س - ١٠ (٩) - (٩) - ي - ١٤٢ - س - ٤

(١٠) - (١٠) - ي - ٣١ - س - ٧ (١١) - (١١) - ي - ٨٣ - س - ٢

بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا (عطف قوله (وقولوا) على قوله (لا تعبدون))
لأنه بمعنى لا تعبدوا ، وأما قوله (وبالوالدين إحساناً) فتقديره إما وتحسنون
بمعنى — وأحسنوا ، وإما وأحسنوا^(١) وهذا^(٢) أبلغ من صريح الأمر والنهي ،
لأنه كأنه سورع إلى الامتثال والالتفاء فهو يخبر عنه ، وأما قوله^(٣) تعالى في
سورة البقرة (وبشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا) فقال الزَّخَّشَرِيُّ فيه : فإن قلت : علامَ
عُطِفَ هذا الأمر ولم يسبق أمر ولا نهى يصح عطفه عليه^(٤) قلت : المراد
ليس الذي اعتمد بالعطف هو الأمر حتى يطلب له مشا كل من أمر أو نهى
يعطف عليه ، إنما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين ، فهي
معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين^(٥) كما تقول — زيد يعاقب بالقيـد
والإرهاق ، وبشَّرْ عمرأ بالعفو والإطلاق — ولك أن تقول : هو معطوف
على (فائقوا) كما تقول — يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم ، وبشر يا فلان
بني أسد بإحسانى إليهم — هذا كلامه ، وفيه نظر لا يخفى على المتأمل^(٦) وقال

(١) على التقدير الأول يكون من الضرب الأول ، وعلى التقدير الثاني يكون
من الضرب الثاني .

(٢) أى صورة الخبر فى قوله (لا تعبدون) وفى تقدير — وتحسنون —
أبلغ من صريح النهى والأمر أى لا تعبدوا وأحسنوا .

(٣) — ى — ٢٥ — س — ٢

(٤) أى فى قوله قبله (فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا) فاتَّعَمُوا النارَ التى وقودها
الناسُ والحجارةُ أعدَّتْ للكافرين .

(٥) هذا هو ما يسمى عطف قصة على قصة أو عطف مضمون كلام على
مضمون كلام آخر ، فتعتبر فيه المناسبة بين القصتين ، ولا يمنع اختلافهما فى ذلك
من عطف إحداهما على الأخرى .

(٦) هذا النظر يرجع إلى تجويزه العطف على قوله (فائقوا) فى الآية قبلها ،
لأنه لا مناسبة بينهما لاختلاف المخاطب فى الأمرين ، ولأن الأمر الأول مقيد

أيضاً في قوله تعالى^(١) في سورة الصف (وبشّر المؤمنين) : إنه معطوف على (تؤمنون^(٢)) لأنه بمعنى آمنوا^(٣) وفيه أيضاً نظر ، لأن المخاطبين في (تؤمنون) هم المؤمنون ، وفي (بشر) هو النبي عليه السلام^(٤) ثم قوله (تؤمنون) بيان لما قبله^(٥) على سبيل الاستئناف . فكيف يصح عطف (بشر المؤمنين) عليه^(٦) وذهب السكاكي^(٧) إلى أنهما معطوفان على - قال - مراداً قبل (يأيها الناس^(٨)) و (يأيها الذين آمنوا^(٩)) لأن إرادة القول بواسطة انصباب الكلام إلى معناه غير عزيزة في القرآن ، وذكر صوراً كثيرة منها قوله^(١٠) تعالى (وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا) وقوله (وإذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا^(١١)) وقوله

بالشرط قبله فلا يصح عطف الثاني عليه لاقتضائه تقييده بما قيد به ، وقد أجيب عن الأول بأن اختلاف المخاطب لا يمنع التناسب لما فيه من التقابل ، وعن الثاني بأنه لا ضرر في تقييد الأمر الثاني بما قيد به الأول ، لأن الأول مقيد بعدم فعلهم ما أمروا به مما لا يمكنهم أن يفعلوه ، وهو الإتيان بسورة من مثل القرآن ، ولا ضرر في تقييد الأمر بالبشارة بذلك .

(١) - ي - ١٣ - س - ٦١

(٢) أى في الآية قبلها .

(٣) لهذا جزم قوله (يفغر) في الآية بعده في جوابه .

(٤) أجيب عن ذلك بما سبق من أن اختلاف المخاطب لا يمنع تناسب الجملتين .

(٥) هو قوله (يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من

عذاب أليم) - ي - ١٠ - س - ٦١

(٦) أجيب عن ذلك بأن مضمون قوله (وبشر المؤمنين) مما يصح الاستئناف به أيضاً عن ذلك .

(٧) ١٤١ - المفتاح .

(٨) - ي - ٢١ - س - ٢ (٩) - ي - ١٠ - س - ٦١

(١٠) - ي - ٥٧ - س - ٢ (١١) - ي - ٩٣ - س - ٢

(وإذ جعلنا البيتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا^(١) أَى وَقَلْنَا
أَوْ قَاتِلِينَ^(٢) وَالْأَقْرَبُ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ فِي الْآيَتَيْنِ مَعْطُوفًا عَلَى مُقَدَّرٍ يَدُلُّ
عَلَيْهِ مَا قَبْلَهُ ، وَهُوَ فِي الْآيَةِ الْأُولَى - فَأَنْذِرْ أَوْ نَحْوَهُ - أَى فَأَنْذِرْهُمْ وَبَشِّرِ
الَّذِينَ آمَنُوا ، وَفِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ - فَأَبَشِّرْ أَوْ نَحْوَهُ - أَى فَأَبَشِّرْ بِأَمْحَدٍ وَبَشِّرِ
الْمُؤْمِنِينَ ، وَهَذَا كَمَا قَدَّرَ الزُّمَّحَرِيُّ قَوْلَهُ^(٣) تَعَالَى (وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا)
مَعْطُوفًا عَلَى مُحَذَّرٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ (لَأَرْجَمَنَّكَ) أَى فَاحْذَرْنِي وَاهْجُرْنِي ،
لَأَنَّ (لَأَرْجَمَنَّكَ) تَهْدِيدٌ وَتَقْرِيعٌ .

الجامع بين الجملتين وأقسامه : والجامع بين الجملتين ، يجب أن يكون
باعتبار المسند إليه في هذه والمسند إليه في هذه ، وباعتبار المسند في هذه
والمسند في هذه جميعاً^(٤) كقولك - يشعر زيد ويكتب ، ويعطى ويمنع -
وقولك - زيد شاعر ، وعمرو كاتب ، وزيد طويل ، وعمرو قصير - إذا كان
بينهما مناسبة كأن يكونا أخوين أو نظيرين ، بخلاف قولنا - زيد شاعر ،
وعمرó كاتب - إذا لم يكن بينهما مناسبة ، وقولنا - زيد شاعر ، وعمرو
طويل - كان بينهما مناسبة أو لا ، وعليه قوله^(٥) تَعَالَى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

(١) - ي - ١٢٥ - س - ٢

(٢) (المقول (كلوا) وخذوا) واتخذوا) في الآيات الثلاث ،

(٣) - ي - ٤٦ - س - ١٩

(٤) (ظاهر هذا أنه لا يجب أن يكون باعتبار مملقاتهما وقيل : إنه يعتبر ذلك
فيهما أيضاً : والحق أنه لا يعتبر فيهما إلا إذا كانت المتعلقة مقصودة بالذات
من الجملتين ، كقوله تعالى - ي - ٤١ - س - ٤٠ (ويا قوم مآلى أدعوكم إلى
النَّجَاةِ وَتَدْعُونََنى إِلَى النَّارِ) .

وقول الشاعر :

ظل يسعى إلى المعالى بجهدٍ والعلا لا ينال إلا بكسرٍ

وقول الآخر :

أريد حياته ويريد قتلى عذيرك من خليلك من مرادٍ

(٥) - ي - ٦ - س - ٢

سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تُنذِرْهم لا يؤمنون (قطع عما قبله
لأنه كلام في شأن الذين كفروا ، وما قبله كلام في شأن القرآن (١) .

وأما ما يشعر به ظاهر كلام السكاكي (٢) في موضع من كتابه انه يكفي أن
يكون الجامع باعتبار المُخْبِر عنه أو الخبر أوقيد من قيودهما فإنه منقوض
بما مر (٣) وبنحو قولك - هزم الأمير الجند يوم الجمعة ، وخاط زيد ثوبى
فيه (٤) ولعله سهو ، فإنه صرح في موضع آخر منه (٥) بامتناع عطف قول
القائل - خفي ضيق - على قوله - خاتمي ضيق - مع اتحادهما
في الخبر (٦) .

(١) هو قوله (الم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) الآيات
إلى هذه الآية .

(٢) ١٣٧ - المفتاح .

(٣) من الأمثلة التي امتنع فيها الوصل مع وجود الجامع في الخبر عنه أو
الخبر ، وإنما احتج بها مع أنها ليست من كلام من يحتج به من البلغاء لأنها محل اتفاق
(٤) فالوصل ممتنع فيه أيضاً مع الاتحاد في القيد

(٥) ١٤٧ - المفتاح .

(٦) قيل : إنه لاسهو من السكاكي في ذلك ، لأن الظاهر من كلامه وكلام غيره
أن الجامع يكفي فيه التناسب بين الجملتين لا غير ، وهذا التناسب له سبب وله مظنة ،
فسببه اجتماع الجملتين في القوة المفكرة بطريق العقل أو الوهم أو الخيال على ما يأتي ،
ومظنته حصول الاتحاد بين الطرفين حقيقة أو بتأويل قريب أو بعيد ، ولكن
المظنة غير ملازمة للظنون ، فقد يحصل التناسب مع الاتحاد في الطرفين ، كقولك
- زيد يعطى ويمنع - وقد يحصل مع الاتحاد في أحدهما دون الآخر ، كمن
يذكر في مجلسه الحركة والبياض فنقول له - الحركة عرض نقلة ، والبياض لون
مفرق للبصر - فالتناسب وجود ولم يحصل إلا باتحاد المستند اليه في الجامع الخيالي ،
وقد يحصل الاتحاد في الطرفين ولا يحصل التناسب ، كقولك - انظر إلى علم زيد ،

ثم قال^(١) الجامع بين الشئيين عقليٌّ ووهميٌّ وخياليٌّ :
أما العقليُّ^(٢) فهو أن يكون بينهما اتحاد في التصور^(٣) أو تماثل^(٤) فإن
العقل بتجريده المثلين عن التشخيص في الخارج يرفع التعدد بينهما ، أو تضائف

وانظر إلى هذا القطع في ثوبك — وإنما منع السكاكي نحو — خاتمي ضيق ، وخفي
ضيق — حيث لم يجتمع بينهما ذكر في مجلس أو نحو ذلك كما صرح به ، وما يؤيد
ذلك قوله تعالى — ٨٨ — س — ١٢ — (مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مبجلة)
فالمسندان المس والمجبي ، والمسند إليه فيهما الضر وإخوة يوسف وهما مختلفان
لا يتحدان في شيء ، ومع هذا حصل الوصل بوجود التناسب بين المسندين لأن
المس سبب في المجبي .

وقد ذهب السيد إلى أن مجرد الاتحاد أو التناسب في الغرض الذي تصاغ له
الجملة يكفي في صحة الوصل ولو لم يتحد الطرفان ، وهذا كما يأخذ شخص في ذكر
ما وقع في يوم من الأفعال فيقول — انطلق زيد ، وطاب الطعام ، وصليت الظهر الخ —
وإني أرى أن هذا يصح نحواً لا بلاغة ، لأنه في تأويل — حصل كذا وكذا — على
معنى واو العطف لا واو الوصل ، لأن واو الوصل لا يؤتى بهما مثل هذا ، وإنما يؤتى
بها لدفع الإيهام أو للدلالة على التناسب البلاغي بين الجملتين ، والاتحاد في الغرض
الذي تصاغ له الجملة لا يكفي في الوصل ، لأنه يجب في حال الفصل أيضاً كما سبق
(١) ١٣٧ — المفتاح .

(٢) ضابطه أن يكون الجمع بين الشئيين فيه حقيقياً . بأن يكون في الواقع
ونفس الأمر .

(٣) بأن يكونا شيئاً واحداً حقيقة بالشخص والنوع ، كقول الشاعر :
سافر تجد عوصاً عن تفارقه وانصب فإن لذيد العيش في التصب
(٤) بأن يتفقا في الحقيقة ويختلفا بالشخص مع اشتراكهما في وصف له
نوع اختصاص بهما من صداقة أو نحوها ، كما سبق في نحو — زيد شاعر ، وعمرو
كاتب — وكتنازل المسند في قول الشاعر :

فيبيكي إن نأوا شوقاً إليهم ويبكي إن دنوا خوف الفراق

كما بين العلة والمعلول ، والسبب والمسبب ، والسفل والعلو ، والأقل والأكثر ، فإن العقل يأتي ألاّ يجتمعا في الذهن^(١).

وأما الوهمي^(٢) فهو أن يكون بين تصوريهما شبه تماثل ، كلون بياض ولون صفرة ، فإن الوهم يبرزهما في معرض المثلين^(٣) ولذلك حسن الجمع بين الثلاثة التي في قوله :

ثلاثة^(٤) تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر^(٥) ، أو تضاد^(٥) كالسواد والبياض ، والهمس والجهازة ، والطيب والنس ، والحلاوة والحموضة ، والملاسة والخشونة . وكالتحرك والسكون ، والقيام والقعود ، والذهاب والحجى ، والإقرار والإنكار ، والإيمان والكفر . وكلتصفات بذلك كالأسود والأبيض ، والمؤمن والكافر . أو شبه تضاد^(٦) كالسما والأرض ،

(١) فالمراد بالتضاد أن يكونا بحيث لا يمكن تعقل كل منهما من غير الآخر ، كما بين المبادرة إلى الفرصة والنهوض في قول الشاعر :

بادر إلى الفرصة وانض راساً تريد فيها فحى لا تلبث
(٢) ضابطه أن يكون الجمع بين الشئيين فيه اعتباريا غير محسوس بإحدى
من الظاهرة .

(٣) أما العقل فيدرك أنهما نوعان متباينان داخلان في جنس اللون لبياض والسواد .

(٤) سبق هذا البيت في الكلام على تقديم المسند في الجزء الأول . والبيت في عطف المفردات وقد سبق أنه ليس من الوصل في رأى الجمهور ، وإنما هو من مراعاة النظر ، والثلاثة بينها تماثل في الإشراق .

(٥) المراد به ما يشمل تقابل الضدين كالسواد والبياض ، وتقابل الإيجاب والسلب ، وتقابل العدم والملكة ، والجمع بين ذلك باعتبار الوهم أيضا ، أما العقل فيدرك كل متقابلين فيه من غير الآخر .

(٦) معطوف على — تضاد — والمراد بشبه التضاد تقابل الشئيين اللذين لا يتناهيان في ذاتهما ولكن يستلزم كل منهما معنى يناق ما يستلزمه الآخر ، ومن الوصل للجامع الوهمي قوله تعالى — ي — ٨٢ — س — ٩ — (فليضحكوا قليلا وليبكوا)

والسهل والجبل، والأول والثاني. فإن الوهم ينزل المتضادين والشبهين بهما منزلة المتضايفين فيجمع بينهما في الذهن، ولذلك تجد الضد أقرب خطورا بالبال مع الضد.

والخيالى^(١) أن يكون بين تصوريهما تقارن في الخيال سابق^(٢) وأسبابه مختلفة، ولذلك اختلفت الصور الثابتة في الخيالات ترتبا ووضوحا، فكم صور تتعاقب في خيال وهى في آخر لا تتراعى، وكم صورة لا تكاد تلوح في خيال وهى في غيره نار على علم.

كما يحكى أن صاحب سلاح مذك وصانعا وصاحب بقر ومعلم صبية سافروا ذات يوم، وواصلوا سير النهار بسير الليل، فبينما هم في وحشة الظلام ومقاساة خوف التخبط والضلال طلع عليهم البدر بنوره، فأفاض كل منهم في الثناء عليه، وشبهه بأفضل ما في خزائنه صورته، فشبهه السلاحى بالثرس المذهب يرفع عند الملك، والصانع بالسيك من الإبريز تفتر عن وجهها البوثة، والبقار بالجن الأبيض يخرج من قالبه طريا، والمعلم برغيف أحمر يصل إليه من بيت ذى مروة.

وكما يحكى عن ورأق يصف حاله: عيشى أضيق من مخبرة، وجسمى أدق من مسطرة، وجاهى أرق من الزجاج، وحظى أخفى من شق القلم، وبدنى أضعف من قصبة، وطعمى أمر من العفص، وشرابى أشد سوادا من الخبر، وسوء الحال لى ألزم من الصمغ.

ولصاحب علم المعانى^(٣) فضل احتياج إلى التنبيه لأنواع الجامع لا سيما الخيالى، فإن جمعه على مجرى الإلف والعادة بحسب ما تنعقد الأسباب فى

كثيراً (وقوله - ي - ١٣، ١٤ - س - ٨٢ -) (إن الأبرار لى نعيم، وإن الفجار لى جحيم) وقول الشاعر:

إذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة ولا تك بالترداد للرأى مفسدا

(١) ضابطه أن يكون الجمع بين الشئين فيه اعتباريا مستندا إلى إحدى

الحواس الظاهرة. (٢) أى على الوصل، فيأتى الوصل باعتباره.

(٣) هذا أيضا من كلام السكاكى.

ذلك ، كالجمع بين الإبل والسماء والجبال والأرض في قوله (١) تعالى (أفلا
يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ، وَإِلَى
الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ، وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) بالنسبة إلى أهل الوبر ،
فإنَّ جُلَّ انتفاعهم في معاشهم من الإبل ، فتكون عنايتهم مصروفة إليها ،
وانتفاعهم منها لا يحصل إلا بأن ترعى وتشرب وذلك بنزول المطر ، فيكثر
تقلب وجوههم في السماء ، ثم لا بد لهم من مأوى يؤويهم وحصن يتحصنون
به ، ولا شيء لهم في ذلك كالجبال ، ثم لا غنى لهم لتعذر طول مكثهم في منزل
عن التنقل من أرض إلى سواها . فإذا فتش البدوى في خياله وجد صور
هذه الأشياء حاضرة فيه على الترتيب المذكور ، بخلاف الحضري ، فإذا تلا
قبل الوقوف على ما ذكرنا ظن النسق لجهله معيباً (٢) .

محسنات الوصل : ومن محسنات الوصل (٣) تناسب الجملتين في الاسمية
والفعلية ، وفي المضي والمضارعة (٤) إلا لما منع ، كما إذا أريد بإحداهما التجدد

(١) - ي - ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، س - ٨٨

(٢) من الوصل للجامع الخيالي قول الأراجاني :

فبتة من وصلك في لذة	حتى جلا الصبح محبة
والنجم قد أطبق أجفانه	والنوم قد أطلق أسراه
والليل سيف الفجر في فرقه	يقتله والديك ينعاه

وقول الشاعر :

أعز مكان في الدنيا سرج ساج وخير جليس في الزمان كتاب

(٣) حسن الوصل في ذلك لا ينافي أنه واجب بلاغة عند اقتضاء الحال له ،
فإنه إذا كان المقام للشبوت في الجملتين وجب تناسبهما في الاسمية ، وإذا كان للتجدد
وجب تناسبهما في الفعلية . لأن ما يجب بلاغة يستند أكثره إلى التحسين ، ولهذا
كان كل ماوجب لفظة وجب بلاغة من غير عكس ، وقيل : إن ذلك من الحسن
البدعي ، لأن محله عند قصد النسبة في الجملتين في ضمن أي خصوصية كانت ،
فيكون التناسب جائزاً لا واجباً .

(٤) من تناسبهما في الاسمية قول الشاعر :

وبالأخرى الثبوت ، كما إذا كان زيد وعمرو قاعدين ثم قام زيد دون عمرو
وقلت — قام زيد ، وعمرو قاعد — كما سبق^(١) .

فروق الجملة الحالية : وما يتصل بهذا الباب القول في الجملة إذا وقعت
حالا منتقلة^(٢) فإنها تجيء تارة بالواو ، وتارة بغير الواو^(٣) فنقول :

أسود إذا ما أبدت الحربُ نابها وفي سائر الدهر الغيوث المواطرُ
ومن تناسبهما في المضى قول الشاعر :

أعطيتَ حتى تركت الريح حاسرة وجُدتَ حتى كأن الغيث لم يجُدد
ومن تناسبهما في المضارعة قول الشاعر :

نروح ونغدو لحاجاتنا وحاجة من عاش لا تنقضي

(١) في الكلام على اسمية الجملة وفعليتها في باب المسند ، ومن ذلك قوله تعالى
ي-١٧٨-س-٣ (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير) لأنفسهم إنما نملى
لهم ليندادوا إثمًا ولهم عذاب مهين) وقوله ي-٨٧-س-٢ (ففريقاً كذبتم
وفريقاً تقتلون) .

ومن محسنات الوصل أيضاً التناسب في الإطلاق والتقييد ، والتناسب في الإطلاق
كثير ، أما التناسب في التقييد فممنه قول الشاعر :

دنوتَ تواضعاً وعلوت مجداً فضاءك انحدارٌ وارتفاعٌ
وقول آخر :

تنام عيني وعين الليل ساهرة وتستحيل وصبغ الليل لم يحل

(٢) يريد بها الحال المؤسسة ، وكان الواجب أن يقول مؤسسة بدل المنتقلة ،
لأن الحال تنقسم باعتبار إلى لازمة ومنتقلة ، كقولك — خلق الله الزرافة يديها
أطول من رجلها — و- جاء زيد يضحك — وباعتبار آخر إلى مؤسسة ومؤكدة ، كقولك
— جاء زيد راكباً — و- هو الحق لا ريب فيه — والحال المؤسسة هي التي أصلها أن
تكون بغير واو منتقلة كانت أو لازمة . والحال المؤكدة هي التي يمتنع الواو فيها .
(٣) ذكر بعض مؤلفي عصرنا أن الحال يجيء كذلك على مقتضى أحكامه

النحوية ، فلا يصح الاشتغال به في هذا العلم ، والحق أن ذلك قد يجري على مقتضى
مقامات يجب بها بلاغة مالا يجب نحوها . فكل جملة وقعت حالا ثم امتنعت من

أصل الحال المستقلة أن تكون بغير واو لوجوه :
الأول أن إعرابها ليس يتبع ^(١) وما ليس إعرابه يتبع لا يدخله الواو ،
وهذه وإن كانت تُسَمَّى واو الحال فإن أصلها العطف .

الثاني أن الحال في المعنى حكم على ذى الحال كالخبر بالنسبة إلى المبتدأ ،
إلا أن الفرق بينه وبينها أن الحكم به يحصل بالأصالة لا في ضمن شيء آخر ،
والحكم بها إنما يحصل في ضمن غيرها ، فإن الركوب مثلاً في قولنا — جاء
زيد راكباً — محكوم به على زيد لكن لا بالأصالة بل بالتبعية ، بأن وصل
بالجاء . وجُعِلَ قيداً له ، بخلافه في قولنا — زيد راكب .

الثالث أنها في الحقيقة وصف لذى الحال ، فلا يدخلها الواو كالنعت .
فثبت أن أصلها أن تكون بغير واو ، لكن خُولِفَ الأصل فيها إذا
كانت جملة ، لأنها بالنظر إليها من حيث هي جملة ^(٢) مستقلة بالإفادة ، فتحتاج
إلى ما يربطها بما جُعلت حالاً عنه ، وكل واحد من الضمير والواو صالح
لِلرَبْطِ ، والأصل الضمير ^(٣) بدليل الاختصار عليه في الحال المفردة
والخبر والنعت .

الواو فهذا كما ذكر عبد القاهر لأنك عمدت إلى الفعل الواقع في صدرها فضممته إلى
الفعل الأول في إثبات واحد ، كقولك — جاء في زيد يسرع — فهو بمنزلة قولك
— جاء في زيد مسرعاً — وهذا بخلاف كل جملة وقعت حالاً ثم اقتضت الواو ، فإنها
لا تكون إلا حيث تريد أن تستأنف بها خبراً ، ولا تقصد أن تضمها إلى الفعل
الأول في إثبات واحد ، وهذا إنما يكون عند قصد الاهتمام بها أو إزالة شك
أو إنكار أو نحو ذلك .

(١) يريد تبعية عطف النسق لأنها هي التي تقتضي الواو ، بخلاف تبعية
غيره كالنعت .

(٢) أى لا حال .

(٣) يعنى في نظر البلغاء ، فلا يعدل عنه إلا لنسكتة تدعو إلى زيادة ارتباط
الحال بصاحبها كقصد الاهتمام أو نحوه ، فيؤتى بها عند ذلك جملة مستقلة وتربط

وإذا تمهد هذا فنقول : الجملة التي تقع حالا ضربان : خالية عن ضمير
ما تقع حالا عنه وغير خالية :

أما الأولى فيجب أن تكون بالواو لثلاث تصير منقطعة عنه غير مرتبطة
به ، وكل جملة خالية عن ضمير ما يجوز أن يُنْتَصَبَ عنه حال يصح أن تقع
حالا عنه إذا كانت مع الواو إلا المُصَدَّرَةُ بالمضارع المُشَبَّهَت ، كقولك
— جاء زيد ويتكلم عمرو — على أن يكون — ويتكلم عمرو — حالا عن
زيد ، لما سيأتي أن ارتباط مثلها يجب أن يكون بالضمير وحده .

وأما الثانية فتارة يجب أن تكون بالواو ، وتارة يمتنع ذلك ، وتارة
يترجح أحدهما ، وتارة يستوى الأمران ، والواو غير مُنْصَافٍ للضمير في
إفادة الربط ^(١) فتعين التنبية على أسباب الاختلاف ، فنقول :

الجملة إن كانت فعلية والفعل مضارع مثبت امتنع الواو ، كقوله ^(٢) تعالى :
(وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) وقوله (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) ^(٣)
وقوله (وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ، الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى) ^(٤) لأن أصل
الحال المفردة أن تدل على حصول صفة غير ثابتة ^(٥) مقارنة لما مُجْعَلَات
قيداً له ^(٦) . والمضارع المثبت كذلك ، أما دلالاته على حصول صفة غير
ثابتة فلا أنه فعل مثبت ، والفعل المثبت يدل على التجدد وعدم الثبوت كما مر ^(٧)

بالواو وحدها أو مع الضمير ، أما النحاة فيستوى عندهم الحال المفردة والجملة
والربط بالضمير والواو .

- (١) لأنه يجوز الربط بهما معاً ، كقولك — جاء زيد وهو يضحك .
- (٢) — ي — ١١٠ — س — ٦ .
- (٣) — ي — ٦ — س — ٧٤ — برفع تستكثّر ، وقرئ بجزمه على أنه بدل
- (٤) — ي — ١٧ ، ١٨ — س — ٩٢ .
- (٥) هذا مبني على جعله أصل الكلام هنا في الحال المنتقلة ، والحق كما سبق
أنه في الحال المؤسسة منتقلة كانت أو لازمة .
- (٦) ما جعلت قيده هو العامل .
- (٧) في الكلام على أحوال المسند ، ودلالاته على الحصول بكونه مثبتاً ،

وأما دلالة على المقارنة فلكونه مضارعا ^(١) فوجب أن يكون بالضمير وحده كالحال المفردة ، ولهذا امتنع نحو - جاء زيد ويتكلم عمرو - كما مر ، وأما ما جاء من نحو قول بعض العرب - قت وأصك عينه أو وجهه - وقول عبد الله بن كهمص السلولي :

فَلَمَّا خَشِيتُ أَظَافِيرَهُمْ نَجَوْتُ مِنْ هَنَنْهُمْ مَا لَكَ ^(٢)

ف قيل : على حذف المبتدأ ، أي وأنا أصك عينه وأنا أرهنهم ، وقيل : الأول شاذ والثاني ضرورة ، وقال الشيخ عبد القاهر ^(٣) : ليست الواو فيهما للحال بل هي للعطف ، وأصك وأرهن بمعنى صككت ورهنت ، ولكن الغرض من إخراجهما على لفظ الحال أن يحكيما الحال في أحد الخبرين ويدعيا الآخر على أصله . كما في قوله :

وَلَقَدْ أَمَرْتُ عَلَى اللَّثِيمِ يَسْبُنِي فَضَيْتُ ثُمَّتَ قُلْتُ لَا يَعْنِينِي ^(٤)

وعلى التجدد بكونه فعلا ، والمراد بالتجدد حصوله بعد أن لم يكن كما سبق .

(١) لأن المضارع يدل على الحال فيدل على تلك المقارنة ، وقد رُدَّ هذا بأن تلك المقارنة معناها مقارنة الحال لزمان عاملها ماضيا كان أو حالا أو استقبالا . وهذا غير دلالة المضارع على الحال ، والحق أن هذه النسبة على طولها ومع ورود هذا عليها نسبة نحوية لا يوضح ذكرها في هذا العلم ، وقد سبقت نكتة ذلك بلاغة عن عبد القاهر من أنك لا تقول - جاءني زيد يسرع - إلا وأنت تريد أن تضم الفعلين في إثبات واحد ، ولا تُعْنَى بالحال كما تعني بها في قولك - جاءني زيد وهو يسرع - وهذا لا يمنع أن يكون أقوى في الإثبات من قولك - جاءني زيد مسرعا (٢) الأظافر جمع ظفر وهذا كناية عن خوفه من تمسكهم منه . وكان عبد الله بن زياد توعده فهرب منه إلى الشام ، ومالك هو عريفه الوارد في قوله بعد هذا البيت :

عريفاً مقبياً بدار الهوان أهون عليَّ به هالكا

(٣) ١٣٦ - دلائل الإعجاز .

(٤) سبق هذا البيت في الكلام على تعريف المستند إليه باللام في الجزء

الأول ، ومحل الشاهد هنا قوله - أمر - بالمضارع مع قوله - مضيت - بالماضي .

يبين ذلك أن الفاء قد نجى مكان الواو مثله ، كما في خبر عبد الله بن عتيك ، فإنه ذكر دخوله على أبي رافع اليهودي حصنه ، ثم قال : فانتبهت إليه فإذا هو في بيت مظلم لا أدرى أين هو من البيت ؟ قلت : أبا رافع ، قال : من هذا ؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه بالسيف وأنا دهش . فإن قوله - فأضربه - مضارع عطفه بالفاء على ماض لأنه في المعنى ماض .

وإن كان الفعل مضارعا منفيا فيجوز فيه الأمران من غير ترجيح ، لدلالته على المقارنة لكونه مضارعا ، وعدم دلالة على الحصول لكونه منفيا^(١) أما بجيئه بالواو فكقراءة ابن ذكوان (فاسْتَقْرَبَها ولا تَقْبَعَانِ) بتخفيف النون^(٢) وقول بعض العرب : كنت ولا أخشى بالذئب ، وقول مسكين الدريعي :

أَكْسَبَتْهُ الْوَرَقُ الْبَيْضُ أَبَا ولقد كان ولا يُدْعَى لَاب^(٣)
وقول مالك بن ربيع وكان قد جنى جناية فطلبه مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ :
بَغَانِي مُصْعَبٌ وَبَنُو أَبِيهِ فَأَيْنَ أَحِيدُ عَنْهُمْ لَا أَحِيدُ

(١) هذه النكتة ضعيفة أيضا كنكتة المضارع المثبت ، والحق أن المضارع المنفي كالمضارع المثبت في امتناع دخول الواو كما هو مذهب جمهور النحاة ، وقد خالفهم الزمخشري في ذلك ، والجمهور يؤولون ما ورد بالواو من المنفي كتأويل المثبت ، وإذا جرينا على مذهب الزمخشري فنكتته أن حرف النفي أبعد عن الدخول مع الفعل الأول في إثبات واحد .

(٢) - ٥ - ٨٨ - س - ١٠ - أما بتشديدها فهو نهى معطوف على ما قبله ، والحق أن الواو مع التخفيف للعطف أيضا ، لأنه نفى في معنى النهي ، ولا يصح أن تكون للحال لأنها تكون حالا مؤكدة ، وقد سبق أنها لا يصح دخول الواو عليها (٣) الورق المال من الدراهم ويجمع على أوراق ، وقد وصف بالجمع في البيت كما يقال - الدرهم البيض - لتعددده في المعنى . يعني أنه أكسبه نسبا معروفا بعد أن كان مجهولا

أَقَادُوا مِنْ دَمِي وَتَوَعَّدُونِي وَكُنْتُ وَمَا يُسْتَهْنِئُنِي الْوَعِيدُ^(١)
وَأَمَّا بَحِيئُهُ بَغِيرِ وَأَوْ فَكَقَوْلُهُ^(٢) تَعَالَى (وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ)
وَقَوْلِ عِكْرِمَةَ الْعَبْسِي:

مَضَوْا لَا يَرِيدُونَ الرُّوحَ وَغَالَهُمْ مِنْ الدَّهْرِ أَسْبَابُ ثَجَرَيْنِ عَلَى قَدَرٍ^(٣)
وَقَوْلِ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ:

لَوْ أَنَّ قَوْمًا لَارْتِفَاعِ قَبِيلَةٍ دَخَلُوا السَّمَاءَ دَخَلَتْهَا لَا أَحْجَبُ^(٤)
وَقَوْلِ الْأَعَشَى:

أَتَيْنَا إِصْبَهَانَ فَهَزَلْتَنَا وَكُنَّا قَبْلَ ذَلِكَ فِي نَعِيمٍ
وَكُنْ سَفَاهَةً مَنِي وَجْهًا مَسِيرِي لَا أَسِيرُ إِلَى حَمِيمٍ^(٥)
وَأِنْ كَانَ مَاضِيًا لِقَظًا أَوْ مَعْنَى فَكَذَلِكَ بِجُوزِ الْأَمْرَانِ مِنْ غَيْرِ تَرْجِيحٍ ،
أَمَّا بَحِيئُهُ بِالْوَاوِ فَكَقَوْلُهُ^(٦) تَعَالَى (أَنْتَ يَكُونُ لِي غَلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي
السَّكِبَرُ) وَقَوْلُهُ^(٧) تَعَالَى (أَنْتَ يَكُونُ لِي غَلَامٌ وَكَانَتْ أَمْرًا أَتَى
عَاقِرًا) وَقَوْلِ أَمْرِءِ الْقَيْسِ:

(١) قوله — أحيده — بمعنى أنتحي وأنجو منهم ، وقوله — أقادوا من
دمي — بمعنى قتلوا بدل قتلهم . وقوله — ينهني — بمعنى يزجرني ، والشاهد
في قوله — وما ينهني الوعيد (٢) — ي — ٨٤ — س — ٥

(٣) الروح الرجوع آخر النهار والمراد به هنا مطلق الرجوع ، وقوله
— غالهم — بمعنى أهلكهم ، والقدر مصدر قسدرته قدرا بمعنى قسدرته تقديرًا ،
أي جرّين على أسباب مقدرة ، والشاهد في قوله — لا يريدون الروح .
(٤) قوله — لارتفاع قبيلة — تعليل لقوله — دخلوا السماء — والشاهد في قوله
— دخلتها لا أحجب

(٥) هما الأعشى وهذيان ، وكان قد صحب عبّاد بن ورقاء إلى إصبهان فلم يحمد
صحبته ، وقوله — هزلتنا — بمعنى أضعفتنا ، والحميم الصديق ، والشاهد في قوله
— لا أسير إلى حميم — وهو حال من ياء المتكلم .

(٦) ي — ٤٠ — س — ٣ (٧) ي — ٨ — س — ١٩

أَيَقْتَلْنِي وَقَدْ شَعَفْتُ فُؤَادَهَا

كَمَا شَعَفَ الْمُهَنْوَةُ الرَّجُلُ الطَّالِي^(١)

وقوله :

فَجُتُّ وَقَدْ نَضَّتْ لِنَوْمٍ ثِيَابَهَا لَدَى السَّتْرِ إِلَّا لِبِئْسَةِ الْمُتَفَضِّلِ^(٢)

وقوله تعالى^(٣) (قَالَ وَحْيَ إِلَى وَلِمَ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ) وقوله

(أَنَسَى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ^(٤)) وقول كعب :

لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ أَذْنُبْ وَإِنْ كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلِ^(٥)

وقوله^(٦) تعالى (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ

مِثْلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ) وقول الشاعر :

بَانَتْ قَطَامٌ وَلَمَّا يَحْظُ ذُو مَقَّةٍ مِنْهَا بَوَصْلٌ وَلَا إِنْجَازٌ مِيعَادِ^(٧)

وأما مجيئه بلا واو فكقوله^(٨) تعالى (أَوْ جَاؤُوكُمْ حَصْرَتْ

صُدُورُهُمْ) . وقول الشاعر :

(١) قوله — شعفت فؤادها — بمعنى غلب جهاها على قلبها وخاطله ،

وشعفة القلب رأسه ، والمهنوة المطلية بالقطران وشعفها بمعنى طلائها ، والمعنى أن جهاها له بلغ ما يبلغ القطران من الناقة المهنوة ، فإنه يسرى في جسمها حتى يوجد طامه في لحمها ، والشاهد في قوله — وقد شعفت .

(٢) هو لامرئ القيس أيضاً ، وقوله — نضت — بمعنى نزعت ، والمتفضل الذي

يبقى في ثوب واحد لينام أو يعمل عملاً ، والشاهد في قوله — وقد نضت

(٣) ي — ٩٣ — س — ٦ — وهذه الآية وما بعدها من أمثلة الماضي معنى ،

وهو المضارع المنفي بلم ولما

(٤) ي — ٢٠ — س — ١٩

(٥) هو لكعب بن زهير ، والوشاة جمع واش وهو النمام ، والأقاول جمع

أقوال وهى جمع قول ، والشاهد في قوله — ولم أذنب وإن كثرت

(٦) ي — ٢١٤ — س — ٢

(٧) لا يعرف قائله ، وقطام اسم محبوبته ، والمقة مصدر — ومقة — يمتد ومقما

ومقة — بمعنى أحبه ، والشاهد في قوله ، ولما يحظ (٨) ي — ٩٠ — س ٤

وإني لتعروني لذكركِ هزةً^(١) كما انتفض العصفورُ بِلَّلهِ القطرُ^(٢)
وقوله :

أتيناكمُ قد عمَّكمُ حذرُ العدى فلتم بنا أماناً ولم تعدموا نصراً^(٣)
وقوله :

متى أرى الصبح قد لاحت مخايِلُهُ والليل قد مُزَّقت عنه السراييل^(٤)
وكقوله^(٥) تعالى (فَأَنْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِنْ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسِئْهُمْ سُوءٌ) وقوله (وَرَدَّ اللَّهُ الدِّينَ كَفَّسَرُوا بَغْيَظْهُمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرَ)^(٦) وقول امرئ القيس :

فأدرك لم يجهد ولم يثن شأوه^(٧)

وقول زهير :

كَأَنَّ فُتَاتَ الْعَيْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ نَزَلْنَ بِهِ حُبُّ الْفَنَاءِ لَمْ يُحِطَّسْ^(٨)

(١) هو لأبي صخر الهذلي ، والهزة بكسر الهمزة اسم الهيمة من — هز —
والشاهد في قوله — بلله القطر

(٢) لا يعرف قائله ، والحذر الخوف وإضافته إلى العدى من إضافة المصدر
إلى المفعول ، والعدى الأعداء ، والشاهد في قوله — قد عمكم

(٣) هو لحندج بن حنشدج الماري ، ومخايل الصبح طلائعه ، والسراييل جمع
سربال وهو القميص استعيرت اظلام الليل ، والشاهد في قوله — قد لاحت ،
وقد مزقت .

(٤) ي-١٧٤-س-٣ (٥) ي-٢٥-س-٢٣

(٦) هو من قوله :

فأدرك لم يجهد ولم يثن شأوه^(٩) يمر كخذروف الوليد المثقَّب
يصف بذلك فرسه ، والشأ والطلق ، والخذروف الدوارة التي يلعب بها الصبي ،
والمعنى أنه يدرك طريقته بغير مشقة في أول شأوه ، والشاهد في قوله — لم يجهد
(٧) الفتات اسم لما انفت وتقطع من الشيء ، والعين الصوف المصبوغ .
والفنا عنب الثعلب ، شبه فتات الصوف المصبوغ الذي زيننت به الحوادج بحب الفنا

والسبب في أن جاز الأمران فيه إذا كان مثبتا دلالة على حصول صفة غير ثابتة لكونه فعلا ، وعدم دلالة على المقارنة لكونه ماضيا^(١) ولهذا اشتُرط أن يكون مع — قد — ظاهرة أو مقدرة حتى تقر به إلى الحال فيصح وقوعه حالا ، وظاهر هذا يقتضي وجوب الواو في المنفى لانتفاء المعنيين^(٢) لكنه لم يجب فيه بل كان مثله ، أما النفي بلمّا فلأنها للاستغراق^(٣) وأما المنفى بغيرها فإنه لما دل على انتفاء متقدم^(٤) وكان الأصل استمرار ذلك^(٥) حصلت الدلالة على المقارنة عند إطلاقه^(٦) بخلاف المثبت فإن وضع الفعل على إفادة التجدد^(٧) وتحقيق هذا أن استمرار العدم لا يقتقر إلى سبب بخلاف استمرار الوجود كما بُين في غير هذا العلم^(٨) .

في حرته قبل تحطيمه ، لأنه إذا حطم نزول حرته ، والشاهد في قوله — لم يحطم في حرته قبل تحطيمه ، لأنه إذا حطم نزول حرته ، والشاهد في قوله — لم يحطم (١) هذه النكتة ضعيفة كما سبق ، والحق أن دخول — قد — أو حرف النفي على الماضي أبعده عن دخوله مع الفعل الأول في إثبات واحد .

(٢) هما الدلالة على حصول صفة غير ثابتة والدلالة على المقارنة .

(٣) يعني به امتداد النفي من زمن الانتفاء إلى زمن التكلم .

(٤) أى على زمن التكلم .

(٥) أى استمرار الانتفاء .

(٦) بعدم ذكر قرينة تدل على الانقطاع ، كقولك — لم يضرب زيد أمس لكنه ضرب اليوم .

(٧) أى من غير أن يكون الأصل استمراره .

(٨) بيانه أن استمرار الوجود عبارة عن وجود عقيب وجود ، ولا بد للوجود الحادث من سبب ، أما استمرار العدم فهو عدم لا يحتاج إلى وجود سبب بل يكفيه مجرد انتفاء سبب الوجود ، ويكون الأصل فيه الاستمرار عند الإطلاق .

وإن كانت الجملة اسمية فالمشهور أنه يجوز فيها الأمران، وبحجى الواو أولى.
أما الأول^(١) فلعكس ما ذكرناه في المصدرة بالماضى المثبت^(٢) فحجى الواو
كقوله^(٣) تعالى (فلا تسجدوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) وقوله
(ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد^(٤)) .

وقول امرئ القيس :

أيقطننى والمشرقى مضاجعى ومسنونة زرق كأياب أغوال^(٥)
وقوله :

ليالى يدعونى الهوى فأجيبه وأعين من أهوى إلى روان^(٦)
والخلو منها كما رواه سيبويه — كلبته فوه الى فى ، ورجع عودَه على
بدنه — بالرفع^(٧) وما أنشده أبو على فى الأغفال :
ولولا جنان الليل ما آب عامر إلى جعفر سرباله لم يمزق^(٨)

(١) هو جواز الأمرين .

(٢) عكس ذلك هو أن الجملة الاسمية تدل على المقارنة لكونها مستمرة ،
ولا تدل على حصول صفة غير ثابتة لدالاتها على الدوام ، وقد سبق بيان ضعف
هذه النكتة .

(٣) ى — ٢٢ — س — ٢ (٤) ى — ١٨٧ — س — ٢

(٥) سبق هذا البيت فى الكلام على الاستفهام من الإنشاء فى هذا الجزء ،
والشاهد فى قوله — والمشرقى مضاجعى .

(٦) هو لامرئ القيس أيضاً ، والرواى جمع رانية وهن مديعات النظر ، والجار
والمحذور قبله متعلق به ، والشاهد فى قوله — وأعين من أهوى إلى روان
(٧) أما النصب وهو — فاه إلى فى ، وعودَه على بدنه — فيكون الحال فيه مفرد
لا جملة ، لأنه يكون كل من — فاه وعوده — هو الحال .

(٨) هو لسلامة بن جندل ، وحنان الليل ظلمته ، والسربال القميص وقد استعاره
لنفس عامر أو هو كناية ، يعنى أنه لو ظلمة الليل لقتل ، والشاهد فى قوله — سرباله
لم يمزق .

وقول الآخر :

ما بال عينك دمعها لا يرقأ^(١)

وقول الآخر :

ثم راحوا عبق المسك بهم^(٢)

وأما الثاني^(٣) فلعدم دلالة الاسمية على عدم الثبوت مع ظهور الاستئناف فيها لاستقلالها بالفائدة^(٤) فتحسن زيادة رابط ليتأكد الربط .
وقال الشيخ عيد القاهر^(٥) إن كان المبتدأ ضمير ذى الحال وجب الواو ، كقولك — جاء زيد وهو يسرع ، أو وهو مسرع — ولعل السبب فيه أن أصل الفائدة كان يحصل بدون هذا الضمير ، بأن يقال — جاء زيد يسرع أو مسرعاً — فالإتيان به يشعر بقصد الاستئناف المنافى للاتصال ، فلا يصلح لأن يستقل بإفادة الربط فتحجب الواو . وقال أيضاً : إن جعل نحو — على كتفه سيف —^(٦) بتقديم الظرف حالاً عن شيء ، كما فى قولنا — جاء زيد على كتفه سيف — كثر فيها أن تجىء بغير واو ، كقول بشار :

(١) لا يعلم قائله ، والبال الحال ، وقوله — لا يرقأ — مأخوذ من — رقا الدمع أو الدم — جفأ وانقطع ، والشاهد فى قوله — دمعها لا يرقأ ،

(٢) هو من قول طرفة بن العبد :

ثم راحوا عبق المسك بهم يُلحفون الأرض هُدَّاب الأزمُر
والعبق مصدر — عبق — بمعنى فاحت رائحته ، وهُدَّاب الأزمُر استرسل منها إلى الأرض فتكون لها كالحاف وغطاء ، والشاهد فى قوله — عبق المسك بهم (٣) هو كون بجىء الواو أولى .

(٤) المهم فى هذه النكتة هو ظهور قصد الاستئناف فى الجملة الاسمية ، أما دلالتها على الثبوت فلا شأن له فى ذلك كما سبق .

(٥) ١٣٣ - دلائل الإعجاز

(٦) نحوه كل جملة اسمية خبرها جار ومجرور متقدم

إذا أنكرتني بلدة^(١) أو نكرتها خرجت مع البازي على سواد^(٢)
يعنى — على بقية من الليل ، وقول أبى الصلت عبد الله الثقفى يمدح
ابن ذى يزن :
واشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقاً فى رأس غمدان دار أمنك محلاً^(٣)
وقول الآخر :

لقد صبرت للذل أعواد منبر تقوم عليها فى يدك قضيب^(٤)
ثم قال^(٥) والوجه أن يقدر الاسم فى الأمثلة مرتفعاً بالظرف ، فإنه جائز
باتفاق من صاحب الكتاب وأبى الحسن^(٥) لاعتماده على ما قبله^(٦) ثم اختار
أن يكون الظرف ههنا خاصة فى تقدير اسم فاعل ، وجوز أيضاً أن يكون
فى تقدير فعل ماض مع — قد — ومنع أن يكون فى تقدير فعل مضارع ،
ولعله إنما اختار تقديره باسم فاعل لرجوع الحال حينئذ إلى أصلها فى الأفراد ،

(١) قوله — أنكرتني أو نكرتها — بمعنى كرهتني أو كرهتها ، والبازي الباز
وهو ضرب من الصقور ، والشاهد فى قوله — على سواد — ولكن قد يقال : إن خروجه
مع الباز كناية عن تبكيه ، وعلى هذا تكون جملة — على سواد — حالا مؤكدة ، وقد
سبق أن أصل الكلام فى الحال المؤسسة

(٢) قيل : لأنه لامية بن أبى الصلت ، والأقرب أنه لايه ، والمرتقى الواقف الثابت
الدائم أو المتكى ، ودارا منصوب به على الظرفية ، وغمدان قصر بالين يشتمل على
دور وقصور تحلها ملوكه ، ومحلاً لا بمعنى كثير حلولها لكرم صاحبها ، والشاهد فى
قوله — عليك التاج — والخطاب لسيف بن ذى يزن ، وهو الذى أخرج الحبشة
من اليمن .

(٣) هو لابي وائلة بن خليفة السدوسي فى هجاء عبد الملك بن المهلب ، والقضيب
السيف أو الغصن المقطوع ، والشاهد فى قوله — فى يدك قضيب .

(٤) ١٤٤ — دلائل الإعجاز

(٥) صاحب الكتاب سيبويه ، وأبو الحسن هو سعيد بن مسعدة المعروف
بالأخفش الأوسط .

(٦) ما قبله هو صاحب الحال ، لأن الظرف يكون على هذا متعلقاً بمحذوف
منصوب على الحالية ، فيعتمد على صاحبه اعتماد الصفة على موصوفها .

ولهذا أكثر مجيئها بلا واو ، وإنما جوز التقدير بفعل ماض أيضاً لمجيئها بالواو قليلاً ، وإنما منع التقدير بفعل مضارع لأنه لو جاز التقدير به لامتنع مجيئها بالواو (١) .

ثم قال (٢) وربما يحسن مجيء الاسمى بلا واو لدخول حرف على المبتدأ ، كما في قوله :

فقلتُ عسى أن تبصرني كأنما بنى حوالى الأسود الحوار دُ (٣)
فإنه لو لا دخولى — كأن — عليه لم يحسن الكلام إلا بالواو ، كقولك — عسى أن تبصرني وبني حوالى الأسود .

ثم قال (٤) وشبه بهذا أن تقع حالا بعقب المفرد فيلطف مكانها (٥)
بخلاف ما لو أفردت (٦) كقول ابن الرومى :
والله يقيقك لنا سالماً برُداك تبجيلٌ وتعظيمٌ (٧)

(١) الحق أنه يجوز تقديره بالمضارع لأنه لا فرق بينه وبين المفرد في امتناع الواو .

(٢) ١٤٠ — دلائل الإعجاز .

(٣) هو للفرزدق يخاطب امرأة عدلته في اعتنائه ببيتته ، وقيل : إنه يقول ذلك لامرأته حين قالت له : ليس لك ولد ، وإن مت ورثك قومك . والحوارد الغضاب جمع حارد ، والشاهد في قوله — كأنما بنى حوالى الخ — وحوالى حال من — بنى

(٤) ١٤٠ — دلائل الإعجاز

(٥) أى مكان الاسمى بلا واو

(٦) يعنى لم تقع عقب مفرد

(٧) البرد في الأصل ثوب مخطّطٌ ، وقد نَسَّاه هنا باعتبار لفظ التبجيل والتعظيم وإن كان معناهما واحداً ، وهو يدعو للمدح أن يبقى سالماً مشتملاً عليه ذلك اشتغال البرد على لابسهِ ، والشاهد في قوله — سالماً برُداك تبجيلٌ وتعظيمٌ — لأن الأول حال مفرد ، والثاني جملة اسمية من غير واو لوقوعها عقبه . =

== هذا والحق أن طريقة عبد القاهر في الجملة الاسمية تنظر إليها من جهة البلاغة، أما تجويز الأمرين فيها على الإطلاق فهو مذهب علماء النحو، ومثل هذا لا يُعنى به هنا، وقد بنى عبد القاهر بحجج الواو وتركها في الجملة الاسمية على قصد الاستئناف وعدمه سبق في الجملة الفعلية، ولكن الأصل عنده في الجملة الاسمية أن تكون مبنية على قصد الاستئناف، وقد أوجب الواو فيها إذا كانت مبتدأة بضمير ذي الحال، لأنها يقصد منها الاستئناف دائماً، أما غيرها فيجوز أن تأتي على خلاف الأصل في الجملة الاسمية، فتكون في تأويل المفرد، نحو — كلمته فوه إلى في — وكل هذا يجري على ما يقتضيه حال المخاطب في الشك والإنكار وغيرهما.

تمرينات على الوصل والفصل

تمرين ١ —

- (١) لماذا فصل الشاعر بين الجملتين في قوله :
جزى الله الشدائد كلَّ خيرٍ عرفتُ بها عدوى من صديقي
(٢) لماذا وصل الشاعر بين الجملتين في قوله :
سافر تجدَّ عوضاً عن تفارقه وانصب فإن لذيد العيش في النصب

تمرين ٢ —

- (١) بين موضع الوصل والفصل في قوله تعالى - ي - ١ - ٢ - س -
١٠٨ - (إنا أعطيناك الكوثر، فصلٌ لربك وانحر).
(٢) بين الفصل لكالم الانقطاع ولشبه كمال الاتصال في قول الشاعر :
قال لي : كيف أنت قلت : عليلٌ سهرٌ دائمٌ وحزنٌ طويلٌ

تمرين ٣ —

- (١) بين سبب الفصل في موضعيه من قوله تعالى - ي - ٢ - س - ١٣ -
(يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ).
(٢) لآى جامع حصل الوصل في قول الشاعر :
ولست بهيَّاب لمن لا يهابني ولست أرى للمرء ما لا يرى ليا

تمرين ٤ —

- (١) لماذا فصل الشاعر بين الجملتين مع كونهما خبريتين في قوله :
الفقر فيما جاوز الكفا من اتقى الله رجاً وخافاً
(٢) مر أبو بكر رضى الله عنه برجل في يده ثوب فقال له : أتبيع
هذا ؟ فقال : لا يرحمك الله ، فقال له : لا تنقل هكذا ، وقل :
لا، ويرحمك الله. فأمره بزيادة - واو - بين لا، وقوله - يرحمك الله - ليكون

وصلا لا فصلا — فما هو السبب في أمر أنى بكر له بالوصل بين الجملتين ؟
وهل الوصل يجب في ذلك بلاغة أو نحوها ؟ وهل الجملة الثانية خبر أو إنشاء ؟

تمرين - ٥

(١) لماذا فصل بين الجملتين في قول الشاعر :

قم للبعثم وفته التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا

(٢) بين سبب الوصل والفصل في قوله تعالى - ي - ١١ ، ١٢ ، ١٣

- ص - ٧٣ - (واضرب على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا ،
وذرنى والمسكين أولي النعمة ومهلهم قليلا ، إن لدينا
أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصّة وعذابا أليما) .

تمرين - ٦

(١) بين مواضع الوصل للتناسب في الاسمية والفعلية ، ولم وصل مع

عدمه في قوله تعالى - س - ١١ - س - ٣٤ - (ولسليمان الريح غدوها شهر
ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين
يديه ياذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير) .
وبين لم فصل فيه الحال أيضا ؟

(٢) لماذا أتت الجملة الحالية من غير واو في قول الشاعر :

ألا ليت شعري هل أبيت ليلة بمكة حولى إذ خرّ وجليل

(٣) لماذا عطف — يذبحون — في قوله تعالى - ي - ٦ - س - ١٤ -

(وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون
يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم) ولم
يعطف في قوله تعالى - ي - ٤٩ - س - ٢ - (وإذ نجيناكم من آل
فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم)

القول في الإيجاز والإطناب والمساواة

تعريف السكاكي للإيجاز والإطناب والمساواة : قال السكاكي (١) أما الإيجاز والإطناب فليكونهما نسبتيين (٢) لا يتيسر الكلام فيهما إلا بترك التحقيق (٣) والبناء على شيء عرّف في (٤) ومثل جعل كل كلام الأوساط على مجزئ متعارفين في التأدية للبعاني فيما بينهم — ولا بد من الاعتراف بذلك (٥) مقيساً عليه (٦) ولنسمّه — متعارف الأوساط — وإنه في باب البلاغة لا يحمد منهم ولا يذم .

فالإيجاز هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط، والإطناب هو أدائه بأكثر من عباراته ، سواء كانت القلة أو الكثرة

(١) ١٥٠ - المفتاح

(٢) إنما كانا نسبتيين لأن إيجاز الكلام إنما هو بالنسبة إلى كلام أزيد منه ، وإطنابه إنما هو بالنسبة إلى كلام أنقص منه ، وكذلك المساواة نسبية أيضاً .

(٣) يعني بالتحقيق التعيين ، وإنما لم يتيسر الكلام فيهما إلا بتركه لأنه لما كان ذلك شأنهما لم يمكن تعيين مقدار من الكلام للإيجاز ومقدار منه للإطناب ، فربّ كلام موجز يكون مطنّباً بالنسبة إلى كلام آخر وبالعكس .

(٤) أي وإلا بالبناء على شيء عرّف وهو ما يعرفه أهل العرف في الجملة ، لأن هذا أقرب شيء يرجع إليه في مثل ذلك .

(٥) جملة معترضة ، أي ولا بد من الاعتراف بكلام الأوساط لأن أكثر الناس منهم ، وأوساط الناس هم الذين لم يصلوا إلى رتبة البلاغة ولم ينحطوا إلى حال الفهامة ، فيكون كلامهم صحيح الإعراب من غير مراعاة ما يقتضيه الحال في الكلام .

(٦) أما المقيس فهو الإيجاز والإطناب ، ولا شك أن قياسهما بذلك يعينهما في الجملة لانضباطه وقلة التفاوت فيه .

راجعة إلى الجمل أو إلى غير الجمل^(١) ثم قال^(٢) الاختصار لسكونه من الأمور النفسية يرجع في بيان دعواه^(٣) إلى ما سبق تارة ، وإلى كون المقام خليفاً بأبسط مما ذكر أخرى^(٤) وفيه نظر ، لأن كون الشيء نسبياً لا يقتضى ألاّ يتيسر الكلام فيه إلا بترك التحقيق والبناء على شيء عرّف^(٥) ثم البناء على متعارف الأوساط والبسط الذي يكون المقصود جديراً به ردت إلى جهالة^(٦) فكيف يصلح للتعريف .

(١) لم يذكر تعريف المساواة لأنها على ذلك تكون عبارة عن متعارف الأوساط ، وهو يرى أنه لافضيلة له لأنه لا يحمد ولا يذم ، فما يحصل من البليغ مساوياً له لا يكون بليغاً مثله لعدم اشتماله على نكتة يعتد بها ، وقيل: إن المساواة من البليغ تعد بليغة إذا اقتضاها المقام ، بأن يكون من يخاطبه من الأوساط ، والحق أنه لا يعتد بمثل ذلك كما سيأتي .

(٢) ١٥٦ — المفتاح .

(٣) أى مسماه ، مأخوذ من — دعاه بكذا — بمعنى سماه به .

(٤) هذا عندما يكون الكلام أقل مما يقتضيه المقام بحسب الظاهر ، كقوله تعالى — ي — ٤ — س — ١٩ — (ربّ إني وهنّ العظم مني واشتعل الرأس شيباً) فهو إيجاز بالقياس إلى ما يقتضيه ظاهر مقام اقراض الشيب من بسط الكلام فيه غاية البسط ، وليس بإيجاز بالقياس إلى متعارف الأوساط في ذلك ، وهو قولهم — يا ربّ شخت — بل هو إطناب بالقياس إليه ، وإنما اعتبر في ذلك أن يكون أقل مما يقتضيه المقام في الظاهر لأنه إذا كان أقل مما يقتضيه تحقيقاً لم يكن بليغاً .

(٥) يعني أن كونه كذلك لا يقتضى تعسر تحقيق معناه ، وأجيب عنه بأنه لا يريد بذلك تعسر بيان معنى الإيجاز والإطناب لأنه بينه بما سبق ، وإنما يريد تعسر تعيين أن هذا القدر إيجاز وذاك إطناب ، وبهذا وجب الرجوع في بيان معناهما إلى القياس على متعارف الأوساط .

(٦) أجيب عنه بأنه براد من متعارف الأوساط الكلام الذي تكون فيه

تعريف الخطيب : والأقرب أن يقال : المقبول من طرق التعبير عن المعنى هو تأدية أصل المراد^(١) بلفظ مساو له^(٢) أو ناقص عنه واف أو زائد عليه لفائدة ، والمراد بالمساواة أن يكون اللفظ بمقدار أصل المراد لاناقصاً عنه بحذف أو غيره ، كما سيأتى ، ولا زائداً عليه بنحو تكرير أو تميم أو اعتراض ، كما سيأتى .

الإخلال : وقولنا — واف — احتراز عن الإخلال ، وهو أن يكون اللفظ قاصراً عن أداء المعنى ، كقول عروة بن الورد :
عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم ومقتلهم عند الوغى كان أعذراً^(٣)

الألفاظ على قدر المعاني الأصلية مع صحة الإعراب وعدم مراعاة مقتضى الحال ، ومع هذا لا يكون البناء عليه رداً إلى جمالة ، أما المعنى الثانى للإيجاز وهو المبني على البسط المذكور فالظاهر أنه معنى مجازى له ، وليس معنى حقيقياً يراد به ضبط الإيجاز وتمييزه .

(١) إضافة أصل إلى المراد بيانية ، وأصل المراد هو المعنى الأول الذى يقصد المتكلم إفادته للخطاب ولا يتغير بتغير العبارات واعتبار الخصوصيات .

(٢) على هذا تكون المساواة داخلية فى المقبول من طرق التعبير عن المعنى ، وقد قيل : إن هذا يخالف ما سبق عن السكاكى من أنها لا تحمد ولا تدم ، والحق أنه لا خلاف بين السكاكى والخطيب فى ذلك ، لأن ما ذكره السكاكى هو أنها لا تحمد فى باب البلاغة ، وهذا لا يناقى قبولها من أوساط الناس ، ولهذا حكم فيما سبق بأنه لا بد من الاعتراف بكلام هؤلاء الأوساط ، والخطيب يعنى بالمقبول من طرق التعبير ما يشمل قبول هذا من الأوساط . ولا يريد به ما يقبل فى البلاغة فقط .

(٣) يعنى بقتلهم نفوسهم موتهم على فراشهم جنباً عن القتال ، والوغى الحرب ، وأفضل التفصيل فى قوله — أعذراً — ليس على بابه ، لأنه يريد نفي العذر عنهم فى قتلهم نفوسهم .

فإنه أراد - إذ يقتلون نفوسهم في السلم - وقول الخارث بن حِلْزَة :
والعيشُ خيرٌ في ظلالِ النُّوكِ من عاش كدًّا (١)
فإنه أراد - العيش الناعم في ظلال النوك خير من العيش الشاق في ظلال
العقل - فأخلَّ كما ترى .

التطويل والحشو : قولنا - لفائدة احتراز من شيئين :
أحدهما التطويل ، وهو ألاَّ يتعين الزائد في الكلام ، كقوله :
وألني قولها كذبا ومينا (٢)
فإن الكذب والمين واحد .

وثانيهما ما يشتمل على الحشو ، والحشو ما يتعين أنه الزائد ، وهو
ضربان :

أحدهما ما يفسد المعنى ، كقول أبي الطيب :
ولا فضلَ فيها للشجاعة والندى وصبرِ الفتى لولا لقاءَ شعوبِ (٣)

(١) النوك الحق . والكد مصدر - كدَّ - إذا اشتد في العمل .
ومن ذلك أيضاً قول الشاعر :

أعاذل عاجلُ ما أشتى أحبُّ من الأكثر الرِّيثُ
أراد - عاجل ما أشتى مع القلة أحب من الأكثر المبطى .

(٢) هو من قول عدى بن زيد أو عدى بن الأبرش :

وقد دت الأديم لراشنيه وألني قولها كذبا ومينا

وقوله - قد دت - بمعنى قطعت وضميره للزباء ملكة تدعى ، والأديم الجلد ،
والراشنان عرقان في باطن الذراع والضمير المضاف إليه لجذيمة الأبرش ملك الحيرة ،
وقد روى - كذبا مبيئاً - فلا يكون فيه تطويل ، وقيل : إنه لا تطويل في الرواية
الأولى ، لأن القصص منه التأكيد والمقام بقتضيه .

(٣) الندى الكرم ، وشعوب علم جلس للسمية وهي الموت . وقد جر بالكسر
لأجل الروى ، لأنه لما لا ينصرف فيجر بالفتحة .

فإن لفظ - الندى - فيه حشو يفسد المعنى ، لأن المعنى أنه لا فضل في الدنيا للشجاعة والصبر والندى لولا الموت ، وهذا الحكم صحيح في الشجاعة^(١) دون الندى ، لأن الشجاع لو علم أنه يتخدد في الدنيا لم يخش الهلاك في الإقدام فلم يكن لشجاعته فضل ، بخلاف باذل ماله ، فإنه إذا علم أنه يموت هان عليه بذله ، ولهذا يقول إذا عوتب فيه : كيف لا أبذل ما لا أبقى له ؟ أننى أثق بالتمتع بهذا المال ؟ وعليه قول طرفة :

فإن كنت لا تستطيع دفع منيتى فذرني أبادرها بما ملكت يدي^(٢)
وقول مهييار :

فكل إن أكلت وأطعم أخاك فلا الزاد يبقى ولا الآكل^(٣)
فلو علم أنه يتخدد ثم جاد بماله كان جوده أفضل ، فالشجاعة لولا الموت لم تحمد ، والندى بالصد ، وأجيب عنه بأن المراد بالندى في البيت بذل النفس لا بذل المال ، كما قال مسلم بن الوليد :

يجود بالنفس إن ضن الجواد بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود ورمد بأن لفظ - الندى - لا يكاد يستعمل في بذل النفس ، وإن استعمل فعلى وجه الإضافة ، فأما مطلقاً فلا يفيد إلا بذل المال .

والثاني ما لا يفسد المعنى ، كقوله :

ذكرت أخى فعاودنى صداع الرأس والوصب^(٤)

(١) كذلك الصبر اتيقن الصابر زوال المكروه في العادة على تقدير الخلود ، فلا يكون في صبره فضل أيضاً .

(٢) هو لطرفة بن العبد ، والمنية الموت ، وقوله - ذرى - بمعنى اتركني ، وقوله - أبادرها - بمعنى أسبقها بالتمتع بما لي قبل أن تحرم مني منه ، وهذا هو معنى قول من يعاتب في بذل ماله : كيف لا أبذل الخ

(٣) هو لمهييار الديلمي ، وقوله - إن أكلت - بمعنى إن قدرت على الأكل ، أو التقدير - فكل وأطعم أخاك إن أكلت

(٤) هو لأبي العيال الهذلي ، والصداع وجع الرأس ، والوصب المرض والوجع الدائم . وأخذ عليه أيضاً أن الذاكر لما فات من محبوب بوصف بألم القلب واحتراقه لا بالصداع .

فإن لفظ الرأس - فيه حشو لا فائدة فيه ، لأن الصداق لا يستعمل إلا في الرأس ، وليس بمفسد للمعنى . وقول زهير :

وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكننى عن علم ما فى غدٍ عَمِي
فإن قوله - قبله - مستغنى عنه غير مفسد . وقول أبي عدي :

نحن الرؤوس وما الرؤوس إذا سمّت فى المجد للأقوام كالآذنان^(١)
فإن قوله - للأقوام - حشو لا فائدة فيه مع أنه غير مفسد^(٢) .

واعلم أنه قد تشبه الحال على الناظر لعدم تحصيل معنى الكلام وحقيقته ، فيعد من الزائد على أصل المراد ما ليس منه ، كما مثله بعض الناس^(٣) بقول القائل :

ولمّا قضينا من منى كل حاجة ومسّح بالأركان من هو ماسحٌ
وشدّت على دهم المهارى رحالنا ولم ينظر الغادى الذى هو رانح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطىّ الأباطح^(٤)

(١) هو لعبد الله بن عمر بن عبد الله العسلى ، وأبو عدي كنيته ، والمراد بالرؤوس أشراف الناس ورؤسائهم ، والمراد بالأذنان سفلتهم . وكان أبو عدي من بنى أمية ،

(٢) هذا وقد قيد ابن مالك قبح الحشو غير المفسد بما ليس فيه بديع ، فإن كان فيه بديع حسن ، كقول المتنبي :

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه يا جنّتى لرأيت فيه جهنما
فقوله - يا جنّتى - حشو ولكنه حسن لما فيه من المطابقة لجهنم . والمطابقة من المحسنات البديعية .

(٣) منهم ابن قتيبة إذ يقول فى هذه الأبيات : إنها كنفارغ بندق ، وليس فيها على ضخامة لفظها كبير معنى ، فهى عنده من التلويل الذى لا فائدة فيه .

(٤) الأبيات لكسّية عزّة ، وقيل : لابن الطائرية ، وقيل : لعقبة بن كعب ابن زهير المعروف بالمشرب ، والأركان أركان الكعبة ، والدم السود ، والمهارى جمع مهريّة وهى نوق منسوبة إلى مهرة ، والغادى السائر فى أول النهار ، والرانح ضده ، والأباطح جمع بطحاء وهى مسيل واسع فيه رمل ودقاق الحصى ، وقد ذكر

يبين أنه ليس منه ما ذكره الشيخ عبد القاهر في شرحه^(١) قال : أول ما يتلقاك من محاسن هذا الشعر أنه قال — ولما قضينا من منى كل حاجة — فعبير عن قضاء جميع المناسك فرائضها وسننها بطريق العموم الذى هو أحد طرق الاختصار، ثم نبه بقوله — ومسح بالأركان من هو مسح — على طواف الوداع الذى هو آخر الأمر ودليل المسير الذى هو مقصوده من الشعر، ثم قال — وشدت — البيت، فوصل بذكر مسح الأركان ما وليه من زم الركاب وركوب الركبان، ثم دل بلفظ — الأطراف — على الصفة التى تختص بها الرفاق فى السفر من التصرف فى فنون القول وشجون الحديث، أو ما هو عادة المتظرفين من الإشارة والتلويح والرمز والإيحاء^(٢) وأنبا بذلك عن طيب النفوس وقوة النشاط وفضل الاغتباط، كما توجه ألفة الأصحاب، وأنسة الأحباب، ويليق بحال من وفق لقضاء العبادة الشريفة ورجا حسن الإياب، وتنسم روائح الأحبة والأوطان، واستماع التهانى والتحايا من الحلان والإخوان، ثم زان ذلك كله باستعارة لطيفة حيث قال — وسالت بأعناق المطى الأباطح — فنبه بذلك على سرعة السير ووطأة الظهر، وفى ذلك ما يؤكد ما قبله، لأن الظهور إذا كانت وطيفة وكان سيرها سهلا سريعا زاد ذلك فى نشاط الركبان، فزيداد الحديث طيبا، ثم قال — بأعناق المطى — ولم يقل بالمطى، لأن السرعة والبطء فى سير الإبل يظهران غالبا فى أعناقها، ويتبين أمرهما من هوائيهما^(٣) وصدورها وسائر أجزائها تستند إليها فى الحركة، وتتبعها فى الثقل والخفة^(٤).

من عد هذه الآيات زائدة على أصل المراد أن أصله فيها — ولما رجعنا من منى أخذنا فى الكلام — والزائد على هذا فيها تطويل عنده لافائدة فيه.

(١) (٢٧، ٢٨، ٢٩) — أسرار البلاغة.

(٢) فأطراف الحديث جمع طرف وهو مختارها.

(٣) جمع هادية وهى العنق.

(٤) ظاهر كلام عبد القاهر أن الآيات الثلاثة من الإيجاز، وقيل: إنها من المساواة.

القسم الأول المساواة

كقوله^(١) تعالى (ولا يحقُّ المكرُ السيِّئُ إلاَّ بأهله) وقوله (وإذا رأيتَ الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديثٍ غيره^(٢)). وقول النابغة الذبياني :

فإنك كالليل الذي هو مُدركي وإن خلت أن المتأى عنك واسع^(٣)

وكان على الخطيب أن يذكر مقامات الإيجاز والإطناب والمساواة ، لأن هذا من أهم ما يسمّى به في علم المعاني ، ومقام الإيجاز هو مقام الحذف السابق في المسند اليه والمسند ومتعلقات الفعل ، ومقام الإطناب هو قصد التأكيد أو زيادة الإيضاح أو بسط الكلام حيث الإصغاء مطلوب أو نحو ذلك ، وللإيجاز مواضع ثلاثه كالحكم والأمثال ، وللإطناب مواضع ثلاثه كالمدح والفخر والوعظ . أما مقام المساواة فهو مقام الإتيان بالأصل حيث لا مقتضى للعدول عنده ، وهذه النكتة لا يعتد بها في البلاغة كما سبق ، ولهذا كانت المساواة غير مجودة ولا مذكورة

(١) — ي — ٤٣ — س — ٣٥ — ولا يقدح في عده من المساواة ما فيه من حذف المستثنى منه ، لأن اعتبار الحذف في ذلك لرعاية الإعراب ولا يفتقر إليه في تأدية أصل المراد ، حتى إنه لو صرح به يكون من الحشو ، نعم يقدح في عده من المساواة أنه يقع تذييلاً في آيته (استكباراً في الأرض ومكر السيِّئ . ولا يحقُّ المكر السيِّئ إلاَّ بأهله) اللهم إلا أن ينظر في عده من المساواة اليه في ذاته بقطع النظر عما قبله ، ولكنه إذا نظر اليه في ذاته فهو من القصر الذي سبق أنه نوع من الإيجاز ، وقد عد العسكري الآية من الإيجاز في كتاب الصناعتين . وقد قيل : كيف تقع المساواة في القرآن وهي لا تصل إلى رتبة البلاغة كما سبق ؟ وأجيب بأن وقوعها في موضع من القرآن لا يمنع اشتغالها على وجوه أخرى من البلاغة ، ولا يخفى ضعف هذا الجواب ، لأنه يشترط في المساواة أن تكون خالية من جميع الاعتبارات البلاغية كما سبق في تعريفها ، والحق أنها نادرة الوقوع في الكلام البليغ ، وإنما تقع في كلام الأوساط كما سبق .

(٢) — ي — ٦٨ — س — ٦

(٣) الخطاب في البيت للنعمان بن المنذر ، والمتأى مكان الانتباه وهو البعد ، وإطلاق السعة عليه مجاز مرسل علاقته المجاورة ، لأن الواسع في الحقيقة هو مسافة

القسم الثاني الإيجاز

وهو ضربان :

إيجاز القصر : أحدهما إيجاز القصر ^(١) وهو ما ليس بحذف كقوله ^(٢) تعالى (ولكم في القصاص حياة) فإنه لا حذف فيه ^(٣) مع أن معناه كثير يزيد على لفظه ، لأن المراد به أن الإنسان إذا علم أنه متى قُتل قُتل كان ذلك داعياً له قوياً إلى ألا يُقدم على القتل ، فارتفع بالقتل الذي هو قصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض ، فكان ارتفاع القتل حياة لهم ، وفضله على ما كان عندهم أوجز كلام في هذا المعنى ، وهو قولهم - القتل أنفى للقتل - من وجوه : أحدها أن عدة حروف ما يناظره منه وهو (في القصاص حياة) عشرة في التلغظ ^(٤) وعدة حروفه أربعة عشر . وثانيها ما فيه من التصريح

ما بين المخاطب ومكان البعد الذي لجأ إليه النابغة ، ولا يقدح في عدد البيت من المساواة ما فيه من حذف جواب الشرط ، لأنه تقدير إعراب لا يقدح فيها .

وبما يعد من المساواة قول زهير :

ومهما يكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وقول بعضهم :

إذا أنت لم تنقص عن الجمل والحناء أصبت حليماً أو أصابك جاهل

(١) بكسر القاف وفتح الصاد وإن كان المشهور فتح القاف وسكون الصاد ، وكثرة المعاني مع قصر الألفاظ تأتي من كون اللفظ لا يقتصر على دلالة واحدة ، بل تنوع دلالاته ويدل بالتضمن والالتزام على أكثر مما يدل عليه بالمطابقة .

(٢) - ي - ١٧٩ - س - ٢

(٣) أى لم يحذف فيه شيء مما يؤدي به أصل المراد ، أما متعلق الجار والمجرور فتقديره لرعاية الإعراب فقط .

(٤) هي الفاء واللام والقاف والصاد والالف والصاد والحاء والياء والالف والتاء ، ولم يصف التنوين إليها لسقوطه في الوقف .

بالمطلوب الذي هو الحياة بالنص عليها ، فيكون أزجر عن القتل بغير حق لكونه أدعى إلى الاقتصار . وثالثها ما يفيد تنكير (حياة) من التعظيم أو النوعية كما سبق^(١) ورابعها اطراده ، بخلاف قولهم ، فإن القتل الذي ينفي القتل هو ما كان على وجه القصاص لا غيره . وخامسها سلامته من التكرار الذي هو من عيوب الكلام ، بخلاف قولهم . وسادسها استغناؤه عن تقدير محذوف ، بخلاف قولهم ، فإن تقديره — القتل أنفي للقتل من تركه^(٢) وسابعها أن القصاص ضد الحياة فالجمع بينهما طباق كما سيأتي^(٣) وثامنها جعل القصاص كالمنبع والمعدن للحياة بإدخال — في — عليه على ما تقدم .

ومنه قوله^(٤) تعالى (هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) أى هدى للصائرين إلى الهدى بعد الضلال^(٥) وحسنه التوصل إلى تسمية الشيء باسم ما يقول إليه^(٦) وإلى تصدير السورة بذكر أولياء الله تعالى ، وقوله (أُنَبِّئُكُم بِمَا لَا يَعْلَمُونَ^(٧)) أى بما لا ثبوت له ولا علم الله متعلق بثبوته نفيًا للمزوم بنفي اللازم^(٨) وكذلك قوله^(٩) تعالى (مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَسِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُبَاطِعُ) أى لا شفاعاة ولا طاعة على أسلوب قوله :

(١) في الكلام على تنكير المسند اليه في الجزء الأول .

(٢) قيل : إن هذا تقدير إعرابي كما في الآية ، وقيل : إن أفعل التفضيل فيه ليس على بابه فلا يحتاج إلى تقديره ، ولا يخفى ضعف هذا التقدير ، والحق أنه يراد من قولهم أن القتل أنفي للقتل من كل زاجر ، وهذا هو الذي يجب أن يقدر لا ما قدره الخطيب ، وهو ليس تقدير إعراب ، وأفعل التفضيل فيه على بابه .

(٣) في علم البديع .

(٤) — ي — ٢ — س — ٢

(٥) فلا يراد المتقون بالفعل لأنهم مهتدون ، وقد يقال : إن الهدى يقبل الزيادة والنقصان ، فلا مانع من إرادة المتقين بالفعل .

(٦) فيكون مجازاً مرسلًا

(٧) — ي — ١٨ — س — ١٠

(٨) (٩) — ي — ١٨ — س — ٤٠

على لا حب لا يهتدى بمناره^(١)

أى لا منار ولا اهتداء ، وقوله :

ولا ترى الضب بها ينجحر^(٢)

أى لا ضب ولا انجحار .

ومن أمثلة الإيجاز أيضاً قوله تعالى^(٣) فيما يخاطب به النبي عليه الصلاة والسلام (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) فإنه جمع فيه مكارم الأخلاق ، لأن قوله (خذ العفو) أمر بإصلاح قوة الشهوة^(٤) فإن العفو ضد الجهد ، قال الشاعر :

خذى العفو منى تستدعى مودقى^(٥)

أى خذ ما تيسر أخذه وتسهل ، وقوله (وأعرض عن الجاهلين) أمر

(١) هو من قول امرئ القيس :

على لا حب لا يهتدى بمناره إذا سافه العود النباطى جر جراً
واللاحب الطريق يمشى على جهة ، والمنار ما يجعل عليه من علامة ، وقوله
- سافه - بمعنى شمه ، والعود الجبل المسن . والنباطى الضخم منسوب إلى النبط ،
وقوله - جر جر - بمعنى رغا وضج ، وإنما يرغو الجبل لمعرفة بعد الطريق .

(٢) هو من قول أوس بن حجر :

لا يفرزع الأرنب أهواها ولا ترى الضب بها ينجحر
يصف مفازة بأنها غير مطروقة للناس ، فلا يوجد ما يفرع أرنبها ، أو ينجحر
به ضبها أى يدخله جحره ، والشاهد فى البيتين ورود النفى على المقيد وقيد
معا ، والغالب وروده على المقيد فقط .

(٣) - ي - ١٩٩ - س - ٧

(٤) هى قوة فى النفس تبعث على جلب المنافع ، وإصلاحها بعملها تطلب

ما تيسر لا ما تعسر (٥) هو من قول أسماء بن خارجة :

خذى العفو منى تستدعى مودقى ولا تنطقى فى سورقى حين أغضب
يخاطب بذلك امرأته ، وسورة الشئ شدته .

بإصلاح قوة الغضب^(١) أى أعرض عن السفهاء واحلّم عنهم ولا تكافهم على أفعالهم ، هذا ما يرجع إليه منها ، وأما ما يرجع إلى أمته فدل عليه بقوله (وأمر بالعرف) أى بالمعروف والجميل من الأفعال ، ولهذا قال جعفر الصادق رضى الله عنه فيما روى عنه : أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بمكارم الأخلاق ، وليس فى فى القرآن آية أجمع لها من هذه الآية .
ومنها قول الشريف الرضى :

مالوا إلى شُعَب الرجال وأسندوا أيدي الطعان إلى قلوب تخفق^(٢)
فإنه لما أراد أن يصف هؤلاء القوم بالشجاعة فى أثناء وصفهم بالغرام عبر عن ذلك بقوله — أيدي الطعان .

ومنها ما كتب عمرو بن مسعدة عن المأمون لرجل يُسَعْنِي به إلى بعض العمال ، حيث أمره أن يختصر كتابه ما أمكن : كتابي إليك كتاب واثق بمن كتب إليه ، مَعْنِي بمن كتب له ، ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله .
إيجاز الحذف : والضرب الثانى إيجاز الحذف ، وهو ما يكون بحذف والمحذوف إما جزء جملة أو جملة أو أكثر من جملة :

والأول إما مضاف ، كقوله^(٣) تعالى (واسأل القرية) أى أهلها ، وكقوله^(٤) تعالى (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ المَيْتَةُ) أى تناولها ، لأن الحكم الشرعى إنما يتعلق بالأفعال دون الأجرام ، وقوله (حرّمنا عليهم طيبات أولى أُرْحِلَسَتْ لَهُمْ)^(٥) أى تناول طيبات أحل لهم تناولها ، وتقدير التناول أولى من تقدير الأكل ليدخل فيه شرب ألبان الابل ، فإنها من جملة ما حرمت عليهم ، وقوله (وأُنْعِمَ حُرْمَتُ ظُهُورُهَا)^(٦) أى منافع ظهورها ، وتقدير المنافع أولى من تقدير الركوب لأنهم حرّموا ركوبها وتحميلها ، وكقوله^(٧) تعالى

(١) هى قوة فى النفس تبعث على دفع المضار .

(٢) شعب الرجال خشبها وميلهم اليها كناية عن ارتحالهم وركوبهم عليها ، وقوله - تخفق - بمعنى اضطرب لفراق الأحبة (٣) - ي - ٨٢ - س - ١٢

(٤) - ي - ٣ - س - ٥ (٥) - ي - ١٦٠ - س - ٤

(٦) - ي - ١٣٨ - س ٦ (٧) - ي - ٢١ - س - ٣٣

(لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ) أى رحمة الله، وقوله (يَخَافُونَ رَبَّهُمْ) ^(١) أى عذاب ربهم، وقد ظهر هذان المضافان فى قوله (وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ) ^(٢) وإما موصوف، كقوله :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا ^(٣)

أى أنا ابن رجل جلا ^(٤) .

وإما صفة، نحو (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) ^(٥) أى كل سفينة صحيحة أو سالحة أو نحو ذلك بدليل ما قبله ^(٦) وقد جاء ذلك مذكورا فى بعض القراآت، قال سعيد بن جبشير: كان ابن عباس رضى الله عنهما يقرأ (وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة سالحة غصبا) .

وإما شرط كما سبق ^(٧)

وإما جواب شرط، وهو ضربان :

(١) — ي — ٥٠ — س — ١٦ (٢) — ي — ٥٧ — س — ١٧

(٣) هو من قول سُحَيْمِ بْنِ وَثِيل :

أنا ابنُ جلا وطلاعُ الثنايا متى أضعُ العمامةَ تعرفونى

والثنايا جمع ثنية وهى الطريق فى أعلى الجبل أو الطريق الصعب منه، ويعنى بكونه طالعا للثنايا أنه ركاب لصحاب الأمور، والمراد بالعمامة عمامة الحرب وهى البيضة .

(٤) جلا — إما بمعنى انكشف أى منكشف الأمر، أو بمعنى — كشف الأمور — وهذا مبنى على القول بجواز حذف موصوف الجملة مطلقا، وقيل: إنه لا يجوز إلا إذا كان بعض اسم مجرور بمن أو فى، كقولهم — منا ظعن ومنا أقام — أى فريق ظعن وفريق أقام، وقيل: إن — جلا — عَلم لرجل فلا يكون فيه حذف، وعلى هذا يكون منقولاً عن جملة، ولهذا لم يصرف .

(٥) — ي — ٧٩ — س — ١٨

(٦) هو قوله (فأردتُ أنْ أعيبَها) .

(٧) فى آخر باب الإنشاء من هذا الجزء من تقدير الشرط فى جواب التثنية والاستفهام والأمر والنهى .

أحدهما أن يحذف لجزء الاختصار^(١) كقوله^(٢) تعالى (وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون) أى أعرضوا بدليل^(٣) قوله بعده (إلا كانوا عنها معرضين) وكقوله^(٤) تعالى (ولو أن قرآنا سُيِّرَتْ بِهِ الجبال أو قطعت به الأرض أو كُلمَ به الموتى) أى لكان هذا القرآن ، وكقوله^(٥) تعالى (قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم) أى أستم ظالمين؟ بدليل قوله بعده (إن الله لا يهدي القوم الظالمين).

والثاني أن يحذف للدلالة على أنه شيء لا يحيط به الوصف^(٦) أو لتذهب نفس السامع كل مذهب ممكن^(٧) فلا يتصور مطلوباً أو مكروهاً إلا يجوز أن يكون الأمر أعظم منه ، ولو عُنِيَ شيء اقتصر عليه وربما خف أمره عنده^(٨) كقوله^(٩) (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاءوها

(١) هذه نكتة لفظية . (٢) - (٤) - ٤٥ - س - ٣٦

(٣) قيل : لأنه على هذا يكون تقدير الجواب للإعراب كما سبق في بيت النابعة ؛ فيكون من المساواة مثله ، وأجيب بأن جواب الشرط في البيت دليله سابق عليه فأغنى عنه عرفاً ، حتى إن الكوفيين يرون في مثله أن الجواب هو السابق ، وجواب الشرط في الآية بخلاف ذلك .

(٤) - (٥) - ٣١ - س - ١٣ (٥) - ١٠ - س - ٤٦

(٦) هذه النكتة معنوية ، وهى أهم مما قبلها ، والمقام الذى يقتضيها قصد المبالغة في مر لكونه مرغوباً فيه أو مرهوباً منه .

(٧) هذا في الحقيقة لازم لكونه لا يحيط به الوصف ، ولهذا لم يذكر لكل منهما مثلاً خاصاً به . ولكنه عطف بأو نظراً إلى أن مفهومهما مختلف ، فتارة يقصد بهما البلوغ معاً ، وتارة يخطر بباله أحدهما فقط .

(٨) قيل : لأنهم يقدرونه في ذلك بما لو صرح به لم تفت هذه النكتة ، كما سيأتى

في نحو قوله تعالى - ي - ٢٧ - س - ٦ - (ولو ترى إذ وقفوا على النار) فالتقدير لرأيت أمراً عظيماً ، وأجيب بأن هذا تقدير تقريبى ، والجواب الحقيقى شيء مخصوص حذف لإظهار نفاذاته

(٩) - (٩) - ٧٣ - س - ٣٩ - ويقدر - جواب - إذا - بعد قوله

(خالدين) والتقدير لرأوا فيها من النعيم ما لا يحيط به الوصف .

وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طُبِّحَتْ فَادْخُلُوهَا
 خَالِدِينَ) وكقوله (ولو ترى إذ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ^(١)) (ولو ترى إذ وَقَفُوا عَلَى
 رَبِّهِمْ^(٢)) (ولو ترى إذ المجرمون نَاكَسُوا رُؤُوسَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ^(٣)).
 قَالَ السَّكَكِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ^(٤) ولهذا المعنى حُذِفَ الصَّلَةُ مِنْ قَوْلِهِمْ: جَاءَ بَعْدَ اللَّتِيَا
 وَالَّتِي^(٥) أَى الْمَشَارِإِلَيْهِمَا، وَهِيَ الْمَحَنَةُ وَالشَّدَائِدُ قَدْ بَلَغَتْ شِدَّتَهَا وَفُظَاعَةُ شَأْنِهَا
 مَبْلَغًا يُبْهَتُ الْوَاصِفُ مَعَهُ حَتَّى لَا يُحِيرُ بَيِّنَتُ شَفَةِ.

وَأَمَّا غَيْرُ ذَلِكَ^(٦) كَقَوْلِهِ^(٧) تَعَالَى (لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ
 الْفَتْحِ وَقَاتَلَ) أَى وَمَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلَ^(٨) بِدَلِيلٍ مَا بَعْدَهُ^(٩).
 وَمِنْ هَذَا الضَّرْبِ قَوْلُهُ^(١٠) تَعَالَى (رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ
 الرَّأْسُ شَيْبًا) لِأَنَّ أَصْلَهُ - يَارَبَّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ مِنِّي شَيْبًا -
 وَعَدَهُ السَّكَكِيُّ مِنَ الْقِسْمِ الثَّانِي مِنَ الْإِيحَازِ عَلَى مَا فُسِّرَ^(١١)، ذَاهِبًا إِلَى أَنَّهُ

(١) - ي - ٢٧ - س - ٦ (٢) - ي - ٣٠ - س - ٦

(٣) - ي - ١٢ - س - ٣٢ - وجواب - لو - فى الآيات الثلاث : لرايت
 أمراً عظيماً أو فظيماً .

(٤) ١٥٢ - المفتاح .

(٥) اللتيا تصغير التى ، ويكنى بها عن الداهية الكبيرة ، وبالتى عن الداهية
 الصغيرة ، وهو مثل أصله أن رجلاً من جدس تزوج امرأة قصيرة فقاسى منها
 شداًئد ، وكان يعبر عنها بالتصغير ، ثم تزوج امرأة طويلة فقاسى منها شداًئد أيضاً .
 فطلقها وقال : بعد اللتيا والتى لا أتزوج أبداً .

(٦) أَى من أجزاء الجملة كالمسند إليه والمسند والمفعول ونحو هذا مما سبق
 فى أبوابه .

(٧) - ي - ١٠ - س - ٥٧

(٨) فالمحذوف فى ذلك الواو مع ما عطف .

(٩) هو قوله (أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعدُ وقاتلوا) .

(١٠) - ي - ٤ - س - ١٩

(١١) هو الذى يكون مقامه خليفاً بأبسط مما ذكر فيه - ١٥٥ ، ١٥٦ - المفتاح

وإن اشتمل على بسط فإن انقراض الشباب وإلمام المشيب جديران بأبسط منه، ثم ذكر فيه لطائف يتوقف بيانها على النظر في أصل المعنى ومرتبته الأولى. ثم أفاد أن مرتبته الأولى - ياربى قد شخت - فإن الشيخوخة مشتملة على ضعف البدن وشيب الرأس، ثم تركت هذه المرتبة لتوحي مزيد التقرير إلى تفصيلها في - ضعف بدنى وشاب رأسى - ثم ترك التصريح بضعف بدنى إلى الكناية بوهنت عظام بدنى - لما سيأتى أن الكناية أبلغ من التصريح. ثم لقصد مرتبة رابعة أبلغ في التقرير بُنيت الكناية على المبتدأ^(١) فحصل - أنا وهنت عظام بدنى - ثم لقصد مرتبة خامسة أبلغ أدخلت - إن - على المبتدأ فحصل - إني وهنت عظام بدنى - ثم لطلب تقرير أن الواهن عظام بدنه قصد مرتبة سادسة، وهى سلوك طريق الإجمال والتفصيل، فحصل - إني وهنت العظام من بدنى - ثم لطلب مزيد اختصاص العظام به قصدت مرتبة سابعة وهى ترك توسط البدن، فحصل - إني وهنت العظام منى - ثم لطلب شمول الوهن العظام فردا فردا قصدت مرتبة ثامنة وهى ترك الجمع إلى الأفراد لصحة حصول وهن المجموع بوهن البعض دون كل فرد^(٢) فحصل ما ترى^(٣) وهكذا تركت الحقيقة فى - شاب رأسى - إلى الاستعارة فى - اشتعل شيب رأسى - لما سيأتى أن الاستعارة أبلغ من الحقيقة، ثم تركت هذه المرتبة إلى تحويل الإسناد إلى الرأس وتفسيره بشيئا، لأنها أبلغ من جهات: إحداهما إسناد الاشتعال إلى الرأس لإفادة شمول الشيب الرأس، إذ وزان^١ - اشتعل شيب رأسى، واشتعل رأسى شيئا - وزان^٢ - اشتعل النار فى بيتى، واشتعل بيتى نارا - والفرق نير. وثانيها الإجمال والتفصيل فى طريق التمييز. وثالثها تنكير (شيئا) لإفادة المبالغة، ثم ترك - اشتعل رأسى شيئا - لتوحي

(١) لأن ذلك من تقديم المبتدأ على الخبر الفعلى فيفيد تقوية الحكم.

(٢) يعنى أنه لو قيل - وهن العظام منى - لصح مع وهن بعضها، لأنه يكفى فى وهن المجموع وهن بعضه، بخلاف (وهن العظام) لأن - أل - فيه للإستغراق فلا يخرج منه فرد من الأفراد.

(٣) قوله (إني وهن العظم منى)

مزيد التقرير إلى اشتعل الرأس مني شيئاً — على نحو (وهن العظم مني) ثم ترك لفظ مني — لقرينة عطف (اشتعل الرأس) على (وهن العظم مني) لمزيد التقرير ، وهو إيهام حوالة تأدية مفهومه على العقل دون اللفظ .
ثم قال عقب هذا الكلام :

واعلم أن الذي فتح أحكام هذه الجهات عن أزاهر القبول في القلوب هو مقدمة هاتين الجملتين وهي (رَبِّ) اختُصرت ذلك الاختصار ، بأن حذفت كلمة النداء وهي — يا — وحذفت كلمة المضاف إليه وهي يا المتكلم ، واقتصر من مجموع الكلمات على كلمة واحدة فحسب وهي المنادى ، والمقدمة للكلام كما لا يخفى على من له قدم صدق في نهج البلاغة نازلة منزلة الأساس للبناء ، فكما أن البناء الحاذق لا يرى الأساس إلا بقدر ما يُقدَّر من البناء عليه ، كذلك البليغ يصنع بمبدأ كلامه ، فتي رأته قد اختصر المبدأ فقد آذنتك باختصار ما يورد — انتهى كلامه .

وعليك أن تنتبه لشيء ، وهو أن ما جعله سبباً للعدول عن لفظ العظام إلى لفظ العظم فيه نظر ، لأننا لانسلم صحة حصول وهن المجموع بوهن البعض دون كل فرد (١) فالوجه في ذكر العظم دون سائر ما تركب منه البدن وتوحيده ما ذكره الرخشي ، قال : إنما ذكر العظم لأنه عمود البدن وبه قوامه وهو أصل بنيانه ، وإذا وهن تداعى وتساقطت قوته ، ولأنه أشد ما فيه وأصلبه ، فإذا وهن كان ما وراءه أوهن ، ووحدته لأن الواحد هو الدال على معنى الجنسية (٢) وقصده إلى أن هذا الجنس الذي هو العمود والقوام وأشد ما تركب منه الجسد قد أصابه الوهن ، ولو جمع لكان قصداً إلى معنى آخر ، وهو أنه لم يهن بعض عظامه ولكن كلها . واعلم أن المراد بشمول الشيب الرأس أن يعم جملة ، حتى لا يبقى من السواد شيء أو لا يبقى منه إلا ما لا يعتد به .

(١) لأنه إذا كانت — آل — فيه للاستغراق فلا فرق بين دخولها على الجمع ودخولها على المفرد ، لما سبق من أنه لا فرق بين استغراق المفرد واستغراق الجمع في الإنبات .

(٢) بهذا يكون الحكم على حقيقة العظم وإن لزمه الحكم على أفرادها .

والثاني — أعني ما يكون جملة — إما مسببٌ ذُكر سببه ، كقوله (١) تعالى (لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُنْظِلَ الْبَاطِلَ) أى فعل ما فعل (٢) وقوله (وما كنت بجانب الطُّور إذ نادينا واسكن رحمة من ربك) (٣) أى اخترناك ، وقوله (ليُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ) (٤) أى كان الكفُّ ومنع التعذيب .
ومنه قول أبي الطيب :

أتى الزمان بنوه في شبيبته فسرَّهم وأتيناؤه على الهرم (٥)
أى فساءنا .

أوبالعكس (٦) كقوله (٧) تعالى (فتوبوا إلى بارئكم فاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ) أى فامثلتهم فتاب عليكم ، وقوله (فقلنا اضرب بعصاك الحجرَ فانفجرت (٨)) أى فضر به بها فانفجرت ، ويجوز أن يقدر — فإن ضربت بها فقد انفجرت (٩) .

والحكم عليها لأجل إفادة ما ذكره الخطيب من أن قصده إلخ ، أما جمع العظام فيجعل الحكم على الأفراد من أول الأمر ، وتفوت به إفادة ذلك

(١) - ي - ٨ - س - ٨ (٢) يجوز تعليق قوله (ليحق) بيقطع من قوله قبله (يريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين) فلا يكون فيه حذف .

(٣) - ي - ٤٦ - س - ٢٨

(٤) - ي - ٢٥ - س - ٤٨

(٥) الضمير في — بنوه — للزمان وأضافهم إليه لإقباله عليهم ، وشبيبته أوله وهو مقبل ، وهرمه آخره وهو مدبر (٦) عكسه سبب ذكر سببه .

(٧) - ي - ٥٤ - س - ٢

(٨) - ي - ٦٠ - س - ٢

(٩) فيكون المحذوف جزء جملة هو الشرط وأداته ، وإنما قدر - قد - في الجواب لأجل الفاء ، ولكن يلزم على هذا التقدير أن يكون الجواب ماضيا لفظا ومعنى مع أن الشرط مستقبل في المعنى ، ألهم إلا أن يكون ذلك على معنى فقد حكمتا بأنها انفجرت .

أو غير ذلك^(١) كقوله^(٢) تعالى (فَنَعَمْ الْمَاهِدُونَ) على ما مر^(٣).
والثالث^(٤) كقوله^(٥) تعالى (فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِيَعْضِهَا كَذَلِكَ يُجِيبُ اللَّهُ
الْمُوقِي) أي فضرِبوه ببعضها فحي فقلنا (كذلك يجيب الله الموق) وقوله
(أَنَا أَنْبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ، يَوْسُفُ)^(٦) أي فأرسلوني إلى يوسف لاستعبره
الرؤيا فأرسلوه إليه فأناؤه وقال له يا (يوسف) وقوله (فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى
الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَا هُمْ تَدْمِيرًا)^(٧) أي فأتياهم فأبلغاهم الرسالة
فكذبوهما فدمرناهم. وقوله (فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ
الْعَالَمِينَ، أَنْ أَرْسَلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَالَ أَلَمْ نُنَبِّئْكَ)^(٨) أي فأتياه
فأبلغاه ذلك، فلما سمعه قال (ألم نربك) ويجوز أن يكون التقدير فأتياه
فأبلغاه ذلك، ثم يقدر - فماذا قال؟ فيقع قوله (قال ألم نربك) استئنافاً،
ونحوه قوله (اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا
يَرْجِعُونَ، قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ)^(٩) أي ففعل ذلك فأخذت الكتاب فقرأته،
ثم كأن سائلاً قال: فماذا قالت؟ فقيل (قالت يا أيها الملأ) وأما قوله^(١٠)

-
- (١) أي غير المسبب والسبب (٢) - ي - ٤٨ - س - ٥١ .
(٣) فيكون التقدير - هم نحن أو نحن هم - وهذا على القول بأن المخصوص
خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ محذوف الخبر، بخلاف قول من يجعله مبتدأً واجملة
قبله خبره، فإن المحذوف عليه في الآية جزء جملة .
(٤) هو ما يكون أكثر من جملة .
(٥) - ي - ٧٣ - س - ٢ .
(٦) - ي - ٤٥، ٤٦ - س - ١٢ .
(٧) - ي - ٣٦ - س - ٢٥ .
(٨) - ي - ١٦، ١٧، ١٨ - س - ٢٦ .
(٩) - ي - ٢٨، ٢٩ - س - ٢٧ .
(١٠) - ي - ١٥ - س - ٢٧ .

تعالى (ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالوا الحمد لله) فقال الرخشري في تفسيره : هذا موضع الفاء ، كما يقال — أعطيته فشكر ومنعته فصبر — وعطفه بالواو إشعارا بأن ما قالاه بعض ما أحدث فيهما العلم ، كأنه قال فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة (وقالا الحمد لله) وقال السكاكي (١) يحتمل عندي أنه تعالى أخبر عما صنع بهما وعما قالوا ، كأنه قال : نحن فعلنا إيتاء العلم ، وهما فعلا الحمد من غير بيان ترتبه عليه اعتماداً على فهم السامع (٢) كقولك — قم يدعوك — بدل : قم فإنه يدعوك .

واعلم أن الحذف على وجهين : أحدهما ألاَّ يقام شيء مقام المحذوف كما سبق (٣) والثاني أن يقام مقامه ما يدل عليه ، كقوله تعالى (٤) (فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم) ليس الإبلاغ هو الجواب لتقدمه على توليهم ، والتقدير — فإن تولوا فلا لوم على لاني قد أبلغتكم ، أو فلا عذر لكم عند ربكم لاني قد أبلغتكم . وقوله (وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) (٥) أي فلا تحزن واصبر فإنه قد كذبت رسل من قبلك . وقوله (وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين) (٦) أي فيصيبهم مثل ما أصاب الأولين (٧) .

وأدلة الحذف (٨) كثيرة : منها أن يدل العقل على الحذف والمقصود

(١) ١٥١ — المفتح .

(٢) على هذا لا يكون فيه حذف .

(٣) فيكفي فيه القرينة الدالة عليه ، والأمثلة السابقة كلها على هذا الوجه .

(٤) — ي — ٥٧ — س ١١ — (٥) — ي — ٤ — س — ٣٥

(٦) — ي — ٣٨ — س — ٨

(٧) أي فإنه قد مضت سنتهم ، كما صنع في الآيتين السابقتين .

(٨) يعني الحذف الذي لا يقام فيه شيء مقام المحذوف ، لأنه هو الذي

يحتاج إلى ذلك . بخلاف الحذف الذي يقام فيه شيء مقام المحذوف ، فإن ما يقام مقامه يدل عليه .

الآظهر^(١) على تعيين المحذوف ، كقوله^(٢) تعالى (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ المَيْتَةُ
والدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَازِيرِ) الآية ، وقوله (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْهَاتُكُمْ) الآية^(٣)
فإن العقل يدل على الحذف لما مر^(٤) والمقصود الآظهر يرشدك إلى أن
التقدير — حرم عليكم تناول الميتة ، وحرم عليكم نكاح أمهاتكم ، لأن الغرض
من هذه الأشياء تناولها ومن النساء نكاحهن .

ومنها أن يدل العقل على الحذف والتعيين ، كقوله (وجاء ربك^(٥))
أى أمر ربك أو عذابه أو بأسه ، وقوله (هل ينظرون إلا أن يأتهم الله
في ظلل من الغمام^(٦)) أى عذاب الله أو أمره .

ومنها أن يدل العقل على الحذف والعادة على التعيين^(٧) كقوله^(٨) تعالى
حكاية عن امرأة العزيز (فذلكن الذى لمتننى فيه) دل العقل على الحذف
لأن الإنسان إنما يلام على كسبه ، فيحتمل أن يكون التقدير — فى حبه ،
لقوله^(٩) (قد شغفها حباً) وأن يكون — فى مراودته ، لقوله (تراودفتها
عن نفسه) وأن يكون — فى شأنه وأمره فيشملهما ، والعادة دلت على تعيين
المراودة لأن الحب المفرط لا يلام الإنسان عليه فى العادة لقهره صاحبه
وغلبته ، وإنما يلام على المراودة الداخلة تحت كسبه التى يقدر أن يدفعها
عن نفسه

(١) أى بحسب العرف المقرر فى استعمال الكلام .

(٢) — ي — ٣ — س — ٥ — (٣) — ي — ٢٣ — س — ٤

(٤) من أن التحريم يتبع بالافعال لا بالذوات .

(٥) — ي — ٢٢ — س — ٨٩ — (٦) — ي — ٢١٠ — س — ٢

(٧) المراد بالعادة الأمر المقرر فى نفسه من غير نظر إلى دلالة الكلام عليه

عرفاً ، كسقرر كون الحب المفرط لا يلام عليه ، وبهذا تفرق دلالة العادة على
التعيين عن دلالة المقصود الآظهر عليه

(٨) — ي — ٣٢ — س — ١٢

(٩) — ي — ٣٠ — س — ١٢ — وكذلك ما بعده

ومنها أن تدل العادة على الحذف والتعيين، كقوله^(١) تعالى (لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعُنَاكُمْ) مع أنهم كانوا أخبر الناس بالحرب، فكيف يقولون بأنهم لا يعرفونها، فلا بد من حذف قدره مجاهد رحمه الله - مكان قتال، أى إنكم تقاتلون في موضع لا يصلح للقتال ويخشى عليكم منه، ويدل عليه أنهم أشاروا^(٢) على رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يخرج من المدينة وأن الحزم البقاء فيها. ومنها الشروع في الفعل، كقول المؤمن - بسم الله الرحمن الرحيم - كما إذا قلت عند الشروع في القراءة - بسم الله - فإنه يفيد أن المراد - بسم الله أقرأ، وكذا عند الشروع في القيام أو القعود أو أى فعل كان، فإن المحذوف يقدر ما جعلت التسمية مبدأ له^(٣)

ومنها اقتران الكلام بالفعل^(٤) فإنه يفيد تقديره، كقولك لمن أعرس - بالرفاء والبنين - فإنه يفيد: بالرفاء والبنين أعرست .

(١) - ي - ١٦٧ - س - ٣

(٢) الضمير في هذا وفيما قبله للمناققين المتخلفين عن غزوة أحد

(٣) الحق أن الشروع في الفعل يدل على تعيين المحذوف فقط، والذي يدل على الحذف هو أن الجار والمجرور لا بد لهما من متعلق، وهذا يرجع إلى العقل لا إلى الشروع في الفعل .

(٤) هو كالشروع في الفعل يدل على تعيين المحذوف فقط، والعقل هو الذى يدل على الحذف كما دل عليه في الشروع في الفعل .

هذا وكل ما ذكره من الأدلة يدخل في نوع القرائن الحالية، وهناك أدلة أخرى منها القرائن اللفظية، وهى أكثر وقوعاً من غيرها، وقد سبقت أمثلتها في أقسام الإيجاز بالحذف .

وهذه أمثلة شعرية لبعض ما سبق من الإيجاز :

أرى بصرى قد خانتى بعد صحة وحسبك داء أن تصح وتسلما
وإن هولم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حسن الثناء سبيل
الأم مدرسة إذا أعدتها أعددت شعبا طيب الأعراق

القسم الثالث الإطناب

أقسام الإطناب: الإيضاح بعد الإبهام وفروعه : وهو إما بالإيضاح بعد الإبهام ، ليرى المعنى في صورتين مختلفتين ، أو ليتمكن في النفس فضل تمكثن ، فإن المعنى إذا أُلقي على سبيل الإجمال والإبهام تشوقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح ، فتوجه إلى ما يرد بعد ذلك ، فإذا أُلقي كذلك تمكثن فيها فضل تمكثن ، وكان شعورها به آتم ، أو لتكمل اللذة بالعلم به ، فإن الشيء إذا حصل كمال العلم به دفعة لم يتقدم حصول اللذة به ألم ، وإذا حصل الشعور به من وجه تشوقت النفس إلى العلم بالمجهول ، فيحصل لها بسبب المعلوم لذة وبسبب حرمانها من الباقي ألم ، ثم إذا حصل لها العلم به حصلت لها لذة أخرى ، واللذة عقيب الألم أقوى من اللذة التي لم يتقدمها ألم ، أو لتفخيم الأمر وتعظيمه ، كقوله (١) تعالى (قال رب اشرح لي صدري ، ويسر لي أمري) فإن قوله (اشرح لي) يفيد طلب شرح لشيء ماله (٢) وقوله (صدري) يفيد تفسيره وبيانه (٣) وكذلك قوله (ويسر لي أمري) والمقام مقتضى للتأكيد ، للإرسال (٤) المؤذن بتلقي المكارة والشدة ، وكقوله (٥)

(١) — ي — ٢٥ ، ٢٦ — س — ٢٠

(٢) لأن قوله (اشرح لي) في تقدير — اشرح شيئاً لي ، ويجوز تعليق — لي — باشرح ، فلا يكون فيه شاهد ، وهو الظاهر .

(٣) لو لم يطنب بهذا لقال — اشرح صدري — والإطناب في الآية يفيد ما سبق من الأغراض بقطع النظر عن كونه المخاطب به الله .

(٤) أى في قوله قبله (اذهب إلى فرعون إنه طغى) . واللام في — للإرسال — للتعليل .

(٥) — ي — ٦٦ — س — ١٥

تعالى (وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمَرَ أَنْ دَابرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ)
ففي إيهامه ^(١) وتفسيره تفخيم للأمر وتعظيم له .

ومن الإيضاح بعد الإيهام باب - نعم وبئس - على أحد القولين ^(٢) إذ لو لم
يقصّد الإطناب لقليل - نعم زيد وبئس عمرو ^(٣) ووجه حسنه سوى الإيضاح
بعد الإيهام أمران آخران :

أحدهما إبراز الكلام في معرض الاعتدال نظراً إلى إطنابه من وجه وإلى
اختصاره من آخر ، وهو حذف المبتدأ في الجواب ^(٤)
والثاني إيهام الجمع بين المتنافيين ^(٥) .

ومنه التوشيع ، وهو أن يؤتى في عجز الكلام بمثنى مفسر باسمين أحدهما
معطوف على الآخر ^(٦) كما جاء في الخبر : يشيب ابن آدم ويشبُّ فيه خصيتان :
الحرص وطول الأمل ، وقول الشاعر :

(١) أى إيهام الأمر ، وتفسيره بالمصدر المنسبك من - أن - واسمها وخبرها
لأنه عطف بيان أو بدل ، ولو لم يطنب لقال - وقضينا إليه أن دابر إلخ .

(٢) هو قول من يجعل الخصوص خيراً مبدءاً محذوف ، ومثله قول من يجعله
مبتدأ محذوف الخبر ، أما قول من يجعله مبتدأ والجملة قبله خبره فلا يكون عليه
من الإيضاح بعد الإيهام ، لأن الخصوص فيه مقدم في التقدير .

(٣) الصواب - نعم الرجل وبئس الرجل - لأن فاعلها يجب أن يكون
بأل أو مضافاً إلى ما فيه - أل - أو ضميراً مفسراً بتميز .

(٤) لأنها جملة استثنائية واقعة في جواب سؤال مقدر كما سبق في الوصل والفصل .

(٥) هما الإيجاز بحذف المبتدأ والإطناب بالإيضاح بعد الإيهام ، وإنما كان
ذلك إيهاماً لأنه لا تنافي بينهما في الحقيقة لعدم اتحادهما من كل وجه .

(٦) تقييد الإتيان بكونه في عجز الكلام وكونه بمثنى غير صحيح ، لأن التوشيع
قد يأتي في أول الكلام وفي وسطه ، وقد يكون في الجمع .

سَقَتْنِي فِي لَيْلٍ شَبِيهٍ بِشَعْرِهَا شَبِيهَةٌ خَدْيِهَا بِغَيْرِ رَقِيبٍ
فَمَا زِلْتُ فِي لَيْلَيْنِ: شَعْرٍ وَظِلَّةٍ وَشَمْسَيْنِ: مِنْ خَمَرٍ وَوَجْهِ حَيْبٍ^(١)
وَقَوْلُ الْبَحْتَرِيِّ :

لَمَّا مَشِينِ بِذِي الْأَرَاكِ تَشَابَهَتْ أَعْطَافُ قَضْبَانٍ بِهِ وَقُدُودُ^(٢)
فِي حُلَّتِي حَبِيرٍ وَرَوْضٍ فَالْتَقَى وَشِيَانٍ: وَشَى رُبِّي وَوَشَى بُرُودُ^(٣)
وَسَفَرْنِ فَاثْمَلَاتٍ عَيُونِ رَاقِبَا وَرَدَانٍ: وَرَدَ جَنَّتِي وَوَرَدَ خُدُودُ^(٤)

ذَكَرَ الْخَاصَّ بَعْدَ الْعَامِ: وَإِنَّمَا بِذِكْرِ الْخَاصِّ بَعْدَ الْعَامِ^(٥) لِلتَّنْبِيهِ عَلَى فَضْلِهِ
حَتَّى كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ جَنْسِهِ تَنْزِيلًا لِلتَّغَايُرِ فِي الْوَصْفِ مَنَازِلَةَ التَّغَايُرِ فِي الذَّاتِ ،
كَقَوْلِهِ^(٦) تَعَالَى (مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ)

(١) هُمَا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَزِ ، وَشَبِيهَةٌ خَدْيِهَا الْخُرْفِيُّ إِشْرَاقُهَا ، وَالرَّقِيبُ هُوَ الَّذِي
يَرْقُبُهَا لِيَكْدُرَ صَفْوُهُمَا ، وَالشَّاهِدُ فِي قَوْلِهِ (فِي لَيْلَيْنِ ..) وَفِي قَوْلِهِ (وَشَمْسَيْنِ ..)
(٢) ذُو الْأَرَاكِ مَوْضِعٌ ، وَالْأَعْطَافُ جَمْعُ عَطْفٍ وَهُوَ الْجَنْبُ ، وَالْقَضْبَانُ
الْأَغْصَانُ ، وَالْقُدُودُ الْقَامَاتُ .

(٣) قَوْلُهُ — فِي حُلَّتِي — مُتَعَلِّقٌ بِمُحْذَوْفٍ تَقْدِيرُهُ — مَشِينٌ ، بِدَلِيلِ مَا قَبْلَهُ ،
وَالْحَلَّةُ كُلُّ ثَوْبٍ جَدِيدٍ أَوْ الثَّوْبُ عَمُومًا . وَالْحَبِيرُ ضَرْبٌ مِنْ بُرُودِ الْبَيْتِ ، وَالْوَشَى
النَّقْشُ ، وَالرَّبِّيُّ جَمْعُ رِبْوَةٍ وَهِيَ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ وَوَشَيْهَا نَبَتْهَا ، وَالْبُرُودُ
جَمْعُ بَرْدٍ وَهُوَ ثَوْبٌ مَخْطُوطٌ

(٤) قَوْلُهُ — سَفَرْنِ — بِمَعْنَى أَظْهَرْنَ الْوُجُوهَ مَعْطُوفٍ عَلَى مَشِينِ الْمُحْذَوْفِ
فِي الْبَيْتِ قَبْلَهُ ، وَالْجَنَى مَصْدَرٌ — جَنَى الثَّمَرُ — تَنَاوَلَهُ مِنْ شَجَرَتِهِ ، وَوَرَدُ
خُدُودٍ مِنْ إِضَافَةِ الْمَشْبِهِ بِهِ لِلشَّبْهِ ، وَالشَّاهِدُ فِي قَوْلِهِ (وَشِيَانِ ..) وَفِي قَوْلِهِ
(وَرَدَانِ ...) .

(٥) يَجِبُ أَنْ يَكُونَ هَذَا بِطَرِيقِ الْعَطْفِ ، وَإِلَّا كَانَ مِنْ بَابِ الْإِبْضَاحِ
بَعْدَ الْإِبْهَامِ .

وقوله ^(١) تعالى (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) وقوله (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى ^(٢)). .

التكرير : وإما بالتكرير ، لنكتة ، كتأكيد الإنذار في قوله ^(٣) تعالى (كَلَّا، سَوْفَ تَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) وفي — ثم — دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ وأشد ^(٤) وكزيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ليكمل تلقى الكلام بالقبول في قوله ^(٥) تعالى (وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ، يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ) وقد يكرر اللفظ لطول في الكلام، كما في قوله تعالى ^(٦) (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) وفي قوله ^(٧) تعالى (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) وقد يكرر لتعدد

(١) — ي — ١٠٤ — س — ٣

(٢) — ي — ٢٣٨ — س — ٢

(٣) — ي — ٤٠٣ — س — ١٠٢

(٤) سبق في الوصل والفصل أن الزمخشري جعله تأسيماً لا تأكيداً ليصح عطفه على ما قبله ، ولكن هذا لا يمنع أنه مع مغايرته له يفيد تأكيداً ، لأنه يكفي فيه التكرير في اللفظ ، والمغاير بينهما ليس إلا بأن الثاني أبلغ في الإنذار ، وقد نزل في ذلك بشعده المرتبة منزلة بعد الزمان ، واستعملت فيه — ثم — للدلالة على التدرج في الارتقاء .

(٥) — ي — ٣٨ ، ٣٩ — س — ٤٠

(٦) — ي — ١١٩ — س — ١٦

(٧) — ي — ١١٠ — س — ١٦

المتعلق ، كما كرره الله تعالى من ^(١) قوله (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ^(٢) لأنه تعالى ذكر نعمة بعد نعمة وعقب كل نعمة بهذا القول ^(٣) ومعلوم أن الغرض من ذكره عقيب نعمة غير الغرض من ذكره عقيب نعمة أخرى ، فإن قيل : قد عتقب بهذا القول ما ليس بنعمة ، كما في قوله (يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُواظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ) ^(٤) وقوله (هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون) ، يطوفُونَ بينها وبين حميم آن ^(٥) قلنا : العذاب وجهنم وإن لم يكونا من آلاء الله تعالى فإن ذكرهما ووصفهما على طريق الزجر عن المعاصي والترغيب في الطاعات من آلائه تعالى ^(٦) ونحوه قوله (ويلٌ يومئذ للمكذبين) ^(٧) لأنه تعالى ذكر قصصا مختلفة وأتبع كل قصة بهذا القول ، فصار كأنه قال عقب كل قصة : ويل يومئذ للمكذبين بهذه القصة .

الإيغال : وإما بالإيغال ، واختُلف في معناه ، فقيل : هو ختم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها ، كزيادة المبالغة في قول الخنساء :
وإن صخرأ لتأتى الهداة به كأنه علمٌ في رأسه نار ^(٨)

(١) من : بيان لما في قوله - كما كرره - لأنها اسم موصول

(٢) - ي - ١٣ ، ... - س - ٥٥

(٣) أى قوله (فبأى آلاء ربكما تكذبان) .

(٤) - ي - ٣٥ - س - ٥٥ (٥) - ي - ٤٣ ، ٤٤ - س - ٥٥

(٦) يمكن أن يجاب أيضا بأن الاستفهام في قوله (فبأى آلاء) ليس استفهاما حقيقياً عن نعمة سابقة ، وإنما هو تهديد على جحد نعمه مطلقا ، فتكون مناسبة لما قبله من ترهيب أقوى من غيره .

(٧) - ي - ١٥ ، ... - س - ٧٧

(٨) قوله - لتأتى - بمعنى لتتقدمي ، والهداة الذين يهدون الناس ، وإذا اقتدت الهداة به فالمتهدون بهم من باب أولى ، وهذا البيت من قصيدة لها في رثاء أخيها صخر .

لم ترض أن تشبّهه بالعلم الذى هو الجبل المرتفع المعروف بالهداية حتى جعلت في رأسه ناراً^(١) وقول ذى الرُّمّة :

قف العيس في أطلال ميسّة واسأل رسوماً كأخلاق الرّداء المسلسل^(٢)
أظن الذى يُجدى عليك سؤالها دموعاً كتبذير الجمان المفصّل^(٣)
وكتحقيق التشبيه^(٤) في قول امرئ القيس :

كان عيون الوحش حول خباتنا وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب^(٥)
فإنه لما أتى على التشبيه قبل ذكر القافية واحتاج إليها جاء بزيادة حسنة
في قوله — لم يثقب — لأن الجزع إذا كان غير مثقوب كان أشبه بالعيون .
ومثله قول زهير :

(١) فقوله — في رأسه نار — محل الشاهد ، لأن قوله — كأنه علم — واف
بالمقصود وهو تمثيل المعقول بالمحسوس ، فزيد عليه ذلك لزيادة المبالغة في التشبيه
(٢) العيس الإبل يخالط بياضها سواد خفيف جمع أعيس ، والأطلال جمع
طلل وهو الشاخص من الآثار بخلاف الرسوم ، والأخلاق جمع خصلق
وهو البالى ، والمسلسل الردىء النسيج .

(٣) قوله — يجدى — بمعنى يعطى ويفيد ، وعائد الموصول محذوف والتقدير
— يجديه ، والتبذير التفريق ، والجمان المفصل التؤلؤ المنظم . يعنى أنها لا تجيب سؤاله ،
فيمكى لأنه لم يعلم مكان محبوبته ، وزيادة المبالغة بالوصفين (المسلسل والمفصل) .
(٤) المراد به إثبات التساوى بين الطرفين ، وبهذا يختلف عن زيادة
المبالغة في بيت الخنساء . لأن الغرض منها بيان علو المشبه به في وجه الشبه ليعلو
المشبه الملحق به .

(٥) المراد بالوحش الظباء وبقر الوحش التى يصيدونها وبرمون عيونها
حول خباتهم ، والخباء ما كان من وبر أو صوف لا يشعر وقام على عمودين
أو ثلاثة ، وما فوق هذا يقال له بيت ، والأرحل جمع رحل وهو المنزل والمأوى ،
والجزع خرز فيه سواد وبياض على شكل دوائر

كَانَ فُتَاتَ الْعَيْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ نَزَلْنَ بِهِ حَبُّ الْفَنَّا لَمْ يَحْطَمِ^(١)
فَإِنْ حَبُّ الْفَنَّا أَحْمَرُ الظَّاهِرِ أَيْبُضُ الْبَاطِنِ ، فَهُوَ لَا يَشْبَهُ الصُّوفَ الْأَحْمَرَ
إِلَّا مَا لَمْ يَحْطَمِ . وَكَذَا قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

حَمَلْتُ رُدَيْنِيًّا كَأَنَّ سَنَانَهُ سَنَا هَبٍ لَمْ يَتَّصِلْ بِدُخَانِ^(٢)
كَمَا سَيَأْتِي^(٣) :

وَقِيلَ : لَا يَخْتَصُّ بِالنِّظَمِ . وَمُثَّلُ بَقَوْلِهِ^(٤) تَعَالَى (اتَّبِعُوا مَنْ
لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مَهْتَدُونَ)

التَّذْيِيلُ : وَإِذَا بِالتَّذْيِيلِ ، وَهُوَ تَعْقِيبُ الْجُمْلَةِ بِجُمْلَةٍ تَشْتَمِلُ عَلَى مَعْنَاهَا^(٥)
لِلتَّوَكُّيدِ^(٦) وَهُوَ ضَرْبَانِ :

ضَرْبٌ لَا يَخْرُجُ مَخْرَجَ الْمُثَلِّ لِعَدَمِ اسْتِقْلَالِهِ بِإِفَادَةِ الْمُرَادِ وَتَوَقُّفِهِ عَلَى
مَا قَبْلَهُ ، كَقَوْلِهِ^(٧) تَعَالَى (ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُنْجَاذَى إِلَّا

(١) سَبَقَ هَذَا الْبَيْتُ فِي ص ١١٩ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ .

(٢) الرَّدَيْنِيُّ رَمَحٌ مَسْنُوبٌ إِلَى رُدَيْنَةَ وَهِيَ امْرَأَةٌ كَانَتْ تَقْوُمُ الرَّمَاحَ ، وَسَنَا
الْمَلْبَ ضَوْؤُهُ ، وَالشَّاهِدُ فِي قَوْلِهِ - لَمْ يَتَّصِلْ بِدُخَانِ

(٣) فِي التَّشْدِيدِ مِنْ عِلْمِ الْبَيَانِ

(٤) — ي — ٢١ — س — ٣٦ — فَقَوْلُهُ (وَهُمْ مَهْتَدُونَ) إِيفَالٌ لِأَنَّهُ
يَتِمُّ الْمَعْنَى بِدُونِهِ لَا هَتْدَاءَ الرِّسْلِ قِطْعًا ، وَالْغَرَضُ مِنْهُ زِيَادَةُ الْحِثِّ عَلَى اتِّبَاعِهِمْ .

(٥) الْمُرَادُ بِاشْتِمَالِهَا عَلَى مَعْنَاهَا إِفَادَتُهَا بِفَحْوَاهَا لِمَا هُوَ مَقْصُودٌ مِنَ الْأَوَّلَى ،
لَا دَلَالَتَهَا عَلَيْهِ بِالْمُطَابَقَةِ ، لِأَنَّ هَذَا هُوَ التَّكْرِيرُ السَّابِقُ ، وَيَشْتَرِطُ فِي الْجُمْلَةِ الثَّانِيَةِ
أَلَّا يَكُونَ لَهَا مَحَلٌّ مِنَ الْإِعْرَابِ ، وَقِيلَ : إِنَّ هَذَا غَيْرُ شَرْطٍ . وَالْفَرْقُ بَيْنَ التَّذْيِيلِ
وَالْإِيفَالِ أَنَّ التَّذْيِيلَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِجُمْلَةٍ وَيَقْصُدُ مِنْهُ التَّوَكُّيدَ خَاصَّةً ، بِخِلَافِ الْإِيفَالِ .

(٦) الْمُرَادُ بِالتَّوَكُّيدِ هُنَا مَعْنَاهُ اللَّغْوُ وَهُوَ التَّقْوِيَةُ ، أَمَا التَّوَكُّيدُ فِي التَّكْرِيرِ
السَّابِقِ فَهُوَ بِمَعْنَاهُ الْإِصْلَاحُ .

(٧) — ي — ١٧ — س — ٣٤

(الكفور) إن قلنا : إن المعنى وهل نجازى ذلك الجزاء^(١) وقال الزمخشري : وفيه وجه آخر وهو أن الجزاء عام لكل مكافأة ، يستعمل تارة في معنى المعاقبة ، وأخرى في معنى الإثابة ، فلما استعمل في معنى المعاقبة في قوله (جزيناكم بما كفرنا) بمعنى عاقبناكم بكفرهم قيل (وهل نجازى إلا الكفور) بمعنى وهل نعاقب^(٢) فعلى هذا يكون من الضرب الثاني^(٣) .

وقول الحماسي :

فدعونا : نزال فكنت أول نازل وعلى م أركبه إذا لم أنزل^(٤)
وقول أبي الطيب :

وما حاجة الأظعان حولك في الدجى إلى قر ما واجد لك عادمه^(٥)
وقوله أيضاً :

تمسى الأمانى صرعى دون مبلغ فما يقول لشيء : ليت ذلك لى^(٦)

(١) أى السابق ، فهو جزاء خاص بخلافه على ما سينقله عن الزمخشري .

(٢) فالجزاء بمعنى العقاب عام هنا بخلافه على الوجه الأول .

(٣) لاستقلاله عما قبله ، وقيل : إنه على هذا من الضرب الأول أيضاً .

(٤) هو لربيعة بن مقروم الضبى ، وقوله - نزال - اسم فعل أمر بمعنى انزل ، والمراد النزول إلى الحرب . والتذييل بقوله - وعلى م الخ .

(٥) ما - نافية ، والأظعان جمع ظعينة وهى المرأة فى الهودج ، والدجى جمع دجية وهى الظلمة وعادمه فاقده ، والمعنى أنهم لا يحتججن فى الدجى إلى قر مع وجودها لأنها تقوم مقامه ، والتذييل بقوله - ما واجد لك عادمه ٦ - و - ما - فيه مصدرية ظرفية .

(٦) الأمانى جمع أمنية وهى ما يتمنى ويطلب ، وصرعى جمع صريع من - صرعه - بمعنى طرحه على الأرض ، وقوله - دون مبلغه - بمعنى دون بلوغه لها ، أى قبله . يعنى أن يمدوحه وهو سيف الدولة لا تتعذر عليه أمنية يتمناها . والتذييل بقوله - فما يقول الخ .

وقول ابن نباتة السعدي :

لم يُسبق جودك لي شيئاً أو مله تركنتي أصحب الدنيا بلا أمل^(١)
 قيل : نظر فيه إلى قول أبي الطيب ، وقد أربي عليه في المدح والأدب
 مع الممدوح حيث لم يجعله في حيز من تمنى شيئاً^(٢) .
 وضرب يخرج مخرج المشل ، كقوله^(٣) تعالى (وقتل جاء الحق
 وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً) وقول الذبياني :
 ولست بمستقب أخاً لا تلمه على شعث أي الرجال المهذب^(٤)
 وقول الحطّية :

تزور فتى يعطي على الحمد ماله ومن يعطى أمان المكارم يُحمد^(٥)
 وقد اجتمع الضربان في قوله^(٦) تعالى (وما جعلنا لبشرٍ من قبلك

(١) هو لعبد العزيز بن عمر المعروف بابن نبأة السعدي ، وقوله — أصحب
 الدنيا — بمعنى أعيش فيها ، أو هي استعارة بالكناية بتشبيه الدنيا برجل يصاحب
 (٢) فهو لم يجعل للمدوحه أمان ، أما أبو الطيب فقد جعل للمدوحه أمان
 وإن جعلها غير ممتدرة عليه ، ويجوز أن تكون الأمان في بيته بمعناها المصدرى ،
 وأن يكون قوله — دون مبلغه — بمعنى دون بلوغها له ، فلا يكون بمدوحه أيضاً في
 حيز من تمنى شيئاً .

(٣) — ي — ٨١ — س — ١٧

(٤) هو للنافعة الذبياني يخاطب النعمان بن المنذر ، وقوله — لا تلمه — بمعنى
 لا تضمنه ، والشعث في الأصل انتشار شعر الرأس وتغيره فتكثر أوساخه ، والمراد
 به هنا العيب على سبيل الاستعارة ، والشاهد في قوله — أي الرجال المهذب —
 وهو استفهام إنكارى .

(٥) ضمير — تزور — لناقته ، في قوله قبله :

فا زالت العوجاء تجري صفورها . إليك ابن شماس تروح وتفتدى
 ويريد بالخذ الثناء عليه ، وبالمكارم المحامد من الشعراء له ، وهو من قصيدة
 له في مدح بغض بن عامر بن شماس ، ومطلعها :
 آثرت إدلاجي على ليل حُرة . هضم الحشا حسنة المتجر د

(٦) — ي — ٣٤ ، ٣٥ — س — ٢١

الخُلْدَةُ أَفَانٌ مَتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ، كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ (فإن قوله (أَفَانٌ مَتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ) من الأول ، وما بعده ^(١) من الثاني ، وكل منهما تذييل على ما قبله .

وهو أيضاً إما لتأكيد منطوق كلام ^(٢) كقوله تعالى (وقل جاء الحقُّ) الآية ^(٣) وإما لتأكيد مفهومه ^(٤) كبيت النابغة ^(٥) ، فإن صدره دل بمفهومه على نفي الكامل من الرجال ، فحقق ذلك وقرره بعجزه .

التكميل : وإما بالتكميل ويسمى الاحتراس أيضاً ، وهو أن يؤتى في كلام يوم خلاف المقصود بما يدفعه ، وهو ضربان :
ضرب يتوسط الكلام ، كقول طرفة :

فسقى ديارك غيرَ مفسدها صوبُ الربيع وديمةٌ تهيمُ ^(٦)

(١) هو (كل نفس ذائقة الموت) .

(٢) المراد بالمنطوق المعنى الذى نطق بلفظه ، بأن تشترك ألفاظ الجملتين مع اختلاف النسبة فيهما حتى لا يكون من التكرير السابق .

(٣) — ي — ٨١ — س — ١٧

(٤) المراد بالمفهوم المعنى الذى لم يُنطق بلفظه ، وهذا اصطلاح فى المنطوق والمفهوم غير اصطلاح الأصوليين .

(٥) هو قوله السابق :

ولست بمستبقٍ أخا لائلته على شعث أى الرجال المهذبُ

(٦) هو لطرفة بن العبد ، والخطاب فى قوله — ديارك — لمدوحه وهو قتادة بن مسعدة الحنفي ، والصوب المطر ، والديمة المطر المسترسل ، وقوله — تهيم — بمعنى تسيل ، والاحتراس فى قوله — غير مفسدها — لأن المطر المسترسل قد يخرب الديار ، ومن أجل هذا عيب قول الشاعر :

ألا يا اسلى يا دارمى على البلى ولا زال منهلاً بجرعائك القطرُ
وقيل : إنه لا عيب فيه لأن الدعاء قرينة على إرادة ما لا يضر ، وللشاعر أن يكتبنى بذلك فلا يحترس ، وألا يكتبنى به فيضم اليه الاحتراس .

وقول الآخر :

لو أن عزّة خاسمت شمس الضحى في الحسن عند موفّق لقضى لها^(١)
إذ التقدير — عند حاكم موفّق ، فقوله — موفّق — تكميل

وقول ابن المعتز :

صَبَبْنَا عَلَيْهَا ظَالِمِينَ سَيَاطِنًا فَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ سَرَّاعٌ وَأَرْجُلُ^(٢)
وَضَرْبٌ يَقَعُ فِي آخِرِ الْكَلَامِ ، كَقَوْلِهِ^(٣) تَعَالَى (فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ
يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ) فَإِنَّهُ لَوْ اقْتَصَرَ عَلَى
وَصَفِهِم بِالذِّلَّةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ لَتَوَهَّمُوا أَنَّ ذِلَّتَهُمْ لَضَعْفِهِمْ ، فَلَمَّا قِيلَ (أَعِزَّةٌ عَلَى
الْكَافِرِينَ) عُلِمَ أَنَّهَا مِنْهُمْ تَوَاضَعُ لَهُمْ ، وَلِذَا عُدِّيَ الذِّلُّ بَعْلَى^(٤) لَتَضْمِينِهِ مَعْنَى
الْعَطْفِ ، كَمَا أَنَّهُ قِيلَ : عَاطِفِينَ عَلَيْهِمْ عَلَى وَجْهِ التَّذِلِّ وَالتَّوَاضُعِ . وَيَجُوزُ أَنْ
تَكُونَ التَّعَمُّدِيَّةُ بَعْلَى ، لِأَنَّ الْمَعْنَى أَنَّهُمْ مَعَ شَرَفِهِمْ وَعُلُوِّ طَبَقَتِهِمْ وَفَضْلِهِمْ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ خَافِضُونَ لَهُمْ أَجْنَحَتَهُمْ^(٥) .

ومنه قول ابن الرومي فيما كتب به إلى صديق له : إني وليُّك الذي لا يزال
تنقاد إليك مودته عن غير طمع ولا جزع ، وإن كنت لذي الرغبة مطلباً ،
ولذي الرهبة مهرباً .

(١) هو لكشّير عزّة ، وقوله — لقضى لها — بمعنى حكم لها بأنها أحسن
من الشمس .

(٢) هو لعبد الله بن المعتز ، والضمير في — عليها — للإبل أو لفرسه ،
والسياط جمع سوط وصبها عليها استعارة لضربها بها ، والاحتراس في قوله —
ظالمين — لأن ضربها يكون غالباً من تشاغل في السير فدفعه بذلك . وقوله —
وأرجل — أي سريعة ، فحذف من الثاني لدلالة الأول على سبيل الاكتفاء .

(٣) — ي — ٥٤ — س — ٥

(٤) مع أنه يتعدى باللام ، فيقال — ذلّ له

(٥) على هذا لا يكون في — أذلة — تضمين كما في الأول ، وإنما يكون
التجاوز في استعمال — على — موضع اللام ، للإشارة إلى أن لهم رفعة واستعلاء
على غيرهم من المؤمنين ، وأن تذللهم تواضع مهم لا عجز .

وكذلك قول الحماسي :

رَهْنْتُ يَدِي بِالْعِجْزِ عَنْ شُكْرِ بَرٍّ وَمَا فَوْقَ شُكْرِي لِلشُّكُورِ مَزِيدٌ^(١)

وكذا قول كعب بن سعد الغنوي :

حَلِيمٌ إِذَا مَا الْحَلْمُ زَيْنَ أَهْلِهِ مَعَ الْحَلْمِ فِي عَيْنِ الْعَدُوِّ مَهِيْبٌ^(٢)
فإنه لو اقتصر على وصفه بالحلم لأوهم أن حلمه عن عجز فلم يكن صفة مدح ، فقال - إذا ما الحلم زين أهله - فأزال هذا الوهم ، وأما بقية البيت فتأكد للآزم ما يفهم من قوله - إذا ما الحلم زين أهله - من كونه غير حلیم حين لا يكون الحلم زينا لأهله ، فإن من لا يكون حلما حين لا يحسن الحلم لأهله يكون مهيبا في عين العدو لا محالة ، فعلم أن بقية البيت ليست تكميلا كما زعم بعض الناس^(٣) .

(١) هو من أبيات - الحماسة - ولا يعلم قائله ، وقوله - رهنت - بمعنى حبست ، والمراد أنه حبس نفسه من إطلاق الجزاء وإرادة الكل ، والبر الإحسان ، والاحتراس في قوله - وما فوق شكري الخ - لأنه دفع به ما يوهمه عجزه عن شكره من أنه لم يقم بشيء منه ، فأفاد أن شكره مع هذا ليس للبالغ في الشكر زيادة فوقه ، وبعد هذا البيت :

ولو أن شيئا استطاع استطاعته ولكن ما لا استطاع شديد
(٢) حلیم خبر مبتدأ تقديره هو ، وقوله - إذا ما الحلم زين أهله - يريد به أنه لا يحلم إلا في موطن الحلم ، ومهيب خبر ثان ، وما قبله متعلق به ، والتقدير - مهيب مع الحلم في عين العدو . والبيت من قصيدة له في رثاء أخيه أبي المغوار . وفيها يقول :

فقلتُ ادعُ أخرى وارفع الصوت جهرة

لعل أبا المغوار منك قريب

(٣) على هذا تكون من التذييل ، والحق أنها يجوز أن تكون احتراسا بعد

احتراس

ومنه قول الحماسي :

وما ماتَ مناسيد في فراشه ولا طلَّ منا حيثُ كان قتيلٌ^(١)
فإنه لو اقتصر على وصف قومه بشمول القتل إياهم لأوهم أن ذلك لضعفهم
وقلتهم ، فأزال هذا الوهم بوصفهم بالانتصار من قاتلهم
وكذا قول أبي الطيب :

أشد من الرياح الهُوج بطشاً وأسرع في الندى هبوباً^(٢)
فإنه لو اقتصر على وصفه بشدة البطش لأوهم ذلك أنه عنف كله
ولا لطفَ عنده ، فأزال هذا الوهم بوصفه بالسباحة ، ولم يتجاوز في ذلك
كله صفة الريح التي شبهه بها ، وقوله — وأسرع في الندى منها هبوباً — كأنه من
قول ابن عباس رضي الله عنهما : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود
الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان ، كان كالريح المرسلة^(٣) .
التميم : وإما بالتميم ، وهو أن يؤق في كلام لا يؤهم خلاف المقصود
بفضلة تفيد نكتة^(٤) كالمبالغة في قوله^(٥) تعالى (وَيُطْعَمُونََ الطَّعَامَ

(١) هو للسيمول بن عادياء ، وقوله — وما مات مناسيد في فراشه —
كناية عن كونه لم يمت إلا مقتولا في الحرب ، وقوله — طل — بمعنى أهدر دمه
ولم يقتصر له .

(٢) أشد خبر مبتدأ محذوف تقديره هو أي الممدوح ، والهوج جمع هوجاء
وهي الريح التي لا تستوى في هبوبها وتقلع البيوت من شدتها .
والبيت من قصيدة له في مدح علي بن محمد بن سيار ومطلعها :

ضروبُ الناس عشاقُ ضروباً فأعذرهم أشفئهم حبيباً

(٣) على هذا يكون في البيت اقتباس ، وهو من المحسنات الآتية في علم البديع

(٤) المراد بالفضلة المفعول ونحوه لا ما يتم أصل المعنى بدونه ، لأن هذا

لا بد منه في كل أنواع الإطناب ولا يختص بالتميم ، وبهذا يكون التميم أخص
من الإيغال من هذه الناحية لأنه لا يتقيد بها ، ويكون أعم منه من ناحية أنه قد

يكون في غير الآخر بخلاف الإيغال (٥) — ي — ٨ — س — ٧٦

عَلَى حُبِّهِ (أى مع حبه ، والضمير للطعام أى مع اشتهاؤه والحاجة إليه ، ونحوه) (وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ^(١)) وَكَذَا (لَنْ تَسْأَلُوا الْبِرَّ حَتَّى تَنْفَقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ^(٢)) وَعَنْ فَضِيلِ بْنِ عِيَاضٍ: عَلَى حُبِّ اللَّهِ^(٣) فَلَا يَكُونُ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ^(٤) .

وفى قول الشاعر :

إِنِّ عَلَى مَا تَرَيْنَ مِنْ كِبَرِي أَعْرِفُ مِنْ أَيْنَ تَوَكَّلَ الْكَتِفُ^(٥)
وفى قول زهير :

مَنْ يَلْقَى يَوْمًا عَلَى عِلَاقَتِهِ هَرِمًا يَلْشَقُ السَّاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُوقًا^(٦)
الاعتراض : وإما بالاعتراض ، وهو أن يؤتى فى أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى^(٧) بجملة أو أكثر لاجل لها من الإعراب لنكتة سوى

(١) - ي - ١٧٧ - س - ٢

(٢) - ي - ٩٢ - س - ٣ (٣) فيكون الضمير لله لا للطعام

(٤) لأن معناه على هذا يدخل فى أصل المراد فلا يكون إطناباً ، وإنما دخل فى أصل المراد لأن الإنفاق لا يمدح شرعاً إلا إذا كان لله لا لرياء ونحوه ، ولا يرد مثل هذا فى الآية الثالثة ، لأن أصل المعنى يتم عند قوله (حتى تنفقوا) .

(٥) لا يعلم قائله . وقوله - أعرف من أين توكّل الكتف - خبر - إن - وهو كناية عن أنه داهية ، لأن الكتف توكّل من أسفلها ويشقّ أكلها من أعلاها ، وقوله - على ماترين من كبرى - تميم يقصد منه المبالغة أيضاً .

(٦) هو من قصيدة له فى مدح هرم بن سنان ، والشاهد فى قوله - على علاته - والعلات جمع علة ، وهى ما ينوبه من قلة ذات يد وعوز ، وعطف الندى على الساحة عطف تفسير ، ومن يشكر عطف التفسير يجمّل ذلك حشواً ، وفوله - خلقاً - بمعنى الطبع الذى لا تكلف فيه .

(٧) بأن يكون ثانيهما تأكيداً للأول أو بياناً له أو بدلاً منه أو معطوفاً عليه .

ما ذكر في تعريف التكميل^(١) كالنزيه والتعظيم^(٢) في قوله^(٣) تعالى (ويجْعَلُونَ
لِللَّهِ الْبَنَاتِ — سُبْحَانَهُ — وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ)

والدعاء ، في قول أبي الطيب :

وتحتقر الدنيا احتقاراً مجرباً يرى كل ما فيها وحاشاك فانياً^(٤)
فإن قوله — وحاشاك — دعاء حسن في موضعه . ونحوه قول عوف

ابن محلس الشيباني :

إن الثمانين — وبُلِّغْتَهَا — قد أحوجت سمعى إلى ترجمان^(٥)

والتنبيه ، في قول الشاعر :

واعلمْ فعِلْمُ المرء ينفعُهُ أنْ سوف يأتي كلُّ ما قُدرَ^(٦)

(١) ما ذكر في تعريف التكميل هي نكتة دفع الإيهام ، وغير دفع الإيهام
يشمل التوكيد ، فيدخل فيها يأتي له الاعتراض ، والاعتراض على هذا التعريف
يبين الإيغال لأنه لا يكون إلا في آخر الكلام ، وكذلك التميم لأنه فضلة فله
محل من الإعراب ، وكذلك التكميل ، لأنه لنكتة دفع الإيهام . ويشمل
الاعتراض بعض صور التذييل ، فيجتمعان في كل جملة معترضه مشتملة على معنى
ما قبلها ، لأنها تكون لنكتة التوكيد فتكون من الاعتراض والتذييل .

(٢) مثال للنكتة التي هي غير ما ذكر في تعريف التكميل .

(٣) — ي — ٥٧ — س — ١٦ — والاعتراض في الآية بقوله (سبحانه)
وهو جملة لأنه مصدر نائب عن فعله

(٤) الضمير في قوله — تحتقر — لسكافور ، والمجرب الذي جرب الأمور
وعرفها ، والاستثناء اعتراض بين المفعولين ، وهو استثناء لمدحها بما يفنى لأن
ذكره يبقى في الدنيا ، — وحاشا — على هذا فعلية فتكون جملة ، والبيت من قصيدة
له في مدح كافور ، وقبيله :

فقد تهب الجيش الذي جاء غازيا لسائك الفرد الذي جاء عافيا

(٥) مخاطب بذلك عبد الله بن طاهر ، وكان قد دخل عليه فسلم عليه عبد الله فلم يسمع
لضعفه وكبره ، والترجمان في الأصل الذي يفسر لغة بأخرى ، والمراد به هنا
مطلق المفسر والمكرر ، والشاهد في قوله — وبلغتها — لأنها دعاء أيضا .

(٦) أنشد هذا البيت أبو علي الفارسي ولم يعزه لأحد ، والشاهد في قوله — فعلم المرء
ينفعه — وأن — محففة من الثقيلة ، وهي وما بعدها في تاويل مصدر مفعول — اغلم

وتخصيص أحد المذكورين بزيادة التأكيد في أمر عُلِّقَ بهما ، كقوله (١)
تعالى (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ — حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ
وفصاله في عامين — أَلِشْكُرُوا لِي وَلَوْ أَنِّي لَدَيْكَ) .

والمطابقة مع الاستعطاف ، في قول أبي الطيب :
وخفوق قلب لو رأيت لهيبة يا جنتي لرأيت فيها جهنما (٢)
والتنبيه على سبب أمر فيه غرابة ، كما في قول الآخر :
فلا هجره يبدو وفي اليأس راحة ولا وصله يبدو لنا فنكارمه (٣)
فإن قوله — فلا هجره يبدو — يشعر بأن هجر الحبيب أحد مطلوبيه ،
وغيره أن يكون هجر الحبيب مطلوباً للحب ، فقال — وفي اليأس راحة —
لينبه على سببه .

وقوله (٤) تعالى (لو تعلمون) في قوله (فلا أقسم بمواقع النجوم ،
وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) ، إنه لقرآن كريم (اعترض في اعتراض ،
لأنه اعترض به بين الموصوف والصفة ، واعترض بقوله (وإنه لقسم
لو تعلمون عظيم) بين القسم والمقسم عليه .

ومما جاء بين كلامين متصلين معنى قوله (فأتوهن من حيث أمركم الله
إن الله يحب المتطهرين) ، نساؤكم حرث لكم

(١) — ي — ١٤ — س — ٣١ — والمذكوران في الآية الوالدان ،
وأحدهما هو الأم .

(٢) خفوق القلب اضطرابه من الحب ونحوه ، والواو للعطف على
هم — في قوله قبل البيت :

كفى أراني وبك لومك ألوما هم أقام على فؤاد أنجسما
وخيال جسم لم يخل له الهوى لهما فينحله السقام ولا دما

والشاهد في قوله — يا جنتي — والمطابقة بينه وبين — جهنم — وستأتي في علم البديع
(٣) هو للرمضاح بن أبرد المعروف بابن مباداة ، واليأس قطع الأمل من
وصله ، وقوله — فنكارمه — بمعنى نبادله التكرم بالوصل .

(٤) — ي — ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ — س — ٥٦

فَاتُوا حَرَّتْكُمْ^(١)) فَإِنْ قَوْلُهُ (نَسَاؤُكُمْ حَرَّتْ لَكُمْ) بَيَانٌ لِقَوْلِهِ
(فَاتُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ) يَعْنِي أَنَّ الْمَاتِيَّ الَّذِي أَمَرَكُم بِهِ هُوَ مَكَانُ الْحَرِّ ،
دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْغَرَضَ الْأَصْلِيَّ فِي الْإِتْيَانِ هُوَ طَلَبُ النَّسْلِ لَا قَضَاءُ الشَّهْوَةِ ،
فَلَا تَأْتُوهُمْ إِلَّا مِنْ حَيْثُ يَتَأْتَى فِيهِ هَذَا الْغَرَضُ ، وَهُوَ مَا جَاءَ أَكْثَرُ مِنْ
جَمَلَةٍ أَيْضاً^(٢) وَنَحْوُهُ فِي كَوْنِهِ أَكْثَرُ مِنْ جَمَلَةٍ قَوْلُهُ^(٣) تَعَالَى (قَالَتْ رَبِّ
إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى — وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ
كَالْأُنْثَى — وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ) فَإِنْ قَوْلُهُ (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ
الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى) لَيْسَ مِنْ قَوْلِ أُمِّ مَرْيَمَ^(٤) وَكَذَا قَوْلُهُ (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
أَوْتُوا نَصِيْبًا مِنَ الْكِتَابِ يَسْتَحْتَرُونَ الضَّلَالََةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا
السَّبِيلَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكُنِيَ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكُنِيَ بِاللَّهِ نَصِيرًا ، مِنْ
الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ^(٥)) إِنْ جُعِلَ (مَنْ الَّذِينَ) بَيَانًا
لِلَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيْبًا مِنَ الْكِتَابِ لِأَنَّهُمْ يَهُودٌ وَنَصَارَى ، أَوْ لِأَعْدَائِكُمْ ، فَإِنَّهُ عَلَى
الْأَوَّلِ يَكُونُ قَوْلُهُ (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكُنِيَ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكُنِيَ بِاللَّهِ نَصِيرًا)
اعْتِرَاضًا ، وَعَلَى الثَّانِي يَكُونُ (وَكُنِيَ بِاللَّهِ ، وَكُنِيَ بِاللَّهِ) اعْتِرَاضًا ، وَيَجُوزُ أَنْ
يَكُونَ (مَنْ الَّذِينَ) صَلَةً لِنَصِيرَا^(٦) أَيْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ الَّذِينَ هَادُوا ، كَقَوْلِهِ
(وَنَصَرْنَا هُ مِنْ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا^(٧)) وَأَنْ يَكُونَ كَلَامًا مُبْتَدَأً عَلَى أَنَّ

(١) — ي — ٢٢٢ ، ٢٢٣ — س — ٢

(٢) هَذَا عَلَى أَنَّ قَوْلَهُ (وَيَحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) مَعْطُوفٌ عَلَى مُجْمُوعٍ — إِنْ —
وَأَسْمَاؤُهَا وَخَبَرُهَا ، وَإِلَّا كَانَ مِنَ الْإِعْتِرَاضِ بِجَمَلَةٍ وَاحِدَةٍ .

(٣) — ي — ٣٦ — س — ٣

(٤) هُوَ إِعْتِرَاضٌ بَيْنَ الْمَعْطُوفِ وَالْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهَا .

(٥) — ي — ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ — س — ٤

(٦) يَعْنِي أَنَّ الْجَارَ وَالْمَجْرُورَ مَتَعَلِّقٌ بِهِ ، وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ وَالَّذِي بَعْدَهُ لَا يَكُونُ

فِي الْآيَةِ إِعْتِرَاضٌ . (٧) — ي — ٧٧ — س — ٢١ — فَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ
مَتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ (وَنَصَرْنَا هُ) كَمَا جَمَلَ صَلَةً لِنَصِيرَا فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ .

(يخرفون) صفة مبتدأ مخذوف تقديره — من الذين هادوا قوم يخرفون، كقوله :
وما الدهرُ إلاَّ تارتان فنهما أموت وأخرى أبتغي العيش أكدح^(١)
وقد علم بما ذكرنا أن الاعتراض كما يأتي بغير واو ولا فاء قد يأتي
بأحدهما^(٢).

ووجه حسن الاعتراض على الإطلاق حسن الإفادة ، مع أن مجيئه
مجيء ما لا معمول عليه في الإفادة ، فيكون مثله مثل الحسنة تأتيك من
حيث لا ترتقبها^(٣).

ومن الناس من لا يقيد فائدة الاعتراض بما ذكرناه ، بل يجوز أن
تكون دفع توهم ما يخالف المقصود ، وهو لاء فرقتان :

فرقة لا تشترط فيه أن يكون واقعاً في أثناء كلام أو بين كلامين متصلين
معنى ، بل يجوز أن يقع في آخر كلام لا يليه كلام أو يليه كلام غير متصل به
معنى ، وبهذا يشعر كلام الزمخشري في مواضع من — السكشاف — فالاعتراض

(١) هو لنسيم بن مقبل ، وقوله — أكدح — بمعنى أجهد نفسي في العمل ،
والشاهد في أن قوله — منهما — صفة مبتدأ مخذوف كما في الآية على الوجه
الآخر ، وتقديره فتارة منهما أموت أى فيها ليرط الضمير الخبر بالمبتدأ .
وكذلك قوله — وأخرى أبتغي — فتقديره — وأخرى أبتغي العيش فيها ،
وجملة — أمدح — في موضع نصب على الحالية .

(٢) يسمى كل منهما واو أو فاء اعتراضية ، وهى غير واو العطف وواو الحال ،
وقد تشبّه بالثانية في نحو قوله تعالى — ي — ٥١ ، ٥٢ — س — ٢ — (ثم
اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ، ثم عفوننا عنكم) فتصلح لكل منهما
بالقصد ، فإن قصد تقييد العامل بالجملة كانت الحالية ، وإن لم يقصد كانت اعتراضية ،
والمعنى على الأول — ثم اتخذتم العجل حال كونكم ظالمين بانخاذه . وعلى الثاني
— وأنتم قوم عادتم الظلم ، فيكون اعتراضاً أتى به تأكيداً لظلمهم بأمر مستقل لم
يقصد ربطه بالعامل قبله .

(٣) هذه نكتة بديعية للاعتراض يمكن أن يعد بها من المحسنات البديعية
كما جرى عليه بعضهم .

عند هؤلاء يشمل التذييل^(١) ومن التكميل ما لا محل له من الإعراب جملة كان أو أكثر من جملة^(٢).

وفرقة تشترط فيه ذلك ، لكن لا تشترط أن يكون جملة أو أكثر من جملة ، فالاعتراض عند هؤلاء يشمل من التتميم ما كان واقعا في أحد الموقعين^(٣) ومن التكميل ما كان واقعا في أحدهما ولا محل له من الإعراب^(٤) جملة كان أو أقل من جملة أو أكثر .

الإطناب بغير هذه الأنواع : وإما بغير ذلك^(٥) كقولهم — رأيت بهي —
ومنه قوله^(٦) تعالى (إِذْ تَلَقَّوْهُ بِالْسَنَتِكُمْ) وتقولون بأفواهكم ما ليس لکم به علم^(٧) أى هذا الإفك ليس إلا قولا يجرى على ألسنتكم ويدور في أفواهكم من غير ترجمة عن علم في القلب ، كما هو شأن المعلوم إذا ترجم عنه اللسان ، وكذا قوله (تلك عشرة كاملة^(٨)) لازالة توهم الإباحة^(٩) كما في نحو قولنا — جالس الحسن وابن سيرين — وليعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ،

(١) أى مطلقاً ، لأن التذييل يجب أن يكون بجملة لا محل لها من الإعراب كما سبق في أمثله ، كما أن الاعتراض يجب فيه ذلك ، فيكون التذييل أخص منه ، لأنه لنكتة التوكيد فقط ، والاعتراض عندهم أعم . لأنه يكون لنكتة التوكيد وغيرها كما سبق .

(٢) فيكون بينهما عموم وخصوص من وجه ، وقد أطالت حواشي التلخيص في بيان النسب بين أقسام الإطناب بشكل يفسد الذوق البلاغي ، فلا تفسده بهذا مثلاً (٣) يعنى بأحدهما أن يقع في أثناء الكلام أو بين كلامين متصاين .

(٤) إنما قيده بهذا لأنه لا خلاف بينهم في تقييد الاعتراض به ، فلا يشمل من التكميل إلا ما كان كذلك ، ولكن الظاهر أن هذه الفرقة لا تقيّد الاعتراض بما قيده به غيرها من كونه لا محل له من الإعراب ، لأنها تجوز أن يكون مفرداً ، ومن شأن المفرد أن يكون له محل من الإعراب .

(٥) عطف على قوله فيما سبق — إما بالإيضاح بعد الإبهام

(٦) — ١٥ — س — ٢٤ — وعمل الشاهد (وتقولون بأفواهكم) لأن القول

لا يكون إلا بالأفواه ، فذكرها بعده إطناب (٧) — ١٩٦ — س — ٢

(٨) أى في قوله قبله (فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم) ولكنه على هذا يكون من التكميل ، مع أنه يصدّد ذكر أقسام أخرى للإطناب

ليحاط به من جهتين فيتأكد العلم ، وفي أمثال العرب — علمان خير من علم — وكذا قوله (كاملة) تأكيد آخر ، وقيل : أى كاملة في وقوعها بدلا من الهدنى ، وقيل : أريد به تأكيد الكيفية لا الكمية ، حتى لو وقع صوم العشرة على غير الوجه المذكور^(١) لم تكن كاملة^(٢) وكذا قوله (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا)^(٣) فإنه لو لم يقصد الإطناب لم يذكر (ويؤمنون به) لأن إيمانهم^(٤) ليس بما ينكره أحد من مثبتهم ، وحسن ذكره إظهار شرف الإيمان ترغيباً فيه^(٥) وكذا قوله (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون)^(٦) فإنه لو اختصر^(٧) لترك قوله (والله يعلم إنك لرسوله) لأن مساق الآية لتكذيبهم في دعوى الإخلاص في الشهادة كما مر^(٨) وحسنه دفع توهم أن التكذيب للمشهود به في نفس الأمر^(٩) ونحوه قول الباغاء — لا وأصلحك الله^(١٠) وكذا قوله تعالى^(١١) إخباراً عن موسى (هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مارب أخضرى) وحسنه أنه عليه السلام فهم أن السؤال يعقبه أمر عظيم

(١) هو أن يكون ثلاثة منها في الحج وسبعة عند الرجوع إلى الأهل .

(٢) أى شرعاً وإن كانت كاملة عدداً .

(٣) — ي — ٧ — من — ٤٠ — (٤) أى الذين يحملون العرش وهم الملائكة

(٥) إنما لم يكن اعتراضاً بين ما قبله وما بعده لأن الوو فيه عاطفة لا اعتراضية ،

ولأنه محلا من الإعراب والاعتراض لا محل له . (٦) — ي — ١ — من — ٦٣

(٧) يريد بالاختصار ترك الإطناب فيشمل المساواة ، لأنه عند ترك هذا

يكون الكلام من المساواة لا من الإيجاز ، والاختصار كما يطلق على الإيجز يطلق على ما يشمل المساواة .

(٨) أى فى الكلام على صدق الخبر وكذبه فى الجزء الأول ، فقد سبق فيه

أن مساقها لتكذيبهم فى ذلك ، لا لتكذيبهم فى قولهم (والله يعلم إنك لرسوله)

(٩) إنما دفع ذكره توهم ذلك لأن التكذيب لا يرجع اليه ، فيبقى دالاً على

حجة المشهود به فى نفس الأمر (١٠) فالواو فيه إطناب لدفع توهم خلاف المراد

(١١) — ي — ١٨ — من — ٢٠

يحدثه الله تعالى في العصا ، فينبغي أن يتنبه لصفاتها حتى يظهر له التفاوت بين
الحالين^(١) وكذا قوله^(٢) تعالى (نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ)
وحسنه إظهارُ الابتهاج بعبادتها والافتخار بمواظبتها ليزداد غيظ السائل^(٣).

الإيجاز والإطناب النسيان : واعلم أنه قد يوصف الكلام بالإيجاز
والإطناب^(٤) باعتبار كثرة حروفه وقلتها بالنسبة إلى كلام آخر مساوٍ له في
أصل المعنى^(٥) كالشطر الأول من قول أبي تمام :
يَصْدُ عَنْ الدُّنْيَا إِذَا عَنْ سَوْدَدَ وَلَوْ بَرَزْتُ فِي زَيْ عَذْرَاءَ نَاهِدِ^(٦)
وقول الآخر :

ولستُ بنظائر إلى جانب الغنى إذا كانتِ العلياءُ في جانب الفقرِ^(٧)

(١) لو اختصر لقال — هي عصا — لأن الجواب يكون حينئذ على قدر
السؤال ، وهو قوله قبله (وما تَلَّكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى) (٢) — ي — ٧١ — س — ٢٦
(٣) لو اختصروا لقالوا — نَعْبُدُ أَصْنَامًا — لأن الجواب يكون حينئذ على
قدر السؤال ، وهو قول إبراهيم لهم قبله (ما تعبدون)
(٤) الواو بمعنى — أو — كما هو ظاهر .

(٥) فيقال الأكثر حروفاً : إنه مطمئن وإن كان على التفسير السابق مساواة أو
إيجازاً . ويقال للأقل حروفاً : إنه موجز وإن كان على التفسير السابق مساواة أو إطناباً .
(٦) هو من قصيدة له في محمد بن الحيثم ، ومطلعها :

قفوا جدّوا من عهدكم بالمعاهد وإن هي لم تسمع لنشيدان ناشد
وقوله — عن — بمعنى ظهر ، والعذراء البكر ، والناهد بارزة الثدي ، يعني
أنه لا يهمه أمر الدنيا في مواطن الجود بالمال

(٧) هو للمعتزل بن غيلان ، وقيل : إنه لأبي سعيد الخزومي ، والنظار صيغة
مبالغة ولكن النفي وارد على أصلها ، فلا يقتضي أن يكون أصل النظر إلى الغنى
موجوداً ، ويجوز أن تكون صيغة نسب كعطار ونحوه ، وهذا البيت إطناب
بالنسبة للشطر الأول من بيت أبي تمام ، كما أن هذا الشطر إيجاز بالنسبة إليه ،
وإن كان كل منهما على التفسير السابق للثلاثة من المساواة ، لأن مثل العبارة
فيهما يجري في متعارف الأوساط . وقبل البيت :

وإني لصَبَّارٌ على ما ينوبني وحسبك أن الله أثني على الصبر

ومنه قول الشَّماخ :

إذا مارايةٌ رُفعتٌ لمجدٍ نلقاها عرابةٌ باليمين^(١)
وقول بشر بن أبي خازم :
إذا ما المسكر مات رُفعنَ يوماً وقصّر مبتغوها عن مداها
وضاقت أذرع المثرين عنها سما أوُسٌ إليها فاحتواها^(٢)
ويقرب من هذا الباب^(٣) قوله^(٤) تعالى (لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ
وَهُمْ يُسْأَلُونَ) . وقول الحماسي :
وننكرُ إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول^(٥)
وكذا ما ورد في الحديث ، الحزم سوء الظن ، وقول العرب : الثقة بكل
أحد عجزه^(٦) :

(١) هو للشماخ بن ضرار في مدح عرابة الأوسى ، وقوله — تلقاها عرابة
باليمين — تمثيل لأخذه لها بقوة ، والمراد بالراية راية الحرب

(٢) مبتغوها طالبوها ، ومدادها غايتها ، والمثرون أصحاب الثروة والغنى ،
وقوله — احتواها — بمعنى اشتمل عليها ، وهو يمدح بهذا أوس بن حارثة بن
لام الطائي ، والشاهد في أن بيت الشماخ إيجاز بالنسبة إلى هذين البيتين .

(٣) جعله قريباً منه ولم يجعله منه لأن مافي الآية يشمل كل فعل حتى القول ،
وما في البيت خاص بالقول فقط ، فلم يتساويا في أصل المعنى مساواة تامة ، وهذا
إلى أن مافي الآية نفى السؤال ، وما في البيت نفى الإنكار ، والأول أبلغ من الثاني .
(٤) - ي - ٢٣ - س - ٢١ .

(٥) هو للسموون بن عاديساء ، وأل في القول للعهد أي قولنا . وهو من قصيدة
له مطلعها : إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضهُ . فكل رداء يرتديه جميل
(٦) ينسب هذا إلى أكثم بن صيفي .

هذا وقد يتقارب اللفظان في الإيجاز فيكون أجودهما أشدهما إيضاحاً للمعنى ،
كقول أبي القاسم البغدادي :

وردتُ وقد حل لي مأوؤهُ فلما بكيتُ عليه حرَّمهُ

وقول مهيार الديلمي :

بكيت على الوادي حرمتُ ماءهُ وكيف يحلُّ الماء أكثره دمُ
فقد تقاربت ألفاظ البيتين ، ولكن زاد الثاني بذلك التفسير البديع ، فكان أعلى
وأرق من الأول

تمريعات على الإيجاز والإطناب والمساواة

تمرين - ١

(١) بين موضع الإطناب والداعى إليه فى قول الشاعر :
تأمل من خلال السجف وانظر بعينك ما شربت ومن سقاني
تجد شمس الضحى تدنو بشمس إلى من الرقيق الخسروانى
(٢) من أى أنواع الإيجاز قول بعض الأعراب : إن شككت فى ،
فاسأل قلبك عن قلبى .

تمرين - ٢

(١) بين نوع الإيجاز والداعى إليه فى قوله تعالى - ي - ٣ ، ٤ ، ٥ -
س - ٨٩ - (والشفع والوتر ، واللّيل إذا يسر ، هل فى ذلك
قسم لذي حبر) .
(٢) لماذا كان من المساواة قول بعض البلغاء : علمتى نبتوتك سلوتك ،
وأسلمنى يأسى منك إلى الصبر عنك .

تمرين - ٣

(١) يعدّون من المساواة قوله تعالى - ي - ٢١ - س - ٥٢ - (كل
امرى بما كسب رهين) فهل ترى أنها منها أو من إيجاز القصص ؟
(٢) هل من المساواة أو الإيجاز أو الإطناب قول الشاعر :
يقول أناس لا يضيرك فقدوها بلى كل ما شفّ النفوس يضير

تمرين - ٤

(١) من أى أنواع الإيجاز قوله تعالى - ي - ٢٢ - س - ٣٩ - (أفمن
شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم
من ذكر الله أولئك فى ضلال مبين) .

(٣) من أى أنواع الإطناب قول الشاعر :
المَشْرِقَانِ عَلَيْكَ يَنْتَجِبَانِ قَاصِيَهُمَا فِي مَاتِمٍ وَالدَانِ

تمرين — ٥

- (١) بين موضع الإطناب ونوعه في قوله تعالى - ي - ٥ ، ٦ - س - ٤٩ :
(فَإِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ، إِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) .
(٢) كيف يكون من الإيجاز قوله تعالى - ي - ٣ - س - ٦٥ - (وَمَنْ
يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) مع أنها جملة مستوفية كل أجزائها .

تمرين — ٦

- (١) لماذا عُدَّ من الإخلال قول بعضهم : فَإِنْ الْمَعْرُوفُ إِذَا زَجَا ، كَانَ
أَفْضَلَ مِنْهُ إِذَا تَوَفَّرَ وَأَبْطَأَ — زجا بمعنى تيسر .
(٢) من أى أنواع الإطناب قول الشاعر :
لَوْ أَنَّ الْبَاخِلِينَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ رَأَوْكَ تَعَلَّمُوا مِنْكَ النَّمِطَالَا

تمرين — ٧

- (١) أيهما أعلى مقاماً في البلاغة الإيجاز أو الإطناب ؟ وهل هناك فرق
بين الإيجاز في غير موضعه والإخلال ؟ وبين الإطناب في غير موضعه
والتطويل ؟
(٢) بين خلافتهم في منزلة المساواة من البلاغة ، واذكر رأيك فيه .

مباحث الجزء الثاني

الصفحة — الموضوع

٢ القول في أحوال متعلقات الفعل

(٢) حال الفعل مع المفعول والفاعل (٣) أغراض حذف المفعول به
(١٣) تمرينات على الذكر والحذف (١٤) أغراض تقديم المتعلقات على
الفعل (١٧) أغراض تقديم بعض المفعولات على بعض (٢٤) تمرينات
على التقديم والتأخير .

٢٥ القول في القصر .

(٢٥) أقسام القصر (٣٠) تمرينات على أقسام القصر (٣١) طرق القصر :
العطف (٣٢) النفي والاستثناء (٣٣) إنما (٣٦) التقديم — فروق طرق
القصر (٥٠) تمرينات على طرق القصر .

٥٢ القول في الإنشاء .

(٥٢) أقسام الإنشاء : النفي (٥٤) الاستفهام (٧١) تمرينات على النفي
والاستفهام (٧٢) الأمر (٧٤) النهي (٧٧) النداء (٧٩) تنبيه
(٨٠) تمرينات على الأمر والنهي والنداء .

٨١ القول في الوصل والفصل .

(٨١) تعريف الوصل والفصل (٨٢) أحوال الوصل والفصل : الوصل
للاشتراك في الحكم (٨٤) الفصل لعدم الاشتراك في الحكم (٨٥) الوصل
بغير الواو من حروف العطف — الفصل لعدم الاشتراك في القيد
(٨٦) أحوال أخرى للفصل (٨٧) الأول كمال الانقطاع (٩٠) الثاني كمال
الاتصال (٩٦) الثالث شبه كمال الانقطاع (٩٧) الرابع شبه كمال الاتصال
(١٠٣) الوصل لدفع الإيهام — الوصل للتوسط بين الكمالين (١٠٦) الجامع
بين الجملتين وأقسامه (١١١) محسنات الوصل (١١٢) فروق الجملة الحالية
(١٢٦) تمرينات على الوصل والفصل .

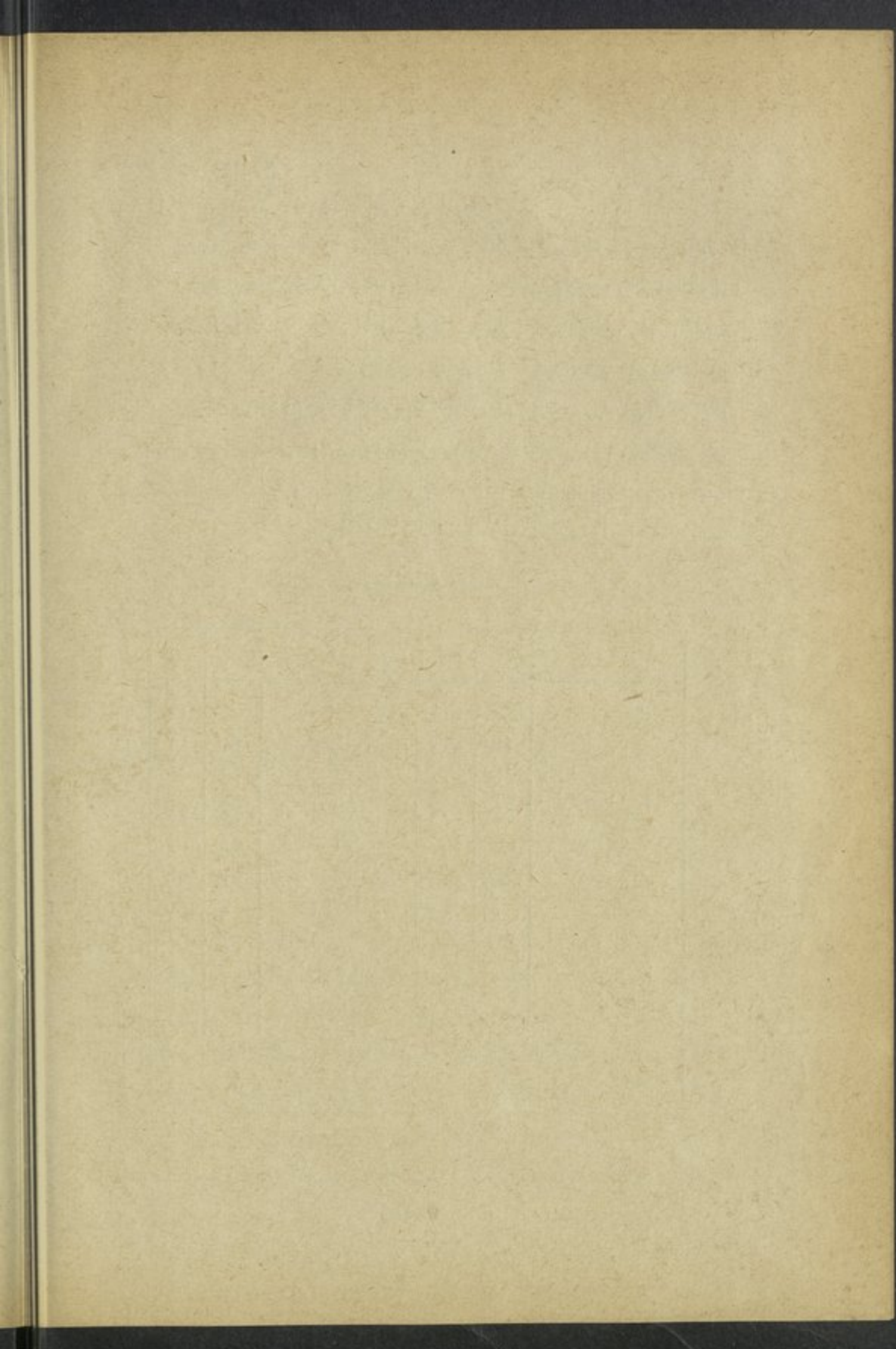
الصفحة — الموضوع

١٢٨ القول في الإيجاز والإطناب والمساواة

(١٢٨) تعريف السكاكي للإيجاز والإطناب والمساواة (١٣٠) تعريف الخطيب - الإخلال (١٣١) التطويل - الحشو (١٣٥) القسم الأول المساواة (١٣٦) القسم الثاني الإيجاز - إيجاز القصر (١٣٩) إيجاز الحذف (١٥٠) القسم الثالث الإطناب - أقسام الإطناب : الإيضاح بعد الإبهام وفروعه (١٥٢) ذكر الخاص بعد العام (١٥٣) التكرير (١٥٤) الإيغال (١٥٦) التذييل (١٥٩) التكميل (١٦٢) التتميم (١٦٣) الاعتراض (١٦٨) الإطناب بغير هذه الأنواع (١٧٠) الإيجاز والإطناب النسبيان (١٧٢) تمرينات على الإيجاز والإطناب والمساواة .

تصحیحات

ص	س	صواب	ص	س	صواب
١٠	٦	ذاتك	١٠١	٢٠	هو صفة
١٢	٢٤	- ي -	١٠٢	١٣	إبهام
٢٣	١٦	فلا	١٠٨	٥	لم يجمع
٣٧	١٢	مردود	١٠٩	١٧	كالبياض
٣٧	٢٥	السماع	١١٥	٥	وأرهنهم
٦٧	٢٢	الصورة	١١٥	١٧	تضم
٧٢	٩	قول	١١٦	١	في مثله
٧٣	٥	كونوا	١٢٤	٧	دخول
٨٩	١٠	الانقطاع	١٣٩	١٩	يقتضيه
٩٤	٢	لدالاته	١٤١	١٩	أمر
٥٨	السطر الأول موضعه السطر الأخير فوق الجدول				
٥٩	السطران : ٢٣ ، ٢٤ - موضعهما قبل السطر - ٢٢				



بُعَيْدُ الْإِضَاحِ

لِلدَّخِصِ الْمَفْتاحِ

فِي عِلْمِ الْبَلَاغَةِ

تأليف

عبد المتعال الصعدي

المدرس بكلية اللغة العربية بكلية الآداب جامعة الأزهر

الجزء الثالث في علم البيان

الطبعة الخامسة

تنبيه: الإيضاح بأعلى الصفحة والبغية بأسفلها

الناشر — مكتبة الآداب ومطبعاتها: ٤٢٧٧٧

المطبعة النموذجية

٦ مكتبة الشارونك بالحيمة الجديدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفن الثاني علم البيان

تعريف علم البيان : وهو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد ^(١) بطرق مختلفة

(١) قيده السعد بأن يكون مدلولاً عليه بكلام مطابق لمقتضى الحال ، وإنما قيده بهذا لأن اعتبار علم البيان إنما يكون بعد اعتبار علم المعاني ، فلا بد من مراعاة علم المعاني في علم البيان ، فإذا أنكر شخص كرم زيد مثلاً قلت له بطريق السكناية - إن زيداً كثير الرماذ - فإذا لم تأت بالثبات كيد لم يعتد بهذه السكناية ، وقيل : المراد جنس المعنى من غير تقييد بشيء ، لأن وظيفة علم البيان غير وظيفة علم المعاني ، فوظيفة الأول ترجع إلى البلاغة ، ووظيفة الثاني ترجع إلى الفصاحة ، وقد سبق في المقدمة أنه لا بد من اعتبار الفصاحة في البلاغة ، فإذا نظر إلى هذا كان الأمر في العلبين بعكس ما ذكره السعد فيهما ، والحق أن علم البيان لا ينظر في قول امرئ القيس مثلاً :
أَلَسَمُ تَسَالُ الرَّبْعَ الْقَدِيمَ بِسَعْسَعَسَا كَأَنِّي أَنَادِي إِذْ أَكَلَمُ أُخْرَسَا
من جهة مطابقته لمقتضى الحال أو عدمها ، وإنما ينظر إليه من جهة فساد التشبيه ، لأنه لا يقال : كلمت - حجراً فلم يجب فكأنه كان حجراً . وإنما الجيد في ذلك قول كُشَيْرٍ

فَقُلْتُ لَهَا : يَا عَزُّ كُلِّ مُضَيِّبَةٍ إِذَا وَطَنْتُ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتْ
كَأَنِّي أَنَادِي صَخْرَةً حِينَ أُعْرِضُ مِنَ الصَّمِّ لَوْ تَمْشِي بِهَا الْعُصْمُ زَلَّتْ
وهذا لا يمنع مراعاة الاحوال والظروف في أبواب علم البيان ، كما أني القدماء بتشبيهات رغب المحدثون عنها استبشاعاً لها ، وهذا كما قال امرؤ القيس :

في وضوح الدلالة عليه ^(١).

أقسام الدلالة: ودلالة اللفظ إما على ما وضع له ، أو على غيره ، والثاني إما داخل

في الأول دخول السقف في مفهوم البيت أو الحيوان في مفهوم الإنسان ، أو خارج عنه خروج الحائط عن مفهوم السقف أو الضاحك عن مفهوم الإنسان ، وتسمى الأولى دلالة وضعية ، وكل واحدة من الأخيرتين دلالة عقلية ، وتختص الأولى بدلالة المطابقة ، والثانية بالنضمن ، والثالثة بدلالة الالتزام وشرط الثالثة الالتزام

وتعطو برخص غير شثن كأنه أساريع ظي أو مساويك إسحيل
فشبه البنان بالأسروعة وهي دودة تسكون في الرمل ، وقال ابن المعتز :
أشرن على خوف بأغصان فضة مقومة أثمارهن عقيق

وهذا أحب من تشبيه امرئ القيس وإن كان أشد إصابة ، ولكن يجب أن نقبل من هذا ما لا يمجج الذوق ، مثل قولهم — أعطى القوس باربها — كما يقال في الإنجليزية الآن ما ن يبالغ في كلامه — يزع في القوس الطويلة — وفي الفرنسية لمن يتوسل إلى غايته بكل وسيلة — يرى سهاماً من كل خشب .

(١) بأن يكون بعض الطرق واضح الدلالة عليه وبعضها أوضح ، وبهذا يكون الاختلاف بينها في حدود وضوح الدلالة ، لأن علم البيان يقصد منه الاحتراز عن التعقيد المعنوي ، فلا يطلب فيه إلا وضوح الدلالة . وقيل : إنه يريد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة وخفائها ، فحذف الثاني على سبيل الاكتفاء ، وقد رجح هذا بأن المطلوب في علم البيان هو خفاء الدلالة لا وضوحها ، لأنه كلما كان الكلام خفي الدلالة كانت منزلته أعلى ، ولا شك أن المراد بهذا الخفاء ما يكون بسبب دقة المعنى لا بسبب التعقيد

واختلاف تلك الطرق في ذلك يكون باعتبار قرب المعنى المجازي وبعده من المعنى الحقيقي ، وباعتبار اختلاف القرينة المنصوبة في دلالتها على المراد .

الذهنى ، أعنى أن يكون حصول ما وُضع اللفظ له فى الدهن ملزوماً لحصول الخارج فيه ^(١) لئلا يلزم ترجيح أحد المتساويين على الآخر ، لكون نسبة الخارج إليه حينئذ كنسبة سائر المعانى الخارجية :

ولا يشترط فى هذا اللزوم أن يكون مما يشبهه العقل ^(٢) بل يسفى أن يكون مما يشبهه اعتقاد المخاطب إما لعرف عام أو لغيره ^(٣) لإمكان الانتقال حينئذ من المفهوم الأصلى إلى الخارجى ، وقد وقع فى كلام بعض العلماء ^(٤) ما يشعر بالخلاف فى اشتراط اللزوم الدهنى فى دلالة الالتزام ، وهو بعيد جداً ، وإن

وقد خرج بذلك عن تعريف علم البيان لإيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى اللفظ والعبارة ، كقولك — زيد أسد ، زيد ليث

ومن الاختلاف فى طرق الدلالة أن يقال فى الكناية عن الجود — مهزول الفصيل . جبان السكب . كثير الرماد — وفى إيراده بطريق التشبيه — هو كالبحر فى السخاء . أو بحر من غير ذكر وجه الشبه — وفى إيراده بطريق الاستعارة — رأيت بحراً فى دارنا . رأيت بحراً طم بإنعامه جميع الأنام .
(١) يعنى بالخارج المعنى الخارجى وهو اللازم ، وقد يكون حصول ذلك فوراً أو بعد التأمل فى الفرائى والأمارات .

(٢) يعنى اللزوم البين المعتبر فى علم المنطق ، وإنما لم يشترط هنا لأن اشتراطه يخرج كثيراً من المعانى المجازية عن أن تكون مدلولات التزامية ، ولا يتأق معه الاختلاف فى وضوح الدلالة ، لأنه لا يمكن فيه انفكاك تعقل اللازم عن تعقل اللزوم فى الدهن أصلاً .

(٣) يعنى بغير العرف العام العرف الخاص ودلالة المقام والتأمل فى القرينة ، ومثال العرف العام لزوم الشجاعة للأسد ، ومثال الخاص لزوم عدم قبول النجاسة لبلوغ الماء قلتين

(٤) هو ابن الحاجب .

صح فدلل السبب فيه توهم أن المراد باللزوم الذهني اللزوم العقلي ^(١) لإمكان
الفهم بدون اللزوم الذهني بهذا المعنى حيثئذ كما سبق
ثم إيراد المعنى الواحد على الوجه المذكور لا يتأتى بالدلالة الوضعية ^(٢) لأن
السامع إن كان عالماً بوضع الألفاظ لم يكن بعضها أوضح دلالة من بعض ، وإلا لم
يكن كل واحد منها ذالاً ، وإنما يتأتى بالدلالات العقلية ، لجواز أن يكون للشيء
لوازم بعضها أوضح لزوماً من بعض ^(٣) .

(١) هو اللزوم البين المعتر في علم المنطق كما سبق .
(٢) أى في دلالتها على معنى واحد بطرق متعددة كما في الألفاظ المترادفة ،
وقد يتأتى فيها الاختلاف في الوضوح بالتعقيدات اللفظية ، وإلكن هذا ليس
من الاختلاف في طرق الدلالة ، واعتراض على ذلك بأنه يلزم عليه خروج التشبيه
من علم البيان لأن دلالاته وضعية ، وقد أجاب بعضهم بالتزام خروج التشبيه
من علم البيان وأنه إنما يذكر فيه من أجل بناء الاستعارة عليه ، والحق أن الإيراد
المذكور يتأتى في التشبيه أيضاً كما سبق ، فلا يصح إخراجه من علم البيان ، وإنما
أتى فيه الإيراد المذكور لأن التشبيه في نحو — زيد كالبدر — له دلتان :
إحداهما وضعية في دلالاته على تشبيه وجهه بالبدر في الاستدارة والاستنارة ،
والثانية التزامية في دلالاته على أنه غاية في الحسن ، وهذه الثانية يأتى فيه الإيراد
المذكور ، وقيل : إن المراد بإتيان ذلك في العقلية ما يشمل إتيانه فيها وحدها
أو مع الوضعية ، لأن الدلالة الوضعية فيه إحدى الدلالات المتفاوتة .

(٣) يكون هذا باعتبار قلة الوسائط وكثرتها بين اللازم والمزوم ونحو
ذلك مما يختلف به وضوح الدلالة ، وكذلك دلالة التضمن لأنها قد تدل على جزء
الشيء أو جزء جزئه ، ودلالاتها على الأول كدلالة الحيوان على الجسم أريض من
دلالتها على الثاني كدلالة الإنسان على الجسم .

هذا وإنما ذكرهنا بمبحث الدلالة ليرتب عليه بيان أبواب علم البيان ، ولأن علم

أبواب علم البيان : ثم اللفظ المراد به لازم ما وُضع له إن قامت قرينة على عدم إرادة ما وضع له فهو مجاز ، وإلا فهو كناية ، ثم المجاز منه الاستعارة ، وهي ما تفتنى على التشبيه ، فيتمين التعرض له ^(١) .
فانحصر المقصود في التشبيه والمجاز والكناية ، وقدّم التشبيه على المجاز لما ذكرنا من ابتناء الاستعارة التي هي مجاز على التشبيه ، - وقدّم المجاز على الكناية لتزول معناه من معناها منزلة الجزء من الكل ^(٢) .
القول في التشبيه

تعريف التشبيه : التشبيه الدلالة على مشاركة أمر لآخر في

البيان ترجع مباحثه إلى دلالة اللفظ ، أما علم المعاني فترجع مباحثه إلى نظم الكلام وأسلوبه .

(١) هذا ظاهر في أن التشبيه لا يدخل في البيان إلا تبعاً للاستعارة ، وقد سبق بيان الحق في ذلك ، على أن ابن الأثير قد ذكر أن الجمهور على أن التشبيه مجاز لأن المتشابهين كما ذكر ابن رشيقي إنما يتشابهان بالمقاربة وعلى المسامحة ، ونازعه بعضهم في صحة هذا النقل عن الجمهور ، وقد قسم الرماني التشبيه إلى حقيقي ومجازي ، فالأول تشبيه المتفقين بأنفسهما ، كتشبيه حمرة الخد بحمرة الورد ، والثاني تشبيه المختلفين بالذات ، كتشبيه زيد بالأسد .

(٢) إنما لم يكن جزءاً حقيقة لأن الكناية ليس معناها مجموع اللازم والملزوم ، وإنما هو اللازم مع جواز إرادة الملزوم كما سيأتي .

هذا وقد ذكر السعد أن الأولى أن يعرف البيان بأنه علم يبحث فيه عن التشبيه والمجاز والكناية ، ثم يشتغل بتفصيل هذه المباحث ، فلا يكون هناك حاجة إلى تفصيل الكلام في الدلالة وما ترتب عليه ، ويرد عليه أن التعريف يبنى على الشمول ولا يكون بهذا التفصيل ، ويجب أن يعلم أن هذه الأبواب كانت تعد قديماً من البديع ، وكان يجري عليها حكم أبوابه ، فلا يصح أن يزدحم الكلام بها ، لأنها لا تطلب لذاتها كما سبق ، وإنما تحسن عند اقتضاء المقام لها .

معنى ^(١) والمراد بالتشبيه ههنا ^(٢) ما لم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية ولا الاستعارة بالكناية ولا التجريد ^(٣) فدخل فيه ما يسمى تشبيهاً بلا خلاف، وهو ما ذكرت فيه أداة التشبيه، كقولنا - زيد كالأسد، أو كالأسد - بحذف زيد لقيام قرينة، وما يسمى تشبيهاً على الاختار كما سيأتى ^(٤) وهو ما حذف في أداة التشبيه وكان اسم المشبه به خيراً للمشبه أو في حكم الخبر ^(٥) كقولنا - زيد أسد - وكقوله تعالى ^(٦) (صُمُّ بُكْمٌ عُمَى) أى هم، ونحوه قول من يخاطب الحجاج:

أَسَدٌ عَلَىَّ وَفِي الْحُرُوبِ نَعَامَةٌ فَنَحْنُ نَتَفَرُّ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ ^(٧)
وكقولنا - رأيت زيدا بجراً

(١) هذا معنى التشبيه في اللغة، ويرد عليه أنه يشمل نحو - قاتل زيد عمراً، وجاء في زيد وعمر - فالأحسن أن يقال في معناه لغة: إنه مصدر - شبهته بكذا - إذا جمعت بينهما بوصف جامع، وهذا لا يرد عليه ذلك، لأن الجمع فيه بصيغة المشاركة وواو العطف لا بذلك الوصف الجامع.

(٢) يعنى التشبيه الاصطلاحي.

(٣) فهو في الاصطلاح الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى بالكاف ونحوها لأعلى وجه الاستعارة التحقيقية والاستعارة بالكناية والتجريد، وإنما لم يذكر الاستعارة التخيلية مع الثلاثة لأنها عنده في الإثبات كما سيأتى، فهي خارجة عن جنس التعريف، وخروج التجريد من التشبيه إذا لم يكن على وجه ينبنى عن التشبيه، كقولك - لى من فلان صديق حميم - فإذا كان على وجه ينبنى عنه فالأقرب جعله منه، كقولك - لئن سألت فلاناً لتسألن به البحر:

(٤) في تعريف الاستعارة.

(٥) كالحال ونحوه، كقولك - رأيت زيدا بجراً.

(٦) - ي - ١٨ - س - ٢

(٧) نسب في الأغاني لعمران بن حِطَّان، ونسب في حماسة البحترى لأسامة بن

تأثير التشبيه : وإذا قد عرفت معنى التشبيه في الاصطلاح ، فاعلم أنه مما
اتفق العقلاء على شرف قدره وفخامة أمره في فن البلاغة ^(١) وأن تعقيب المعاني به
لا سيما قسم التمثيل منه يضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود مدحا
كانت أودما أو افتخارا أو غير ذلك ، وإن أردت تحقيق هذا فانظر إلى قول
البحترى :

دَارِنَ عَلَى أَيْدِ الْعَفَاةِ وَشَامِعٌ عَنْ كُلِّ نِدٍّ فِي النَّدَى وَضَرِيبٍ
كَالْبِدْرِ أَفْرَطُ فِي الْعُلُوِّ وَضَوْءُهُ لِلْعَصْبَةِ السَّارِنِ جِدٌّ قَرِيبٌ ^(٢)
أَوْ قَوْلُ ابْنِ لَنَكْكَ :

إِذَا أَخَوُا الْحَسْنَ أَضْحَى فَعَلُهُ مَمِجًّا رَأَيْتَ صُورَتَهُ مِنْ أَقْبَحِ الصُّوَرِ
وَهَبَهُ كَالشَّمْسِ فِي حَسَنِ أَلَمْ تَرَْنَا نَفَرْنَا إِذَا مَالَتْ إِلَى الضَّرَرِ ^(٣)
أَوْ قَوْلُ ابْنِ الرُّومِيِّ :

بِذَلِّ الْوَعْدِ لِلْأَخْلَاءِ سَمَحًا وَأَبَى بَعْدَ ذَلِكَ بِذَلِّ الْعَطَاءِ

سفيان البجلي ، وفيه — ربداء — بدل فتحاء ، والقنخ استرخاء المفاصل ولينها ،
والربداء لون إلى الغبرة . والشاهد في أنه على تقديره أسد .

(١) يريد بالبلاغة ما يرادف الفصاحة

(٢) هما للوليد بن عبيد المعروف بالبحترى ، والعفاة جمع عاف وهو طالب للفضل
أو الرزق ، والنسد المثل والنظير وعطف ضريب عليه عطف تفسير .
والسارون السائرون ليلا ، وقوله — جد قريب — صفة لمخدوف أى
قريب جد قريب بمعنى بالغ الغاية في القرب ، وهو صدر جد أى اجتهد وبالغ
في أمره ، شبه هيئة رفعة الممدوح مع قرب نفعه للسائلين بهيئة ارتفاع البدر مع
قرب ضوئه والارتفاع به ، والجامع الهيئة الحاصلة من بعد المنال مع قرب النوال .
(٣) هما لمحمد بن محمد بن لنكك ، والسمح القبيح . وقوله — هبه — بمعنى احسبه
واعده ينصب مفعولين ولم يأت منه إلا الأمر ، وروى — وهبك — شبه حال من

فعدا كإخلاف يُورق للعب — عن وبأبي الإثمار كل الإباء^(١)
أو قول أبي تمام :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يُعرف طيبُ عَرَفِ العود^(٢)
أو قوله أيضاً :

وطول مقام المرء في الحى مُخاقٍ للربيبا جتيه فَاغْتَرَبَ يَتَجَدَّدُ^(٣)
فإني رأيت الشمس زِيدَتْ حَبَّةً إلى الناس أن ليست عليهم بِسَرْمَدٍ^(٤)
وقس حالك وأنت في البيت الأول ولم تنفقه إلى الثانى على حالك وأنت قد أنهيت

حسننت صورته وقبح فعله فكرهه الناس بحال الشمس نفر منها إذا اشتد
حرها ، والجامع أن كلا بكرة لأذاه وإن حسن منظره .

(١) هما لعل بن العباس المعروف بابن الرومى ، وإخلاف صنف من
الصفصاف وليس به ، سمي خلافاً لأن السيل يأتي به سبيلاً فينبت من خلاف
أصله ، شبه حال من وعد شخصاً بقضاء حاجة ثم أخلف بحال الخلاف فى ذلك ،
والجامع ما فى كل من اليأس بعد الطمع .

(٢) هما لحبيب بن أوس المعروف بأبي تمام ، وقوله - طويت - بمعنى أخفيت
وقوله - أتاح - بمعنى هيا . والعرف الرائحة ، والعود ضرب من الطيب يتبخر به ،
والمراد تشبيه هيئة الفضيلة مع الحسود بهيئة العود مع النار على سبيل التمثيل ،
والجامع ما فى كل من ترتب النفع على محاولة الضرر .

(٣) المخلوق المبلى ، والديباجة الوجه والمراد بديباجتيه صفحته ، ولهذا أعاد
الضمير عليهما فى - يتجدد - مفرداً . وفى رواية - تتجدد - بالناء .

(٤) السرمد الدائم ، والمراد تشبيه هيئة المرء فى اكتسابه المحبة بالاغتراب
بهيئة الشمس فى اكتسابها المحبة بطلوها وغروبها .

اليه ووقفت عليه ، تعلم بُعد ما بين حالتيك في تمكن المعنى لديك
وكذا تعهد الفرق بين أن تقول - الدنيا لا تدوم - وتسكت ، وأن تذكر عقيبه
ماروى عن النبي ﷺ أنه قال « مَنْ فِي الدُّنْيَا ضَيْفٌ ، وَمَا فِي يَدِهِ عَارِيَةٌ ،
وَالضَّيْفُ مَرْتَحِلٌ ، وَالْعَارِيَةُ مُؤَدَّاءٌ » أو تنشد قول لبيد :

وما المسالُ والأهلون إلا ودائعُ ولا بدَّ يوماً أن تُردَّ الودائعُ ^(١)
وبين أن تقول - أرى قوما لهم منظر ، وليس لهم مخبر - وتقطع الكلام ،
وأن تتبعه نحو قول ابن لُثْكَك

في شجر السرِّ ومنهم مثلُ له رؤاه وماله عمر ^(٢)

وانظر في جميع ذلك إلى المعنى في الحالة الثانية كيف يتزايد شرفه عليه في
الحالة الأولى

أسباب تأثير التشبيه : ولذلك أسباب : منها ما يحصل للنفس من الأنس
بإخراجها من خفي إلى جلي ، كالاتقال مما يحصل لها بالفكرة إلى ما يعلم بالفطرة ،
أو بإخراجها مما لم تألفه إلى ما ألفته ، كما قيل :
ما الحب إلا للحبيب الأول ^(٣)

أو مما تعلمه إلى ما هي به أعلم ، كالاتقال من المعقول إلى المحسوس ، فإنك
قد تعبر عن المعنى بعبارة تؤديه وتبالغ ، نحو أن تقول وأنت تصف اليوم بالقصر .

(١) هو للبيدين ربعة العامرى ، ويعنى أن ذلك ودائع الله عندنا .

(٢) الرواء المنظر الحسن ، والمراد أنهم مثله في حسن المنظر وقبح الخبر

(٣) هو من قول أبي تمام :

كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبدأ لأول منزل

تسقل فؤادك ما استطعت من الهوى ما الحُبُّ إلا للحبيب الأول

يريد أن الفؤاد لا يميل إلا للحبيب الأول لإلفه له ، وهذا هو محل الشاهد .

— يوم كأقصر ما يُنصَوَّرُ — فلا يجد السامع له من الأنس ما يجده لنحو قولهم
— أيام كذا بأهيم القطأ^(١) وقول الشاعر :

ظَلَلْنَا عند باب أبي نعيمٍ بيومٍ مثل سالفه الذباب^(٢)
وكذا نقول— فلان إذا هم بالشئ لم يزل عن ذكره ، وقصره خواطره على
إمضاء عزمه فيه ، ولم يشغله عنه شئ— فلا يصادف السامع له أرتجحية، حتى إذا قلت:
إذا هم ألقى بين عينيه عزمه^(٣)

امتلات نفسه سرورا، وأدركته رهزة لا يمكن دفعها عنه
ومن الدليل على أن للاحساس من التحريك للنفس وتمكين المعنى ما ليس
لغيره أنك إذا كنت أنت وصاحب لك يسمى في أمر على طرف نهر ، وأنت تريد

(١) الأباهيم جمع إبهام وهو الإصبع المعروف .

(٢) سالفه الذباب مقدم عنقه ، والمراد أنه مثلها في القصر ، وقد قال
ثعلب : كنا عند ابن الأعرابي فأنشد قول جرير :

ويوم كإبهام القطاة تخايلتُ ضجاء وطابت بالعيشي أصائلهُ
فعجبنا من تشبيهه قصر النهار بإبهام القطاة ، فقال ابن الأعرابي : أحسن منه
— وهو الذي أخذ منه جرير — قول الآخر :

ويوم عند دار أبي نعيم قصير مثل سالفه الذباب
وقد قال الزجاج : إن هذا نهاية في الإفراط ، وخروج عن حدود التشبيه
المصيب .

وأنشد في — ديوان المعاني — لعون بن محمد بن إسحاق الموصلی :

ظللنا في جوار أبي الجنب بيوم مثل سالفه الذباب

(٣) هو من قول سعد بن ناشب :

إذا هم ألقى بين عينيه عزمهُ ونكّبت عن ذكر العواقب جانِبَا
والشاهد في تشبيهه العزم بشئ محسوس يلقى أمام العينين بجماع العناية التامة
بكل ، ولكن هذا من الاستعارة بالكناية لحذف المشبه به فيه وإثبات لازمه للبشبه .

أن تقرر له أنه لا يحصل من سعيه على طائل ، فأدخلت يدك في الماء ثم قلت له — انظر هل حصل في كفي من الماء شيء ؟ فكذلك أنت في أمرك — كان لذلك ضرب من التأثير في النفس وتمكين المعنى في القلب زائد على القول المجرد . ومنها الاستطراف كما سيأتي ^(١)

ومن فضائل التشبيه أنه يأتيك من الشيء الواحد بأشياء عدة ^(٢) نحو ان يعطيك من الزند برأيه شبه الجواد والذكي والنجاح في الأمور ، وبإصلاحه شبه البخيل والبليد والخبية في السعي ، ومن القمر الكمال عن النقصان ، كقائل أبو تمام :

لهنّ على تلك الشواهد فيهما لو أمهلت حتى تصير شمائلًا ^(٣)
لغد اسكونهما حجبى وصباهما رحلما ^(٤) وتلك الأريحية نائلًا ^(٥)
ولاعقب النجم المرث بديمة ولعاد ذاك الطلّ جودًا وإيلا ^(٥)

(١) في بيان الغرض من التشبيه .

(٢) هذا يدخل في سبب من أسباب تأثير التشبيه هو جمعه بين الأمور المتنافرة والمختلفة ، لأنه فيما ذكره يشبه أشياء مختلفة بشيء واحد .

(٣) اللفظ الحسرة ، والشواهد أمارات الفضائل فيهما ، وكانا ولدين لعبد الله ابن طاهر ماتا في يوم واحد ، والشمائل السجايا .

(٤) الحجبى العقل ، والصبا الفتوة ، والأريحية خصلة تجعل صاحبها يرتاح الى الأفعال الحميدة ، والنائل العطاء ، ويروى — وصباهما كرمًا — ولكنه يتكرر مع قوله — نائلًا .

(٥) المرث اسم فاعل من — أرث — بمعنى أمطر رذاذًا وهو المطر الخفيف . والديمة المطر يدوم في سكون بلا رعد وبرق ، والطل المطر الضعيف ، والجود المطر الغزير ، والوايل المطر الشديد .

إِنِ الْهَلَالَ إِذَا رَأَيْتَ نَمُوهُ أَيْقَنْتَ أَنَّ سَيَصِيرُ بَدْرًا كَامِلًا^(١)
 والنقصان عن الكمال ، كقول أبي العلاء المعري :
 وَإِنْ كُنْتَ تَبْغِي الْعَيْشَ فَانْخِرْ تَوْسُطًا فَعِنْدَ التَّنَاهَى يَقْصُرُ الْمُتَطَاوِلُ
 تَوْقَى الْبَدْرُ النِّقْصَ وَهِيَ أَهْلَةٌ وَيَدْرِكُهَا النِّقْصَانُ وَهِيَ كَوَاكِلُ^(٢)
 وتفرع من حالتي كماله ونقصه ، فروع لطيفة ، كقول ابن بآك في الأستاذ
 أبي عليّ وقد استوره وأبا العباس الضبيّ فخر الدولة بعد وفاة ابن عبّاد :
 وَأَعْرَتْ ثَوْبَ الْمَلِكِ شَطْرَ كَمَالِهِ وَالبدرُ في شَطْرِ المسافة يَكْمُلُ^(٣)
 وقول أبي بكر الخوارزمي :
 أَرَاكَ إِذَا أُيْسِرَتْ خَيْمَتُ عِنْدَنَا مُتِمًّا وَإِنْ أَعْمِرَتْ زُرْتُ لِمَا
 فَمَا أَتَ إِلَّا الْبَدْرُ إِنْ قَلَّ ضَوْؤُهُ أَغْبَ وَإِنْ زَادَ الضِّيَاءُ أَقَامَا^(٤)

(١) هذا البيت محل الشاهد ، لأنه يشبه ما كانا سيصيران إليه بحال الهلال فيما يصير إليه من الكمال بعد النقصان .

(٢) هما لأحمد بن عبد الله المعروف بأبي العلاء المعري ، والتناهي بلوغ النهاية ، والمتطاول اسم فاعل من - تطاول - بمعنى تمدد ، والشاهد في أنه في البيت الثاني يشبه حال الشخص في أمنه من النقص عند التوسط في العيش وعدم أمنه منه إذا بلغ نهايته بحال البدور في أمنها من النقص وهي أهلة وإدارا كه لها بعد كمالها

(٣) هو لعبد الصمد بن منصور بن الحسن بن بابك ، والشرط النصف ، يعني بهذا تدبيره نصف المملكة مع أبي العباس الضبي ، والمراد تشبيهه حال الملك في كماله بذلك حال البدر في كماله عند بلوغه نصف مسافته ، وقيل : المراد تشبيه حال الممدوح نفسه في كماله بتدبير نصف المملكة .

(٤) هو لمحمد بن العباس المعروف بأبي بكر الخوارزمي ، وقوله — خيمت — بمعنى أقمت ، وأصل خيم نصب الخيمة أو أقام فيها .

المعنى لطيف وإن لم تساعد العبارة على ما يجب ، لأن الإغياب أن يتخلل بين وقتي الحضور وقت يخلو منه ، فأنما يصلح لأن يراد أن القمر إذا نقص نوره لم يُوال الطلوع في كل ليلة ، بل يظهر في بعض الليالي دون بعض . وليس الأمر كذلك ، لأنه على نقصانه بطلع كل ليلة حتى تكون السرار .

وكذا يُنظر إلى بعده وارتفاعه وقرب ضوئه وشعائه في نحو ما مضى من البحرى ^(١) وإلى ظهوره في كل مكان ، كما في قول أبي الطيب .

كالبدر من حيث التفت وجدته^٢ يُهْدِي إلى عينيك نوراً ثاقباً ^(٣)
إلى غير ذلك ^(٤)

أركان التشبيه . ثم النظر في أركان التشبيه ، وهي أربعة : طرفاه ووجهه

وأداته ، وفي الغرض منه ، وفي تقسيمه بهذه الاعتبارات :

طرفا التشبيه : أما طرفاه فهما إما حسيَّان ، كما في تشبيه الخد بالورد والقند

وقوله — زوت لماما — بمعنى وقتاً بعد وقت ، وذلك لإظهار التعفف عند العسر ، ووجه الشبه إطالة المكث عند كثرة النفع وإقلاله عند قلته .

(١) سبق في ص ٧ .

(٢) هو لأحمد بن الحسين المعروف بأبي الطيب والمثنبي ، و الثاقب الماضي أو النافذ في كل مكان ، وقوله — كالبدر — يتعلق بالبيت قبله :

هذا الذي أبصرت منه حاضراً مثل الذي أبصرت منه غائباً

(٣) أى ما ينظر فيه إلى حالات القمر ، هذا ومن فضائل التشبيه الكشف

عن المقصود مع ما يكتسب من فضيلة الإيجاز ، كقولك — زيد أسد — تريد أنه متصف بالشجاعة وشهامة النفس وقوة البطاش وغير ذلك مما يجمعه هذا التشبيه على إيجازه ، وقد قال ابن الأثير : إن التشبيه يجمع صفات ثلاثة : المبالغة والبيان والإيجاز . ويجب أن يراعى ما سبق من أن التشبيه كغيره من

بالرمح والفيل بالجبل في المبصرات، والصوت الضعيف بالهمس في المسموعات،
والنسكة بالعنبر في المسمومات، والريق بالحرق في المذوقات، والجلد الناعم بالحرير
في الملموسات ^(١)

وإما عقليان، كما في تشبيه العلم بالحياة ^(٢)

وإما مختلفان والمعقول هو المشبه، كما في تشبيه المثية بالسبع ^(٣)

أبواب البيان لا يحسن مع فضله إلا عند اقتضاء المقام له، وأنه في هذا يتأثر
بحال الزمان والمكان، ويتسع فيه المجال للتهذيب والتجديد، وقد كان القدماء
يشبهون الحدود بالورود، فالفهم المحدثون وشبهوا الورود بالحدود، كما في
قول بعضهم:

عشية حيانى بورد كأنه حدود أضيفت بعضهم إلى بعض
ولكن يجب أن يقف التجديد في التشبيه عند الحد الذي يقبله ذوقنا الأدبي،
فلا يكون منه عندنا قول بودلير من قصيدة عنوانها الجمال - أنا جميلة أيها الفنانون
كلم من حجر - فهذا تشبيه غريب على ذوقنا، لأن الحلم لا يكون من حجر،
وهو يقصد الجمال الذي لا يبيى ولا يتألم ولا يضحك أو يفرح دائماً، وإنما هو
صامت عميق الصمت.

(١) هذه أمثلة لتشبيه الحسى بالحسى:

الحدُّ وَرْدٌ والصَّدْعُ غَالِيَةٌ والريقُ خمرٌ والثَّعْرُ كالدرر
هَزْزَنَ من القدودِ لنا رماحا نخلتين القلوب لها دَرايا
لها بشرٌ مثل الحرير ومنطق رَخِيم الحواشي لا هُراء ولا نزر
(٢) من هذا قول الشاعر:

تُشرق أعراضهم وأوجهم كأنها في نفوسهم شِيمٌ

في تشبيه الاعراض بالشيم، أما تشبيه الوجوه بها فن الحسى بالعقلي.

(٣) من هذا قول الشاعر:

الرأى كالليل سَوْدٌ جِوَانِبُهُ والليل لا ينجلى إلا بإصباح

أو بالعكس ، كما في تشبيه العطر كريمة^(١)
والمراد بالحسي المدرك هو أو مادته بإحدى الحواس الخمس الظاهرة ،
فدخل فيه الخيالي^(٢) كما في قوله :

وكان نُحْمَرُ الشَّيْبِ قِ إِذَا تَصَوَّبَ أَوْ تَصَعَّدَ
أَعْلَامُ يَاقُوتٍ نُشِيرُ نَ عَلَى رَمَاحِ رَبِّ رَجَدَ^(٣)

وقوله :

كُنْنا باسطُ السَّيْرِ نَحْوَ نِيَاوِ فَرِيدَ

(١) سيأتي في قول صاحب :

أَهْدَيْتُ عَطْرًا مِثْلَ طِيبِ ثَنَائِهِ فَيَكُنْ أَمَّا أَهْدَى لَهُ أَخْلَاقُهُ
وقد تشبه الأرض بذلك أيضاً ، كما في قول الشاعر :

وَأَرْضُ كَأَخْلَاقِ الْكَرَامِ قُطْعَتُهَا وَقَدْ كَحَلَّ الدَّيْلُ السَّمَاءَ فَأَبْصُرَا

ومن العلماء من ينسب تشبيه المحسوس بالمعقول ، لأن المشبه به يجب أن يكون أظهر من المشبه ، وقد حمل ما جاء منه على المبالغة فيكون من التشبيه المقلوب الآتي ، ومن العلماء من يستحسنه لما فيه من اللطافة والرقّة ، فلا يكون عنده دائماً من التشبيه المقلوب ، هذا وكان من الواجب أن يعنى ببيان منزلة تلك الأقسام في التشبيه ، لأن سردها من غير بيان ذلك ليس فيه فائدة ، والمقرر في ذلك أن التشبيه كلما كان أدخل في باب المعنويات كان أكمل .

(٢) هو المركب الذي توجد أجزاؤه في الخارج دون صورته المركبة ، فتكون مادته مدركة بالحس دون صورته لعدم وجودها .

(٣) هما لابي بكر أحمد بن محمد بن الحسن المعروف بالصنوبري ، والشقيق نبات أحر الزهر يسمى شقائق النعمان ، وقد أفردته لضرورة الشعر ، وقوله — تصوب أو تصعد — بمعنى مال إلى أسفل وإلى أعلى فأوفيه بمعنى الواو ، والياقوت حجر نفيس تختلف ألوانه والمراد هنا الأحمر ، والزبرجد حجر نفيس أشهره الأخضر وهو المراد هنا ، والخيالي في ذلك هو المشبه به .

كَدْبَائِسٍ عَسَجِدٍ قَضْبُهَا مِنْ زَبْرَجِدٍ (١)

والمراد بالعقل ما عدا ذلك ، فدخل فيه الوهمي ، وهو ما ليس مُدْرَكًا بشيء من الحواس الخمس الظاهرة مع أنه لو أَدْرَكَ لم يُدْرَكْ إلا بها (٢) كما في قول امرئ القيس :

ومسنونة زرق كأنياب أغوال (٣)

وعليه قوله (٤) تعالى (طَلَعَهَا كَأَنَّهٗ رُمُوسُ الشَّيَاطِينِ)

وكذا ما يُدْرَكُ بالوجدان (٥) كاللذة والألم والشبع والجوع .

وجه التشبيه : وأما وجهه فهو المعنى الذى يشترك فيه الطرفان تحقيقاً

(١) هما للصنوبرى أيضاً ، والنيلوفر هو البشنين ، وهو نبات ذو رائحة ينبت في الماء الراكد أصله كالجزر وساقه أملس أخضر فإذا ساوى سطح الماء أورق وأزهر وزهره أحمر مشوب بصفرة ، والدبائيس جمع دبوس وهو عصافى رأسها كالسكرة ويسمى مقمعة ، والمسجد الذهب أو جوهر كالدرد والياقوت ، والخيالى هو المشبه به أيضاً .

(٢) فعدم إدراكه بما إنما هو لعدم وجوده ، وبهذا يمتاز عن العقلى الخالص

(٣) هو من قوله :

أيقنتى والمشرقى مضاجعى ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وقد مضى في الكلام على الاستفهام في باب الإنشاء ، والوهمي في ذلك هو المشبه به .

(٤) ي — ٦٥ — س — ٣٧ — والشاهد في الآية على أن المراد بالشياطين

الجن ، وقيل : إن رُمُوس الشياطين ثمرة شجر منكر الصورة يسمى الأسن

(٥) هو ما يدرك بالحواس الباطنة من المعاني الجزئية .

أو تخيلاً ، والمواد بالتخييل ^{ألا} ^{يُمْكِنُ} وجوده في المشبه به إلا على تأويل ^(١) كما في قول القاضي التَّنَوُّحِيَّ :

وكان النُّجُومُ بين دُجَاهَا سُنَنٌ لَّا حَ يَنْهِنُ ابْتِدَاعُ ^(٢)

فإن وجه الشبه فيه الهيئة الحاصلة من حصول أشياء مشرقة يبيض في جوانب شيء مظلم أسود ، فهي غير موجودة في المشبه به إلا على طريق التخييل ، وذلك أنه لما كانت البدعة والضلالة وكل ما هو جهل يجعل صاحبها في حكم من يمشي في الظلمة ، فلا يهتدي إلى الطريق ولا يفصل الشيء من غيره ، فلا يأمن أن يتردى في مهوأة أو يعثر على عدو قاتل أو آفة مهلكة — شُبِّهَتْ بالظلمة ، ولزم على عكس ذلك أن يشبه السنة والهدى وكل ما هو علم بالنور ، وعليهما قوله ^(٣) تعالى (يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) وشاع ذلك حتى وُصف الصنف الأول بالسواد ، كما في قول القائل — شاهدت سواد الكفر من جبين فلان — والصنف الثاني بالبياض ، كما في قول النبي ﷺ « أَتَيْتُكُمْ بِالْحَنِيفِيَّةِ الْبَيضاء ، وذلك لتخييل أن السنن ونحوها من الجنس الذي هو إشراف أو ابْسِطَاضٌ في العين ، وأن البدعة ونحوها على خلاف ذلك ، فصار تشبيه النجوم ما بين الدياجي بالسنن ما بين الابتداع كتشبيه النجوم

(١) التأويل بمعنى التخييل وهو جعله غير المحقق محققاً ، ولم يقيد السعد ذلك بالمشبه به بل جعله عاماً في أحد الطرفين أو كليهما .

(٢) هو لعلي بن محمد بن داود المعروف بالقاضي التنوحي ، والدجى جمع دجية وهي الظلمة والضمير المضاف إليه يعود إلى النجوم ، وفي الشطر الثاني قلب والأصل سنن لاحت بين ابتداع ، لأن هذا هو الموافق لوجود النجوم بين الدجى .

في الظلمات ببياض الشيب في سواد الشباب، وبالأنوار^(١) مؤتلفة بين النبات الشديد الخضرة، فالتأويل فيه أنه تخيل ماليس بمتلون متلوناً، ويحتمل وجهها آخر وهو أن يُتأوّل بأنه أراد معنى قولهم - إن سواد الظلام يزيد النجوم حسناً - فإنه لما كان وقوف العاقل على عوار الباطل يزيد الحق نبلا في نفسه وحسناً في مرآة عمله، جعل هذا الأصل من المعقول مثالا للمشاهد المبصر هناك، غير أنه لا يخرج مع هذا عن كونه خلاف الظاهر، لأن الظاهر أن يمثل المعقول في ذلك بالمحسوس^(٢) كما فعل البحترى في قوله :

وقد زادها إفراط حسن جوارها خلّات أصفار من المجد خيب^(٣)
وحسن درارى الكواكب أن ترى طالع في داج من الليل غيب^(٤)
ومن التشبيه التخيلي قول أبى طالب الرقي :

ولقد ذكرتكَ والظلام كأنه يوم النوى وفواد من لم يعشق^(٥)
فإنه لما كانت أيام المكاره توصف بالسواد توسعاً، فيقال - اسود
النهار في عيني وأظلمت الدنيا على - وكان النّزّل يدعى القسوة على من لم

(١) جمع نور بفتح النون وهو الزهر الأبيض أو الزهر مطلقاً

(٢) المعقول هو زيادة حسن الحق، والمحسوس هو زيادة حسن النجوم

(٣) تقدير البيت - وقد زادها جوارها خلّات أصفار من المجد خيب إفراط حسن، فإفراط مفعول لزيد مقدم على فاعله وهو جوارها، وخلّات مفعول لجوارها، ومن المجد متعلق بأصفار لأنها بمعنى خالية جمع صفر

(٤) الدرارى جمع درى وهو الكوكب الثاقب المضئ كالدر، والداجى المظلم، والغيب الشديد السواد، والمراد تشبيه هيئة وجود خلّات لها مجد بين خلّات خالية منه بهيئة وجود درارى الكواكب في ليل غيب، فشبه المعقول في هذا بالمحسوس

(٥) هو من تشبيه المحسوس بالمعقول، وأبو طالب الرقي من شعراء اليتيمية

يعشق ، والقلب القاسى يوصف بالسواد توسعاً ، تخيل يوم الندى وفؤاد
من لم يعشق شيئين لها سواد ، وجعلهما أعرف وأشهر من الظلام فشبه بهما .
وكذا قول ابن بابك :

وأرض كالأخلاق الكرام قطعتها وقد كحلَّ الليل السَّماكَ فأبصر^(١)
فإن الأخلاق لما كانت تُوصَفُ بالسَّعة والضيق تشبيهاً لها بالأماكن
الواسعة والضيقة تخيَّلَ أخلاق الكرام شيئاً له سعة وجعل أصلاً فيها
فشَبَّه الأرض الواسعة بها . وكذا قول التنوخي :

فأنهضُ بنارٍ إلى خم كأنهما
في العين مُظلمٌ وإنصافٌ قد اتَّفَقَا^(٢)

فإنه لما كان يقال في الحق — إنه منير واضح — فيستعار له صفة
الأجسام المنيرة ، وفي الظلم خلاف ذلك ، تخيلهما شيئين لها إنارة وإظلام
فشبه النار والفحم بمجتمعين بهما مجتمعين .

وكذا ما كتب به الصاحب إلى القاضي أبي الحسن^(٣) وقد أهدى له
الصاحب عطر النقطر :

يا أيُّها القاضي الذي نفسى له مع قُرْبِ عهد لقائه مُشتاقه
أهديتُ عطرأ مثل طيب ثنائه فكأنما أهدى له أخلاقه
فإنه لما كان الثناء يشبَّهُ بالعطر ويشتق له منه تخيله شيئاً له رائحة طيبة ،
وشبَّه العطر به ، ليوم أنه أصل في الطيب وأحق به منه . وكذا قول الآخر :

(١) السماك الأعزل والراح نجان نيران ، وضمير أبصر يعود إليه ، يعني أنه فتح
وظهر ، وفي البيت تشبيه محسوس بمعقول ، وابن بابك هو عبد الصمد بن منصور
(٢) هو من قطعة له في وصف البرد ، وفيه تشبيه محسوس بمعقول ، وقد سبق
التعريف بالقاضي التنوخي

(٣) يعني الصاحب إسماعيل بن عباد والقاضي علي بن عبد العزيز

كَأَنَّ انتِضَاءَ البدر من تحت غَيْمِهِ نَجَاءٌ مِنَ السَّيِّئَاتِ بعد وقوع (١)
فإنه لما رأى الخلاص من شدة يُشَبِّهُهُ بخروج البدر من تحت الغيم بانحساره
عنه ، قلب التشبيه لِيُرَى أَنَّ صورة النجاء من السيئات لكونها مطلوبة فوق
كل مطلوب أعرف من صورة انتضاء البدر من تحت غيمه .

وإذا عَلِمَ أَنَّ وجه الشبه هو ما يشترك فيه الطرفان عَلِمَ فساد جعله في قول القائل
- النحو في الكلام كالمُحْضَر في الطعام - كون القليل مصلحاً والكثير مفسداً ، لأن القلة
والكثرة إِنَّمَا يَتَصَوَّرُ جريانها في الملح - وذلك بَأَن يُجْعَلَ منه في الطعام القدر
المصلح أو أكثر منه - دون النحو ، فإنه إذا كان من حكمه رفع الفاعل ونصب
المفعول مثلاً فإن وَجِدَ ذلك في الكلام فقد حصل النحو فيه وانتفى الفساد عنه
وصار مُنْتَفِعاً به في فهم المراد منه ، وإلا لم يحصل وكان فاسداً لا ينتفع به ،
فالوجه فيه هو كون الاستعمال مصلحاً والإهمال مفسداً لا اشتراكهما في ذلك .
ومما يتصل بهذا ما حكي أَنَّ ابن شرف القيرواني أَنشد ابن رشيقي قوله :

غَيْرِي جَنَى وَأَنَا الْمُعَاقِبُ فِيكُمْ فَكَيْفَ أَتَى سَبَابَهُ الْمُتَعَدِّمُ (٢)

وقال له : هل سمعت هذا المعنى ؟ فقال ابن رشيقي : سمعته وأخذته أنت
وأفسدته ، أما الأخذ فمن النابغة الذبياني حيث يقول :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرِكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً وَهَلْ يَأْتُمَنُ ذُو إِمَّةٍ وَهُوَ طَائِعٌ (٣)

لَسَكَلَفْتُ ذَنْبَ أُخْرَى وَتَرَكْتَهُ كَذَى الْعُرَى يَكُونِي غَيْرُهُ وَهُوَ رَاحٍ (٤)

(١) نسبة ابن المعتز في البديع للعلوي الأصفهاني وهو محمد بن أحمد المعروف
بإبن طباطبا ، والانتضاء الانكشاف ، والنجاء الخلاص ، والسيئات الشدة ، وهو من
تشبيه المحسوس بالمعقول أيضاً .

(٢) هو محمد بن سعيد المعروف بإبن شرف القيرواني ، والسبابة إصبع
معروف ، يعني أَنَّ الشخص يعضها إذا ندم على شيء فاته ولا ذنب لها في ذلك .

(٣) الإمة الدين أو النعمة أي ذو نعمة أسديت إليه ، وقد تضم همزته .

(٤) العر بضم العين وفتحها الجرب ، وقيل : إنه بالفتح الجرب ، وبالضم

وأما الإفساد فلأن سبابة المتندم أول شيء يتألم منه فلا يكون المعاقب غير الجاني ، وهذا بخلاف بيت النابغة ، فإن المكشوى من الإبل يألم وما به عر البتة ، وصاحب العر لا يألم جملة (١) .

الوجه الداخلى فى الطرفين والخارج عنهما :

وهو إما غير خارج عن حقيقة الطرفين أو خارج ، والأول إما تمام حقيقةهما كما فى تشبيه إنسان بإنسان فى كونه إنساناً ، أو جزؤهما ، كما فى تشبيه بعض الحيوانات العُجْم بالإنسان فى كونه حيواناً ، والثانى صفة إما حقيقة أو إضافية (٢) والحقيقية إما حسية ، وهى الكيفيات الجسمية مما يُدرك بالبصر من الألوان والأشكال والمقادير والحركات وما يتصل بها من الحسن والقبح وغير ذلك ، أو بالسمع من الأصوات القوية والضعيفة والتى بينَينَ ، أو بالذوق من أنواع الطعوم ، أو بالشم من أنواع الروائح ، أو باللمس من الحرارة والبرودة والرطوبة والبرسة والخشونة والملاسة واللين والصلابة والخفة والثقيل وما يضاف إليها ، وإما عقلية كالكيفيات النفسية من الذكاء واليقظ والمعرفة والعلم والقدرة والكرم والسخاء والغضب والحلم وما جرى مجراها من الغزائز والأخلاق ، والإضافة كإزالة الحجاب فى تشبيه الحجة بالشمس (٣) .

قروح مثل القوباء ، وهى التى يكوى منها لئلا الجرب ، وقد كان العرب يفعلون ذلك قديماً لجهلهم ثم تركوه ، وقيل : إنه مثل لاحقيقة ، والواقع اسم فاعل من — رتع بالمكان — إذا أقام فيه وأكل وشرب .

(١) الحق أن هذا النقد يقوم على تعمق فى التدقيق لا يحتمله مقام الأدب ،

وكلام العرب يقوم كثير منه على التوسع والتجاوز

(٢) الصفة الحقيقية كل هيئة متمكنة فى الذات متقررّة فيها ، والصفة الإضافية

كل معنى يتعلق بشيئين بحيث يتوقف تعقله على تعقلهما

(٣) فإزالة الحجاب أمر نسبي يتعلق بالمزيل والمزال ، والأول هو الشمس

أو الحجة والثانى هو الحجاب الحسى أو المعنوى .

الوجه الواحد وغيره والحسى والعقلي :

تقسيم آخر باعتبار آخر : وجه الشبه إما واحد أو غير واحد ، والواحد إما حسى أو عقلى ، وغير الواحد إما بمنزلة الواحد لكونه مركباً من أمرين أو أمور ، أو متعدد غير مركب ، والمركب إما حسى أو عقلى ، والمتعدد إما حسى أو عقلى أو مختلف .

والحسى لا يكون طرفاه إلا حسيين ، لامتناع أن يُدرك بالحس من غير الحسى شيء ، والعقلي طرفاه إما عقليان أو حسيان أو مختلفان ، لجواز أن يدرك بالعقل من الحسى شيء ، ولذلك يقال : التشبيه بالوجه العقلى أعم من التشبيه بالوجه الحسى .

قال الشيخ صاحب المفتاح ^(١) : وههنا نكتة لا بد من التنبيه لها ، وهى أن التحقيق فى وجه الشبه يأتى أن يكون غير عقلى ، وذلك أنه متى كان حسياً - وقد عرفت أنه يجب أن يكون موجوداً فى الطرفين ، وكل موجود فله تعين - فوجه الشبه مع المشبه متعين ، فيمتنع أن يكون هو بعينه موجوداً مع المشبه به ، لامتناع حصول المعين ههنا مع كونه بعينه هناك بحكم الضرورة ، وبحكم التنبيه على امتناعه إن شئت ، وهو استلزامه إذا عُدِمَت حمرة الخد دون حمرة الورد أو بالعكس كون الحمرة معدومة موجودة معاً ، وهكذا فى أخواتها ، بل يكون ^(٢) مثله مع المشبه به ، لكن المثلين لا يكونان شيئاً واحداً ، ووجه الشبه بين الطرفين كما عرفت واحد ، فيلزم أن يكون أمراً كلياً مأخوذاً من المثلين بتجريدهما عن التعين ، لكن ما هذا شأنه فهو عقلى ، ويمتنع أن يقال : فالمراد بوجه الشبه حصول المثلين فى الطرفين ^(٣) فإن المثلين

ولهذا التقسيم فائدة فى الفرق بين التشبيه والتمثيل عند عبد القاهر ، كما سيأتى فى تقسيم التشبيه إلى تمثيل وغير تمثيل .

(١) ١٧٩ — المفتاح — المطبعة الأدبية

(٢) معطوف على قوله — فيمتنع أن يكون هو بعينه موجوداً مع المشبه به

(٣) أى من غير أن يكون هناك وجه مشترك بينهما

متشابهان ففهما وجه تشبيهه ، فإن كان عقلياً كان المرجع في وجه الشبه العقل في المآل ، وإن كان حسياً استلزم أن يكون مع المثليين مثلاً آخران ، وكان الكلام فيهما كاللحام فيهما سواهما ويلزم التسلسل - هذا لفظه ، ويمكن أن يقال : المراد بكونه حسياً أن تكون أفراده مُدْرَكَةٌ بالحس ^(١) كالسواد ، فإن أفراده مدركة بالبصر وإن كان هو في نفسه غير مدرك به ولا بغيره من الحواس .

الواحد الحسى : الواحد الحسى كالخمرة والخفاء وطيب الرائحة ولذة الطعم ولين الملمس في تشبيهه الخد بالورد والصوت الضعيف بالهمس والنكهة بالعنبر والريق بالخر والجلد الناعم بالحرير ، كما سبق ^(٢) .

الواحد العقلى : وواحد العقلى كالعراة عن الفائدة في تشبيه وجود الشيء العديم النفع بعده ، وجهة الإدراك في تشبيه العلم بالحياة — فيما طرفاه معقولان — والجرامة في تشبيه الرجل الشجاع بالأسد ، ومطلق الاهتمام في تشبيه أصحاب النبي ﷺ ورضى عنهم بالنجوم ^(٣) فيما طرفاه محسوسان - والهداية في تشبيه العلم بالنور ^(٤) وتحصيل ما بين الزيادة والنقصان في تشبيه

(١) اعترض على هذا بأنه في الحقيقة اعتراف بأن وجه الشبه عقلى كما قال السكاكى ، وإنى أرى أن هذا البحث كله مما حكا لفظية لا يحتمل مثلها هذا العلم

(٢) فيما طرفاه محسوسان ، ومن ذلك قول الشاعر :

فوجهك كالنار في ضوئها وقلي كالنار في حرها

(٣) في قوله صلى الله عليه وسلم « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » .

(٤) كما قال الشاعر :

شكوت إلى وكيع سوء حفظى فأرشدنى إلى ترك المعاصى

وأخبرنى بأن العلم نور ونور الله لا يهدى لعاصى

العدل بالفسطاس — فيما المشبه فيه معقول والمشبه به محسوس — واستطابة النفس في تشبيه العطر بخلق كريم^(١) وعدم الخفاء في تشبيه النجوم بالسنن^(٢) فيما المشبه فيه محسوس والمشبه به معقول — قال الشيخ صاحب المفتاح^(٣) وفي أكثر هذه الأمثلة في معنى وحدتها تسامح^(٤).

المركب الحسى : والمركب الحسى طرفاه إما مفردان ، كالهئية الحاصلة من الحرمة والشكل السكرى والمقدار المخصوص في قول ذى الرثمة :
وسقط كعين الديك عاورت صاحبي أباهما وهيتانا لموقعها وكراً^(٥)
وكالهئية الحاصلة من تقارن الصور البيض المستديرة الصغار المقادير في المرأى على كيفية مخصوصة إلى مقدار مخصوص في قول أحيحة
ابن الجلاح أو أبي قيس بن الأسلت :

وقد لآح في الصبح الشريراً كما تسمى كسعنقود ملاحية حين نورا^(٦)

(١) أى في قول الشاعر فيما سبق :

أهديت عطراً مثل طيب ثنائه فكأنما أهدى له أخلاقه

(٢) أى في قول الشاعر فيما سبق :

وكان النجوم بين دجاها سنن لاح بينهن ابتداء

(٣) ١٨٠ — المفتاح

(٤) لأن فيه نوع تركيب إضافي ، وهذا كخفاء الصوت ولذة الطعم واستطابة

النفس ، وأجيب عن ذلك بأن الكلام في مطلق المفرد لا في المفرد المحض

(٥) السقط النار الساقطة من الزند ، وهى تنزل منه ووسطها أسود وحافتها

حمراء كعين الديك ، وقوله — عاورت — بمعنى ناوبت ، وكان من عادتهم عند

استخراج النار أن يأتوا بعودين فيضعوا أحدهما أسفل ويسموه أنثى ، ثم يفرضوا

فيه فرضاً ويجروا فيه عوداً آخر يسمونه أبا ، فإذا طال الزمن ولم تخرج النار

تناوبوه ، والوكрма تودع فيه النار بعد خروجها ، وذو الرمة هو غيلان

ابن عقبة بن مسعود .

(٦) الملاحية غيب أبيض في حبه طول . وقوله — نور — بمعنى أدرك لضجه ،

وإما مركبان ، كاهيئة الحاصلة من هوى^١ أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار متفرقة في جوانب شيء مظلم في قول بشار :

كَأَنَّ مِثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ^(١)

وكاهيئة الحاصلة من تفرق أجرام متألثة مستديرة صغار المقارير في المرأى على سطح جسم أزرق صافى الزرقة في قول أبى طالب الرقي^٢ .

وَكَاَنَّ أَجْرَامَ النُّجُومِ لَوَامِعًا دُرُّهُ نَثْرَنٌ عَلَى بَسَاطِ أَزْرَقٍ^(٢)

وإما مختلفان ، كما في تشبيه الشاة النجبل^(٣) بجمار أبتر مشقوق الشفة والحوافر نابت على رأسه شجرتا غصنا ، وكامر في تشبيه الشقيق والثيلوفر^(٤)

وكاف التشبيه هي التي في قوله - كعنقود - أما الكاف قبلها فبمعنى على ، وتقييد كل من المشبه والمشبّه بما قيد به لا ينافي كونه مفرداً ، لأن المراد بالمفرد ما ليس هيئة متزعة من متعدد ، وأبو قيس هو صيفى بن عامر ، والأسلت لقب أبيه ، وقيل : إن البيت لقيس بن الخطيم .

(١) هو لبشار بن برد ، ومثار اسم مفعول من أثاره بمعنى هيجه ، والنقع الغبار ، وقوله - تهوى - بمعنى تتساقط أصله تهوى ، والواو في قوله - وأسيفنا - إما واو المعية أو عاطفة متضمنة معنى مع ، لأن الواو التي لخالص العطف لا تكون في المركب ، وإنما تكون في المتمدّد ، ويحكون أن بشاراً قال :

ما قرئى القرار منذ سمعت قول امرئ القيس :

كَانَ قُلُوبُ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا لَدَى وَكْرَهَا الْعَنَابِ وَالْحَشَفِ الْبَالَى

حتى قلت - كأن مثار النفع ... ولكن ! امرأ القيس سبق إلى صحة التقسيم والتفصيل ، ولم يتمكن بشار إلا من تشبيه إحدى الجمثين بالأخرى ، وقيل : إن هذا لا يعيب بشاراً ، لأنه لم يرد التقسيم ، وقد جاء بتفصيل أوسع وأكثر (٢) يريد لوامعاً في السماء حتى يكون هناك زرقة في المشبه أيضاً ، وإنما حذفه

للعلم به ، وقد سبق التعريف بأبى طالب الرقي

(٣) هو الثور الوحشى .

(٤) أنظر ص ١٦ .

ومن بديع هذا النوع — أعنى المركب الحسى — ما يحىء فى الهيئات التى تقع عليها الحركة ، ويكون على وجهين : أحدهما أن يقرن بالحركة غيرها من أوصاف الجسم كالشكل واللون ، كما فى قوله :

والشمس كالمرآة فى كف الأشل^(١)

من الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الإشراق والحركة السريعة المتصلة ، وما يحصل من الإشراق بسبب تلك الحركة من التموج والاضطراب ، حتى يمرى الشعاع كأنه يهيم بأن ينبسط حتى يفيض من جوانب الدائرة ، ثم يبدو له فيرجع من الانبساط الذى بدا له إلى الانقباض كأنه يجتمع من الجوانب إلى الوسط ، فإن الشمس إذا أخذ الإنسان النظر إليها ليتبين جرمها وجدها مؤدية لهذه الهيئة ، وكذا المرأة إذا كانت فى يد الأشل .

ومثله قول السُّمَّهَلِيِّ الوزير :

والشمس من مشرقها قد بدت^١ مشرقة^٢ ليس لها حاجب^٣

كانها بوثقة^٤ أحميت^٥ يحول فيها ذهب^٦ ذائب^٧ (٢)

فإن البوثقة إذا أحميت وذاب فيها الذهب تشكل بشكلها فى الاستدارة ،

(١) قيل : إنه من قول عبد الله بن المعتز أو أبى النجم :

والشمس كالمرآة فى كف الأشل لما رأيتها بدت فوق الجبل

وقد ورد فى الخزانة — شاهد ٢٩١ — منسوباً إلى جبار بن جزء ، والمراد بالأشل المرتعش اليد ، لأن المرأة إنما تودى هذه الحركة فى كفها ، والأشل فى الأصل يبس اليد أو ذهابها وقد يطلق على ارتعاشها ، وهو يشبه الشمس بذلك عند طلوعها .

(٢) هما للحسن بن محمد المعروف بالمهلبى الوزير ، ينتهى نسبه إلى المهلب ابن أبى صفرة ، والحاجب السحاب لأنه يمنع الشمس من الإشراق ، والبوثقة ما يذوب فيه الصائغ الذهب والفضة .

وأخذ يتحرك فيها بحملته تلك الحركة العجيبة ، كأنه بهم بأن ينسبط حتى يفيض من جوانبها لِمَا في طبعه من النعومة ، ثم يبدو له فيرجع إلى الانقباض لِمَا بين أجزائه من شدة الاتصال والتلاحم ، ولذلك لا يقع فيه غليان على الصفة التي تكون في الماء ونحوه مما يتخلله الهواء .
وكافي قول الصَّنَوْبَرِيَّ :

كَأَنَّ فِي غَدْرَانِهَا حَوَاجِبًا ظَلَّتْ تُمَطُّ (١)

أراد ما يبدو في صفحة الماء من أشكال كأنصاف دوائر صغار ، ثم تمتد امتداداً ينقص من انحنائها فينقلها من القوس إلى الاستواء ، وذلك أشبه شيء بالحواجب إذا امتدت ، لأن للحاجب كما لا يخفى تقويساً ومده ينقص من تقويسه .

والوجه الثاني أن تجرد هيئة الحركة عن كل وصف غيرها للجسم ، فهناك أيضاً لابد من اختلاط حركات كثيرة للجسم إلى جهات مختلفة له ، كأن يتحرك بعضه إلى اليمين وبعضه إلى الشمال وبعضه إلى العلو وبعضه إلى السفلى ، فحركة الرِّحَا والدُّوْلَابِ والسَّهْم لا تركيب فيها لاتحاد الحركة ، وحركة المصحف في قول ابن المعتز :

وَكَانَ الْبَرَقُ مُصْحَفٌ قَارٍ فَانْطَبَاقًا مَرَّةً وَانْفِتَاحًا (٢)

فهيّا تركيب لأنه يتحرك في الحالتين إلى جهتين (٣) في كل حالة إلى جهة

(١) هو لآبي أحمد بن محمد المعروف بالصنوبري ، والغدران الأنهار ، وقوله — تمط — بمعنى تمد ، يصف أرضاً بأن غدرانها تهب عليها الرياح فيظهر على صفحاتها أشكال كأنها حواجب لها تقوس وامتداد .

(٢) هو لعبد الله بن المعتز ، وقار مخفف قارىء قلبت همزته ياء ثم أعل لعلال قاض ، والفاء في قوله — فانطباعاً — للتفريع ، وتحرك المصحف في حالة الانطباع إلى جهة العلو وفي حالة الانفتاح إلى جهة السفلى ، ووجه الشبه تقارن هذه الحركات مع تكررها .

(٣) جهة العلو في حالة الانطباع وجهة السفلى في حالة الانفتاح .

وكما كان التفاوت في الجهات التي تتحرك أبعاض الجسم إليها أشد كان التركيب في هيئة المتحرك أكثر ، ومن لطيف ذلك قول الأعشى يصف السفينة في البحر وتقاذف الأمواج بها :

تَقْصُ السَّفِينُ بِجَانِبِهِ كَمَا يَنْزُمُ الرِّيحُ خَلَالَ لَهْ كَرْعٍ (١)

قال الشيخ عبد القاهر (٢) : الريح الفصيل ، والكراع ماء السماء ، شبه السفينة في انحدارها وارتفاعها بحركات الفصيل في نزموه ، فإنه يكون له حينئذ حركات متفاوتة تصير لها أعضاؤه في جهات مختلفة ، ويكون هناك تَسْفُلٌ وتَصَعُّدٌ على غير ترتيب وبحيث يدخل أحدهما في الآخر فلا يتيقن الطرف مرفعا حتى يراه متسفلا ، وذلك أشبه شيء بحال السفينة وهيئة حركتها حين تندافعها الأموال ، ومنه قول الآخر :

حَفَّتْ بِسَرٍّ وَكَالْقَيْسِيَّانِ تَلَحَّفَتْ خُضْرُ الْحَرِيرِ عَلَى قَسَوامٍ مُعْتَدِلٍ
فَسَكَانُهَا وَالرِّيحُ جَاءَ يُمِيلُهَا تَبَغَى التَّعَانُقُ ثُمَّ مَنَعَهَا التَّخَجُّلُ (٣)

فإن فيه تفصيلا دقيقا ، وذلك أنه راعى الحركتين : حركة التهيؤ للدنو والعناق ، وحركة الرجوع إلى أصل الافتراق ، وأدى ما يكون في الثانية من سرعة زائدة تأدية لطيفة لأن حركة الشجرة المعتدلة في حال رجوعها

(١) هو ليمون بن قيس المعروف بالأعشى ، وقوله — تقص — بمعنى ثب ، والسفين اسم جنس واحده سفينة ، وكراع فاعل خلا ، وقيل : إنه بكسر الخاء والأصل خلال الكراع ، فيكون في البيت قلب

(٢) ٢١ — أسرار البلاغة — مطبعة الاستقامة

(٣) هما الأخيطل الأهوازي الملقب بـرقوقا ، وقيل : إنهما لأحمد بن سليمان بن وهب . وقيل : إنها لابن المعتز ، والضمير في — حفت — لروضة يصفها ، والقيان جمع قينة وهي الجارية وهن يشبهن في اعتدال القد بالسرو ، وقد يشبه السروبهن في ذلك فيكون من التشبيه المقلوب ، وقوله — تلحقت — بمعنى اتخذت لحافا ، والتخجل الحياء .

إلى اعتدالها أسرع لا محالة من حركتها في حال خروجها عن مكانها من الاعتدال ، وكذلك حركة من يدركه الخجل فيرتدع أسرع من حركة من يهيم بالدنو ، لأن إزعاج الخوف أقوى أبدأ من إزعاج الرجاء .
ومما مذهبه السهل الممتنع من هذا الضرب قول امرئ القيس :

مَكْرٌ مَقْرٌ مَقْبِلٌ مُنْذِرٌ مَعَا

كَجُلُودِ صَخْرٍ حَطَّةُ السَّيْلِ مِنْ عَلٍ ^(١)

يقول : إن هذا الفرس لفرط ما فيه من لين الرأس وسرعة الانحراف ترى كَقَلَّةِ في الحال التي ترى فيها لَسْبَةً ، فهو كجلود صخر دفعه السيل من مكان عال ، فإن الحجر بطبعه يطلب جهة السفلى لأنها مركزه ، فكيف إذا أعانت قوة دفع السيل من عل ، فهو لسرعة قلبه يمرى أحد وجهيه حين يمرى الآخر .

وكما يقع التركيب في هيئة الحركة قد يقع في هيئة السكون ، فمن لطيف ذلك قول أبي الطيب في صفة الكلب :

يقع جلوس البدوى المصطلى ^(٢)

(١) المكر سريع الكر يقال — كرس الفارس على العدو — بمعنى حمل وانتقض ، والمقر السريع الفر ، وعلى بمعنى فوق .
(٢) هو من قوله :

يُقْنَعِي جلوس البدوى المصطلى بأربع مجدولة لم تُجْدَلْ

وقوله — يقعي — بمعنى يجلس على ألييه ، والمصطلى المستدفئ ، والمجدولة المحكمة الخلق ، وقوله — لم تجدل — بمعنى لم تجمع كما يكون في غير صورة الإقعاء ، يقال — جدل الشعر — بمعنى ضفره ، ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من وقوع كل عضو منهما في موقع خاص .

إنما لطف من حيث كان لكل عضو من الكلب في إقعائه موقع خاص ،
وللمجموع صورة خاصة مؤلفة من تلك المواقع .

ومنه البيت الثاني من قول الآخر في صفة مصلوب :

كَأَنَّهُ عَاشِقٌ قَدْ مَدَّ صَفْحَتَهُ يَوْمَ الْوَدَاعِ إِلَى تَوْدِيعِ مُرْتَجِلٍ
أَوْ قَائِمٍ مِنْ نَعَاسٍ فِيهِ لُؤْثُهُ مُوَاصِلُهُ لِمُطَيِّهِ مِنَ الْكَسَلِ (١)

والتفصيل فيه أنه شبهه بالتمطى إذا واصل تمطيه مع التعرض لسيبه
وهو اللوثة والكسل فيه ، فنظر إلى هذه الجهات الثلاث (٢) ولو اقتصر
على أنه كالمتمطى كان قريب التناول ، لأن هذا القدر يقع في نفس الرائي
للمصلوب ابتداء لأنه من باب الجملة . وشبيه بهذا القول قول الآخر :

لَمْ أَرِ صَفَاً مِثْلَ صَفِ الزُّطِّ تَسْعِينَ مِنْهُمْ صَلَبُوا خَطَّ فِي
مِنْ كُلِّ عَالٍ جَذَعُهُ بِالشُّطِّ كَأَنَّهُ فِي جَذَعِهِ الْمُشْتَطِّ
أَخُو نَعَاسٍ جَدًّا فِي التَّمْطِيِّ قَدْ خَامَرَ النُّومُ وَلَمْ يَغْطِ (٣)

(١) هما الأخيطل الأهوازي الملقب ببرقوقا ، والصفحة باطن الكف ، واللوثة
الاسترخاء ، وهذا مثال لهيئة السكون المضاف إليها غيرها من أوصاف الجسم .

(٢) هي التمتى ومواصلته والتعرض لسيبه .

(٣) هي لدعبل بن علي الخزاعي ، والزط طائفة من الهند صلب منهم
هذا العدد في خط مؤلف من أشجار عالية الجذوع ، وكانوا قد خرجوا على المعصم
فشردهم ، ويعرفون الآن بالنور أو بالغجر ، فقوله — من كل عال — صفة لخط ،
— وقوله — جذعه — فاعل عال ، وقوله — باشط — صفة له ، والضمير في
قوله — كأنه — للواحد من المصلوبين ، والمشتط الخارج في طوله عن الحد ، وقوله
— خامر — بمعنى خالط أى خالطه النوم ، وقوله — لم يغط — بمعنى لم ينخر
ويتردد نفسه صاعدا إلى حلقه حتى يسمعه من حوله .

والفرق بين هذا والأول ^(١) أن الأول صريح في الاستمرار على الهيئة والاستدامة لها دون بلوغ الصفة غاية ما يمكن أن يكون عليها ، والثاني بالعكس .

قال الشيخ عبد القاهر ^(٢) : وشبهه بالأول في الاستقصاء قول ابن الرومي في المصلوب أيضاً :

كان له في الجو حبلاً يبوعه إذا ما انقضى حبلٌ أتبع له حبلٌ ^(٣)
فقوله — إذا ما انقضى حبلٌ أتبع له حبلٌ — كقوله — مواصل لتمطيه من الكسل — في التنيه على استدامة الشبه ، لأنه إذا كان لا يزال يبوع حبلاً لم يقبض باعه ولم يرسل يده ، وفي ذلك بقاء شبه المصلوب على الاتصال المركب العقلي : والمركب العقلي كالمنظر المظمع مع المخبر المؤيس الذي هو على عكس ما قدّر في قوله ^(٤) تعالى (والذين كفروا أعماهم كسرابٍ بقيعةٍ يحسبُهُ الظَّالِمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ) شَبَّهَ ما يعملُه من لا يقرن الإيمان المُعْتَبِرَ بالأعمال التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم يخيب في العاقبة أمله وبلقي خلاف ما قدّر بسرابٍ يراه الكافر بالساهرة ^(٥) وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماء ، فيأتيه فلا يجد ما رجاه ، ويجد زبانية الله عنده

(١) يعني بهذا قول دعبل وبالأول قول الأخطل .

(٢) ٢١٦ — أسرار البلاغة .

(٣) هو لعل بن العباس المعروف بابن الرومي ، وقوله — يبوعه — بمعنى يقيسه بالباع ، وقوله — أتبع — بمعنى هي .

(٤) (٤) — ي — ٣٩ — س — ٢٤ .

(٥) الساهرة الأرض البيضاء المستوية ، سميت بذلك لأن السراب يجري فيها ، من قولهم — عين ساهرة — جلرية الماء .

فياخذونه فيعتلون^(١) إلى جهنم فيسقونه الخمر والعساق فهو كما ترى منتزع من أمور مجموعة قرن بعضها إلى بعض ، وذلك أنه روعي من الكافر فعل مخصوص وهو حساب الأعمال نافعة له ، وأن تكون للأعمال صورة مخصوصة وهى صورة الأعمال الصالحة التى وعد الله تعالى بالثواب عليها بشرط الإيمان به وبرسلة عليهم السلام ، وأنها لا تفيدهم فى العاقبة شيئاً ، وأنهم يلقون فيها عكس ما أملوه وهو العذاب الأليم ، وكذا فى جانب المشبه به^(٢) .

وحرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمل التعب فى استصحابه ، كما فى قوله^(٣) تعالى (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً) فإنه أيضاً منتزع من أمور مجموعة قرن بعضها إلى بعض ، وذلك أنه روعي من الحمار فعل مخصوص وهو الحمل ، وأن يكون المحمول شيئاً مخصوصاً وهى الأسفار التى هى أوعية العلوم ، وأن الحمار جاهل بما فيها ، وكذا فى جانب المشبه .

دقيقة فى الوجه المركب : واعلم أنه قد تقع بعد أداة التشبيه أمور يظن أن المقصود أمر منتزع من بعضها ، فيقع الخطأ لكونه أمراً منتزعا من جميعها ، كقوله .

كما أبرقت قوماً عطاشاً غمامة^(٤) فلما رأوها أقشعت وتجلت^(٥) فإنه ربما يظن أن الشطر الأول منه تشبيه مستقل بنفسه لا حاجة به

(١) يقودونه بعنف وغلظة ، وهو أن يؤخذ بتليب الرجل فيجر إلى حبس أو قتل

(٢) فالجامع كون الشيء على صفة توهم نفعه وهو فى الباطن غير نافع بل ضار .

(٣) — ي — د — س — ٦٢

(٤) لا يعرف قائله ، وقبله :

لقد أطمعتى بالوصال تبسما وبعد رجائى أعرضت وتولت

وقوله — أبرقت — بمعنى تحسنت وتعرضت لهم ، فابعد منه منسوب بزعم الخافض ، والغمامة السحابة ، وقوله — أقشعت وتجلت — بمعنى تفرقت وانكشفت ،

إلى الثاني ، على أن المقصود به ظهور أمر مطمع لمن هو شديد الحاجة إليه^(١) ولكن بالتأمل يظهر أن مغزى الشاعر في التشبيه أن يثبت ابتداء مطمعاً متصلاً بانتهاء مؤيس ، وذلك يتوقف على البيت كله . فإن قيل : هذا يقضى أن يكون بعض التشبيهات المجتمعة كقولنا — زيد يصفو ويكدر — تشبيهاً واحداً^(٢) لأن الاقتصار على أحد الخبرين يبطل الغرض من الكلام ، لأن الغرض منه وصف المخبر عنه بأنه يجمع بين الصفتين ، وأن إحداهما لا تدوم . قلنا : الفرق بينهما أن الغرض في البيت أن يثبت ابتداء مطمع متصل بانتهاء مؤيس كما مر ، وكون الشيء ابتداء لآخر زائد على الجمع بينهما ، وليس في قولنا — يصفو ويكدر — أكثر من الجمع بين الصفتين ، ونظير البيت قولنا — يصفو ثم يكدر — لإفادة ثم الترتيب المقتضى ربط أحد الوصفين بالآخر ، وقد ظهر بما ذكرنا أن التشبيهات المجتمعة تفارق التشبيه المركب في مثل ما ذكرنا بأمرين : أحدهما أنه لا يجب فيها ترتيب ، والثاني أنه إذا حذف بعضها لا يتغير حال الباقي في إفادة ما كان يفيد قبل الحذف ، فإذا قلنا — زيد كالأسد بأساً والبحر جوداً والسيف مضاء — لا يجب أن يكون لهذه التشبيهات نسق مخصوص ، بل لو قدم التشبيه بالبحر أو التشبيه بالسيف جاز ،

وقد نسب بعضهم البيت إلى كثير ، ولكنه لا يوجد في تأنيته .

(١) فيكون وجه الشبه غير مركب مع أنه مركب . وبهذا يعلم أن الغرض من التعقيب بقوله — واعلم أنه قد تقع الخ — التنبية على هذا الاشتباه بين الوجه المركب وغير المركب .

(٢) أي مركباً . وبهذا لا يكون هناك فرق بين التشبيهات المجتمعة أي المتعددة والتشبيه المركب مع ظهور الفرق بينهما ، لأن التشبيه المركب وجه واحد وإن كان منتزعا من متعدد ، والمراد في المثال تشبيهه في حال رضاه بالماء الصافي ، وفي حال غضبه بالماء الكدر ، وهذا استعارة لا تشبيه ، فهو يقصد من التشبيه في هذا ما هو أعم من الاصطلاح ، لأن الاستعارة كالتشبيه تكون مفردة ومركبة ومتعددة أيضاً .

ولو أسقط واحد من الثلاثة لم يتغير حال غيره في إفادة معناه (١)

المتعدد الحسى : والمتعدد الحسى كاللون والطعم والرائحة في تشبيهه
فاكهة بأخرى .

المتعدد العقلى : والمتعدد العقلى كحدة النظر وكمال الخذر وإخفاء
السفاد في تشبيه طائر بالغراب .

المتعدد المختلف : والمتعدد المختلف كحسن الطلعة ونباهة الشأن
في تشبيه إنسان بالشمس .

واعلم أن الطريق في اكتساب وجه الشبه أن يُمَيَّزَ عما عداه ، فإذا
أردت أن تشبه جسماً في هيئة حركة وحب أن تطلب الوفاق بين الهيئة
والهيئة مجردتين عن الجسم وسائر أوصافه من اللون وغيره ، كما فعل
ابن المعتز في تشبيه البرق (٢) فإنه لم ينظر إلى شيء من أوصافه سوى الهيئة
التي تجدها العين من انبساط يعقبه انقباض .

أداة التشبيه : وأما أداته فالكاف في نحو قولك - زيد كالأسد - وكان (٣)

(١) من وجوه الفرق أيضاً بين التشبيه المتعدد والمركب أن المتعدد يعطف فيه
كل تشبيه على الآخر عطف المستقل على المستقل ، أما المركب فإنه في الغالب
يذكر فيه أحد أجزائه على وجه التبعية للآخر ، كأن يكون في صفته أو صلته
أو حالاً منه أو معطوفاً عليه بالفاء أو ثم ، فإذا توسطته الواو كانت للبعية
أو عاطفة متضمنة لها أو للحال .

(٢) أنظر ص ٢٨ .

(٣) قد تستعمل — كأن — لإفادة الظن إذا كان خبرها مشتقاً فلا تفيد
التشبيه ، كقولك — كأن زيدا أخوك ، وكأنه قائم — وقد تفيد التشبيه
الضمنى ، كما في قول الشاعر :

في نحو قولك - زيد كأنه أسد - ومثل في نحو قولك - زيد مثل الأسد - وما في معنى مثل كلفظة نحو وما يشتق من لفظة مثل وشبه ونحوهما^(١).

والأصل في الكاف ونحوها^(٢) أن يليها المشبه به^(٣) وقد يليها مفرد لا يتأق التشبيه به^(٤).

كَأَنَّ دَنَانِيرًا عَلَى قَسَمَاتِهِمْ وَإِنْ كَانَ قَدْ شَفَّ الْوَجُوهَ لِقَاءً

فإنه لا تكون الدنانير على قسماتهم إلا إذا كانت تشبهها .

(١) كالمشتق من المضاهاة والمقاربة والموازنة والمعادلة والمحاكاة ، ومن ذلك

قول الشاعر :

وصبغ شقائق النعمان يحكى يواقياً فظمن على اقتران
وقول الآخر :

تشابه دمعى إذ جرى ومدامتى فن مثل ما فى الكأس عيني تسكب

(٢) نحو الكاف كل ما يدخل على المفرد كلفظ مشابه ومماثل ، أما غير الكاف ونحوها وهو ما يدخل على الجملة أو يكون جملة بنفسه فالأصل فيه أن يدخل على المشبه ، كلفظ كأن مما يدخل على الجملة ، وكلفظ يشابه مما يكون جملة بنفسه ، والمشبه فى نحو - زيد يشابه عمراً - هو الضمير العائد على زيد لازيد (٣) إما لفظاً نحو - زيد كأسد - أو تقديرأ نحو قوله تعالى :

(أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ)
- ي - ١٩ - س - ٢ - تقديره أو كمثل ذوى صيب ، بدليل قوله بعده (يجعلون) .

(٤) لكن لا بد أن يكون له اتصال بالمشبه به كالماء فى الآية ، فإنه بعض ما تنزع منه هيئة المشبه به .

وذلك إذا كان المشبه به مركباً ، كقوله (١) تعالى (واضرب لهم مثل
النخيلة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض
فأصبح هشيماً تذروه الرياح) إذ ليس المراد تشبيه حال الدنيا بالماء
ولا بمفرد آخر يتمحل لتقديره (٢) بل المراد تشبيه حالها في نضارتها وبهجتها
وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون أخضر وارقا ثم يهيج فتطيره
الرياح كأن لم يكن ، وأما قوله (٣) عز وجل (يا أيها الذين آمنوا كونوا
أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله)
فليس منه ، لأن المعنى كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى
حين قال لهم (من أنصاري إلى الله) (٤) .

وقد يُذكر فعل (٥) ينبيء عن التشبيه ، كعلمت في قولك — علمت زيدا

(١) ي — ٤٥ — س — ١٨

(٢) بأن يقدر كنبات ماء ، لأن المعتبر هو الهيئة الحاصلة من مضمون الكلام
المذكور بعد الكاف ، فيكون تقدير ذلك تمحلا .

(٣) ي — ١٤ — س — ٦١

(٤) فهو مما يلى المشبه به الأداة تقديرا

(٥) يعنى فعلا غير الأفعال السابقة الموضوعة من أصلها للدلالة على التشبيه ،
فأداة التشبيه هنا مقدرة والفعل إنما يدل على قرب التشبيه أو بعده ،
ومن ذلك قول أبي نواس في تشبيه الحبب :

فإذا ما اعترضته العيب من حيث استدارا
خلته في جنبات ال سكأس واوات صفارا

أى كواوات صغيرة

أسداً — ونحوه^(١) هذا إذا قرب التشبيه ، فإن بعد أدنى تبعيد قيل — رخلته وحسبته ونحوهما^(٢) .

الغرض من التشبيه : وأما الغرض من التشبيه فيعود في الأغلب إلى المشبه ، وقد يعود إلى المشبه به .

ما يعود إلى المشبه من أغراض التشبيه : أما الأول فيرجع إلى وجوه مختلفة : منها بيان أن وجود المشبه ممكن وذلك في كل أمر غريب يمكن أن يخالف فيه ويُدعى امتناعه ، كما في قول أبي الطيب :

فإن تَفَقَّ الأنامَ وأنتَ منهم فإن المسك بعض دم الغزال^(٣)

أراد أنه فاق الأنام في الأوصاف الفاضلة إلى حد بطل معه أن يكون واحداً منهم ، بل صار نوعاً آخر برأسه أشرف من الإنسان ، وهذا — أعنى أن يتناهى بعض أفراد النوع في الفضائل إلى أن يصير كأنه ليس منها — أمر غريب يفتقر من يدعيه إلى إثبات جواز وجوده على الجملة ، حتى يحجى إثبات وجوده في الممدوح ، فقال — فإن المسك بعض

(١) من كل ما يفيد اليقين

(٢) من كل ما يفيد الظن

(٣) الفاء في قوله — فإن المسك — للتعليل ، والجواب محذوف تقديره فلا غرابة في ذلك ، والتشبيه في البيت يسمى معنوياً وضمينياً ومكنياً عنه ، لأنه ذكر في الكلام لازم التشبيه وهو وجه الشبه — فوقان الفرع الأصل — وأريد الملزوم وهو التشبيه ، ومن ذلك قول ابن الرومي :

قالوا: أبو الصقر من شيبان. قلت لهم : كلا لعمرى ولكن منه شيبان
كم من أبٍ قد علا بابن ذرعى شرف كما علا برسول الله عدنان

دم الغزال — أى ولا يُعَدُّ في الدماء لِمَا فيه من الأوصاف الشريفة التي لا يوجد منها شيء في الدم ، وخُلِّصَتْها من الأوصاف التي لها كان الدَّمُ دَمًا ، فأبان أنَّ لِمَا ادعاه أصلاً في الوجود على الجملة .

ومنها بيان حاله ، كما في تشبيه ثوب بثوب آخر في السواد إذا علم لون المشبه به دون المشبه (١) .

ومنها بيان مقدار حاله في القوة والضعف والزيادة والنقصان ، كما في قوله :

مداد مثل خافية الغراب (٢)

وعليه قول الآخر :

فأصبحتُ من لَسِيْلَى النُّعْدَاةِ كَقَبَاضٍ عَلَى الْمَاءِ خَاتَمُهُ فَرُجُحُ الْأَصَابِعِ (٣)
أى بلغت في بوار سعيي في الوصول إليها وأن أمتَّعَ بها أقصى الغايات ، حتى لم أحظ منها بما قل ولا بما كثر .

ومنها تقرير حاله في نفس السامع ، كما في تشبيهه من لا يحصل من سعيه

(١) بما جاء لبيان حال المشبه قول الشاعر :

كَأَن سَهِيلاً وَالنَّجُومُ وَرَاءَهُ صُفُوفُ صَلَاةٍ قَامَ فِيهَا إِمَامُهَا

(٢) هو من قول الحسن بن وهب :

مداد مثل خافية الغراب وأقلام كرهفة الحداد

والخافية إحدى ريشات عشر في مقدم الجناح يقال لها خواف ، والمرهقة المدققة ، والحداد جمع حديد وهو القاطع يعنى السيوف القواطع ، وروى الحراب بدل الحداد جمع حرب وهو آلة قصيرة محددة ، وربما استعملت للريح ، وروى لأبى تمام :

مداد مثل خافية الغراب وقرطاس كقرق السحاب

(٣) قيل : إنه للجنون ، والفروج ، جمع فرج وهو الخلل بين الشيتين ، وقيل : إن التشبيه في البيت يقصد منه تقرير حال المشبه ، وروى الشطر الأخير — على الماء لا يدري بما هو قابض .

على طائل بمن يرقم على الماء ^(١) . وعليه قوله ^(٢) عز وجل (وَإِذْ نَسْتَفْتِنَا
النَّجِيلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ) فإنه يَبَيِّنُ ما لم يجز به العادة بما جرت
به العادة ^(٣) .

وهذه الوجوه تقضى أن يكون وجه الشبه في المشبه به أتم وهو به
أشهر ^(٤) ولهذا ضَعُفَ قول البحرى :

(١) من هذا قول الشاعر :

إذا أنا عاتبتُ الملوكَ كأنما أخطئُ بأقلامي على الماءِ أرقا

(٢) ى — ١٧١ — س ٧

(٣) قيل : إن هذا يفيد أنه لبيان حال المشبه أو لبيان إمكانه لا لتقرير حاله
في نفس السامع كما ذكر .

(٤) يريد بكونه أتم أن يكون أقوى وأكمل وبكونه أشهر أن يكون أعرف ،
واقضاء تلك الوجوه للأعرفية ظاهر لأن المشبه به كالمبين المعرف للشبه ، فيجب
أن يكون أعرف بوجه الشبه ، لأن التعريف إنما يكون بالأوضح ، أما اقتضاؤها
للأتمية فإنما يظهر في غرض التقرير دون غيره ولا سيما بيان المقدار ، لأنه يقتضى
أن يكون المشبه به على حد مقدار المشبه لا أزيد ولا أنقص ، ومن التشبيه ما يكون
المشبه فيه أتم من المشبه به ، كقوله تعالى (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ) ى — ٣٥ — س — ٢٤ — لأن
الغرض منه بيان الحال لا تقريره ، ومن ذلك قول أبي تمام في أحمد بن المعتصم :
إقْدَامُ عمرو في سماحة حاتم في حلم أخنَفَ في ذكاء إياس
وقد أخذ عليه أن الأمير أكبر من أن يشبه في ذلك بالثلاثة ، فقال :

لَا تَسْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مَن دُنَهُ مَثَلًا شَرُّودًا فِي النَّدَى وَالتَّبَاسِ
فَاللَّهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَ لِنُورِهِ مَثَلًا مِنَ الْمَشْكَاةِ وَالنَّبِرَاسِ
والحق أن اقتضاء التشبيه للأعرفية لا يختص بهذه الوجوه الأربعة كما هو ظاهر

من تعليله .

على باب قنشرين والليل لاطخ جوانبه من ظلمة بمداد^(١)
فإنه رب مداد فاقد اللون والليل بالسواد وشدته أحق وأحرى،
ولهذا قال ابن الرومي :

حبر أبي حفص لعاب الليل يسيل للإخوان أي سيل^(٢)

فبالغ في وصف الحبر بالسواد حين شبهه بالليل ، فكأنه^(٣) نظر
إلى قول العامة في الشيء الأسود — هو كالنفس^(٤) ثم تركه للقافية إلى المداد.
ومنها تزيينه للترغيب فيه ، كما في تشبيه وجه مجذور بسلحة جامدة قد
نقرتها الديكة ، وقد أشار إلى هذين الغرضين ابن الرومي في قوله :
تقول : هذا مجاج النحل تمدحه وإن أعجب قلت : ذا قى الزناير^(٥)

(١) الجار والمجرور في أول البيت متعلق بقوله قبله :

وما بلغ النجوم المسامح لذة سوى أرقى في جنبها وسهادى

وقنشرين كورة مشهورة بالشام قرب حلب ، والشاهد في قوله — من ظلمة
بمداد — إذ بين فيه المشبه به بالمشبه ، والتقدير بمداد من ظلمة .

(٢) هولعل بن العباس المعروف بابن الرومي من قوله في مدح عمر بن حفص
الوراق ، وكان الأدباء يستهدون منه حبرا :

حبر أبي حفص لعاب الليل كأنه ألوان دهم الخيل

يسيل الإخوان أي سيل بغير وزن وبغير كيل
والمراد بلعاب الليل ظلته ، ودهم الخيل سودها .

(٣) الضمير للبحر (٤) أي الحبر .

(٥) المجاج الريق ترمى به من فك ، ومجاج النحل العسل ، والزناير جمع زنبور
وهو كل ذباب أليم اللسع من النحل وغيره

ومنها استطرافه ^(١) كما في تشبيه خم فيه جمر موقد يحر من المسك
موجه الذهب لإبرازه في صورة الممتنع عادة ، وللاستطراف وجه آخر
وهو أن يكون المشبه به نادر الحضور إما مطلقاً ، كما مر ^(٢) وإما عند
حضور المشبه ، كما في قوله :

وَلَا زَوْرَدِيَّةَ تَزْهُو بِزُرْقَتِهَا بَيْنَ الرِّيَاضِ عَلَى مُحَرِّ النِّيَاقِ
كَأَنَّهَا فَوْقَ قَامَاتٍ ضَعُفْنَ بِهَا أَوَائِلُ النَّارِ فِي أَطْرَافِ كِبْرِيتِ ^(٣)
فإن صورة اتصال النار بأطراف الكبريت لا يندر حضورها في
الذهن ندرة صورة بحر من المسك موجه الذهب ، وإنما النادر حضورها
عند حضور صورة البنفسج ، فإذا أحضر مع صحة الشبه استطراف لمشاهدة
عناق بين صورتين لا تتراعى ناراها

ومما يؤيد هذا ما يحكى أن جريراً قال : أَنشدني عَدِيّ :

عرف الديار توهاً فاعتادها

فلما بلغ إلى قوله :

تَزْجِي أَغْنَى كَأَن لِّبَرْةٍ رَوْقِهِ

رحمته وقلت : قد وقع ، ما عساه يقول وهو أعرابي جلفٌ جاف ؟

فلما قال :

(١) أي جعله طريفاً بديعاً جديداً ، ويجوز أن يكون بالظاء أي جعله ظريفاً جميلاً .

(٢) في تشبيه خم فيه جمر موقد يحر من المسك موجه الذهب ، فهو مستطرف
من ناحية امتناعه في الخارج ، ومن ناحية ندرة حضوره في الذهن .

(٣) هما لعبد الله بن المعتز وقيل لغيره ، واللازوردية البنفسج وهي نسبة
تشبيهية إلى حجر يسمى اللازورد ، والمراد تشبيه أزهارها ، وقيل : إن هذا الشعر
في الخرم ، لكبر نوره ودقة ساقه بخلاف البنفسج ، وقوله — تزهو — بمعنى
تسكبر ، وقوله — حمر اليواقيت — من إضافة الصفة إلى الموصوف ، وإنما جعل

قلم أصاب من الدواة مدادها (١)

استحالت الرحمة حسداً . فهل كانت رحمته في الأولى والحسد في الثانية إلا لأنه رآه حين أفتح التشبيه قد ذكر ما لا يحضر له في أول الفكر شبهه ،
وحين أتمه صادفه قد ظفر بأقرب صفة من أبعد موصوف .

وذكر الشيخ عبد القاهر رحمه الله للاستطراف في تشبيه البنفسج بنار
الكبريت وجهاً آخر (٢) وهو أنه أراك شبهاً لنبات غضّ يرفُّ وأوراق
رطبة من لهب نار في جسم مستول عليه اليبس ، ومبني الطباع وموضوع
الجليلة على أن الشيء إذا ظهر من مكان لم يُعْهَد ظهوره منه وخرج من موضع
ليس بمعدن له كانت صباية النفوس به أكثر ، وكان الشغف به أجدر

ما يعود إلى المشبه به من أغراض التشبيه : وأما الثاني فيكون في الغالب
إيهام أن المشبه به أتم من المشبه في وجه الشبه ، وذلك في التشبيه المقلوب ،

التشبيه بأوائل النار في أطراف كبريت لأنها في أعلاها تكون حمراء صافية لازرقاء .
وقد تقد بعضهم هذا التشبيه بأنه إن كانت النار في أوائل الكبريت قد وافقته
في اللون فقد خالفته في الرائحة ، ويشترط في المشبه به أن يكون أعلى مرتبة في التشبيه ،
والبنفسج يحل قدره عن ذلك ، فإنه من أهل الجنة والكبريت من أهل النار ،
ولا يخفى ضعف هذا النقد .

(١) هذا البيت من قصيدة لعدى ابن الرقاع مطلعها :

عرف الديار توها فاعتادها من بعد ما شمل البلى فبلادها
والأ بلاد قطع الأرض عامرة أو غامرة وقيل هي الآثار ، وقوله — ترجى —
بمعنى تسوق والضمير للظبية ، والأغن الذي في صوته غنة وهو ولدها ، ويقال
طير أغن أى يتكلم من قبل خياشيمه ، والروق القرن ولبرته طرفه ، ورواية
الكامل أن عدياً كان ينشد القصيدة أمام الوليد بن عبد الملك وجريرو حاضر .

(٢) ١٤٧ — أسرار البلاغة

وهو أن يكون الأمر بالعكس ^(١) كقول محمد بن وهيب .

وبدأ الصباح كأن غرته وجه الخليفة حين يمتدح ^(٢)

فإنه قصد إيهام أن وجه الخليفة أتم من الصباح في الوضوح والضياء .
واعلم أن هذا وإن كان في الظاهر يشبه قولهم — لا أدرى أوجه أنور
أم الصبح ، وغرته أضواء أم البدر ؟ وقولهم إذا أفرطوا — نور الصباح يخفى
في ضوء وجهه ، أو نور الشمس مسروق من نور جبينه — ونحو ذلك
من وجوه المبالغة — فإن في الأول خلافة وشيئا من السحر ليس في الثاني ،
وهو أنه كأنه يستكثر للصباح أن يشبهه بوجه الخليفة ، ويوهم أنه احتشد
له واجتهد في تشبيهه بفخيم به أمره ، فيوقع المبالغة في نفسك من حيث لا تشعر ،
ويفيدكها من غير أن يظهر ادعاؤه لها ، لأنه وضع كلامه وضع من يقيس
على أصل مُتَّفَق عليه ، لا يشفق من خلاف مُخَالَف وتهكم متَهَكِّم ، والمعاني
إذا وردت على النفس هذا المورد كان لها نوع من السرور عجيب ، فكانت
كالنعمة التي لا يكدرها النِّمْنَةُ ، وكالغنيمة من حيث لا تُحْتَسَبُ ،
وفي قوله — حين يمتدح — فائدة شريفة ، وهي الدلالة على اتصاف الممدوح
بما لا يوجد إلا فيمن هو كامل في الكرم ، من معرفة حق المادح على
ما احتشد له من تزيينه وقصده من تفخيم شأنه في عيون الناس ، بالإصغاء
والارتياح له والدلالة بالبشر والطلاقة على حسن موقعه عنده .

ومنه قوله ^(٣) تعالى حكاية عن مستحل الربا (إِنَّمَا النَّبِيْعُ مِثْلُ

(١) بأن يجعل فيه المشبه مشبهاً به قصداً إلى ادعاء أنه أكل منه في وجه الشبه ،
وبهذا لا يدخل فيه تشبيه المحسوس بالمعقول كما قيل فيما سبق ، لأن كلا من المشبه
والشبه به فيه كذلك في الحقيقة ولا قلب فهما .

(٢) الغرة في الأصل البياض في جهة الفرس ، وقد استعيرت لبياض الصبح ،
والمراد تشبيه وجه الخليفة بها ، ولهذا كان التشبيه مقولوا .

الرِّبَا) فَإِنْ مَقْتَضَى الظَّاهِرُ أَنْ يَقَالَ — إِنَّمَا الرِّبَا مِثْلُ الْبَيْعِ — إِذَا الْكَلَامُ فِي الرِّبَا لَا فِي الْبَيْعِ ، نَخَالِفُوا لَجْعَلِهِمُ الرِّبَا فِي الْحُلِّ أَقْوَى حَالًا مِنَ الْبَيْعِ وَأَعْرِفْ بِهِ .

ومنه قوله ^(١) عز وجل (أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ) فَإِنْ مَقْتَضَى الظَّاهِرُ الْعَكْسَ ، لِأَنَّ الْخُطَابَ لِلَّذِينَ عَبْدُوا الْأَوْثَانَ وَسَمَوْهَا آلِهَةً تَشْبِيهًا بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، فَقَدْ جَعَلُوا غَيْرَ الْخَالِقِ مِثْلَ الْخَالِقِ ، فَخُوْلَفَ فِي خُطَابِهِمْ لِأَنَّهُمْ بِالْغَوَا فِي عِبَادَتِهَا وَغَسَلُوا حَتَّى صَارَتْ عَنْدهُمْ أَصْلًا فِي الْعِبَادَةِ ^(٢) وَالْخَالِقِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَرَعًا ، فَجَاءَ الْإِنْكَارُ عَلَى وَفْقِ ذَلِكَ ، وَقَالَ السَّكَّاكِيُّ ^(٣) عِنْدِي أَنَّ الْمُرَادَ بِمَنْ لَا يَخْلُقُ الْحَيَّ الْعَالَمُ الْقَادِرُ مِنَ الْخَلْقِ ^(٤) تَعْرِيزًا بِإِنْكَارِ تَشْبِيهِ الْأَصْنَامِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَقَوْلُهُ (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) تَنْبِيهُ تَوْبِيخٌ عَلَيْهِ ، وَنَحْوُهُ ^(٥) قَوْلُهُ تَعَالَى (أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ^(٦)) بَدَلَ أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ هَوَاهُ إِلَهَهُ .

(١) ي — ١٧ — س ١٦

(٢) اعْتَرَضَ عَلَى هَذَا بِأَنَّهُ يَخَالِفُ قَوْلَهُمْ (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) فَيَكُونُ الْأَحْسَنُ فِي تَوْجِيهِ ذَلِكَ أَنَّهُمْ حِينَ جَعَلُوهُمْ مِثْلَ اللَّهِ فِي الْعِبَادَةِ قَدْ جَعَلُوا اللَّهَ تَعَالَى مِنْ جِنْسِ الْمَخْلُوقِ وَشَبَّهَهَا بِهِ ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ (أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ) وَعَلَى هَذَا لَا يَكُونُ مِنَ التَّشْبِيهِ الْمَقْلُوبِ ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَجَابَ عَنْ ذَلِكَ بِأَنَّ الشَّرْكَ مُخْتَلَفُ الْمَذَاهِبِ ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مَنْ يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ لِاتَّقَرُّبِهِ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى . (٣) ١٨٤ — الْمِفْتَاحُ .

(٤) لِأَنَّ مِنْ مَوْضُوعَةِ الْعَاقِلِ ، وَغَيْرِ السَّكَّاكِيِّ يَحْمِلُهَا عَلَى الْأَوْثَانِ تَشْبِيهًا لَهَا بِالْعَاقِلِ لِعِبَادَتِهِمْ لَهَا ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ أَنَّ إِنْكَارَ تَشْبِيهِ الْأَصْنَامِ بِاللَّهِ يَكُونُ مُسْتَفَادًا مِنْ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ التَّعْرِيزِ عِنْدَ السَّكَّاكِيِّ وَعَلَى سَبِيلِ التَّصْرِيحِ عِنْدَ غَيْرِهِ .

(٥) أَيْ نَحْوُ (أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ) . (٦) ي — ٤٣ — س ٢٥

وقد يكون الغرض العائد إلى المشبه به بيان الاهتمام به ، كتشبيه الجائع وجهاً كالبدن في الإشراق والاستدارة بالرغيف إظهاراً للاهتمام بشأن الرغيف لا غير ، وهذا ^(١) يسمى إظهار المطلوب ، قال السكاكي ^(٢) ولا يحسن المصير إليه إلا في مقام الطمع في تسنى المطلوب ، كما يُحكى عن صاحب أن قاضي سجستان دخل عليه فوجده صاحب متفتناً ، فأخذ يمدحه حتى قال :

وعالم يُعرف بالسجزي ^(٣)

وأشار للندماء أن ينظموا على أسلوبه ، ففعلوا واحداً بعد واحد إلى أن انتهت النوبة إلى شريف في البين ، فقال :

أشهى إلى النفس من النخب ^(٤)

فأمر صاحب أن تُقدّم له مائدة .

هذا ^(٥) كله إذا أريد إلحاق الناقص في وجه الشبه حقيقة أو ادعاء ^(٦) بالزائد ، فإن أريد مجرد الجمع بين شيئين في أمر ^(٧) فالأحسن ترك التشبيه

(١) يعني بيان الاهتمام بالمشبه به . (٢) ١٨٥ — المفتاح .

(٣) نسبة غير قياسية إلى سجستان ، وهو أبو الحسن عمر السجزي .

(٤) اعترض على التمثيل بهذا للتشبيه بأنه أفعل تفضيل لا تشبيه . وأجيب عنه بأنه لا يقصد به التمثيل للتشبيه بل لإظهار المطلوب مطلقاً ، وقد قيل : إن أفعل التفضيل كله من التشبيه وهو بعيد .

(٥) اسم الإشارة يعود إلى ما مضى عليه الكلام في التشبيه من جعل أحد الطرفين مشبهاً والآخر مشبهاً به على التعيين وما تفرع على ذلك من الكلام .

(٦) هذا في التشبيه المقلوب لأنه يدعى فيه ذلك .

(٧) هذا إما لأن المقام يقتضى المبالغة في ادعاء التساوى ، وإما لأن الغرض إفادة أصل الاشتراك . فيكون المقصود إفادة التساوى ادعاء أو حقيقة .

إلى الحكم بالتشابه ^(١) ليكون كل واحد من الطرفين مشبها ومشبها به
احترازا من ترجيح أحد المتساويين على الآخر، كقول أبي إسحاق الصابي:
تَشَابَهَ دُمْعَى إِذْ جَرَى وَمُدَامَتَى

فَمِنْ مِثْلِ مَا فِي الْكَأْسِ عَيْنَى تَسْكُبُ
فَوَاللهِ مَا أَدْرَى أَبَا الْخَمْرِ أَسْبَلَتْ

جُفُونِي أَمْ مِنْ غَبَرَتِي كُنْتَ أَشْرَبُ ^(٢)

وكقول الآخر :

رَقَّ الزَّجَاجُ وَرَاقَتْ الْخَمْرُ فَتَشَابَهَا فَتَشَاكَلِ الْأُمْرُ

فَكَأَنَّمَا تَخْمَرُهُ وَلَا قَدَحٌ وَكَأَنَّمَا قَدَحُهُ وَلَا تَخْمَرُهُ ^(٣)

ويجوز التشبيه أيضا ^(٤) كتشبيه غرة الفرس بالصبح وتشبيه الصبح

(١) مثله الحكم بالتساوى ونحوه، وليس من هذا نحو — شابه زيد عمراً —
وإن كان من صيغ المشاركة، لأن صيغة — تفاعل — تدل على إسناد الفعل ابتداء
لاثنين، أما صيغة — فاعل — فتدل على الإخبار بوقوع الفعل من الفاعل على
المفعول، ولا يفهم منها وقوعه من المفعول على الفاعل إلا بالالتزام.

(٢) هما لإبراهيم بن هلال المعروف بأبي إسحاق الصابي، والمدامة الخمر،
سميت بهذا لأنه لا شراب يستطيع إدامة شربه غيرها، والعبرة الدمع. والتساوى
في قوله — تشابه دمعى ومدامتى — ادعائى إذا كان المراد تشابههما في الحمرة،
ويجوز أن يكون المراد أنهما تشابهها في الصفاء.

(٣) هما للصاحب إسماعيل بن عباد، والقده الكأس والمراد تشابههما
في الصفاء، وقوله — فكأنما خمر ألح — لتأكيد ادعاء التساوى، وكأنما فيه
لشك لا للتشبيه، لأن التقدير فكأنما خمر موجود.

(٤) لأنه يجوز مع قصد التساوى أن يجعل أحد الطرفين مشبها لغرض

بغرة الفرس ، متى أريد ظهور منير في مظلم أكثر منه ^(١) وتشبيه الشمس بالمرأة المجلوسة أو الدينار الخارج من السكة ، كما قال :

وكان الشمس المنيرة دينا ر جلته حدائد الضراب ^(٢)

وتشبيه المرأة المجلوة أو الدينار الخارج من السكة بالشمس ، متى أريد استدارة متلائي متضمن لخصوص في اللون ، وإن عظم التفاوت بين بياض الصبح وبياض الغرة ونور الشمس ونور المرأة والدينار وبين الجرمين ، فإنه ليس شيء من ذلك بمنظور إليه في التشبيه ، وعلى هذا ورد تشبيه الصبح في الظلام بعلم أبيض على ديباج أسود في قول ابن المعتز :

والليل كالخلة السوداء لاح به من الصباح طراز غير مرقوم ^(٣)

فإنه تشبيه حسن مقبول وإن كان التفاوت في المقدار بين الصبح والطراز في الامتداد والانبساط شديداً .

أقسام التشبيه باعتبار طرفيه : تشبيه المفرد بالمفرد :

وأما تقسيم التشبيه باعتبار طرفيه أربعة أقسام : الأول تشبيه المفرد بالمفرد ، وهو ما طرفاه مفردان : إما غير مُقَيَّدَيْن ،

من الأغراض ، كأن يكون الكلام فيه ، فيقدم لهذا الغرض وتدخل أداة التشبيه على الطرف الآخر فيكون مشبهاً به .

(١) فلا يكون هناك قصد إلى المبالغة في وصف غرة الفرس بالضياء ، لأنه مع هذا يكون ذلك من التشبيه الذي يراد به إلحاق الناقص بالسكامل .

(٢) هو لعبد الله بن المعتز ، والمراد بحدائد الضرائب آلات الصك .

(٣) الخلة كل ثوب جديد أو الثوب مطلقاً ، والطراز علم الثوب ، والمرقوم المخطط .

كتشبيه الخد بالورد ونحوه ، وقوله ^(١) تعالى (هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ) فإن قلت : ما وجه الشبه في الآية ؟ قلت : جعله الزمخشري حسياً ، فإنه قال : لما كان الرجل والمرأة يعتقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شُبَّهَ باللباس المشتمل عليه ، قال الجعدى :

إذا ما الضَّجِيعُ ثنى عِطْفَهَا ثَنَّتْ فَكَانَتْ عَلَيْهِ لِبَاساً ^(٢)

وقيل : شُبَّهَ كل واحد منهما باللباس للآخر ، لأنه يصونه من الوقوع في فضيحة الفاحشة كاللباس الساتر للعورة ^(٣)

وإما مقيدان ^(٤) كقولهم لمن لم يحصل من سعيه على شيء — هو كالتبايض على الماء ، وكالراقم في الماء — فإن المشبه هو الساعي لا مطلقاً بل مقيداً بكون سعيه كذلك . والمشبه به هو التبايض أو الراقم لا مطلقاً بل مقيداً بكون قبضه على الماء أو رقه فيه ، لأن وجه الشبه فيهما هو التسوية بين الفعل وعدمه في عدم الفائدة ، والقبض على الماء والرقم فيه كذلك ، لأن فائدة قبض اليد على الشيء أن يحصل فيها ، فإذا كان مما لا يتأسك فقبضها

(١) ي — ١٨٧ — س — ٢ .

(٢) هو لحسان بن قيس المعروف بالنابغة الجعدى ، والضجيج المضاجع من ضجع بمعنى وضع جنبه على الأرض وتمدد ، وقوله — ثنى عطفها — بمعنى رد جنبها إليه .

(٣) على هذا يكون وجه الشبه عقلياً .

(٤) أى بجار وبمرور أو مفعول أو نحوهما بشرط أن يكون القيد معتبراً في التشبيه ، وبهذا لا يكون من ذلك قوله تعالى (هن لباس لكم) لأن الجار والمجرور غير معتبر في تشبيههن باللباس ، والفرق بين الطرف المقيد والطرف المركب أن المركب يكون كل واحد من أجزائه جزءاً من الطرف ، أما المقيد ففقيده شرط في الطرف لأجزء منه ، وإني أرى أن مثل هذا لا يصح مراعاته في علم البيان ، والأحسن إدخال المقيد في المركب .

عليه وعدمه سواء ، وكذلك القصد بالرقم في الشيء أن يبقى أثره فيه ، فإذا فُعلَ فيما لا يقبله كان فعله كعدمه ، فالقيد في هاتين الصورتين هو الجار والمجرور ، ونحوهما قوْلهم — هو كمن يجمع سيفين في غمد^(١) وقوْلهم كمتبغى الصيد في عريسة الأسد^(٢) وقد يكون حالا ، كقوْلهم — هو كالحادى وليس له بعير^(٣) .

ومما طرفاه مقيدان قول الشاعر :

إني وتزيني بمدحى معشراً كمتعلق درأ على خنزير^(٤)
فإن المشبه فيه هو المتكلم بقيد انصافه بتزيينه بمدحه معشراً ، فمتعلق^١
التزيين أعنى قوله — بمدحى — داخل في المشبه ، والمشبه به من يعلق درأ بقيد
أن يكون تعليقه إياه على خنزير ، فالشبه مأخوذ من مجرّع المصدر وما في صلته ،
وهو أن كل واحد منها يضع الزينة حيث لا يظهر لها أثر ، لأن الشيء غير قابل
التزيين ، فالواو في قوله — وتزيني — بمعنى مع ، إذ لا يمكن أن يقال إني كذا
وإن تزيني كذا^(٥) لأنه ليس معنا شيئاً يكون أحدهما خبراً عن ضمير المتكلم
والآخر عن تزيني ، لا يقال : تقديره إني كمتعلق درأ على خنزير وإن تزيني

(١) يضرب مثلاً للبستحيل .

(٢) يضرب مثلاً لمن يطلب الشيء من غير موضعه .

(٣) يضرب مثلاً للرجل ينتفخ بما لا يملك .

(٤) هو لعلى بن العباس المعروف بابن الرومى ، والواو في قوله — إني وتزيني — للعية وما بعدها مفعول معه كما ذهب إليه الخطيب في تحقيق التشبيه في البيت ، وقيل : إنه يجوز أن تكون عاطفة مع إفادتها المعية ، لأنه ليس من شرط العاطفة ألا تفيد هذا المعنى ، وعلى كونها عاطفة يكون الطرف مركباً لا مقيداً .

(٥) يريد بهذا أن يثبت أن الواو ليست عاطفة ، وقد عرفت أن إفادتها المعية لا يمنع أن تكون للعطف .

بمدحى معشراً كتعليق در على خنزير . لأنه لا يُتَصَوَّرُ أن يشبه المتكلم نفسه من حيث هو هو بملق درأ على خنزير ، بل لا بُدَّ أن يكون يشبه نفسه باعتبار تزيينه بمدحه معشراً .

وإما مختلفان والمقيد هو المشبه به ، كقوله :

والشمسُ كالمرآةِ في كَفِّ الأشل^(١)

فإن المشبه هو الشمس على الإطلاق ، والمشبه به هو المرآة لا على الإطلاق بل بقيد كونها في يد الأشل .

أو على عكس ذلك كتشبيه المرآة في كف الأشل بالشمس .

تشبيه المركب بالمركب : الثاني تشبيه المركب بالمركب ، وهو ما طرفاه كثرتان مجتمعتان . كما في قول البحترى :

ترى أخجالة يصعدن فيه صُعودَ البرق في الغيم الجَهَامِ^(٢)

لا يريد به تشبيه بياض الحُجُولِ على الانفراد بالبرق بل مقصوده الهيئة الخاصة الحاصلة من مخالطة أحد اللونين^(٣) بالآخر ، وكذلك المقصود في بيت بشار^(٤) ولذلك وجب الحكم بأن أسيافتنا في حكم الصلة للبصر^(٥) ونصب الأسياف لا يمنع من تقدير الاتصال لأن الواو فيها بمعنى مع^(٦)

(١) أنظر ص ٢٧ .

(٢) الأحجال جمع حجل وهو البياض في رجل الفرس ويجمع أيضا على حجول ، والجهام السحاب الذي لاماء فيه ، يشبه الفرس أثناء عدوه بذلك .
(٣) البياض والسواد .

(٤) أنظر ص ٢٦ .

(٥) هو — مثار — لأنه مصدر ميمي .

(٦) يجوز جر الأسياف عطفا على قوله — رؤوسنا .

كقولهم — لو تركت الناقةَ وفصيلها لرضعها — وبما ينبه على ذلك أن قوله — تهاوى كواكب — جملة وقعت صفة لليل ، فإن الكواكب مذكورة على سبيل التبع لليل ، ولو كانت مستبدة بشأنها لقال ليل وكواكب .
وأما بيت امرئ القيس :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا

لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالنَّخَشُ الْبَالِي (١)

فهو على خلاف هذا ، فإن أحد الشئيين فيه في الطرفين معطوف على الآخر ، أما في طرف المشبه به فَيَبَسٌ ، وأما في طرف المشبه فلا أن الجمع (٢) في الْمُتَّفِقِ كالعطف في المختلف ، فاجتماع شئيين أو أشياء في لفظ تثنية أو جمع لا يوجب أن أحدهما أو أحدها في حكم التابع للآخر ، كما يكون ذلك إذا جرى الثاني صفة للأول أو حالا منه أو ما أشبه ذلك ، وقد صرح بالعطف فيما أجراه بياناً له من قوله — رطباً ويابساً (٣) .
وهذا القسم ضربان : أحدهما مالا يصح تشبيهه كل جزء من أحد طرفيه بما يقابله من الطرف الآخر ، كقوله :

غدا والضحى تحت اللّيلِ بادٍ كطريفٍ أشهبٍ ملسٍ في الجلال (٤)

(١) يصف عقاباً بكثرة الصيد ، والوكر عيش الطائر ، والعناب شجر حبه كحب الزيتون أحمر ، والنخش أردأ التمر ، شبه الرطب من القلوب بالعناب ، واليابس بالحشف البالي .

(٢) يعنى الجمع في قوله — قلوب .

(٣) فالتشبيه في البيت ليس من تشبيه المركب بالمركب ، وإنما هو من التشبيه المتعدد الطرف كما سيأتى .

(٤) هو لعبد الله بن المعتز ، والضمير في قوله — غدا — يرجع إلى الساقى في قوله قبله :

وساق يجعل المنديل منه مكان حائل السيف الطوال

فإن الجلال فيه في مقابلة الليل ولو شبهه به لم يكن شيئاً . وكقول الآخر :

كأنما المَرِيخُ والمُشْتَرَى قَدْ أَمَّهُ في شَاخِ الرَّفْعَةِ

مُنْصَرَفٌ بِاللَّيْلِ عَنْ دَعْوَةِ قَدْ أُسْرِجَتْ قَدْ أَمَّهُ شَمْعُهُ (١)

فإن المريخ في مقابلة المنصرف عن الدعوة ، ولو قيل : كأن المريخ منصرف بالليل عن دعوة كان خلفاً من القول (٢) .

والثاني ما يصح تشبيهه كل جزء من أجزاء أحد طرفيه بما يقابله من أجزاء الطرف الآخر غير أن الحال تتغير ، ومثاله قوله :

وَكأنَّ أَجْرَامَ النُّجُومِ لَوِامِعاً دُرُّهُ نُثِرَتْ عَلَى بَسَاطِ أَزْرَقِ (٣)

فإنه لو قيل : كأن النجوم درر وكان السماء بساط أزرق كان تشبيهاً

والبابى الظاهر ، والطرف الفرس الكريم ، والأشهب الأبيض ، والجلال جمع جل وهو للدابة كالثوب الإنسان ، والمراد أنه أدير عن ظهره حتى تكشف أكثر جسده ، لا أنه رى به جملة حتى انفصل منه ، لأنه مع هذا لا يأتي ذلك التشبيه ، لأن المراد تشبيه هيئة حاصلة من اختلاط بياض بسواد ، وقد أخذ ابن المعتز ذلك من قول ذي الرمة في وصف الصبح :

وقد لاح للساوى الذى كمل السرى على أخريات الليل فنق مشر

كثل الحصان الانبط البطن قائماً تمايل عنه الجل واللون أشقر

(١) هما لعل بن محمد المعروف بالقاضى التنوخى ، والمريخ من النجوم السيارة وهو أقربها إلى الشمس ، والمشتري من النجوم السيارة أيضاً .

(٢) الخلف الردىء من القول .

(٣) أنظر ص ٢٦ .

صحيحاً ، لكن أين يقع من التشبيه الذى يربك الهيئة التى تملأ القلوب سروراً وعجباً من طلوع النجوم مؤتلفة متفرقة فى أديم السماء وهى زرقاء زرقها الصافية .

تشبيه المفرد بالمركب : الثالث تشبيه المفرد بالمركب ، كما مر من تشبيه الشاة الجبلى والشقيق والنيلوفر^(١)

تشبيه المركب بالمفرد : الرابع تشبيه المركب بالمفرد ، كقول أبى تمام :
يا صاحبيّ تَقْصِيَا نَظْرَ يَكُمَا تَرَيَا وَجْهَ الْأَرْضِ كَيْفَ تَصَوِّرُ^(٢)
تريا نهراً مُشْمِساً قد شابه زهر الربا فكأنما هو مُقْمِرُ^(٣)
يعنى أن النبات من شدة خضرته مع كثرتة وتكاثفه قد صار لونه إلى الاسوداد ، فنقص من ضوء الشمس حتى صار كضوء القمر .

التشبيه الملفوف والمفروق : وأيضا إن تعدد طرفاه^(٤) فهو إما ملفوف

(١) انظر ص ١٦ ، ٢٦ .

(٢) قوله — تَقْصِيَا نَظْرَ يَكُمَا — بمعنى أبلغاه أقصاه ، وقوله — تَصَوِّرُ — أصله تصور بمعنى تشكىل ، والمراد ترياها قائلين ذلك على وجه التعجب ، فلاستفهام مقول لقول مخدوف .

(٣) النهار المشمس الذى لا غيم فيه ، وقوله — شابه — بمعنى خالطه ، والربا جمع ربوة وهى الأرض المرتفعة ، ومقمر صفة لمخدوف تقديره ليل مقمر ، وإنى أرى أنه لا حاجة إلى تقدير هذا المخدوف ، والمراد أن نبات الربا مع زهره قد خالط النهار المشمس ، لأن خضرة النبات داخلة أيضا فى ذلك التشبيه .

(٤) إنما يستحق التشبيه المتعدد الطرفين الفضيلة من حيث اللفظ وحسن الترتيب فيه ، لا لأن للجمع فائدة فى عين التشبيه ، ولهذا كان التشبيه المركب أفضل من المتعدد .

أو مفروق ، فالملفوف ما أُتِيَ بِالشَّبْهِينِ ثُمَّ بِالمِشْبِه بهما ، كقول امرئ القيس :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا

لدى وكرها العُنَابُ والحشفُ البَالِي (١)

وغير الملفوف بخلاف ذلك (٢) كقول المرقش الأكبر :

النَّشْرُ مِنْكَ وَالْوَجْوهُ دَنَا نِيرُهُ وَأَطْرَافُ الْأَكْفِ عَنْهُمْ (٣)
ومنه قول أبي الطيب :

بَدَتْ قَرَأَ وَمَالَتْ خُوطُ بَانَ وَفَاحَتْ عَنَبُ أَوْرَنْتَ غَزَالًا (٤)

تشبيه التسوية والجمع : وإن تعدد طرفه الأول - أعني المشبه دون الثاني - سُمِّيَ تشبيه التسوية ، كقول الآخر :

صَدَغُ الْحَبِيبِ وَحَالِي كِلَاهُمَا كَاللَّيَالِي

(١) أنظر ص ٥٢

(٢) هو أن يؤتى بمشبه ومشبه به ثم بمشبه ومشبه به أو بأكثر من ذلك

(٣) هو لربيعة بن سعد المعروف بالمرقش الأكبر ، والنشر الرائحة الطيبة أو الرائحة عموماً ، والعنم شجر له ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب ، وقد قيل : إن مثل هذا في الحقيقة تشبيهات متعددة ، وليس تشبيهاً واحداً متعدد الطرفين ، ومثله كل ما يقال له تشبيه مفروق ، ويمكن أن يجاب عن ذلك بأن مثل هذه التشبيهات تكون متعلقة بشيء واحد كالنسوة في هذا البيت ، فيمكن جعلها تشبيهاً واحداً من هذه الجهة .

(٤) الخوط الغصن الناعم ، والبان شجر معتدل القوام لين ورقة كورق الصفصاف وقوله - رنت - بمعنى نظرت ، والمراد أنها بدت بوجه كقمر ، ومالت بقوام كخوط بان ، وفاحت برائحة كعنبر ، ونظرت بعين كعين غزال .

وثره في صفاء وأذمعي كالتلالى (١)

وإن تعدد طرفه الثاني - أعنى المشبه به دون الأول - سمي تشبيه الجمع ،
كقول البحرى :

كأنما يبسم عن لؤلؤ مُنضد أو برد أو أقاح (٢)

ومثله قول امرئ القيس :

كأن المدام وصوب الغمام وريح الخزامى ونشر القطر (٣)
يعل به برد أنيابها إذا طرب الطائر المستخر (٤)

(١) لا يعرف قائلها ، والصدغ ما بين الأذن والعين ، ويطلق على الشعر المتدلى من الرأس على هذا الموضع وهو المراد هنا ، والثغر الفم أو مقدم الأسنان ، والثاني هو المراد هنا ، وتشبيه أدمعه بذلك يدل على كثرتها ، لأنه إذا كثرت ماء المنبع صفا عما فيه من الكدر .

(٢) المنضد المنظم ، والبرد حب الغمام ، والأقاح جمع أقحوان وهو ورد له نور أوراقه في شكلها أشبه شئ بالأسنان ، والمشبه مخدوف تقديره — كأنما يبسم عن ثغر كلؤلؤ ، وهذا استعارة لا تشبيه .

(٣) المدام الخمر ، وصوب الغمام مطره ، والخزامى نبت زهره من أطيب لزه ، والقطر عود يتبخر به .

(٤) قوله — يعل به — بمعنى يسقى مرة بعد مرة والضمير في — به — للذكور من المدام وما عطف عليه والجملة حال منه ، وقوله — برد أنيابها — خبر كأن ، والطائر المستخر هو الديك الذى يصوت بالسحر ، يعنى أنها طيبة الظم في الوقت الذى تتغير فيه الأفواه بعد النوم ، والمراد تشبيه برد أنيابها بالمدام وما عطف عليه ، فالتعدد هو المشبه به ، ولكنه قلب التشبيه للبالغة ، وقيل : إن — برد — نائب فاعل يعل ، على معنى أنه يظن أن برد أنيابها مزج بالغمام وما عطف عليه لأنه يشبهها ، فيكون تشبيها ضمنيا .

إلا أن فيه شوباً من القصد إلى هيئة الاجتماع ^(١) .

أقسام التشبيه باعتبار وجهه : وأما باعتبار وجهه فله ثلاث تقسيمات :
تمثيل وغير تمثيل ، وبجمل ومفصل ، وقريب وبعيد .

التمثيل : التمثيل ما وجهه وصف منتزِع من متعدّد أمرين أو أمور ^(٢)
وقيده السكاكي بكونه غير حقيقي ^(٣) ومثّل بصور مثّل بها غيره أيضاً ،
منها قول ابن المعتز :

إصبرْ على مضض الحسو دِ فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهُ

فالنَّارُ تَأْكُلُ نَفْسَهَا إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهُ ^(٤)

فإن تشبيه الحسود المتروك مُقَاوَلَتُهُ مع تطلبه إليها لينال بها نفثة

هذا واللف والتفريق والتسوية والجمع في تلك الأقسام الأربعة من المحسنات
البديعية ، وبهذا تظهر تلك الأقسام في ذلك الشكل البديع .

(١) فيكون بهذا قريباً من التشبيه المركب .

(٢) يعني أن يكون وجهه مركباً مطلقاً ، وهذا هو مذهب الخطيب والجمهور ،
فلا فرق عندهم بين الوجه الحقيقي وغيره .

(٣) أي مع كونه مركباً ، وهو عند عبد القاهر ما كان وجهه غير حقيقي
ولو كان مفرداً ، وعند الزمخشري يرادف التشبيه ، والمراد بالحقيقي الحسي كالخمرة
والعقل الغريزي كالشجاعة ونحوها من الغرائز ، ولا بد عند عبد القاهر من التأول
في التمثيل كما وضحه في أسرار البلاغة ، فلا يكتفى فيه بمجرد كونه غير حقيقي .

(٤) هما لعبد الله بن المعتز ، والمضض مصدر مض من الشيء بمعنى شق عليه
وآله ، والتشبيه في البيتين ضمنى .

مصدور بالنار التي لا تمتدّ بالحطب في أمر غير حقيقى (١) منتزع من متعدد ،
وهو إسراع الفناء لانقطاع ما فيه مدد البقاء .
ومنها قول صالح بن عبد القدوس :

وإنَّ من أدبته في الصَّبَا كالْعُودِ يُسْقَى الماء في غرسه
حتى تراه مُونِقاً ناضِراً بعد الذى أبصرت من مُبْنِيه (٢)
فإن تشبيه المؤدّب في صباه بالعود المسقى أو أن غرسه فيما يلزم كل
واحد من كون المؤدّب في صباه مهذب الأخلاق حميد الفعال لتأديبه
المصادف وقته وكون العود المسقى أو أن غرسه مونقاً بأوراقه ونضرتة لسقيه
المصادف وقته من تمام الميل (٣) وكال الاستحسان بعد خلاف ذلك .
ومنها قوله (٤) تعالى (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الذِّى اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا
أُضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ
لا يُبْصِرُونَ) فإن تشبيه حال المنافقين بحال الموصوف بصلة الموصول
في الآية في أمر غير حقيقى منتزع من متعدد ، وهو الطمع في حصول
مطلوب لمباشرة أسبابه القريبة مع تعقّب الحرمان والخيبة لانقلاب الأسباب .

(١) في نسخة شروح التلخيص — في أمر حقيقى — وكذلك فيما سياتى ،
ولعله فهم من قوله — غير حقيقى — أنه يريد به ما كان وهمياً كما توهمه بعض
عبارات المفتاح ، فاعترض عليه بذلك ، لأنه مثل بصور مثل بها غيره
من خالف مذهبه .

(٢) المونق تخفيف مؤنق ، يقال — أنق أنقاً — إذا كان حسناً معجباً ،
وفي رواية مورقاً ، والناضر اسم فاعل من — نضر — بمعنى نعم وحسن وكان جميلاً .
(٣) هذا بيان لما في قوله — فيما يلزم كل واحد — ومن في قوله — من كون
المؤدّب الخ — بيان لكل واحد ، وعبارة السكاكى في ذلك أوضح من هذه العبارة .

غير التمثيل : وغير التمثيل ما كان بخلاف ذلك . كما سبق في الأمثلة المذكورة (١) .

المجمل : والمجمل ما لم يذكر وجهه ، فنه ما هو ظاهر يفهمه كل أحد حتى العامة ، كقولنا - زيد أسد - إذ لا يخفى على أحد أن المراد به التشبيه في الشجاعة دون غيرها .

ومنه ما هو خفي لا يدركه إلا من له ذهن يرتفع عن طبقة العامة ، كقول من وصف (٢) بنى المثلث للحيجاج لما سأله عنهم وأن أيهم أنجذ : كانوا كالحلقة المفرغة (٣) لا يدرى أين طرفاها . أى لتناسب أصولهم وفروعهم في الشرف يمتنع تعيين بعضهم فاضلا وبعضهم أفضل منه ، كما أن الحلقة المفرغة لتناسب أجزائها يمتنع تعيين بعضها طرفا وبعضها وسطا (٤) هكذا نسبة الشيخ عبد القاهر إلى من وصف بنى المثلث (٥) ونسبه الشيخ جاز الله العلامة (٦) إلى الأمازيقية ، قيل : هى فاطمة بنت النخرشب سئلت عن بنها أيهم أفضل ؟ فقالت : عمارة لا بل فلان ، لا بل فلان ، ثم قالت : شككتهم إن كنت أعلم أيهم أفضل (٧) هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها ؟

(١) أى للتشبيه قبل التمثيل . (٢) هو كعب الأشقرى

(٣) أى التى أذيب معدنها وأفرغ فى قالب .

(٤) ما ذكره من الأمرين يتضمن وجه الشبه وليس به ، لأن الأول مختص بالشبه والثانى مختص بالمشبه به ، وإنما وجه الشبه هو الأمر الكلى الخالى عن التفاوت ، ولا شك أن الانتقال من تناسب أجزاء الحلقة إلى تناسبهم فى الشرف غاية فى الدقة ، فالوجه بين الطرفين لا يدركه إلا الخاصة ، أما العامة فيتبادر إليهم تناسبهم فى الصورة .

(٥) ١٠٦ — أسرار البلاغة

(٦) هو الزحشرى ، وعلى هذا يكون كعب الأشقرى قد أخذه منها .

(٧) أى فى قولها — أيهم — يجوز أن تكون استفهامية علق — أعلم —

وأيضاً منه ما لم يُذكر فيه وصف المشبه ولا وصف المشبه به ^(١) كالمثال الأول ^(٢) ومنه ما ذكر فيه وصف المشبه به وحده كالمثال الثاني ^(٣) ونحوه قول زياد الأعجم :

وإننا وما تلتقي لنا إن هَجَوْنَا لكالبحر مهما تُلْقى في البحر يغرق ^(٤)
وكذا قول النابغة الذبياني :

فإنك شمس والملوك كواكبٌ إذا طلعت لم يَبْدُ منهم كوكبٌ ^(٥)
ومنه ما ذكر فيه وصف كل واحد منهما ، كقول أبي تمام :

صدفتُ عنه ولم تصدفْ مواهبهُ عني وعأوده ظني فلم يخب ^(٦)
كالغيث إن جثته وافاك ريقه وإن ترحلت عنه لجأ في الطلب ^(٧)

عن العمل في معموليها ، وأن تكون موصولة في محل نصب مفعول أول ، وأفضل خبر مبتدأ محذوف والجملة صلة ، والمفعول الثاني محذوف تقديره كائناً منهم .

(١) يعني وصفهما الذي يكون فيه إيماء إلى وجه الشبه لا مطلق وصف .

(٢) هو — زيد أسد .

(٣) هو — هم كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها .

(٤) هو زياد بن سليمان الأعجم ، لقب بذلك لأنه كان ألسن ، والمشبه به البحر والجملة بعده حال منه فهي صفة له ، ووجه الشبه عدم ظهور الأثر في كل منهما ، وفي وصف البحر بذلك إشارة إليه ، وفي رواية — مهما يلقى .

(٥) هو زياد بن معاوية المعروف بالنابغة الذبياني ، والخطاب فيه للنعمان ابن المنذر ، والمشبه به فيه الشمس والكواكب ، وجملة — إذا طلعت لم يبد منهم كوكب — صفة تنبيء عن وجه الشبه .

(٦) قوله — صدفت — بمعنى أعرضت ، والمواهب الهبات .

(٧) قوله — وافاك — بمعنى أنك ، وريقة أوله أو أفضله ، وقوله — لج — بمعنى ألح ، وصفة المشبه به يتضمنها البيت الثاني ، وفيها إشارة إلى وجه الشبه وهو الإفاضة في حال الإعراض وفي حال الطلب .

المفصل : والمفصل ما ذُكر وجهه ^(١) ، كقول ابن الرومي .

يَا شَبِيهَ الْبَدْرِ فِي الْحُسْنِ ن وَفِي مُبْغَدِ الْمَنَالِ
جَدُّ فَقَدْ تَسْفَجِرُ الصَّخْرَ رَةً بِالمَاءِ الزَّلَالِ ^(٢)
وقول أبي بكر الخالدي :

يَا شَبِيهَ الْبَدْرِ حُسْنًا وَضِيَاءً وَمَنَالًا
وَشَبِيهَ الْغَصَنِ لِينًا وَقَوَامًا وَاعْتِدَالًا
أَنْتَ مِثْلُ الْوَرْدِ لَوْنًا وَنَسِيمًا وَبَلَالًا ^(٣)
زَارْنَا حَتَّى إِذَا مَا سَرَرْنَا بِالْقَرَبِ زَالًا

وقد يُتَسَامَحُ بذكر ما يستتبعه مكانه ^(٤) كقولهم في وصف الألفاظ إذا وجدوها لا تنقل على اللسان لتنافر حروفها أو تكرارها ، ولا تكون غريبة وحشية تَسْتَكْزِرُهُ لكونها غير مألوفة ، ولا بما تبعد دلالتها على معانيها — هي كالعسل في الحلاوة ، وكالماء في السلاسة ، وكالنسيم في الرقة —

(١) أى بنفسه أو بما يستتبعه كما سيأتي

(٢) هما لعلى بن العباس المعروف بابن الرومي ، والمنال مصدر ميمي بمعنى تناول أو اسم مكان ، يعنى بذلك بعد وصاله وأنه كالبدر في بعد مناله . وقوله — جد — يعنى بالوصال ، والماء الزلال هو العذب الصافي الذى يمر سريعاً فى الحلق .

(٣) البلال بثلاث الباء الندوة ويروى — ملالا — فيكون من إطلاق المازوم وإرادة اللازم وهو سرعة الزوال والمفارقة ، وأبو بكر الخالدي هو محمد بن هاشم

(٤) ذهب السبكي إلى أن المذكور هو وجه الشبه ولا داعى إلى ذلك التأول ، لأنه إذا لم يكن موجوداً فى المشبه حقيقة فهو موجود بالتخيل ، ولكن هذا التأول لا بد منه عند عبد القاهر ، لأنه هو المعول عليه عنده فى الفرق بين التمثيل والتشبيه

وقولهم في الحجة إذا كانت معلومة الأجزاء يَقِينِيَّةُ التَّأْلِيفِ بَيِّنَةٌ
الاستلزام للطلوب — هي كالشمس في الظهور — والجامع في الحقيقة
لازم الخلاوة وهو ميل الطبع ، ولأزم السلاسة والرقّة وهو إفادة النفس
نشاطاً وروحاً^(١) ولأزم الظهور وهو إزالة الحجاب^(٢) فإن شأن النفس
مع الألفاظ الموصوفة بتلك الصفات كشأنها مع العسل الذي يلذّ طعمه
فتَهَشُّ النفس له ، ويميل الطبع إليه ، ويحب وروده عليه ، أو كشأنها مع
الماء الذي يسرع في الحلق ، ومع النسيم الذي يسرى في البدن فيتخلل المسالك
اللطيفة منه ، فيفيدان النفس نشاطاً وروحاً ، وشأنها مع الشبهة التي تمنع
القلب إدراك ما هي شبهة فيه كشأنها مع الحجاب الحسي الذي يمنع
أن يمرى ما يكون من ورائه ، ولذلك توصف بأنها اعترضت دون الذي
يروم القلب إدراكه .

قال الشيخ صاحب المفتاح^(٣) : وتساعهم هذا لا يقع إلا حيث
يكون التشبيه في وصف اعتباري كالذي نحن فيه^(٤) وأقول : يشبه
أن يكون تركهم التحقيق في وجه التشبيه على ما سبق التنبيه عليه من
تساعهم هذا^(٥) انتهى كلامه .

(٢) أي راحة

(٢) أي المانع حسياً كان أو عقلياً ، وإنما كان وجه الشبه لازم ذلك لأنه
هو المشترك بين الطرفين

(٣) ص ١٨٢ — المفتاح

(٤) هو كل من ميل الطبع وإفادة النفس نشاطاً وروحاً وإزالة الحجاب

(٥) يعني بذلك أن ما سبق من تقسيمهم وجه الشبه إلى حسي وعقلي
وهو في التحقيق عنده لا يكون إلا عقلياً مبني على هذا التسامح ، لأنهم لما جعلوا
ملزوم وجه الشبه من وجه الشبه جاز أن يكون وجه الشبه حسياً ، لأن ملزوم العقلي
قد يكون حسياً .

القريب المبذل : والقريب المبذل ، وهو ما يُنْتَقَلُ فيه من المشبه إلى المشبه به من غير تدقيق نظر لظهور وجهه في بادئ الرأي ، وسبب ظهوره أمران :

الأول كون الشبه أمراً جُمُلياً ^(١) فإن الجملة أُسِيقُ أبدأً إلى النفس من التفصيل ، ألا ترى أن الرؤية لا تصل في أول أمرها إلى الوصف على التفصيل لكن على الجملة ثم على التفصيل ، ولذلك قيل - النظرة الأولى حمقاء ، وفلان لم ينعم النظر - وكذا سائر الحواس* ، فإنه يُدْرِكُ من تفاصيل الصوت والذوق في المرة الثانية ما لم يدرك في الأولى ، فمن يروم التفصيل كمن يبتغي الشيء من بين جملة يريد تمييزه مما اختلط به ، ومن يروم الإجمال كمن يريد أخذ الشيء جزأفاً ، وكذا حكم ما يدرك بالعقل ، ترى الجمل أبداً تسبق إلى الذهن ، والتفاصيل مغمورة فيها لا تحضر إلا بعد إعمال الرؤية .

والثاني كونه قليل التفصيل مع غلبة حضور المشبه به في الذهن إما عند حضور المشبه لقرب المناسبة بينهما ، كتشبيه العنبة الكبيرة السوداء بالإجاصة ^(٢) في الشكل وفي المقدار ، والجرة الصغيرة بالكوز كذلك ، وإما مطلقاً لتكرره على الحس ، كما مر من تشبيه الشمس بالمرآة المجلوة في الاستدارة والاستناوة ، فإن قرب المناسبة والتكرار كل واحد منهما يعارض التفصيل لاقتضائه سرعة الانتقال .

(١) بأن يكون أمراً واحداً لا تركيب فيه ، كتشبيه الخد بالورد في الحمرة ، أو يكون مركباً لم ينظر إلى أجزائه ، كتشبيه رجل بالفرس في الحيوانية . والقرب والابتدال وكذا البعد والغربة يرجع كل منها فيما ذكر إلى أمور ذاتية لا تتأثر بكثرة الاستعمال أو قلته ، فالقريب قريب وإن قل استعماله ، والبعيد بعيد وإن كثر استعماله .

(٢) الإجاصة واحدة الإجاص ، وهو شجر ثمره لذيذ حلو .

البعيد الغريب : والبعيد الغريب ^(١) ، وهو ما لا ينتقل فيه من المشبه إلى المشبه به إلا بعد فكر لحفاء وجهه في بادئ الرأي ، وسبب خفائه أمران : أحدهما كونه كثير التفصيل كما سبق من تشبيه الشمس بالمرآة في كف الأشل ^(٢) فإن ما ذكرناه من الهيئة ^(٣) لا يقوم في نفس الراى للبرآة الدائمة الاضطراب إلا أن يستأنف تأملا ، ويكون في نظره متمهلا .

والثاني ندور حضور المشبه به في الذهن إمّا عند حضور المشبه لبعده المناسبة بينها ، كما تقدم من تشبيه البنفسج بنار الكبريت ^(٤) وإما مطلقاً لكونه وهمياً أو مركباً خيالياً أو مركباً عقلياً ، كما مضى من تشبيه نصال السهام بأنياب الأغوال ^(٥) وتشبيه الشقيق بأعلام ياقوت منشورة على رماح من الزبرجد ^(٦) وتشبيه مثل أحبار اليهود بمثل الخمار يحمل أسفاراً ^(٧) فإن كلا سبب لندرة حضور المشبه في الذهن . أو لقلة تكرره على الحس ، كما مر من تشبيه الشمس بالمرآة في كف الأشل ^(٨) فإنه ربما يقضى الرجل دهره ولا يتفق له أن يرى مرآة في يد الأشل ، فالغربة في هذا التشبيه من وجهين ^(٩) .

والمراد بالتفصيل أن يُنظَرَ في أكثر من وصف واحد لشيء واحد أو أكثر ، وذلك يقع على وجوه كثيرة ، والأغلب الأعراف منها وجهان : أحدهما أن تأخذ بعضاً وتدع بعضاً ^(١٠) ، كما فعل امرؤ القيس في قوله :

(١) جرى الخطيب في هذا على عدم الفرق بين القريب والمبتدل وبين البعيد والغريب ، وقيل بالفرق في ذلك ، فيكون القريب مقابلاً للبعيد ، والأول ما يحصل من غير تدقيق نظر والثاني ما كان كثير التفصيل ، ويكون المبتدل مقابلاً للغريب ، والأول كثير الاستعمال ، والثاني بخلافه .

- (٢) أنظر ص ٢٧ (٣) يعنى وجه الشبه فيه
(٤) أنظر ص ٤٢ (٥) أنظر ص ١٧ ، وهو مثال للوهمى .
(٦) أنظر ص ١٦ ، وهو مثال للركب الخيالى .
(٧) أنظر ص ٣٣ ، وهو مثال للركب العقلى . (٨) أنظر ص ٢٧ .
(٩) هما كثرة التفصيل وندرة الحضور في الذهن . (١٠) أى من الأوصاف .

حَمَلْتُ رُدَيْسِيًّا كَأَنَّ سِنَانَهُ سَنَا لَهَبٍ لَمْ يَتَّصِلْ بِدُخَانٍ (١)
فَفَصَّلَ السَّنَانُ عَنِ الدُّخَانِ وَأَثْبَتَهُ مَفْرُودًا (٢).

والثاني أن يعتبر الجميع ، كما فعل الآخر في قوله :

وَقَدْ لَاحَ فِي الصَّبْحِ الشَّرِيبَا كَمَا تَرَى كَعُنُقُودٍ مَلَأَ حَيَّةٌ حِينَ تَوَرَّأ (٣)

فإنه اعتبر من الأنجم الشكل والمقدار واللون واجتماعها على المسافة
المخصوصة في القرب ، ثم اعتبر مثل ذلك في العنقود الممتور من الملاحظة .
وكلما كان التركيب من أمور أكثر كان التشبيه أبعد وأبلغ ، كقوله (٤)

تَعَالَى (إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ
نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ
زُخْرُفَهَا وَازَيَّنَّتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا
لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ) فإنها عشر
جمل إذا فُصِّلَتْ (٥) وهي وإن دخل بعضها في بعض حتى صارت كلها كأنها
جملة واحدة فإن ذلك لا يمنع من أن تشير إليها واحدة واحدة ، ثم إن الشبه
منزوع من مجموعها من غير أن يمكن فصل بعضها عن بعض ، حتى لو حذف
منها جملة أدخل ذلك بالمعزى من التشبيه .

ومن تمام القول في هذه الآية ونحوها أن الجملة إذا وقعت في جانب المشبه
به تكون على وجوه : أحدها أن تلي نكرة فتكون صفة لها ، كما في هذه

(١) سبق هذا البيت في الكلام على الإيغال من الإطناب في الجزء الثاني ،

وقد فضله عبد القاهر من ناحية التفصيل والإجمال على قول عنترة :

يتابع لا يبتغي غيره بأبيض كالقُبس المتهب

(٢) فزاد السنا بهذا تألقا وضياء . (٣) انظر ص ٢٥

(٤) ي — ٢٤ — س — ١٠

(٥) وتفصيلها — أنزلناه . فاختلط . مما يأكل . حتى إذا أخذت . وازينت ،

وظن . أنهم قادرون . أتاه . فجعلناها . كأن لم تغن .

الآية ، وعليه قول النبي ﷺ الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة (١) ،
والثاني أن تلي معرفة هي اسم موصول فتكون صلة له ، كقوله (٢) تعالى
(مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا) الآية ، والثالث أن تلي معرفة
ليست باسم موصول فتقع استئنافاً (٣) كقوله (٤) عز وعلا (مَثَلُ الَّذِينَ
اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا) .
ومن أبلغ الاستقصاء في التفصيل وعجيبه قول ابن المعتز :

كَأَنَّا وَضَوْهُ الصَّبْحِ يَسْتَعِجِلُ الدُّجَى نَظِيرُ غَرَابَا ذَا قَوَادِمَ جُونِ (٥)
شبه ظلام الليل حين يظهر فيه ضوء الصبح بأشخاص الغربان ، ثم شرط
أن يكون قوادم ريشها بيضاء ، لأن تلك الفرق من الظلمة تقع في حواشيها
من حيث يلي معظم الصبح وعموده السمع نور (٦) فيخيل منها
في العين كشكل قوادم بيض ، وتتمام التدقيق في هذا التشبيه أن جعل ضوء
الصبح لقوة ظهوره ودفعه لظلام الليل كأنه يحفز الدجى ويستعجلها

(١) الإبل في اللغة اسم جمع لا واحد له من لفظه ، والراحلة الناقة الكريمة ،
فالناس كهذه الإبل لا يكاد يوجد في كل مائة منهم رجل كريم ، ويجوز رفع مائة
على أنه مبتدأ ، أى مائة منها ، فتكون جملة مستأنفة .

(٢) ي — ١٧ — س — ٢

(٣) لأن قوله في الآية الآتية (مثل العنكبوت) يشير إلى سؤال تقديره ما مثله ،
فيكون قوله (اتخذت بيتا) جوابه .

(٤) ي — ٤١ — س — ٢٩

(٥) هو لعبد الله بن المعتز ، والدجى جمع دجية وهي الظلمة ، والقوادم أوائل
ريش الطائر ، والجون جمع جون وهو الأبيض أو الأسود والمراد هنا الأبيض .

(٦) لمع نور فاعل - تقع - ومعظم الصبح فاعل - يلي - يعنى أن هذه اللمع
تكون قبل ظهور معظم الصبح ، وفي بعض النسخ - تلي - ففاعله يعود
على الفرق ، ومعظم الصبح مفعوله .

ولا يرضى منها بأن تتمهل في حركتها ، ثم لما راعى ذلك في التشبيه ابتداء راعاه آخره حيث قال - نطير غراباً - ولم يقل - غراب يطير ونحوه - لأن الطائر إذا كان واقعاً في مكان فازعج وأطير منه أو كان قد حُبس في يد أو قفص فأرسل كان ذلك لا محالة أسرع لطيرانه ، وأدعى له أن يستمر على الطيران حتى يصير إلى حيث لا تراه العيون ، بخلاف ما إذا طار على اختيار فإنه حينئذ يجوز ألا يُسرَّع في طيرانه ، وأن يصير إلى مكان قريب من مكانه الأول .

وكذا قول أبو نؤاس في صفة منقار النُّبَّازي :

كعطفة الجيم بكف أعسر^(١)

غير خاف أن الجيم خطان أولهما الذي هو مبدؤه وهو الأعلى ، والثاني الذي يذهب إلى اليسار . وإذا لم يُوصَلْ بها^(٢) فلما تعريق^(٣) والمنقار إنما يشبه الخط الأعلى فقط ، فلهذا قال - كعطفة الجيم - ولم يقل كالجيم ، ثم دقق بأن جعلها بكف أعسر ، لأن جيم الأعسر يقال إنه أشبه بالمنقار

(١) قبله :

كَأَنَّ عَيْنِيهِ إِذَا مَا أَثَارًا فَصَّانٌ قَيْضًا مِنْ عَقِيقٍ أَحْمَرَا

في هامة غلباء تهدي منسرا
وقوله - أثار - بمعنى أدرك ثأره ، وقوله - قيصا - بمعنى شقا ، والهامة رأس كل شيء وتطلق على الجثة ، والغلباء القوية ، ويروى - علياء -
وقوله - تهدي - بمعنى تتقدم ، والمفسر كمجلس ومنبر منقار الطير الجارح ، وعطفة الجيم خطها الأعلى ، والأعسر الذي يعمل بشماله .

(٢) يعني إذا لم يوصل بها حرف آخر بأن كانت مفردة أو آخر كلمة .

(٣) التعريق هو أن يعطف بالخط الأسفل إلى اليمين على هيئة قوس كما هو الشأن دائماً في الجيم المفردة .

من جيم الأيمن^(١) ثم أراد أن يؤكد أن الشبه مقصور على الخط الأعلى من الجيم ، فقال :

يقول مَنْ فيها بعقل فكراً

لو زادها عيناً إلى فاء وراً فاتصلت بالجيم صارت جعفر^(٢)
فأبان أنه لم يُدخل التعريقَ في التشبيه لأن الوصل يسقطه أصلاً ،
ولا الخط الأسفل وإن كان لا بد منه مع الوصل ، لأنه قال - فاتصلت بالجيم -
أى بالعطفة المذكورة^(٣) ولم يقتصر على قوله - لو زادها عيناً إلى فاء وراً -
ولاجل هذا التدقيق قال - يقول من فيها بعقل فكراً - فنبه على أن بالمشبهة
حاجة إلى فضل فكر ، وأن يكون فكره فكر من يراجع عقله .

وإذ قد تحققت ما ذكرنا من التفصيل علمت أن قول امرئ القيس
في وصف السنان^(٤) أعلى طبقة من قول الآخر :

يَتَابِعُ لَا يَتَغْنَى غَيْرُهُ بِأَبْيَضٍ كَالْقَبَسِ السُّمْلَةِ تَهْبُ^(٥)

(١) لأن الحركة في جيم الأعسر أكثر انحرافاً .

(٢) را مقصور راء ، وفاعل — اتصلت — يعود إلى العين ، وقوله
— صارت جعفرأ — يعنى صارت كلمة جعفر ، ولو أنه اقتصر على ما قبل قوله
— يقول من فيها بعقل فكراً — لكان أجود وأرشق وأدخل في مذاهب الفصحاء ،
لأنه لا يجمل أحد أن الجيم إذا أضيفت إليها العين والفاء والراء تصير جعفرأ ،
ثم إن هذا لا يدخل في صفة البازي ، وقد اعتذر له بأنه أراد أنها تشبه الجيم
لاتغادر من شبهها شيئاً ، حتى إنها لو زيدت عليها هذه الأحرف صارت جعفرأ
لشدة شبهها بها .

(٣) فلو كان الخط الأسفل داخلاً في التشبيه لم يقل ذلك ، لأن العطفة مع ذلك
الخط لا تحتاج في اتصالها بغيرها إلى واسطة .

(٤) انظر ص ٦٥ .

(٥) هو لعنرة بن شداد العبسي ، والضمير في قوله — يتابع —

خلو الثاني عن التفصيل الذى تضمنه الأول ، وهو قصر التشبيه على مجرد السنّا وتصويره مقطوعا عن الدخان ، ومعلوم أن هذا لا يقع فى خاطر أول وهلة ، بل لا بُدَّ فيه من أن يتثبت وينظر فى حال كل من الفرع والأصل ، حتى يقع فى النفس أن فى الأصل شيئا يقدح فى حقيقة التشبيه وهو الدخان الذى يعلو رأس الشعلة .
وكذا قوله :

وَكأنْ أَجْرَامَ النُّجُومِ لَوَامِعاً دُرَّرَ نُشْرُنَ عَلَى بَسَاطِ أَزْرَقِ (١)
أفضل من قول ذى الرُّمّة :

كَأَنهَا فَضَّةٌ قَدْ مَسَهَا ذَهَبُ (٢)

لأن الأول مما يندر وجوده دون الثانى ، فإن الناس أبداً يرون فى الصياغات فضة قد مُوِّهَتْ بذهب ، ولا يكاد يتفق أن يوجد درر قد نثرن على بساط أزرق .

وكذا بيت بشار (٣) أعلى طبقة من قول أبى الطيب :

يَزُورُ الْأَعَادَى فِي سَمَاءِ عَجَاجَةٍ أَسِنَّتُهُ فِي جَانِبِهَا السُّكُوكُ (٤)

لورد بن حابس ، وفى قوله — غيره — لنضلة الأسدى ، وكان لورد نار عنده ، والقبس الملتهب هو النار الموقدة ، فالمشبه به واحد فى البيتين .

(١) انظر ص ٢٦ .

(٢) هو لعيلان بن عقبة المعروف بذى الرمة من قوله :

كَلَامٌ فِي بَرَجٍ صَفْرَاءُ فِي نَعَجٍ كَأَنهَا فَضَّةٌ قَدْ مَسَهَا ذَهَبُ
والبرج أن يكون بياض العين محققا بالسواد كله لا يغيب من سوادها شيء ، أو نجلى العين وسعتها ، والنعج البياض الخالص ، والمراد أن صفرتها يشوبها بياض خالص وهو محمود عندهم .

(٣) انظر ص ٢٦ .

(٤) العجاجة الغبار ، والأسنة جمع سنان وهو فصل الرمح .

وكذا من قول الآخر :

تَبَنِي سَنَابِكُهَا مِنْ فَوْقِ أَرْوُسِهِمْ سَقْفًا كَوَاكِبُ الْبَيْضِ الْمَبَاتِيرِ (١)
لأن كل واحد منهما وإن راعى التفصيل في التشبيه فإنه اقتصر على أن
أراك لمعان الأسنة والسيوف في أثناء العجاجة ، بخلاف بشار فإنه لم يقتصر
على ذلك ، بل عبر عن هيئة السيوف وقد سُلِّتْ من أعماقها وهي تعلو
وترسب وتجيء وتذهب ، وهذه الزيادة زادت التفصيل تفصيلاً ، لأنها لا تقع
في النفس إلا بالنظر إلى أكثر من جهة واحدة ، وذلك أن للسيوف عند
احتدام الحرب واختلاف الأيدي بها في الضرب اضطراباً شديداً وحركات
سريعة ، ثم لتلك الحركات جهاتٌ مختلفة تنقسم بين الاعوجاج والاستقامة
والارتفاع والانخفاض ، ثم هي باختلاف هذه الأمور تتلاقى ويصدم بعضها
بعضاً ، ثم أشكالها مستطيلةٌ ، فنَبَّهَ على هذه الدقائق بكلمة واحدة وهي قوله
- تهاوى - لأن الكواكب إذا تهاوت اختلفت جهات حركتها ، ثم كان
لها في التهاوى مواقعٌ وتداخلٌ ، ثم استطالت أشكالها .

وكذا قول الآخر في الأذريون :

مَدَاهِنْ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا بَقَايَا غَايَةِ (٢)

(١) هو لكثوم بن عمرو العتابي ، وفي أسرار البلاغة أنه لعمر بن كلثوم ،
ولعله تحريف من الناسخ ، والسنايك جمع سنيك وهو طرف الحافر ، وقوله
- سَقْفًا - بمعنى غبار كالسقف فهو استعارة ، والبيض المباتير هي السيوف القواضع ،
والمباتير جمع مبتار صيغة مبالغة من - بَرَّ - بمعنى قطع .

(١) هو لعبد الله بن المعتز ، وقد جاء قبله :

سَقْفِيًّا لِرَوْضَاتِ لَنَا مِنْ كُلِّ نَوْرِ حَالِيهِ

عَيُونُ أَذْرِيُونِهَا لِلشَّمْسِ فِيهَا كَالِيهِ

والنور الزهر ، والأذريون ورد له أوراق حمرفي وسطه سواد له نبو وارتفاع

أعلى وأفضل من قوله فيه :

ككأس عقيق في قراراتها مسك (١)

لأن السواد الذي في باطن الآذريونة الموضوع بإزائه الغالية والمسك فيها أمران : أحدهما أنه ليس بشامل لها ، والثاني أنه لم يستدر في قعرها بل ارتفع منه حتى أخذ شيئاً من سمكها من كل الجهات ، وله في مُنْقَطَعِهِ هيئة تشبه آثار الغالية في جوانب المدهن إذا كانت بَقِيَّةً بَقِيَّتْ عن الأصابع ، وقوله — في قراراتها مسك — يبين الأمر الأول ويؤمن من دخول النقص عليه كما كان يدخل لو قال — فيها مسك — ولم يشترط أن يكون في القرارة ، وأما الثاني فلا يدل عليه كما يدل قوله — بقايا غالية — لأن من شأن المسك والشئ اليابس إذا حصل في شئ مستدير له قعر أن يستدير في القعر ولا يرتفع في الجوانب الارتفاع الذي في سواد الآذريونة ، بخلاف الغالية فإنها رطبة ، ثم تؤخذ بالأصابع ، فلا بد في البقية منها أن ترتفع عن القرارة ذلك

وقد يكون أصفر ، وهو معرب آذرجون أى لون النار ، وكالية اسم فاعل من — كالأ — ومعنى كلامها للشمس أنها تدور معها حيث دارت ، والمداهن جمع مدهن وهو حق الدهن ، والغالية أخلاط من الطيب .

(١) هو من قول عبد الله بن المعتز أيضاً :

وطاف بها ساق أديب بمبزل كخنجر عيار صناعته الفلك
وحمل آذريونة فوق أذنه ككأس عقيق في قراراتها مسك

والمبزل ما يصفى به الشراب وهو شبه حلبة الضرع في الدن ونحوه يسيل الشراب منه ، والعيار الكثير التجول والطواف أو الذي يتردد بلا عمل ، ووجه الشبه بين المبزل والخنجر الاعوجاج فهما ، وقد روى — وجول آذريونة — يعني أنه أدار هذا الورد فوق أذنه ، وهذه عادة الفرس يحملون الورد فوق آذانهم ، والعقيق خرز أحمر .

الارتفاع ، ثم هي لنعومتها ترق فتكون كالصبغ الذى لا يظهر له جرم ، وذلك أصدق للشبه .

التشبيه البعيد هو التشبيه البليغ : والبليغ من التشبيه ما كان من هذا النوع — أعنى البعيد — لغرابته ^(١) ولأن الشيء إذا نيل بعد الطلب له والاشتياق إليه كان نيله أحلى ، وموقعه من النفس ألطف وبالمسرة أولى ، ولهذا ضرب المثل لكل ما لطف موقعه بيرد الماء على الظمأ ، كما قال :

وَهُنَّ يَنْبِذْنَ من قول يُصْبِنَ بِهِ مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْغُلَّةِ الصَّادِي ^(٢)
لا يقال: عدم الظهور ضرب من التعقيد مذموم ، لأننا نقول : التعقيد كما سبق له سبيان : سوء ترتيب الألفاظ ، واختلال الانتقال من المعنى الأول إلى المعنى الثانى الذى هو المراد باللفظ ، والمراد بعدم الظهور فى التشبيه ما كان سببه لطف المعنى ودقته أو ترتيب بعض المعانى على بعض ، كما يشعر قولنا ^(٣) فى بادى الرأى ، فإن المعانى الشريفة لا مبدء فيها فى غالب الأمر من بناء ثنائى على أول وردت نال إلى سابق ، كما فى قول البحرى — دان على أيدى العفاة — البيتين ^(٤) فإنك تحتاج فى تعريف معنى البيت الأول إلى معرفة وجه المجاز فى كونه دانياً وشاسعاً ، ثم تعود إلى ما يعرض البيت الثانى عليك من حال البدر ، ثم تقابل إحدى صورتين بالأخرى ، وتنظر كيف شرط فى العلو الإفراط ليشاكل قوله — شاسع — لأن الشسوع

(١) يريد بهذا أن البليغ من التشبيه هو هذا النوع ، وهذه التسمية مأخوذة من البلاغة بمعنى اللطف والحسن لا من البلاغة بمعنى المطابقة لمقتضى الحال ، لأن التشبيه لا يتفاوت هذا التفاوت من هذه الناحية ، وهذه طريقة بعض العلماء فى التشبيه البليغ ، والمشهور أنه هو التشبيه المحذوف الأداة .

(٢) هو لعمير بن شيم القطامى ، وقوله — ينبذن — بمعنى يرمين ويطحرن ومن تبعيضية ، والغلة الحرقه ، والصادى الشديد البطش ، ومواقع مفعول يصبن .

(٣) أى فى تعريف البعيد الغريب فيما سبق . (٤) أنظر ص ٨

هو الشديد من البعد ، ثم قابله بما يشاكله من مراعاة التناهي في القرب ، فقال — جد قريب — فهذا ونحوه هو المراد بالحاجة إلى الفكر ، وهل شيء أحلى من الفكر إذا صادف نهجاً قوياً إلى المراد ، قال الجاحظ في أثناء فصل يذكر فيه ما في الفكر من الفضيلة : وأين تقع لذة البهيمة بالعلوفة ولذة السبع بلطع الدم وأكل اللحم من سرور الظفر بالأعداء ، ومن انفتاح باب العلم بعد إذ مان قرعه .

تحول القريب إلى بعيد : وقد تَصَرَّفُ في القريب المبتذل بما يخرج من الابتذال إلى الغرابة ، وهو على وجوه : منها أن يكون كقوله : لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا إلا بوجه ليس فيه حياة (١) وقوله :

فَرُدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ بِشَمْسٍ لَمْ مِنْ جَانِبِ النَّخْدِ تَطْلُعُ
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرَى أَحْضَامُ نَائِمٍ أَلَمَّتْ بِنَائِمٍ كَانَ فِي الرِّكْبِ يَوْشَعُ (٢)

فإن تشبيه وجوه الحسان بالشمس مبتذل ، لكن كل واحد من حديث الحياء في الأول والتشكيك مع ذكر يوشع عليه السلام في الثاني أخرجه

(١) هو لأبي الطيب في مدح هارون بن عبد العزيز ، والتشبيه فيه ضمنى ، لأن وجه الممدوح إذا كان أعظم من الشمس في الضياء لزم اشتراكهما في أصله ، فثبت التشبيه ضمناً ، وكأنه قال هذا الوجه كالشمس في أصل الحسن فقط .

(٢) هما لأبي تمام ، والرغم اسم فاعل من — رغم — كفرح وكرم بمعنى ذل ، وإنما حصل هذا الليل لزواله بطوعها ، والضمير في — لهم — للتخليط في البيت قبلهما وهو يطلق على الواحد والجمع ، والنخدر الستر الذي يمد للجارية أو ما يفرد لها من السكن أو كل ما يتوارى به ، وقوله — ألت — بمعنى نزلت ، وهو يشير بقوله — أم كان في الركب يوشع إلى قصة يوشع مع الشمس ، وسيأتي تفصيلها في الكلام على التلييح في علم البديع ، والشاهد في قوله — بشمس لهم — لأن تقديره تجارية لهم كالشمس ، وهذا استعارة لاتشبيه .

من الابتذال إلى الغرابة . وشييه بالأول قول الآخر :
 إن السحابَ لتستحي إذا نظرتُ إلى نَدَاكَ فَمَقَاسَتُهُ بما فيها (١)
 ومنها أن يكون كقوله :
 عزَمَاتُهُ مِثْلُ النجومِ ثَوَاقِباً لو لم يكن لِلثَاقِبَاتِ أَقْوَالُ (٢)
 وقوله :
 مَهَا الوحش إلا أن هَاتِمَا أَوَانِسُ قَنَا الحُطَّ إِلَّا أن تَلَك ذَوَابِل (٣)
 وقوله :
 يَكَادُ يَحْكِيكَ صَوْبُ الغَيْثِ مُنْسَكِباً لو كَانَ طَلَقَ السَّمْحِيَا بِمَطَرِ الذَّهْبَا
 وَالبَدْرِ لَوْلَمْ يَغِبْ وَالشَّمْسُ لَوْلَمْ تَنْطَقْ وَالْأَسَدُ لَوْلَمْ تُصَدِّقْ وَالبَحْرُ لَوْلَمْ يَعْذُ (٤)
 وهذا يسمى التشبيه المشروط (٥) .
 ومنها أن يكون كقوله :

(١) هو للحسن بن هاني المعروف بأبي نواس ، والندى الكرم ، ورواية
 الديون — نداه — وما في السحاب هو المطر ، يعني أنها تستحي إذا شبت
 نذاك بمطرها لأنه أعظم منه ، وفي هذا تشبيه ضمني أيضاً .
 (٢) هو لمحمد بن محمد بن عبد الجليل المعروف برشيد الدين الوطواط ،
 والثواقب النوافذ ، والآقول الغروب .

(٣) هو لأبي تمام ، والمها بقر الوحش واحدة مهاة ، واسم الإشارة — هاتا —
 يعود إلى النسوة المشبهات ، والقنا الرماح واحدة قناة ، والخط اسم بلد تصنع
 فيها ، والذوابل الجافة ، واسم الإشارة — تلك — يعود إلى التنا . يعني
 أن قدودهن تفضلها بالطراوة والنضارة .

(٤) هما لأحمد بن الحسين المعروف ببديع الزمان الهمداني ، والغيث المطر
 وصوبه عطاؤه ، والحيا الوجه ، وطلق الوجه ضاحكه .

(٥) إنما سمي هذا الوجه بذلك لما فيه من الشرط ، والغرابة فيه ناشئة من
 كونه مشروطا ، والشرط قد يكون في المشبه أو المشبه به أو فيهما .

فِي طَنْعَةِ الْبَدْرِ شَيْءٌ مِنْ مُحَاسِنِهَا وَلِلْقَضِيبِ نَصِيبٌ مِنْ تَشْبِيهِهَا^(١)
وَقَوْلُ ابْنِ بَابِكَ :

أَلَا يَارِيبُضَ الْحَزَنِ مِنْ أَبْرِقِ الْحُمَى نَسِيمُكَ مِسْرُوقٌ وَوَصْفُكَ مُنْتَحِلٌ
حَكَيْتَ أَبَا سَعْدٍ فَتَنْشُرُكَ نَشْرُهُ وَلَكِنْ لَهْ صِدْقُ الْهُوَى وَلَكَ الْمَلَلُ^(٢)
وَقَدْ يَخْرُجُ مِنَ الْإِبْتِدَالِ بِالْجَمْعِ بَيْنَ عِدَّةِ تَشْبِيهَاتٍ ، كَقَوْلِهِ :

كَأَمَّا يَبْسَمُ عَنْ لَوْلَاؤُ مُنْضِدٌ أَوْ بَرْدٌ أَوْ أَقَاخُ^(٣)
كَمَا يَزِدَادُ بِذَلِكَ لُطْفًا وَغَرَابَةً ، كَقَوْلِهِ :

لَهُ أَیْطَلَا ظَنِّي وَسَاقًا نَعَامَةً وَإِرْخَاؤُ سِرِّحَانٍ وَتَقْرِيبُ تَتَفَلُّ^(٤)
أَقْسَامُ التَّشْبِيهِ بِاعْتِبَارِ أَدَاتِهِ : الْمَوْكَدُ : وَأَمَّا بِاعْتِبَارِ أَدَاتِهِ فِيمَا مَوْكَدُهُ
أَوْ مُرْسِلُهُ ، وَالْمَوْكَدُ مَا حَذَفَتْ أَدَاتُهُ ، كَقَوْلِهِ^(٥) تَعَالَى (وَهِيَ تَسْمُرُ مَرًّا

(١) هُوَ لِلْبَحْتَرَى ، وَالْمُحَاسِنُ جَمْعُ حَسَنٍ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ لِأَنَّهُ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ ، وَالْقَضِيبُ الْفَضْنُ ، وَالْغَرَابَةُ فِي التَّشْبِيهِينَ نَاشِئَةٌ مِنْ قَلْبِ التَّشْبِيهِ فِيهِمَا ، وَيُرِيدُ بِتَشْبِيهِهَا تَمَایُلَهَا وَتَبَخُّرَهَا .

(٢) هُمَا لِعَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ مَنْصُورٍ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ بَابِكَ ، وَالْحَزَنُ الْأَرْضُ الْغَلِيظَةُ ، وَأَبْرِقِ الْحُمَى مَوْضِعٌ ، وَنَسِيمُهَا رَائِحَتُهَا وَوَصْفُهَا نَضَارَتُهَا وَبَهْجَتُهَا ، وَالْمُنْتَحِلُ اسْمُ مَفْعُولٍ مِنْ — اتَّحَلَ كَذَا — بِمَعْنَى ادْعَاهُ لِنَفْسِهِ وَهُوَ لَغِيْرُهُ . وَالنَّشْرُ الرَّائِحَةُ ، وَصِدْقُ الْهُوَى ثَبَاتُهُ ، وَالْمَلَلُ السَّأَمُ يُرِيدُ بِهِ سُرْعَةُ زَوَالِ نَضْرَتِهَا مِنْ إِطْلَاقِ السَّبَبِ وَإِرَادَةِ الْمُسَبِّبِ ، وَالْغَرَابَةُ فِيهِ نَاشِئَةٌ مِنْ قَلْبِ التَّشْبِيهِ أَيْضًا ، وَأَبُو سَعْدٍ هُوَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ خَلْفِ الْهَمْدَانِيِّ .

(٣) أَنْظَرُ ص ٥٦ .

(٤) هُوَ لَامِرُءُ الْقَيْسِ فِي وَصْفِ فَرَسِهِ ، وَأَيْطَلَا الظِّي خَاصِرَتَاهُ ، وَالسَّرْحَانُ الذَّنْبُ وَإِرْخَاؤُهُ جَرِيهِ فِي سَهْوَةٍ ، وَالتَّفَلُّ وَلَدُ الثَّلْبِ وَتَقْرِيْبُهُ عُدُوهُ ، وَإِنَّمَا زَادَ التَّشْبِيهِ هُنَا لُطْفًا لَتَعْدُدِ الْمَشْبَهَ وَالْمَشْبُوهَ بِهِ فِيهِ ، أَمَّا التَّشْبِيهِ قَبْلَهُ فَلَمْ يَتَعَدَّدْ فِيهِ إِلَّا الْمَشْبُوهُ بِهِ .

السحابِ) وقوله (يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ،
وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِآذَنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا^(١)) وقول الحماسي :

هُمْ الْبُحُورُ عَطَاءَ حِينَ تَسْأَلُهُمْ وفي اللِّقَاءِ إِذَا تَلَقَّى بِهِمْ^(٢) مُبَمَّ

إلى غير ذلك كما سبق^(٣) ومنه قول الشاعر :

وَالرَّيْحُ تَغْبِثُ بِالْفُصُونِ وَقَدْ جَرَى ذَهَبُ الْأَصِيلِ عَلَى لُجَيْنِ الْمَاءِ^(٤)

وقول الآخر يصف القمر لآخر الشهر قبل السَّرَارِ :

كَأَنَّمَا أَذْهَمُ الْإِظْلَامَ حِينَ نَجَا مِنْ أَشْهَبِ الصَّبْحِ أَلْقَى نَعْلَ حَافِرِهِ^(٥)

وقول الشريف الرضي :

أَرْسَى النِّسِيمُ بُوَادِيَكُمْ وَلَا بَرِحَتْ حَوَامِلُ الْمُزْنِ فِي أَجْدَانِكُمْ نَضْعُ

(١) ي - ٤٥ ، ٤٦ - س - ٣٣ .

(٢) هو لزياد بن حمل ، والبهيم واحد بهمة وهو الشجاع الذي لا يدرى كيف
يؤتى لاستبهار شأنه .

(٣) في أمثلة التشبيه من أول باب به إلى هنا ، فقد ورد فيها كثير
من التشبيه المؤكد .

(٤) هو لإبراهيم بن أبي الفتح المعروف بابن خفاجة الأندلسي ، والأصيل
ما بين العصر والمغرب ، واللجين الفضة ، وقد جرى التشبيه المؤكد هنا على طريقة
مخالفة لما سبق من أمثله ، وهي إضافة المشبه به إلى المشبه في قوله - لجين الماء -
أما قوله - ذهب الأصل - فهو استعارة لا تشبيه .

(٥) هو لعبد الجبار بن حمد يس الصقلي ، والأدهم الفرس الأسود ، والأشهب
الفرس الأبيض ، والمراد تشبيه الليل بالفرس الأدهم والصبح بالفرس الأشهب
والقمر قبل السرار بالنعل الذي يكون في رجل الفرس لمشايبته له في الدقة
والانعطاف ، وقد جرى في التشبيهين الأولين على إضافة المشبه به إلى المشبه
أيضا ، أما قوله - نعل حافره - فهو استعارة لحذف المشبه فيه .

ولا يزال جنين النبت تُرَضُّعُهُ على قبوركم العرَاضَةُ النُهْمِغُ (١)
المرسل : والمرسل ما ذُكِرَتْ أَدَاتُهُ ، كَقَوْلِهِ (٢) تَعَالَى (مَثَلَهُمْ
كَمَثَلِ النَّدَى اسْتَوْقَدَ نَارًا) وَقَوْلِهِ (٣) عَزَّ وَجَلَّ (عَرَضُهَا كَعَرَضِ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) وَقَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ :
وَتَسْغُطُو بِرُخْصٍ غَيْرِ شَتْنٍ كَأَنَّهُ أَسَارِيعُ ظُبَى أَوْ مَسَاوِيكُ إِسْحَاجٍ (٤)
وقول البحترى :
وَإِذَا الْأَسِنَّةُ خَالَطَتْهَا خِلَاطُهَا فِيهَا خَيَالُ كَوَاكِبٍ فِي الْمَاءِ (٥)
إلى غير ذلك مما تقدم (٦)

أقسام التشبيه باعتبار الغرض : المقبول : وأما باعتبار الغرض في إمام مقبول

(١) هما محمد بن الحسين المعروف بالشريف الرضى ، وقوله — أرسى —
بمعنى ثبت وهى جملة دعائية ، والمزن السحاب ذو الماء ، والأجداث القبور ،
والعراضة السحاب العريض ، والهمع الماطر ، والشاهد فى قوله — حوامل
المزن ، وجنين النبت — فهو من إضافة المشبه به إلى المشبه على حد لجين الماء .
(٢) ى — ١٧ — س — ٢ . (٣) ى — ٢١ — س — ٥٧ .

(٤) قوله — تعطو — بمعنى تتناول ، والرخص اللين وصف لإصبعها ،
والشثن الغليظ ، والأساريع جمع أسروع وهو دود يكون فى البقل والأماكن
الندية تشبه به أنامل النساء فى عهدهم ، وظبى اسم موضع ، والإسحل شجر له غصون
يستاك بها .

(٥) الضمير فى — خالطتها — يعود إلى الدروع ، وفى — خاتها — للأسنة ،
والأسنة الرماح ، يريد تشبيه الرماح إذا خالطت الدروع بخيال الكواكب حين
يبدو فى الماء لأن الأسنة تكرر لامعة كالسكواكب والدروع تكون صافية كالماء
(٦) فى أمثلة التشبيه فيما مضى إلى أول الباب ، لأن فيها كثيراً من أمثلة
التشبيه المرسل .

أو مردود — المقبول الوافى بإفادة الغرض ، كأن يكون المشبه به أعرف شئ بوجه الشبه ^(١) إذا كان الغرض بيان حال المشبه من جهة وجه الشبه أو بيان المقدار ، ثم الطرفان في الثاني ^(٢) إن تساويا في وجه الشبه فالتشبيه كامل في القبول ، وإلا فكلما كان المشبه به أسلم من الزيادة والنقصان كان أقرب إلى الكمال . أو كأن يكون المشبه به أتم شئ ^(٣) في وجه الشبه إذا قُصِدَ إلحاق الناقص بالكمال ، أو كأن يكون المشبه به مُسَلَّم الحكم معروفة عند المخاطب في وجه الشبه إذا كان الغرض بيان إمكان الوجود .
المردود : والمردود بخلاف ذلك ، أى القاصر عن إفادة الغرض ^(٤) .

(١) الحق أنه لا يشترط إلا أن يكون المشبه به أعرف الطرفين بذلك ، ويمكن أن يكون أعرفهما به عند السامع وإن لم يكن كذلك عند غيره ، ولا يشترط في وجه الشبه أن يكون صفة ظاهرة في المشبه به كما ذهب إليه بعضهم ، لأنه يصح أن يكون صفة خفية ولكن يجب بيانها في التشبيه ، كقولك — رأيت رجلا كالأسد في البحر .
(٢) أى بيان المقدار .

(٣) الحق أنه لا يشترط أيضا إلا أن يكون المشبه به أتم الطرفين فقط في ذلك .
(٤) من التشبيه المراد قول الفرزدق :

يمشون في حلق الحديد عليهم جُربُ الجمال بها الكُحَيْلُ المشعلُ
شبه الرجال في دروع الزرد بالجمال الجرب ، وهو مردود لأنه إن أراد السواد فلا مقارنة بينهما في اللون لأن لون حديد الدروع أبيض ، وإن أراد شيئا آخر فهو غير واضح ، مع ما فيه من السخف .

ومن ذلك قول الآخر في وصف السهام :

كسأها رَطِيبَ الرِّيشِ فاعتدلت له قَدَاحٌ كَأَعْنَاقِ الظُّبَاءِ الْفَوَارِقِ
لأن ما هذا حاله لا ملاءمة بين الطرفين فيه .

وقد قيل : إن جماعة جعلوا الابتدال مما يرد به التشبيه ، فيكون التشبيه القريب المبتدل من المراد . والحق أنه تشبيه مقبول وإن لم يبلغ مرتبة التشبيه البعيد الغريب

خاتمة

مراتب التشبيه : قد سبق أن أركان التشبيه أربعة : المشبه ، والمشبه به ، وأداة التشبيه ، ووجهه . فالحاصل من مراتب التشبيه في القوة والضعف في المبالغة باعتبار ذكر أركانه كلها أو بعضها ثمان :
إحداها — ذكر الأربعة ، كقولك — زيد كالأسد في الشجاعة — ولا قوة لهذه المرتبة ^(١)

وثانيها — ترك المشبه ، كقولك — كالأسد في الشجاعة — أي زيد ، وهي كالأولى في عدم القوة ^(٢)

وثالثها — ترك كلمة التشبيه ، كقولك — زيد أسد في الشجاعة — وفيها نوع قوة ^(٣)
ورابعها — ترك المشبه وكلمة التشبيه ، كقولك — أسد في الشجاعة — أي زيد ، وهي كالثالثة في القوة ^(٤).

وخامسها — ترك وجه الشبه ، كقولك — زيد كالأسد — وفيها نوع قوة لعموم وجه الشبه من حيث الظاهر .

وسادسها — ترك المشبه ووجه التشبيه ، كقولك — كالأسد — أي زيد ، وهي كالخامسة ^(٥)

وسابعها — ترك كلمة التشبيه ووجهه ، كقولك — زيد أسد — وهي أقوى الجميع

(١) لعدم المبالغة فيها بذكر الأداة وتخصيص وجه الشبه .

(٢) لأن حذف المشبه لا تأثير له في إفادة المبالغة التي تعلو بها مرتبة التشبيه .

(٣) لأن حذف الأداة يفيد أن المشبه عين المشبه به ادعاء ، لأن الخبر عين

المبتدأ في المعنى .

(٤) لأن حذف المشبه لا تأثير له كما سبق .

(٥) لأن حذف المشبه لا تأثير له كما سبق .

وثامنتها — أفراد المشبه به بالذكر ، كقولك — أسد — أى زيد ،
وهى كالسابعة (١) .

واعلم أن الشبه (٢) قد يُنتزَعُ من نفس التضاد لاشتراك الصدين فيه ،
ثم يُنزلُ منزلة التناسب (٣) بواسطة تمليح أو تهكم (٤) فيقال للجبان
— ما أشبهه بالأسد ، وللبخيل هو حاتم .

(١) لأن حذف المشبه لا تأثير له كما سبق .

هذا وللتشبيه مراتب أيضاً باعتبار أدواته ، فنحو — كأن زيد أسد —
أبلغ من نحو — زيد كالأسد — لأن كأن تفيد الظن مع التشبيه ، والظن قريب
من العلم فيفيد شدة المشابهة .

وكذلك له مراتب باعتبار أقسامه السابقة من كون وجه الشبه فيه مفردا
أو مركبا حسيا أو عقليا إلى غير ذلك من أقسامه .

ولو أنه رتب الكلام في التشبيه على بيان تلك المراتب وجعل تلك الأقسام
تابعة لها لكانت الفائدة أتم ، لأن عنايته بالتقسيم لذاته جعلته يستقصى فيه
إلى ذلك الحد الممل ، ويهمل بيان تلك المراتب مع أنه هو الأهم .

(٢) يعنى به وجه التشبيه .

(٣) كان الأحسن تقديم هذا على ما قبله ، لأن الذى يحصل أولا تنزيل التضاد
منزلة التناسب ، ثم ينتزع الشبه منه بعد هذا التنزيل ، والمراد بالتضاد مطلق التقابل .

(٤) التلميح هو الإتيان بما فيه ملاحظة وطرافة ، والتهكم الاستهزاء ، والنسبة
بينهما العموم والخصوص الوجهى ، وقيل : إن التلميح إيراد القبيح في صورة
شئ مليح للاستظراف .

ومما جاء من ذلك قول أبى نواس :

أصبحَ التحسُّنُ منك يا أحسنَ الأئمةِ هُجْرٌ يَحْكِي سَمَاجَةَ ابنِ حَبِيشِ
وقول عمرو بن معد يكرب :

أتوعدُنِي كأنك ذورُ عَيْنٍ بأنقَمَ عِيشَةٍ أودُو نُوَاسِ
فلا تفتخرِ بمُلْكِكَ كلِّ مُلْكٍ يصيرُ لِذِلَّةٍ بعدَ الشَّمَّاسِ

تمرينات على التشبيه

تمرين ١ -

- ١ - من أى قسم من أقسام التشبيه باعتبار الطرفين قول الشاعر :
تَحْطُمُنَا الْإَيَّامُ حَتَّى كَأَنَّا زُجَاجٌ وَلَكِنْ لَا يُعَادُ لَنَا سَبْكُ
- ٢ - بين التشبيه الضمنى فى قول الشاعر :
إِنَّ السَّلَاحَ جَمِيعُ النَّاسِ تَحْمِلُهُ وَلَيْسَ كُلُّ ذَوَاتِ الْمِخْلَبِ السَّبْعُ

تمرين ٢ -

- ١ - من أى قسم من أقسام التشبيه باعتبار وجه الشبه قول الشاعر :
أَيَّجَرْنِي قَوْمِي عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِلَى لُغَةِ لَمْ تَتَّصِلْ بِلُغَاتِ
سَرَتِ الثَّوْتَةُ الْإِفْرِ نَحْ فِيهَا كَأَسْرَى لَغَابُ الْأَفَاعِي فِي مَسِيلِ فُرَاتِ
- ٢ - ما الفرق بين التشبيه المؤكد والتشبيه البليغ عند الخطيب وعند غيره؟

تمرين ٣ -

- ١ - من أى أقسام التشبيه باعتبار الأداة قول الشاعر :
وَتَرَا كَضُوا خَيْلَ الشَّبَابِ وَبَادِرُوا أَنْ تُسْتَرَدَّ فَإِنَّهُمْ عَوَارِي
- ٢ - ما هو الغرض من التشبيه فى قول الشاعر :
وَيَا وَطَنِي لَسَقِيمَتِكَ بَعْدَ يَأْسٍ كَأَنِّي قَدْ لَقِيتُ بِكَ الشَّبَابَا

تمرين ٤ -

- ١ - لماذا فضل عبد الملك بن مروان قول ابن قيس الرُّقَيَّاتِ
فى مصعب بن الزبير :
إِنَّمَا مُضْعَبٌ شَهَابٌ مِنَ اللَّهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاتُ

على قوله فيه :

يَأْتِلِقُ التَّاجُ فَوْقَ مُفْرِقِهِ عَلَى جَبِينٍ كَأَنَّهُ الذَّهَبُ

٢ — لماذا قبح التشبيه في قول أبي نواس في وصف الخمر :

وَإِذَا مَا الْمَاءُ وَاقِعَهَا أَظْهَرَتْ شَكْلًا مِنَ الْغَزَلِ

لِأَسْوَاتٍ يَتَحَدَّرْنَ بِهَا كَانْحِدَارِ الذَّرِّ مِنْ جَبَلٍ

تمرين — ٥

١ — أى التشبيهين أبلغ في هذين البيتين :

يَا شَبِيهَ الْبَدْرِ حُسْنًا وَضِيَاءً وَمَنَالًا

فِي طَلْعَةِ الْبَدْرِ شَيْءٌ مِنْ مَحَاسِنِهَا وَلِلْقَضِيبِ نَضِيبٌ مِنْ تَشْبِيهِهَا

٢ — ما الفرق بين التشبيه والتمثيل ؟ وأيهما أعلى منزلة في التشبيه ؟

تمرين — ٦

بين أركان التشبيه وأقسامه باعتبارها فيما يأتي :

(١) وَالنَّفْسُ كَالْطُّفْلِ إِنْ تَهْمَلَتْهُ شَبَّ عَلَى

حُبِّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَفْطَمَهُ يَنْفَطِمِ

(٢) الْأُمُّ مَدْرَسَةٌ إِذَا أُعِدَّتْهَا أَعَدَّتْ شُعْبًا طَيِّبَ الْأَعْرَاقِ

(٣) وَالسَّبْدَرُ فِي أَفْئِقِ السَّمَاءِ كَغَادَةِ بَيْضَاءَ لَا حَتَّ فِي ثِيَابِ حِدَادِ

(٤) أَبَا بَلٍ رَأَى الْعَيْنُ أَمَ هَذِهِ مَضْرُ فَبَنَى فِيهَا عِيونًا هِيَ السَّخَرُ

(٥) وَمُكَلِّفُ الْأَيَّامِ ضِدَّ طَبَاعِهَا مُتَطَلِّبٌ فِي الْمَاءِ جَذْوَةَ نَارِ

تمرين — ٧

وازن بين التشبيه في هذين البيتين :

(١) أَلَا إِنَّمَا لَسَيْلِي عَصَا خَيْزُرَانَةٍ مَتَى غَمَزُوهَا بِالْأَكْفِ تَلِينُ

(٢) إِذَا قَامَتْ لِحَاجَتِهَا تَلَنَّتْ كَانَ عَظَامُهَا مِنْ خَيْزُرَانِ

القول في الحقيقة والمجاز

وقد يُقَسِّدَانِ بِاللُّغَوِيِّينِ (١)

تعريف الحقيقة : الحقيقة الكلمة المستعملة فيما وُضِعَتْ له في استصلاح به التخاطب (٢) فقولنا - المستعملة احتراز عما لم يستعمل ، فإن الكلمة قبل الاستعمال لا تسمى حقيقة ، وقولنا - فيما وضعت له - احتراز عن شيئين : أحدهما ما استعمل في غير ما وضعت له غلطاً ، كما إذا أردت أن تقول لصاحبك - خذ هذا الكتاب - مشيراً إلى كتاب بين يديك ، فغلطت فقلت - خذ هذا الفرس - والثاني أحد قسمي المجاز - وهو ما استعمل فيما لم يكن موضوعاً له لافي اصطلاح به التخاطب ولا في غيره ، كلفظة الأسد في الرجل الشجاع ، وقولنا - في اصطلاح به التخاطب - احتراز عن القسم الآخر من المجاز ، وهو ما استعمل فيما وضع له لافي اصطلاح به التخاطب . كلفظ الصلاة يستعمله الْمُخَاطَبُ بعرف الشرع في الدعاء مجازاً (٣)

(١) إنما يقيدان بذلك ليخرج عنهما الحقيقة والمجاز العقليان ، وقد سبقا في باب الإستاذ الخبري من علم المعاني ، وبهذا يكون المراد باللغوي منهما ما قابل العقلي فيدخل فيه الشرعي والعرفي الآتيان .

(٢) الأحسن أن يذكر في التعريف اللفظ بدل الكلمة ليشمل الحقيقة المركبة أيضاً ، كقولك - الصدق حسن - باعتبار الهيئة التركيبية لا باعتبار الإسناد ، رقيق : إن المركب لا يطلق عليه حقيقة لغوية .

(٣) لأنها في عرف الشرع حقيقة في الأقوال والأفعال المفتحة بالكبير المختصة بالتسليم ، أما في عرف اللغة فهي حقيقة في الدعاء لا مجاز ، وقد سكت عن خروج الكناية من تعريف الحقيقة للخلاف في خروجها منه ، فقد قيل : إنها مستعملة في غير ما وضعت له فتكون مجازاً . وقيل : إنها مستعملة فيما وضعت له فتكون حقيقة . وقيل : إنها ليست بحقيقة ولا مجاز .

تعريف الوضع : والوضع تعيين اللفظ للدلالة على معنى بنفسه^(١) فقولنا - بنفسه - احتراز من تعيين اللفظ للدلالة على معنى بقرينة - أعنى المجاز - فإن ذلك التعيين لا يسمى وضعاً ، ودخل المشترك في الحد لأن عدم دلالة على أحد معنييه بلا قرينة لعارض - أعنى الاشتراك - لا ينافي تعيينه للدلالة عليه بنفسه^(٢) وذعب السكاكي إلى أن المشترك كالنقْرة معناه الحقيقي هو ما لا يتجاوز معنييه كالطهر والحيز غير مجموع بينهما^(٣) قال : فهذا ما يدل عليه بنفسه ما دام منتسباً إلى الوضعين ، أما إذا خصصته بواحد إما صريحاً مثل أن تقول - القرء بمعنى الطهر - وإما استلزاماً مثل أن تقول - القرء لا بمعنى الحيز - فإنه حينئذ ينتصب دليلاً دالاً بنفسه على الطهر بالتعيين كما كان الواضع عيّنه بإزائه . بنفسه ، ثم قال في موضع آخر^(٤) : وأما ما يُظنّ بالمشارك من الاحتياج إلى القرينة في دلالة على معناه فقد عرفت أن منشأ هذا الظن عدم تحصيل معنى المشترك الدائر بين الوضعين - وفيما ذكره نظر ، لانا لا نسلم أن معناه الحقيقي ذلك ، وما الدليل على أنه عند الإطلاق يدل عليه ؟ سم قوله - إذا قيل القرء بمعنى الطهر أولاً بمعنى بمعنى الحيز فهو دال بنفسه على الطهر بالتعيين - فهو ظاهر ، فإن القرينة

(١) أى بغير وساطة قرينة ، وبهذا يدخل فيه وضع الحروف لأن معانيها تفهم منها بغير قرينة وإن كانت غير مستقلة بنفسها .

(٢) فقرينة المشترك إنما هي لتعيين المراد منه ، ولا يحتاج فهم أحد المعنيين منه على الإطلاق إلى قرينة ، أما قرينة المجاز فيحتاج إليها في نفس الدلالة على المعنى المجازي .

(٣) ١٩١ - المفتاح ، ويريد بذلك أن المشترك عند الإطلاق صالح لكل من المعنيين ، فهو عند الإطلاق يدل بنفسه على معناه الذى هو أحدهما لا بعينه ، وحينئذ لا يكون هناك خلاف بينه وبين الخطيب في معنى المشترك ، ولا يكون هناك وجه لاعتراض الخطيب عليه بما يأتى . (٤) ١٩٢ - المفتاح .

كما تكون معنوية تكون لفظية ، وكل من قوله — بمعنى الطهر — وقوله — لا بمعنى الحيض — قرينة (١) .

إنكار الوضع : وقيل : دلالة اللفظ على معناه لذاته (٢) وهو ظاهر الفساد لاقتضائه أن يُفْعَلَ نقله إلى المجاز وَجَعَلُهُ عَلِمًا وَوَضَعُهُ لِلتَّضَادِينَ كَالْبُحُونِ لِلْأَسْوَدِ وَالْأَبْيَضِ ، فَإِنْ مَا بِالذَّاتِ لَا يَزُولُ بِالْغَيْرِ ، وَلَا خِلَافُ اللُّغَاتِ بِاخْتِلَافِ الْأُمَمِ . وتأوله السكاكي رحمه الله (٣) على أنه تنبيه على ما عليه أئمة على الاشتقاق والتصريف ، من أن للحروف في أنفسها خواص بها تختلف كالجر والمهمس والشدة والرخاء والتوسط بينها وغير ذلك مُسْتَدْعِيَةٌ أَنَّ الْعَالَمَ بِهَا إِذَا أَخَذَ فِي تَعْيِينِ شَيْءٍ مِنْهَا لَمَعْنَى لَا يَهْمِلُ التَّنَاسُبَ بَيْنَهُمَا قَضَاءً لِحَقِّ الْحِكْمَةِ (٤) كَالْقَصَمِ بِالْفَاءِ الَّذِي هُوَ حَرْفُ رَخْوٍ لِكَسْرِ الشَّيْءِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَبِينَ (٥) وَالْقَصَمَ بِالْقَافِ الَّذِي هُوَ حَرْفُ شَدِيدٍ لِكَسْرِ الشَّيْءِ حَتَّى يَبِينَ ، وَأَنَّ لِلتَّرَكِيبَاتِ (٦) كَالنَّفْعِ عَلَانٍ وَالنَّفْعِ عَلَى بِالْتَّحْرِيكِ كَالنَّزْوَانِ وَالنَّحْدَى

(١) هذا الاعتراض ساقط لأن السكاكي لا يريد إلا أن ذلك ليس قرينة لدلالة اللفظ على المعنى ، بل التعيين دلالة على أحد معنييه كما سبق ، وما كان أغنى الخطيب عن الاشتغال بهذه المباحكات اللفظية .

(٢) أى لا بالوضع ، وهو قول عباد الصيمرى من المعتزلة .

(٣) ١٩٠ — المفتاح .

(٤) لأن الواضع حكيم ، وحيفئذ لا يكون في هذا القول إنكار للوضع ، ولكن هذا إنما يظهر في بعض الألفاظ دون جميعها لتعذر ، والحق أن هذا التأويل خلاف ما صح نقله عن عباد من أنه يقصد ظاهر ما روى عنه ، وكان بعض أتباعه يدعى أنه يعرف جميع المسميات من أسمائها ، فقليل له : ما مسمى — آدغاغ — وهو من لغة البربر ؟ فقال : أجدر فيها يدياً شديداً وأراه اسم الحجر . فظهر أنه اسمه في تلك اللغة .

(٥) ينفصل . (٦) معطوف على قوله — من أن للحروف .

وفَعَلَ مثل شَرَّفَ وغير ذلك خَوَاصٌّ أيضاً^(١) فيلزم فيها ما يلزم في الحروف ، وفي ذلك نوع تأثير لأنَّ نَفْسَ الكَلِمِ في اختصاصها بالمعاني .
المجاز المفرد والمركب : تعريف المفرد : والمجاز مفرد ومركب ، أما المفرد فهو الكلمة المستعملة في غير ما وُضِعَتْ له في اصطلاح به التخاطب على وجه يصح مع قرينة عدم إرادته ، فقولنا — المستعملة — احتراز عما لم يستعمل ، لأنَّ الكلمة قبل الاستعمال لا تسمى مجازاً كما لا تسمى حقيقة ، وقولنا — في اصطلاح به التخاطب — ليدخل فيه نحو لفظ الصلاة إذا استعمله الْمُخَاطَبُ بعرف الشرع في الدعاء مجازاً ، فإنه وإن كان مستعملاً فيما وضع له في الجملة^(٢) فليس بمستعمل فيما وضع له في الاصطلاح الذي به وقع التخاطب ، وقولنا — على وجه يصح — احتراز عن الغلط كما سبق^(٣) وقولنا — مع قرينة عدم إرادته — احتراز عن الكناية كما تقدم^(٤) .

الحقيقة والمجاز اللغويان والشرعيان والعرفيان : والحقيقة لُغَوِيَّةٌ وشرعية وعرفية خاصَّة أو عامَّة ، لأنَّ واضعها إن كان واضع اللغة فلغوية ،

(١) فالفعلان والفعل يدلان على ما فيه حركة ، وفعل تدل على أفعال الطبايع والسجاي .

(٢) لأنها موضوعة في اللغة للدعاء ، فاستعمالها فيه استعمال فيما وضع له في الجملة (٣) أى في تعريف الحقيقة ، فهو خارج عن التعريفين ولا يقال له حقيقة ولا مجاز ، وإنما خرج بذلك عن تعريف المجاز لأنَّ الوجه الذي يصح به استعمال الكلمة في غير ما وضعت له هو وجود العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي مع ملاحظتها ، والغلط لا يكون عن ملاحظة علاقة .

(٤) أى في حصر أبواب علم البيان ، لأن قرينة الكناية لا تمنع من إرادة المعنى الحقيقي ، وأما نحو قولهم — القلم أحد اللسانين — بما قيل إنه من باب الجمع بين الحقيقة والمجاز فذهب علماء البيان فيه أنه من باب عموم المجاز ، والمعنى عليه — القلم أحد المبينين — ولا شك في أن هذا إطلاق مجازي .

وإن كان الشارع فشرعية، وإلا فعرفية، والعرفية إن تعين صاحبها نُسِبَتْ إليه، كقولنا كلامية ونحوية، وإلا بقيت مطلقة، مثال اللغوية لفظ أسد إذا استعمله الْمُخَاطَبُ بعرف اللغة في السبع المخصوص، ومثال الشرعية لفظ صلاة إذا استعمله الْمُخَاطَبُ بعرف الشرع في العبادة المخصوصة، ومثال العرفية الخاصة لفظ فَعَلَ إذا استعمله الْمُخَاطَبُ بعرف النحو في الكلمة المخصوصة، ومثال العرفية العامة لفظ دَابَّةٌ إذا استعمله الْمُخَاطَبُ بالعرف العام في ذى الأربع (١).

وكذلك المجاز المفرد لغوى وشرعى وعرفى، مثال اللغوى لفظ أسد إذا استعمله المخاطب بعرف اللغة في الرجل الشجاع، ومثال الشرعى لفظ صلاة إذا استعمله المخاطب بعرف الشرع في الدعاء، ومثال العرف الخاص لفظ فعل إذا استعمله المخاطب بعرف النحو في الحدث، ومثال العرفى انعام لفظ دابة إذا استعمله المخاطب بالعرف العام في الشاة (٢).

اشتقاق الحقيقة والمجاز: والحقيقة إمَّا فَعِيلٌ بمعنى مفعول من قولك — حَقَّقْتُ الشَّيْءَ أَحَقُّهُ — إذا أَثْبَتْتَهُ، أو فَعِيلٌ بمعنى فاعل من قولك — حَقَّ الشَّيْءُ يَحِقُّ إذا ثبت — أى التَّصَدُّيقَةُ أو الثابتة في موضعها الأصلي، فأما التاء فقال صاحب المفتاح (٣): هي عندي للتأنيث في الوجهين لتقدير لفظ الحقيقة قبل التسمية صفة مؤنث غير مجرأة على الموصوف وهو الكلمة (٤)

(١) هي في اللغة اسم لكل ما يدب على الأرض من ذى الأربع وغيره، والمراد ذو الأربع المعهود وهو الحمار والبغل والفرس، فلا يدخل في استعماله العرفى الشاة ونحوها من ذى الأربع.

(٢) لأنه في العرف العام موزع للحمار والبغل والفرس فقط كما سبق.

(٣) (١٩٢) — المفتاح. (٤) إنما قيدها بهذا لتلايمتنع إلحاق التاء بها إذا

كانت من فاعيل بمعنى مفعول، كما قال ابن مالك:

وَمِنْ فَعِيلٍ كَقَتِيلٍ إِنْ تَبَعَ موصوفه غالباً التَّاءُ تَمْتَنِعُ

وفيه نظر^(١) وقيل : هي لنقل اللفظ من الوصفية إلى الاسمية الصرفة ، كما قيل في أكلة ونطيحة إن التاء فيهما لنقلهما من الوصفية إلى الاسمية^(٢) . فلذلك لا يوصف بهما ، فلا يقال شاة أكلة أو نطيحة .

والجواز قيل : مفعّل^٣ من - جاز المكان يجوز - إذا تعداه ، أى تعدت موضعها الأصلي^(٣) وفيه نظر^(٤) والظاهر أنه من قولهم - جعلت كذا مجازاً إلى حاجتي - أى طريقاً له^(٥) على أن معنى جاز المكان سلكه على ما فسرهُ الجوهري وغيره ، فإن المجاز طريق إلى تصور معناه ، واعتبار التناسب في التسمية بغير اعتبار المعنى في الوصف^(٦) كتسمية إنسان له حمرة بأحمر ووصفه بأحمر ، فإن الأول لترجيح الاسم على غيره حال وضعه له ، والثاني لصحة إطلاقه ، فلا يصح نقض الأول بوجود المعنى في غير المُسمَّى كما يلهمج به بعض الضعفاء .

-
- (١) لأنه يجوز أن يقال هذا اللفظ حقيقة ، ولو كانت التاء للتأنيث لم يجوز .
 (٢) لأنهما قبل التاء وصف لكل ما كُول ومنطوح من الإبل والبقر والغنم ثم كثر استعمالهما في الغنم ، فجعلت التاء فيهما للنقل من الوصفية للاسمية .
 (٣) الضمير في - تعدت - للمجاز باعتبار أنه كلمة ، فهي على هذا مجاز بمعنى جائزة من إطلاق المصدر وإرادة اسم الفاعل ، أو بمعنى يجوز بها من إطلاق المصدر وإرادة اسم المفعول .
 (٤) لأن استعمال المصدر الميمي بمعنى اسم الفاعل أو المفعول مجاز فلا يصار إليه مع إمكان غيره .
 (٥) على هذا يكون في الأصل اسم مكان لا مصدراً ميمياً ، ولا يحتاج في إطلاقه على الكلمة إلى تأويل كالسابق .
 (٦) يريد بهذا أن يدفع الاعتراض على ما اختاره في لفظ المجاز بأنه يؤدي إلى صحة تسمية الحقيقة مجازاً ، لأنها طريق إلى تصور معناها أيضاً ، وقد دفعه بأن ذلك لبيان علة تسمية المجاز باسمه لا لوصفه به ، وعلة التسمية لا توجب التسمية بخلاف علة الوصف .

تقسيم المجاز المفرد إلى مرسل واستعارة : والمجاز ضربان : مُرْسَلٌ واستعارة ، لأن العلاقة المُصَحَّحَةَ إن كانت تشبيه معناه بما هو موضوع له فهو استعارة ، وإلا فهو مرسل ، وكثيراً ما تطلق الاستعارة على استعمال اسم المشبه به في المشبه^(١) فيسمى المشبه به مستعاراً منه ، والمشبه مستعار آله ، واللفظ مستعاراً^(٢) وعلى الأول لا يشتق منه لكونه اسماً للفظ لا للحدث^(٣) المجاز المرسل وعلاقته — علاقة السببية والمجاورة : الضرب الأول

المرسل ، وهو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له مُلَابَسَةً غَيْرُ التشبيه^(٤) كاليد إذا استعملت في النعمة ، لأن من شأنها أن تصدر

- (١) هذا يقابل إطلاقها على الكلمة بحكم أنها قسم من المجاز ، والحق أن هذا الإطلاق غير خاص بها ، لأن المجاز كما يطلق على الكلمة يطلق على استعمالها .
(٢) يعني لفظ المشبه به ، أما المستعار منه فهو معناه لا لفظه .

(٣) فلا يشتق منه مستعار منه ولا مستعار له ولا مستعار ، وهذا يكون المعنى الثاني هو الأنسب ، لأنه يؤدى إلى معرفة هذه المشتقات التي تدر كثير أفى الكلام على الاستعارة (٤) الذى يعتبر من العلاقة فى المجاز مطلقاً نوعها لا شخصها كما ذهب إليه بعض المشددين فى استعمال المجاز ، فإذا عرفنا أن العرب استعملوا لفظاً فى سبب معناه أو مشابهه جاز لنا أن نستعمل لفظاً آخر غير الذى استعملوه لمثل هذه العلاقة ، ولا يجب أن تقتصر على اللفظ الذى استعملوه خاصة ، وقيل : إن المجازات اللغوية المفردة يجب إقرارها حيث وردت ، ولا يجوز التصرف فيها إلا بتوقيف وإذن من جهة اللغة ، فلا يقال فى مجاز الحذف مثلاً — سل الدار — كما قيل (واسأل القرية) — ٨٢ — س — ١٢ — ولا يستعار لفظ الأسد للرجل الأبنخر كما استعير للرجل الشجاع ، وهكذا ، أما غير المجازات المفردة فيجوز فيها ذلك ، فيصح أن نقول — تكاثرت أشواقى ، وأسقمى فقدك — كما ورد من قولهم — أخذت الأرض وأنبت الأرض — والحق أنه لافرق فى ذلك بين المجازات المفردة وغيرها ، وأنه يجوز القياس فى المجاز مطلقاً ، وأن ما يقبل من المجاز يقبل من العرب

عن الجارحة ومنها تصل إلى المقصود بها ^(١) ويشترط أن يكون في الكلام إشارة إلى الموصول لها ^(٢) فلا يقال - اتسعت اليد في البلد ، أو اقتنيت يدا - كما يقال - اتسعت النعمة في البلد ، أو اقتنيت نعمة - وإنما يقال - جلست يده عندي ، وكثرت أياديده لدى - ونحو ذلك .

وغيرهم ، وأن ما لا يقبل منه لا يقبل من الفريقين أيضاً ، لأن العرب تصيب في ذلك وتخطئ كالحدادين ، وقد أخذ على امرئ القيس قوله :

وَهَرْتُ تصبّد قلوبَ الرجالِ وأفلتَ منها ابنُ عمرو وحُجْرُ
لأن لفظه - هر - واستعارة الصيد منها مضحكة هجينة ، ولو أن أباه حجراً من فارات بيته ما أسف على إفلاته منها هذا الأسف ، وابن قوله من قول زهير :
لَسَيْتُ بِعَشْرٍ يَصْدَادُ الرِّجَالِ إِذَا ما كَذَّبَ اللَّسَيْثُ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقَا
لا على أن امرأ القيس أتى بالخطأ على جهته ، ولكن للكلام قرائن تحسنه وقرائن تقبحه كذكر الصيد في البيتين .

وعلى هذا يستساغ التجديد في المجاز والاستعارة في الحدود المقبولة ، فلا يقبل منه قول بعض شعراء عصرنا من الشعر الرمزي في قصيدة بعنوان إلى زائرة :

لو كنت ناصعة الجبين	هيات تفضني الزيارة
ماروعة اللفظ المبين	السحر من رحي الإشارة
ظل على وهج الجبين	رسمته معجزة الإشارة
خط تساقط كالخزين	أرخی على العزم انكساره

يريد بالظل على وهج الجبين مقالة العين ، وبالخط المتساقط الحزين جفونها الفاترة (١) هذا مثال لعلاقة السببية ، وتكون بإطلاق اسم السبب على المسبب ، وكذلك ما يأتي من استعمال اليد في القدرة والإصبع والسوط في أثرهما .

(٢) ليكون قرينة على إرادتها من اليد ، وقد اعترض على هذا بأن القرينة شرط في كل مجاز فلا حاجة إلى تقييد هذا النوع بها ، وبأن القرينة قد توجد في ذلك من غير إشارة إلى المولى للنعمة ، كقولك - رأيت يداً عمت الوجود - ونحو ذلك .

ونظير هذا قولهم في صفة راعي الإبل — إن له عليها إصبعاً^(١) أرادوا أن يقولوا — له عليها أثرٌ حَذَقَ — فدلوا عليه بإصبع ، لأنه ما من حَذَقَ في عمل يد إلا وهو مستفاد من حسن تصريف الأصابع واللفظ في رفعها ووضعها كما في الخط والنقش ، وعلى ذلك قيل في تفسير قوله^(٢) تعالى (بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نَسُوِّيَ بَنَانَهُ) أي نجعلها كخف البعير فلا يتمكن من الأعمال اللطيفة ، فأرادوا بالإصبع الأثر الحسن حيث يقصد الإشارة إلى حَذَقَ في الصنعة لا مطلقاً حتى يقال^(٣) رأيت أصابع الدار ، وله إصبع حسنة وإصبع قبيحة — على معنى أثر حسن وأثر قبيح ، ونحو ذلك .

وَيَنْظُرُ إِلَىٰ هَذَا قَوْلُهُمْ — ضَرْبَتَهُ سَوْطًا — لأنهم عبروا عن الضربة الواقعة بالسوط باسم السوط فجعلوا أثر السوط سوطاً ، وتفسيرهم له بقولهم — المعنى ضربته ضربة بالسوط — بيان لما كان الكلام عليه في أصله .

ونظير قولنا — له على سيد — قول النبي ﷺ لأزواجه دَأْسُ عَكْنٍ لِحَوْقًا وَيُرْوَى — لحاقاً — بي أطول لكن يداً ، وقوله — أطول لكن — نظير ترشيح الاستعارة ولا بأس أن يسمى ترشيح المجاز ، والمعنى^(٤) بسط اليد بالعطاء ، وقيل : قوله — أطول لكن — من الطَّوْلِ بمعنى الفضل ، يقال — لفلان على فلان طَوْلٌ — أي فضل ، فاليد على هذين الوجهين^(٥) بمعنى النعمة ، ويحتمل

(١) من هذا قول الشاعر :

ضعيفُ العصابادى العُرْمُوقُ ترى له عليها إذا ما أجذب الناسُ إصْبَعاً

(٢) ي — ٤ — س — ٧٥ .

(٣) هذا تفريع على المنقح فهو مما لا يصح أن يقال في ذلك .

(٤) يعني المعنى المجازي .

(٥) أي على أن يكون — أطول لكن — بمعنى بسط اليد بالعطاء أو من الطول

بمعنى الفضل .

أن يريد أطول لكن يداً بالعطاء أى أمد كُنْ - خذف قوله - بالعطاء - للعلم به (١)
وكاليد أيضاً إذا استعملت في القدرة لأن أكثر ما يظهر سلطانها في اليد ،
وبها يكون البطش والضرب والقطع والأخذ والدفع والوضع والرفع وغير
ذلك من الأفعال التي تنبئ عن وجود القدرة ومكانها ، وأما اليد في قول النبي
ﷺ المؤمنين تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم ،
فهو استعارة (٢) والمعنى أن مَنَلَهُمْ مع كثرتهم في وجوب الاتفاق بينهم
مَنَلُ اليد الواحدة ، فكما لا يتصور أن يخذل بعض أجزاء اليد بعضاً
وأن تختلف بها الجهة في التصرف ، كذلك سبيل المؤمنين في تعاضدهم على
المشركين لأن كلمة التوحيد جامعة لهم .

وكالراءوية للمزادة مع كونها للبعير الحامل لها حمله إياها (٣)
وكالحفّض في البعير مع كونه لمتاع البيت حمله إياه ، وكالسما في الغيث ، كقوله
— أصابتنا السماء — لكرهه من جهة المظلة ، وكالإكاف في قول الشاعر :
ياكلن كل طيلة إكافا (٤)

(١) على هذا الوجه تكون اليد في الحديث حقيقة لا مجازاً .
(٢) يريد بها التشبيه توسعاً لذكر الطرفين في قوله — وهم يد — وقيل :
إن المعنى وهم عون على من سواهم فيكون مجازاً .
(٣) هي مأخوذة من روى الماء حمله وتأوها للبالغة ، وهذا مثال لعلاقة
المجاورة ، والمزادة سقاء من ثلاثة جلود تجمع أطرافها ليسكثر ما تحمله من الماء .
وكذلك العلاقة في إطلاق الحفّض على البعير وفي إطلاق السماء على الغيث ، وقد
يجعل هذا من علاقة السببية ، والحفّض اسم لمتاع البيت الحقير ، ولا يكاد يطلق
إلا على البعير المزدول .

(٤) هو من قول أبي حنيفة الوليد بن حنيفة يمدح طلحة الطلحات :
يا طَلْحُ يا بى بَحْدُك الإخْلَافُ والبُخْلُ لا يَعْتَرِفُ اعْتِرَافاً
إن لنا أحمرّة عِجَافاً يا كُـلْنَ كُـلِّ لَيْلَةٍ إِكْفافاً

أى علفاً بضمن الإكاف^(١)

علاقة الجزئية : وهذا الضرب من المجاز يقع على وجوه كثيرة غير ما ذكرنا^(٢) منها تسمية الشيء باسم جزئه^(٣) كالعين في الرِّبِيَّةِ^(٤) لكون الجارحة المخصوصة هي المقصود في كون الرجل ربيته ، إذا ما عداها لا يغنى شيئاً مع فقدتها فصارت كأنها الشخص كله^(٥) وعليه قوله^(٦) تعالى (قَسِمَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا) أى صَلَّ ، ونحوه^(٧) (لَا تَقْسُمُ فِيهِ أَبَدًا) أى لَا تُصَلِّ ، وقول النبي عليه السلام : من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، أى من صَلَّى^(٨) .

والأحررة جمع حمار ، والعجاف الهزيلة جمع عجفاء على غير قياس ، والإكاف البرذعة أطلق على العلف للجاورة لأنه يحمل عليه ، أو للسببية لأن ثمنه سبب في الحصول عليه .

(١) فهو على حذف مضاف ، ويجوز أن يكون مجازاً عن ثمنه ، ثم صار مجازاً عن العلف ، فيكون مجازاً على مجاز .

(٢) أى من علاقة السببية والجاورة ، وظاهر هذا أنه لا يذكر فيما يأتي علاقة منهما مع أنه سيذكر فيه علاقة السببية . (٣) هذه تسمى علاقة الجزئية .

(٤) تطبق الربيثة على الرقيب والجاسوس ، من — رباً القوم — استطلع حركاتهم وتأوها للبالغة .

(٥) لأنه يجب في كل جزء يطلق على كله أن يكون له من بين الأجزاء مزيد اختصاص بالمعنى الذى يقصد ب كله ، فلا يجوز إطلاق اليد ونحوها على الربيثة .

(٦) ى — ٢ — س — ٧٣ (٧) ى — ١٠٨ — س — ٩

(٨) من هذا أيضاً قول الشاعر :

وكنْتَ إِذَا كَفَّ أَتَتْكَ عَدِيمَةٌ تُرْجَى نَوَ الْأَمَنِ سَحَابُكَ مُبَلَّتْ

وقول الآخر :

إِنْ حَلَفْتَ لَا يَنْقُضُ الشَّأْيُ عَهْدَهَا فَلَيْسَ لِمُخْضُوبِ الْبَيْتَانِ يَمِينُ

علاقة الكلية : ومنها عكس ذلك ^(١) نحو (يَجْعَلُونَ أَصَابَهُمْ
فِي آذَانِهِمْ ^(٢)) أى أناملهم ، وعليه قولهم — قطعتُ السارقَ — وإنما
قُطِعَتْ يده ^(٣) .

علاقة السببية أيضا : ومنها تسمية المُسَبَّبِ باسم السبب ، كقولهم
— رعيناً الغيث — أى النبات الذى سببه الغيث ، وعليه قوله ^(٤) عز وجل
(فَمَنْ اغْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اغْتَدَى عَلَيْكُمْ)
سمى جزاء الاعتداء اعتداءً لأنه مسبب عن الاعتداء ، وقوله ^(٥) تعالى
(وَنَبَلُّوْا أَخْبَارَكُمْ) تجوز بالبلاء عن العرفان لأنه مسبب عنه ، كأنه قيل
— ونعرف أخباركم — وعليه قول عمرو بن كلثوم :

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَتَجْهَلْ فَوْقَ جَهْلِ النَّجَاهِلِينَا ^(٦)
الجهل الأول حقيقة ، والثاني مجاز عبر به عن مكافأة الجهل ^(٧) وكذا
قوله ^(٨) تعالى (وَجَزَاءٌ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا) تجوز بلفظ السيئة ^(٩)
عن الاقتصاص لأنه مسبب عنها ، وقيل : إن عبر بها عما ساء أى أحزن لم يكن

(١) هو تسمية الجزء باسم كله ، وهذه تسمى علاقة الكلية ، أما استعمال
الكلى فى جزئيه فهو ، حقيقة ، كقولك — جاءنى إنسان — تريد زيدا .

(٢) ى — ١٩ — س — ٢ .

(٣) من هذا أيضاً قول الشاعر :

تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الظُّشْبَاةِ نُسْفُوسُنَا وليست على غير الظبابة تسيلُ

(٤) ى — ١٩٤ — س — ٢ (٥) ى — ٣١ — س — ٤٧

(٦) قال الزوزنى فى شرحه : أى لايسفن أحد علينا فنسفه عليهم فوق

سفهم أى نجازيهم بسفهم جزاء يربو عليه .

(٧) ومكافأة الجهل ليست جهلاً وإن كانت فوقه (٨) ى — ٤٠ — س — ٤٢

(٩) يعنى لفظها الثانى لا الأول

مجازاً ، لأن الافتصاص محزن في الحقيقة كالجناية . وكذا قوله (١) تعالى (وَمَكْرُمُوا وَمَكْرَ اللَّهُ) تجوز بلفظ المكر (٢) عن عقوبته لأنه سببها ، قيل : ويحتمل أن يكون مكر الله حقيقة ، لأن المكر هو التدبير فيما يضر الخصم ، وهذا محقق من الله تعالى باستدراجه إياهم بنعمه مع ما أعد لهم من نقمه .

علاقة المسيبية : ومنها تسمية السبب باسم المسبب ، كقولهم — أمطرت السماء نباتاً — وعليه قولهم — كما تدين تدين — أي كما تفعل تجازي (٣) وكذا لفظ الأسممة في قوله يصف غيثاً :

أَقْبَلَ فِي الْمُسْتَنِّ مِنْ رَبَابِهِ أَسْنَمَةُ الْآبَالِ فِي سَحَابِهِ (٤)
وكذا تفسير إنزال أزواج الأنعام في قوله (٥) تعالى (وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) بإنزال الماء على وجه (٦) لأنها لا تعيش إلا بالنبات ، والنبات لا يقوم إلا بالماء ، وقد أنزل الماء فكأنه أنزلها ، ويؤيده ما ورد أن كل ما في الأرض من السماء ينزله الله تعالى إلى الصخرة

(١) ي — ٥٤ — س — ٣ (٢) أي المنسوب لله تعالى .

(٣) فالمجاز في قولهم — تدين — .

(٤) المستن موضع جريان الغيث من قولهم — استن الفرس — إذا جرى على سنته في جهة واحدة ، وقوله — من ربابه — متعلق بأقبل ، والرباب السحاب الأبيض ، والآبال الجمال جمع إبل ، وأسمنتها جمع سنام وهو الحذبة المعروفة في ظهرها ، والشاهد في إطلاقها على المطر لأنه سبب في نموها ، ويجوز حمل ذلك على المجاز العقلي فيكون المراد من الأسممة حقيقتها .

(٥) ي — ٦ — س — ٢٩

(٦) هو أن المراد بالإنزال الحركة من أعلى إلى أسفل ، وسيذكر مقابل هذا الوجه في قوله — وقيل : معناه وقضى لكم إلخ .

ثم يقسمه ، قيل : وهذا ^(١) معنى قوله ^(٢) تعالى (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ) وقيل : معناه وقضى لكم ، لأن قضاياه وقسمه موصوفة بالنزول من السماء حيث كتب في اللوح كل كائن يكون ، وقيل : خلقها في الجنة ثم أنزلها ، وكذا قوله ^(٣) تعالى (وَمِنْزَلٌ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا) أى مطرا هو سبب الرزق ، وقوله ^(٤) تعالى (إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا) وقولهم — فلان أكل الدم — أى الدية التى هى مسيبة عن الدم ^(٥) قال :

أَكَلْتُ دَمًا إِنْ لَمْ أُرْعَكَ بِضَرَّةٍ بَعِيدَةٍ مَهْوَى الْقُرْطِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ ^(٦)
وقوله ^(٧) تعالى (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ) أى أردت القراءة بقرينة الفاء ^(٨) مع استفاضة الشئ بتقديم الاستعاذة ، وقوله ^(٩) تعالى

(١) أى التفسير بما سبق . (٢) ي — ٢١ — س — ٣٩

(٣) ي — ١٣ — س — ٤٠ (٤) ي — ١٠ — س — ٤

(٥) لا يخفى أنه حيثئذ يكون من تسمية المسبب باسم السبب ، فيكون ذكره هنا فى غير محله .

(٦) هو لأعرابي تزوج امرأة فلم توافقه ، فقتل له : إن حمى دمشق سريعة فى موت النساء . فغلبها إلهها وقال قبل هذا البيت :

دِمَشْقُ خَذِيهَا وَأَعْلَى أَنَّ لَيْلَةً تَمُرُّ بِعُودَى نَعَشِهَا لَيْلَةُ الْقَدَرِ

وقوله — أكلت دما — أجراه مجرى اليمين ، فكأنه يريد أن يقتله قتل ويعجز عن ثأره فيرضى بديته ، وقيل : إنهم كانوا فى سنى الجذب يفصدون نوقهم ويشربون دمها ، فدعا على نفسه بذلك . وقوله — أرك — بمعنى أفرعك ، وقوله — بعيدة مهوى القرط — كناية عن طول العنق ، والنشر الرائحة .

(٧) ي — ٩٨ — س — ١٦ (٨) فى قوله (فاستعذ) لأنها للترتيب .

(٩) ي — ٤٥ — س — ١١

(وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ) أى أراد بقرينة (فَقَالَ رَبِّ) وقوله (١) تعالى (وَكُنتُمْ مِنْ قَرْنَةٍ أَهْلَكْنَاهَا) أى أردنا إهلاكها بقرينة (فَجَاءَهَا بِأُسْنًا) وكذا قوله (٢) تعالى (مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنَةٍ أَهْلَكْنَاهَا) بقرينة (أَفْهَمُ يُؤْمِنُونَ) وفيه دلالة واضحة على الوعيد بالإهلاك ، إذ لا يقع الإنكار (٣) فى (أفهم يؤمنون) فى المحز إلا بتقدير — ونحن على أن نُهْلِكَهُمْ (٤).

علاقة اعتبار ما كان : ومنها تسمية الشيء باسم ما كان عليه (٥) كقوله (٦) عز وجل (وَأَتُوا النِّيتَامَى أَمْوَالَهُمْ) أى الذين كانوا يتامى ، إذ لا يتم بعد البلوغ ، وقوله (إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا) (٧) سماه مجرماً باعتبار ما كان عليه فى الدنيا من الإجرام .

علاقة اعتبار ما يكون : ومنها تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه (٨) كقوله (٩) تعالى (إِنِّى أَرَانِى أَغْصِرُ خَمْرًا) .

(١) ي — ٤ — س — ٧ .

(٢) ي — ٦ — س — ٢١ .

(٣) لأن الاستفهام فيه إنكارى .

(٤) أى ونحن على إرادة إهلاكهم . وإنما وجب هذا التقدير على ذلك لأن إنكار إيمانهم لا يكون بعدهلاكهم ، وقيل : إن المعنى أهلكناها بالفعل لعدم إيمانها بما افترحت من الآيات ، فلا نعطى هؤلاء ما افترحوها لأنهم لا يؤمنون به أيضاً .

(٥) هذه تسمى علاقة اعتبار ما كان .

(٦) ي — ٢ — س — ٤ . (٧) ي — ٧٤ — س — ٢٠ .

(٨) هذه تسمى علاقة اعتبار ما يكون ، فالمراد فى الآية — إنى أرانى أعصر عنياً يؤول إلى أن يكون خمرأ — فسماء خمرأ باعتبار ما يؤول إليه .

(٩) ي — ٣٦ — س — ١٢ .

علاقة المحلية : ومنها تسمية الحال باسم محله ^(١) كقوله ^(٢) تعالى
(فَلْيَكْبِتْ فَكُلِّمْ) أى أهل ناديه .

علاقة الحالية : ومنها عكس ذلك ^(٣) نحو (وَأَمَّا السِّدِّينَ ابْنَيْضَتِ
وَجُوهُهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ ^(٤)) أى فى الجنة .

علاقة الآلية : ومنها تسمية الشيء باسم آله ^(٥) كقوله ^(٦) تعالى
(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ) أى بلغة قومه ، وقوله ^(٧)
تعالى (وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ) أى ذكر أجميلا وثناء حسناً .
وكذا غير ذلك مما يبين معنى اللفظ وما هو موضوع له تعلق
سوى التشبيه ^(٨) .

(١) هذه تسمى علاقة المحلية . (٢) ي — ١٨ — س — ٩٦ .

(٣) أى تسمية المحل باسم الحال ، وهذه تسمى علاقة الحالية ، ومن علاقة
المحلية قول الشاعر :

إنَّ العدوَّ وإن تقادم عهدهُ فالحقد باقٍ فى الصدور مُغَيَّبُ
ومن علاقة الحالية قول الآخر :

ألمَّا على سغن وقولا لقبره سقتك الغوادى مرَّبعاً بعد مربع

(٤) ي — ١٠٧ — س — ٣ .

(٥) هذه تسمى علاقة الآلية ، والفرق بين الآلة والسبب أن الآلة هى ما به
يفعل الشيء ، أما السبب فإبه وجود الشيء ، فاللسان فى الآية يقال إنه آلة اللغة ،
ولا يقال إنه سببها ، وهكذا .

(٦) ي — ٤ — س — ١٤ . (٧) ي — ٨٤ — س — ٢٦ .

(٨) من هذا علاقة الزوم وعلاقة الإطلاق والتقييد وعلاقة العموم والخصوص
وغير ذلك من العلاقات ، وقد تكون العلاقة الضدية ، كما فى تسمية الصحراء
المهلكة مفازة وتسمية الجريح والديغ سليماً ، ومن هذا قول الشاعر :
يشكو إذا شدَّ له حزامه شكوى سليم ذرَّبت كلامه

قال صاحب المفتاح ^(١) وللتعلق بين الصارف عن فعل الشيء والداعي إلى تركه ^(٢) يحتمل عندى أن يكون المراد بِمَنْعَكَ في قوله ^(٣) تعالى (مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ) دعاك، و — لا — غير صلة قرينة المجاز ^(٤) وكذا (مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ) ^(٥) وقال الراغب رحمه الله: قال بعض المفسرين: إن معنى ما منعك ما حملك وجعلك في مَنَعَةٍ منى في ترك السجود أى في مُعَاقِبَةٍ تركه، وقد استبعد ذلك بعضهم بأن قال: لو كان كذلك لم يكن يجب أن يقول (أنا خير منه) فإن ذلك ليس بجواب السؤال على ذلك الوجه، وإنما هو جواب من قيل له: ما منعك أن تسجد؟ ويمكن أن يقال في جواب ذلك: إن إبليس لما كان أَلْزِمَ ما لم يجد سبيلاً إلى الجواب عنه — إذ لم يكن له من كماله يحرسه ويحميه — عدل عما كان جواباً، كما يفعل المأخوذ بِكَظْمِهِ ^(٦) في المناظرة — انتهى كلامه ^(٧).

(١) ١٩٦ — المفتاح

(٢) التعلق بينهما هو تعلق الضدية، لأن الصارف هو المانع والداعي هو السبب وكل من المانع والسبب يضاد الآخر، وعلى هذا يكون إطلاق — منعك — على — دعاك — علاقته الضدية. (٣) ى — ١٢ — س — ٧
(٤) يعنى أن — لا — على هذا تكون غير زائدة، وتكون قرينة على أن المراد بمنعك دعاك. وقال القراء: المنع في معنى القول، والتقدير — من قال لك لا تسجد — فلا جحد محض، و — أن — زائدة دخلت لإيذاناً بالقول لعدم التصريح به، كما قال الهذلي:

فأجبتها أن ما لجمسى أنه أودى بنى من البلاد فودعوا
أراد — فقلت لها — فزاد — أن — إيذاناً بذلك

(٥) ى — ٩٢ — س — ٢٠

(٦) الكظم محركة الحلق أو الفم أو مخرج النفس
(٧) الأظهر عندى أن يكون تقدير الآية ما منعك في ألا تسجد، أى في تركك السجود، فتكون الآية على تقدير — فى — لا على تقدير — من —

المرسل الخالي عن الفائدة والمفيد : وقسم الشيخ صاحب المفتاح ^(١) المجاز المرسل إلى خال عن الفائدة ومفيد ، وجعل الخالي عن الفائدة ما استعمل في أعمّ مما هو موضوع له كالمرسن في قول العجّاج .

وَفَاحِهَا وَمَرْسِنًا مُسَرَّجًا ^(٢)

فإنه مستعمل في الأنف لا بقيد كونه لِمَرْسُونٍ ^(٣) مع كونه موضوعاً له بهذا القيد لا مطلقاً ، وكالمشفر ^(٤) في نحو قولنا — فلان غليط المشافر — إذا قامت قرينة على أن المراد هو الشفة لا غير ، وقال : سُمِّيَ هذا الضرب غير مفيد لقيامه مقام أحد الممرّادين من نحو — لَيْثٌ وَأَسَدٌ وَحَبَسَ — ومنع — عند المصير إلى المراد منه ^(٥) .

وأراد بالمفيد ما عدا الخالي عن الفائدة والاستعارة كما مر

والشيخ عبد القاهر رحمه الله ^(٦) جعل الخالي عن الفائدة ما استعمل في شيء بقيد مع كونه موضوعاً لذلك الشيء بقيد آخر من غير قصد التشبيه ، ومثله ببعض ما مثله الشيخ صاحب المفتاح ونحوه مَصْرَحًا بأن الشفة والأنف موضوعان للعضوين المخصوصين من الإنسان ^(٧) فإن قصد التشبيه

وعلى هذا يبقى منعك على ظاهرة ، وتكون — لا — أصلية لازائدة . والمعنى مناسب امتناعك في تركك السجود . (١) ١٩٤ — المفتاح

(٢) سبق هذا البيت في الكلام على الغرابة في الكلمة من المقدمة في الجزء الأول .

(٣) المرسون اسم مفعول من — رسن الداية — بمعنى جعل في رأسها الرسن وهو الحبل المعروف .

(٤) فهو موضوع لشفة البعير لا مطلقاً .

(٥) فيكون استعماله كاستعمال الحقيقة في خلوها عن مزية البلاغة ، وإن كان

فيه فائدة المترادف من التوسع في اللغة . (٦) ٣٦ — أسرار البلاغة .

(٧) أما السكاكي فجعلهما موضوعين لهذين العضوين من الإنسان وغيره ،

وهذا يكون استعمال المرسن والمشفر فيهما من استعمال المقيّد في المطلق عند السكاكي ،

صار اللفظ استعارة ^(١) كقولهم في مواضع النظم - غليظ المشفر - فإنه بمنزلة
أن يقال - كأن شفته في الغلظ مشفر البعير ، وعليه قول الفرزدق :
فلو كنت ضئياً عرفت قرابتى ولكن زنجي غليظ المشافر ^(٢)
أى ولكنك زنجي كأنه جل لا يهتدى لشرفي .

وكذا قول الخطبة يخاطب الزبير قان :

قَرَوَا جَارَكَ السَّعِيمَانَ لَمَّا جَفَوْتَهُ وَقَلَّصَ عَنْ بَرْدِ الشَّرَابِ مَشَافِرَهُ ^(٣)

فإنه وإن عني نفسه بالجار جاز أن يقصد إلى وصف نفسه بنوع من
سوء الحال ليزيد في التهمك الزبير قان ، ويؤكد ما قصده من رميه بإضاعة
الضيف وإسلامه للضر والبؤس . وكذا قول الآخر :

سَأَمْنَعُهَا أَوْ سَوْفَ أَجْعَلُ أَمْرَهَا إِلَى مَلِكٍ أَظْلَافُهُ لَمْ تَشَقَّقْ ^(٤)

ومن استعمال المقيد في مقيد آخر من جنسه عند عبد القاهر ، والخطب في هذا سهل ،
ويمكن جعل الخالي عن الفائدة بحيث يشمل كلا من الاستعاليين .

(١) فإذا صار استعارة كان مفيداً ، لأن المجاز غير المفيد خاص بالمرسل .

(٢) هو لهام بن غالب المعروف بالفرزدق يخاطب أيوب بن عيسى الضبي ، وكان
قد حبسه فقال ذلك يهجوّه ويطن في نسبه من جهة أمه بنت يسار مولى عبد الله بن كرز ،
وقد روى - ولكن زنجياً - على حذف الخبر أى لا يعرف قرابتي ، أو ولكن بك زنجياً
أى يشبهك ، وقد حذف على الأول اسم لكن وهو قليل ، وصواب الرواية غليظاً مشافره
(٣) هو لجرول بن أوس المعروف بالخطبة ، وقوله - قروا - بمعنى أضافوا ،
لأن القرى طعام الضيف ، والعيان العطشان إلى اللبن ، وقوله - قلص - بمعنى انقبض
وانكمش من تأثير البرد ، يعنى أنه لم يجد عنده إلا الماء .

(٤) هو لعقمان بن قيس بن عاصم ، وقيل للأخطل ، والأظلاف جمع ظلف
وهو لما اجتر من الحيوان كالظفر للإنسان ، وهذا في حد التشبيه والاستعارة أيضاً ،
لأن المعنى على أن الأظلاف لمن تزييا بالملك عن مشابهة ، كأنه قال : أجعل أمرها
إلى ملك لا إلى عبد جاف مشقق الأظلاف .

الاستعارة التصريحية: الضرب الثاني من المجاز الاستعارة، وهي ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له^(١) وقد تُقَيَّدُ بالتحقيقية^(٢) لِتَحَقُّقِ معناه^(٣) حساً أو عقلاً، أى التى تتناول أمراً معلوماً يمكن أن يُنصَّ عليه ويشار إليه إشارة حسية أو عقلية، فيقال: إن اللفظ نُقل من مهباء الأصل فجعل اسماً له على سبيل الإعارة للبالغة فى التشبيه.

أما الحسى فقولك — رأيت أسداً — وأنت تريد رجلاً شجاعاً، وعليه قول زهير:

لدى أسد شاكى السلاح مقذف^(٤)
أى لدى رجل شجاع

(١) المراد بمعناه المعنى المجازى، وهو مدلول المشبه، وإنما أكتفى بهذا القدر فى تعريف الاستعارة التصريحية مع أنه يشمل الاستعارة الممكنية والتخييلية عند غيره، لأن — ما — فى التعريف واقعة على لفظ، وكل من الممكنية والتخييلية عنده ليس بلفظ كما سيأتى، فهما خارجان عن جنس التعريف عنده، والتصريحية يحذف فيها لفظ المشبه ويستعار له لفظ المشبه به.

(٢) لتمييز هذا عن الممكنية والتخييلية، لأن كلا منهما عنده ليس بلفظ فلا يكون محقق المعنى، وعلى مذهب غيره تكون الممكنية من التحقيقية، وسيأتى تفصيل خلافهم فى ذلك.

(٣) يعنى به المعنى المجازى كما سبق. والمراد بالحسى هنا الحقيقى فلا يدخل فيه الخيالى، بل يدخل فى الوهمى ويكون من قسم الاستعارة التخييلية، والمراد بالعقل ما يشمل الوجدانى كما سيأتى فى قوله تعالى (فأذاقها الله ليلاس النجوع والخوف)

س — ١١٢ — س — ١٦

(٤) هو من قول زهير بن أبى سلمى فى معلقته:

فشدَّ فلم يُفزعْ بيوتاً كثيرةً لدى حيث ألقى رحلها أم قشعم
لدى أسد شاكى السلاح مُقذفٍ له لبدٌ أظفاره لم تُقلم

ومن لطيف هذا الضرب ما يقع التشبيه فيه في الحركات ، كقول أبي دلامة يصف بغلته :

أرى الشبهاء تعجن إذ غدونا
برجليها وتخبز باليدين^(١)
شبه حركة رجليها حيث لم تثبتا في موضع تعتمد بهما عليه وهوتا
ذاهبتين نحو يديها بحركة يدي العاجن ، فإنهما لا تثبتان في موضع ، بل
تزللان إلى قدام لرخاوة العجين ، وشبه حركة يديها بحركة يد الخابز فإنه
يثني يده نحو بطنه ويحدث فيها ضربا من التقويس ، كما تجد في يد الدابة
إذا اضطربت في سيرها ولم تسقوا على ضبط يدها وأن ترمى بها إلى قدام ،
وأن تشد اعتمادها حتى تثبت في الموضع الذي تقع عليه فلا تزل عنه ولا تنثنى .
وأما العقلي فقولك — أبدت نورا — وأنت تريد حجة ، فإن الحجة
عما يدرك بالعقل من غير وساطة حس ، إذ المفهوم من الألفاظ هو الذي
ينور القلب ويكشف عن الحق لا الألفاظ أنفسها ، وعليه قوله^(٢) عز وجل
(إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) أى الدين الحق ، وأما قوله^(٣) تعالى
(فَإِذَا قُضِيَتْ إِلَيْهَا لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ) فعلى ظاهر قول الشيخ جار
الله العلامة^(٤) استعارة عقلية لأنه قال : شبه باللباس لاشتماله على اللابس

والضمير في قوله — فشد — لحصين بن ضمضم ، وأم قشعم كنية المنية ،
وشاكي السلاح تامه وقويه من الشوكة وهي القوة وفيه قلب مكاني ، والمقذف
الذي يرمى به كثيرا في الوقائع أو الذي قذف باللحم ، والبلد الشعر المجتمع
بين كتفي الأسد .

(١) هو لزند بن الجون المعروف بأبي دلامة ، وهو بالزاي والنون أو الباء
الموحدة والاول أثبت ، وقوله — غدونا — بمعنى دخلنا الغداة وهي أو النهار ،
وهو يصف بغلته بالرداءة ، ورواية أسرار البلاغة — باليمين — بدل اليدين .

(٢) ي — ٦ — س ١ (٣) ي — ١١٢ — س ١٦

(٤) هو الزمخشري ، وإنما جعل ذلك ظاهره لا صريحه لأنه جعل المشبه ما غشي

ما غشى الإنسان والتبس به من بعض الحوادث . وعلى ظاهر قول الشيخ صاحب المفتاح حسية ، لأنه جعل اللباس استعارة لِمَا يلبسه الإنسان عند جوعه وخوفه من امتناع اللون ورثاة الهيئة ^(١) .

فالاستعارة ما تضمن تشبيه معناه بما وُضِعَ له ^(٢) والمراد بمعناه ما عُيِّنَ به أى ما استعمل فيه ^(٣) فلم يتناول ما استعمل فيما وضع له وإن تضمن التشبيه به ، نحو — زيد أسد ، ورأيت أسداً — ونحو — رأيت به أسداً ^(٤) لاستحالة تشبيه الشيء بنفسه ^(٥) على أن المراد بقولنا — ما تضمن — مجاز تضمن ، بقرينة تقسيم المجاز إلى الاستعارة وغيرها ، والمجاز لا يكون مستعملاً فيما وضع له .

الفرق بين الاستعارة والتشبيه المؤكد : وهما شيء لا بُدَّ من التنبيه عليه ، وهو أنه إذا أُجْرِىَ في الكلام لفظ دلت القرينة ^(٦) على تشبيه شيء بمعناه فيكون ذلك على وجهين :

الإنسان من بعض الحوادث ، فيجوز أن يكون مراده منه ما يحصل من الجوع والخوف من الضرر ، ويجوز أن يكرن مراده ما يحصل من امتناع اللون ورثاة الهيئة كما ذهب إليه السكاكي ، وقد شبه ما يلبس الإنسان من ذلك بمطعوم مكروه وأسند إليه الإذاقة ، ويجوز أن يكون — لباس الجوع والخوف — من إضافة المشبه به إلى المشبه . (١) ٢٠١ — المفتاح

(٢) إنما أعاد تعريف الاستعارة ليرتب عليه الفرق بينها وبين التشبيه المحذوف الأداة . (٣) هو المعنى المجازي ، كالرجل الشجاع في قولك — رأيت أسداً يحارب . (٤) هذا المثال يفترق عن سابقه بأنه من التجريد الذي ينبئ عن التشبيه . (٥) فيكون المعنى المستعمل فيه اللفظ هنا هو المعنى الموضوع له لا المعنى المجازي ، فلو تناوله تعريف الاستعارة لزم تشبيه الشيء بنفسه لاتحاد المعنى الاستعمالي والمعنى الوضعي فيه .

(٦) المراد بالقرينة هنا السياق لا قرينة المجاز لأنه سيدخل فيه التشبيه المؤكد

أحدهما - ألا يكون المشبه مذكوراً ولا مقدراً ، كقولك - غَسَنَتْ لنا ظبية - وأنت تريد امرأة ، و - لَقِيت أسداً - وأنت تريد رجلاً شجاعاً ، ولا خلاف أن هذا ليس بتشبيه وأن الاسم فيه استعارة

والثاني - أن يكون المشبه مذكوراً أو مقدراً ^(١) فاسم المشبه به إن كان خبراً أو في حكم الخبر كخبر - كان وإنَّ والمفعول الثاني لباب علمت والحال - فالأصح أنه يسمى تشبيهاً وأن الاسم فيه لا يسمى استعارة ، لأن الاسم إذا وقع هذه المواقع فالكلام موضوع لإثبات معناه لما يعتمد عليه أو نفيه عنه ، فإذا قلت - زيد أسد - فقد وضعت كلامك في الظاهر لإثبات معنى الأسد لزيد ، وإذا امتنع إثبات ذلك له على الحقيقة كان لإثبات شبه من الأسد له ، فيكون اجتلابه لإثبات التشبيه ، فيكون خليقاً بأن يسمى تشبيهاً إذ كان إنما جاء ليفيده بخلاف الحالة الأولى ، فإن الاسم فيها لم يُجْتَلَبْ لإثبات معناه للشيء ، كما إذا قلت - جاءني أسد ، ورأيت أسداً - فإن الكلام في ذلك موضوع لإثبات المجيء واقعاً من الأسد والرؤية واقعة منك عليه ، لا لإثبات معنى الأسد لشيء ، فلم يكن ذكر المشبه به لإثبات التشبيه ، وصار قصد التشبيه مكنوناً في الضمير لا يُعْلَمُ إلا بعد الرجوع إلى شيء من النظر . ووجه آخر في كون التشبيه مكنوناً في الضمير ، وهو أنه إذا لم يكن المشبه مذكوراً جاز أن يتوهم السامع في ظاهر الحال أن المراد باسم المشبه به ما هو موضوع له ، فلا يُعْلَمُ قصد التشبيه فيه إلا بعد شيء من التأمل ، بخلاف الحالة الثانية ، فإنه يمتنع ذلك فيه مع كون المشبه مذكوراً أو مقدراً .

ومن الناس ^(٢) من ذهب إلى أن الاسم في الحالة الثانية استعارة لإجرائه

(١) كقوله تعالى (صُمِّمْتُكُمْ مِّنْ عُنْفَى) ي - ١٨ - س ٢ . أى همص الخ .

(٢) كآبي هلال العسكري والآمدي والخفاجي .

على المشبه مع حذف كلمة التشبيه^(١) وهذا الخلاف لفظي راجع إلى الكشف عن معنى الاستعارة والتشبيه في الاصطلاح^(٢) وما اخترناه هو الأقرب لما أوضحناه من المناسبة ، وهو اختيار المحققين ، كالفاضل أبي الحسن الجرجاني والشيخ عبد القاهر والشيخ جابر الله العلامة والشيخ صاحب المفتاح^(٣) رحمهم الله ، غير أن الشيخ عبد القاهر قال بعد تقرير ما ذكرناه^(٤) : فإن آيت إلا أن تطلق اسم الاستعارة على هذا القسم ، فإن حسن دخول أدوات التشبيه لا يحسن إطلاقه ، وذلك كأن يكون اسم المشبه به معرفة ، كقولك — زيد الأسد ، وهو شمس النهار — فإنه يحسن أن يقال — زيد كالأسد . وخلته شمس النهار — وإن حسن دخول بعضها دون بعض هان الخطب في إطلاقه ، وذلك كأن يكون نكرة غير موصوفة ، كقولك — زيد أسد — فإنه لا يحسن أن يقال زيد كأسد^(٥) ويحسن أن يقال كأن زيدا أسداً ، ووجدته أسداً^(٦) وإن لم يحسن دخول شيء منها إلا بتغيير

(١) أى أداته .

(٢) فإذا عرفت الاستعارة بما تضمن تشبيهه معناه بما وضع له لم يدخل فيها الاسم في الحالة الثانية ، وإذا عرفت بأنها ما بنى التشبيه فيها على حذف الأداة ودعوى الاتحاد دخل فيها الاسم في الحالة الثانية ، لأن هذا المعنى يشمل ، وكذلك يقال نظير هذا في تعريف التشبيه . وما كان أغنى علماء البيان عن التطويل في مثل هذا الخلاف اللفظي .

(٣) ١٨٩ — المفتاح (٤) ٣٧٣ أسرار البلاغة

(٥) لأن معناه تشبيه زيد بفرد من أفراد الأسد ، وهذا غير مقصود في تشبيهه به ، وإنما المقصود تشبيهه بحقيقة الأسد وجنسه ، ولهذا يحسن في حال التعريف دخول الأداة ليكون المقصود التشبيه لا دعوى الاتحاد لبعدها حينئذ ، ويحسن في حال التنكير عدم دخولها ليكون المقصود أنه فرد من أفراد الأسد لا تشبيهه بفرد منه .

(٦) لأن — كأن ونحوها — ليست نصاً في التشبيه كالكاف ، وهذه كلها فروق متكلفة ، ولهذا كان الحق أن كل هذا من التشبيه بلا فرق بين كون اسم المشبه به معرفة أو نكرة .

لصورة الكلام كان إطلاقه أقرب ، لغموض تقدير أداة التشبيه فيه ، وذلك بأن يكون نكرة موصوفة بما لا يلائم المشبه به ، كقولك — فلان بدر يسكن الأرض ، وهو شمس لا تغيب — وكقوله :

شَمْسٌ تَأَلَّقُ وَالْفِرَاقُ غُرُوبُهَا عَنَا وَبَذَرٌ وَالصَّدُودُ كَسُوفُهُ^(١)
فإنه لا يحسن دخول الكاف ونحوه في شيء من هذه الأمثلة ونحوها إلا بتغيير صورته^(٢) كقولك — هو كالبدر إلا أنه يسكن الأرض ، وكالشمس إلا أنه لا يغيب . وكالشمس المتألقة إلا أن الفراق غروبها ، كالبدر إلا أن الصدود كسوفه — وقد يكون في الصفات والصلوات التي تجيء في هذا النحو ما يُحيلُ تقدير أداة التشبيه فيه فيقرب إطلاقه أكثر ، وذلك مثل قول أبي الطيب :

أَسَدٌ دَمُ الْأَسَدِ النَّهْزُ بَرٌّ خِضَابُهُ مَوْتُ فَرِيصٍ الْمَوْتُ مِنْهُ يَرَعَدُ^(٣)
فإنه لا سبيل إلى أن يقال — المعنى هو كالأسد وكالموت — لما في ذلك من التناقض ، لأن تشبيهه بجنس السبع المعروف دليل أنه دونه أو مثله ، وجعل دم الهزبر الذي هو أقوى الجنس خضاب يده دليل أنه فوقه ، وكذلك

(١) هو للبحترى في مدح الفتح بن خاقان ، وقوله — تألق — أصله تألق بمعنى تلمع ، والصدود الإعراض ، والكسوف الخسوف لأنه قد يطلق على احتجاب القمر كما يطلق على احتجاب الشمس .

(٢) اعترض عليه بأنه يجوز في هذا أن يقال — هو كبدر يسكن الأرض — من غير تغيير ، ويكون المشبه به خيالاً كما سبق في تشبيه ختم فيه جمر موقد ببحر من المسك موجه الذهب ، ويمكن أن يجاب عنه بأن عبد القاهر لم يذكر إلا أنه لا يحسن دخول الآداة إلا مع التغيير ولم يمنع جواز دخولها بغير تغيير .

(٣) أسد خبر لمبتدأ محذوف أى هو أسد ، يعنى بمدوحه شجاع بن محمد الطائي ، والهزبر الشديد الصلب ، والخضاب الحناء ، والفريص واحده فريصة وهى لحمه بين الثدي والكف أو بين الجنب والكف .

لا يصح أن يشبه بالموت المعروف ثم يجعل الموت يخاف منه (١)
وكذا قول البحرى :

وبذرته أضاء الأرض شرقاً ومغرباً وموضع رجلٍ منه أسودٌ مظلم (٢)

إن رُجع فيه إلى التشبيه الساذج — حتى يكون المعنى هو كالبدن —
لزم أن يكون قد جعل البدن المعروف موصوفاً بما ليس فيه (٣) فظهر أنه
إنما أراد أن يثبت من الممدوح بديراً له هذه الصفة العجيبة التي لم تعرف للبدن،
فهو ممتنى على تخيل أنه زاد في جنس البدن واحداً له تلك الصفة، فالكلام
موضوع لا لإثبات الشبه بينهما ولكن لإثبات تلك الصفة، فهو كقولك
— زيد رجل كيت وكيت — لم تقصد إثبات كونه رجلاً لكن إثبات كونه
متصفاً بما ذكرت، فإذا لم يكن اسم المشبه به في البيت مجتملاً لإثبات الشبه،
تبين أنه خارج عن الأصل الذى تقدم (٤) من كون الاسم محتلباً لإثبات الشبه،

(١) قد يقال : إنه يجوز أن يقال ذلك بعد التصريح بالأداة في الموضعين
على أنه إضراب عما يفيد التشبيه من أنه أنقص من المشبه به، ويمكن أن يجاب
عن هذا بأن عبد القاهر لا يدعى الاستحالة العقلية حتى يمتنع معها هذا التقدير أو نحوه .

(٢) البيت معطوف على قوله قبله في مدح الفتح بن خافان :

وما منع الفتح بن خافان نيله ولكنها الأقدار تعطى وتحرم

سحاب خطافى جوده وهو مسبل وبحر عدانى فيضه وهو مفعم

ورجلى بالجيم، وروى — رحلى — بالخاء وهو ما يجعل على ظهر البعير كالسرج،
وهذا كناية عن حرمانه منه مع عموم نفعه للناس .

(٣) هو عدم إضاءة موضوع رجله .

(٤) أى فى الوجه الأول من الوجهين اللذين فرق بهما بين الاستعارة
والتشبيه المؤكد .

فالكلام فيه مبنى على أن كون الممدوح بدرأ أمر قد استقر وثبت ، وإنما العمل في إثبات الصفة الغريبة (١) .

وكما يمتنع دخول الكاف في هذا ونحوه (٢) يمتنع دخول — كأن — ونحوه — تَحَسَّبُ — لاقتضائهما (٣) أن يكون الخبر والمفعول الثانى أمراً ثابتاً في الجملة (٤) إلا أن كونه متعلقاً بالاسم والمفعول الأول مشكوك فيه ، كقولنا — كأن زيداً منطلقاً — أو خلاف الظاهر ، كقولنا — كأن زيداً أسد (٥) والنكرة فيما نحن فيه غير ثابتة (٦) فدخول — كأن — وتحسب — عليها كالقياس على المجهول ، وأيضاً هذا الجنس إذا فُلْسِيتَ عن سره وجدت محصولة أنك تدعى حدوث شيء هو من الجنس المذكور إلا أنه اختص بصفة عجيبة لم يَتَوَهَّمْ جوازها على ذلك الجنس (٧) فلم يكن لتقدير التشبيه فيه معنى (٨) .

-
- (١) اعترض عليه بأن كل هذا لا يمتنع أن يقال — هو كبر هذه الصفة — على نحو ما سبق في تشبيه الفحم ، ويحجب عنه أيضاً بأن عبد القاهر لا يدعى الاستحالة التي يمتنع معها مثل هذا التقدير . ولكن الحق كما سبق أن كل هذا تشبيه لاستعارة (٢) اسم الإشارة عائد إلى ما يقترن بالصفات والصلات التي تحيل تقدير أداة التشبيه (٣) أى كأن وتحسب . (٤) يعني بهذا كونه معروفاً غير مجهول . (٥) إنما اقتضت — كأن — في المثال الأول الشك وفي الثاني خلاف الظاهر لأن خبرها في الأول مشتق دون الثاني . (٦) يريد بما نحن فيه ما يقترن بالصفات والصلات السابقة ، ويعنى بكونها غير ثابتة أنها غير معلومة . (٧) فكأنك في بيت البحترى مثلاً تقول ما كنا نتوهم أن هنا بدرأ بضئ شرقاً وغرباً دون موضع رجلى . (٨) لأنه خارج على قاعدة التشبيه ، لأنك في بيت البحترى مثلاً كأنك تقول

التجريد ليس استعارة ولا تشبيها : وإن لم يكن اسم المشبه به خبراً للمشبه ولا في حكم الخبر ^(١) كقولهم رأيت بفلان أسداً ، ولقيني منه أسد — سُمِّيَ تجريداً ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى ^(٢) ولم يُسَمَّ استعارة ، لأنه إنما يُتَصَوَّرُ الحكم على الاسم بالاستعارة إذا جرى بوجهه على ما مُدَّعَى أنه مستعار له : إما باستعماله فيه أو بإثبات معناه له ^(٣) والاسم في مثل هذا غير جَارٍ على المشبه بوجهه . ولأنه يجيء على هذه الطريقة ^(٤) مالا يُتَصَوَّرُ فيه التشبيه فيظن أنه استعارة ^(٥) كقوله ^(٦) تعالى (لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ) إذ ليس المعنى على تشبيه جهنم بدار الخلد إذ هي نفسها دار الخلد ^(٧) وقول الشاعر :
يَا خَيْرَ مَنْ يَرْكَبُ النَّمِطَى وَلَا يَشْرَبُ كَأَسَا بِكَفٍّ مِنْ بَحْلَا ^(٨)

أشبهه بيدر حدث مخالفاً للبدور ما كان يعرف — وليس لمثل هذا معنى . ولا يخفى أن عبد القاهر يتكلف هذا كله مجازاة لمن يأتي إلا أن يطلق على ذلك القسم اسم الاستعارة ، فهو عنده في الحقيقة من التشبيه .

(١) هذا معطوف على قوله فيما سبق في ص — ١٠٥ — فاسم المشبه به إن كان خبراً أو في حكم الخبر — فمر مقابل له .

(٢) في علم البديع .

(٣) يعني باستعماله فيه نحو قولك — رأيت أسداً يحارب — ويعني بإثباته له نحو قولك — زيد أسد — على القول بأنه استعارة .

(٤) يعني طريقة التجريد .

(٥) الفاء في قوله — فيظن — للتفريع على المنفى لا على النفي .

(٦) ص — ٢٨ — س — ٤١ .

(٧) فلا يكون من التشبيه لأن مبناه على المغايرة بين المشبه والمشبه به ، فلا يصح تشبيه الشيء بنفسه .

(٨) هو للأعشى ميمون بن قيس ، وسيأتي في الكلام على التجريد في علم البديع

فإنه لا يتصور فيه التشبيه ، وإنما المعنى أنه ليس بيخيل .
ولا يسمى ^(١) تشبيهاً أيضاً ، لأن اسم المشبه به لم يحتلب فيه لإثبات
التشبيه كما سبق ، وعده الشيخ صاحب المفتاح تشبيهاً ^(٢) والخلاف
أيضاً لفظي ^(٣) .

الاستعارة مجاز لغوي لا عقلي : والدليل على أن الاستعارة مجاز
لغوي كونها موضوعة للمشبه به لا للمشبه ولا لأمر أعم منهما ، كالأسد
فإنه موضوع للسبع المخصوص لا للرجل الشجاع ولا للشجاع مطلقاً ،
لأنه لو كان موضوعاً لأحدهما لكان استعماله في الرجل الشجاع من جهة
التحقيق لا من جهة التشبيه ، وأيضاً لو موضوعاً للشجاع مطلقاً لكان
وصفاً لا اسم جنس .

وقيل : الاستعارة مجاز عقلي بمعنى أن التصرف فيها في أمر عقلي
لا لغوي ^(٤) لأنها لا تطلق على المشبه إلا بعد ادعاء دخوله في جنس المشبه
به ، لأن نقل الاسم وحده لو كان استعارة لكانت الأعلام المنقولة — كيزيد
ويشكر — استعارة ، ولما كانت الاستعارة أبلغ من الحقيقة ،
لأنه لا بلاغة في إطلاق الاسم المجرد عارياً عن معناه ، ولما صح أن يقال

(١) أي التجريد .

(٢) ١٨٩ — المفتاح — ويجب أن يقيد ذلك بما يمكن أن يعد تشبيهاً ،
فلا يدخل فيه نحو (لهم فيها دار الخلد) .

(٣) لأنه ينبغي على تقييد تعريف التشبيه بما لا يكون على سبيل التجريد وعدم
تقييده بهذا ، والأقرب كما سبق في تعريف التشبيه أن يعد منه ما ينبئ عن التشبيه
من التجريد ، ويكون من التشبيه المؤكد .

(٤) هذا أيضاً خلاف لفظي كالخلاف السابق في التشبيه المؤكد أنه استعارة
أولاً ، ولا معنى للاشتغال بمثل هذا في علم البيان ، ويريد بقوله — بمعنى
أن التصرف الخ — أن المجاز العقلي هنا غير المجاز العقلي السابق في باب الإسناد
الخبري من علم المعاني .

لمن قال — رأيت أسداً — يعني زيداً: إنه جعله أسداً ، كما لا يقال لمن سمى ولده أسداً : إنه جعله أسداً ، لأنَّ — جعل — إذا تعدى إلى مفعولين كان بمعنى صَيَّرَ فأفاد إثبات صفة للشئ ، فلا تقول — جعلته أميراً — إلا على معنى أنك أثبت له صفة الإمارة ، وعليه قوله ^(١) تعالى (وَجَعَلُوا السَّمَلَائِكَةَ السَّزِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّمَا) المعنى — أنهم أثبتوا صفة الأنوثة واعتقدوا وجودها فيهم ، وعن هذا الاعتقاد صدر عنهم الملائكة إطلاق اسم الإناث عليهم ، لا أنهم أطلقوه من غير اعتقاد ثبوت معناه لهم ، بدليل قوله تعالى (أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ) .

وإذا كان نقل الاسم تبعاً لنقل المعنى كان الاسم مستعملاً فيما وُضِعَ له . ولهذا صح التعجب في قول ابن العميد :

قامت تَظَلَّلْتُني من الشمسِ	نَفْسٌ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي
قامت تَظَلَّلْتُني ومن عَجَبٍ	شَمْسٌ تَظَلَّلْتُني من الشَّمْسِ ^(٢)
والنهي عنه في قول الآخر :	
لا تعجبوا من بلي غلا لته	قد زَرَ أزراره على القمر ^(٣)

(١) ي — ١٩ — س — ٤٣

(٢) هما لأبي الفضل محمد بن الحسين بن العميد يصف غلاماً جميلاً قام على رأسه يظله من الشمس ، وإنما أنث الضمير في — قامت — لإسناده إلى نفس
(٣) هو لأبي الحسن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن طباطبا العلوي الخراساني ، والبلى الفساد ، والغلالة ثوب صغير يلقى البدن يلبس تحت ثوب أوسع منه ، وقوله — زر — بمعنى شد ، والاستعارة في إطلاق القمر على محبوبه ، ولا ينافي الاستعارة ذكر المشبه في البيت ، لأن الذي ينافيها ذكره على وجه يفي عن التشبيه ، بأن يكون المشبه به خبراً عن المشبه أو نحوه مما سبق ، وجملة — قد زر الخ — مسوقة للتعليل ، لأنهم يزعمون أن ثياب الكتان يسرع إليها البلى عند بروزها للقمر كما سيأتي في البيتين بعده .

وقوله :

ترى الثياب من الكتّان يلحمها نورٌ من البدر أحياناً فيبليها
فكيف تنكر أن تبلى معاجرها والبدر في كل وقت طالعٌ فيها (١)
والجواب عنه أن ادعاء دخول المشبه في جنس المشبه به لا يخرج اللفظ
عن كونه مستعملاً في غير ما وضع له ، وأما التعجب والنهي عنه فيما ذكر
فلبناء الاستعارة على تناسي التشبيه قضاء لحق المبالغة .

التوفيق بين الادعاء في الاستعارة والقربة المانعة : فإن قيل : إصرار
المتكلم على ادعاء الأسدية للرجل يناقض نصبه قربة مانعة من أن يراد به السبع
المختص ، قلنا : لا منافاة ، ووجه التوفيق هو ما ذكره السكاكي (٢) وهو أن
تبني دعوى الأسدية للرجل على ادعاء أن أفراد جنس الأسد قسمان بطريق
التأويل : متعارف وهو الذي له غاية الجرأة ونهاية قوة البطش مع الصورة
المختصة (٣) وغير متعارف وهو الذي له تلك الجرأة وتلك القوة لأمع تلك
الصورة بل مع صورة أخرى (٤) على نحو ما ارتكب المتنبي هذا الادعاء في عهد
نفسه وجماعته من جنس الجن وعهد جماله من جنس الطير حين قال :
نحن قومٌ ملجن في زى ناس فوق طير لها شخوص الجبال (٥)

(١) هما لأبي المطاع ذي القرنين بن ناصر الدولة الحمداني ، وقوله — يبلها —
بمعنى يخلقها ، والمعاجر جمع معجر وهو ثوب تشده المرأة على رأسها ، والاستعارة
في إطلاق البدر على صاحبة المعاجر . (٢) ١٩٨ — المفتاح (٣) هي صورة
الحيوان المفترس . (٤) هي صورة الأسد غير المفترس ، وهو الرجل الشجاع .
(٥) في رواية — نحن ركب — وقوله — ملجن — جار ومجرور أى من
الجن ، والاستعارة في إطلاق الطير على الجبال ، أما قوله — نحن قوم ملجن —
فتشبيه لا استعارة ، وقيل : إن في البيت قلباً ، والأصل نحن قوم من الإنس في زى
الجن فوق جمال لها شخوص الطير فيكون من التشبيه المقلوب ، والحق أنه لا قلب
وأنه يريد المبالغة .

مستشهداً لدعواك ^(١) بالمخيلات العرفية . وأن تخصّص ^(٢) القرينة
بنفيها السّمْتَعارف الذى يسبق إلى الفهم ^(٣) ليتعين الآخر ^(٤) .
ومن البناء على هذا التنويع ^(٥) قوله :
تحية بينهم ضرب وجيع ^(٦)

(١) يعنى دعواه الأسدية للرجل ، فقوله — مستشهداً — حال من فاعل تبني
في قول السكاكي — وهو أن تبني دعوى الأسدية الخ ، وعبارته في المفتاح
— مستشهداً لدعواك هاتيك بالمخيلات العرفية والتأويلات المناسبة ، من نحو حكمهم
إذا رأوا أسداً هرب من ذئب أنه ليس بأسد ، وإذا رأوا إنساناً لا يقاومه أحد
أنه ليس بإنسان وإنما هو أسد .

(٢) معطوف على قوله — أن تبني دعوى الأسدية .

(٣) هو صورة الحيوان المفترس .

(٤) هو صورة الأسد غير المفترس ، وحينئذ لا يكون هناك منافاة بين الإصرار
على دعوى الأسدية ونصب القرينة على عدم إرادتها ، لأن ما يصر عليه غير ما
تمنع إرادته .

(٥) يعنى تنويع الشيء إلى متعارف وغير متعارف .

(٦) هو من قول عمرو بن معد يكرب :

وَحَيْلٌ قَدْ دَلِفَتْ لَهَا بَحِيلٌ تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ

والمراد بالخیل أصحابها على طريق المجاز المرسل ، وقوله — دلفت — بمعنى
نهضت ، والشاهد في جعله للتحية نوعاً آخر غير المتعارف فيها وهو الضرب
الوجيع ، ووصف الضرب بالوجيع مجاز ، ويجوز أن يكون بمعنى موجه ،
وقد قيل : إن هذا من التشبيه المقلوب على معنى أن ضربهم الوجيع كتحية لهم ،
والحق أنه من باب التنويع ، وهو ادعاء أن مسمى اللفظ نوعان : متعارف وغير
متعارف على طريق التخيل ، بأن ينزل ما يقع في موقع شيء بدلا عنه منزله ،
فالمقصود نفي ما صدر به ، يعنى لا تحية بينهم ، والتشبيه لا يفيد هذا المعنى ،
بل يعكسه ويفسده .

وقولهم — عَتَا بِكَ السِّيفُ — وقوله^(١) تعالى (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ مَلِيمٍ) ومنه قوله :
وَبَلَدَةٌ لَيْسَ بِهَا أُنَيْسٌ إِلَّا الْيَعْفِيرُ وَإِلَّا الْغَيْسُ^(٢)

الفرق بين الاستعارة والكذب : وإذا قد عرفت معنى الاستعارة وأنها مجاز لغوى ، فاعلم أن الاستعارة تفارق الكذب من وجهين : بناء الدعوى فيها على التأويل^(٣) ونصب القرينة على أن المراد بها خلاف ظاهرها ، فإن الكاذب يتبرأ من التأويل ، ولا ينصب دليلا خلاف زعمه .

الاستعارة لا تدخل في الأعلام : وأنها لا تدخل في الأعلام^(٤) لما سبق من أنها تعتمد إدخال المشبه في جنس المشبه به ، والعَلَمِيَّةُ تنافي الجنسية ، وأيضا لأن العلم لا يدل إلا على تَعَيُّنِ شَيْءٍ من غير إشعار بأنه إنسان أو فرس أو غيرهما ، فلا اشتراك بين معناه وغيره إلا في مجرد التعيين ونحوه من العوارض العامة التي لا يكفى شيء منها جامعا في الاستعارة ، اللهم

(١) ى — ٨٨ ، ٨٩ — س ٢٦

(٢) هو لجران العود عامر بن الحارث النمرى ، واليعافير جمع يعفور وهو ولد البقرة ، والعيس جمع أعيس وهى الإبل التى يخالط بياضها صفرة ، والشاهد فى جعله للأنيس نوعا غير متعارف وهو اليعافير والعيس ، وقد اعترض على هذا بأنه استثناء منقطع لا يقدر فيه دخول المستثنى فى المستثنى منه ، وكذلك الآية قبله ، فلا يدخلان فى ذلك التنويع ، ورواية الديوان :

بسابسا ليس بها أنيس إلا اليعافير وإلا العيس

(٣) يعنى بالتأويل التجوز واعتبار العلاقة ، والكذب ليس فيه هذا التأويل ، فهو يدخل فى تعريف الحقيقة .

(٤) المراد الأعلام الشخصية ، لأن الأعلام الجنسية فيها عموم كأسماء الأجناس فصح الاستعارة فيها ، وهذا كقولك — رأيت أسامة له لبد يحارب .

إلا إذا تضمن نوع وصفية لسبب خارج ، كتضمن اسم حاتم الجواد ومادِر البخيل وما جرى مجراهما (١)

قرينة الاستعارة : وقرينة الاستعارة إما معنى واحد ، كقولك — رأيت أسداً يرمى (٢) أو أكثر ، كقول بعض العرب :

فإن تَعَاَفُوا الْعَدْلَ وَالْإِيمَانَ فَإِنَّ فِي آيْمَانِنَا نِيرَانًا (٣)

أى سيوفاً تلمع كأنها شعل نيران ، كما قال الآخر :

نَاهَضَتْهُمْ وَالْبَارِقَاتُ كَأَنَّهَا شَعْلٌ عَلَى أَيْدِيهِمْ تَسْلَهُبُ (٤)

فقرله — تعافوا — باعتبار كل واحد من تعلقه بالعدل وتعلقه بالإيمان

قرينة لذلك (٥) لدلالته على أن جوابه أنهم يُحَارِبُونَ وَيُقَسِّرُونَ عَلَى الطَّاعَةِ بالسيف أو مَعَانٍ مربوط بعضها ببعض (٦) كما في قول البحترى :

(١) فإذا قلت عند رؤيتك جواداً مثلاً — رأيت اليوم حاتماً — كنت كأنك جعلت حاتماً موضوعاً للجواد وجعلت من رأيت فرداً منه ، وعلى هذا تكون الاستعارة أصلية لأنها لم تجر في مشتق بالفعل ، وقيل : إنها تبعية .

(٢) هذا مبنى على الراجح من جواز تعدد قرينة الاستعارة ، وقيل : إنها لا تكون إلا واحدة وما عداها ترشيح أو تجريد كما سيأتى . (٣) قوله — تعافوا — بمعنى تكررهما ، والإيمان يراد به الإسلام لا التصديق بالقلب فقط .

(٤) هو للبحترى في مدح إسحاق بن إبراهيم ، والتاء في — ناهضتهم — لخطاب مدوحه ، والبارقات السيوف ، وقوله — تسله — بمعنى تتوقد ، والشاهد في جعله السيوف شعلاً كما جعلها الأول نيراناً ، وإن كان ما هنا تشبيهاً وما هناك استعارة .

(٥) الأولى أن يجعل كل من العدل والإيمان باعتبار تعلق تعافوا به هو القرينة ، لأن القرينة المتعددة لا تكون إلا لفظية والتعلق معنوى .

(٦) فيكون مجموعها قرينة واحدة ، وبهذا يخالف ما قرينته معنى واحد أو أكثر

وَصَاعِقَةٌ مِنْ نَصْلِهِ تَسْنُكُنِي بِهَا

على أَرْؤُسِ الْأَقْرَانِ خَمْسُ سَحَائِبٍ ^(١)

عنى بخمس سحائب أنامل الممدوح ، فذكر أن هناك صاعقة ، ثم قال — من نصله — فَبَيَّنَ أنها من نصل سيفه ، ثم قال — على أَرْؤُسِ الْأَقْرَانِ — ثم قال — خمس — فذكر عدد أصابع اليد ، فإن من مجموع ذلك غرضه ^(٢) تقسيمات الاستعارة : ثم الاستعارة تنقسم باعتبار الطرفين ، وباعتبار الجامع ، وباعتبار الثلاثة ، وباعتبار اللفظ ، وباعتبار أمر خارج عن ذلك كله .

أقسام الاستعارة باعتبار الطرفين : الوفاقية والعنادية :

أما باعتبار الطرفين فهي قسمان : لأن اجتماعهما فى شيء إما ممكن أو ممتنع ، واسم الأولى وفاقية ، والثانية عنادية .

أما الوفاقية فمكثوله ^(٣) تعالى (أحييناه) فى قوله (أَوْ مِنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ) فإن المراد بأحييناه هديناه أى أو من كان ضالًّا

(١) يروى — وصاعقة — بالجر على أنها واو رب ، ويروى بالرفع على أنه مبتدأ خبره جملة تسكنى ، والنصل حد السيف شبهه بالصاعقة لأن من بيانية ، وقوله — تسكنى — بمعنى تنقلب ، والأقرا ن جمع قرن وهو النظير المسكافى ، وقد ضمن مدحه بالشجاعة مدحه بالسخاء إذ جعله فى عموم العطاء كالسحائب ، وهذا من الاستتباع الآتى فى علم البديع .

(٢) لأنه لا يمكن فيه بعضه ، واعترض على هذا بأنه لو أسقط لفظ الخمس أو غيره لكنى الباقى فى بيان غرضه ، وقد قسم السكاكى قرينة الاستعارة إلى القسمين الأولين فقط ، وإنى أرى أن هذا التقسيم ليس له كبير فائدة .

فهديناه ، والهداية والحياة لا شك في جواز اجتماعهما في شيء (١) .

وأما العنادية فمنها ما كان وضع التشبيه فيه على ترك الاعتداد بالصفة وإن كانت موجودة ، لخلوها بما هو ثمرتها والمقصود منها وما إذا خلت منه لم تستحق الشرف ، كاستعارة المعدوم للموجود إذا لم تحصل منه فائدة من الفوائد المطلوبة من مثله ، فيكون مشاركا للمعدوم في ذلك (٢) أو اسم الموجود للمعدوم إذا كانت الآثار المطلوبة من مثله موجودة حال عدمه ، فيكون مشاركا للموجود في ذلك . أو اسم الميت للحى الجاهل ، لأنه عدم فائدة الحياة والمقصود بها أعنى العلم ، فيكون مشاركا للميت في ذلك ، ولذلك جعل النوم موتاً لأن النائم لا يشعر بما يحضرته كما لا يشعر الميت . أو للحى العاجز ، لأن العجز كالجهل يحط من قدر الحى (٣) .

ثم الضدان إن كانا قابلين للشدة والضعف كان استعارة اسم الأشد

(١) أما استعارة - ميتاً - للضال فمن العنادية الآتية ، لأن الميت لا يوصف بالضلال إلا باعتبار ما كان لاقتضائه الحياة ، ومن الوفاية استعارة الحياة لبقاء الذكر في قول الشاعر .

ولقد سموتُ بهمتي وسما بها طلي المكارم بالفعّال الأفضّل
لأنالَ مكرمة الحياة ورُبّما عثر الزمانُ بذى الدهاء الأخول
(٢) من هذا قول أبي تمام :

نَسِيتُ عُتْبَةَ يَعْوَى كى أَشَاتَمَهُ اللهُ أَكْبَرُ أَنى استأسد الأسدُ
ما كنتُ أَحْسبُ أن الدهرَ يُنْهَلِنى حتى أرى أحداً يهجوهُ لا أحدُ

(٣) قد يستعار اسم الميت لمن أسقمه الحب ، كقول المتنبي :

فلم أرَ بدراً ضاحكاً قبل وجهها ولم ترَ قبلى ميتاً يتكلمُ

للأضعف أولى^(١) وكلُّ من^(٢) كان أقلّ علماً وأضعف قوة كان أولى بأن يستعار له اسم الميت ، ولما كان الإدراك أقدم من الفعل في كونه خاصة للحيوان كان الأقلّ علماً أولى باسم الميت أو الجماد من الأقلّ قوة ، وكذا في جانب الأشد ، فكل من كان أكثر علماً كان أولى بأن يقال له إنه حي ، وكذا من كان أشرف علماً ، وعليه قوله^(٣) تعالى (أَوْ مَنْ كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ) فإن العلم بوحدة الله تعالى وما أنزله على نبيه ﷺ أشرف العلوم العنادية التهكمية والتلميحية : ومنها ما استعمل في ضد معناه أو نقيضه بتزليل التضاد أو التناقض^(٤) منزلة التناسب بواسطة تهكم أو تلميح^(٥) على ما سبق في التشبيه ، كقوله^(٦) تعالى (فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) ويخص هذا النوع باسم التهكمية أو التلميحية^(٧).

(١) أى من استعارته للضعيف ، لأن بعد الأضعف من الأشد أكثر ، فتكون المبالغة فيه أظهر .

(٢) الأولى — فكل — لأن المقام للتفريع .

(٣) ى — ١٢٢ — س — ٦ — والشاهد هنا في استعارة (أحييناه)

(٤) التضاد هو تقابل الأمرين الوجوديين اللذين لا يجتمعان وقد يرتفعان ، كالبياض والسواد . والتناقض تقابل الأمرين اللذين لا يجتمعان ولا يرتفعان وأحدهما وجودى والآخر عدمى . كحيوان ولا حيوان .

(٥) قد سبق تعريف التهكم والتلميح في ص ٧٦

(٦) ى — ٢١ — س — ٣ — فقد استعيرت فيه البشارة وهى الإخبار

بما يسر للإنذار وهو ضدها بإدخاله فى جنسها على سبيل التهكم ، ثم اشتق من البشارة — بشر — بمعنى أنذر .

(٧) منه قول الشاعر :

سليانٌ ميمونٌ السَّقِيَّةَ حازمٌ ولَسَكِنَّهُ وَقَفَّ عليه الهزائمُ

أقسام الاستعارة باعتبار الجامع : ما يدخل جامعها في مفهوم الطرفين :
وأما باعتبار الجامع فهي قسمان : أحدهما ما يكون الجامع فيه داخلا
في مفهوم الطرفين ^(١) ، كاستعارة الطيران للعدو ، كما في قول امرأة من بني
الحارث ترثي قتيلا :

لَوْ يَشَا طَارَ بِهِ ذُو مَيْعَةٍ لَا حَقُّ الْآطَالِ نَهْذُهُ ذُو خُصْلٍ ^(٢)
وكما جاء في الخبر : كلما سمع هَيْعَةً طَارَ إِلَيْهَا ^(٣) ، فإن الطيران والعدو
يشتركان في أمر داخل في مفهومهما وهو قطع المسافة بسرعة ^(٤) ولكن
الطيران أسرع من العدو ، ونحوهما قول بعض العرب :

فَطَرْتُ بِمَنْضَلِي فِي يَعْمَلَاتِ دَوَامِي الْأَيْدِي نَجْطُنَ السَّرِيحَا ^(٥)
يقول : إنه قام بسيفه مسرعا إلى نوق فعقرهن ودَمَيْتَ أَيْدِيَهُنَّ نَجْطُنَ
السيور المشدودة على أرجلهن . وكاستعارة الفيض لانبساط الفجر في قوله :

وقول أبي تمام :

أَنْبَشْتُ عُشْبَةَ يَعْوَى كِي أَشَاتِمَهُ اللَّهُ أَكْبَرُ أَقَى أَنْتَامَدَ الْأَسَدِ
وفي رواية — النقد — بدل الأسد ، وهو جنس من الغنم قبيح .
(١) بأن يكون جنساً أو فصلاً لمفهومهما .

(٢) قولها — يشا — أصله يشاء والضمير فيه لمن ترثيه ، والميعة النشاط ،
والآطال جمع إطل وهو الحاصرة ولا حقها ضامرهما ، والنهد القوى ، والحصل
جمع خصلة وهي الشعر المتجمع ، تعني أنه لو شاء لأنجاه ذلك الفرس بانهمزاه عليه ،
وقد نسب العيني في الشواهد الكبرى هذا البيت لعلقة .

(٣) هو من قوله وَيَا أَيُّهَا النَّاسُ خَيْرٌ لَكُمْ الْيَقِينُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ «خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه ، كلما سمع
هَيْعَةً طَارَ إِلَيْهَا ، الحديث ، والهيعة الصيحة .

(٤) لا يخفى أن السرعة في الطيران لازمة له وليست داخلة في مفهومه .

(٥) هو لمضرس بن ربيع الفقعي ، والمنصل السيف ، واليَعْمَلَاتُ النوق
المطبوعة على العمل ، والأيد مخفف الأيدي ، والسرّيح السير الذي يشد على أرجلها

كالفجر فاض على نجوم الغيب^(١)

فإن الفيض موضوع لحركة الماء على وجه مخصوص ، وذلك أن يفارق مكانه دفعة فينبسط ، ولفجر انبساط شبيه بذلك . وكاستعارة التقطيع لتفريق الجماعة وإبعاد بعضهم عن بعض في قوله^(٢) تعالى (وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَمْثَالاً) فإن القطع موضوع لإزالة الاتصال بين الأجسام التي بعضها ملتزق ببعض ، فالجامع بينهما إزالة الاجتماع التي هي داخلية في مفهومهما ، وهي في القطع أشد . وكاستعارة الخياطة لسرد الدرع في قول القُطامي :

لَمْ تَلْسُقْ قَوْمًا هُمْ شَرٌّ لِإِخْوَتِهِمْ مَنَّا عَشِيَّةَ يَجْرِي بِالْدَّمِ الْوَادِي
تَقْرِيبُهُمْ لِهَؤُلَاءِ مَيِّاتٍ نَقَدْتُ بِهَا مَا كَانَ خَاطَ عَلَيْهِمْ كُلُّ زَرٍّ أَدِ^(٣)
فإن الخياطة تضم خرقَ القميص والسرد يضم حلقَ الدرع ، فالجامع بينهما الضم الذي هو داخل في مفهومهما ، وهو في الأول أشد . وكاستعارة النثر لإسقاط المنهزمين وتفريقهم في قول أبي الطيب :

(١) هو من قول البهري :

يَتَرَاكُمُونَ عَلَى الْأَسِنَّةِ فِي النُّوْغَى كالفجر فاض على نجوم الغيب

وقوله — يتراكمون — بمعنى يجتمعون بكثرة وازدحام ، والأسنة الرماح ، والنوغى الحرب ، والغيب الظلمة ، وإنما جعلهم كالفجر بالنظر إلى ما عليهم من الدروع اللامعة .

(٢) ي — ١٦٨ — س — ٧

(٣) هما لعمر بن شيم المعروف بالقطامي ، وضمير الغيبة في — تقريهم — لإخوتهم في البيت قبله وكانوا أعداءهم ، والقرى في الأصل طعام الضيف فاستعير لضربهم باللهذميات على سبيل الاستعارة التهكمية ، واللهذميات جمع لهزم وهو السيف القاطع والنسبة فيها للبالغة ، والزرد صانع الزرد وهو الدرع ، وإسناد الجري إلى الوادي مجاز عقلي .

نَشْرَتَهُمْ فَوْقَ الْأَحْيَدِ نَثْرَةً كَمَا نَشْرَتِ فَوْقَ الْعُرُوسِ الدَّرَاهِمُ^(١)
لأن النثر أن يُجْمَعَ أشياء في كف أو وعاء ثم يقع فعل تتفرق معه دفعة
من غير ترتيب ونظام ، وقد استعاره لما يتضمن التفرق على الوجه المخصوص ،
وهو ما اتفق من تساقط المنهزمين في الحرب دفعة من غير ترتيب ونظام ،
ونسبه إلى الممدوح لأنه سبيه^(٢)

ما يخرج جامعها عن مفهوم الطرفين : والثاني ما يكون الجامع فيه غير
داخل في مفهوم الطرفين ، كقولك — رأيت شمساً — وتريد إنساناً يتהלل
وجهه ، فالجامع بينهما التلألؤ ، وهو غير داخل في مفهومهما^(٣)

الاستعارة العامة والخاصية : وتنقسم باعتبار الجامع أيضاً إلى عامة
وخاصية^(٤) فالعامة المبتدلة لظهور الجامع فيها ، كقولك — رأيت أسداً ،
ووردت بحراً — والخاصية الغربية التي لا يظفر بها إلا من ارتفع
عن طبقة العامة ، كما سيأتي من الاستعارات الواردة في التنزيل . وكقول
طُفَيْلِ النُّعْنَويِّ :

(١) الخطاب في — نثرتهم — لسيف الدولة ، والأحيدب جبل ببلاد الروم .

(٢) فهو مجاز عقلي .

(٣) من هذا أيضاً قول الشاعر :

فِي الْحَدِّ إِنْ عَزَمَ الْخَلِيطُ رَحِيلاً مَطَرُهُ تَزِيدُ بِهِ الْحُدُودُ مَحُولاً
وقول الآخر :

أَثْمَرْتُ أَغْصَانُ رَاحَتِهِ لَجْنَةِ الْحُسْنِ عُنَاباً

وإني أرى أنه ليس لتقسيم الاستعارة بهذا الاعتبار كبير فائدة

(٤) الخاصية أبلغ من العامة ، والمقبول منهما مالا يبعد جداً حتى يغيب

عن الفهم ، ومالا يقرب جداً فيستبرد ، ولكل منهما مقامات تليق به .

وجعلت كُورِي فوق ناجية يَقْتَاتُ شَحْمَ سَنَامِهَا الرَّحْلُ (١)
وموضع اللطف والغراية منه أنه استعار الاقتيات لإذهاب الرحل شحم
السنام ، مع أن الشحم مما يَقْتَاتُ . وقول ابن المعتز :

حتى إذا ما عَرَفَ الصَّيْدَ الضَّارَ وَأَذِنَ الصَّبْحُ لَنَا فِي الْإِنْصَارِ (٢)
لما كان تعذر الإبصار منعاً من الليل جعل إمكانه عند ظهور الصبح إذناً
منه . وقول الآخر :

بِعُرْضِ تَسْوِفَةٍ لِلرَّيْحِ فِيهِ نَسِيمٌ لَا يَرُوعُ فِي التَّرَابِ (٣)
وقوله :

مِنَاجِينِي الْإِخْلَافُ مِنْ تَحْتِ مَظْلَةٍ

فَتَخْتَصِمُ الْأَمَالُ وَالنِّيَاسُ فِي صَدْرِي (٤)

(١) هو لطفي بن عوف الغنوي ، والكور رحل البعير ، والناجية الناقة
السريعة ، وإنما أفاد اقتيات الشحم الغراية لأن فيه تخييل أن ذلك حقيقة .

(٢) هو لعبد الله بن المعتز ، والضار تخفيف الضاري وهو المتعود للصيد
فاعل مؤخر والصيد مفعول مقدم ، يعني أنه عرف ما يصيده بذهاب الظلة ،
وفي رواية — حتى إذا ما عرف الصيد انصار — أي انضم وانجمع أومال ،
يصف بهذا بازي الصيد .

(٣) هو لسوار بن المضرب السعدي ، وقيل : إنه لجحدر بن مالك الحنفي ،
ويروى الشطر الثاني — نسيم لا يروع التراب وان — وقبلة :

سقى الله اليمامة من بلاد فواخها كأرواح الغواني

والتسوية الصحراء أو الأرض الواسعة وعرضها جانبها ، ويروى — فيها —
بدل فيه ، والشاهد في استعارة الروع وهو الفزع لإثارة الريح التراب بجامع
التحريك ، ولا شك أن معرفة هذا الجامع فيهما إنما يدرکها الخاصة .

(٤) هو لعبد الله بن المعتز ، والإخلاف عدم الوفاء ، والمطل التأخير في إجابة
المطلوب ، والشاهد في استعارة المناجاة وهي المسارة بالحديث للخطور في الذهن .

ثم الغرابة قد تكون في الشبه نفسه ^(١) . كما في تشبيه هيئة الغنان في موقعه من قربوس السرج بهيئة الثوب في موقعه من ركبة المُمَحَّبِي في قول يزيد ابن مَسْلَمَةَ بن عبد الملك يصف فرساً له بأنه مُؤَدَّبٌ :

وإذا احتَبَى قَرَبُوسُهُ بَعْنَانِهِ

عَلَّكَ الشَّكِيمَ إِلَى انْصِرَافِ الزَّائِرِ ^(٢)

وقد تحصل بتصريف في العامية ، كما في قول الآخر :

وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ النَّمَطِ الْإِبَاطِحُ ^(٣)

أراد أنها سارت سيراً حثيثاً في غاية السرعة ، وكانت سرعة في لين وسلاسة حتى كأنها كانت سيولا وقعت في تلك الإباطح فجرت بها .

ومثلها في الحسن وعلو الطبقة في هذه اللفظة بعينها قول ابن المعتز :

سَالَتْ عَلَيْهِ شُعَابُ الْحَيِّ حِينَ دَعَا أَنْصَارُهُ بُوْجُوهُ كَالدَّنَانِيرِ ^(٤)

(١) يعنى بالشبه التشبيه أى في التشبيه نفسه لا في الجامع ، بأن يكون تشبيها نادراً لبعد ما بين الطرفين ، كما في البيت ، فإن أحدهما من وادى القعود والآخر من وادى الركوب مع ما في ذلك من كثرة التفصيل .

(٢) الحق أنه لمحمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك ، والقربوس السرج وقيل مقدمه حقيقة أو مجازاً ، والغنان سير اللجام ، وقوله ، — علك — بمعنى مضغ ، والشكيم الحديدية المعترضة في فم الفرس ، يصف فرسه بأنه مؤدب إذا نزل عنه وقف مكانه إلى عودته ، فهو يعنى بالزائر نفسه على الالتفات ، والشاهد في استعارة الاحتباء وهو جمع الرجل ظهره وساقيه ثوب ونحوه لإيقاع الغنان بالقربوس ، ويجوز رفع — قربوسه — على أنه فاعل احتبى .

(٣) هو من ثلاثة أبيات سبقت في الكلام على الإيجاز والإطناب والمساواة في الجزء الثاني ، والشاهد في استعارة سيل السيول في الإباطح لسير الإبل بسرعة في لين وسلاسة .

(٤) هو لعبد الله بن المعتز ، والشعاب جمع شعب وهو الطريق في الجبل

أراد أنه مطاع في الحى ، وأنهم يسرعون إلى نصرته ، وأنه لا يدعوهم
لخطب إلا أتوه وكثروا عليه وازدحموا حواليه حتى تجدهم كالسيول تجمي
من هنا وهناك ، وتَنصَبُ من هذا التَمَسُّيلِ وذاك ، حتى يَغْصُرُ بها الوادى
ويَطْفَحُ منها ، وهذا شبه معروف ظاهر ولكن حسن التصرف فيه أفاد
اللفظ والغرابة ، وذلك أن أسند الفعل إلى الأباطح والشعاب ^(١) دون المطى
أو أعناقها والأنصار أو وجوههم ، حتى أفاد أنه امتلأت الأباطح من الإبل
والشعاب من الرجال على ما تقدم ^(٢) فى قوله ^(٣) تعالى (واشتعل الرأس
شيباً) وفى كل واحد منهما شىء غير الذى فى الآخر يؤكد أمر الدقة
والغرابة ، أما الذى فى الأول فهو أنه أدخل الأعناق فى السير ، فإن السرعة
والبطء فى سير الإبل يظهران غالباً فى أعناقها على ما مر ، وأما الذى فى الثانى
فهو أنه قال — عليه — فعدى الفعل إلى ضمير الممدوح بعلى ، فأكد مقصوده
من كونه مطاعاً فى الحى .

وكما فى قوله :

فَرَعَاءُ إِبْـنٍ نَهَضَتْ لِحَاجَتِهَا عَجَلَ الْقَضِيبِ وَأَبْطَأَ الدَّعْصُ ^(٤)
إذ وصف القضيب بالعجلة والدعص بالبطء ^(٥) .

وقد تحصل الغرابة بالجمع بين عدة استعارات لإلحاق الشكل بالشكل ،
كقول امرئ القيس :

والناحية ، والحى القوم أو مكانهم ، ووجه الشبه فى قوله — بوحوه كالدنانير —
الاستدارة والإشراق . ^(١) هذا مجاز عقلى من إسناد الحال للبحل .
^(٢) فى الكلام على الإيجاز والإطناب والمساواة فى الجزء الثانى من أنه أثر
ذلك على — اشتعل شيب الرأس — ليفيد عمومته للرأس .

(٣) ى — ٤ — س — ١٩

(٤) لا يعرف قائله ، والفرعاء الطويلة ، والقضيب الغصن استعير لقامتها ،
والدعص كشيء الرمل مجتمع استعير لردفها .

(٥) فغرابتها نشأت من المجاز العقلى أيضاً مع ما فيها من الطباق بين — عجل وأبطأ .

فقلت له لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازَ أَوْنَاءِ بَكْلَمِكِلْ (١)
 أراد وصف الليل بالطول فاستعار له صُلْباً يَتَمَطَّى به ، إذ كان كل ذى
 صلب يزيد فى طوله عند تَمَطُّيهِ شَيْء ، وبالغ فى ذلك بأن جعل له أَعْجَازاً
 يردف بعضها بعضاً ، ثم أراد أن يصفه بالثقل على قلب ساهره والضغط
 لِمُكَاَبِدِهِ فاستعار له كَمَكَلَا يَنُوءُ به أى يثقل به . وقال الشيخ عبد القاهر (٢)
 لَمَّا جَعَلَ لِلَّيْلِ صُلْباً قَدْ تَمَطَّى بِهِ ثَنَى ذَلِكَ لِمَا جَعَلَ لَهُ أَعْجَازاً قَدْ أَرْدَفَ بِهَا
 الصُّلْبَ ، وَثَلَّثَ لِمَا جَعَلَ لَهُ كَمَكَلَا قَدْ نَاءَ بِهِ ، فَاسْتَوَى لَهُ جَمَلَةُ أَرْكَانِ الشَّخْصِ ،
 وَرَاعَى مَا يَرَاهُ النَّازِرُ مِنْ سَوَادِهِ إِذَا نَظَرَ قَدَامَهُ وَإِذَا نَظَرَ خَلْفَهُ وَإِذَا رَفَعَ
 الْبَصَرَ وَمَدَّهُ فِي عُرْضِ الْجَوِّ (٣) .

أقسام الاستعارة باعتبار الطرفين والجامع : وأما باعتبار الثلاثة - أعنى
 الطرفين والجامع - فستة أقسام : استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسى ،
 أو بوجه عقلى ، أو بما بعضه حسى وبعضه عقلى ، واستعارة معقول لمعقول ،
 واستعارة محسوس لمعقول ، واستعارة معقول لمحسوس ، كل ذلك بوجه
 عقلى لَمَّا مَرَّ (٤) .

استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسى : أما استعارة محسوس لمحسوس
 بوجه حسى فكقوله (٥) تَعَالَى (فَمَا خَرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورًا)

(١) قوله - تَمَطَّى - بمعنى تمدد ، والصلب عظم فى الظهر ذو فقار يمتد من
 السكاهل إلى أسفل الظهر ، والأعجاز جمع عجز وهو مؤخر الشئ أو الجسم ،
 فالصلب مستعار لوسط الليل ، والكلكل مستعار لمقدمه ، والأعجاز مستعارة
 للأجزاء الأخيرة منه ، وهذه هى الاستعارات التى جمع بينها وجعل من مجموعها
 استعارة واحدة . (٢) ٥٤ - دلائل الأعجاز - المطبعة العربية

(٣) فقابل هذا بالكلكل والأعجاز والصلب على الترتيب .

(٤) فى الكلام على وجه الشبه من استحالة قيام الحسى بالعقل .

(٥) ى - ٨٨ - س - ٢٠

فإن المستعار منه ولد البقرة ، والمستعار له الحيوان الذي خلقه الله تعالى من حُلَى القبط التي سبكتها نار السَّامِرِيِّ عند إلقائه فيها التربة التي أخذها من موطنه حَنِيزُومَ فَرَسٍ جبرائيل عليه السلام ، والجامع لهما الشكل ^(١) والجميع حسي ^(٢) وكقوله ^(٣) تعالى (وَتَرَكْنَاهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ) فإن المستعار منه حركة الماء على الوجه المخصوص ، والمستعار له حركة الإنس والجن أو يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجَ ، وهما حسيان ، والجامع لهما ما يشاهد من شدة الحركة والاضطراب ، وأما قوله ^(٤) تعالى (وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا) فليس مما نحن فيه وإن عُدَّ منه ، لأن فيه تشبيهين: تشبيه الشيب بشوَاطِ النار في بياضه وإنارته ، وتشبيه انتشاره في الشعر باشتعالها في سرعة الانبساط مع تعذر تلافيه ، والأول استعارة بالكناية ، والجامع في الثاني عقلي ^(٥) وكلامنا في غيرهما ^(٦) .

استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلي : وأما استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلي فكقوله ^(٧) تعالى (وَآيَةٌ لَهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ) فإن المستعار منه كشط الجلد وإزالته عن الشاة ونحوها ، والمستعار له إزالة الضوء عن مكان الليل وَمَا تَقَى ظِلَّهُ ، وهما حسيان ، والجامع لهما ما يُعْقَل

(١) أى مع الخوار

(٢) الحق أن مافى الآية تشبيه لا استعارة ، لأن جسداً بدل من — مجلاً — فيكون التقدير فأخرج لهم مثل مجل جسداً له خوار .

(٣) ي — ١٠٠ — س — ١٨ (٤) ي — ٤ — س — ١٩

(٥) قيل : لأنه مركب من حسي وعقلي ، لأن سرعة الانبساط حسية وتعذر التلافي عقلي (٦) أى في غير الاستعارة بالكناية وفي غير الوجه العقلي ، لأن الكلام في استعارة المحسوس للمحسوس استعارة تصريحية بوجه حسي ، وهو يقصد السكاكي بهذا الاعتراض ، والحق أنه لا يرد عليه لأنه جعل هذه الأقسام للاستعارة مطلقاً ولم يخصها بالتصريحية حتى يعترض عليه بذلك .

(٧) ي — ٣٧ — س — ٣٦

من تَرْتَبُ أمر على آخر^(١) وقيل : المستعار له ظهور النهار من ظلمة الليل ، وليس بسديد ، لأنه لو كان ذلك لقال — فإذا هم مبصرون — ونحوه ولم يقل (فإذا هم مُظْلِمُونَ) أى داخلون فى الظلام^(٢) قيل : ومنه قوله^(٣) تعالى (إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ) فإن المستعار منه المرأة ، والمستعار له الريح ، والجامع المنع من ظهور النتيجة والأثر ، فالطرفان حسيان والجامع عقلى . وفيه نظر ، لأن العقيم صفة للمرأة لا اسم لها ، وكذلك جُعِلَت صفة للريح لا اسماً^(٤) والحق أن المستعار منه ما فى المرأة من الصفة التى تمنع من الحمل^(٥) والمستعار له ما فى الريح من الصفة التى تمنع من إنشاء مطر وإلقاح شجر ، والجامع ما ذُكِرَ^(٦) .

-
- (١) الحق أن هذا الترتب حسى لتعلقه بأمر محسوسة ، وإنما يكون الترتب عقلياً فى مثل ترتب النتيجة على العلم بالمقدمات .
- (٢) أجيب عن ذلك بأن المراد بظهور النهار من ظلمة الليل زواله وبقاء الظلمة ، فيكون المعنى فى الوجهين واحداً ، وإن كان مبنى الأول على أن النهار ظرف للظلمة ، ومبنى الثانى على أن الظلمة ظرف للنور . (٣) ي - ٤١ - س - ٥١
- (٤) يريد بهذا أن العقيم هو المستعار منه وهو صفة فهو عقلى لا حسى .
- (٥) هى صفة العقم ، ثم اشتق منها عقيم بعد استعارتها لصفة الريح .
- (٦) على هذا يكون ما فى الآية من استعارة المعقول للمعقول استعارة تصريحية تبعية ، وقد أجيب عن أصل النظر بأن من يجعل المستعار منه المرأة والمستعار له الريح يذهب إلى أن هذا استعارة بالكناية ، ويجعل العقيم قرينة لهذه الاستعارة ، ورد بأن استعارة المرأة للريح معناها ادعاء أن الريح فرد من أفراد النساء وهذا غير مقصود ، لأن ثبوت هذا الريح لا يفيد أنها عقيم ، لأن العقم ليس صفة للنساء مطلقاً ولا غالباً .

ومن استعارة المحسوس للمحسوس بوجه عقلى قول الشاعر :

قَوْلَا لِدُودَانِ عَبِيدِ الْعَصَا مَا غَرَّكُمْ بِالْأَسَدِ الْبَاسِلِ
ومنها أيضاً ما جاء فى المثل : إن البغاث بأرضنا يستنسر

استعارة محسوس لمحسوس بوجه مختلف : وأما استعارة محسوس لمحسوس
بما بعضه حسي وبعضه عقلي فكقولك — رأيت شمساً — وأنت تريد إنساناً
شبهها بالشمس في حسن الطلعة ونباهة الشأن ، وأهمل السكاكي هذا القسم (١)
استعارة معقول لمعقول : وأما استعارة معقول لمعقول فكقوله (٢)
تعالى (مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرَّةٍ قَدَرًا) فإن المستعار منه الرقاد (٣) والمستعار له الموت
والجامع لهما عدم ظهور الأفعال (٤) والجميع عقلي (٥) .

استعارة محسوس لمعقول : وأما استعارة محسوس لمعقول فكقوله (٦)
تعالى (فاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) فإن المستعار منه صدع الزجاج وهو كسرها ،
وهو حسي (٧) والمستعار له تبليغ الرسالة (٨) والجامع لهما التأثير ، وهما عقديان ،

(١) من استعارة المحسوس للمحسوس بوجه مختلف قول الشاعر في رثاء ولده :

وَهَلَالَ أَيَّامُ مَضَى لَمْ يَسْتَدِرْ بَذَرًا وَلَمْ يُجْمَلْ لَوْ قَتَلَ سِرَارِ
عَجَلَ الْكَسُوفِ عَلَيْهِ قَبْلَ أَوَانِهِ فَجَاهَهُ قَبْلَ مَطْنَةِ الْإِبْدَارِ

(٢) ي — ٥٢ — س — ٣٦

(٣) ظاهر هذا أن (مرقدنا) في الآية مصدر ميمي ، ويجوز أن يكون اسم مكان
فيكون المستعار منه الرقاد أيضا ، ثم يشتق منه اسم المكان بعد استعارته للبوت .
(٤) أو البعث ، وقد رجح بأنه في النوم أظهر وأقوى لكونه مما لا شبهة فيه
لأحد ، وعدم ظهور الأفعال بالعكس ، والجامع لابد أن يكون أقوى في المستعار منه
(٥) من استعارة المعقول للمعقول قول الشاعر :

وَإِذَا تَبَاعُ كَرِيمَةً أَوْ تَشْتَرَى فَسَوَاكَ بَائِعُهَا وَأَنْتَ الْمُشْتَرَى
شبه الترك بالبائع والخصول بالاشتراء بجامع الحرمان في الأول والتحقيق
في الثاني ، ثم استعار المشبه به للشبه فيهما واشتق منه تباع بمعنى ترك وتشترى
بمعنى يحصل عليها .

(٦) ي — ٩٤ — س — ١٥ (٧) لتعلقه بحسي

(٨) اعترض على هذا بأنه حسي يدرك بالسمع ، فالأولى أن يجعل المستعار

كأنه قيل : أبْنِ الأمرُ إِبَانَةً لا تنمحي كما لا يلثم صدع الزجاجه . وكقوله (١)
 تعالى (ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ) جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم ،
 فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه ، أو ملصقة بهم حتى لزمتهم ضربة
 لا زَبٍ كما يُضْرَبُ الطين على الحائط فيلزمه ، فالمستعار منه إما ضرب القبة
 على الشخص وإما ضرب الطين على الحائط ، وكلاهما حسي ، والمستعار له
 حالهم مع الذلة ، والجامع الإحاطة أو اللزوم ، وهما عقليان (٢).

استعارة معقول لمحسوس : وأما استعارة معقول لمحسوس فكقوله (٣)
 تعالى (إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ) فإن المستعار له كثرة الماء وهو حسي ،
 والمستعار منه التكبر ، والجامع الاستعلاء المفرط ، وهما عقليان (٤).

أقسام الاستعارة باعتبار المستعار : الأصلية والتبعية : وأما باعتبار
 اللفظ (٥) فقسمان : لأنه إن كان اسم جنس فأصلية ، كأسد وقتل (٦)

له إظهار الدين لأنه لا يلزم أن يكون بطريق حسي .

(١) ي — ١١٢ — س ٣

(٢) يجوز جعل ذلك من الاستعارة المكنية بتشبيه الذلة بالقبة . ومن استعارة
 المحسوس للعقول قول أبي تمام :

وَيَضَعُدُّ حَتَّى يَطْنُ النَّجْهُولُ بَأَنَّ لَهُ حَاجَةً فِي النَّبَاءِ

(٣) ي — ١١ — س ٦٩

(٤) من استعارة المعقول للمحسوس قوله تعالى (وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوهَا أَهْلَكُوهَا بِرِيحٍ

صَرْصَرٍ عَارِيَةٍ) ي — ٦ — س ٦٩ — وقوله أيضاً (تَكَادُ تَمَيِّزُ
 مِنَ الْغَيْظِ كُلُّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ مِمَّا لَهَا خَزَايَا أَلْمَسَتْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ)

ي — ٨ — س ٦٧

(٥) يعني لفظ المشبه به ، وقد ذكروا أن هذا التقسيم يجري في الاستعارة
 المكنية أيضاً (٦) يشير بهما إلى أن اسم الجنس إما اسم ذات كأسد ،
 أو اسم معنى كقتل .

والإفعية ، كالأفعال والصفات المشتقة منها والحروف ، لأن الاستعارة تعتمد التشبيه ، والتشبيه يعتمد كون المشبه موصوفاً ^(١) وإنما يصلح للموصوفية الحقائق ^(٢) كما في قولك — جسم أبيض وبياض صافٍ — دون معاني الأفعال والصفات المشتقة منها والحروف ^(٣) فإن قلت : فقد قيل في نحو — شجاع باسل ، وجواد فياض ، وعالم نحير — إن باسلاً وصف لشجاع وفياضاً وصف لجواد ونحيراً وصف لعالم ^(٤) قلت : ذلك متأول بأن الثواني لا تقع صفات إلا لما يكون موصوفاً بالأول ^(٥) .

فالتشبيه في الأفعال والصفات المشتقة منها لمعاني مصادرها ^(٦) ، وفي الحروف لمتعلقات معانيها ، كالمجورور ^(٧) في قولنا — زيد في نعمة

(١) أي بوجه الشبه بحيث يصح الحكم به عليه ، وكذلك يقتضى التشبيه مثل هذا في المشبه به ، ولو ذكر هذا لكان أنسب باستدلاله .
(٢) يعنى بها الأمور المقررة الثابتة في نفسها من الجواهر والأعراض كأسد وقتل ونحوهما .

(٣) لأن الأفعال والمشتقات غير مقررة ، والحروف غير ثابتة في نفسها (٤) فقد وصفت الصفات المشتقة الثلاث بهذه الصفات كما وصف الجسم والبياض بما سبق ، فلا يكون هناك فرق بينهما في ذلك .

(٥) فقولك — شجاع باسل — مثلاً إنما هو على تقدير — زيد شجاع باسل — فكل منهما في الحقيقة صفة لزيد .

(٦) أي المحققة أو المقدرة كما في الأفعال التي لا مصادر لها .

(٧) هذه طريقة الخطيب في إجراء الاستعارة التبعية في الحروف ، فهي تابعة عنده للتشبيه في متعلقاتها من مجروراتها ونحوها ، وتعلقها بها بمعنى ارتباطها بها ، وليس هو التعلق النحوى المعروف ، وعلى هذا يقال في المثال المذكور : شبهت النعمة على زيد بدار مشتملة عليه ، ثم استعمل في النعمة لفظ — في — كما يستعمل في الدار ونحوها ، والجهور على أن متعلقات الحروف هي معانيها الكلية ، فيجرى التشبيه فيها أولاً ثم تبني عليه الاستعارة فيها ، وعلى هذا يقال في المثال المذكور :

ورفاهية — فَقَدَّرُ التشبيه في قولنا — نطقت الحال بكذا ، والحال ناطقة
بكذا — للدلالة بمعنى النطق ^(١) وعليه في التهكية قوله ^(٢) تعالى (فَبَشِّرْهُمْ
بِعَذَابِ أَلِيمٍ) بدل فأنذرهم ، وقوله ^(٣) تعالى (إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ
الرَّشِيدُ) بدل السفيه الغوى ، وفي لام التعليل ^(٤) كقوله ^(٥) تعالى
(فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا) للعداوة والحزن
الحاصلين بعد الالتقاط بالعلة الغائية للالتقاط ^(٦) .

وما يتصل بهذا أن - يا - حرف وضع في أصله لنداء البعيد ، استعمل
في مناداة القريب لتشبيهه بالبعيد باعتبار أمر راجع إليه أو إلى التمتادي ،
أما الأول فكقولك لمن سها وغفل وإن قرب — يا فلان — وأما الثاني
فكقول الداعي في جواره — يا رب ، يا الله — وهو أقرب إليه من جبل

شبهت ملابس النعمة لصاحبها بملابسة الظرف للظروف ، ثم استعير للشبه اللفظ
الموضوع للتشبه به وهو — في — وبعض الجمهور لا يكتفي بإجراء التشبيه
في متعلقات الحروف بل يوجب إجراءه في جزئياتها بعدها ، وهذا يجعل الاستعارة
في جزئياتها دونها ، والخطب في هذا سهل ، وطريقة الخطيب أظهر .

(١) ثم يستعار النطق للدلالة ثم يشتق من النطق — نطقت أو ناطقة — بمعنى
— دلت أو دالة — والجامع إيصال المعنى إلى الذهن ، ومثله كل الاستعارات
في الأفعال والمشتقات ، فتكون الاستعارة فيها تابعة للاستعارة في مصادرها ،
ولا خلاف هنا بينهم في هذا .

(٢) — ي — ٢١ — س — ٣ — (٣) — ي — ٨٧ — س — ١١

(٤) عطف على قوله — في قولنا نطقت الحال الخ

(٥) — ي — ٨ — س — ٢٨

(٦) هذا على طريقته السابقة ، وأما على طريقة الجمهور فيقال — شبه ترتب
العداوة والحزن على الالتقاط بترتب علة الغائية كالحبة والتبن عليه ، ثم استعير
لشبه اللفظ الموضوع للتشبه به وهو لام التعليل .

الوريد، فإنه استقصار منه لنفسه واستبعادها من مَظَانِّ الرُّلْفَى وما يُقَرَّبُه إلى رضوان الله تعالى ومنازل المقرَّبين ، هضماً لنفسه وإقراراً عليها بالتفريط في جنب الله تعالى ، مع فرط التهالك على استجابة دعوته والأذن^(١) لندائه وابتهاله .

واعلم أن مدار^(٢) قربنة التبعية في الأفعال والصفات المشتقة منها على نسبتها إلى الفاعل كما مر في قولك — نطقت الحال — أو إلى المفعول ، كقول ابن المعتز :

جُمِعَ الْحَقُّ لَنَا فِي إِمَامٍ قَسَلِ الْبُخْلِ وَأَخْيَا السَّخَا^(٣)
وقول كعب بن زهير :

صَبَّخْنَا الْخَزْرَجِيَّةَ مُرْهَفَاتٍ أَبَادَ ذَوَى أُرُومَتِهَا ذَوْوَهَا^(٤)

(١) أى الاستماع .

(٢) يعنى بهذا أن الأكثر في قرينتها أن تكون على ما سيذكره ، وقد تكون قرينتها حالية ، كقوله تعالى (أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَخْيَيْنَاهُ) — ي ١٢٢ — س — وقوله (وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رُبُّكَ) قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنتُمْ^٦ — ي ٧٧ — س — ٤٣

(٣) هو لعبد الله بن المعتز يمدح به والده المعتز بالله ، شبه إزالة البخل بالقتل وإذاعة السباح بالإحياء ، ثم استعير القتل لإزالة البخل واشتق منه — قتل — بمعنى أزال ، واستعير الإحياء لإذاعة السباح واشتق منه — أحيأ — بمعنى أذاع ، وقرينة ذلك نسبة — قتل — إلى البخل ونسبة — أحيأ — إلى السباح .

(٤) الخزرجية هم الخزرج من الأنصار ، والمرهفات السيوف المرفقة ، والأرومة الأصل والضمير المضاف إليه يعود إلى الخزرجية ، والضمير في — ذووها — يعود إلى مرهفات ، وفي رواية — أبان ذوى أرومتها ذووها — فيكون المراد السيوف التي كتب عليها صانعوها أسماء أصحابها كما هي عادة ملوكهم ، والشاهد

والفرق بينهما أن الثاني مفعول ثان دون الأول. ونظير الثاني قوله :

تَقْرِيهُمْ لِهَذِمَاتٍ تَقْدُ بِهَا مَا كَانَ خَاطَ عَلَيْهِمْ كُلُّ زَرَادٍ (١)

أو إلى المفعولين : الأول والثاني ، كقول الحريري :

وَأَقْرَى الْمَسَامِعَ إِمَّا نَطَقْتُ بَيَانًا يَقُودُ الْحُرُونَ الشُّمُوسًا (٢)

أو إلى المجرور كقوله (٣) تعالى (فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)

قال السكاكي (٤) أو إلى الجميع ، كقول الآخر :

تَقْرَى الرِّيحُ رِيَاضَ الْحَزَنِ مُزْهِرَةً

إِذَا سَرَى النَّوْمُ فِي الْأَجْفَانِ إِيقَاطًا (٥)

وفيه نظر (٦)

في قوله — صبحنا الخ — لأنه في الأصل بمعنى التحية بالسلام صباحا ، فاستعير لضربهم بالمرهقات على سبيل التهمك ، والقرينة نسبة — صبحنا — إلى مرهقات . (١) أنظر ص ١٢١ ، والشاهد في قوله — تقرهم لهذميات — وهي استعارة تهكمية أيضا .

(٢) هو للقاسم بن علي المعروف بالحريري ، وقوله — أقرى — مأخوذ من القرى وهو طعام الضيف ، وروى — وأقر — على أنه فعل أمر ، والحرون والشموس بمعنى واحد وهو الذي لا ينقاد ، والشاهد في قوله — وأقرى المسامع — استعير القرى لإلقاء البيان في الأذان بقرينة نسبته إلى مفعوليته .

(٣) — ي — ٢١ — س — ٣ — (٤) ٢٠٤ — المفتاح

(٥) لا يعرف قائله ، والحزن الأرض الغليظة ، وإيقاطاً مفعول ثان لتقرى ، استعار القرى لإحداث الرياح الإيقاظ في الرياض بقرينة نسبته إلى الفاعل والمفعولين والمجرور جميعاً ، والمعنى أنها تهزها عند هبوبها عليها إذا نامت أجفان الناس .

(٦) لأن المجرور وهو الأجفان لا يدخل في القرينة لتعلقه مع جاره بقوله

— سرى — لا بقوله — تقرى — ولعله يعلقهما بقوله — إيقاظاً

أقسام الاستعارة باعتبار الخارج : المطلقة : وأما باعتبار الخارج
فثلاثة أقسام :

أحدها — المطلقة ، وهي التي لم تقترن بصفة ولا تفريع كلام^(١) والمراد
المعنوية لا النعت .

المجردة : وثانيها — المجردة ، وهي التي قرنت بما يلائم المستعار له^(٢)
كقول كثير :

غَمَرُ الرَّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا غَلِقَتْ لِضَحْكَتِهِ رِقَابُ النَّمَالِ^(٣)
فإنه استعار الرداء للمعروف لأنه يصون عرض صاحبه كما يصون

(١) يعني أنها لم تقترن بصفة ولا تفريع يلائم المستعار له أو المستعار منه
لا مطلق صفة وتفريع ، والفرق بين الصفة والتفريع أن الملائم إن كان من بقية
جملة الاستعارة فهو صفة ، وإن كان كلاماً مستقلاً عنها فهو تفريع ، ومن الاستعارة
المطلقة قول الشاعر :

فَرَعَاءُ إِن نَهَضَتْ لِحَاجَتِهَا عَجَلَ الْقَضِيبُ وَأَبْدَأَ الدُّعْصُ

(٢) يعني أنها قرنت بصفة أو تفريع يلائمه ، ولا بد أن يكون هذا زائداً
على قرينتها ، لأن القرينة من جملة الاستعارة وهي مما يلائم المستعار له ، فإذا لم
يكن فيها مما يلائمه إلا القرينة فهي مطلقة ، والأول أولى بالقرينة وما بعده تجريد

(٣) هو لكثير بن عبد الرحمن المعروف بكثير عزة ، والغمر الكثير
وهو إما مأخوذ من — غمر الماء — إذا كثر ، أو من قولهم — ثوب غامر —
أي واسع ، فيكون تجريداً على الأول وترشيداً على الثاني ، وقوله — غلقت الخ —
بمعنى تمكنت من أيدي السائلين ، يقال — غلق الرهن في يد المرتين — إذا لم
يقدر الرهن على انفكاكه ، وقوله — تبسم ضاحكاً — قرينة الاستعارة ، وفي رقاب
المال استعارة بالكناية .

الرداء ما يُلْتَقَى عليه ، ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف لا الرداء. (١)
 فنظر إلى المستعار له ، وعليه قوله (٢) تعالى (فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ
 وَالْخَوْفِ) حيث قال (أذاقها) ولم يقل كساها ، فإن المراد بالإذاقة
 إصابتهم بما استعير له اللباس (٣) كأنه قال : فأصابتها الله بلباس الجوع
 والخوف (٤) قال الزمخشري : الإذاقة جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها
 في البلايا والشدائد وما يَمَسُّ الناسَ منها ، فيقولون — ذاق فلان البؤس
 والضر ، وأذاقه العذاب — شبه ما مئدرِكُ من أثر الضر والألم بما مئدرِكُ
 من طعم السمِّ والنَّبشِيعِ (٥) فإن قيل : الترشيح أبلغ من التجريد فهلاً
 قيل — فكساها الله لباس الجوع والخوف — قلنا : لأن الإدراك بالذوق
 يستلزم الإدراك باللسان من غير عكس ، فكان في الإذاقة إشعار بشدة
 الإصابة بخلاف الكسوة . فإن قيل : لَمْ يَقُلْ — فأذاقها الله طعم
 الجوع والخوف ؟ قلنا : لأن الطعم وإن لام الإذاقة فهو مَفْقُوتٌ لِمَا يَفِيدُهُ
 لفظ اللباس من بيان أن الجوع والخوف عمَّ أثرهما جميع البدن
 عموم الملابس.

المرشحة : وثالثها — المرشحة ، وهي التي قُصِرَتْ بما يلائم المستعار
 منه (٦) كقوله :

(١) هذا على أنه مأخوذ من — غمر الماء — كما سبق ، لأن المعروف يوصف
 بالكثير دون الرداء . (٢) ي — ١١٢ — س — ١٦

(٣) يريد بما استعير له اللباس ما يغشى الإنسان من بعض الحوادث كالعذاب
 ونحوه . (٤) على هذا تكون الإذاقة تجريداً .

(٥) يجوز أن يشبه ما يغشى الإنسان من ذلك بمطعم مر على طريق
 الاستعارة المكنية .

(٦) هذا قد يكون صفة وقد يكون تفريراً كما سبق في المجردة ، ولا بد

مِنَّا زِعْنِي رِدَائِي عَبْدُ عَمْرِو رُوَيْدَكَ يَا أَخَا عَمْرِو بْنِ بَكْرٍ
 إِلَى الشَّطْرِ الَّذِي مَلَكَتْ يَمِينِي وَدُونَكَ فَأَعْتَجِرْ مِنْهُ بِشَطْرٍ (١)
 فإنه استعار الرداء للسيف لنحو ما سبق ، ووصفه بالاعتجار الذي
 هو وصف الرداء فنظر إلى المستعار منه ، وعليه قوله (٢) تعالى (أُولَئِكَ
 الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبَحَتِ تِجَارَتُهُمْ) فإنه استعار
 الاشتراء للاختيار وقصفاء بالربح والتجارة للذين هما من متعلقات
 الاشتراء ، فنظر إلى المستعار منه .

وقد يجتمع التجريد والترشيح ، كما في قول زهير :

لَدَى أَسَدٍ شَاكِيَ السَّلَاحِ مَقْدَفٌ لَهُ لَيْدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُقْلَمِ (٣)
 والترشيح أبلغ من التجريد (٤) لاشتماله على تحقيق المبالغة ،
 ولهذا كان مبناه على تناسي التشبيه (٥) حتى إنه يُوضَعُ الكلام في علو

أن يكون في الاستعارة بالكناية الآتية زائداً على قريبها ، لأن الأقسام الثلاثة
 تأتي فيها كما تأتي في الاستعارة التصريحية .

(١) لا يعرف قائلهما ، ورويد مصدر نائب عن فعله بمعنى أمهل ، والشطر
 النصف ، وقوله — اعتجر — أمر من الاعتجار وهو الاعتماد ، ويقال — اعتجرت
 المرأة — إذا لبست المعجر وهو ثوب تشده على رأسها ، والمراد بالشطر الذي
 ملكت يمينه قائم السيف وبالشطر الآخر صدره ، يعني أنه سيضربه على رأسه
 بصدر سيفه .

(٢) ي — ١٦ — س — ٢

(٣) انظر ص ١٠٢ ، والاستعارة في قوله — أسد — وشاكى السلاح
 تجريد ، ومقذف تجريد إن كان بمعنى مقذف في الحروب وإلا فليس بتجريد
 ولا ترشيح ، وما بعده إلى آخر البيت ترشيح .

(٤) هو أيضاً أبلغ من الإطلاق ، ومن الجمع بين التجريد والترشيح لأنه في حكم
 الإطلاق ، والإطلاق وما في حكمه أبلغ من التجريد .

(٥) أي على كمال تناسيه لأن الاستعارة كلها مبنية على تناسيه لا الترشيح

المنزلة وضعه في علو المكان، كما قال أبو تمام :

وَيَصْعَدُ حَتَّى يَظُنَّ الْجُهُولُ بَأَنَّ لَهُ حَاجَةً فِي السَّمَاءِ (١)
فلولا أن قصده أن يتناسى التشبيه ويصمم على إنكاره فيجعله صاعداً
في السماء من حيث المسافة المكانية لَمَا كان لهذا الكلام وجه .
وكما قال ابن الرومي :

يَا آلَ نَوْبَخْتٍ لَا عَدِمْتُكُمْ وَلَا تَبَدَّلْتُ بِعَدَمِكُمْ بَدَلًا (٢)
إِنْ صَحَّ عِلْمُ النُّجُومِ كَانَ لَكُمْ حَقًّا إِذَا سَوَّاكُمْ انْتِحَلًا (٣)
كَمْ عَالَمٍ فِيكُمْ وَلَيْسَ بَأَنَّ قَاسَ وَلَكِنْ بَأَنَّ رَقِيَ فَعَلًا (٤)
أَعْلَاكُمْ فِي السَّمَاءِ يَجِدُكُمْ فَلَسْتُمْ تَجْهَلُونَ مَا جَهَلًا

وحده ، ولو جعل الترشيح مبنيًا على تناسي الاستعارة لكان أولى .

(١) هو في رثاء خالد بن يزيد الشيباني ، وقوله :

فقد مات جدُّك جد الملوك ونجم أليك حديث الضياء
فما زال يقرع تلك العلاء مع النجم مرتدياً بالعماء

شبه ارتقاء منزلته بالصعود الحسى ، ثم اشتق من الصعود يصعد بمعنى ترتق
منزلته ، والجهول مبالغة في الجاهل ، ولو ترك المبالغة في ذلك لكان أليق
بما يقصد من المبالغة في المدح ، ولعله يعني أن الجاهل هو الذي يظن ذلك ،
أما غيره فيعرف أنه لا حاجة له فيها لسكال غناه .

(٢) الآيات لعل ابن العباس المعروف بابن الرومي في مدح أبي سهل النوبختي ،
ولآل نوبخت شهرة بالفلك والنجوم والحكمة ، وكان جدهم نوبخت منجيا للنصور .

(٣) قوله — اتحل — بمعنى ادعى لنفسه شيئاً هو لغيرها . (٤) يعني

بقوله — قاس — أخذ علم النجوم بطريق القياس والمضاهاة والتخمين ، وقوله

— فعلاً — معطوف على رقى أو تقديره فعل بَأَنَّ رقى ، والشاهد في قوله — رقى —

وما بعده من قوله — أعلاكم في السماء الخ — فقد استعار فيه العلو الحسى للارتفاع

في المجد ، ثم تناسى التشبيه وبنى عليه أنهم أخذوا علم النجوم عن الكواكب بالمشافهة

شَافَهُمْ الْبَدْرُ بِالسَّوَالِ عَنْ ذَلِكَ أَمَرَ إِلَى أَنْ يَلْعَنَهُمْ زُحَلًا (١)
وكما قال بشار :

أَتَسْتَنِي الشَّمْسُ زَائِرَةً ولم تَكْ تَبْرَحِ النُّفْلَاكَ (٢)
وكما قال أبو الطيب :

كَبُرَتْ حَوْلَ دِيَارِهِمْ لَمَّا بَدَتْ منها الشَّمْسُ وليس فيها النُّمُشْرُقُ (٣)
وكما قال غيره :

وَلَسَمَ أَرَقْبِلِي مَنْ مَشَى الْبَدْرُ نَحْوَهُ وَلَا رَجُلًا قَامَتْ نَعَائِقُهُ الْأَسَدُ (٤)
ومن هذا الفن (٥) ما سبق من التعجب والنهي عنه (٦) غير أن مذهب
التعجب على عكس مذهب النهي عنه ، فإن مذهبه إثبات وصف ممتنع بثبوته
للمستعار منه (٧) ومذهب النهي عنه إثبات خاصة من خواص المستعار منه (٧)

(١) زحل أعلى الكواكب السيارة .

(٢) هو لبشار بن برد ، وقوله - تبرح - بمعنى تفارق ، وقد استعار الشمس
لمحبوبته ثم تناسى التشبيه فبنى عليه قوله - ولم تك تبرح الفلكا .
(٣) يعني بقوله - كبرت - أنه قال الله أكبر تعجباً ، والشاهد في أنه استعار
الشمس لممدوحه ثم تناسى التشبيه فتعجب من طلوعها من ديارهم بالمغرب مع أنها
إنما تطلع من المشرق .

(٤) الحق أن هذا البيت لأبي الطيب أيضاً لا لغيره كما ذكر الخطيب ، وهو من
قصيدة له في مدح محمد بن سيار التميمي ، ورواية الديوان البحر بدل البدر ، وقبله :
فلما رآني مقبلاً هزَّ نفسه إلى حسام كلِّ صفح له حدُّ
والشاهد في أنه استعار البدر والأسد لممدوحه ، ثم تناسى التشبيه فذكر أنه
لم ير قبله من مشى البدر إليه وعانقته الأسد .

(٥) يريد به أسلوب البناء على تناسي التشبيه (٦) أنظر ص ١١٢

(٧) كإثبات التظليل للشمس في البيتين السابقين هناك .

(٨) كإثبات بلى الغلالة للقمر في البيت السابق هناك ، فإنه من خواصه فلا يصح
التعجب منه .

وإذا جاز البناء على المشبه به ^(١) مع الاعتراف بالمشبه — كما في قول
العباس بن الأحنف :

هِيَ الشَّمْسُ مُسْكِنُهَا فِي السَّمَاءِ فَعَزَّ الْفُؤَادَ عَزَاءً جَمِيلًا ^(٢)
فَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْهَا الصُّعُودَ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْكَ النُّزُولَ
وقول سعيد بن حميد :

قُلْتُ: زُورِي فَأَرْسَلَتْ أَنَا آتِيكَ شَجَرَةً ^(٣)
قُلْتُ: فَالَلَيْلُ كَانَ أَخَذَ فَنِي وَأَذْنِي مَسْرَةً
فَأَجَابَتْ بِحُجَّةٍ زَادَتْ الْقَلْبَ حَسْرَةً
: أَنَا شَمْسٌ وَإِنَّمَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ بُكْرَةً ^(٤)

فَلَنْ يَجُوزَ مَعَ جُحْدِهِ فِي الِاسْتِعَارَةِ أَوَّلَى .

ومن هذا الباب ^(٥) قول الفرزدق :

(١) المراد بالبناء على المشبه به ذكر ما يلائمه ، وبالإعتراف بالمشبه ذكره
وعدم ادعاء دخوله في المشبه به ، والمقصود من هذا زيادة تقرير ما سبق من البناء
على تناسي التشبيه .

(٢) قوله — فعز — بمعنى أحمله على العزاء وهو الصبر ، والعزاء الجميل هو
الذي لا قلق معه ، يعني أنها إذا كانت كذلك فلا فائدة في طلبها ، والشاهد في أنه شبه
محبوبته بالشمس ثم بنى على هذا ما يلائم المشبه به وهو أن مسكنها في السماء الخ .
(٣) السحرة هي السحر الأعلى ويكون قبيل الصبح .

(٤) البكرة أول النهار وهي ملابسة للسحرة التي وعدته بأنها تأتيه فيها ،
ويجوز أن يكون مرادها أنها تبتدىء الذهاب إليه سحرة وتنتهي إليه بكرة ،
والشاهد في أنها شبهت نفسها بالشمس ثم بنت على هذا ما يلائم المشبه به وهي أنها
إنما تطلع بكرة .

(٥) أى باب البناء على المشبه به مع الاعتراف بالمشبه .

أَبِي أَحْمَدُ الْغَيْشِيْنِ صَعَصَعَةُ الَّذِي

مَتَى تُخْلِفِ النَّجُوزَاهُ وَالْدَّلُو يُمَطِّرُ

أَجَارَ بَنَاتِ الْوَائِدِيْنَ وَمِنْ يُجْرُ عَلَى السَّمَوَاتِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ غَيْرُ مُخْفَرٍ ^(١)
ادْعَى لِأَيِّهِ اسْمَ الْغَيْثِ ادْعَاءً مِنْ سَلَمٍ لَهُ ذَلِكَ ، وَمَنْ لَا يَخْطُرُ بِبَالِهِ أَنَّهُ
مُتَنَاوِلٌ لَهُ مِنْ طَرِيقِ التَّشْبِيهِ .

وَكَذَا قَوْلُ عَدِيِّ بْنِ الرَّقَّاعِ يَصِفُ حَمَارَيْنِ وَحَشِيَيْنِ :

يَتَعَاوَرَانِ مِنَ الْغُبَارِ مُلَامَةً بِيضَاءَ مُحْكَمَةً هُمَا نَسْجَاهَا ^(٢)

تُطْوِي إِذَا وَرَدَا مَكَانًا مُخْزَنًا وَإِذَا السَّيَّانُ بِكَ أَسْهَلْتَ نَشْرَاهَا ^(٣)

الْحِجَازِ الْمَرْكَبِ أَوْ التَّمْثِيلِ :

وَأَمَّا الْحِجَازُ الْمَرْكَبُ فَهُوَ اللَّفْظُ الْمَرْكَبُ الْمُسْتَعْمَلُ فِيمَا شَبِهَ بِمَعْنَاهُ الْأَصْلِي

(١) هُمَا لَهْمَانِ بَنَ غَالِبِ الْمَعْرُوفِ بِالْفَرَزْدَقِ ، وَأَحْمَدُ الْغَيْشِيْنِ أَحَقَّهُمَا بِالْحَمْدِ وَهُوَ
خَيْرُ أَبِي ، وَصَعَصَعَةُ بَدَلُ أَوْ بَيَانٌ وَهُوَ جَذَهُ وَالْجَدَّابُ ، وَالْجُوزَاءُ وَالْدَّلُو بَرَجَانِ
فِي السَّمَاءِ يَكْثُرُ فِيهِمَا الْمَطَرُ ، وَكَانَ الْعَرَبُ إِذَا وَافَقَ سَقُوطُ النُّجُومِ مَطَرًا نَسَبُوهُ إِلَيْهِ ،
وَقَالُوا : سَقَيْنَا بِالنُّجُومِ . وَإِذَا أَخْطَأَهُمُ الْمَطَرُ قَالُوا : أَخْطَأَنَا النُّجُومُ . وَالْوَائِدُونَ
اسْمُ فَاعِلٍ مِنَ الْوَادِ وَهُوَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَهُ مِنْ قَتْلِ بَنَاتِهِمْ خَوْفَ الْعَارِ أَوْ الْفَقْرِ ،
وَكَانَ صَعَصَعَةُ جَدُ الْفَرَزْدَقِ يَشْتَرِيْنِ وَيَحْمِيَهُنَّ مِنَ الْمَوْتِ ، وَالْمُخْفَرُ اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ
أَخْفَرَ بِمَعْنَى أَزَالَ الْخَفَارَةَ وَهِيَ اسْمُ مَنْ خَفَرَهُ بِمَعْنَى مَنَعَهُ وَحَمَاهُ ، وَالشَّاهِدُ فِي قَوْلِهِ
— أَبِي أَحْمَدُ الْغَيْشِيْنِ — لِأَنَّهُ يَتَضَمَّنُ تَشْبِيْهَهُ بِالْغَيْثِ ، وَقَدْ بَنَى عَلَى هَذَا مَا يَلَامُ
الْمُشَبَّهَ بِهِ وَهُوَ أَنَّهُ يُمْطَرُ إِذَا أَخْلَفَتِ الْجُوزَاءُ وَالْدَّلُو .

(٢) قَوْلُهُ — يَتَعَاوَرَانِ — بِمَعْنَى يَتَنَاوَبَانِ .

(٣) قَوْلُهُ — تُطْوِي — بِمَعْنَى تَلْفُ فَتَزُولُ عَنْهُمَا ، وَالْمَكَانُ الْمُخْزَنُ هُوَ الَّذِي
تَغْلُظُ أَرْضُهُ فَلَا يَكُونُ فِيْهَا غُبَارٌ ، وَالسَّنَابِكُ جَمْعُ سَنَبَكٍ وَهُوَ طَرَفُ الْحَافِرِ ،
وَقَوْلُهُ — أَسْهَلْتَ — بِمَعْنَى وَرَدْتَ الْمَكَانَ السَّهْلَ ، وَالشَّاهِدُ فِي أَنَّهُ شَبِهَ الْغُبَارَ بِالْمَلَامَةِ
وَهِيَ ثَوْبٌ مَعْرُوفٌ ، ثُمَّ بَنَى عَلَى هَذَا مَا يَلَامُهَا مِنَ النَّسِجِ وَالطِّيِّ وَالنَّشْرِ .

تشبيه التمثيل (١) للمبالغة في التشبيه (٢) أى تشبيه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بالأخرى (٣) ثم تدخل المشبهة في جنس المشبه بها مبالغة في التشبيه ، فتذكر بلفظ آمن غير تغيير بوجه من الوجوه ، كما كتبت به الوليد ابن يزيد (٤) لَمَّا بُوِيعَ إِلَى مروان بن محمد وقد بلغه أنه متوقف في البيعة له: أما بعد فإني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى (٥) فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت ، والسلام — شبه صورة تردده في المَبَايَعَةِ بصورة تردد

(١) هذا يفيد أن المجاز المركب لا يكون في المجاز المرسل كما يكون في الاستعارة ، والحق أنه يكون في المرسل أيضاً ، ومن هذا استعمال الخبر في الإنشاء وبالعكس ، والعلاقة فيهما الضدية أو اللزوم ، كقول الشاعر :

أَلَا يَا اسْلَمِي يَا دَارِمِي عَلَى الْبَلِيِّ وَلَا زَالَ مُنْهَلًا بِجَرِّ عَائِكَ الْقَطْرِ
وقول الآخر :

وَمَنْ ذَا الَّذِي تَرْضَى سَجَايَاهُ كُلُّهَا كَفَى الْمَرْءَ نُبْلًا أَنْ تَعُدَّ مَعَايِيَهُ
(٢) يشير بهذا إلى اتحاد الغاية في المجاز المفرد والمركب وهي المبالغة في التشبيه ، ولا يقصد به الاحتراز عن شيء .

(٣) إنما فسر التعريف بهذا لدفع ما يوهمه قوله فيه — تشبيه التمثيل — من أن طرفي المجاز المركب قد يكونان مفردين ، لأن تشبيه التمثيل ما كان وجهه منتزعا من متعدد ولو كان طرفاه مفردين ، كقول الشاعر :

وقد لَاحَ فِي الصَّبْحِ الشَّرِيبَ لَمَنْ رَأَى كَعَنْقُودٍ مُلَاحِيَةٍ حِينَ تَوَخَّرَا
فإذا قيل فيه على طريق الاستعارة — رأيت عنقود ملاحية في السماء — كان هذا مجازاً مفرداً لا مركباً وإن كان أصله تشبيه تمثيل ، ولا وجه عندي للتفريق في هذا بين التشبيه والاستعارة .

(٤) ذكر الجاحظ في — البيان والتبيين — أن هذا كان مع يزيد بن الوليد ، وهو الظاهر من تاريخ مروان معهما .

(٥) لم يرضوا هنا أن تقدر هذه العبارة على ظاهرها وهو أنه يقدم رجلاً ويؤخر رجلاً أخرى ، لأنهم فهموا هذا على أنه يقدم رجلاً إلى الأمام ويؤخر

من قام ليذهب في أمر ، فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلاً ، وتارة لا يريد فيؤخر أخرى^(١) ، وكما يقال لمن يعمل في غير مَعْمَل — أراك تنفخ في غير فَحْمٍ^(٢) وتخطُّ على الماء — والمعنى أنك في فعلك كمن يفعل ذلك . وكما يقال لمن يعمن الخيلة حتى يميل صاحبه إلى ما كان يتمتع منه — ما زال يقتل منه في الذروة والغارب حتى بلغ منه ما أراد — والمعنى أنه لم يزل يرفق بصاحبه رفقاً يشبه حاله فيه حال من يجيء إلى البعير الصعب فيحكه ، ويقتل الشعر في ذروته وغاربه^(٣) حتى يسكن ويستأنس . وهذا في المعنى نظير قولهم — فلان يُقَرِّدُ فلاناً — أى يتلطف به فَعَلْ من ينزع القُرَاد^(٤) من البعير ليلتذ بذلك فيسكن ويثبت في مكانه حتى يتمكن من أخذه . وكذا قوله^(٥) تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) فإنه لما كان التقدم بين يدي الرجل خارجاً عن صفة المتابع له صار النهي عن التقدم متعلقاً باليدين مثلاً للنهي عن ترك الاتباع . وكذا قوله^(٦) تعالى (وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) إذا المعنى — والله أعلم — أن مَثَلَ الأرض في تصرفها تحت أمر الله تعالى وقدرته مَثَلُ الشئ يكون في قبضة الآخذ له منا والجامع

أخرى إلى الخلف ، وهذا لا يفعله المتردد ، فتقديرها عندهم أنه يقدم رجلاً تارة ويؤخرها تارة أخرى ، وهذا عندي تقدير فاسد لأن المتردد لا يفعله أيضاً ، والحق هو التقدير الأول الذي يفيد ظاهر العبارة ، ولا يراد فيه بتأخير الأخرى إرجاعها إلى الوراء ، وإنما يراد بهذا أنه يؤخرها عن الأولى فلا يقدمها معها .

(١) ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به للشبه على طريق الاستعارة التصريحية التمثيلية ، وكذلك يقال في سائر الأمثلة .

(٢) أى تنفخ ناراً في غير فحم ، وهو بفتح الحاء الجر الطافى .

(٣) الذروة هو أعلى السنام ، والغارب ما بين السنام والعنق ، وقد يطلق

على الذروة . (٤) هو دويبة كالقمل تتعلق بالبعير ونحوه .

(٥) ي — ١ — س — ٤٩ (٦) ي — ٦٧ — س — ٣٩

يده عليه . وكذا قوله (١) تعالى (وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) أى يخلق فيها صفة الطي حتى تُرَى كالكتاب المَطْوَى يمين الواحد منا ، وخص اليمين ليكون أعلى وأخف للمثل ، لأنها أشرف اليدين وأقواهما والتي لا غناء للآخرى دونها ، فلا يهش إنسان لشيء إلا بدأ بيمينه فيها لئلا يهين ، ومتى قصد جعل الشيء في جهة العناية جعل في اليد اليمنى ، ومتى قصد خلاف ذلك جعل في اليسرى ، كما قال ابن ميادة :

أَلَسَمْتُكَ فِي يَمِينِي يَدِيكَ جَعَلْتَنِي فَلَا تَجْعَلْنِي بَعْدَهَا فِي شِمَالِكَ (٢)
أى كنت مكرماً عندك فلا تجعلنى مهاناً ، وكنت في المكان الشريف منك فلا تحطنى في المنزل الوضع . وكذا إذا قلت للخلوق — الأمر بيدك — أردت النمّل أى الأمر كالشيء يحصل في يدك فلا يمتنع عليك ، وكذا قوله (٣) تعالى (وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ) قال الزحشرى : كأن الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له : قل لقومك كذا وألق الألواح وجُرْ برأس أخيك إليك . فترك النطق بذلك وقطع الإغراء (٤) ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفحصها كل ذى طبع سليم وذوق صحيح إلا لذلك ، ولأنه من قبيل شعب البلاغة (٥) وإلا فما لقراءة معاوية بن قرة (ولما سكن عن موسى

(١) — ي — ٦٧ — س — ٣٩

(٢) هو للرماح بن ميادة ، والاستفهام فى قوله — ألم تك — للتقرير ، والشاهد فى تشبيهه صورة إكرامه له بصورة من يجعل الشيء فى يمينه لإكرامه ، وفى تشبيهه صورة إهانته له بصورة من يجعل الشيء فى شماله لإهانته .

(٣) — ي — ١٥٤ — س — ٧

(٤) فشبهت الحالة الناشئة عن الغضب بالحالة الناشئة عن إغراء مغر ، واستعيرت الحالة الثانية الأولى على طريق التمثيل . ويجوز إجراء الاستعارة فى — سكنت — بتشبيهه سكوت الغضب بالسكوت ، أو فى الغضب بتشبيهه بإنسان يسكت ، فتكون تصريحية تبعية أو مكنية .

(٥) يعنى أن حسن هذه الكلمة إنما أتى من كونها عن طريق التمثيل ومن كون

الغضب) لا تجد النفس عندها شيئاً من تلك الهزّة وطرفاً من تلك الروعة (١) وأما قولهم - اعتصمت بحبله - فقال الزمخشري أيضاً : يجوز أن يكون تمثيلاً لاستظهاره به ووثوقه بحمائه بامتساک التمتدلي من مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه ، وأن يكون الحبل استعارة لعهد والاعتصام لوثوقه بالعهد أو ترشيحاً لاستعارة الحبل بما يناسبه (٢) وكذا قول الشّماخ :

إذا ما راية رُفِعتْ لِحِجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ (٣)

الشبه فيه مأخوذ من مجموع التلقي واليمين على حد قولهم - تلقيته بكتفا اليمين - ولهذا لا تصلح حيث يقصد التجوز فيها وحدها ، فلا يقال - هو عظيم اليمين - بمعنى عظيم القدرة ، ولا - عرفت يمينك على هذا - بمعنى عرفت قدرتك عليه ، ومثله قول الآخر :

هَوِّنْ عَلَيْكَ فَإِنَّ الْأُمُورَ بِكَفِّ الْإِلَهِ مَقَادِيرُهَا (٤)

وكذا ما روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : إن أحدم إذا تصدق بالتمر من الطيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - جعل الله ذلك في كفه قسراً بيها

التمثيل من فروع البلاغة ، لأنه من الاستعارة وهي أبلغ من الحقيقة ، ويعني بالبلاغة ما يرادف الفصاحة .

- (١) فالسبب في هذا هو خلوها من التمثيل ، لأن إسناد السكون إلى الغضب لا تمثيل فيه .
- (٢) يعني أن الاعتصام على أن الحبل استعارة للعهد إما أن يكون استعارة للوثوق أو ترشيحاً لاستعارة الحبل للعهد ، وكل ذلك من المجاز المفرد لا المركب .
- (٣) هو للشماخ بن ضرار يمدح به عرابة الأوسى المذكور في قوله قبله : رأيت عرابة الأوسى يسمو إلى الخيرات منقطع القرين استعيرت هيئة تلقى الشيء باليمين لهيئة اقتداره على نيل المجد .

(٤) هو للبشر بن منقذ المعروف بالأعور الشني والمقادير جمع مقدار الأمر أي مبلغه أو تقديره بخير أو شر ، والشاهد في قوله - بكف الإله مقاديرها - فإنه تمثيل أيضاً . فوعد البيت :

فليس بآتيك منيها ولا قاصر عنك مأمورها

كما يرى أحدكم فلوته^(١) حتى يبلغ بالتمررة مثل أحد ، والمعنى فيهما^(٢) على انزاع الشبه من المجموع .

وكل هذا^(٣) يسمى التمثيل على سبيل الاستعارة ، وقد يسمى التمثيل مطلقاً ، ومتى فشا استعماله كذلك^(٤) سمي مثلاً ، ولذلك لا تُغَيَّرُ الأمثال^(٥) .

ومما يُبْنَى على التمثيل نحو قوله^(٦) تعالى (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ) معناه لمن كان له قلب ناظرٌ فيما ينبغي أن يُنظر فيه واعٍ لما يجب وعيُهُ ، ولكن عدل عن هذه العبارة ونحوها إلى ما عليه التلاوة^(٧) بقصد البناء على التمثيل ليفيد ضرباً من التخيل ، وذلك أنه لما كان الإنسان حين لا ينتفع بقلبه فلا ينظر فيما ينبغي أن ينظر فيه ولا يفهم ولا يعي جُعل كأنه قد عدم القلب جملة ، كما جعل من لا ينتفع بسمعه وبصره فلا يفكر فيما يؤديان إليه بمنزلة العادم لهما ، ولزم على هذا ألا يُقال - فلان له قلب - إلا إذا كان ينتفع بقلبه فينظر فيما ينبغي أن ينظر فيه ويعي ما يجب وعيه ،

(١) الفلج الجحش والمهر فطماً أو بلغا السنة ، وقد استعير في ذلك وضع الشيء في الكف وتنميته لإجزال الله الثواب للتصدق (٣) أى في البيت والحديث .
(٢) أى ما سبق من أمثلة المجاز المركب .

(٤) الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال أى فشا استعماله باقياً على هيئته في حال مورده من غير تغيير .

(٥) لأنها تستعمل على سبيل الاستعارة ، فيجب أن يبقى لفظها على حاله من غير تغيير ، وتجري الاستعارة فيها بأن تشبه صورة مضرها بصورة موردها ثم يستعار لفظها لها ، وعلى هذا يكون كل مثل استعارة ولا عكس ، ومن أمثالهم - أحشفاً وسوء كيلة - يضرب لمن يظلم من جهتين ، وتشبه فيه هيئة من يظلم من جهتين بهيئة رجل اشترى من آخر حشفاً بتطيف في الكيل فقال له - أحشفاً وسوء كيلة - ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به للشبه على طريق الاستعارة التمثيلية .

(٦) - ٥ - ٣٧ - س - ٥٠

(٧) بالاقتصار على قوله (لمن كان له قلب) دون وصفه بما ذكر .

فكان في قوله تعالى (لمن كان له قلب) تخيل أن من لم ينتفع بقلبه كالمادام للقلب جملة ، بخلاف نحو قولنا - لمن كان له قلب ناظر فيما ينبغي أن ينظر فيه واع لما يجب وعيه ^(١) وفي نظم الآية فائدة أخرى شريفة وهي تقليل اللفظ مع تكثير المعنى . ونقل الشيخ عبد القاهر ^(٢) عن بعض المفسرين أنه قال : المراد بالقلب العقل . ثم شدد عليه النكير في هذا التفسير ، وقال : وإن كان المرجع فيما ذكرناه عند التحصيل إلى ما ذكره ، ولكن ذهب عليه أن الكلام مبني على تخيل أن من لا ينتفع بقلبه فلا ينظر ولا يعي بمنزلة من عدم قلبه جملة ^(٣) كما تقول في قول الرجل إذا قال - قد غاب عني قلبي أو ليس يحضرني قلبي - إنه يريد أن يخيل إلى السامع أنه غاب عنه قلبه بحملته ، دون أن يريد الإخبار أن عقله لم يكن هناك ، وإن كان المرجع عند التحصيل إلى ذلك ، وكذا إذا قال - لم أكن هنا - يريد غفلة عن الشيء ، فهو يضع كلامه على التخيل - هذا معنى كلام الشيخ ، وهو حق لأن المراد بالآية الحث على النظر والتقريع على تركه ، فإن أراد هذا المفسر بتفسيره أن المعنى لمن كان له عقل مطلقاً فهو ظاهر الفساد ^(٤) وإن أراد أن المعنى لمن كان له عقل ينتفع به ويعمل به فيما خلق له من النظر فتفسير القلب بالعقل ثم تقييده العقل بما قيده عرى عن الفائدة لصحة وصف القلب بذلك ^(٥) بدليل قوله تعالى ^(٦) (لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا) . واعلم أن النمثل السائر لسمّا كان فيه غرابة استعير لفظه النمثل للحال

(١) فهو لا يفيد فقد القلب من أصله ولا يخيله ، لأن الفقد فيه ينصب على القيد دون المقيد وهو القلب . (٢) ٤٠٩ أسرار البلاغة ، ١٩٨ - دلائل الإعجاز . (٣) فيفيد نبي العقل وآله في الجسم وهي القلب الذي هو محل الإدراك في عرف الناس ، أما حمله على العقل فيفيد نفيه وحده دون آله ، والأول أبلغ . (٤) لأن المقصودين بذلك في الآية ومن على شاكلتهم كانت لهم عقول ، ومع هذا لم يكن في ذلك ذكرى لهم .

(٥) أى والكلام إذا أمكن حمله على ظاهره لم يحز العدول عنه إلا لفائدة .

(٦) ي - ١٧٩ - س - ٧

أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة^(١) وهو في القرآن كثير كقوله^(٢) تعالى (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا) أي حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد ناراً . وكقوله^(٣) تعالى (ولله المثل الأعلى) أي الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة . وكقوله^(٤) تعالى (مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ) أي صفتهم وشأنهم الممتعجب منه^(٥) وكقوله^(٦) تعالى (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ) أي فيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة، ثم أخذ في بيان عجائبها^(٧) إلى غير ذلك .

(فصل)

الاستعارة المكنية والتخييلية : قد يضمن التشبيه في النفس فلا يصريح بشيء من أركانه سوى لفظ المشبه ويدل عليه^(٨) بأن مُشَبَّهَاتِ المشبه أمر

(١) استعارة لفظ المثل لذلك استعارة تصريحية مفردة وليست من التمثيل ، وقد توجد مع هذا ضمن تمثيل كما في الآية الأولى ، وإنما ذكر هنا استعارة لفظ المثل لمناسبة الكلام على استعارته فيما سبق ، على أنه مع هذا لم يخرج عن كونه كلاماً في الاستعارة .

(٢) - ي - ١٧ - س - ٢

(٣) - ي - ٦٠ - س - ١٦ (٤) - ي - ٢٩ - س - ٤٨

(٥) هو ما بينه بقوله (كززع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيط بهم الكفار) الآية .

(٦) - ي - ١٥ - س - ٤٧

(٧) أي في قوله بعد هذا (فيها أنهار من ماء غدير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) الآية ، هذا وكل كلام الخطيب في هذا الفصل يدور على الاستعارة التصريحية ، أما الاستعارة المكنية والتخييلية فيذكرهما في الفصل الآتي ، ولا شك أن ما مضى من الأقسام والأحكام لا يختص كله بالاستعارة التصريحية ، ولهذا جعل غيره تلك الأقسام للاستعارة من غير تقييد بتصريحية أو غيرها .

(٨) أي على ذلك التشبيه المضمن في النفس ، ويمتاز هذا التشبيه على التشبيه الاصطلاحي بما يمتاز به الاستعارة من المبالغة في التشبيه .

مختص بالمشبه به من غير أن يكون هناك أمر ثابت حساً أو عقلاً أجرى عليه اسم ذلك الأمر ^(١) فيسمى التشبيه استعارة بالكناية أو مكنياً منها ، وإنشأت ذلك الأمر للمشبه استعارة تخيلية ^(٢) والعلم ^(٣) في ذلك قول لبيد :
وَعْدَاةٌ رِيحٌ قَدْ كَشَفَتْ وَبَقِرَّةٌ إِذْ أَصْبَحَتْ يَدِ الشَّامِلِ زِمَامُهَا ^(٤)

(١) يعنى بهذا ألا يكون فى المشبه أمر حسى أو عقلى يطلق عليه اسم الأمر المختص بالمشبه به ، وهذا على مذهبه فى أن قرينة المكينة لا تكون إلا تخيلية ، وسيأتى بيان الخلاف فى ذلك .

(٢) على هذا يكون الاستعارتان عنده أمرين معنويين غير داخلين فى تعريف المجاز ، وقد أفردهما فى هذا الفصل ليستوفى المعانى التى يطلق عليها اسم الاستعارة بطريق الاشتراك اللفظى ، والمذاهب فى الاستعارتين ثلاثة : مذهب الخطيب السابق . ومذهب القدماء ، وهو أن المكينة هى اسم المشبه به المستعار فى النفس للمشبه ، وأن التخيلية هى إثبات لازم المشبه به للمشبه . ومذهب السكاكى ، وهو أن المكينة هى لفظ المشبه المستعمل فى المشبه به ادعاء ، وأن التخيلية هى اسم لازم المشبه به المستعار للصورة الوهمية التى أثبتت للمشبه . والمكينة على مذهب القدماء والسكاكى داخلية فى المجاز اللغوى ، وكذلك التخيلية على مذهب السكاكى ، وقيل : إن التخيلية على مذهب القدماء والخطيب داخله فى المجاز العقلى ، ولا يخفى أن هذا إنما يصح عند الخطيب إذا كان لازم المشبه به فعلاً أو فى معناه ، كقولك - نطقت الحال بكذا - بخلاف نحو - أنشبت المنية أظفارها بفلان - على أنه قد سبق أن المجاز العقلى لا يقوم على أساس التشبيه ، والتخيلية عند القدماء والخطيب تقوم على أساسه ، لأنها إثبات لازم المشبه به للمشبه ، فلا توجد إلا ومعها تشبيه قطعاً . وإنى أرى أن هذا الخلاف قليل اثره ، لأن الأمر فيه يرجع إلى توجيه الاستعارتين فقط . وكلها توجيهات محتملة .

(٣) أى المثال المشهور شهرة العلم .

(٤) هو لبيد بن ربيعة العامرى ، والواو فى قوله - وعداة - واو رب ، والقرة البرد ، والشمال أبرد الرياح ، يفتخر بأبه يمنع عادية البرد عن الناس بإطعامهم وإيقاد النار لهم ، لأن ذلك وقت الجذب عندهم .

فإنه جعل للشمال يدا، ومعلوم أنه ليس هناك أمر ثابت حساً أو عقلاً تجرى اليد عليه ، كإجراء الأسد على الرجل الشجاع والصراط على ملة الإسلام فيما سبق^(١) ولكن لما شبه الشمال لتصرفها القرة على حكم طبيعتها في التصريف بالإنسان المصرّف لمّا زمامه بيده أثبت لها يداً على سبيل التخيل مبالغة في تشبيهها به، وحكم الزمام في استعارته للقرة^(٢) حكم اليد في استعارتها للشمال، فجعل للقرة زماماً ليكون أتم في إثباتها مصرّفة كما جعل للشمال يداً ليكون أبلغ في إثباتها مصرّفة ، فوفى المبالغة حقها من الطرفين ، فالضمير في - أصبحت وزمامها - للقرة، وموقول الزمخشري، والشيخ عبد القاهر جعله للغداة^(٣) والاول أظهر. واعلم أن الأمر المختص بالمشبه به المثبت للمشبه منه ما لا يكمل وجه الشبه في المشبه به بدونه ، كما في قول أبي ذؤيب الهذلي .

وَإِذَا السُّمِّيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ^(٤)
فإنه شبه المنية بالسبع في اغتيال النفوس بالقهر والغلبة من غير تفرقة بين نفع وضرر ولا رقة لرحوم ولا بُقْبنا على ذى فضيلة ، فأثبت للنية الأظفار التي لا يكمل ذلك في السبع بدونها تحقيقاً للبلاغة في التشبيه^(٥) ومنه ما به يكون قوام وجه الشبه في المشبه به ، كما في قول الآخر .
وَلَنْ نَظْقَ بِشُكْرِ بَرِّكَ مُفْضِحاً فَلِسَانُ حَالِي بِالشَّكَايَةِ أَنْطَقُ^(٦)

-
- (١) في الاستعارة الحقيقية وهي التصريحة .
(٢) أى بعد تشبيهها بالمطية وحذف المشبه به ، ففي هذا استعارة ممكنة وتخيلية أيضاً . (٣) ٥٢ - أسرار البلاغة .
(٤) المنية الموت ، وقوله أنشبت - بمعنى علقته ، وقوله - ألفت - بمعنى وجدت ، والتيممة خزيمة يجعلونها معادة من العين والجن ، وأبو ذؤيب هو خويلد بن خالد .
(٥) إنما كانت الأظفار مكملة لذلك لأنه يمكن حصوله بالآنياب ونحوها .
(٦) هو محمد بن عبد الله العتي ، وقيل إنه لأبي النصر بن عبد الجبار ، والبر المعروف ، وقوله - فليسان حالي الخ - قائم مقام جواب الشرط ، وتقديره

فإنه شبه الحال الدالة على المقصود بإنسان متكلم في الدلالة ، فأثبت لها اللسان الذي به - قوام الدلالة في الإنسان^(١).

وأما قول زهير :

صَحَّ الْقَلْبُ عَنْ سَلَمَى وَأَقْصَرَ بَاطِلُهُ وَعُرِّيَ أَفْرَاسُ الصَّبَا وَرَوَّاحِلُهُ^(٢)
فيحتمل أن يكون استعارة تخييلية وأن يكون استعارة تحقيقية ، أما التخيل فإن يكون أراد أن يبين أنه ترك ما كان يرتكبه أو أن المحبة من الجهل والغنى وأعرض عن معاودته فتعطلت آلاته كأى أمر وطنت النفس على تركه ، فإنه تُهْمَلُ آلاته فتعطل ، فشبه الصبا بجهة من جهات المسير كالبحر والتجارة قضى منها الوطر فأهْمِلَتْ آلاتها فتعطلت^(٣) فأثبت له الأفراس والرواحل^(٤) فالصبا على هذا من الصَّبُوءِ بمعنى الميل إلى الجهل والنمُوَّةِ لا بمعنى الفتَاءِ^(٥) وأما التحقيق فإن يكون أراد بالأفراس والرواحل دواعى النفوس وشهواتها والقُوسى الحاصلة لها في استيفاء اللذات ، أو الأسباب التى قلَّما تتأخذ في اتباع الغنى إلا أوان الصبا^(٦) .

فإن لسان مقالى لا يكون أقوى من لسان حالى ، وهذا لأن ضرره أكثر بده . وقبل البيت :
لا تحسبن بشاشتى لك عن رضا فوحق فضلك إننى أتملى
(١) يجوز أن يكون قوله - لسان حالى - من إضافة المشبهة به إلى المشبهة فيكون تشبيها لا استعارة .

(٢) هو لزهير بن أبى سلمى ، وقوله - صحا - هو فى الأصل بمعنى الإفاقة من سكر ونحوه ، وهو مستعار هنا للسو و زوال العشق ، وقوله - أقصر - بمعنى امتنع عن قدرة ، وفى العبارة قلب والأصل وأقصر عن باطله ، ويجوز أن يكون معناه مطلق الامتناع فلا يكون فى العبارة قلب ، والرواحل جمع راحلة وهى القوى من الإبل على الأحمال والأسفار .

(٣) هذا التشبيه استعارة مكنية . (٤) إثبات هذا الاستعارة تخييلية .

(٥) المراد بالفتوة استيفاء اللذات وبالفتاء زمن الشباب .

(٦) هذه الأسباب كالمال والأعوان ، والتحقيق على إرادتها حتى وعلى إرادة

(فصل)

اعتراضات على السكاكي : إعلم أن كلام السكاكي في هذا الباب — أعني باب الحقيقة والمجاز والفصل الذي يليه — مخالف لمواضع مما ذكرنا، فلا بُدَّ من التعرض لها وليبان ما فيها .

الاعتراض عليه في تعريف الحقيقة والمجاز : منها أنه عرّف الحقيقة اللغوية بالكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له من غير تأويل في الوضع ^(١) وقال : إنما ذكرت هذا القيد يعني قوله - من غير تأويل في الوضع - ليحترز به عن الاستعارة ، ففي الاستعارة تُعدُّ الكلمة مستعملة فيما هي موضوعة له على أصح القولين ^(٢) ولا نسميها حقيقة ، بل نسميها مجازاً لغوياً ، لبناء

دواعي النفوس عقلی، والاستعارة عليهما تحقیقة تصریحیة، والصبا فيهما من الصبا بمعنى الفتاة لا من الصبوة ، لأنها هي الدواعي المرادة من الأفراس فلا تصح إضافته إليها ، وعلى هذا لا يكون في ذلك استعارة مكنية ولا تخيلية لأنهما متلازمان عند الخطيب ، وقد جوز الزمخشري أن تكون قرينة المكنية استعارة تحقیقة ، كما في قوله تعالى (الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ) ي - ٢٨ - س ٢ - فقد شبه العهد بالحبل على طريق الاستعارة المكنية ، ثم استعير النقص وهو قرينتها لإبطال العهد على طريق الاستعارة التحقیقة التصريحیة ، وعلى هذا يصح اجتماع المكنية والتصريحیة في أفراس الصبا .

هذا ولا يفوتني في نهاية هذا الفصل أن أشير إلى أن عبد القاهر في شرح بيت لبید (وغداة ربح - البيت) لم يذكر إلا أن إثبات اليد للشمال تخيل ، ولم يتعرض بعده لاستعارة بالكناية ولا غيرها ، وإني أرى أن تقدير التخيل في ذلك ونحوه يغني عن تقدير الاستعارة المكنية .

(١) ١٩١ - المفتاح .

(٢) هو القول بأنها مجاز لغوي ، فيجب عليه الاحتراز عنها لكونها مستعملة في غير معناها الحقيقي ، وأما على القول بأنها مجاز عقلي فلفظها يكون مستعملاً في معناه الحقيقي فلا يصح الاحتراز عنها ، وعلى هذا يكون قوله - على أصح القولين -

دعوى المستعار موضوعاً للمستعار له على ضرب من التأويل كما مر (١) .
ثم عرف المجاز اللغوى بالكلمة المستعملة فى غير ما هى موضوعه له
بالتحقيق استعمالاً فى الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها (٢) مع قرينة مانعة عن
إرادة معناها فى ذلك النوع (٣) وقال : قولى — بالتحقيق — احترازاً
ألا تخرج الاستعارة (٤) التى هى من باب المجاز نظراً إلى دعوى استعمالها
فيما هى موضوعه له على ما مر ، وقوله — استعمالاً فى الغير بالنسبة إلى نوع
حقيقتها — بمنزلة قولنا فى تعريف المجاز — فى اصطلاح به التخاطب —
على ما مر ، وقوله — مع قرينة الخ — احتراز عن الكناية كما تقدم .

وفيهما نظر ، لأن لفظ الوضع وما يُشْتَقُّ منه إذا أُطْلِقَ لا يُفْهَمُ
منه الوضع بتأويل وإنما يفهم منه الوضع بالتحقيق لما سبق من تفسير الوضع ،
فلا حاجة إلى تقييد الوضع فى تعريف الحقيقة بعدم التأويل وفى تعريف
المجاز بالتحقيق ، اللهم إلا إن يراد زيادة البيان لا تميم الحد ، ثم تقييد
الوضع باصطلاح التخاطب ونحوه إذا كان لا بُدَّ منه فى تعريف المجاز
ليدخل فيه نحو — لفظ الصلاة — إذا استعملها الْمُخَاطَبُ بعرف الشرع
فى الدعاء مجازاً ، فلا بد منه تعريف الحقيقة أيضاً ليخرج نحو هذا اللفظ
منه كما سبق ، وقد أهمله فى تعريفها ، لا يقال : قوله فى تعريفها — من غير

متعلقاً بقوله ليحتز أو بالاستعارة ، وكان الأولى ذكره بعدهما كما جاء فى التلخيص .

(١) يريد بالتأويل دعوى دخول المشبه فى جنس المشبه به .

(٢) فإذا كانت الحقيقة لغوية تكون الكلمة مستعملة فى غير معناها اللغوى
فتكون مجازاً لغوياً ، وإذا كانت شرعية تكون الكلمة مستعملة فى غير معناها
الشرعى فتكون مجازاً شرعياً ، وهكذا . (٣) ١٩٢ - المفتاح .

(٤) هذه العبارة فاسدة لأن الاحتراز بذلك عن خروج الاستعارة لا عن عدم
خروجها ، فقوله — بالتحقيق — قيد للإدخال لا للإخراج ، ويجوز تقدير اللام
أى لتلا تخرج فتصح العبارة .

تأويل في الوضع — أغنى عن هذا القيد ، فإن استعمال اللفظ فيما وضع له في غير اصطلاح التخاطب إنما يكون بتأويل في وضعه ، لأن التأويل ^(١) في الوضع يكون في الاستعارة على أحد القولين ^(٢) دون سائر أقسام المجاز ^(٣) ولذلك قال — وإنما ذكرت هذا القيد ليحترز به عن الاستعارة . ثم تعريفه للمجاز يدخل فيه الغلط كما تقدم ^(٤) .

الاعتراض عليه في جعل التمثيل من المجاز المفرد : ومنها أنه قسمَ المجاز إلى الاستعارة وغيرها ^(٥) وعَرَّفَ الاستعارة بأن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مُدْعِياً دخول المشبه في جنس المشبه به ^(٦) وقسم الاستعارة إلى المُصرَّح بها والمُسَكَّنِيَّ عنها ، وعنى بالمصرَّح بها أن يكون المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه به ^(٧) وجعلها ثلاثة أضرب : تحقيقية وتخييلية ومحملة للتحقيق والتخييل ^(٨) وفسر التحقيقية بما مر ^(٩) وسَعَدَ التمثيل على سبيل الاستعارة منها . وفيه نظر ، لأن التمثيل على سبيل الاستعارة لا يكون إلا مركباً كما سبق ، فكيف يكون قسماً من المجاز المفرد ؟ ولو لم يقيد الاستعارة بالافراد وعَرَّفَهَا بالمجاز الذي أريد به ما شُبِّهَ بمعناه

(١) تعليل للنفي في قوله - لا يقال . . الخ .

(٢) هو القول بأنها مجاز لغوى ، والتأويل عليه بمعنى دعوى دخول المشبه في جنس المشبه به .

(٣) فالذى يخرج به عن تعريف الحقيقة هو الاستعارة دون غيرها من أقسام المجاز ، فلا بدَّ حينئذ من ذلك القيد معه .

(٤) لأنه لم يذكر فيه قيد - على وجه يصح - وهو الذى يخرج به الغلط كما سبق في تعريف الخطيب للمجاز .

(٥) ١٦٤ - المفتاح . (٦) ١٩٦ - المفتاح . (٧) ١٩٨ - المفتاح .

(٨) يعنى بالمحملة للتحقيق والتخييل نحو ما سبق من بيت زهير في ص ١٥١ .

(٩) في ص ١٠٢ .

الأصلي مُبالغةً في التشبيه — دخل كل من التحقيقية والتمثيل في تعريف الاستعارة (١).

الاعتراض عليه في تعريف التخيلية: ومنها أنه فسر التخيلية بما استعمل في صورة وهمية محضة قُدِّرَتْ مُشَابَهَةً لصورة مُحَقَّقَةٍ هي معناه ، كلفظ الأظفار في قول النُّهْدَلِيِّ (٢) فَإِنَّهُ لَمَّا شَبِهَ السُّنِّيَّةَ بالسَّبْعِ في الاغتيال على ما تقدم أخذ الوهم في تصويرها بصورته واختراع مثل ما يلائم صورته ويتم به شكله لها من الهيئات والجوازيح ، وعلى الخصوص ما يكون قِوَامُ اغتياله للنفوس به ، فاخترع للنية صورة مشابهة لصورة الأظفار المحققة فأطلق عليها اسمها (٣) وفيه نظر ، لأن تفسير التخيلية بما ذكره بعيد لما فيه من التعسف (٤) وأيضاً فظاهر تفسير غيره لها بقولهم — جعل الشيء للشيء كجعل لبيد (٥) للشمال يداً — يخالفه ، لاقتضاء تفسيره أن يجعلَ للشمال صورة متوهمةً مثل صورة اليد لا أن يجعل لها يداً ، فإطلاق اسم اليد على تفسيره استعارة ، وعلى تفسير غيره حقيقة والاستعارة إثباتها للشمال ، كما قلنا في المجاز العقلي الذي فيه المُسْتَنَدُ حقيقة لغوية (٦) وأيضاً فيلزمه أن يقول بمثل ذلك — أعني بإثبات صورة متوهمة —

(١) أي ولم يعترض عليه بذلك ، وأجيب عنه بأن القسم قد يكون أعم من قسمه ، كما في تقسيم الأبيض إلى حيوان وغيره .

(٢) سبق في ص ١٥٠ .

(٣) ٢٠٠ - المفتاح .

(٤) باشتاله على تلك الاعتبارات الكثيرة ، من تقدير الصور الخيالية ، ثم تشبيهها بالمحققة ، ثم استعارة لفظها لها ، وهي اعتبارات لادليل في الكلام عليها ولا تدعو حاجة إليها .

(٥) أنظر ص ١٤٩ .

(٦) نحو - أنبت الربيع البقل .

في ترشيح الاستعارة ^(١) لأن كل واحد من التخيلية والترشيح فيه إثبات بعض لوازم المشبه به المختصة به للمشبه ، غير أن التعبير عن المشبه في التخيلية بلفظه الموضوع له وفي الترشيح بغير لفظه ^(٢) وهذا لا يفيد فرقاً ، والقول بهذا يقتضى أن يكون الترشيح ضرباً من التخيلية وليس كذلك ^(٣) وأيضاً فتفسيره للتخيلية أعم من أن تكون تابعة للاستعارة بالكناية كما في بيت النهْدَلِيَّ ^(٤) أو غير تابعة بأن يُتَخَيَّلَ ابتداءً صورةً وهميةً مشابهةً لصورة حقيقة فيستعار لها اسم الصورة المحققة ، والثانية بعيدة جداً ، ويدل على إرادته دخول الثانية في تفسير التخيلية أنه قال : ^(٥) حُسْنُهَا بِحَسَبِ حَسَنِ الْمَكْنِيِّ عنها متى كانت تابعة لها ، كما في قولك - فلان بين أنياب المنية ومخالبها - وقلنا تحسن الحسن البليغ غير تابعة لها ، ولذلك استخرجت في قول الطائي : لا تَسْقِي مَاءَ الْمَلَامِ فَإِنِّي صَبَّ قَدْ اسْتَعَذِبْتُ مَاءَ مُبْكَأِي ^(٦)

(١) كما في قولك - رأيت أسداً يحارب له لبد - فهو يعني ترشيح الاستعارة التصريحية .

(٢) هو لفظ المشبه به كما هو شأن الاستعارة التصريحية .

(٣) لأن التخييل خاص بالممكنية والترشيح خاص بالتصريحية والمجاز المرسل ، ويمكن أن يجاب عن هذا بأن الترشيح للمبالغة في الاستعارة أو التخييل لحصولها ، ولا شك أن ما يقوى الشيء الحاصل يجدر به أن يسمى ترشيحاً ، وأن ما لا تعلم الاستعارة إلا به يجدر به أن يسمى استعارة ، وقيل : إن الترشيح يأتي في الممكنية أيضاً ، كقولك - أظفار المنية نشبت بفلان فافترسته - فالافتراس ترشيح في هذه الاستعارة وهي ممكنية لا تصريحية .

(٤) سبق في ص ١٥٠ . (٥) ٢٠٦ - المفتاح .

(٦) هو لأبي تمام ، والملام اللوم والعتاب ، والصب العاشق وذو الولع الشديد ، وقوله - استعذبت - من استعذب الشيء بمعنى وجده عذبا ، والشاهد في قوله - ماء الملام - لأنه تخيلية غير تابعة للممكنية ، وسيوجه الخطيب بعد ، وقد حكى

فإن قيل: لم لا يجوز أن يريد بغير التابعة للمكنى عنها التابعة لغير المكنى عنها؟ قلنا: غير المكنى عنها هي المصرح بها، فتكون التابعة لها ترشيح الاستعارة، وهو من أحسن وجوه البلاغة^(١) فكيف يصح استهجانها؟ وأما قول أبي تمام فليس له فيه دليل، لجواز أن يكون أبو تمام شبه الملام بظرف الشراب لاشتماله على ما يكرهه الملووم، كما أن الظرف قد يشتمل على ما يكرهه الشارب لبشاعته أو مرارته، فتكون التخيلية في قوله تابعة للمكنى عنها، أو بالماء نفسه^(٢) لأن اللوم قد يسكن حرارة الغرام كما أن الماء يسكن غليل الاثام، فيكون تشبيهاً على حد - ليجين الماء - فيما مر^(٣) لا استعارة، والاستهجان على الوجهين^(٤) لأنه كان ينبغي له أن يشبهه بظرف شراب مكروه أو بشراب مكروه^(٥) ولهذا لم يستهجن نحو قولهم - أغلظت لفلان القول، وجرعته منه كأساً مرة. أو سقيته أمة من العلفم^(٦).

الاعتراض عليه في تعريف المكنية: ومنها أنه عني بالاستعارة المكنى

أن رجلاً جاء أبا تمام بقصعة وقال: أعطني قليلاً من ماء الملام. فقال أبو تمام: لا أعطيك حتى تأتيني بريشة من جناح الذل. فأغم الرجل، والحق أنه ليس جعل الجناح للذل يجعل الماء للملام، لأن الطائر إذا وهن بسط جناحه وخفضه وألقى نفسه على الأرض، وبهذا حسن جعل الجناح للذل لما بينهما من المناسبة.

(١) يريد بالبلاغة ما يرادف الفصاحة.

(٢) معطوف على قوله - بظرف الشراب. (٣) انظر ص ٧٦.

(٤) يعني أن قول أبي تمام مستهجن على هذين الوجهين أيضاً، وهما أن يكون تخيلية تابعة للمكنية وأن يكون تشبيهاً لا استعارة.

(٥) أي لا بظرف شراب مطلقاً كما في الوجه الأول، ولا بالماء كما في الوجه الثاني، لأن الملام مكروه فيجب في استعارة شيء له أو تشبيهه به أن يكون مكروهاً، لوجوب المناسبة بين الطرفين في الاستعارة والتشبيه.

(٦) لأنه شبه فيه القول المسكروه بظرف شراب مكروه أو بمشروب مكروه.

عنها أن يكون المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه^(١) على أن المراد بالمنية في قول الهذلي^(٢) السبع بادعاء السبعية لها وإنكار أن تكون شيئاً غير السبع بقرينة إضافة الأظفار إليها^(٣) وفيه نظر ، للقطع بأن المراد بالمنية في البيت هو الموت لا الحيوان المفترس ، فهو مستعمل فيما هو موضوع له على التحقيق ، وكذا كل ما هو نحوه ، ولا شيء من الاستعارات مستعملاً كذلك ، وأما ما ذكره في تفسير قوله - من أنا ندعى ههنا أن اسم المنية اسم السبع مرادف للفظ السبع بارتكاب تأويل ، وهو أن ندخل المنية في جنس السبع للبالغة في التشبيه ، ثم نذهب على سبيل التخييل إلى أن الواضع كيف يصح منه أن يضع اسمين لحقيقة واحدة ولا يكونان مترادفين ، فيتها لنا بهذا الطريق دعوى السبعية للمنية مع التصريح^(٤) بلفظ المنية - فلا يفيد ، لأن ذلك لا يقتضي كون اسم المنية غير مستعمل فيما هو موضوع له على التحقيق من غير تأويل ، فيدخل في تعريفه للحقيقة ويخرج من تعريفه للمجاز^(٥) وكأنه لما رأى علماء البيان يطلقون لفظ الاستعارة على نحو ما نحن فيه^(٦) وعلى أحد نوعي المجاز اللغوي الذي هو اللفظ المستعمل

(١) في هذه العبارة تساهل ، لأن المكنية عند السكاكي هي لفظ المشبه لا كونه هو المذكور من طرفي التشبيه .

(٢) قد سبق في ص ١٥٠ .

(٣) ٢٠١ - المفتاح .

(٤) يعني أن التصريح بلفظها ينافي دعوى دخولها في جنس السبع ، لأن الذي يناسبه عدم التصريح بها وإطلاق لفظ السبع عليها ، ولكن بعد تخييل تلك المرادة نزول تلك المنافة لأن لفظ المنية يصير كلفظ السبع .

(٥) لأن ادعاء السبعية لها لا يخرجها عن حقيقتها كما هو شأن الادعاء في كل شيء ، وحينئذ يكون لفظها لا يزال مستعملاً في حقيقته مع ذلك الادعاء .

(٦) هو الاستعارة المكنية .

فما شَبَّهَ بمعناه الأصلي^(١) ويقولون : الاستعارة تنافى ذكر طرفي التشبيه ظن أن مرادهم بلفظ الاستعارة عند الإطلاق وفي قولهم استعارة بالكناية معنى واحد^(٢) فبئى على ذلك ما تقدم^(٣) .

الاعتراض عليه في رد التبعية إلى المكنية : ومنها أنه قال في آخر فصل الاستعارة التَّبَعِيَّة : هذا ما أمكن من تلخيص كلام الأصحاب في هذا الفصل ، ولو أنهم جعلوا قسم الاستعارة التبعية من قسم الاستعارة بالكناية ، بأن قلبوا فجعلوا في قولهم — نطقت الحال بكذا — النَحَالُ التي ذِكرُهَا عندهم قَرِينَةُ الاستعارة بالتصريح^(٤) استِعَارَةً بالكناية عن المتكلم بوساطة المبالغة في التشبيه على مَقَسَّضِ المقام ، وجعلوا نسبة النطق إليه قرينة الاستعارة ، كما تراهم في قوله :

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَثْنَبَتْ أَظْنَفَارَهَا^(٥)

يجعلون المنية استعارة بالكناية عن السبع ، ويجعلون إثبات الأظفار لها قرينة الاستعارة ، وهكذا لو جعلوا البخل^(٦) استعارة بالكناية عن حى أَبْظَلَّتْ حياته سيف أو غير سيف فالتحق بالعدم ، وجعلوا نسبة القتل إليه قرينة الاستعارة ، ولو جعلوا أيضا اللَهْذَمِيَّاتِ^(٧) استعارة بالكناية عن المطعومات اللطيفة الشبيهة على سبيل التهمك ، وجعلوا نسبة لفظ القِرَى إليها

(١) هو الاستعارة التصريحية .

(٢) هو اللفظ المستعمل في غير معناه الأصلي لعلاقة التشبيه .

(٣) من تعريفه الاستعارة بالكناية بأنها لفظ المشبه المستعمل في المشبه به بادعاء دخوله فيه .

(٤) يعنى الاستعارة التصريحية التبعية في — نطقت .

(٥) سبق هذا البيت في ص ١٥٠ .

(٦) أى في البيت السابق في ص ١٣٣ .

(٧) أى في البيت السابق في ص ١٣٤ .

قرينة الاستعارة — لكان أقرب إلى الضبط ^(١) هذا لفظه ، وفيه نظر ، لأن التبعية التي جعلها قرينة لقرينتها التي جعلها استعارة بالكناية ، كنطقت في قولنا — نطقت الحال بكذا — لا يجوز أن يقدرها حقيقة حينئذ ، لأنه لو قدرها حقيقة لم تكن استعارة تخيلية ، لأن الاستعارة التخيلية عنده مجاز كما مر ، ولو لم تكن تخيلية لم تكن الاستعارة بالكناية مستلزمة للتخيلية ، واللازم باطل بالاتفاق ^(٢) فيتعين أن يُقدَّرَها مجازاً ، وإذا قدرها مجازاً لزمه أن يقدرها من قبيل الاستعارة لكون العلاقة بين المعنيين هي المشابهة ، فلا يكون ما ذهب إليه مغنياً عن قسمة الاستعارة إلى أصلية وتبعية ، ولكن يستفاد مما ذكر ردُّ التركيب في التبعية ^(٣) إلى تركيب الاستعارة بالكناية على ما فسرناها ^(٤) وتصير التبعية حقيقة واستعارة تخيلية ، لما سبق أن التخيلية على ما فسرناها ^(٥) حقيقة لا مجاز .

فصل

شروط حسن الاستعارة : وإذا قد عرفت معنى الاستعارة التحقيقية والاستعارة التخيلية والاستعارة بالكناية والتمثيل على سبيل الاستعارة ،

(١) ٢٠٤ — المفتاح . ويعنى بالضبط أن تكون أقسام الاستعارة قليلة غير منتشرة .

(٢) دعوى الاتفاق في هذا غير صحيحة ، لأن الزخشرى كما سبق يجوز أن تكون قرينة الممكنية استعارة تحقيقية ، والسكاكي أيضاً لم يرد عنه نص قاطع في استلزام الممكنية للتخيلية ، بل اضطرب في هذا كلامه هنا وفي المجاز العقلي .

(٣) يعنى بالتبعية التصريحية التبعية في نحو نطقت من قولهم — نطقت الحال بكذا — ويعنى بالتركيب فيها تركيبها مع قرينتها وهي الحال ، ويعنى برد ذلك إلى تركيب الاستعارة بالكناية أن يجعل استعارة بالكناية وقرينة لها .

(٤) من أنها التشبيه المضمر في النفس .

(٥) من أنها إثبات لازم المشبه به للمشبه ، ومراده من كل هذا على تعقيده أن السكاكي لو كان يرى في الممكنية والتخيلية ما يراه الخطيب لأمكنه رد التبعية إليهما ولم

فاعلم أن لحسنها شروطاً إن لم تصادفها عَرِيت عن الحسن ، وربما تكتسب قبحاً ، وهي في كل من التحقيقية والتمثيل (١) رعاية ما سبق ذكره من جهات حسن التشبيه (٢) وألاً يُشَمُّ من جهة اللفظ راضحة (٣) ولذلك يُوصَفُ فيه أن يكون الشبه بين طرفيها جلياً بنفسه أو عَرُفٍ أو غيره (٤) وإلا صار تعمية وإلغازاً

يرد عليه ذلك الاعتراض ، لأن التخيلية على قول الخطيب حقيقة لا مجاز ، ولكن يبقى أن رد التبعية إلى الممكنة إنما يمكن فيما قرنتها لفظية لا حالية كما في قوله تعالى (لعلكم تتقون) — ي — ٢١ — س — ٢

١. يريد بالتحقيقية الاستعارة التصريحية وبالتمثيل المجاز المركب على ما سبق له
٢. هو أن يكون وجه الشبه ظاهر الشمول للطرفين وإفاداً ما علق عليه
من الغرض ونحو ذلك ، وإنما اعتبر في ذلك ظهور الشمول لأن أصله شرط في صحة التشبيه لافي حسنه ، ومن الاستعارة القبيحة لفقد ذلك الشرط قول الشاعر :

وذا ت هذم عار نَوَاشِرُهُما تَصْنُوتُ بالماء تَوَلَّبا جَدَعاً
سمى الصبي تولباً وهو ولد الحمار ، فهي استعارة بعيدة فاحشة ، وجدعا سى الغذاء
٣. هذا يكون بذكر المشبه على وجه لا ينبىء عن التشبيه ، فلا تبطل به الاستعارة ولكنها تكون قبيحة ، كما في قول الشاعر :

لا تعجبوا من بلى غلالته قد زَرَ أزراره على النقمَرِ
فإنه ذكر فيه ضمير المشبه وهو المحبوب على وجه لا ينبىء عن التشبيه ، وإنما قيد
شم ذلك بأن يكون من جهة اللفظ لأن الاستعارة يشم منها ذلك في المعنى قطعاً .
ويجب أن يراعى في الاستعارة مناسبتها لحال الزمان والمكان ، ولهذا يقول العرب
إذا فسد ما بين الصديقين — يبس الثرى بين الصديقين — ويقول غيرهم — جمد
الثلج بين الصديقين — فيراعى كل منهما حال مكانهما .

٤. جلاؤه بنفسه كما في تشبيه القد بالفصن في الاعتدال ، لأنه يدرك بالحس ،
وجلاؤه بالعرف كما في تشبيه الرجل الشجاع بالأسد ، لأن الأسد معروف بالشجاعة ،
وإنما كان هذا الشرط مترتباً على ما قبله لأنه إذا لم تشم راضحة التشبيه من جهة اللفظ
كان في ذلك نوع خفاء فيه ، فلا يصح أن يضم إليه خفاء وجه الشبه ، ولكن

لا استعارةً وتمثيلاً ، كما إذا قيل — رأيت أسداً — وأريد إنساناً أبخر ،
وكما إذا قيل — رأيت إبلا مائة لا تجد فيها راحلة — وأريد الناس^(١) أو قيل
— رأيت عوداً مستقيماً أو ان الغرس — وأريد إنساناً مؤدّباً في صباه ،
وبهذا ظهر أنهما لا يميّزان في كل ما يجيء فيه التشبيه .

ومما يتصل بهذا^(٢) أنه إذا قوى الشبه بين الطرفين بحيث صار الفرع
كأنه الأصل لم يحسن التشبيه وتعينت الاستعارة^(٣) وذلك كالنور إذا شُبّهَ
العلم به ، والظلمة إذا شُبّهَتِ الشبهة بها ، فإنه لذلك يقول الرجل إذا فهم المسألة
— حصل في قلبي نور — ولا يقول كأن نوراً حصل في قلبي^(٤) ويقول
لمن أوقعه في شبهة — أوقعته في ظلمة — ولا يقول كأنك أوقعته في ظلمة .
وكذا المكنى عنها حسناتها برعاية جهات حسن التشبيه^(٥) وأما التخيلية
فحسنها بحسب حسن المكنى عنها ، لما يبيّن أنها لا تكون إلا تابعة لها .

استحسان جلاء الشبه يجب أن يكون بحيث لا يصير به إلى حد الابتدال ، لما سبق
من تفضيل الشبه الغريب على المبتدل .

«١» هذا المثال مأخوذ من حديث سبق في ص ٦٦ ، ولكن الخفاء فيه
من جهة عدم ذكر القرينة لا من جهة خفاء الشبه .

«٢» أي المذكور من أنه إذا خفي الشبه لم تحسن الاستعارة ، والاتصال بينهما
على وجه التقابل ، وقيل أيضاً : إن هذا كالاستثناء من الشرط الأول لعدم حسن
التشبيه فيما سيذكره مع حسن الاستعارة فيه .

«٣» يعني بتعيينها استحسانها ، لأن التشبيه يجوز في هذا مع حسن الاستعارة فيه

«٤» مثل هذا قد يقبل ، وإنما الذي لا يقبل أن يقال — حصل في قلبي علم كالنور —
وكذا ما بعده . «٥» مما استهجن من أجل هذا قول أبي نواس :

بَحَّ صِرْتُ الْمَالِ مِمَّا مِنْكَ يَشْكُو وَيَصِيحُ

لأنه لا مناسبة بين طرفي الاستعارة ، وهو يريد أن المال يظلم من إهانتة له
بالتزيق والعطاء ، فالمعنى حسن والتعبير عنه قبيح ، والمقبول في ذلك قول مسلم
ابن الوليد :

فصل

المجاز بالحذف والزيادة : واعلم أن الكلمة كما تُوصَفُ بالمجاز لنقلها عن معناها الأصلي كما مضى ، توصف به أيضا لنقلها عن إعرابها الأصلي إلى غيره لحذف لفظ أو زيادة لفظ ، أما الحذف فكقوله ^(١) تعالى (واسأل القرية) أى أهل القرية ^(٢) ، فإعراب القرية فى الأصل هو الجر ، فيحذف المضاف وأعطى المضاف إليه إعرابه ، ونحوه قوله ^(٣) تعالى (وجاء ربك) أى أمر بك ^(٤) وكذا قولهم - بنو فلان يطوئهم الطريق - أى أهل الطريق . وأما الزيادة فكقوله ^(٥) تعالى (ليس كمثله شيء) على القول بزيادة الكاف ^(٦) أى ليس مثله شيء ، فإعراب (مثله) فى الأصل هو النصب فزيدت الكاف فصار جرّا .

تَظَلَّمُ المَالُ والأَعْدَاءُ مِنْ يَدِهِ لَأَزَالَ لِلْمَالِ والأَعْدَاءِ ظَلَامًا
وقد قال الخفاجى فى سر الفصاحة : وهذا وأمثاله يعرفه الذوق ، ومثله يستحسنه شعراء العجم ، وتبعهم شعراء الروم . ففعل مثله يتفاوت بحسب اللغات . وإنما لم يشترط فى المسكنية ألا يشم رائحة التشبيه لفظاً لأن من لوازمها ذكر لازم المشبه به ، فيشم به رائحة التشبيه لفظاً .

(١) — ي — ٨٢ — س — ١٢ .

(٢) لأن السؤال إنما يتوجه إليهم ، وإذا جعلت القرية مجازاً عن أهلها كان مجازاً مرسلًا من إطلاق اسم المحل على الحال .

(٣) — ي — ٢٢ — س — ٨٩ .

(٤) لأن المحيى مستحيل عليه تعالى بخلاف أمره ، لأنه يجوز إسناد المحيى إلى الأمر على سبيل المجاز العقلى ، بل قيل : إنه صار فى مثل هذا حقيقة عرفية ، كقولهم — جاء أمر السلطان — ونحوه .

(٥) — ي — ١١ — س — ٤٢ .

(٦) قيل : إنها أصلية لأن لفظ مثل قد يكتنى به عما يضاف إليه ، كقولهم — مثلك لا يبتخل — .

فإن كان الحذف أو الزيادة لا يوجب تغيير الإعراب — كما في قوله ^(١) تعالى (أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ) إذ أصله أو كمثل ذوى صيب ، فحُذِفَ — ذوى — لدلالة (يَجْمَعُلُونُ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ) عليه ، وحذف — مثل — لما دل عليه عطفه على قوله (كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا) إذ لا يخفى أن التشبيه ليس بين صفة المنافقين العجيبة الشأن وذوات ذوى صيب ^(٢) ، وكقوله (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ ^(٣)) وقوله (لَسَلَا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ ^(٤)) فلا توصف الكلمة بالمجاز .

إنكار المجاز بالحذف والزيادة : وقد بالغ الشيخ عبد القاهر في النكبو على من أطلق القول بوصف الكلمة بالمجاز للحذف أو الزيادة ^(٥) .

(١) — ي — ١٧ — س — ٢ .

(٢) لأنه بين صفة المنافقين العجيبة أى مثلهم ومثل ذوى صيب .

(٣) — ي — ١٥٩ — س — ٣ — وقد قسم الغزالي المجاز إلى أربعة عشر قسما ، وجعل هذا من قسم الزيادة في الكلام بغير فائدة ، وقد رد عليه ابن الأثير بأنه لا مجاز فيه ، وبأن — ما — ليست بزيادة ، لأنها لتفخيم الأمر ، وهى محض الفصاحة .

(٤) — ي — ٣٩ — س — ٥٧ .

(٥) ٤٥٠ — ٤٦٣ — أسرار البلاغة ، فالمجاز عنده خاص بنقل الكلمة عن معناها الأصلي إلى غيره ، وقال السكاكي : رأي أن يقال هو مشبه للمجاز وملحق به لا شترأ كهما في التعدي عن الأصل ، وقد جعله ابن الأثير من المجاز بمعنى التوسع في الكلام .

تمريعات على المجاز المرسل والاستعارة

١ — تمرين

(١) بين ما فيه مجاز مرسل وما فيه استعارة من هذين البيتين :

من يزرع الشرَّ يحصد في عواقبه ندامةً ولحصد الزرع إبانُ

ولم يبقِ سوى العُدوِّ ن دناهم كما دأبوا

(٢) ما نوع الاستعارة وما قريتها في قول الشاعر :

إذا ما الدهرُ جرَّ على أناسٍ كلاًّ كَلَهُ أناخٌ بأخريتنا

٢ — تمرين

(١) وردت — دما — فيما يأتي مجازاً مرسلًا واستعارةً فينبهما :

فتتى كُلمًا فاضت عيونُ قبيلة دما ضحكته عنه الأحاديثُ والذِّكرُ

أكلت دما إن لم أرُعك بضرة بعيدة مَهوَى القُرْطِ طَيِّبَةُ النَشْرِ

(٢) كيف تجرى الاستعارة بالكناية والاستعارة التخيلية في قول الشاعر :

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تسكَّشفت له عن عدوِّ في ثياب صديق

٣ — تمرين

(١) كيف جرت الاستعارة في العَلَم من قول الشاعر :

لقد حانَ توديعُ العَميد وإنه حقيقٌ بتشجيعِ المُحِيزينَ والعِدَا

فكلم لا نرى الأهرامَ يا نيلُ مُيِّدًا وفرعونُ عن واديك مُرْتَحِلُ عَدَا

(٢) كيف تجرى الاستعارة التمثيلية في قوله تعالى (إنا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ

على السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا)

تمرين — ٤

بين الاستعارة المطلقة والمرسحة والمجردة في الآيات الآتية :

- (١) رَمَتْني بِسَهْمِ رِيْشَةِ الْكُحْلِ لَمْ يَضُرْ ظَوَاهِرَ جِلْدٍ وَهُوَ لِلْقَلْبِ جَارِحٌ
(٢) إِنَّ التَّبَاعُدَ لَا يَضُرُّ إِذَا تَقَارَبَتِ الْقُلُوبُ
(٣) إِذَا انْتَضَلَ الْقَوْمُ الْأَحَادِيثَ لَمْ يَكُنْ عَمِيًّا وَلَا رَبًّا عَلَى مَنْ يُقَاعَدُ

تمرين — ٥

(١) لماذا قبحت الاستعارة في قول الشاعر :

بَلَوْنَاكَ أَمَّا كَعْبُ عِرْضِكَ فِي الْعُلَا فَعَعَالٍ وَأَمَّا خَدُّ مَائِكَ اسْفَلُ

(٢) لماذا كان المجاز المرسل في هذا البيت غير مفيد :

فَبَشَيْنَا جُلُوسًا لَدَى مُهْرِنَا نُسْرَعُ مِنْ شَفَقَتِهِ الصَّفَارِ
(٣) لماذا استحسنت الاستعارة التخيلية في قوله تعالى (واخفض لهما جناح الذل) — ي — ٢٤ — س — ١٧ ، واستهجن في قول أبي تمام :
لَا تَسْقِي مَاءَ الْمَلَامِ فَإِنِّي صَبَّ قَدْ اسْتَعَذِبْتُ مَاءَ بَكَائِي

تمرين — ٦

(١) وازن بين الاستعارتين في قول الشاعر :

سَالَتْ عَلَيْهِ شِعَابُ الْحَى حِينَ دَعَا أَنْصَارَهُ بِوُجُوهِهِ كَالدَّيْنَانِيرِ
وقول الآخر :

أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ يَنْسِنَا وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ النُّطْلِ الْأَبَاطِحِ
(٢) ماهي علاقة المجاز المرسل في قول الشاعر :

فَهَمْتُ الْكِتَابَ أَبْرَ الْكِتَبِ فَسَمِعَا لِأَمْرِ أَمِيرِ النُّعْرَبِ
(٣) لماذا عيبت الاستعارة على أبي تمام في قوله :

يَادَهُ قَوْمٌ مِنْ أَخْدَعِيكَ فَقَدْ أَضْجَجْتَ هَذَا الْأَنَامَ مِنْ خَرِّكَ

القول في الكناية

تعريف الكناية : الكناية لفظ أُريدَ به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ ^(١) كقولك - فلان طويل النجاد - أى طويل القامة ، و - فلانة تؤوم الضحى - أى مُرَفَّهةٌ مخدومة غير محتاجة إلى السعى بنفسها في إصلاح المهمات ، وذلك أن وقت الضحى وقت سعى نساء العرب في أمر المعاش وكفاية أسبابه وتحصيل ما يُحتاجُ إليه في تهينة النمَتَاوَلَاتِ وتدبير إصلاحها ، فلا تنام فيه من نساءهن إلا من تكون لها خدام ينوبون عنها في السعى لذلك ، ولا يمتنع أن يراد مع ذلك طول النجاد والنوم في الضحى من غير تأويل ^(٢) فالفرق بينها وبين المجاز من هذا الوجه ، أى من جهة إرادة المعنى ^(٣) مع إرادة لازمة ، فإن المجاز ينافى ذلك ، فلا يصح في نحو قولك - فى الخمام أسد - أن تريد معنى الأسد من غير تأويل ، لأن المجاز ملزوم قرينه معاندة لإرادة الحقيقة كما عرفت ، وملزومٌ مُعَانِدٌ الشيء مُعَانِدٌ لذلك الشيء ^(٤) وفرق السكاكى وغيره بينهما بوجه آخر

(١) لازم المعنى وهو المقصود يقال له معنى كئنائى ، وملزومه يقال له معنى حقيقى ، وجواز إرادة المعنى الحقيقى فى الكناية بالنظر إلى ذاتها ، وقد تمتنع إرادته فيها لعارض يمنع من إرادته ، كقوله تعالى (ليس كمثله شيء) - ي - ١١ - س - ٤٢ - على القول بأن الكاف أصلية وأنه يفيد نفي المثلية بطريق الكناية ، فلا يصح إرادة المعنى الحقيقى فيه لأنه يفيد ثبوت المثل له تعالى .

(٢) يريد بالتأويل صرف اللفظ عن حقيقة .

(٣) أى جواز إرادته لأنه يجوز عدم إرادته .

(٤) جرى الخطيب فى هذا على المشهور من أن الكناية قسم آخر غير الحقيقة والمجاز ، وقيل : إن الكناية لفظ مستعمل فى معناه الحقيقى لينقل منه إلى المعنى المجازى ، وعلى هذا تكون الكناية قسما من الحقيقة ، وقيل : إن الكناية تارة يراد بها المعنى المجازى لدلالة المعنى الحقيقى عليه فتكون مجازاً ، وتارة يراد بها المعنى الحقيقى ليدل به على المعنى المجازى فتكون حقيقة ، والخلاف فى مثل هذا لا طائل تحته .

أيضاً ^(١) وهو أن مَبْنَى الكناية على الانتقال من اللازم إلى الملزوم ، ومبنى المجاز على الانتقال من الملزوم إلى اللازم ، وفيه نظر ، لأن اللازم ما لم يكن ملزوماً يمتنع أن ينتقل منه إلى الملزوم ^(٢) فيكون الانتقال حينئذ من الملزوم إلى اللازم ، ولو قيل : اللزوم من الطرفين من خواص الكناية دين المجاز أو شرط لها دونه اندفع هذا الاعتراض ، ولكن اتجه منع الاختصاص والاشتراط ^(٣) .

أقسام الكناية : ثم الكناية ثلاثة أقسام : لأن المطلوب بها إما غير صفة ولا نسبة ، أو صفة ، أو نسبة . والمراد الصفة المعنوية كالجود والكرم والشجاعة وأمثالها لا النعت .

المطلوب بها غير صفة ولا نسبة : الأولى المطلوب بها غير صفة ولا نسبة ^(٤) فمنها ما هو معنى واحد ، كقولنا — المضيف — كناية عن زيد ، ومنه قوله كناية عن القلب :

(١) ٢١٣ — المفتاح . (٢) لأن اللازم قد يكون أعم من الملزوم كلزوم الحيوان للإنسان ، ولا دلالة للعام على الخاص .
(٣) أى منع اختصاص الكناية بكون اللزوم فيها من الطرفين واشتراط ذلك فيها دون المجاز ، لأنه لا يشترط ذلك فيها كما لا يشترط فيه ، لأن لازم المعنى الحقيقي فيهما قد يكون أعم منه ، وقيل : إنه لا خلاف بين الخطيب والسكاكي إلا في التسمية ، لأنهما متفقان على أن ذهن السامع لقولنا — كثير الرماد — ينتقل من كثرة الرماد إلى الكرم ، ولكن السكاكي يسمى كثرة الرماد لازماً والخطيب يسميه ملزوماً ، ولأنى أرى أن مثل هذا الخلاف لا يصح الاشتغال به في علم البيان .
هذا ومن أغراض الكناية أنها تقدم لك الحقيقة مصحوبة بدليلها ، وأنها تبرز المعقول في صورة المحسوس ، وأنه يحتز بها عما لا يليق التعبير به ، إلى غير هذا من أغراضها .

(٤) أى ولا نسبة صفة لموصوف ، بأن يكون المطلوب بها موصوفاً ، ولو قال : الأولى المطلوب بها الموصوف . لكان أحسن .

الضار بين بَكلٍّ أبيضٍ مخْذِمٍ والطاعنين بجماعِ الأضغانِ (١)
ونحوه قول البحترى فى قصيدته التى يذكر فيها قتله الذئب :

فأتبعْتُها أخرى فأضللتُ نَصْلَها بحيث يكون اللبُّ والرعبُ والحقدُ (٢)
فمؤله — بحيث يكون اللب والرعب والحقد — ثلاث كنايةات لا كناية
واحدة ، لاستقلال كل واحد منها بإفادة المقصود (٣) .

ومنها ما هو بجموع معانٍ ، كقولنا كناية عن الإنسان — حتى مستوى
القامة عريض الأظفار (٤) .

وشرط كل واحدة منهما (٥) أن تكون مختصة بالمسكنى عنه لا تتعداه ،

(١) هو لعمر بن معد يكرب ، ورواية الموازنة — والضار بين — والمخْذِم
القاطع من السيوف ، والأضغان جمع ضغن وهو الحقد ، وجماع الأضغان القلوب ،
وبهذا تكون كناية عن موصوف ، واعترض بأن المجمع جمع مجمع وهو اسم
مكان مشتق من الجع ، فيكون إطلاقه على القلب حقيقة لا كناية . وأجيب بأن
هذا اللفظ لم يرد منه الذات الموصوفة بالصفة كسائر المشتقات ، وإنما أريد منه
الذات فقط على سبيل الكناية ، لأن الطعن لا يكون إلا فيها وحدها .

(٢) قوله — أضلكت — بمعنى غيبت ، والنصل حديدة الرمح والسهم .

(٣) لأن تقدير الكلام — بحيث يكون اللب ، وبحيث يكون الرعب ، وبحيث
يكون الحقد ، والمسكنى عنه واحد فيها كلها وهو القلب ، وهو قريب من قول
عمر — والطاعنين بجماع الأضغان — ولكن قول عمرو فى غاية الجودة ، لأنهم
إنما يطاعنون الأعداء من أجل أضغانهم ، فإذا وقع الطعن موضع الضغن فذلك
غاية كل مطلوب .

(٤) لا داعى إلى تقسيم هذا القسم إلى قسمين إلا الرغبة فى تكثير الأقسام

(٥) أى من هاتين الكنايةتين ، ولا وجه لاشتراط ذلك فهما بخصوصهما
لوجوبه فى كل كناية ، لأنه لا دلالة للأعم على الأخص ، على أن هذا الشرط
مستغنى عنه بما سبق فى تعريف الكناية من أن الانتقال فيها من المألوم ، لأن المألوم
لا بد أن يكون مختصاً باللائم المسكنى عنه .

ليحصل الانتقال منها إليه ، وجعل السكاكى الأولى قرية والثانية بعيدة (١) وفيه نظر (٢) .

المطلوب بها صفة : الثانية المطلوب بها صفة (٣) وهى ضربان : قرية وبعيدة . القرية ما يُتَقَلُّ منها إلى المطلوب بها لا بواسطة ، وهى إما واضحة ، كقولهم كناية عن طويل القامة — طويلٌ مُنْجَادُهُ ، وطويلٌ النِّجَادِ — والفرق بينهما أن الأول كناية ساذجةٌ ، والثانى كناية مشتملة على تصريح ما لتضمن الصفة فيه ضمير الموصوف بخلاف الأول (٤) ومنها قول الخامس :
أَبَتْ الرِّوَادِفُ وَالثَّدْيُ لِقَمَصِهَا مَسَّ البَطُونُ وَأَنْ تَمَسَّ طُهْرًا (٥)

(١) ٢١٤ — المفتاح .

(٢) لأن دلالة الوصف الواحد على الشيء ليست أقرب من دلالة مجموع أوصاف عليه ، بل ربما يكون الأمر بالعكس ، لأن التفصيل أوضح من الإجمال . ومن الكناية عن الموصوف قوله تعالى (وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُمُرٍ) — ي — ١٣ — س — ٥٤ — وقول الشاعر :

تَقُولُ الَّتِي مِنْ يَتِيَّتِهَا خَفَّ تَحْمَلِي عَزِيزٌ عَلَيْنَا أَنْ نَرَاكَ تَسِيرُ

(٣) بأن تكون نسبة الصفة إلى موصوفها معلومة ، فتكون الصفة نفسها هى المطلوبة من صفة أخرى يكفى بها عنها للاعتناء بها والمبالغة فيها .

(٤) لأن — نجاده — فاعل فيه ، أما فاعل طويل فى الثانى فهو ضمير الموصوف ، ولهذا تقول — الزيدان طويلان النجاد ، والزيدون طوال النجاد ، وهند طويلة النجاد — بالتثنية والجمع والتأنيث لأجل تحمله ذلك الضمير ، ولا شك أن هذا فيه نوع تصريح بثبوت الطول له ، وإنما لم يجعل تصريحاً تاماً للقطع بأن الصفة فى المعنى صفة للمضاف إليه وهو النجاد ، واعتبار الضمير إنما هو لأجل أمر لفظى ، وهو امتناع خلو الصفة عن معمول مرفوع بها ، وإذنى أرى أنه لا فرق من جهة الكناية بين المثالين ، لأنه لا يصح أن يكون لهذا الاعتبار اللفظى تأثير فى معنى الكناية .

(٥) لا يعرف قائله ، والروادف جمع رادفة وهى الكفل والعجز ، والثدى جمع ثدى ، وإباء الروادف لقمصها مس الظهور كناية عن كبرها وضمور خصرها ، وكذا إباء الثدى لها مس البطون .

وإِذَا خَفِيَتْهُ ، كَقَوْلِهِمْ كُنَايَةً عَنِ الْإِبْلَةِ — عَرِيضُ الْقَفَا — فَإِنْ
عُرِضَ الْقَفَا وَعَظُمَ الرَّأْسُ إِذَا أَفْرَطَ فَيُقَالُ دَلِيلُ الْغَبَاوَةِ (١) أَلَا تَرَى
إِلَى قَوْلِ طَرْفَةِ بْنِ الْعَبْدِ :

أَنَا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ خَشَّاشُ كُرْأَسِ الْحَيَّةِ الْمُتَوَقِّدِ (٢)
وَالْبَعِيدَةُ مَا يَنْتَقِلُ مِنْهَا إِلَى الْمَطْلُوبِ بِهَا بِوَاسِطَةٍ ، كَقَوْلِهِمْ كُنَايَةً عَنِ الْإِبْلَةِ
— عَرِيضُ الْوَسَادَةِ — فَإِنَّهُ يَنْتَقِلُ مِنْ عُرْضِ الْوَسَادَةِ إِلَى عُرْضِ الْقَفَا ،
وَمِنْهُ إِلَى الْمَقْصُودِ ، وَقَدْ جَعَلَهُ السَّاكِي مِنَ الْقَرِيْبَةِ عَلَى أَنَّهُ كُنَايَةً عَنِ عُرْضِ
الْقَفَا ، وَفِيهِ نَظَرٌ (٣) وَكَقَوْلِهِمْ — كَثِيرُ الرَّمَادِ — كُنَايَةً عَنِ الْمُضْيَافِ ،
فَإِنْ يَنْتَقِلُ مِنْ كَثَرَةِ الرَّمَادِ إِلَى كَثَرَةِ إِحْرَاقِ الْخُطْبِ تَحْتَ الْقُدُورِ ، وَمِنْهَا
إِلَى كَثَرَةِ الطَّبَاخِ ، وَمِنْهَا إِلَى كَثَرَةِ الْأَكْلَةِ ، وَمِنْهَا إِلَى كَثَرَةِ الضِّيْفَانِ ،
وَمِنْهَا إِلَى الْمَقْصُودِ . وَكَقَوْلِهِ :

وَمَا يَكُ فِي مَنْ عَيْبَ فَإِنِّي جَبَانُ الْكَلْبِ مَهْزُولُ الْفَصِيلِ (٤)
فَإِنَّهُ يَنْتَقِلُ مِنْ جَبَنِ الْكَلْبِ عَنِ النَّهْرِ فِي وَجْهِهِ مِنْ يَدْنُو مِنْ دَارٍ مِنْهُ
بِمَرَّصِدٍ لِأَنَّهُ يَعْصِدُ دُونَهَا مَعَ كَوْنِ الْهَرِيرِ فِي وَجْهِهِ مِنْ لَا يَعْرِفُهُ طَبِيعِيًّا لَهُ
إِلَى اسْتِمْرَارِ تَأْدِيئِهِ ، لِأَنَّ الْأُمُورَ الطَّبِيعِيَّةَ لَا تَتَغَيَّرُ بِمُوجِبِ لَا يَقْوَى ،

(١) خَفَاءُ الْكُنَايَةِ فِي ذَلِكَ بِالنَّظَرِ إِلَى أَوَّلِ سَمَاعِهَا ، وَلَا يُؤْثِرُ فِي ذَلِكَ ظُهُورُهَا
بَعْدَهُ ، وَمِنْ هَذَا قَوْلُ بَعْضِهِمْ فِي الْكُنَايَةِ عَنِ الْعِدَّةِ .

أَرَادَ أَبُوكَ أُمَّكَ يَوْمَ زَفَّتْ فَلَمْ يَوْجَدْ لَأَمَّكَ بَنَتْ مَعْدَ
(٢) الضَّرْبُ الْخَفِيفُ اللَّحْمِ ، وَالْخَشَّاشُ الصَّغِيرُ الرَّأْسِ وَهُوَ كُنَايَةٌ عَنِ ذِكَاثِهِ ، وَالشَّاهِدُ
فِي جَعْلِهِ ذَلِكَ دَلِيلُ الذِّكَاةِ ، فَيَكُونُ مُقَابِلَهُ وَهُوَ عُرْضُ الْقَفَا وَعَظُمَ الرَّأْسُ دَلِيلُ الْغَبَاوَةِ .
(٣) لِأَنَّهُ لَا يَقْصِدُ مِنْ ذَلِكَ الْكُنَايَةَ عَنِ عُرْضِ الْقَفَا ، وَإِنَّمَا يَقْصِدُ مِنْهُ
الْكُنَايَةَ عَنِ الْغَبَاوَةِ .

(٤) لَا يَعْرِفُ قَائِلُهُ ، وَالْفَصِيلُ وَلَدُ النَّاقَةِ وَهَزَالُهُ بِحَرَمَاتِهِ مِنْ لَبْنِهَا بِنَحْرِهَا أَوْ بِإِيْثَارِ
الضِّيْفَانِ بِهِ ، يَعْنِي أَنَّهُ لَا عَيْبَ فِيهِ إِلَّا ذَلِكَ ، فَهُوَ مِنْ بَابِ تَأْكِيدِ الْمَدْحِ بِمَا يَشْبَهُ الذَّمَّ .

ومن ذلك إلى استمرار مُوجب بُنّاحه وهو اتصال مشاهدته وجوها إثّر وجوه ، ومن ذلك إلى كونه مَقْصِدَ أدّان وأقاص ، ومن ذلك إلى أنه مشهور بحسن قرى الأضياف . وكذلك ينتقل من هُزال الفصيل إلى فقد الأم ، ومنه إلى قوة الداعي إلى نحرها لجمال عناية العرب بالنوق لاسيما المملكات ، ومنها إلى صرفها إلى الطباخ ، ومنها إلى أنه مضياف . ومن هذا النوع قول نُصَيْب :

لِعَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى قَوْمِهِ . وَغَيْرِهِمْ مِنْ ظَاهِرَةٍ
فَبَابِكَ أَسْهَلُ أَبْوَابِهِمْ وَدَارِكَ مَأْهُولَةٍ عَامِرَةٍ
وَكَلْبِكَ آنَسُ بِالزَّائِرِينَ مِنَ الْأُمِّ بِالْإِبْنَةِ الزَّائِرَةِ (١)

فإنه ينتقل من وصف كلبه بما ذكر إلى أن الزائرین معارف عنده ، ومن ذلك إلى اتصال مشاهدته إياهم ليلاً ونهاراً ، ومنه إلى لزومهم شدته ، ومنه إلى تسنى مَبَاغِهِمْ لديه من غير انقطاع ، ومنه إلى وفور إحسانه إلى الخاص والنعم وهو المقصود . ونظيره مع زيادة لطف قول الآخر :

يَكَادُ إِذَا مَا أَبْصَرَ الضَّيْفَ مُقْبِلًا يُسَكِّمُهُ مِنْ حَبِّهِ وَهُوَ أَعْجَمُ (٢)
ومنه قوله :

لَا أَمْتَعُ النُّعُودَ بِالنَّفِصَالِ وَلَا أَبْتِاعُ إِلَّا قَرْيَةَ الْأَجَلِ (٣)

(١) هي لنصيب بن رباح في مدح عبد العزيز بن مروان ، والمثنى جمع منه وهي النعمة ، والمأهولة الدار التي فيها أهلها ، وكذلك العامرة ، فهي صفة مؤكدة لما قبلها ، وإنما خص الابنة الزائرة لأن عطف الأم عليها أكثر .

(٢) هو لإبراهيم بن هرمة ، ورواية البيان والتبيين تراه إذا ما أبصر الضيف كلبه والضمير في — يكاد — للكلب ، والأعجم الذي لا يتكلم ، والشاهد في كنياته بحب الكلب للضيف عن جود صاحبه ، وزيادة اللطف فيه ناشئة من المبالغة في محاولة الكلب أن يكلمه . (٣) هو لإبراهيم بن هرمة أيضاً ، والنعوذ جمع عائد وهي الناقة الحديثة النتاج ، والفصال جمع فصيل وهو ولد الناقة .

فإنه ينتقل من عدم إمتاعها إلى أنه لا يُبقي لها فصاها لتأنس بها ويحصل لها الفرح الطبيعي بالنظر إليها ، ومن ذلك إلى نحرها ، أو لا يُبقي العوذ إبقاء على فصاها^(١) وكذا قرب الأجل ينتقل منه إلى نحرها ، ومن نحرها إلى أنه مضياف .
ومن لطيف هذا القسم^(٢) قوله^(٣) تعالى (وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ)
أى ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل ، لأن من شأن من اشتد ندمه وحسرتة أن يعرض يده غمماً ، فتصير يده مسقوطة فيها لأن فاه قد وقع فيها .
وكذا قول أبي الطيب كناية عن الكذب :

تشتكى ما اشتكى من ألم الشوق ق إليها والشوق حيث النحول^(٤)
وكذا قوله :

إلى كم ترمد الرثائل عماء أتوا له كأنهم فسيما وهبت ملام^(٥)
فإن أوله كناية عن الشجاعة وآخره كناية عن الساحة ، وكذا قول أبي تمام :
فإن أنا لم يحمدك عني صاغراً عدوك فاعلم أنني غير حامد^(٦)
يريد بحمده عنه حفظه مدحه فيه وإنشاده ، أى إن لم أكن أجيد القول

- (١) الفرق بين التقديرين أن النحر في الأول للفصال وفي الثاني للنوق .
(٢) يعنى قسم الكناية المطلوب بها صفة ، ووجه اللطف فيما سيذكره ما فيه من الدقة والغرابة ، سواء أكان بعيداً أم قريباً . (٣) - ى - ١٤٩ - س - ٧
(٤) الضمير فى - تشتكى - لمحبوته ، والنحول دقة الجسم من مرض ونحوه ، يقول : إنها تشكو من ألم الشوق مثل شكواه ، ولكنها كاذبة فى شكواها لأنه لا نحول فيها ، فتقوله - والشوق حيث النحول - كناية عن كذبها .
(٥) هو لأبي الطيب أيضاً فى مدح سيف الدولة ، والمراد بالرسول رسل ملك الروم فى طلب الصلح ، يقول : إنه يردهم كما يرد الملام عنه بما يهب من ماله . فانتقل من ردهم إلى عدم اعتداده بهم ، ومن عدم اعتداده بهم إلى شجاعته ، وقد مدحه بالشجاعة على وجه استتبع مدحه بالساحة ، وهذا من الاستتباع الآتى فى علم البديع ، وقوله - فيما وهبت - متعلق بلام . (٦) الصاغر اسم فاعل من الصغار وهو الذلة .

في مدحك حتى يدعو حسنه عدوك أن يحفظه ويلهج به صاغراً فلا تعدني حامداً لك بما أقول ، ووصفه بالصغار لأن من يحفظ مدح عدوه وينشده فقد أذل نفسه ، فكفى بحفظ عدو الممدوح مدحه له عن إجادته القول في مدحه (١) . وكذا قول من يصف راعي إبل أو غنم :

ضعيفُ العَصَا بَادِي الشُّعْرُوقِ تَرَى لَهُ عَلَيْهَا إِذَا مَا أَجْدَبَ النَّاسُ إِصْبِغاً (٢)
وقول الآخر :

صَلَبُ الْعَصَا بِالضَّرْبِ قَدْ دَمَّاهَا (٣)

أى جعلها كالدمى في الحسن ، والغرض (٤) من قول الأول - ضعيف العصا - وقول الثاني - صلب عصا - وهما وإن كان في الظاهر مُتَضَادَّيْنِ فإنها كنايةتان عن شيء واحد ، وهو حسن الرغية والعمل بما يصلحها ويحسن أثره عليها ، فأراد الأول أنه رفيق مشفق عليها لا يقصد من حمل العصا أن يوجعها بالضرب من غير فائدة ، فهو يتخير ما لأن من العصا . وأراد الثاني أنه جيد الضبط لها عارف بسياستها في الرعي ، يجرها عن المراعى التي لا تحمد ، ويتوخى بها

(١) كنى قبل هذا بحمده له عن حفظه لمدحه له ، فالكناية فيه بواسطة .

(٢) هو لعبيد بن حصين المعروف بالراعى من قصيدة له مطلعها :

بنى وابلش إنا هو ينأ جواركم وما جمعنا نيسة قبلها معا

وبادى العروق ظاهرها لقلة اللحم في جسمه ، والمراد بالإصبع الأثر الحسن

على سبيل المجاز المرسل . (٣) هو من قول أبي العلاء بن سليمان في الإبل :

صَلَبُ الْعَصَا بِالضَّرْبِ قَدْ دَمَّاهَا تَوَدُّ أَنْ اللهُ قَدْ أَفْنَاهَا

إذا أرادت رشداً أغرواها محالة من من رقه إياها

والضرب يطلق على الضرب بالعصا وعلى السير في الأرض ، وقوله - أفناها -

بمعنى أهلكها من شدته عليها ، والرشد نبت تأكله الإبل ، وقوله - أغواها -

بمعنى أطعمها الغوى وهو نبات آخر تأكله ، ومحاله فاعل - أغوى - واحده محالة

وهى الخدق والقدرة في التصرف .

(٤) مبتدأ بمعنى المقصود وخبره ضعيف العصا الخ ، يعنى أن ذلك محل الشاهد .

ما تضمن عليه ، ويتضمن أيضا أنه يمنعها عن التشرد والتبدد ، وأنها إنما عرفت من شدة شكيمته وقوة عزيمته تنساق في الجهة التي يريد ، وقوله - بالضرب قد دماها - تورية حسنة ^(١) ويؤكد أمرها قوله - صلب العصا .

المطلوب بها نسبة : الثالثة المطلوب بها نسبة ^(٢) كقول زياد الأعجم :

إن السباحة والمُروءة والتدنى في قبة ضربت على ابن الحشرج ^(٣)
فإنه حين أراد ألا يصرح بإثبات هذه الصفات لابن الحشرج جمعها في قبة تنبئها بذلك على أن محلها ذوقية ، وجعلها مضروبة عليه لوجود ذوى قباب في الدنيا كثيرين ، فأفاد إثبات الصفات المذكورة له بطريق الكناية ^(٤) ونظير قولهم - المجد بين ثوبيه ، والكرم بين مُرَدَّيه - قال السكاكي ^(٥) وقد يظن هذا من قسم - زيد طويل نجاده ^(٦) وليس بذلك ، فطويل نجاده بإسناد الطويل إلى النجاد تصريح بإثبات الطول للنجاد ، وطول النجاد كما تعرف قائم مقام طول القامة ، فإذا صرح من بعد بإثبات النجاد لزيد بالإضافة كان ذلك تصريحاً بإثبات الطول لزيد ^(٧) فتأمل . وكقول الآخر :

(١) لأنه يحتمل معنى قريباً وهو أن يضربها فيسيل دمها ، ومعنى بعيداً وهو جعلها كالدمى ، والمراد هو المعنى البعيد كما سبق ، والتورية من المحسنات البديعية الآتية في علم البديع ، وإنما أكد أمرها قوله - صلب العصا - لأنه يناسب المعنى القريب كما سيأتى في الكلام عليها .

(٢) بأن يصرح بالصفة ويقصد بإثباتها الشيء الكناية عن إثباتها للموصوف بها
(٣) هو لزياد بن سليمان مولى عبد القيس ، وكان أكن فلقب بالأعجم ، والسباحة الجود ، والمروءة النخوة وكال الرجولة ، والتدنى الجود والفضل والخير ، والقيمة ما كان فوق الخيمة في العظم والانساع وهي خاصة بالرؤساء ، وابن الحشرج هو عبد الله بن الحشرج أمير نيسابور .

(٤) لأن هذه الصفات لا تقوم بنفسها ولا بتلك القبة من حيث ذاتها فتعين أن تقوم به . (٥) ٢١٦ - المفتاح . (٦) فيكون من الكناية المطلوب بها صفة مثله .
(٧) فتكون الصفة هي المكنى عنها فيه لا النسبة ، أما قولهم - المجد بين ثوبيه - فهو عكسه في ذلك فلا يكون مثله .

والمجذُّ يدعو أن يدومَ لجيده عقدُ مسامى ابن العميد نظامه^(١)
فإنه شبه المجذُّ بإنسان بديع الجمال في ميل النفوس إليه وأثبت له جيداً
على سبيل الاستعارة التخيلية ، ثم أثبت لجيده عقداً ترشيحاً للاستعارة ،
ثم خص مسامى ابن العميد بأنها نظامه ، فنبه بذلك على اعتناؤه خاصة بتزيينه ،
وبذلك على محبته وحده له ، وبها على اختصاصه به ، ونبه بدعاء المجذُّ أن يدوم
لجيده ذلك العقد على طلبه دوام بقاء ابن العميد ، وبذلك على اختصاصه به^(٢).
وكقول أبي نواس :

فما جازهُ جودُهُ ولا حَلَّ دُونَهُ ولكن يصير الجودُ حيث يصير^(٣)
فإنه كنى عن جميع الجود بأن نكَّره^(٤) ونفى أن يجوز ممدوحه ويحل
دونه فيكون متوزعاً يقوم منه شيء بهذا وشيء بهذا، وعن إثباته له بتخصيصه
بجهته بعد تعريفه باللام التي تفيد العموم^(٥) ونظيره قولهم — مجلس فلان
مُظَنَّةُ الجود والكرم — هذا قول السكاكي^(٦) وقيل : كنى بالشطر الأول
عن اتصافه بالجود وبالثاني عن لزوم الجود له ، ويحتمل وجهاً آخر
وهو أن يكون كل منهما كناية عن اختصاصه به ، وعدم الاقتصار على
أحدهما للتأكيد والتقرير ، وذكرهما على الترتيب المذكور لأن الأولى

(١) لا يعرف قائله ، والجيد العنق ، والمسامى جمع مسعاة وهي المسكرمة ،
ونظام العقدها به يكون منتظماً وهو سلسك ، وابن العميد هو محمد بن الحسين .
(٢) فيكون في البيت كنيائتان والمسكنى عنه بهما واحد وهو اختصاص
المجذُّ بابن العميد .

(٣) هو للحسن بن هاني المعروف بأبي نواس ، وقوله — جازه — بمعنى تعداه ،
وقوله — ولا حل دونه — بمعنى أنه لم يستقر في غير مكانه .

(٤) لأن التذكيرة في سياق النفي تدل على العموم .

(٥) فيكون صدر البيت كناية عن عدم توزعه وتقسيمه ، وهذه كناية عن
صفة ، ويكون بحزه كناية عن إثباته له ، وهذه كناية عن نسبة . والكناية الثانية
كأنها مرتبة على الأولى . (٦) ٢٢٧ — المفتاح .

بواسطة (١) بخلاف الثانية .

وكقولهم — مثلك لا يبخل — قال الزمخشري : نفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية ، لأنهم إذا نفوه عن يسد مسدده وعن هو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه ، ونظيره قولك للعربي — العرب لا تخفر الذمم — فإنه أبلغ من قولك — أنت لا تخفر — ومنه قولهم — أيقعت لدائته ، وبلغت أترابه — يريدون إيقاعه وبلوغه ، وعليه قوله (٢) تعالى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) على أحد الوجهين وهو ألا تجعل الكاف زائدة ، قيل : وهذا غاية لنفي التشبيه إذ لو كان له مثل لكان كمثل شيء وهو ذاته تعالى ، فلما قال (ليس كمثل) دل على أنه ليس له مثل (٣) وأورد أنه يلزم منه نفيه تعالى لأنه مثل مثله ، ورُدَّ بمنع أنه تعالى مثل مثله ، لأن صدق ذلك موقوف على ثبوت مثله تعالى عن ذلك .

وكقول الشنفرى الأزدي في وصف امرأة بالعفة .

(١) لأن الذهن ينتقل فيها من عدم توزع الجود إلى تجمعها ، ومن ذلك إلى اختصاصه به ، وعلى هذا الوجه والذي قبله يكون كل من الكنايتين كناية عن نسبة .

(٢) — ي — ١١ — س ٤٢ .

(٣) هذه طريقة المتكلمين في تقرير الكناية في الآية ، وتوضيحها أن الله تعالى موجود ، فإذا نفي مثل مثله لم نفي مثله ، لأنه لو كان له مثل لكان هو — أعني الله تعالى — مثل مثله ، فلم يصح نفي مثل مثله لثلا يلزم نفيه تعالى مع ثبوت وجوده ، وهذا كما تقول — ليس لأخ زيد أخ — أى ليس لزيد أخ نقياً للزوم نفي لازمه . وطريقة البلغاء أن لفظ مثل في الآية كلفظ مثل في قولك — مثلك لا يبخل — فالمراد منها نفي المثل عن ذاته بطريق نفي المثل عن يكون مثله في صفاته ، لأنه إذا نفي المثل عن يكون مثله في صفاته لم يلزم نفيه عنه لعدم الفرق بينهما ، وتقرير الكناية على هذا الوجه واضح لاتعقيد فيه كما في طريقة المتكلمين .

يبيت بمنجاة من اللوم ببيتها إذا ما بُسِوت بالملامة حُلَّت (١)
فإنه نبه بنفى اللوم عن بيتها على انتفاء أنواع الفجور عنه، وبه على
براءتها منها، وقال — يبيت — دون يظل لمزيد اختصاص الليل بالفواحش.
هذا ما رواه الشيخ عبد القاهر والسكاكي (٢) وفي الأغاني الكبير — يحل بمنجاة
وقد يظن أن هنا قسماً رابعاً وهو أن يكون المطلوب بالكنية الوصف
والنسبة معاً، كما يقال — يكثر الرماد في ساحة عمرو — في الكناية عن أن
عمراً مضياًف، وليس بذاك، إذ ليس ما ذكر بكنية واحدة بل هو كنياتان:
إحداها عن المضيافة، والثانية عن إثباتها لعمرو، وقد ظهر بهذا أن طرف
التمشيط بطريق الكناية يجوز أن يكون مكنياً عنه أيضاً كما في هذا المثال،
ونحوه بيت الشنفرى المتقدم، فإن حلول البيت بمنجاة من اللوم كناية عن
نسبة العفة إلى صاحبه، والمنجاة من اللوم كناية عن العفة (٣).

الكناية العُرضية: واعلم أن الموصوف في القسم الثانى والثالث (٤) قد
يكون مذكوراً كما مر، وقد يكون غير مذكور، كما تقول في عُرض (٥) من
يؤذى المسلمين — المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده — أى ليس المؤذى

(١) هو عمرو بن مالك المعروف بالشنفرى، والمنجاة الباعث على النجاة
وهى الخلاص، واللوم العتاب والدم.

(٢) ٢٠٣ — دلائل الإعجاز، ٢١٧ — المفتاح.

(٣) هذا وأهم أقسام الكناية الثلاثة القسم الثانى والثالث، لأن الكناية
تفاوت مراتبها فيها قرباً وبعداً وظهوراً وخفاء، وقد بين الخطيب ذلك في القسم
الثانى لأنه أظهر منه فى الثالث، والحق أن الثالث تفاوت مراتب الكناية فيه
أيضاً، وقد أشار الخطيب إلى أن الكناية قد تكون بعيدة فيه، وهذا فى قول الشاعر:

والمجد يدعو أن يدوم لجيده عقد مساعى ابن العميد نظامه

(٤) بخلاف القسم الأول لأن التعريض لا يأتى إلا فى هذين القسمين.

(٥) العرض الناحية والجانب والمراد التعريض به.

مسلباً^(١) وعليه قوله تعالى^(٢) في عُرْضِ المنافقين (هُدًى لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) إِذَا فُسِّرَ الْغَيْبُ بِالْغَيْبَةِ، أَيْ يُؤْمِنُونَ مَعَ الْغَيْبَةِ عَنْ حَضْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أَيْ هُدًى لِلْمُؤْمِنِينَ عَنْ إِخْلَاصِ لَا لِلْمُؤْمِنِينَ عَنْ نِفَاقِ .

التعريض والتلويح والرمز والإيماء والإشارة : وقال السكاكي^(٣) :

الكنية تتفاوت إلى تعريض وتلويح ورمز وإيماء وإشارة، فإن كانت عُرْضِيَّةً فالمُنَاسِبُ أَنْ تَسْمَى تعريضاً^(٤) وإلا فإن كان بينها وبين المسكنى عنه مسافة متباعدة لكثرة الوسائط كما في — كثير الرماد — وأشباهه فالمُنَاسِبُ أَنْ تَسْمَى تلويحاً، لأن التلويح هو أَنْ تشير إلى غيرك عن بُعْدٍ، وإلا فإن كان فيها نوع خفاء فالمُنَاسِبُ أَنْ تَسْمَى رمزاً، لأن الرمز هو أَنْ تشير إلى قريب منك على سبيل الخفية، قال :

(١) فهو كناية عن نفي الإسلام عنه، لأن حصر الإسلام في غير المؤذى يلزمه نفيه عن المؤذى وهو منه، وبهذا تكون الكناية فيه من القسم الثالث .

(٢) — ي — ٣، ٢ — س ٢ .

(٣) ٢١٧ — المفتاح .

(٤) الحق أن الكناية العرضية غير التعريض وإن سميت به، فالكناية العرضية هي التي يكون الموصوف فيها غير مذكور، والتعريض إمالة الكلام إلى عرض يدل على المقصود، تقول — عرضت لفلان وبه — إذا قلت قولاً لغيره وأنت تعنيه، ولهذا لا يختص التعريض بالكناية بل يأتي أيضاً في الحقيقة والمجاز، ودلالته غير لفظية بخلاف دلالة الثلاثة، فإذا أتى في الكناية كقولك — المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده — فالمعنى الكنائي فيه نفي الإسلام عن المؤذى مطلقاً، والمعنى التعريضى نفي الإسلام عن المؤذى المعين، وإذا أتى في الحقيقة كقولك تعرض بشخص بمقوت — لست أنكلم بسوء فيمقتني الناس — فالمعنى الحقيقي فيه غير التعريضى أيضاً . وكذلك إذا أتى في المجاز كما سيذكره الخطيب .

رَمَزَتْ إِلَى مَخَافَةٍ مِنْ بَعْلِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ تَسْبِيَهُ هُنَاكَ كَلَامُهَا (١)
 وإلا فالمناسب أن تسمى إيماء وإشارة ، كقول أبي تمام يصف إبلا :
 أَبَيْنَ مَا يَزُرْنَ سَوَى كَرِيمٍ وَحَسْبُكَ أَنْ يَزُرْنَ أَبَا سَعِيدٍ (٢)
 فإنه في إفادة أن أبا سعيد كريم غير خاف .

وكقول البحتري :

أَوْ مَا رَأَيْتَ الْمَجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلِ (٣)
 فإنه في إفادة أن آل طلحة أُمَاجِدُ ظَاهِرٌ .

وكقول الآخر :

إِذَا اللَّهُ لَمْ يُسْقِ إِلَّا الْكَرَامَ فَسَقَى وَجُوهَ بَنِي حَنْبَلٍ
 وَسَقَى دِيَارَهُمْ بَاكِراً مِنَ الْعَيْثِ فِي الزَّمَنِ الْمُمَحَلِّ (٤)
 وكقول الآخر :

مَتَى تَخْلُو تَمِيمٌ مِنْ كَرِيمٍ وَمَسْلَمَةٌ بَنِ عَمْرِو مِنْ تَمِيمٍ (٥)

(١) لا يعرف قائله ، وقوله — رمزت — بمعنى أشارت بخفية وهو محل الشاهد ، والبعل الزوج .

(٢) قوله — أبين — بمعنى امتنع ، وأبو سعيد هو محمد بن يوسف الثغري الطائي ، ولقب بالثغري لعمله بالثغور ، والشاهد في الشطر الثاني بضميمة الشطر الأول .

(٣) الرجل ما يجعل على ظهر البعير كالسرج للفرس ، شبه المجد برجل له رحل على سبيل الاستعارة المسكنية ، ثم جعل لقاءه رحله في آل طلحة كناية عن ثبوته لهم .

(٤) هما العبد الرحمان بن حسان بن ثابت ، والباكر البكرة وهي أول النهار ، تقول — أتيته بكرة — أي باكراً ، والمحمل المجذب . والشاهد في قوله — فسقى وجوه بني حنبل — بضميمة ما قبله . فهو كناية عن ثبوت الكرم لهم .

(٥) لا يعرف قائله ، والاستفهام في قوله — متى تخلو — للإِنْكَارِ فيكون معناه النفي ، أي لا تخلو تميم من كريم ومسلمة بن عمرو منهم ، وهذا كناية عن ثبوت الكرم له

ثم قال ^(١) والتعريض كما يكون كناية قد يكون مجازاً ، كقولك
— أذيتني فستعرف — وأنت لا تريد المخاطب بل تريد إنساناً معه ^(٢) وإن
أرتهما جميعاً كان كناية ^(٣)

(١) ٢١٨ — المفتاح .

(٢) هذا مجاز مرسل علاقته اللزوم ، لأنه يلزم من تهديد المخاطب لإيذائه تهديد
كل مؤذ ، وهو يشمل من مع المخاطب ، ولا بدله من قرينة مانعة من إدارة المعنى الحقيقي
(٣) لا بد لها من قرينة تدل على إرادتهما جميعاً ، لأن الكناية لا بد لها من قرينة أيضاً ،
والحق أنهما إذا أريدا جميعاً لا يكون ذلك كناية بل يكون من استعمال اللفظ في حقيقته
ومجازه وذلك بمنوع ، وأنه إذا أريد غير المخاطب يكون تعريضاً لا مجازاً ، وإنما يجتمع
التعريض والمجاز في نحو قولك تعرض بمن كشف عورته في حمام — رأيت أسوداً
في حمام غير كاشفين عوراتهم فلم يعجب ذلك عليهم .

تمرينات على الكناية

١ - تمرين

وازن بين قول المتنبي في الكناية عن العفة :

إِنِّي عَلَى شَغْفِي بِمَا فِي مُخْمَرِهَا لَا عَفَّ عَمَّا فِي سِرِّ أَوْبِلَاتِهَا

وقول الشريف الرضي في الكناية عنها :

أَحْنُ إِلَى مَا يَضْمَنُ الْخُمْرُ وَالْحُلَى وَأَصْدِفُ عَمَّا فِي ضِمَانِ الْمَآزِرِ

٢ - تمرين

(١) بين ما يطلب بالكناية من أقسامها الثلاثة في قول الشاعر :

أَفْاضِلُ النَّاسِ أَغْرَاضٌ لِدَا الزَّمَنِ يَخْلُو مِنَ الْهَمِّ أَخْلَامٌ مِنَ النِّفْطَنِ

(٢) وقفت امرأة على قيس بن سعد فقالت : أشكو إليك قلة الفأر .

فقال : ما أحسن ما ورتت ! املؤوا بيتها خبزاً وسمناً ولحماً — فهل قول هذه المرأة كناية أو تعريض أو كناية وتعريض معاً ؟

٣ - تمرين

(١) من أى الكنائيتين القرية والبعيدة قول الشاعر :

أُرِيدُ بِسُطَّةٍ كَفَّ أَسْتَعِينَ بِهَا عَلَى قِضَاءِ حُقُوقِ السُّعَى قِبَلِي

(٢) بين الكناية ونوعها في قوله تعالى (فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ

مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمْ اللَّهُ) — ي — ٢٢٢ — س — ٢

٤ - تمرين

(١) من أى أقسام الكناية قوله تعالى (وَرَأَوْنَهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا

عَنْ نَفْسِهِ) — ي — ٢٣ — س — ١٢ ، ولماذا أُوثرت على التصريح

باسمها أو بامرأة العزيز ؟

(٢) وازن بين الكناية السابقة والكناية في قول الشاعر :
تقول التي من بيتها خفٌ مركبي عزيزٌ علينا أن نراك تسير

٥ — تمرين

(١) ما الممكنى عنه وما نوع كنياته في قوله تعالى (أَوْ مَنْ يُنشَأُ
فِي الْغُلِيِّ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ) — ي — ١٨ — س — ٤٣ .
(٢) بين الكناية ونوعها في قول الشاعر :

أخو لخنم أغارك منه ثوبا هنيئاً بالقميص المستجد
وقد روى — أخو لحم بالحاء المهملة .

(٣) بين ما يطلب بالكناية من أقسامها الثلاثة في قول الشاعر :
أبيني أفي يميني يديك جعلتني فأفرح أم صيرتني في شماليك

٦ — تمرين

(١) ما هو المطلوب من الكناية في قول الشاعر :
قومٌ ترى أرماحهم يوم الوغى مشغوفَةٌ بمواطن الكشمان
(٢) ما هو المطلوب من الكناية في قول الشاعر :
ولا زال بيتُ المثلِكِ فِرْقِكِ عالياً تُشَيِّدُ أَطْنَابُ له وعمودُ

٧ — تمرين

(١) ما هي فائدة تقسيم الكناية إلى ما يطلب بها موصوف وما يطلب
بها صفة وما يطلب بها نسبة ؟
(٢) ما الفرق بين دلالة الحقيقة والمجاز والكناية ودلالة التعريض ؟
وأيهما ألطف دلالة التعريض أم دلالة الكناية ؟
(٣) هل الكناية الغرضية عين التعريض أو غيره ؟ وإذا كانت غيره
فما الفرق بينهما مع توضيحه في مثال يجدهما ؟

تنبيه

الموازنة بين المجاز والحقيقة والكنائية والتصريح : أطبق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة ^(١) وأن الاستعارة أبلغ من التصريح بالتشبيه ، وأن التمثيل على سبيل الاستعارة أبلغ من التمثيل لا على سبيل الاستعارة ، وأن الكناية أبلغ من الإفصاح بالذكر ^(٢) .

قال الشيخ عبد القاهر ^(٣) : وليس ذلك ^(٤) لأن الواحد من هذه الأمور يفيد زيادة في المعنى نفسه لا يفيد لها خلافة ، بل لأنه يفيد تأكيداً لإثبات المعنى لا يفيد خلافة ، فليست فضيلة قولنا — رأيت أسداً — على قولنا — رأيت رجلاً هو والأسد سواء في الشجاعة — أن الأول أفاد زيادة في

(١) أبلغ أفعال تفضيل يجوز أن يكون مأخوذاً من البلاغة بمعناها اللغوية أي أفضل وأحسن ، ويجوز أن يكون مأخوذاً من المبالغة على مذهب الأخفش في جواز بناء أفعال التفضيل من الرباعي ، وهو الظاهر من كلام عبد القاهر ، وقيل : إن المجاز المرسل لا مبالغة فيه فلا يكون أبلغ من الحقيقة . والحق أن المجاز المرسل فيه مبالغة أيضاً إلا ما كان منه خالياً عن الفائدة .

(٢) بقيت موازنات أخرى : منها الموازنة بين المجاز والكنائية ، وقد قيل : إن الكناية أبلغ من المجاز المرسل ، ويحتمل أن تكون أبلغ من الاستعارة أيضاً . وقيل : إن الاستعارة أبلغ من الكناية لأنها كالجامعة بين الاستعارة والكنائية . وقيل : إن الاستعارة المكنية أبلغ من الكناية وإن الكناية أبلغ من التصريحية . ومنها الموازنة بين الاستعارة المكنية والتصريحية ، وقد قيل : إن الأولى أبلغ من الثانية ، لأن الأولى كالجامعة بين الاستعارة والكنائية والتصريحية محمولة على التشبيه فهي قريبة . ورد عليه بأنهم إنما يستحسنون الاستعارة القريبة ، لأنه إذا استعير الشيء ما يقرب منه كان أولى بما ليس منه في شيء ، ولو كان البعيد أحسن لما استعجنوا قول أبي نواس :

بَحَّ صَوْتُ الْمَالِ مِمَّا مِنْكَ يَشْكُو وَيَصِيحُ

ومنها الموازنة بين الاستعارة التمثيلية والمفردة ، وقد قيل : إن الأولى أبلغ من الثانية .

(٣) ٤٧، ٤٨، ٤٩ دلائل الإعجاز (٤) أي كون الواحد من هذه الأمور أبلغ من الآخر

مساواته للأسد في الشجاعة لم يفدها الثاني ، بل هي أن الأول أفاد تأكيداً لإثبات تلك المساواة لم يفده الثاني . وليست فضيلة قولنا — كثير الرماد — على قولنا — كثير القرى — أن الأول أفاد زيادة لقراءه لم يفدها الثاني ، بل هي أن الأول أفاد تأكيداً لإثبات كثرة القرى له لم يفده الثاني . والسبب في ذلك أن الانتقال في الجميع ^(١) من الملزوم إلى اللازم ، فيكون إثبات المعنى به كدعوى الشيء ببيته ، ولا شك أن دعوى الشيء ببيته أبلغ في إثباته من دعواه بلا بيته .

ولقائل أن يقول : قد تقدم أن الاستعارة أصلها التشبيه ، وأن الأصل في وجه الشبه أن يكون في المشبه به أتم منه في المشبه وأظهر ، فقولنا — رأيت أسداً — يفيد للسمري شجاعة أتم مما يفده قولنا — رأيت رجلاً كالأسد — لأن الأول يفيد شجاعة الأسد والثاني شجاعة دون شجاعة الأسد . ويمكن أن يحجب عنه بحمل كلام الشيخ على أن السبب في كل صورة ليس هو ذلك ، لا أن ذلك ليس بسبب في شيء من الصور أصلاً ^(٢) — هذا آخر الكلام في الفن الثاني .

(١) أى في المجاز بأقسامه والكناية .

(٢) يعنى بهذا أن قول عبد القاهر — ليس ذلك لأن الواحد من هذه الأمور الخ — محمول على رفع الإيجاب الكلى فلا ينافي ثبوت الإيجاب الجزئى ، وحيث لا يدخل في دعواه من الاستعارة والتشبيه إلا ما كان نحو — رأيت أسداً ورأيت رجلاً هو الأسد سواء — ولا يدخل فيها منهما ما كان نحو — رأيت أسداً ، ورأيت رجلاً كالأسد — ولكن كلام عبد القاهر في — دلائل الإعجاز — ظاهر في أنه يعنى السلب الكلى ، فيدخل فيه كل صور الاستعارة والتشبيه ، فالأحسن أن يحجب عن ذلك بأن الاستعارة لم تخرج في المعنى عن كونها تشبيهاً ، فوجه الشبه فيها لا بد أن يكون في المشبه به أتم منه في المشبه أيضاً ، وحيث لا يكون فرق بينهما إلا فيما ذكره عبد القاهر من تأكيد الإثبات وعدمه ، ولكنى أرى مع هذا أن الرجال ليسوا سواء في مشابهة الأسد في الشجاعة ، وأن الاستعارة تستعمل فيمن تكون مشابهته أقوى ، والتشبيه فيمن تكون

البلاغة والفصاحة عند السكاكي: وذكر السكاكي (١) بعد الفراغ منه (٢) تفسير البلاغة بما نقلناه عنه في صدر الكتاب (٣) ثم قسم الفصاحة إلى معنوية ولفظية، وفسر المعنوية بخلوص المعنى عن التعقيد، وعنى بالتعقيد اللفظي على ما سبق تفسيره (٤) وفسر اللفظية بأن تكون الكلمة عربية أصلية، وقال: وعلامة ذلك أن تكون على السنة الفصحاء الموثوق بعربيتهم أذورك، واستعمالهم لها أكثر، لأنما أحدثه السمو للدون ولا بما أخطأ فيه العامة، وأن تكون أجرى على قوانين اللغة، وأن تكون سليمة عن التنافر. فجعل الفصاحة غير لازمة للبلاغة (٥) وحصر مرجع البلاغة في الفنين (٦) ولم يجعل الفصاحة مرجعاً لشيء منهما (٧).

ثم قال: وإذا قد وقفت على البلاغة والفصاحة المعنوية واللفظية فأنا أذكر على سبيل الأنموذج آية أكشف لك فيها عن وجوه البلاغة والفصاحتين معا سيسترها عنك، وذكر ما أورده الزمخشري في تفسير قوله (٨) تعالى (وقيل

مشابته أضعف، وبهذا يكون الفرق بينهما في الدلالة على زيادة المعنى وضعفه أيضاً. (١) ٢٢٠ - المفتاح، وكان الأحسن تقديم هذا الكلام على الفصاحة والبلاغة في المقدمة من الجزء الأول. (٢) أى من الفن الثاني، وقد أحسن الخطيب بتقديم الكلام على الفصاحة والبلاغة في المقدمة من الجزء الأول. (٣) يعنى كتاب - الإيضاح - وقد نقله عنه في تعريفه علم المعاني. (٤) أى في المقدمة من الجزء الأول، أما التعقيد المعنوي فبالخلوص عنه لا يدخل عنده في تعريف الفصاحة، بل يدخل في قوله في تعريف البلاغة - وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والسكناية على وجهها.

(٥) لأنه لم يقيد تعريف البلاغة بفصاحة الكلام كما قيده الخطيب، والخلاف في هذا لا طائل تحته، لأن كلامهما مطلوب في الكلام ولولم يكن أحدهما لازماً للآخر. (٦) يعنى فن المعاني وفن البيان (٧) إنما يرجع فن البيان عنده إلى الفصاحة لأن الخلوص من التعقيد المعنوي لا يدخل عنده في تعريفها، وفن البيان إنما يقصد منه الاحتراز عن التعقيد المعنوي. (٨) - ي - ٤٤ - س - ١١.

يا أرضُ ابلعي ماءك ويا سماءُ اقْلعي وغيضِ السماءُ وقْضي الأمرُ واستوتْ
على الجُودىَّ وقيل مُبعداً للقسَمِ الظالمين (وزاد عليه نُسكتاً لا بأس بها ،
فرأيت أن أوردَ تلخيص ما ذكره جارياً على اصطلاحه في معنى البلاغة والفصاحة
قال : أما النظر فيها من جهة علم البيان فهو أنه تعالى لما أراد أن يبين معنى
— أردنا أن نرُدَّ ما انفجر من الأرض إلى بطنها فارتد ، وأن نقطع طوفانَ
السماء فانقطع ، وأن يغيض الماء النازل عن السماء فغاض ، وأن يُقْضَى أمر
نوح وهو إنجاز ما كنّا وعدناه من إغراق قومه فقضى ، وأن نُسَوِّى السفينة
على الجُودى فاستوت ، وأبقينا الظالمين عَذْرَتِي — بنى الكلام على تشبيه
المراد منه ^(١) بالمأمور الذى لا يأتى منه لكمال هيئته العصيان ، وتشبيه تكوين
المراد ^(٢) بالأمر الجزم النافذ فى تكوُّن المقصود ، تصويراً لاقتداره
تعالى وأن السماوات والأرض وهذه الأجرام العظام تابعة لإرادته كأنها
عقلاء ، يزون قد عرفوه حق معرفته ، وأحاطوا علماً بوجوب الانقياد
لأمره ، ونحتم بذل المجهود عليهم فى تحصيل مراده ، ثم بنى على تشبيهه هذا
نظم الكلام فقال تعالى (قيل) على سبيل المجاز عن الإرادة الواقع بسببها
قول القائل ^(٣) وجعل قرينة المجاز خطاب الجماد وهو يا أرض ويا سماء ،
ثم قال (يا أرض ويا سماء) مخاطباً لهما على سبيل الاستعارة للشبه المذكور ^(٤)
ثم استعار لغور الماء فى الأرض البلع الذى هو إعمال الجاذبة فى المطعوم
بجامع الذهاب إلى مقر خفى ^(٥) واستتبع ذلك تشبيه الماء بالغذاء على طريق
الاستعارة بالسكنية ، لتقوى الأرض بالماء فى الإنبات للزرع والأشجار ،

(١) هو الأرض والسماء لأنه أريد منهما بلع الماء والإقلاع عن المطر

(٢) هو بلع الماء وما بعده

(٣) فهو مجاز مرسل من إطلاق المسبب وإدارة السبب .

(٤) أى المسكنية ، والشبه المذكور هو تشبيه المراد منه بالمأمور .

(٥) هى استعارة تصريحية تبعية اشتق فيها من البلع — ابلعي — بمعنى غورى

وجعل قرينة الاستعارة لفظ (ابلعى)^(١) لكونه موضوعاً للاستعمال في الغذاء دون الماء ، ثم أمر على سبيل الاستعارة للشبه المتقدم ذكره^(٢) ثم قال (ماءك) بإضافة الماء إلى الأرض على سبيل المجاز تشبيهاً لاتصال الماء بالأرض باتصال الملك بالملك ، واستعار لحبس المطر الإقلاع الذي هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما في عدم ما كان ، وخاطب في الأمرين^(٣) ترشيحاً للاستعارة ، ثم قال (وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعداً للقوم الظالمين) فلم يصرح بالغائض والقاضى والمسوى والقائل كما لم يصرح بقائل (يا أرض ويا سماء) سلوكاً في كل واحد من ذلك سبيل الكناية أن تلك الأمور العظام^(٤) لاتتأق إلا من ذى قدرة لا تشككته ، قهَّار لا يُغالب ، فلا مجال لذهاب الوهم إلى أن يكون الفاعل لشيء من ذلك غيره ، ثم ختم الكلام بالتعريض لسالكى مسلكتهم في تكذيب الرسل^(٥) ظلاً لأنفسهم ختم إظهار لمكان السخط ولجهة استحقاقهم إياه^(٦) .
وأما النظر فيها من حيث علم المعانى — وهو النظر في فائدة كل كلمة فيها وجهة كل تقديم وتأخير بين جملتها — فذلك أنه اختير — يا — دون سائر أخواتها لكونها أكثر استعمالاً . ولدالالتها على بُعد المنادى الذى يستدعيه مقام إظهار العظمة ويؤذن بالتهاون به ، ولم يقل — يا أرض — بالكسر تجنباً لإضافة التشريف تأكيداً للتهاون ، ولم يقل — يايتها الأرض — للاختصار

-
- (١) ففيه استعارة تخييلية من جهة إثبات البلع للماء وهو من لوازم الغذاء ، أو من جهة استعارة البلع لغور الماء في الأرض على ما سبق من الخلاف في الاستعارة التخييلية .
(٢) يريد أمر (ابلعى) والشبه هو تشبيه المراد منه بالمأمور .
(٣) أى (ابلعى — أقلعى) فالخطاب فيهما ترشيع لاستعارة البلع للتغوير والإقلاع للحبس (٤) أن وما بعدها في تأويل مصدر مجرور بحرف محذوف أى سبيل الكناية عن أن تلك الأمور الخ ، والظاهر أن الكناية هنا لغوية لا اصطلاحية .
(٥) يعنى بسالكى مسلكتهم كفار قريش ومن اليهم .
(٦) هى جهة ظلمهم أنفسهم بتكذيب الرسل .

مع الاحتراز عما في - أيتها - من تكلف التنبيه غير المناسب للمقام ، لكون
المخاطب غير صالح للتنبيه على الحقيقة^(١) واختير لفظ الأرض دون سائر أسمائها
لكونه أخف وأذور ، واختير لفظ السماء لمثل ذلك مع قصد المطابقة^(٢)
واختير (ابلى) على - ابتلى - لكونه أخضر ، ولجئ - حظ التجانس بينه
وبين (أقلعى) أو فَرَّ^(٣) وقيل (ماءك) بالإفراد دون الجمع لدلالة الجمع على
الاستكثار الذى ياباه مقام إظهار الكبرياء ، وهو الوجه فى إفراد الأرض
والسما ، ولم يحذف مفعول (ابلى) لثلاثيهم ما ليس بمراد من تعميم الابتلاع
للجبال والتلال والبحار وغيرها ، نظر آلى مقام ورود الأمر الذى هو مقام
عظمة وكبرياء ، ثم إذ يبين المراد اختصار الكلام على (أقلعى) فلم يقل - أقلعى
عن إرسال الماء - احترازاً عن الحشو المستغنى عنه من حيث الظاهر^(٤)
وهو الوجه فى أنه لم يقل - يا أرض ابلى ماءك فباعث وباسماء أقلعى فأقلعت -
واختير (غيض الماء) على - غِيَضَ - المشددة لكونه أخضر وأخف
وأوفق لقليل^(٥) وقيل (الماء) دون أن يقال - ماء طوفان السماء - وكذا
(الأمر) دون أن يقال - أمر نوح - للاختصار ، ولم يقل - سَوَّيْتُ
على الجودى - بمعنى أقرت على نحو (قل وغيض وقضى) فى البناء للمفعول
اعتباراً لبناء الفعل للفاعل مع السفينة فى قوله (وهى تجرى بهم) مع قصد
الاختصار^(٦) ثم قيل (بعداً للقوم) دون أن يقال - ليعبد القوم -
طلباً للتوكيد مع الاختصار ، وهو نزول مُبْعَدٌ منزلة - ليعبدوا مُبْعَدٌ - مع

(١) لأن المخاطب هو الأرض وهى لا تعقل حتى تصلح للتنبيه .

(٢) هى من المحسنات الآتية فى علم البديع .

(٣) لتشابههما فى الوزن العروضى وعدد الحروف .

(٤) أى من حيث ظاهر الكلام لاشتراكه على ما يدل عليه

(٥) لتشابههما فى الوزن .

(٦) لأن همزة - استوت - تسقط فى الدرج فتكون أخضر من سويت .

إفادة أخرى وهى استعمال اللام^(١) مع مُبْعَدِ الدال على معنى أن البعد حَقٌّ لهم ، ثم أطلق الظلم ليتناول كل نوع حتى يدخل فيه ظلمهم لأنفسهم بتكذيب الرسل . هذا من حيث النظر إلى الكلم^(٢) وأما من حيث النظر إلى ترتيب الجمل فذلك أنه قَدَّمَ النداء على الأمر فقل (يا أرض ابلعى ويا سماء أقلعى) دون أن يقال — ابلعى يا أرض وأقلعى يا سماء — جريا على مقتضى اللازم فيمن كان مأمورا حقيقة من تقديم التنبيه ، ليتمكن الأمر الوارد عَقِبَهُ في نفس المتأدى قصداً بذلك لمعنى الترشيح^(٣) ثم قدم أمر الأرض على أمر السماء لا ابتداء الطوفان منها ونزولها لذلك فى القصة منزلة الأصل ، ثم أتبعها قوله (وغيض الماء) لا اتصاله بقصة الماء ، ثم أتبعه ما هو المقصود من القصة وهو قوله (وقضى الأمر) أى أنجز أوعد من إهلاك الكفرة وإنجاء نوح ومن معه فى السفينة ، ثم أتبعه حديث السفينة ، ثم خَتَمَتِ القصة بما خَتَمَتْ . هذا كله نظراً فى الآية من جانب البلاغة ، وأما النظر فيها من جانب الفصاحة المعنوية فهى كما ترى نظماً للبعاني لطيف ، وتأدية لها مُلَخَّصة مُبَيَّنَّة ، لا تعقيد مُعْشَرُ الفِكَرِ فى طلب المراد ، ولا التواء يُشِيك الطريق إلى المُرْتَاد ، بل ألفاظها تسابق معانيها ، ومعانيها تسابق ألفاظها . وأما النظر فيها من جانب الفصاحة اللفظية فالفصاحة على ما ترى عَرَبِيَّةٌ مستعملة ، جارية على قوانين اللغة ، سليمة عن التنافر ، بعيدة عن البشاعة ، عَذْبَةٌ على العَذَبَاتِ^(٤) سَلِسَةٌ على الأسَلَاتِ^(٥) كلٌّ منها كالماء فى السلاسة ، وكالعسل فى الحلاوة ، وكالنسيم فى الرقة — والله أعلم .

(١) يعنى لام الجرفى قوله (بعد اللقوم) لأنها تستقط إذا قيل ليعبد القوم .

(٢) يعنى الكلمات المفردة فى الآية .

(٣) يريد بالترشيح التهيئة للأمر ، أو ترشيح الاستعارة على ما سبق .

(٤) جمع عذبة وهى الطرف من كل شئ والمراد بها هنا رأس اللسان .

(٥) جمع أسلة وهى رأس اللسان أيضاً ، أو الطرف المستدق من جانبيه .

مباحث الجزء الثالث

الموضوع

الصفحة

٢ الفن الثاني علم البيان

٢ — تعريف علم البيان — ٣ — أقسام الدلالة — ٦ — أبواب علم البيان

٦ ٤ القول في التشبيه

٦ — تعريف التشبيه — ٨ — تأثير التشبيه — ١٠ — أسباب تأثير التشبيه

١٤ — أركان التشبيه : طرفا التشبيه — ١٧ — وجه التشبيه — ٢٢ — الوجه

الداخل في الطرفين والخارج عنهما — ٢٣ — الوجه الواحد وغيره والحس والعقل

٢٤ — الواحد الحس — الواحد العقلي — ٢٥ — المركب الحس — ٣٢ —

المركب العقلي — ٣٣ — دققة في الوجه المركب — ٣٥ — المتعدد الحس —

المتعدد العقلي — المتعدد المختلف — أداة التشبيه — ٣٨ — الغرض من التشبيه :

ما يعود إلى المشبه من أغراض التشبيه — ٤٣ — ما يعود إلى المشبه به من أغراض

التشبيه — ٤٨ — أقسام التشبيه باعتبار طرفيه : تشبيه المفرد بالمفرد — ٥١ —

تشبيه المركب بالمركب — ٥٤ — تشبيه المفرد بالمركب — تشبيه المركب بالمفرد —

التشبيه المفوف والمفروق — ٥٥ — تشبيه التسوية والجمع — ٥٧ — أقسام

التشبيه باعتبار وجهه : التمثيل — ٥٩ — غير التمثيل — المجمل — ٦١ — المفصل

٦٣ — القريب المبتدل — ٦٤ — البعيد الغريب — ٧٢ — التشبيه البعيد هو

التشبيه البليغ — ٧٣ — تحول القريب إلى بعيد — ٧٥ — أقسام التشبيه باعتبار

أداته : المؤكد — ٧٧ — المرسل — أقسام التشبيه باعتبار الغرض : المقبول

٧٨ — المردود — ٧٩ — خاتمة : مراتب التشبيه — ٨١ — تمرينات على التشبيه.

٨٣ القول في الحقيقة والمجاز

٨٣ — تعريف الحقيقة — ٨٤ — تعريف الوضع — ٨٥ — إنكار الوضع

٨٦ ٤ — المجاز المفرد والمركب — الحقيقة والمجاز اللغويان والشرعيان والعرفيان — ٨٧ —

اشتقاق الحقيقة والمجاز — ٨٩ — تقسيم المجاز المفرد إلى مرسل واستعارة — المجاز

المرسل وعلاقاته : علاقة السببية والمجاورة — ٩٣ — علاقة الجزئية — ٩٤ — علاقة الكلية

— علاقة السببية أيضاً — ٩٥ — علاقة المسببية — ٩٧ — علاقة اعتبار ما كان —

علاقة اعتبار ما يكون — ٩٨ — علاقة المحلية — علاقة الحالية — علاقة

الآلية — ١٠٠ — المرسل الخالي عن الفائدة والمفيد — ١٠٢ — الاستعارة

التصريحية — ١٠٤ — الفرق بين الاستعارة والتشبيه المؤكد

- ١١٠ — التجريد ليس استعارة ولا تشبيها — ١١١ — الاستعارة مجاز أقوى
 لا عقل — ١١٣ — التوفيق بين الادعاء في الاستعارة والقرينة المانعة — ١١٥ —
 الفرق بين الاستعارة والكذب — الاستعارة لا تدخل في الأعلام — ١١٦ —
 قرينة الاستعارة — ١١٧ تقسيمات الاستعارة : أقسام الاستعارة باعتبار الطرفين :
 الوفاقية والعنادية — ١١٩ — العنادية التهكية والتلميحية — ١٢٠ — أقسام الاستعارة
 باعتبار الجامع : ما يدخل جامعها في مفهوم الطرفين — ١٢٢ — ما يخرج جامعها عن
 مفهوم الطرفين — الاستعارة العامة والخاصة — ١٢٦ — أقسام الاستعارة باعتبار
 الطرفين والجامع : استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسي — ١٢٧ — استعارة
 محسوس لمحسوس بوجه عقلي — ١٢٩ — استعارة محسوس لمحسوس بوجه مختلف
 — استعارة معقول لمعقول — استعارة محسوس لمعقول — ١٣٠ — استعارة
 معقول لمحسوس — أقسام الاستعارة باعتبار المستعار : الأصلية والتبعية
 — ١٣٥ — أقسام الاستعارة باعتبار الخارج : المطلقة — المجردة — ١٣٦ —
 المرشحة — ١٤١ — المجاز المركب أو التمثيل — ١٤٨ — فصل : الاستعارة
 الممكنية والتخييلية — ١٥٢ — فصل : اعتراضات على السكاكي : الاعتراض
 عليه في تعريف الحقيقة والمجاز — ١٥٤ — الاعتراض عليه في جعل التمثيل من
 المجاز المفرد — ١٥٥ — الاعتراض عليه في تعريف التخييلية — ١٥٧ — الاعتراض
 عليه في تعريف الممكنية — ١٥٩ — الاعتراض عليه في رد التبعية إلى الممكنية
 — ١٦٠ — فصل : شروط حسن الاستعارة — ١٦٣ — فصل : المجاز بالحذف
 والزيادة — ١٦٤ — إنكار المجاز بالحذف والزيادة — ١٦٥ — تمرينات على
 المجاز المرسل والاستعارة
 ١٦٧ القول في السكناية
 — ١٦٧ — تعريف الكناية — ١٦٨ — أقسام الكناية : المطلوب بها غير صفة ولا نسبة
 — ١٧٠ — المطلوب بها صفة — ١٧٥ — المطلوب بها نسبة — ١٧٨ — الكناية العرضية
 — ١٧٩ — التعريض والتلويع والرمز والإيماء والإشارة — ١٨٢ — تمرينات على الكناية
 ١٨٤ تنبيه
 — ١٨٤ — الموازنة بين المجاز والحقيقة والكناية والتصریح — ١٨٦ — البلاغة
 والفصاحة عند السكاكي

بُعَيْتُكَ لِإِيضَاحِ

لِلدَّخِصِ الْمَفْتِاحِ

فِي عِلْمِ الْبَلَاغَةِ

تَأَلَّفَ

عَبْدُ الْمُتَعَالِ الصَّعِيدِي

الْأَسْتَاذُ بِكَلِيَّةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ كَلِمَاتِ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ

الْجُزْءُ الرَّابِعُ

فِي عِلْمِ الْبَدِيعِ

حَقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ لِلْمُؤَلِّفِ

تَقْيِيهِ : قَدْ وَضَعْنَا كِتَابَ الْإِيضَاحِ بِأَعْلَى الصَّفْحَةِ ، وَوَضَعْنَا شَرْحَهُ

— بَغْيَةَ الْإِيضَاحِ — بِأَسْفَلِهَا

النَّاشِرُ : مَكْتَبَةُ الْأَدَابِ بِالْجَمَامِيزِ ت : ٤٢٧٧٧

الْمَطْبَعَةُ النَّوْزَجِيَّةُ

٦ كَلِمَاتُ الْبَرِيدِ الْمَلِكِيَّةِ الْبَغْدَادِيَّةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفن الثالث علم البديع

تعريف علم البديع : وهو علم يُعرَفُ به وجوه تحسين الكلام^(١) بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة^(٢).

(١) يعنى بمعرفتها تصور معانيها والعلم بأعدادها وتفاصيلها ومنشأ الحسن فيها ، وهذه الوجوه هي المحسنات المعنوية واللفظية الآتية ، وإنما سميت محسنات لأنها ليست من مقومات البلاغة ولا الفصاحة ، فلحسن الذى تحدثه فى الكلام عرضى لا ذاتى .

(٢) قيل : إن كل واحد من تطبيق الكلام على مقتضى الحال ووضوح الدلالة ووجوه التحسين قد يوجد دون الآخر ، فلا يكون الأول واجبا فى الثانى ولا كل من الأول والثانى واجبا فى الثالث ، والحق أنهما يجبان فيه لأنه لا قيمة له إلا معهما . ولهذا لا تستحسن هذه الوجوه إذا تكلفت ، كالمطابقة فى قول الأخيطل :

قلتُ المقامُ وناعبُ قال النوى فقصيتُ قولى والمطاعُ غرابُ

لأن هذا من عتد الكلام وبارده . ولكن هذا لا يقتضى التقييد بذلك فى تعريف علم البديع ، لأنه يبحث عن وجوه الحسن بقطع النظر عن اشتراط ذلك فيها ، كما يبحث علم المعانى عن المطابقة بقطع النظر عن غيرها ، ويبحث علم البيان عن وضوح الدلالة بقطع النظر عن غيره ، فالأولى أن يجعل ذلك شرطا لاركتنا فى التعريف ، وأن يقتصر فى التعريف على أنه علم يعرف به وجوه تحسين الكلام من جهة لفظه ومعناه هذا ومن القدماء من ذهب إلى أن علم البديع هو ما تحصل به المطابقة مع

تقسيم المحسنات الى معنوية ولفظية : وهذه الوجوه ضربان : ضرب يرجع إلى المعنى ^(١) وضرب يرجع إلى اللفظ ^(٢) .

الفصاحة ، فالحسن عنده سواء كان عرضيا أم ذاتيا لفظيا أم معنويا من مقومات البلاغة ، وليس هناك شئ يقتضيه الحال وشئ لا يقتضيه الحال ، فيكون علم البديع شاملا للعلوم الثلاثة ، وهذا قول ضعيف ، لأن المحسنات البديعية تحسن في الكلام ولو لم يكن هناك حال يقتضيها ، ولا تجب فيه كما يجب التأكيده ونحوه مما يرجع إلى النظم لأنه من مقومات البلاغة ، وكما يجب وضوح الدلالة لأنه من مقومات الفصاحة ، ولهذا يجب الفصل بين العلوم الثلاثة ، وقد يكون لبعض وجوه التحسين نكتة كما سيأتى ، ولكنها لا تقتضى وجوبها فى البلاغة ، وإنما تكون شرطا لكونها محسنا بديعيا ، وبهذا يعلم خطأ ما شاع من أن المحسن البديعى إذا كان له نكتة يكون من علم المعانى

(١) أى أولا وبالذات وإن كان بعض أنواعه قد يفيد تحسين اللفظ أيضا ، كما فى المشاكلة لما فيها من إيهام المجانسة اللفظية .

(١) أى أولا وبالذات وإن كان بعض أنواعه قد يفيد تحسين المعنى أيضا ، وقد ذهب عبد القاهر إلى أن الحسن لا يمكن أن يكون للفظ فى ذاته من غير نظر إلى المعنى ، حتى ما يتوهم فى بدء الفكرة أن الحسن لا يتعدى فيه اللفظ والجرس كالتجنيس ، لأنك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعا حميدا ، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدا ، ولهذا استقبح فى قول أبى تمام :

ذهبت بذهبه الساحة فالتوت فيه الظنون أمذهب أم مذهب
واستحسن فى قول أبى الفتح البستي :

ناظره فيما جئت ناظره أو دعانى أمت بما أو دعانى

لأنه فى الأول لم يزدك على أن أسمك حروفا مكررة تروم لها فائدة فلا تجدها إلا

أقسام المحسن المعنوي : المطابقة أو الطباق : أما المعنوي فمفه المطابقة^(١)

وتسمى الطباق والتضاد أيضا ، وهي الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة^(٢) ويكون ذلك إمّا بلفظين من نوع واحد : اسمين ، كقوله^(٣) تعالى (وَنَحْسِبُهُمْ) أَيْقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ) أو فعلين ، كقوله^(٤) تعالى (تُوْتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ) وقول النبي عليه السلام للأنصار « إنكم لتكثرن عند الفزع ، وتقلون عند مطعم » وقول أبي صخر الهذلي :

مجهولة منكورة ، وفي الثاني أعاد عليك اللفظة لأنه يخدمك عن الفائدة وقد أعطاه ، ويرحمك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة وقفاها .

وإما قدم المعنوي على اللفظي لأنه أتم منه حسنا ، وقد رأى بعض مؤلفي عصرنا إلحاقه بعلم المعاني ، والحق أنه لا فرق بينه وبين اللفظي ، لأنهما سواء في أن الحسن فيهما عرضي لا ذاتي ، وفي أنهما يحسنان في الكلام ولا يجبان

(١) المطابقة في اللغة الموافقة ، ووجه المناسبة بينه وبين المعنى الاصطلاحي أن المنكلم فيه يوافق بين المعنيين المتقابلين

(٢) أي سواء أكان التقابل حقيقيا أم اعتباريا ، كتقابل القدم والحدوث وتقابل الإحياء والإماتة ، وسواء أكان تقابل التضاد أم تقابل غيره ، كتقابل البياض والسواد وتقابل العمى والبصر ، ومثل التقابل بين الاثنين والتقابل بين الجمع ، هذا وقد ذكر التنوخي في المطابقة أنها تحسن ما لم تكثر فتسجج — ولا يخفى أن هذا شأن المحسنات البدعية كلها لا المطابقة وحدها .

(٣) ي - ١٨ - س - ٢٨

(٤) ي - ٢٦ - س - ٣

أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمر^(١)
وقول بشار :

إذا أيقظتك حرُوبُ العدى فنبهت لها عُمراً ثمَّ نمَّ^(٢)
أو حرفين كقوله^(٣) تعالى (لها ما كسبتْ وَعَلَيْهَا ما اكْتَسَبَتْ)
وقول الشاعر :

على أنسى راضٍ بأن أتحِلَ الهوى وأخْصُصَ مِنْهُ لا عِلَى ولا لِيَا^(٤)
وإمّا بلفظين من نوعين ، كقوله^(٥) تعالى (أَوْ مَنْ كَانَ مِيسِنًا فَأَخْيَيْنَاهُ) أى
ضالاً فهديناه ، وقول طغئيل :

(١) قوله — أمره الأمر — بمعنى شأنه الأمر أى حاله أن يكون آمراً وغيره
مأموراً أو بمعنى أمره الأمر النافذ ، والشاهد فى قوله — أبكى وأضحك وأمات وأحيا —
وجواب القسم فى قوله بعده :

لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى أليفين منها لا يروءُهُمُ الذُّعَر

(٢) يريد عمر بن العلاء من قواد المهدي ، وفى رواية — إذا دهمنك عظام الأمور —
والشاهد فى قوله — فنبه ثمَّ نم — وفيه تقابل أيضاً بين قوله — أيقظتك ونم .

(٣) ي — ٢٨٦ — س — ٢ ، والمطابقة فيه بين اللام وعلى ، لأن اللام الملك
المؤذن بالانتفاع ، وعلى للاستعلاء المؤذن بالتحمل والتضرر

(٤) هو لجنون ليلى ، والشاهد فى — على — الثانية مع اللام فى قوله — ليا — لأن
على الأولى بمعنى مع ، والمعنى أنه تحمل فى الهوى ما يوجب مدحه ، ولكنه يرضى بأن
يخلص منه وليس عليه ذم ولا له مدح

(٥) ي — ١٢٢ — س — ٦

بِسَامِ الْوَجْهِ لَمْ تُقَطَّعْ أَبَاجِلُهُ يُصَانُ وَهُوَ لِيَوْمِ الرُّوْعِ مَبْدُولٌ^(١)

ومن لطيف الطباق قول ابن رَشِيْقٍ :

وَقَدْ أَطْفَؤُوا شَمْسَ النَّهَارِ وَأَوْقَدُوا نَجُومَ الْعَوَالِي فِي سَمَاءِ عَجَاجٍ^(٢)

وكذا قول القاضي الْأَرْجَانِي :

وَلَقَدْ نَزَاتُ مِنَ الْمُلُوكِ بِمَاجِدٍ فَقَرُّ الرِّجَالِ إِلَيْهِ مِفْتَاحُ الْغَنَى^(٣)

وكذا قول الفرزدق :

لَمَنِ الْإِلَهُ بَنَى كُلِّيْبٍ إِنَّهُمْ لَا يَغْدِرُونَ وَلَا يَفُونَ لِجَارٍ

يَسْتَيْقِظُونَ إِلَى نَهْيِكَ حِمَارِهِمْ وَتَنَامُ أَعْيُنُهُمْ عَنِ الْأَوْتَارِ^(٤)

(١) هو لطفيل بن عوف الغَسَوِيُّ ، وسام الوجه متغيره من كثرة الجرى صفة لفرس ، والأباجل جمع أبجل وهو عرق في الفرس والبعير بمنزلة الأكحل من الإنسان ، والروع الفزع ، والشاهد في قوله — يسان ومبدول

(٢) هو لأبي علي الحسن بن رَشِيْقٍ الْقَيْرَوَانِي ، والعوالى جمع عالية وهي أعلى الرمح أو النصف الذي يلي السنان ، والعجاج الغبار ، والشاهد في قوله — أطفؤوا وأوقدوا .

(٣) هو لأبي بكر أحمد بن عبد القاضي الأرجاني من قصيدة له في مدح علي بن جهمير وزير المستظهر بالله ، ومعناه أن فقرهم إليه مفتاح الغنى لهم بما يعطيهم ، والشاهد في التقابل بين الفقر والغنى .

(٤) هما من قصيدة له في هجاء جرير ، وقوله — لا يغدرون -- بمعنى لا يخونون عدوم لعجزهم عنه ، وهذا ذم لهم ، والأوتار جمع وتر وهو النار ، يعني أنهم لا يهيمهم أمر أوتارهم ويهيمهم أمر حمارهم ، فيستيقظون عند نهيقه ليعرفوا ما حمله عليه ويدفعوا المكروه عنه ، والشاهد في قوله — لا يغدرون ولا يفون ، ويستيقظون وتنام أعينهم

وفي البيت الأول تكميل حسن^(١) إذ لو اقتصر على قوله — لا يغدرون — لاحتل الكلام ضرباً من المدح ، إذ تجنب الغدر قد يكون عن عفة ، فقال — لا يفون — ليفيد أنه معجز ، كما أن ترك الوفاء للثوم ، وحصل مع ذلك إيغال حسن^(٢) لأنه لو اقتصر على قوله — لا يغدرون ولا يفون — ثم المعنى الذي قصده ، ولكنه لما احتاج إلى التناهي أعاد بها معنى زائداً حيث قال — لجار — لأن ترك الوفاء للجار أشد قبحاً من ترك الوفاء لغيره .

الطباق الظاهر والحقى : والطباق قد يكون ظاهراً كما ذكرنا ، وقد يكون خفياً تنوع خفاء ، كقوله^(٣) تعالى (رِمَّا حَطَبَاتِهِمْ أَغْرَقُوا فَأَدْخِلُوا نَارًا) طابق بين (أَغْرَقُوا) و (أَدْخِلُوا نَارًا) وقول أبي تمام :
 مها الوحش إلا أن هاتنا أو أئس قننا الخط إلا أن تلك ذوابل^(٤)
 طابق بين هاتنا وتلك^(٥) .

طباق الإيجاب وطباق السلب : والطباق ينقسم إلى طباق الإيجاب ، كما تقدم ، وإلى طباق السلب ، وهو الجمع بين رفعتي مصدر واحد مثبت ومنفي أو أمر

(١) التكميل من أنواع الإطناب ، وقد سبق في الجزء الثاني

(٢) الإيغال من أنواع الإطناب ، وقد سبق في الجزء الثاني

(٣) ي — ٢٥ — م — ٧١

(٤) المها واحدة مهاة وهي البقرة الوحشية ، يعني أنهم كبقر الوحش في سعة العيون ، وقننا واحدة قناة وهي الرمح ، والخط بلد تصنع فيها ، يعني أنهم كقننا الخط في اعتدال القامة ، والذوابل الأغصان الجافة ، يعني أن تلك الرماح ذوابل أماهن فنه اضر .

(٥) لأن — هاتنا — اسم إشارة للقريب — وتلك — اسم إشارة للبعيد .

وهي ، كقوله ^(١) تعالى (وَلَئِنْ أَكْثَرَ النَّاسَ لَا يَعْلَمُونَ ، يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) وقوله (فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي ^(٢)) وقول الشاعر :

وَنُشِيرُ إِن شَأْنًا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ
ولا ينكرون القول حين نقول ^(٣)
وقول البحترى :

يُقَيِّضُ لِي مِنْ حَيْثُ لَا أَعْلَمُ النَّوَى
وَيَسْرِي إِلَى الشُّوقِ مِنْ حَيْثُ أَعْلَمُ ^(٤)
وقول أبي الطيب :

وَلَقَدْ عُرِفْتُ وَمَا عُرِفَتْ حَقِيقَةُ
وَلَقَدْ جُهِلْتُ وَمَا جُهِلَتْ خُولا ^(٥)
وقول الآخر :

خُلِقُوا وَمَا خُلِقُوا لِمَكْرُمَةٍ
فَكَانَهُمْ خُلِقُوا وَمَا خُلِقُوا

(١) ي — ٦ ، ٧ — س — ٣٠

(٢) ي — ٤٤ — س ٥

(٣) قد سبق هذا البيت في آخر الكلام على الإيجاز والإطناب والمساواة من الجزء الثاني ، والشاهد في قوله — وتنكر ولا ينكرون .

(٤) قوله — يقيض — بمعنى يهيا ، والنوى الفراق ، والمراد أنه يقيض له من حيث لا يعلم أسبابه لأن محبوبته تهجره بلا سبب ، أما الشوق فهو يعلم سببه وهو حيله ، والشاهد في قوله — لا أعلم وأعلم

(٥) هو من قصيدة له في مدح ابن عمار مطلعها :

أَمْعَفُ اللَّيْلِ الْهَزْبُ بَسُوطُهُ لَمَنْ أَذْخَرَتْ الصَّارِمَ الْمَصْقُولَا
ومعنى البيت أنه عرف بسخائه وكريم صفاته ، ولكنه لم يعرف حقيقة لهو قدره .
فلا يمكن الوصول إلى حقيقته ، والشاهد في قوله — عرفت وما عرفت وجهلت وما جهلت .

رُزِقُوا وما رُزِقُوا سَمَاحَ يَدٍ فَكَأَنَّهُمْ رُزِقُوا وما رُزِقُوا^(١)
 قيل: ومنه^(٢) قوله^(٣) تعالى (لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)
 أى لا يعصون الله فى الحال ويفعلون ما يؤمرون فى المستقبل ، وفيه نظر ، لأن
 العصيان يُضَادُّ فعل المأمور به ، فكيف يكون الجمع بين نفيه وفعل المأمور به تضاداً^(٤)
الطباق المسمى تدریجاً :

ومن الطباق^(٥) قول أبى تمام :
 تَرَدَّى ثِيَابَ الْمَوْتِ حُمَرَاءَ فَمَا آتَى لَهَا اللَّيْلُ إِلَّا وَهْيَ مِنْ سُنْدُسٍ خُضْرُ^(٦)

(١) لا يعلم قائلهما ، والواو فى قوله — وما خلقوا — للحال ، والمعنى أنهم خلقوا
 غير مستعدين لفعل المكارم فكأنهم لم يخلقوا ، لأن من يكون مثلهم فوجوده كعدمه ،
 وكذلك المعنى فى البيت الثانى ، والشاهد فى قوله — خلقوا وما خلقوا ،
 ورزقوا وما رزقوا .

(٢) أى من طباق الإيجاب والسلب

(٣) ى — ٦ — س — ٦٦

(٤) على أنه ليس فيه جمع بين فعلى مصدر واحد كما هو طباق الإيجاب والسلب
 (٥) أى مطلقاً ، وهذا توطئة لقوله فيما سياتى — ومن الناس من يسمى نحو
 ما ذكرناه تدریجاً .

(٦) هو من قصيدته فى رثاء محمد بن حميد ، وقوله — تَرَدَّى ثِيَابَ الْمَوْتِ —
 بمعنى اتخذها رداءً ، والمراد بثياب الموت ما كان يلبسها وقت الحرب ، وقوله
 — حُمَرَاءَ — حال مقدرة أى حمراً بعد القتال لاحتين لبسها لأنها لم تحمر إلا بدم القنلى ،
 والسندس رقيق الحرير ، والأول كناية عن القتل والثانى كناية عن دخول الجنة ،
 والطباق فى قوله — حُمَرَاءَ وَخُضْرُ .

وقول ابن حيوس :

طالما قلتُ للسُّبَّاتِلِ عنكم واعتمادى رِداية الضُّلالِ
إِن تُردُّ علمَ حالهم عن يقين فالفهمُ يوم نائلٍ أو نزالِ
تلقَ بيضَ الوجوهِ سودَ مَنارِ النِّقْ رِيعَ خُضْرٍ إلا كَنافَ حُمَرِ النُّصَالِ^(١)
وقول الحريري : فَمُنْ أَرُوْرَ الحُبوبِ الأصفرِ^(٢) واغبرَّ العيشِ الأخضرِ^(٣)
اسودَّ يومى الأبيض ، وابيضَّ قوْدِى الأسود ، حتى رَئى لى العدو الأزرق^(٤)
فياحبذا الموت الأحمر^(٥)

ومن الناس من سمى نحو ما ذكرناه تدبيجاً ، وفسره بأن يُدْكَرُ فى معنى من

(١) ابن حيوس هو أبو الفتيان محمد بن سلطان ، وقوله — طالما — بمعنى طال وكثر وما كافة ، واعتمادى مصدر بمعنى اسم المفعول مبتدأ وما بعده خير ، وهى جملة معترضة بين القول ومقوله ، والنائل العطاء ، والنزال نازله فى الحرب بمعنى نزل فى مقابلته وقائه ، ومَنَارِ النِّقْ منتشر الغبار يعنى غبار الحرب ، والأ كَناف جمع كَنَف وهو الجانب وخضرتها كناية عن سواد دروعها ، لأن العرب تسمى الضارب إلى السواد أخضر ، والنصال جمع نصل وهو حديدة الرمح والسهم والسكين وربما سمى السيف نصلاً ، وحررتها كناية عن قتل الأعداء بها ، وهذا وقوله — بيض الوجوه — يرجع إلى يوم نائلهم ، وما بعده يرجع إلى يوم نزالهم ، والشاهد فى التقابل بين بيض وسود وخضر وحر ، والأول كناية عن كرمهم ، وما بعده كناية عن شجاعتهم

(٢) تورية بالذهب

(٣) خضرة العيش كناية عن طيبه

(٤) هو الخالص العداوة .

(٥) كناية عن الموت الطرى أى الجديد .

المدح أو غيره ألوان بقصد السكناية أو النورية^(١) أما تدبيج السكناية فكبيت أبي تمام وبيدي ابن حيوس، وأما تدبيج التورية فكلفظ الأصغر في قول الحريري^(٢).

ما يلحق بالطباق : كوسلحق بالطباق شيثان :

أحدهما^(٣) نحو قوله^(٤) تعالى (أشدأء على السكفأر دسأء بئسهم) فإن الرحمة مسببة عن اللين^(٥) الذي هو ضد الشدة ، وعليه قوله^(٦) تعالى (ومن رآهم جعل)

(١) المراد بالألوان مافوق الواحد فيشمل الاثنين ، واحترز بذكرها بقصد ذلك عن ذكرها بقصد الحقيقة أو المجاز ، لأن ذكرها بقصد الحقيقة ليس من المحسنات البديعية ، وذكرها بقصد المجاز المانع من إرادة الألوان من المحسنات اللفظية ، وقيل : إن ذكرها بقصد الحقيقة لا يمنع من كونها تدبيجا ، كقول الشاعر :

ومنشور دمي غداً أحمرأ على آس عارضك الأخضر

وإنما لم يجعل التدبيج قسماً خاصاً من المعنوي لأنه يدخل في الطباق ، لما بين الألوان من التقابل .

(٢) لأن له معنى قريباً وهو محبوب أصفر من البشر ومعنى بعيد وهو الذهب ، والبعيد هو المراد هنا ، وفي كلام الحريري تدبيج السكناية أيضاً ، لأن خضرة العيش كناية عن طيبه ونعمته ، واغبراره كناية عن ضيقه ونقصانه ، وسواد يومه كناية عن حزنه ، وبياض فوده كناية عن ضعف حاله .

(٣) هو أن يجمع بين معنيين لا يتنافيان في ذاتهما ولكن يتعلق أحدهما بما يقابل الآخر بسببيه أو لزوم أو نحوهما

(٤) ي — ٢٩ — س — ٤٨

(٥) اعترض عليه بأن اللين هو رقة القلب ورحمته وانعطافه ، فتكون الرحمة

(٦) ي — ٧٣ — س — ٢٨

داخله فيه لا مسببة عنه

لحكم الليل والنهار لَيْسَ كُنُونا فيه وَلَيْبَسَتْهُوا من فَضْلِهِ (فإن ابتغاء الفضل يستلزم الحركة المضادة للسكون ، والعدول عن لفظ الحركة إلى لفظ ابتغاء الفضل لأن الحركة ضربان : حركة لمصلحة وحركة لمفسدة ، والمراد الأولى لا الثانية ومن فاسد هذا الضرب قول أبي الطيب :

لَعَنَ تَطْلُبُ الدنيا إذا لم تُرَدِّ بها سُورَ مُحِبِّ أو إِساءة مُجْرِمٍ^(١)
فإن ضد المحب هو المبغض ، والمجرم قد لا يكون مبغضاً ، وله وجه بعيد^(٢)
والثاني ما يُسمى إيهام التضاد^(٣) كقول درغيل .

لا تعجبي ياسلم من رَجُلٍ ضحك المشيبُ برأسه فبكي^(٤)
وقول أبي تمام :

ما إن تَرَى الأحسابَ بيضاً وُضْحاً إلا بحيثُ تَرَى المنايا سُوْدًا^(٥)

(١) يخاطب بهذا كافوراً حين آخر عطاءه عنه ، والاستفهام يراد به النفي
(٢) هو أن بين الإجرام والبغض تلازماً ادعائياً ، كأنه يشير إلى أن المجرم لا يكون إلا مبغضاً له لمنافاة حاله لحاله .
(٣) هو أن يجمع بين معنيين غير متقابلين عبر عنهما بلفظين يتقابل معناهما الحقيقيان .

(٤) هو لدعبل بن علي الخزاعي ، وسلم ترخيم سلمى ، وقوله - ضحك المشيب - استعارة تبعية لظهوره التام برأسه لأن كلا منهما يشبه الآخر في لونه ، والشاهد في أن المراد بالضحك في البيت لا يضاد البكاء ولكن معنيهما الحقيقيين متضادان . والفرق بينه وبين التديسج أنه يكون بطريق المجاز ، أما التديسج فيكون بطريق السكتانية أو التورية

(٥) بيض جمع أبيض ، ووضح جمع واضح ، وهما استعارتان لنقاء الأحساب من

وقوله أيضاً في الشيب :

له منظرٌ في العين أبيضٌ ناصعٌ ولكنه في القلب أسودٌ أسفع^(١)
وقوله :

وتنظري خبيب الرُّكَّابِ يَنْمُشُهَا نحبي القريض إلى مُميتِ المالِ^(٢)

ما يخص من الطبايع باسم المقابلة : ودخل في المطابقة ما يخص باسم المقابلة ، وهو أن يؤتى بمعنىين متوافقين أو كمعان متوافقة ثم يعاقل بهما أو يعاقلها على الترتيب ، والمراد بالتوافق خلاف التقابل^(٣) وقد تتركب المقابلة من طباق وملحق به ، مثال

الدفن ، والمنايا جمع منية وهي الموت ، والمنايا السود كناية عن القتل في الحرب ، والشاهد في أن المراد من البيض والمراد من السود في البيت لانضاد بينهما ، ولكن معنيهما الحقيقيين متضادان .

(١) الأبيض الناصع هو الشديد البياض ، والأسود الأسفع هو الأسود إلى حمرة ، والشاهد في هذا أنه استعمار الأسود الأسفع لما يحدثه منظره في نفسه من الهم والحزن ، فعنه الحقيقي هو الذي يقابل ما قبله لا المجازي

(٢) هو لأبي تمام أيضاً ، وقوله — تنظري — بمعنى انتظري ، الخبيب أن يتراوح الفرس في عدوه بين يديه ورجليه بأن يقوم على إحداها مرة وعلى الأخرى مرة ، والركاب الإبل ، وقوله — ينصها — بمعنى يستحضرها شديداً ، ونحبي القريض كناية عن نفسه ، وميت المال كناية عن ممدوحه ، والشاهد في أن المراد من الحبي والمراد من المميت في البيت غير متضادين ولكن معنيهما الحقيقيين متضادان ، وقبل البيت :

لا تسكرى عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب الدكان العالي

(٣) فلا يشترط فيه أن يكونا متناسبين كما سيأتي في مراعاة التطير ، فإن كانا كذلك سمي مراعاة نظير أيضاً .

مقابلة اثنين باثنين قوله^(١) تعالى (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا) وقول النبي عليه السلام «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه» وقول الذبياني :

فَتَيَّ تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ على أَنَّ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا^(٢)
وقول الآخر :

فَوَاعَجِبًا كَيْفَ اتَّفَقْنَا فَنَاصِحٌ وَفِيٍّ وَمَطْوًى عَلَى الْغُلِّ غَادِرٌ^(٣)
فإن الغل ضد النصيح والغدر ضد الوفاء .
ومثال مقابلة ثلاثة بثلاثة قول أبي دُلَامَةَ :

مَا أَحْسَنَ الدِّينَ وَالْدُنْيَا إِذَا اجْتَمَعَا وَأَقْبَحَ الْكُفْرَ وَالْإِفْلَاسَ بِالرَّجُلِ^(٤)
وقول أبي الطيب :

(١) ي — ٨٢ — س — ٩

(٢) هو للناطقة الذبياني، وقد نُسب في الحماسة للناطقة الجعدي، وروايتها — فتى كان فيه — وفتى منصوب بفعل محذوف تقديره اذكر فتى ، والمراد ما يسر صديقه من نفعه له ، وما يسوء أَعَادِيهِ من إيقاع الضرر بهم ، والشاهد في له — يسر صديقه ويسوء الأعدايا .

(٣) لا يعلم قائله ، والغل الحقد ، والفاء في قوله — فناصرح — تعليل للتعجب من اتفاقهما ، وكل من ناصرح وَمَطْوًى خبر مبتدأ محذوف تقديره فأنا ناصرح وفي وأنت مطوى على الغل غادر

(٤) فَأَقْبَحَ يَقَابِلُ أَحْسَنَ ، والكفر يقابل الدين ، والإفلاس يقابل الدنيا ، وأبودلامة هو زند بن الجون ، وقد سأله المنصور عن أشعر بيت قالته العرب في المقابلة ، فأنشده هذا البيت .

فلا الجودُ يَفْنَى المَالَ والجَدُّ مُقْبِلٌ ولا البخلُ يَبْقَى المَالَ والجَدُّ مُدْبِرٌ^(١)
ومثال مقابلة أربعة بأربعة قوله تعالى^(٢) (فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى وَصَدَّقَ
بِالْحُسْنَى ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ،
فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى) فإن المراد باستغنى أنه زهد فيما عند الله كأنه مستغن عنه فلم
يَتَّقِ ، أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة فلم يتق^(٣)
قيل : وفي قول أبي الطيب :

أزورؤهم وسواد الليل يشفع لي وأنثنى وبياض الصبح يغري بي^(٤)
مقابلة خمسة بخمسة، على أن المقابلة الخامسة بين - لي وبى - وفيه نظر، لأن
اللام والباء فيهما صلنا الفعلين فهما من تمامهما، وقد رُجِّحَ بيت أبي الطيب على بيت
أبي دلامة بكثرة المقابلة مع سهولة النظم . وبأن قافية هذا ممكنة وقافية ذاك مُستدعاة ،
فإن ما ذكره غير مختص بالرجال^(٥) وبيت أبي دلامة على بيت أبي الطيب بجودة

(١) الجد الحظ ، والشاهد في أن كلا من البخل وبيقى ومدبر يقابل كلا من
الجود ويفنى ومقبل .

(٢) ي - ٦٥٠ - س - ٩٢

(٣) حينئذ يكون مقابلاً لقوله (اتقى) بما يستلزمه من عدم الانقاء ، والاستغناء
كما يطلق على هذا يطلق على كثرة المال وليس مراداً .

(٤) قوله - يشفع لي - بمعنى يعينه على اجتماعهم بهم لأنه يستره عن الرقباء ،
وقوله - يغري بي - بمعنى يحضهم عليه لئلا يراه رقبائهم ، وبهذا قابل يغري
يشفع .

(٥) يريد بالقافية الممكنة ما كانت متمكنة في مقامها، وبالمستدعاة ما كانت مجلوبة
لأجل الوزن والقافية لا لمقام يقتضيها ، والمقام في بيت أبي دلامة يقتضى لفظاً أعم
من الرجل .

المقابلة ، فإن ضد الليل المحض هو النهار لا الصبح .

ومن لطيف المقابلة ما حكى عن محمد بن عمر أن الطلمحيّ إذ قال له المنصور :
 باغى أنك بخيل . فقال : يا أمير المؤمنين ، ما أجد في حق ، ولا أذوب في باطل .
 وقال السكاكي ^(١) المقابلة أن يجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وضديهما
 ثم إذا شرطت هنا شرطاً شرطت هناك ضده ^(٢) كقوله تعالى (فأما من
 أعطى) الآتين ، لما جعل التيسير مشتركاً بين الإعطاء والانتقاء والتصديق ، جعل ضده
 وهو التعسير مشتركاً بين أضداد تلك وهي المنع والاستغناء والتكذيب .

مراعاة النظر أو التناسب : ومنه مراعاة النظر وتسمى التناسب والائتلاف
 والتوفيق أيضاً ، وهي أن يجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد ^(٣)
 كقوله ^(٤) تعالى (الشمس والقمر بحسبان) وقول بعضهم للمهديّ الوزير :
 أذت أيها الوزير إسماعيلُ الوعد ، شعبيّ التوفيق ، يوسفُ العفو ، محمديّ

(١) ٢٢٥ — المفتاح

(٢) المراد بالشرط الاجتماع في أمر لا الشرط المعروف ، وبهذا لا يكون في بيت
 أبي دلالة مقابلة عند السكاكي ، لأنه اشترط في الدين والدنيا الاجتماع ولم يشترط في
 الكفر والإفلاس ضده بل شرط فيهما الاجتماع أيضاً
 هذا وقد تكون المقابلة بين سنة وستة وهو آخر ما وجد منها في كلامهم ، كقول
 عنتره :

على رأس عبد تاج عزّ بزيته وفي رجل حرّ قيد ذلّ يشينه

(٣) قيد بذلك ليخرج الطباق لأن المناسبة فيه بالتضاد .

(٤) ي — ٥ — س — ٥٥

الخلق^(١) وقول أسيد بن عَنَفَاء^(٢) الغزازى :

كَأَنَّ الشَّرِيَّاءَ عُلِّقَتْ فِي جَبِينِهِ
وَفِي خَدِّهِ الشَّعْرَى وَفِي وَجْهِهِ الْبَدْرُ^(٣)
وقول الآخر فى فرس :

مِنْ جُلَّتَارٍ نَاصِرٍ خَدُّهُ وَأُذُنُهُ مِنْ وَرَقِ الْآسِ^(٤)
وقول البحتري فى صفة الإبل الأنضام :

كَالْقَسَى الْمُعْطَفَاتِ بِلِ الْآسِ — سُهُمْ مَبْشِرِيَّةٌ بِلِ الْاَوْتَارِ^(٥)

(١) التناسب بين إسماعيل وشعيب وعبد لأنهم أنبياء ، وبين الوعد والتوفيق
والعفو واخلق لأنها أخلاق .

(٢) هى أمه وقد اشتهر بنسبته إليها ، وامم أبيه بحجرة

(٣) رواية الحماسة - القمر - بدل البدر ، وهى المناسبة لباقي الآيات ومطلعها :

رَأَى عَلَى مَابِىْ عُمَيْلَةُ فَاشْتَكَى إِلَى حَالِهِ حَالِىَ أَسْرٍ كَمَا جَهَرَ

والثريا كواكب فى عنق الثور ، والشعري كوكب فى الجوزاء ، والشاهد فى

جمع الثريا والشعري والقمر لتناسبها فى أنها كواكب ، وفى جمع الجبين والخذ
والوجه أيضا .

(٤) هو لإبراهيم بن أبى الفتح المعروف بابن خفاجة فى وصف فرس أشقر ، والجلنار زهر

الرُّمَّان ، والآس الریحان ، والمراد تشبيه خده بالجلنار فى طراوته وأذنه بورق الآس فى

انتصابها ، والشاهد فى تناسب الجلنار والآس وفى تناسب الخد والأذن .

(٥) القسى جمع قوس ، والمبرية المنحوتة ، والأتوار جمع وتر وهو الخيط الجامع بين

طرفي القوس ، والإضراب فى ذلك للترقى ، لأن السهام أرق من القسى والأتوار أرق من

السهم ، والمراد تشبيه الإبل الأنضاء — وهى المهازبل جمع نضو — بذلك فى اللرقة ،

والشاهد فى تناسب القسى والسهم والأتوار .

وقول ابن رشيقي :

أَصَحُّ وَأَقْوَى مَا مَعْنَاهُ فِي النَّدَى مِنْ الْخَبَرِ الْمَأْتُورِ مُنْذُ قَدِيمٍ
أَحَادِيثُ تَرْوِيهَا السَّيُولُ عَنْ الْحَيَا عَنْ الْبَحْرِ عَنْ كَفِّ الْأَمِيرِ تَمِيمٍ^(١)
فإنه ناسب فيه بين الصحة والقوة والسماع والخبر المأثور والأحاديث والرواية ،
ثم بين السيل والحيا والبحر وكف تميم ، مع ما في البيت الثاني من صحة الترتيب في
المنعنة ، إذ جعل الرواية لصاغر عن كابر كما يقع في سند الأحاديث ، فإن السيول أصلها
المطر أصله ، والمطر أصله البحر على ما يقال^(٢) ، ولهذا جعل كف الممدوح أصلا للبحر بمبالغة
ما يسمى من التناسب تشابه الأطراف : ومن مراعاة النظير ما يسميه
بعضهم تشابه الأطراف ، وهو أن يُخْتَمَ الكلام بما يناسب أوله في المعنى ، كقوله^(٣)
تعالى (لَا تَذَرُكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) فإن اللطف
يناسب مالا يدرك بالبصر^(٤) والخبرة تناسب من يدرك شيئا ، فإن من يدرك
شيئا يكون خبيرا به ، وقوله^(٥) تعالى (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ أَنْتَ إِلَّا
الغنى الحميد) قال (الغنى الحميد) لينبه على أن ماله ليس لحاجة بل هو غنى عنه جواد
به ، فإذا جاد به حمده المنعم عليه

(١) هما لابي علي الحسن بن رشيقي القيرواني ، والندي الكرم ، وقوله — من
الخبر — بيان لما في قوله — ما سمعناه — والمأثور المروى ، والحيا المطر ، والأمير
تميم هو أبو علي تميم بن المعز بن باديس .

(٢) لأنه يحدث من تكاثف البخار المتصاعد منه بتأثير البرد

(٣) ى — ١٠٣ — س — ٦

(٤) لأن اللطف في الأصل دقة الشيء ولكن المراد باللطيف هنا مالا تدركه الأبصار
مطلقا لاستحالة الأول على الله تعالى ، ويجوز أن يكون من اللطف بمعنى الرأفة فيكون
من إيهام التناسب الآتي لامن التناسب .

(٥) ى — ٦٤ — س — ٢٢

ومن خفي هذا الضرب ^(١) قوله ^(٢) تعالى (إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ رِبَاكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) فَإِنْ قَوْلُهُ (وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ) يَوْمَ أَنْ الْفَاصِلَةُ — الْغَفُورُ الرَّحِيمُ — . ولكن إذا أُنْزِمَ النَّظَرُ عَلِيمٌ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ مَاعْلِيهِ التَّلَاوَةُ ، لَأنَّهُ لَا يَغْفِرُ لِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْعَذَابَ إِلَّا مَنْ لَيْسَ فَوْقَهُ أَحَدٌ يَرُدُّ عَلَيْهِ حُكْمَهُ ، فَهُوَ الْعَزِيزُ لِأَنَّ الْعَزِيزَ فِي صِفَاتِ اللَّهِ هُوَ الْغَالِبُ ، مِنْ قَوْلِهِمْ — عَزَّهُ يَعَزُّهُ عَزًّا — إِذَا غَلِبَهُ ، وَمِنْهُ الْمَثَلُ — مِنْ عَزِيزٍ — أَيْ مِنْ غَلِبَ سَلْبٌ ^(٣) وَوَجِبَ أَنْ يُوصَفَ بِالْحَكِيمِ أَيْضًا ، لِأَنَّ الْحَكِيمَ مَنْ يَضَعُ الشَّيْءَ فِي مَحَلِّهِ وَاللَّهُ تَعَالَى كَذَلِكَ ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ يَخْفَى وَجْهُ الْحِكْمَةِ فِي بَعْضِ أَعْمَالِهِ فَيَتَوَهَّمُ الضَّعْفُ أَنَّهُ خَارِجٌ عَنِ الْحِكْمَةِ ، فَكَانَ فِي الْوَصْفِ بِالْحَكِيمِ احْتِرَاسٌ حَسَنٌ ^(٤) أَيْ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ مَعَ اسْتِحْقَاقِهِمُ الْعَذَابَ فَلَا مُعْتَرِضَ عَلَيْكَ لِأَحَدٍ فِي ذَلِكَ ، وَالْحِكْمَةُ فِيمَا فَعَلْتَهُ .

إِبْرَاهِيمُ التَّنَاسُبُ : وَمِمَّا يَلْحَقُ بِالتَّنَاسُبِ نَحْوُ قَوْلِهِ ^(٥) تَعَالَى (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ، وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ) وَيُسَمَّى إِيَّاهُمُ التَّنَاسُبُ ^(٦) .

إِرْبَاعُ التَّفْوِيفِ إِلَى التَّنَاسُبِ وَالْمُطَابَقَةِ : وَأَمَّا مَا يُسَمِّيهِ بَعْضُ النَّاسِ التَّفْوِيفَ ، وَهُوَ أَنْ يُؤْتَى فِي الْكَلَامِ بَعْدَ مَتَلَانٍ مُتَلَانَةٍ فِي جَمَلٍ مُسْتَوِيَةٍ الْمَقَادِيرِ أَوْ مُتَقَارِبَتِهَا ، كَقَوْلِهِ مِنْ يَصِفُ سَحَابًا :

(١) يَعْنِي هَذَا الضَّرْبَ مِنْ مَرَاعَاةِ النَّظِيرِ وَهُوَ تَشَابُهُ الْأَطْرَافِ

(٢) ١١٨ — س — ٥

(٣) يَضْرِبُ لِمَنْ يَتَغَلَّبُ عَلَى غَيْرِهِ فَلَا يَقْدِرُ عَلَى مَنَعِ شَيْءٍ مِنْهُ .

(٤) الْإِحْتِرَاسُ نَزْعٌ مِنَ الْإِطْنَابِ السَّابِقِ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي

(٥) ٦٤٥ — س — ٥٥

(٦) هُوَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ مَعْنِيَيْنِ غَيْرِ مُتَنَاسِبَيْنِ بِالْفُظَيْنِ يَكُونُ لهُمَا مَعْنِيَانِ مُتَنَاسِبَانِ

وَلَكِنَّمَا غَيْرُ مَقْصُودَيْنِ ، فَالْمُرَادُ مِنَ النَّجْمِ فِي الْآيَةِ التَّنْبِاطُ الَّذِي لَاسِقٌ لَهُ ، وَلَا مُنَاسِبَةٌ بَيْنَهُ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ بِهَذَا الْمَعْنَى ، وَلَكِنَّهُ يَنَاسِبُهُمَا إِذَا كَانَا بِمَعْنَى الْكَوْكَبِ .

تَسْرِبَلٌ وَشِدْنًا مِنْ خَزُونٍ تَطْرُزَتْ مَطَارِفُهَا طُرُورًا مِنَ الْبَرْقِ كَالْتَبْرِ
فَوْشَىُّ بِلَا رَقْمٍ وَنَقْشٌ بِلَا يَدٍ وَدَمْعٌ بِلَا عَيْنٍ وَضَحْكٌ بِلَا ثَقَرٍ^(١)
وكقول عنزة:

إِنْ يَلْحَقُوا أَكْرُزُوا إِنْ يَسْتَلْحِقُوا أَشْدُدُّ وَإِنْ نَزَلُوا بِضْنِكَ أَنْزِلُ^(٢)
وكقول ابن زيدون:

تَهْ أَخْتَمِلُ وَأَخْتَكِمُ أَصْبِرْ وَعِزٌّ أَهْنُ
وَدِلٌّ أَخْضَعُ وَقُلْ أَسْمَعُ وَمُرٌّ أُطْعِمْ^(٣)
وكقول ديك الجن:

أَحْلُ وَامْرُزْ وَضُرٌّ وَأَنْفَعُ وَإِنْ وَاخَ شُنْ وَرِشْ وَابْرُ وَأَنْتَدِبْ لِلْمَعَالِي^(٤)

(١) هما لآبي العباس الناشيء كما في — زهر الآداب — وقيل: لهما لغيره، والضمير في — تسربل — للسحاب، والوشى نوع من الثياب منقوش، والخزوز جمع خزوهو الحرير، والمطارف جمع مطرف وهو رداء من خز ذو أعلام، وطرز جمع طراز وهو عمامة الثوب، والمراد — تطرزت بطرز — فهو من باب الحذف والإيصال، والرقم مصدر — رقم الثوب — بمعنى خَطَّ طَه، الدمع استعارة للطار، والضحك استعارة للبرق، والشاهد في البيت الثاني لأنه أربع جمل متساوية معانيها متلائمة.

(٢) هو لعنزة بن شداد العبسي والضمير في — ياحقوا — لقومه أي ياحقوا عدوهم، وقوله — أكرز — بمعنى أحمل عليه، وقوله — يستلحقوا — بمعنى يطلبون لحوقهم لنجدتهم، وقوله — أشدد — بمعنى أركض، والشاهد في اجتماع الجمل الثلاث.

(٣) هو لآبي الوليد أحمد بن عبد الله المعروف بابن زيدون، وقوله — ته — بمعنى تسكبر، وقوله — عز — بمعنى صر عزيزا، وقوله — دل — أمر من الدلال وهو إظهار المرأة الخلاف في تلتف كائنات تخالف وما بها من خلاف، والشاهد في اجتماع هذه الجمل الست، ولكن اجتماع هذا كله في بيت واحد لا يخفى من تكلف وثقل.

(٤) هو لعبد السلام بن رغبان الحمصي المعروف بديك الجن، وقوله — رش — أمر من — راش — بمعنى أصلح والمراد أعن وأغن، وقوله — ابر — أمر من — برى السهم —

فبعضه من مراعاة النظر (١) وبعضه من المطابقة (٢).

الرَّصَادُ أَوْ التَّسْبِيحُ : ومنه الإِرْصَادُ ويسمى التسبيح أيضاً (٣) وهو أن يُجْعَلَ قَبْلَ
الْعَجْزِ مِنَ الْفَقْرَةِ أَوِ الْبَيْتِ مَا يَدُلُّ عَلَى الْعَجْزِ إِذَا عُرِفَ الرَّوْيُ (٤) كَقَوْلِهِ (٥) تَعَالَى
(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) وَقَوْلُهُ (٦) (وَمَا كَانَ
النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُتِحَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ) وَقَوْلُ زهير :

سَمِعْتُ تَسْكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَالِكَ يَسْنَامُ (٧)
وقول الآخر :

نَحْتُهُ وَالْمَرَادُ أَفْقَرُ ، وَقَوْلُهُ — انتدب — أمر من — انتدب — يقال — تدبه لآمر
فانتدب — أى دعاه فأجاب ، والشاهد في اجتماع هذه الجمل الخمس ، ويرد عليها ماورد
على البيت السابق .

(١) كإف، الشاهد الأول .

(٢) كما في الشاهد الرابع ، ولا يخفى ما في الشاهد الثاني والثالث منهما أيضاً .

(٣) يسميه قدامة والعسكري — التوشيح — وهو مما يكسب الشعر حلاوة
والنثر طلاوة ، ولهذا افتخر به ابن نُبَاتَةَ السَّعْدِيُّ في قوله :

خذها إذا أنشدت في القوم من طرب صدورُها عُرِفَتْ منها قوافيها

(٤) المراد بالعجز آخر كلمة من الفقرة أو البيت .

(٥) ي — ٤٠ — س — ٢٩ ، والإِرْصَادُ في هذه الآية قوله — ليظلمهم —

لأنه يدل على أن مادة العجز من مادة الظلم ، ويعين كون المادة من الظلم مخنومة بنون
بعد واو معرفة الروى في الآية قبلها وهو النون ، والإِرْصَادُ في الآية بعدها قوله
— فاختلَفُوا .

(٦) ي — ١٩ — س — ١٠

(٧) التكاليف جمع تكليف وهو الأمر الشاق ، وقوله — لأبالك — جملة

دعائية معترضة بين الشرط والجواب ، والإِرْصَادُ قوله — سمعت .

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع^(١)
وقول البحرى :

أبكيكما دماً ولو أتى على قدر الجوى أبكى بكيكما دماً^(٢)
وقوله :

أحلت دمي من غير جرم وحرمت^(٣) بلا سبب يوم اللقاء كلامي
فليس الذي حللته بمحلل وليس الذي حرمت به بمرام^(٤)
المشاكلة : ومنه المشاكلة ، وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته^(٥)
تحقيقاً أو تقديراً

أما الأول ، فمكثوله :

قالوا : اقترح شيئاً نجد لك طبعه قلت : اطبخوا لي جبةً وقيصاً^(٦)
كأنه قال : خيطوا لي . وعليه قوله^(٧) تعالى (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في

(١) هو لعمر بن معد يسرب ، وقوله — دعه — بمعنى اتركه ، والإرصاد قوله — إذا لم تستطع .

(٢) الجوى الحرقه من عشق أو حزن ، والإرصاد قواه — أبكيكما دماً — لأنه لا يبقى عندهم بعده إلا بكم الدم ، أو قوله — ولو أتى على قدر الجوى أبكى

(٣) هما للبحرى أيضاً ، والجرم الذنب ، والإضافة في قوله — كلامي — من إضافة المصدر إلى مفعوله والمراد كلامها له ، والإرصاد قوله — حرمت

(٤) مثل ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته ذكره بلفظ مضاد للمصاحب له أو مناسب له كما سيأتي

(٥) هو لأبي الرقعميق أحمد بن محمد الأنطاسي ، وقوله — اقترح — أمر من — اقترح عليه شيئاً — إذا سأله من غير روية وطلبه على سبيل التكليف ، وقوله — نجد — بمعنى نحسن

(٦) ي — ١١٦ — من — ٥ ، والحق أن ما في الآية ليس من المشاكلة ، لأن

تفسيك) وقوله (وجزاء سيئة سيئة^(١) مثلها) ومنه قول أبي تمام :
 مَنْ مُبْلِغُ أَفْنَاءٍ يَغْرُبُ كُلُّهَا أَنَّى بَنَيْتُ الْجَارَ قَبْلَ الْمَنْزِلِ^(٢)
 وشهد رجل عند شريح فقال: إنك لَسَبَطُ الشَّهَادَةِ^(٣) قال الرجل: إنها لم تُجَمِّدْ عَنِّي^(٤)
 فلأذى سوغ بناء الجار وتجميد الشهادة هو مراعاة المشاكلة ، ولولا بناء الدار لم يصح
 بناء الجار ، ولولا سبوطه الشهادة لا تمتنع بتجميدها .
 ومنه قول بعض العراقيين في قاضٍ شهد عنده برؤية هلال الفطر فلم يقبل شهادته :
 أَتُرْمَى الْقَاضِي أَعْمَى أَمْ تَرَاهُ يُتَعَامَى
 سَرَقَ الْعَيْدَ كَأَنَّ^(٥) مِيدَ أَمْوَالِ الْيَتَامَى^(٥)

إطلاق النفس على ذات الله ورد في قوله تعالى - ي - ٣٠ - س - ٣ - (وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ)
 فيكون إطلاقه على معناه لا على معنى غيره .
 (١) ي - ٤٠ - س - ٤٢ ، و المشاكلة في إطلاق لفظ سيئة الثاني على جزاء السيئة .
 (٢) الأفناء جمع فنء وهو الجماعة ، والشاهد في قوله - بنيت الجار - لأنه
 لا يبنى وإنما شاكل به - قبل المنزل - لأن تقديره - قبل بناء المنزل ، والمقدر كالمذكور ،
 وقيل : إن هذا من القسم الثاني وهو ظاهر الضعف .
 (٣) أى مستمر في حفظها أو قبولها دائما ، لأن السبوط في الأصل انطلاق
 الشعر وامتداده .

(٤) يعنى أنها لم تقصر عن إدراكه وحفظه ، والتجعد في الأصل ضد السبوط ، وهذا
 من المشاكلة بلفظ مضاد للمذكور معه .

ومن المشاكلة بلفظ مناسب للمذكور معه ما ورد أن رجلا قال لو هب: أليس قد ورد أن
 - لا إله إلا الله - مفتاح الجنة . فقال له وهب: بلى ، ولكن مامن مفتاح إلا له أسنان ،
 فإذا جئت بالأسنان فتح لك ، وإلا لم يفتح لك . فقد عبر عن - لا إله إلا الله - بالمفتاح ،
 وعبر عن الأعمال بالأسنان مشاكلة بالمناسب !

(٥) هما كما جاء في - اليتيمة - للصاحب بن عباد ، وقوله - ترى - على صورة
 المبني المفعول بمعنى أنظن ، والشاهد في جعل العيد مسروقا لوقوعه في صحبة أموال اليتامى .

وأما الثاني فكقوله^(١) تعالى (صَبْغَةَ اللَّهِ) وهو مصدر مؤكَّد^(٢) منتصب عن قوله (آمناً بالله) والمعنى — تطهير الله — لأن الإيمان يطهر النفوس ، والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المَعْمُودِيَّةَ ويقولون : هو تطهير لهم . فأمر المسلمون بأن يقولوا لهم : قولوا آمناً بالله وصبغنا الله بالإيمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيراً لا مثل تطهيرنا. أو يقول المسلمون : صبغنا الله بالإيمان صبغته ولم يصبغ صبغتناكم . وجيء بلفظ الصبغة^(٣) للمشاكلة وإن لم يكن قد تقدم لفظ الصبغ ، لأن قرينة الحال التي هي سبب النزول من غرس النصارى أولادهم في الماء الأصفر دلت على ذلك ، كما تقول لمن يغرس الأشجار — إغرس كما يغرس فلان — تريد رجلاً يصطنع الكرام^(٤)

الاستطراد : ومنه الاستطراد ، وهو الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به لم يقصد به ذكر الأول التوصل إلى ذكر الثاني^(٥) كقول الحماسي :

(١) ي - ١٣٨ - س - ٢

(٢) لأنه اسم هيئة على وزن فعلة ، وإنما قال — منتصب عن قوله إلخ — لأن ناصبه محذوف دل عليه قوله (آمناً) تقديره — صبغنا الله بالإيمان صبغة .

(٣) أى بدل لفظ — التطهير

(٤) يقال — اصطغنه لنفسه اختاره لنفسه — ولكن هذان القسم الأول

كما هو ظاهر ، وإنما يعد من الثاني أن ترى إنساناً يغرس شجراً فتقول لآخر — إغرس إلى الكرام — هذا وإنما عدت المشاكلة من المحسنات البديعية لأنها تنقل المعنى إلى لباس له غير مألوف ، فيحدث عجباً أو طرباً ، وقد قيل : إن المشاكلة مجاز مرسل علاقته المجاورة ، والحق أنها ليست منه ، لأن علاقة المجاورة تكون بين مدلول اللفظين لا بين اللفظين كما في المشاكلة ، فهي تصح بمجرد وقوع اللفظ. في صحة آخر ولو لم توجد علاقته بين مدلوليهما ، كما في قوله — قالوا اقترح شيئاً تجد لك طبقه — البيت . وقد توجد علاقة بين مدلوليهما كما في قوله تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) فإن السيئة الأولى المعصية والثانية جزاؤها وبينهما علاقة السببية .

(٥) احتراز بقوله — لم يقصد إلخ — عن إيهام الاستطراد الآتي .

وإنا لقومٌ ما نرى القتلَ مُبِينَةً إذا ما رآته عامرٌ وسُلُولٌ^(١)
وقول الآخر :

إذا ما اتقى اللهَ الفتى وأطاعَهُ فليس به بأسٌ وإن كان من جَرَمٍ^(٢)
وعليه قوله^(٣) تعالى (يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سُوَآتِرَكُمْ
وَرِيثًا وَرِبَاسًا الْتَقَوْا ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) قال الزمخشري :
هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيبٌ ذكر السوآت وخصف الورق عليها
إظهاراً للعنف فيما خلق الله من اللباس ، ولما في العُرَى وكشف العودة من المهانة
والفضيحة ، وإشعاراً بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى .

إبراهيم الاستطراد : هذا أصله^(٤) وقد يكون الثاني هو المقصود فيذكر الأول
قبله لِيَتَوَصَّلَ إليه ، كقول أبي إسحاق الصابي :

إِنْ كُنْتُ خُنْتُكَ فِي الْمُدَّةِ سَاعَةً فَذَمُّتُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمُحْمُودَا
وَزَعَمْتُ أَنْ لَهُ شَرِيكََا فِي الْعُلَى وَجَعَدْتُهُ فِي فَضْلِهِ التَّوْحِيدَا
قَسَمًا لَوْ أَنِّي حَالَفْتُ بِعَمُوسَهَا لَفَرِمَ ذَبْنٍ مَا أَرَادَ مَزِيدَا^(٥)

(١) هو للسَّمْسُومِل بن عاديَّاه ، والسبب العيب . والشاهد في أنه أراد مدح قبيلته
فاستطرد إلى ذم قبيلتي عامر وسُلُول

(٢) هو لزياد الأعجم ، والبأس الشدة والخوف ، والشاهد في أنه أراد الوعظ
فاستطرد إلى ذم قبيلة جرم

(٣) ي — ٢٦ — س — ٧
(٤) اسم الإشارة يعود إلى كون الأول لم يقصد بذكره التوصل إلى ذكر الثاني ،
يعني أن هذا أصل الاستطراد .

(٥) هي لإبراهيم بن هلال المعروف بأبي إسحاق الصابي ، وقوله — ذممت — جملة
دعائية . وقيل : إنه يعني بسيف الدولة السلطان محمود بن سُبُكْتِكِين ، وكان يلقب بذلك
ثم لقب بيمين الدولة ، والتوحيد مفعول ثانٍ لقوله — جعده — يعني توحيد الناس إياه
في الفضل ، و الغموس البين الكاذبة التي يتعمدها صاحبها ، يعني أنه أقسم له على عدم

ولا بأس أن يسى هذا إيهام الاستطراد^(١)

المزاوجة : ومنه المزاوجة ، وهى أن يُزَاجَ بين معنيين^(٢) فى الشرط والجزاء^(٣)
كقول البحترى :

إذا ما نهى الناهى فليجّ بى الهوى أصاغت إلى الواشى فليجّ بها الهجر^(٤)
وقوله أيضاً :

إذا احتربت يوما ففاضت دماؤها تذكرت القربى ففاضت دموعها^(٥)
العكس والتبريل : ومنه العكس والتبديل ، وهو أن يقدّم فى الكلام جزء ثم

خيائته بيمين لو حلف بها لصاحب دين على براءة ذمته لا كفى بها ، لأن عظم شأنها وإثمها
يقوم عنده مقام دينه ، والشاهد فى ذكره حديث خيائته ليتوصل به الى مدح سيف الدولة
(١) هو حسن التلخيص الآتى فى الخاتمة

(٢) أى توقع المزاوجة بينهما على أن الفعل - يزواج - مسند إلى ضمير المصدر
أو الى - بين - على أنه ظرف متصرف

(٣) أى معنيين واقعين فى الشرط والجزاء ، وظرفية المعنيين فى الشرط والجزاء من
ظرفية المدلول فى الدال ، فالمتعنان هما معنى الشرط ومعنى الجزاء ، والمزاوجة بينهما هى
أن يرتب على كل منهما معنى مرتب على الآخر

(٤) قوله - لج - بمعنى ألح عليه واشتد ، وفى العبارة قلب والاصل فليججت
بالحوى ولجت بالهجر ، وقوله - أصاغت - بمعنى استمعت ، والواشى التمام ، والشاهد

فى ترتيبه اللجاج على نهى الناهى وهو الشرط ، وعلى الإصاغة إلى الواشى وهى الجزاء
(٥) هو للبحترى أيضاً ، وقوله - احتربت - بمعنى حاربت ، وقوله

فاضت - بمعنى سالت ، والشاهد فى ترتيبه فيض ذلك على الاحتراب وهو الشرط وعلى
تذكر القربى وهو الجزاء ، والبيت من قصيدة له فى مدح المتوكل حين أصلح بين بنى
تغلب ، والضمير فى قوله - احتربت - يعود إلى فرسان هيجاء فى قوله قبله :

وفرسان هيجاء تيجيش صدورُها بأحقادها حين تضيق دروعُها
تقتل من وتر أعزّ نفوسها عليها بأيدٍ ما تكاد تطيعها

يُؤخَّرُ^(١) ويقع على وجوه :

منها أن يقع بين أحد طرفي جملة وما أضيف إليه ، كقول بعضهم — عاداتُ
الساداتِ ساداتُ العاداتِ

ومنها أن يقع بين متعلّق فعلين في جملتين ، كقوله^(٢) تعالى (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ) وكقول الحماسي :

فَرَدَّ شَمُورَهُنَّ السُّودَ بِيضًا ورد وجوههن البيض سوداً^(٣)

ومنها أن يقع بين لفظين في طرفي جملتين ، كقوله^(٤) تعالى (هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ) وقوله (لَاهُنَّ رَحْلٌ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحْمِلُونَ لَهُنَّ) وقوله (مَا عَلَيْكَ مِنْ أَحْسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ) وقول الحسن البصري
إِنْ مِنْ خَوْفِكَ حَتَّى تَلْقَى الْأَمْنَ خَيْرٌ مِنْ أَمْنِكَ حَتَّى تَلْقَى الْخَوْفَ . وقول أبي الطيب
فَلَا مَجْدٌ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ وَلَا مَالٌ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ^(٥)

(١) أى على ما قدم عليه ، فلا يكون من العكس والتبديل قوله تعالى — ي — ٣٧ —

س — ٣٣ — (وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ) بل هو من ردّ المعجزة على الصدر
كما سيأتى ، ولا بد أن يكون الجزء كلمة ، فيخرج تقديم الحروف الآتى أيضا

(٢) ي — ٣١ — س — ١٠ —

(٣) قيل : إنه لعبد الله بن الزبير الأسدي أو لفضالة بن شريك في رثاء يزيد بن
معاوية ، والضمير في — شَمُورَهُنَّ — لذو آل حرب في قوله قبله :

رَمَى الْحَدَثَانُ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ بِمَقْدَارِ سَمْدَنٍ لَهُ مُمُودًا

وحرب جد معاوية بن أبي سفيان . والحدثان الدهر ، والمقدار القدر ، وقوله
— سمذن — بمعنى ذهلن

(٤) ي — ١٨٧ — س — ٢ —

(٥) ي — ٥٢ — س — ٦ —

(٦) ي — ٥٢ — س — ٦ —

(٧) يعنى أن المجد والمال متلازمان ، لأن الناس يتقرون من لا مال له ، ولا يجد

وقول الآخر :

إِنَّ اللَّيَالِي لِلْأَنَامِ مَنَاهِلٌ تُطَوَّى وَتُنَشَّرُ دُونَهَا الْأَعْمَارُ
فَقَصَارُهُنَّ مَعَ الْهَمُومِ طَوِيلَةٌ وطوالهن مع السرور رقصارٌ (١)

المرجوع : ومنه الرجوع ، وهو العود على الكلام السابق بالنقض
النسكته (٢) كقول زهير :

رَفَّ بِالْديَارِ الَّتِي لَمْ يَعْفَهَا الْقَدَمُ بَلَى وَغَيْرَهَا الْأَرْوَاحُ وَالْدِّيمُ (٣)
قيل : لَمَّا وَقَفَ عَلَى الدِّيارِ تَسَلَّطَتْ عَلَيْهِ كِتَابَةٌ أَذْهَلَتْهُ فَأَخْبَرَ بِمَا لَمْ يَتَحَقَّقْ فَقَالَ
— لَمْ يَعْفَهَا الْقَدَمُ — ثُمَّ ثَابَ إِلَيْهِ عَقْلُهُ فَتَدَارَكَ كَلَامَهُ فَقَالَ — بَلَى وَغَيْرَهَا الْأَرْوَاحُ
وَالْدِّيمُ — وَعَلَى هَذَا بَيْتُ الْحَمَاسَةِ :

أَلَيْسَ قَلِيلًا نَظْرَةً إِنْ نَظَرْتُمُهَا إِلَيْكَ وَكَلَّا لَيْسَ مِنْكَ قَائِلٌ (٤)

لَمَنْ يَحْتَقِرُهُ النَّاسُ ، وَلَإِنْ صَاحِبَ الْمَجْدِ هُوَ الَّذِي يُمْكِنُهُ بِقُوَّتِهِ وَأَعْوَانِهِ أَنْ يَحْصَلَ عَلَى الْمَالِ
(١) الْأَنَامُ الْخَلْقُ ، وَالْمَنَاهِلُ الْمَوَارِدُ ، وَقَوْلُهُ — تُطَوَّى وَتُنَشَّرُ — بِمَعْنَى تَقْصُرُ
وَتَطْوُلُ عَلَى الْإِسْتِعَارَةِ التَّبَعِيَّةِ ، وَقَدْ نَسَبَ الْبَيْتَانِ فِي — نَفْحَاتِ الْأَزْهَارِ — لِلْمُتَنَبِّئِ وَلَمْ
أَجِدْهُمَا فِي دِيْوَانِهِ ، وَقَدْ نَسَبَا فِي — الْأَقْصَى الْقَرِيبِ — لِعَتَّابِ بْنِ وَرْقَاءَ

(٢) احْتَرَزَ بِهَذَا عَنِ الْعُودِ بِنَقْضِهِ لِمَجْرَدِ كَوْنِهِ غَلَطًا فَلَا يَكُونُ مِنَ الْبَدِيعِ ، لِأَنَّهُ
لَا حَسَنَ فِيهِ ، وَنَسَكْتُهُ الرُّجُوعَ إِمَّا إِظْهَارَ التَّحْيِيرِ أَوْ التَّحَسُّرِ أَوْ نَحْوِهَا ، وَلَكِنْ هَذِهِ النَّسَكْتَةُ
لَا تَوْجِيهَ فِي الْبَلَاغَةِ ، وَإِنَّمَا هِيَ شَرْطٌ فِي كَوْنِهِ مُحْسِنًا ، فَيَكُونُ مِنْ عِلْمِ الْبَدِيعِ لَا عِلْمَ الْمَعَانِي
(٣) قَوْلُهُ لَمْ — يَعْفَهَا — بِمَعْنَى لَمْ يَبْلُغْهَا وَلَمْ يَغْيُرْهَا ، وَقَوْلُهُ — وَغَيْرَهَا — عَطْفٌ
عَلَى مَحْذُوفٍ دَلَّ عَلَيْهِ — بَلَى — وَالتَّقْدِيرُ بَلَى عَفَاها الْقَدَمُ وَغَيْرَهَا الْأَرْوَاحُ ، وَهِيَ جَمْعُ رِيحٍ
بِرَدِّيَاتِهَا فِي الْجَمْعِ إِلَى أَصْلِهَا وَهِيَ رُوحٌ بِكَسْرِ الرَّاءِ وَسُكُونِ الْوَاوِ وَالْدِّيمُ جَمْعُ دِيمَةٍ وَهِيَ
السَّحَابَةُ أَسْكَثُهَا الْمَطَرُ ، وَالنَّسَكْتَةُ فِي الرُّجُوعِ هُنَا إِظْهَارُ التَّحْيِيرِ أَوْ التَّحَسُّرِ

(٤) هُوَ لِيَزِيدُ بْنُ الصَّمَّةِ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الطَّشْتَرِيَّةِ ، وَالِاسْتِفْهَامُ فِي قَوْلِهِ — أَلَيْسَ —
لِلْإِنْكَارِ ، فَهُوَ لِلنَّفْيِ وَنَفْيِ النَّفْيِ إِثْبَاتٌ ، وَ — كَلَّا — حَرْفُ رَدْعٍ لِنَفْسِهِ عَنْ عَدِّ نَظَرِهَا
قَلِيلًا ، وَهُوَ عَلَى تَقْدِيرٍ — وَأَقُولُ كَلَّا — وَالنَّسَكْتَةُ هُنَا إِظْهَارُ التَّدْلِيلِ وَالتَّحْيِيرِ

ونحوه :

فأفـ لهذا الدهر لا بلـ لأهله (١)

التورية أو الديرهام : ومنه التورية وتسمى الديرهام أيضاً ، وهي أن يُطلق لفظه

معنيان (٢) قريب وبعيد (٣) ويُراد به البعيد منهما :
وهي ضربان : مجردة ومُرشحة .

أما المجردة فهي التي لا تجماع شيئاً مما يلائم التورية به — أعني المعنى
القريب (٥) كقوله (٦) (الرحمـانُ على العرش استوى) .

(١) لا يعرف قائله ، وقوله — أف — اسم فعل مضارع بمعنى أتضجر ، والشاهد
في أنه جعل التضجر من الدهر ثم رجع عنه وجعله من أهله ، والنسكة هنا إظهار التحير ،
وقوله — لا بل لأهله — على تقدير — لأف للدهر بل أف لأهله
(٢) ليس بقيد لأنها قد تكون بأكثر من معنيين ، ولا فرق فيهما بين أن يكونا
حقيقيين أو مجازيين أو مختلفين

(٣) فلو كانا مستويين لم يكن هذا تورية بل يكون إجمالا

(٤) لا بد في التورية من قرينة خفية تدل على إرادة المعنى البعيد ، فإذا كانت القرينة
ظاهرة لم يكن اللفظ تورية ، وبهذا تمتاز عن المجاز والكناية ، كما تمتاز بأن كل واحد
من معنيها يفهم من اللفظ من غير وساطة الآخر أو احتياج إلى علاقة بينهما ، وهذا هو
النسب في أن التورية ليست من علم البيان كالمجاز والكناية ، ولأن أرى أنها تدخل في
إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة ، فيقال في معنى الاستيلاء مثلا
الرحمان استوى على العرش واستولى عليه وهكذا — وبهذا يمكن إدخالها في علم البيان
كالمجاز والكناية ، ومن عدها من البديع نظر إلى أن المعنى القريب لسرعة إدراكه قبل
البعيد يكون له كالجباب ، فيظهر من ورائه للطف بصورة الوجه المبرقع الجميل

(٥) أي فقط فيدخل فيها ثلاث صور : أن تكون مجردة بما يلائم القريب والبعيد ،
وأن تكون مجردة بما يلائم القريب مقترنة بما يلائم البعيد ، وأن تكون مقترنة بما
يلائهما معا .

(٦) ي — ٥ — من — ٢٠ ، والمراد من — استوى — استولى ، ومعناه القريب

وأما المرشحة فهي التي قُرِنَ بها ما يلائم المورى به : إما قبلها كقوله (١) تعالى
(وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ) أَيْ بِقُوَّةٍ (٢) (وَإِنَّا لَكُلُّهُمْ سَمِيعُونَ) قيل : ومنه قول الحماسي :
فلما نأت عَنَّا العشيرة كُلُّهَا أَنَحْنَا فَحَا لَمْنَا السِّيفَ عَلَى الدَّهْرِ
فَمَا أَسْلَمْنَا عِندَ يَوْمِ كَرِيهَةٍ وَلَا نَحْنُ أَغْضَيْنَا الْجَفُونَ عَلَى وَتَرٍ (٣)
فإن الإغضاء مما يلائم جفن العين لا جفن السيف وإن كانت المراد به إغمد
السيف ، لأن السيف إذا أُغْمِدَ انطبق الجفن عليه ، وإذا جُرِّدَ انفتح للخلاء الذي
بين اللّفتين .

وإما بعدها كلفظ — الغزالة — في قول القاضي الإمام أبي الفضل عياض في
صَيْغَةٍ باردة :

كَأَنَّ كَانُونَ أَهْدَى مِنْ مَلَابِسِهِ نُشْرَ تَمُوزَ أَنْوَاعًا مِنَ الْخُلَلِ

استقرّ ، ولم يقرن به ما يلائمه ، والقرينة استحالة الاستقرار الحسي على الله تعالى ،
ولأنما كانت خفية لأنها تتوقف على أدلة نفي الجرمية عنه تعالى ، وهي بما لا يفهمه كل الناس ،
وقيل : إن التورية في ذلك مرشحة ، لأن قوله (على العرش) يلائم المعنى القريب .

(١) — ٤٧ — من — ٥١

(٢) هذا ظاهر في حمل (أيد) على الأفراد ، فيكون مصدر — آدأيدا — بمعنى
اشتد ، ولكنه على هذا لا يكون من التورية لأنه لا يحتمل الإلهاد هذا المعنى ، وإنما يكون من
التورية إذا جعلت (أيد) جمع يد ، وحينئذ تفسر بالقسوى جمع قوة ، وقيل : إن ذلك
لاتورية فيه ، وإنما هو استعارة تمثيلية شبت فيها هيئة إيجاد الله السماء بقدرة بهيئة البناء
الذي هو وضع لبنة على أخرى باليد ، وكذلك قيل في الآية السابقة .

(٣) هما ليحيى بن منصور الحنفي ، وقيل : لإنهما لموسى بن جابر الحنفي ، وقد غلط
أبو تمام في نسبته يحيى بن منصور إلى بني حنيفة ، لأنه من بني ذهل ، وقوله — نأت —
بمعنى بعدت ، وقوله — أَنَحْنَا — كناية عن إقامتهم بدارهم وإكتفائهم بأنفسهم ، والكريهة
الحرب ، والوتر الشار .

أو الغزالة من طول المدى خرفت^(١) فما تفرق بين الجدى والحمل^(٢)
واعلم أن النوم^(٣) ضربان : ضرب يستحكم حتى يبر اعتقاداً^(٤) كما في قوله :

(١) هما للقاضى أبى الفضل عياض بن موسى السبتي ، وكانون من أشهر السنة الشمسية يقع في زمن البرد ، وتموز شهر منها يقع في زمن الدفء ، والحمل جمع حلة وهي كل ثوب جديد أو الثوب عموماً ، والغزالة الشمس معطوف على كانون ، وقوله - خرفت - بمعنى قل عقلمها على المجاز . والجدى برج ملاصق للدلو ، والحمل أول بروج الربيع ، بمعنى أنها خرفت فنزلت في برج الجدى في وقت الحلول ببرج الحمل ، والجدى برج البرد ، والحمل برج الدفء ، والتورية المرشحة في - الغزالة - فإن معناها القريب الظبية والمراد منها الشمس ، وقد قرنت بما يلائم القريب وهو قوله - خرفت - وكذلك ذكر الجدى والحمل ، وفي كل من الحمل والجدى تورية أيضاً ولكنها مجردة ، وقيل : إنها مرشحة بالتورية السابقة . هذا وقد تفرقت التورية بما يلائم المعنى البعيد أو بما يلائم المعنيين فتكون مجردة كما سبق ، ومن الأول قول عماد الدين :

أرى العقيد في ثغره مُحْكَمًا يُرِينَا الصَّحَاحَ مِنَ الْجَوْهَرِ
فالتورية في - الصحاح - لأن معناها القريب كتاب الجوهرى في اللغة ، والمراد منها أسنان محبوبه ، وقد قرنت بما يلائم البعيد وهو قوله - في ثغره - ومنه في قول الشاعر :

وَمَوْكِعٍ بِفَخَّاحٍ يَمْدُهَا وَشَبَاكَ

قالت لي العين ماذا يصيد قلت كراكي

فالتورية في - كراكي - لأن معناه القريب أنه جمع كركى وهو طائر رمادى اللون يأوى إلى الماء ، والمراد منه النوم ، وقوله - يصيد - يلائم القريب ، وكلمة العين تلائم البعيد

هذا والتورية التي قرنت بما يلائم المعنى القريب قبله أو بعده تسمى مبيئة ، والتي قرنت بما يلائم المعنى البعيد قبله أو بعده تسمى مبيئة

(٢) أى الإيهام وهو التورية

(٣) فلا يدرك عدم إرادة المعنى القريب فيه إلا بتأمل وطول نظر

حَمَلْنَاهُمْ طُرّاً عَلَى الدَّهْمِ بَعْدَمَا خَلَعْنَا عَلَيْهِم بِالطَّعْمَانِ مَلَايِسًا^(١)
وضرب لا يبلغ ذلك المبلغ ولكنه شيء يجري في الخاطر وأنت تعرف حاله^(٢)
كما في قول ابن الربيع :

لَوْلَا التَّطَيُّرُ بِالْخِلَافِ وَأَنْتُمْ قَالُوا : مَرِيضٌ لَا يَعُودُ مَرِيضًا
لَقَضَيْتَ نَحْبِي فِي فَنَائِكَ خِدْمَةً لَا كُونَ مَذْبُوبًا قَضَى مَقْرُضًا^(٣)
وَلَا بُدَّ مِنْ اعْتِبَارِ هَذَا الْأَصْلِ^(٤) فِي كُلِّ شَيْءٍ بُنِيَ عَلَى التَّوَهُّمِ — فاعلم .
وقال السكاكي^(٥) : أ كثر متشابهات القرآن^(٦) من التورية .

(١) لا يعرف قائله، وقوله — طرا — حال بمعنى جميعا، والدَّهْم جمع أدم ومعناه القريب
الفرس الأسود ، ومعناه البعيد القيد من الحديد، وهو المراد بقريته ما ذكره من خلع الدماء
عليهم بالطعمان حتى صارت لهم كالملايس ، لأنه لا يصح مع هذا أن يكون المراد حملهم
على الأفراس ، والشاهد في أن قوله — حملناهم — يفيد استحكام التوهم في البيت حتى
لا يدرك عدم إرادة القريب إلا بتأمل وطول نظر .

(٢) فلا يحتاج عدم إرادة المعنى القريب فيه إلى تأمل وطول نظر .

(٣) هما لعبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع ، والتطير التشاؤم ، والخلاف
مخالفة العرف والعادة ، والنحب الأجل ، والمذبوب اسم مفعول من الذاب ومعناه
القريب المسنون ، ومعناه البعيد المرنى، وهو المراد هنا . لأن المعنى لا يكون ميتا مرثيا
قضى مفروضا عليه وهو الموت حزنا على ذلك المريض والشاهد في أن عدم إرادة المعنى
القريب ظاهر لا يحتاج الى تأمل وطول نظر .

(٤) هو الاكتفاء بمجرد خطور المعنى بالبال وإن لم يكن مستحكما ، وإنما
وجب اعتباره لأن كثيرا من مطالب علوم البلاغة مبني على الإيهام ، ولو قصر على
الضرب الأول تعذر طرده في جميع هذه المطالب .

(٥) ٢٢٦ — المفتاح

(٦) يريد بها الآيات التي يفيد ظاهرها إثبات شيء لا يليق بالله تعالى ، كالأستقرار
واليد في الآيتين السابقتين .

الاستخدام : ومنه الاستخدام ، وهو أن يُراد بلفظ له معنيان أحدهما ثم بضميره معناه الآخر أو يُراد بأحد ضميريه أحدهما وبالآخر الآخر (١)

(١) لا فرق في المعنيين بين أن يكونا حقيقيين أو مجازيين أو مختلفين ، وقد يأتي الاستخدام في لفظ له أكثر من معنيين كما في قول ابن الوردي :

وَرَبَّ غَزَالَةٍ طَلَعَتْ بَقْلِي وَهُوَ مَرَعَاهَا
نَصَبْتُ لَهَا شَيْبًا كَمَا مِنْ جَلْبِينِ ثُمَّ صِدْنَاهَا
فَقَالَتْ لِي وَقَدْ صِرْنَا إِلَى عَيْنٍ قَصَدْنَاهَا
بَذَلْتُ الْعَيْنَ فَكَحَلَهَا بَطَلَعَهَا وَنَجَّرَاهَا

فقيه استخدامان : أولهما في لفظ ذي معان وهو لفظ — غزالة — لأنه قال — ورب غزالة — بمعنى ورب شمس على الاستعارة ، ثم قال — وهو مرعاها الخ — فأعاد الضمير عليها بمعنى الظبية على الاستعارة أيضا ، ثم قال — فقالت لي — فأعاد عليها الضمير مجردة عن الاستعارة . وثانيهما في لفظ ذي معنيين وهو لفظ — العين — في قوله — بذلت العين — أي اللجين ، ثم أعاد الضمير عليه بمعنى الناظرة في قوله — فأكحلها . وقد يكون الاستخدام بالاستثناء ، كقول البهاء زهير :

أَبْدَأُ حَدِيثِي لَيْسَ بِأُ مَدْسُوحٍ إِلَّا فِي الدَّقَاتِرِ
فإنه أراد بالنسخ الأول الإزالة وفي الاستثناء النقل .

وقد يكون باسم الإشارة ، كما في قوله :

رَأَى الْعَقِيقَ فَأَجْرَى ذَاكَ نَاطِرُهُ مُتَمِّمٌ لَجَّ فِي الْأَشْوَاقِ خَاطِرُهُ
فإنه أراد بالعقيق المكان ثم أعاد اسم الإشارة عليه بمعنى الدم .

وقد يكون بالتمييز ، كما في قوله :

حَكَى الْغَزَالَ طَلْعَةً وَفَلْتَةً
مَنْ ذَا رَأَاهُ مُقْبِلًا وَلَا افْتَنَ

فإن قوله — طلعة — يفيد أن المراد بالغزال الشمس ، وقوله — فلتة — يفيد أن المراد به الظبي .

فالأول كقوله :

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غَضَابًا^(١)

أراد بالسماء الغيث وبضميرها التبت^(٢)

والثاني كقول البحتری :

فَسَقَى الْغُضَا وَالسَّاكِنِيهِ وَإِنْ هُمْ شَبُوهُ بَيْنَ جَوَانِحٍ وَضُلُوعٍ^(٣)

أراد بضمير الغضا في قوله — والساكنيه — المكان ، وفي قوله — شبوه —
الشجر^(٤)

اللف والنشر : ومنه اللف والنشر ، وهو ذكر متعدد على جهة التفصيل

أو الإجمال^(٥) ثم ما لكل واحد من غير تعيين^(٦) ثقة بأن السامع يردّه إليه

فالأول^(٧) ضربان : لأنّ النشر إمّا على ترتيب اللف ، كقوله^(٨) تعالى

(١) هو لمعاوية بن مالك بن جعفر معود الحكماء ، أوجزير وهو المشهور ولكنه لا يوجد في ديوانه ، والمراد منه وصفهم بالغلبة لغيرهم .

(٢) كل من المعنيين مجازي كما هو ظاهر .

(٣) الغضا شجر من الأثل خشبه من أصلب الخشب وجمره يبق زمناً طويلاً ، وقوله — شبوه — بمعنى أوقدوه أى أوقدوا مثل ناره وهى نار الخطب ، والرواية الصحيحة — بين جوانح وقلوب — لأنه من قصيدة له مطلعها :

كَمْ بِالْكَثِيبِ مِنْ اعْتِرَاضِ كَشِيبٍ وَقَوَامِ غُصْنٍ فِي الثِّيَابِ رَطِيبٍ

(٤) أى ناره كما سبق ، فكل من المعنيين مجازي .

(٥) هذا هو اللف .

(٦) هذا هو النشر ، فلو عين كان من التقسيم الآتى لا من اللف والنشر .

(٧) هو ذكر متعدد على جهة التفصيل ثم ما لكل واحد الخ .

(٨) ى — ٧٣ — س — ٢٨ .

(وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ^(١) وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ)

وقول ابن حيوس :

فِعْلُ الْمَدَامِ وَلَوْنُهَا وَمَذَاقُهَا فِي مَقْلَتَيْهِ وَوَجْنَتَيْهِ وَرَبْقِهِ^(٢)

وقول ابن الرومي :

أَرَأَيْتُمْ وُجُوهَكُمْ وَسُيُوفَكُمْ فِي الْحَادِثَاتِ إِذَا دَجَوْنَ نُجُومَ

فِيهَا مَعَالِمُ لِلْهَدَى وَمَصَابِيحُ تَجْلُو الدُّجَى وَالْأَخْرِيَّاتِ رُجُومَ^(٣)

وإمّا على غير ترتيبه ، كقول ابن حيوس :

كَيْفَ أَسْلُو وَأَنْتِ حِقْفٌ وَغُضْنٌ وَغَزَالٌ خَطَّاءٌ وَقَدْ أَوْرَدَفَا^(٤)

(١) قيل : إن ضمير (فيه) عائد إلى الليل بالتعيين ، ومع هذا لا تكون الآية

من اللف والنشر ، وأجيب بأنه محتمل أن يعود إلى كل من الليل والنهار وإن كان ظاهرا في العود إلى الليل ، وهذا الاحتمال يكفي في عدم التعيين .

(٢) هو لأبي الفتيان محمد بن سلطان المعروف بابن حيوس ، والمدام الخمر وفعلها

سابب العقل ، ولونها الحمرة المشربة بسواد ، ومذاقها حلو عند من يعتادها ، وإلى الأول يرجع قوله — في مقلتيه — وإلى الثاني قوله — ووجنتيه — وإلى الثالث

قوله — وربقه — وقبل البيت :

ومقرطق يُعْنِي التَّدِيمَ بِوَجْهِهِ عَنْ كَأْسِهِ الْمَلَأَى وَعَنْ إِبْرَيْقِهِ

(٣) هما لعلى بن العباس المعروف بابن الرومي ، وقوله — دجون — بمعنى أظلمن

على سبيل الاستعارة ، وضمير — دجون — للحادثات ، والمعالم جمع معلى وهو ما يستدل به على الطريق ، وهذا يرجع إلى الآراء ، والمصابيح جمع مصباح ، والدجى جمع دُجْبَة

وهي الظلمة ، وهذا يرجع إلى الوجوه ، والرجوم الشهب ، وهذا يرجع إلى السيوف ، وقيل : إن هذا ليس من اللف والنشر لأنه قال — والأخريات — أى السيوف

بالتعيين ، فيكون من التقسيم الآتى ، وقد يجاب بأن التعيين هنا في بعضها دون بعض .

(٤) الحقف مجتمع الرمل إذا عظم واستدار ، والردف العجيزة وهو يرجع إلى

تشبيهها بالحقف ، والقذ يرجع إلى تشبيهها بالغصن ، واللحظ يرجع إلى تشبيهها بالغزال ، وهذا على غير ترتيب اللف . وقد سبق التعريف بابن حيوس في هذه الصفحة .

وقول الفرزدق :

لَقَدْ خُنْتُ قَوْمًا لَوْ لَجَّاتُ إِلَيْهِمْ طَرِيدَ دَمٍ أَوْ حَامِلًا ثَقِيلَ مَغْرَمٍ^(١)

لَأَلْفَيْتَ فِيهِمْ مُعْطِيًا أَوْ مُطَاعِنًا وَرَاءَ كُشْرًا بِالْوَشِيحِ الْمُقْوَمِ^(٢)

والثاني^(٣) كقوله^(٤) تعالى (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى) فإن الضمير في (قالوا) لأهل الكتاب من اليهود والنصارى ، والمعنى — وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا والنصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى ، فلتف بين القولين^(٥) ثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق قوله ، وأما من الإلباس ، لما عليم من التعادى بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه .
الجمع : ومنه الجمع ، وهو أن يُجمع بين شيئين أو أشياء في حكم واحد^(٦) كقوله^(٧) تعالى (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) .

(١) الخطاب في قوله — لقد خنت — لهبيرة بن ضمضم ، وهو يهجوهم لقتله القعقاع بن عوف بن زرارة ، وقوله — طريدم — كناية عن كونه قاتلا ، والثقل الحمل الثقيل ، والمغرم مصدر ميمي ، والمراد أنه يحمل مالا فوق طاقته في صلح أو نحوه .
(٢) قوله — لألفيت — بمعنى لوجدت ، والشزر مصدر — شزر — بمعنى طعنه عن يمينه وشماله ، والوشيح شجر الرماح ، والمقوم المثقف ، والشاهد في أن — معطيا — يرجع إلى كونه حاملا ، وأن — مطاعنا — يرجع إلى كونه طريداً ، على غير ترتيب اللف .
(٣) هو ذكر متعدد على جهة الإجمال ثم ماله كل إليه الخ .

(٤) ي — ١١١ — س — ٢ .

(٥) أى بقوله (وقالوا) والأصل وقالت اليهود وقالت النصارى ، وأما النشر فبقوله (إلا من كان هودا أو نصارى) .

(٦) لا بد أن يكون في الجمع بينها لطافة وغرابة ، لأن مجرد الجمع في ذلك لا حسن فيه .

(٧) ي — ٤٧ — س — ١٨ .

وقول الشاعر :

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفَرَاغَ وَالْجِدَّةَ مَفْسَدَةٌ لِلرَّءِىِّ مَفْسَدَةٌ (١)

ومنه قول محمد بن وهيب :

ثَلَاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِمِهْجَتِهَا شَمْسُ الصُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ (٢)

التفريق : ومنه التفريق ، وهو إيقاع تباين (٣) بين أمرين من نوع واحد

في المدح أو غيره ، كقوله :

مَا نَوَالُ الْغَامِ وَقْتَ رَبِيعٍ كَنَوَالِ الْأَمِيرِ يَوْمَ سَخَاءِ
فَنَوَالِ الْأَمِيرِ بَدْرُهُ عَيْنٍ وَنَوَالُ الْغَامِ قَطْرَةُ مَاءٍ (٤)

ونحو قوله :

مَنْ قَاسَ جَدَّوَالِكَ بِالْغَامِ فَمَا أَنْصَفَ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ شَكْلَيْنِ
أَنْتَ إِذَا جُدْتَ ضَاحِكٌ أَبَدًا وَهُوَ إِذَا جَادَ دَامِعُ الْعَيْنِ (٥)

(١) هو لأبي العتاهية إسماعيل بن القاسم ، والجدة الاستغناء يقال في المال — وجد بتثنية الواو ، وجدة كعدة يحذف الواو وتعويض التاء — وقوله — أى مفسدة — بمعنى كاملة الفساد ، والشاهد في جمع الثلاثة في كونها مفسدة أى مفسدة .

(٢) سبق هذا البيت في الكلام على تقديم المسند في الجزء الأول ، والشاهد في جمع شمس الضحى وأبى إسحاق والقمر في كونها تشرق الدنيا بمهجتها .

(٣) أى افتراق وعدم تشابه .

(٤) هالمحمد بن محمد بن عبد الجليل المعروف برشيد الدين الطواط ، والنوال العطاء ، والبدره كيس فيه ألف دينار أو عشرة آلاف درهم ، والمراد من العين المال ، والشاهد في التفريق بين النوالين .

(٥) هما لمحمد بن أحمد المعروف بالوَأَوَاءَ الدَّمَشْقِي ، والجدوى العطية ، والشكلان تنثنية شكل بمعنى مثل ، وقوله — جدت — بمعنى أعطيت ، والشاهد في التفريق بين الجدوين .

التقسيم : ومنه التقسيم ، وهو ذكر متعدد ثم إضافة ما لكل إليه على التعيين^(١)
كقول أبي تمام :

فَمَا هُوَ إِلَّا الْوَحْيُ أَوْ حَدُّ مُرْهَفٍ مُبْمِلٌ ظَبَاهُ أَخَذَعَى كُلِّ مَائِلٍ^(٢)
فَهَذَا دَوَاءُ الدَّاءِ مِنْ كُلِّ عَالَمٍ وَهَذَا دَوَاءُ الدَّاءِ مِنْ كُلِّ جَاهِلٍ^(٣)
وقول الآخر :

وَلَا يَقِيمُ عَلَى ضَمِّهِ يُرَادُ بِهِ إِلَّا الْأَذْلَانِ عَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَتْدُ
هَذَا عَلَى الْخُسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمْتِهِ وَذَا يُشَجُّ فَلَا يَرْتِي لَهُ أَحَدٌ^(٤)
وقال السكاكي^(٥) هو أن تذكر شيئا ذا جزأين أو أكثر ثم تضيف إلى كل واحد من أجزائه ما هو له عندك ، كقوله :
أَدِيَّانٍ فِي بَلَخٍ لَا يَأْكُلَانِ إِذَا صَحَبَا الْمَرْءَ غَيْرَ الْكَبِيدِ

(١) يخرج بهذا القيد اللف والنشر لوجوب عدم التعيين فيه كما سبق .

(٢) قبله :

وعادات نصر لم تزل تستعيدها عصابةٌ حق في عصابة باطل
وضمير — هو يعود إلى حق ، يعني أنه لا يتم أمره إلا بما ذكره ، والمرهف السيف
المرقق الحد ، والظبي جمع ظبية وهي حد السيف ، والأخذعان عرقان في صفحتي
العنق ، وقد روى — تقيم ظباه — وهو أصح .

(٣) اسم الإشارة الأول للوحى والثانى للسيف ، والحق أن هذا من اللف
والنشر لعدم التعيين .

(٤) سبق هذان البيتان في الكلام على تعريف المسند إليه بالإشارة في
الجزء الأول ، والحق أن ما هنا أيضا من اللف والنشر لعدم التعيين ، وقيل : إن حرف
التنبيه في — هذا — فيه إيماء إلى أن القرب فيه أقل فيكون للقريب وهو العير ،
ويكون — ذا — للأقرب وهو الوتد ، ولا يخفى أن مثل هذا لا يعول عليه في التعيين .

(٥) ٢٢٥ ، ٢٢٦ — المفتاح .

فهذا طويل كظل القنّاة وهذا قصير كظل ألوند^(١)
وهذا يقتضى أن يكون التقسيم أعم من اللف والنشر^(٢) :

الجمع مع التفريق : ومنه الجمع مع التفريق ، وهو أن يدخل شيان فى معنى واحد ويفرق بين جهتي الإدخال ، كقوله :

فَوَجَّهَكَ كَالنَّارِ فِي ضَوْئِهَا وَقَلْبِي كَالنَّارِ فِي حَرِّهَا^(٣)

شبه وجه الحبيب وقلب نفسه بالنار وفرق بين وجهى المشابهة ، ومنه قوله^(٤)
تعالى (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحْوُنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً).

الجمع مع التقسيم : ومنه الجمع مع التقسيم ، وهو جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه أو تقسيمه ثم جمعه ، فالأول كقول أبى الطيب :

حَتَّى أَقَامَ عَلَى أَرْبَاضٍ خَرَشْنَةَ تَشْقَى بِهِ الرُّومُ وَالصُّلْبَانُ وَالْبَيْعُ^(٥)

(١) هما لبعض شعراء الفُرس ، والكبد عضو معروف فى البدن ، والمراد به كبد صاحبهما فيكون كناية عن سوء عشرتهما له ، أو الكبد المأكول فيكون كناية عن خستهما ، والقناة الرمح ، ويرد على التمثيل بهذا للتقسيم ما سبق فيما قبله .

(٢) ذكر السعد أن قول السكاكى فى التعريف — ثم تضيف إلى كل واحد من أجزائه ما هو له عندك — يعنى عن ذكر قيد التعيين ، وبهذا يباين التقسيم اللف والنشر عنده أيضا . ومن التقسيم قول الشاعر :

وَرَأَحُوا فَرِيقَ فِي الْإِسَارِ وَمِثْلُهُ قَتِيلٌ وَمِثْلٌ لَأَذَّ بِالْبَحْرِ هَارِبُهُ

(٣) هو لمحمد بن محمد بن عبد الجليل المعروف برشيد الدين الوطواط ، وحرارة قلبه ناشئة من شدة شوقه إلى محبوبه .

(٤) ى — ١٢ — س — ١٧ .

(٥) يتعلق — حتى — بقوله قبله :

قَادَ الْمُتَانِبَ أَقْصَى شَرْبِهَا نَهْلٌ عَلَى الشَّكِيمِ وَأَدْنَى سِيرِهَا سِرْعٌ
والضمير فى — أقام — لسيف الدولة ، والأرباض جمع رَبَضٍ وهو ما حول المدينة ، وخرشنة بلد بالروم تسمى أماضية ، والبيع جمع بَيْعَةٍ وهى معبد النصرارى .

لِلسَّبِي مَا نَكَحُوا وَالْقَتْلَ مَا وَلَدُوا وَالنَّهْبَ مَا جَمَعُوا وَالنَّارَ مَا زَرَعُوا^(١)
جمع في البيت الأول شقاء الروم بالممدوح على سبيل الإجمال حيث قال — تشق
به الروم — ثم قسم في الثاني وفصله .
والثاني كقول حسَّان :

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ أَوْ حَاوَلُوا النِّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا
سَجِيَّةٌ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ إِنَّ الْخَلَائِقَ فَأَعْلَمُ شَرَّهَا الْبِدْعُ^(٢)
قسم في البيت الأول صفة الممدوحين إلى ضر الأعداء ونفع الأولياء ، ثم جمعها
في البيت الثاني حيث قال — سجية تلك — ومن لطيف هذا الضرب قول الآخر :
لَوْ أَنَّ مَا أُنْتُمُ فِيهِ يَدُومُ لَكُمْ ظَنَنْتُ مَا أَنَا فِيهِ دَائِمًا أَبَدًا
لَكِنْ رَأَيْتُ اللَّيَالِيَ غَيْرَ تَارِكَةٍ مَا سَرَّ مِنْ حَادِثٍ أَوْ سَاءَ مُطَرِّدًا
فَقَدْ سَكَنْتُ إِلَى أَنِّي وَأَنْتُمْ سَدَسْتَجِدُّ خِلَافَ الْحَالَتَيْنِ غَدًا^(٣)
فقوله — خلاف الحاليتين — جمع لما قسم لطيف ، وقد ازداد لطفًا بحسن
ما بناه عليه من قوله — فقد سكنت إلى أني وأنكم .

(١) إنما قال — ما نكحوا وما ولدوا — مع أن — ما — لغير العاقل إهانة
لهم وملاءمة لما بعده .

(٢) هما لحسان بن ثابت الأنصاري ، وقوم خبر مبتدأ محذوف تقديره هم قوم ،
والمراد بهم قوم النبي صلى الله عليه وسلم ، والأشباع الأتباع والأنصار ، وسجية طبيعة
وغيره خبر مقدم ، واسم الإشارة — تلك — مبتدأ مؤخر ، وغير محدثة صفة سجية ،
والخلائق جمع خليفة وهي الخلق ، والبدع جمع بدعة وهي الأمر المستحدث ، يعني أن
الخلائق شرها ما كان مستحدثا في الأبناء ولم يكن موروثا عن الآباء .

(٣) هي لإبراهيم بن العباس الصولي ، ويريد بما هم فيه حسن حالهم وبما هو
فيه سوء حاله ، والمطرود المستمر ، وإنما كان قوله — خلاف الحاليتين — جمعا لطيفا
لحسن اختصاره لها .

الجمع مع التفريق والتقسيم : ومنه الجمع مع التفريق والتقسيم ^(١) كقوله ^(٢)

تعالى (يَوْمَ يَأْتِي لَا تُكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ
شَقُّوا فِي النَّارِ لَمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ، خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ
إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ، وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ
فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُوذٍ) أما الجمع في
قوله (يَوْمَ يَأْتِي لَا تُكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ) فإن قوله (نفس) متعدّد بمعنى لأن
الفكرة في سياق النفي تعم ، وأما التفريق في قوله (فمنهم شقي وسعيد) وأما التقسيم
في قوله (فأما الذين شقوا) إلى آخر الآية الثانية — وقول ابن شرف القيرواني .

لِمُخْتَلَفِي الْحَاجَاتِ جَمْعٌ بِيَابِهِ فهذا له فنٌ وهذا له فنٌ
فَلَاخَامِلُ الْعُلْيَا وَلِلْعَدَمِ الْغَنَى وللمذنب العُتْبَى وللخائف الأَمْنُ ^(٣)

التقسيم بمعنيين آخرين : وقد يطلق التقسيم على أمرين : أحدهما أن يذكر

أحوال الشيء مضافاً ^(٤) إلى كل حال ما يليق بها ^(٥) كقول أبي الطيب :

سَأَطْلُبُ حَقِّي بِالْقَنَاءِ وَمَشَائِخِ كَأَنَّهُمْ مِنْ طُولِ مَا التَّمَوُّا مُرْدٌ ^(٦)

(١) تأتي الثلاثة في الكلام على هذا الترتيب ، فيكون أولها الجمع وثانيها

التفريق وثالثها التقسيم .

(٢) ي — ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ — س ١١ .

(٣) هما لمحمد بن سعيد بن أحمد بن شرف القيرواني الجذامي ، والفن النوع والحال ،
والمعدم الفقير ، والعتي الإرضاء . والشاهد في أنه جمع بقوله — لمختلفي الحاجات — ثم
فرق بقوله — فهذا له فن وهذا له فن — ثم قسم في البيت الثاني .

(٤) أي منسوبا .

(٥) هذا يغاير التقسيم السابق بأنه لا يذكر فيه المتعدد أولاً بل يذكر كل

واحد من المتعدد ومعه ما يناسبه .

(٦) القنا واحدة قناة وهي الرمح ، وقوله — التثموا — بمعنى لبسوا لثام الحرب

على عاداتهم فيها ، والمرد جمع أمرد وهو الشاب الذي لم تنبت لحيته .

يُقَالُ إِذَا لَاقَوْا خِفَافًا إِذَا دُعُوا كَثِيرًا إِذَا شَدُّوا قَلِيلًا إِذَا عُدُّوا^(١)
وقوله أيضا :

بَدَتْ قَمَرًا وَمَالَتْ خُوطَ بَانَ وَفَاحَتْ عَنَبَرًا وَرَنْتَ غَزَالًا^(٢)
ونحوه قول لآخر :

سَفَرَنَ بُدُورًا وَانْتَقَبَنَ أَهْلَةً وَمِسْنَ غُصُونًا وَالتَفَتَنَ جَاذِرًا^(٣)

والثاني استيفاء أقسام الشيء بالذكر ، كقوله^(٤) تعالى (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإذن الله) وقوله^(٥) (يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَانًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَانًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيًّا)

ومنه ما حكى عن أعرابي وقف على حلقة الحسن^(٦) فقال : رحم الله من

(١) النقال الذين تشدد وطأنهم على الأعداء في الحرب ، وقوله — شدوا —
بمعنى حملوا على عدوهم ، والشاهد في أنه ذكر أحوال المشايخ في البيت الثاني مضافا
إلى كل حال ما يناسبها .

(٢) سبق هذا البيت في الكلام على التشبيه من الجزء الثالث ، والشاهد
في أنه ذكر أحوالها مضافا إلى كل حال ما يناسبه .

(٣) هو لأبي القاسم علي بن إسحاق الزاهي ، وقيل : إنه لأبي هلال العسكري ،
وقوله — سفرن — بمعنى كشفن وجوههم ، وقوله — انتقبن — بمعنى لبسن النقاب ،
وإنما أشبهن الأهلة عند لبسه لظهور حواجبهن مقوسات فوقه مثلها ، وقوله
— مسن — بمعنى تبخترن ، والجاذر جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية أي كميون
جاذر . والشاهد فيه كالبيت قبله .

(٤) ي — ٣٢ — س ٣٥ .

(٥) ي — ٤٩ — س ٤٢ .

(٦) يعني الحسن البصري .

تصدق من فضل ، أو آسى من كفاف ، أو آثر من قوت . فقال الحسن : ما ترك لأحد عذراً . ومن الشعر قول زهير :

وَأَعْلَمُ عِلْمُ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ وَلَسَكِنِّي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِي^(١)
وقول طرُح :

إِنْ يَعْلَمُوا الْخَيْرَ يُخَفُّوهُ وَإِنْ عَظِمُوا شَرًّا أَذَاعُوا وَإِنْ لَمْ يَعْلَمُوا كَذَبُوا^(٢)
وقول أبي تمام في الأفسنين^(٣) لما أُحْرِقَ :

صَلَّى لَهَا حَيًّا وَكَانَ وَقُودَهَا مَيْتًا وَيَدْخُلُهَا مَعَ الْفُجَّارِ^(٤)
وقول نصيب :

فَقَالَ فَرِيقُ الْقَوْمِ : لَا ، وَفَرِيقُهُمْ : نَعَمْ ، وَفَرِيقٌ : لَيْثُنُ اللَّهِ مَا نَذَرِي^(٥)
فإنه ليس في أقساء الإجابة غير ما ذكر .

وقول آخر :

فَهَبْهَا كَشَى . لَمْ يَكُنْ أَوْ كُنَّا نَزَحَ بِهِ الدَّارُ أَوْ مِنْ غَيْبَتِهِ الْمُقَابِرُ^(٦)

(١) سبق هذا البيت في الكلام على الحشو من الجزء الثاني ، والشاهد في استيفائه أقسام ما يتوجه إليه العلم وهي اليوم والأمس والغد ، ولا يخفى أنه لا قيمة للمحسن البديعي مع عيب الحشو .

(٢) هو لطريح بن إسماعيل الثقفي ، يريد أن أعداءه إن يعلموا خيراً منه يخفوه أو شراً يذيعوه وإن لم يعلموا منه شراً نسبوه إليه كذبا ، وقد استوفى بهذا أقسام أحوالهم معه .
(٣) كان تركيا من أكبر قواد المعتصم .

(٤) الضمير في — لها — للنار ، والوقود ما توقد النار به ، والفجار العصاة ، وكان الأفسنين متهمًا بعبادة النار كالجوس ، والشاهد في استيفائه أقسام أحواله معها .
(٥) هو لنصيب بن رباح ، وقوله — لين — حذف فيه ألف — أين — في الدرج ، وهو مبتدأ خبره محذوف تقديره — قسمي .

(٦) هو لعمر بن أبي ربيعة ، وقوله — هب — فعل أمر بمعنى احسب ، وقوله — لم يكن — بمعنى لم يوجد ، والنازح البعيد . والشاهد في أنه ليس في أقسام الغائب غير ما ذكره .

التجريد : ومنه التجريد ، وهو أن يُنْتَزَع من أمر ذي صفة أمر آخر مثله في تلك الصفة مُبَالَغَةً في كمالها فيه ^(١) وهو أقسام :

منها نحو قولهم ^(٢) لي من فلان صديق حميم — أى بلغ من الصداقة مبلغاً صح معه أن يستخلص منه صديق آخر .

ومنها نحو قولهم ^(٣) لئن سألت فلاناً لتسألن به البحر .

ومنها نحو قول ^(٤) الشاعر :

(١) اعترض على هذا التعريف بأنه لا يشمل ما كان من التجريد نحو — لاخليل عندك تهديها ولا مال — لأنه لم يجرد شيئاً مثل نفسه في صفة من الصفات ، وإنما جرد من ذاته ذاتاً أخرى من غير اعتبار صفة ، فالأحسن تعريف التجريد بأنه انتزاع أمر من آخر مطلقاً ، والأحسن أيضاً أن تجعل نكته العامة التفنن في الأسلوب كالالتفات لتقاربهما ، وإن كان مبنى الالتفات على اتحاد المعنى ومبنى التجريد على التباين بينهما بحسب الاعتبار ، وقد يجتمعان كما في المثال الآتي — فلئن بقيت لأرحلن بغزوة — البيت ، وقد يفرد الالتفات كما في قوله تعالى — ي — ٢٠١ — س ١٠٨ (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) وقد يفرد التجريد كما في قولك — لي من فلان صديق حميم

وفي التجريد فائدتان : طلب التوسع في الكلام ، وتمكين المخاطب من اجراء الأوصاف المقصودة من مدح أو غيره على نفسه ، إذ يكون مخاطباً بها غيره ، فيكون أعذر له .

(٢) نحوه كل ما تكون — من — فيه أداة التجريد ، وتفيد فيه معنى الابتداء ، وهذا القسم لا يقصد منه تشبيه .

(٣) نحوه كل ما تكون باء التجريد فيه داخلة على المفتزع منه ، وتفيد فيه معنى المصاحبة ، وهذا القسم يدل على التشبيه .

(٤) نحوه كل ما تكون الباء فيه داخلة على المفتزع ، وتفيد معنى المصاحبة ، وهذا القسم لا يدل على التشبيه .

وَشَوْهَاءَ تَعْدُوْنِي إِلَى صَارِخِ الْوَغَى بِمُسْتَلْتَمٍ مِثْلِ الْفَنَيْقِ الْمُرْحَلِ^(١)
 أى تعدو بى ومعى من نفسى لكمال استعدادها للحرب مستلتم أى لابس لأمة .
 ومنها نحو قوله^(٢) تعالى (لَهْمُ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ) فإن جهنم — أعاذنا الله منها —
 هى دار الخلد ، لكن انتزع منها مثلها وجعل مُعَدًّا فيها للكفار تهويلا لأمرها .
 ومنها نحو قول^(٣) الحماسى :

فَلَنْ يَبْقِيَتْ لَأَرْحَانٍ بِغَزْوَةٍ تَحْوِى الْغَنَائِمَ أَوْ يَمُوتَ كَرِيمٌ^(٤)
 وعليه قراءة من قرأ (فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ)^(٥) بالرفع

(١) لا يعرف قائله ، والشوهاء الفرس القبيحة المنظر لسعة أشداقها أو لتغيرها
 بالحرب ، وصارخ الوغى المستغيث فى الحرب ، والمستلتم لابس اللأمة وهى الدرع ،
 والفنيق الفعل المسكرم من الإبل بترك ركوبه ، والمرحل المرسل غير المربوط ،
 والمراد تشبيه الفرس به أو المستلتم ، والباء فى — بى — للتعدية، وفى — بمستلتم —
 للمصاحبة لأنها باء التجريد .

(٢) ى — ٢٨ — س — ٤١ ، ونحوه كل ما يكون التجريد فيه بدخول
 — فى — على المتبزع منه ، وهذا القسم لا يقصد فيه تشبيه .

(٣) نحوه كل ما يكون التجريد فيه بالقرينة لا بحرف من حروف التجريد ،
 وهذا القسم لا يدل على التشبيه .

(٤) هولقتادة بن مسلة الحنفى ، و — أو — فى قوله — أَوْ يَمُوتَ — بمعنى
 — إلا — والفعل بعدها منصوب بها ويجوز رفعه عطفا على تحوى ، والتجريد فى
 قوله — أَوْ يَمُوتَ كَرِيمٌ — بقرينة أنه عادل بين احتوائه على الغنيمة وموت كريم ،
 والجارى على الألسنة أن يقال لا بدلى من الغنيمة أو الموت ، فيفهم منه أن المراد من
 السكريم نفسه .

(٥) ى — ٣٧ — س ٥٥ .

بمعنى — فحصلت سماء وردة ، وقيل تقدير الأول — أو يموت منى كريم^(١)
والثانى — فكانت منه^(٢) وردة كالدهان ، وفيه نظر^(٣) .

ومنها نحو قوله^(٤) :

يَاخَيْرَ مَنْ يَرْكَبُ الْمَطَى وَلَا يَشْرِبُ كَأْسًا بِكَفٍّ مِّنْ بَحَلَا^(٥)

ونحوه قول الآخر :

إِنْ تَلَقَّيْ لَا تَرَى غَيْرِي إِبْنَاظِرَةً تَذْسُ السَّلَاحَ وَتَعْرِفُ جَبْهَةَ الْأَسَدِ^(٦)

ومنها مخاطبة الإنسان نفسه ، كقول الأعشى .

وَدَعَّ هُرَيْرَةً إِنْ الرِّكْبَ مُرْتَحِلٌ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ^(٧)

(١) فيكون التجريد فيه بحرف — من — لا من هذا القسم .

(٢) أى من الانشفاق ، فيكون التجريد فيه بحرف أيضا .

(٣) لحصول التجريد من غير تقدير أداة فلا يكون هناك حاجة إليه .

(٤) نحوه كل ما يكون التجريد فيه بطريق السكناية .

(٥) هو لأعشى قيس ، والمطى جمع مطية وهى المركوب من الإبل ، والشاهد فى قوله — ولا يشرب كأسا بكف من بحلا — فإنه كفاية عن شربه بكف كريم ، والشأن أن الشخص يشرب بكف نفسه ، ولكنه انتزع من المدوح شخصا كريما يشرب المدوح من كفه مبالغة فى كرمه .

(٦) هو لإرطاة بن سُهَيْبَةَ ، وقوله — بناظرة — صفة لحذوف أى بعين ناظرة ، وقوله — تنس السلاح — بمعنى تنسى حملة دهشا ، والشاهد فى قوله — وتعرف جبهة الأسد — لأنه كنى بذلك عن معرفة الأسد نفسه ، فكأنه قال — وتعرف الأسد — وذلك تجريد لأنه على تقدير — وتعرفه منى .

(٧) هو لأعشى قيس ، والركب ركبان الإبل أو الخيل ويجمع على أركب وركوب وهو أيضا جمع راكب ، والمترحل المسافر ، والشاهد فى مخاطبته نفسه فى قوله — ودع ، وتطيق ، وأيتها الرجل .

وقول أبي الطيب :

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالٌ فَلْيُسْعِدِ النَّطْقُ إِنْ لَمْ يُسْعِدِ الْحَالُ^(١)

المبالغة المقبولة : ومنه المبالغة المقبولة^(٢) والمبالغة أن يدعى لوصف بلوغه في الشدة أو الضعف حداً مستحيلاً أو مُستبعداً لئلا يظن أنه غير مُتنَاهٍ في الشدة أو الضعف ، وتنحصر في التبليغ والإغراق والغلو : لأن المدعى للوصف من الشدة أو الضعف إما أن يكون ممكناً في نفسه^(٣) أولاً ، الثاني الغلو^(٤) والأول إما أن يكون ممكناً في العادة أيضاً^(٥) أولاً ، الأول التبليغ^(٦) والثاني الإغراق^(٧) أما التبليغ فمكقول امرئ القيس :

(١) هو من قصيده له يمدح بها فاتكا حين أهدها ألف دينار وهو بمصر ، ويعنى بالنطق نطقه بالشعر في مدحه ، وبالحال حاله من فقد الخيل والمال ، والشاهد في مخاطبته نفسه في قوله — عندك .

(٢) يحتز عن المبالغة غير المقبولة ، وهذا مذهب من مذاهب ثلاثة في المبالغة ، والثاني أنها مقبولة مطلقاً ، لأن خير الكلام ما بولغ فيه وأعذب الحديث أ كذبه مع إيهام الصحة وظهور المراد ، فلا يدخل في ذلك الكذب المحض الذي قصد ترويح ظاهره مع فساد للاتفاق على قبحه . والثالث أنها مردودة مطلقاً ، لأن خير الكلام ما خرج مخرج الحق ، كما قال الشاعر :

وَإِنْ أَشْعَرَ بَيْتَ أَنْتَ قَائِلُهُ بَيْتَ يَقَالُ إِذَا أَنْشَدْتَهُ صَدَقَا

(٣) الممكن في نفسه هو الممكن عقلاً .

(٤) هو غير الممكن في نفسه أي غير الممكن عقلاً ، وكل ما لا يمكن عقلاً

لا يمكن عادة .

(٥) أي كما هو ممكن في نفسه ، فيكون ممكناً عقلاً وعادة .

(٦) هو الممكن عقلاً وعادة .

(٧) هو الممكن عقلاً لا عادة .

فَعَادَى عِدَاءَهُ بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعِجَةٍ دِرَاكًا فَلَمْ يَنْصَحْ بِمَا فُيْغَسَلُ^(١)
وصف هذا الفرس بأنه أدرك ثوراً وبقرة وحشيين في مضمار واحد ولم يعرف ،
وذلك غير ممتنع عقلاً ولا عادة — ومثله قول أبي الطيب :
وَأَصْرَعُ أَيَّ الْوَحْشِ قَفَيْتُهُ بِهِ وَأَنْزَلُ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ أُرْكَبُ^(٢)
وأما الإغراق فمكقول الآخر :
وَنُسْكِرُمُ جَارَنَا مَا دَامَ فِينَا وَنُنْتِيعُهُ الْكَرَامَةَ حَيْثُ مَالَا^(٣)
فإنه ادعى أن جاره لا يعيل عنه إلى جهة إلا وهو يتبعه الكرامة ، وهذا ممتنع
عادة وإن كان غير ممتنع عقلاً
وهما^(٤) مقبولان .

(١) قوله — عادى إلخ — بمعنى والى بينهما بأن صرع الثانى إثر الأول فى شوط واحد ، والثور ذكر بقر الوحش والنعجة أنثاء ، وقوله — دراكا — بمعنى متتابع تأكيد لقوله عداً أو لإفادة التكثير وأن ذلك كان بين ثيران ونعاج لا اثنين فقط ، وقوله — لم ينصح — بمعنى لم يرشح بعرق فيغسل به جسمه أو يغسل منه جسمه لما يصحبه من الوسخ .
(٢) قوله — أصرع — بمعنى أطرح على الأرض ، وقوله — قفيتها — بمعنى أتبعته والضمير المفعول للوحش والضمير فى — به — للفرس ، والشاهد فى قوله — وأنزل عنه مثله حين أركب — يعنى أنه يكون فى نشاطه حين ركبه ، وهذا ممكن عقلاً وعادة .

(٣) هو لعمر أو عمر بن الأيهم التغلبى ، وقد حرف — الأيهم — بالأهم من بعض النساخ ، وهو خطأ ، لأن عمرو بن الأهم تيمى لا تغلبى ، وقوله — مال — بمعنى رحل عنهم إلى غيرهم ، والظاهر أن الإغراق فى هذا يكون عند إرادة أنهم يرسلون ذلك اليه فى مكان ارتحاله لا إوادة أنهم عند ارتحاله يزودونه به .
(٤) أى التبليغ والإغراق .

وأما الغلو فقول أبي نواس :

وَأَخَفْتُ أَهْلَ الشَّرِكِ حَتَّى إِنَّهُ لَتَخَافُكَ النَّطَفَ الَّتِي لَمْ تُخْلَقِ^(١)

والمقبول منه أصفاف :

أحدها ما أدخل عليه ما يقرُّ به إلى الصحة ، نحو لفظة — يكاد — في قوله^(٢) تعالى (يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ) وفي قول الشاعر يصف فرساً :

وَيَكَادُ يَخْرُجُ سُرْعَةً مِنْ ظِلِّهِ لَوْ كَانَ يُرْغَبُ فِي فِرَاقِ رَفِيقِ^(٣)

والثاني ما تضمن نوعاً حسناً من التخيل^(٤) كقول أبي الطيب :

عَقَدْتُ سَنَابِكُهَا عَلَيْهَا عَثِيرًا لَوْ تَتَنَعَّى عَنْقًا عَلَيْهِ لَأَمْسَكْنَا^(٥)

وقد جمع القاضى الأرجاني بينهما في قوله يصف الليل بالطول :

(١) هو للحسن بن هانيء المعروف بأبي نواس ، والنطف جمع نطفة وهى الماء الذى يتخلق منه الإنسان فى الرحم ، وقوله — لم تخلق — بمعنى لم يخلق منها الإنسان ، أو بمعنى لم توجد فيكون بعد فى الغلو من الأول ، لأن عدم خلق الإنسان منها يقتضى وجودها ، وهذا من الغلو غير المقبول .

(٢) ي — ٣٥ — س — ٢٤ ، ونحوها لفظ — لو ، ولولا ، وحرف التشبيه ، ويخيل ، وما أشبه ذلك .

(٣) هو لأبى محمد عبد الجبار بن أبى بكر المعروف بابن حمد بس الصقلى ، جعل ظله رفيقاً له لأنه يلازمه ملازمة الرفيق . وقد أخذه من قول المعرى :

وَلَمَّا لَمْ يَسَابِقْنِ شَيْءًا مِنَ الْحَيَوَانِ سَابِقَ الظَّلَالَا

(٤) لأن حسن التخيل يقربه من الإمكان .

(٥) السنابك جمع سنبك وهو طرف الخافر ، والعثير الغبار ، والعنق السير السريع ، وقد نشأ التخيل الحسن من ادعاء كثرة الغبار وجعله كالأرض فى الهواء ، ولا يخفى أن وجود — لو — فيه يجعله من الأول أيضاً ، وقبلة :

أقبلت تبسم والجياذ عوابس يخين بالخلق المضاعف والقنا

يُخَيَّلُ لِي أَنْ سَمَرَ الشَّهْبُ فِي الدُّحَى وَشُدَّتْ بِأَهْدَابِي إِلَيْهِنَّ أَجْفَانِي^(١)
والثالث ما أُخْرِجَ مُخْرَجَ الْهَزْلِ وَالْخَلَاعَةِ^(٢) ، كقول الآخر :

أَسْكُرُ بِالْأَمْسِ إِنْ عَزَمْتُ عَلَى الشُّرْبِ غَدًا إِنْ ذَا مِنَ الْعَجَبِ^(٣)

المذهب الكلامي : ومنه المذهب الكلامي^(٤) وهو أن يُورِدَ للمتكلم حُجَّةً
لِمَا يَدَّعِيهِ عَلَى طَرِيقِ أَهْلِ الْكَلَامِ^(٥) كقوله^(٦) تعالى (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ

(١) هو لأحمد بن محمد المعروف بالقاضي الأراجاني ، وقوله — سمر الخ — بمعنى
أحكمت فيها بالمسامير ، والدجى ، جمع دجية وهي الظلمة ، والأهداب جمع هذب
وهو شعر أشفار العينين ، والشاهد في اجتماع لفظ — يخيل — فيه من الأول مع
ذلك التخيل الحسن الناشئ من ادعاء أن هناك مسامير وحبالا كانت سببا في وقوف
الشهب وشد الأجفان إليها .

(٢) لأن صاحبهما لا يعد موصوفاً بنقيصة الكذب كما يعد في الجِدِّ .

(٣) لا يعرف قائله ، وقبله :

أَمْرٌ بِالْكَرَمِ إِنْ عَبْرَتْ بِهِ تَأْخِذُنِي نَشْوَةٌ مِنَ الطَّرِبِ

واسم الإشارة — ذا — يعود إلى سكره بالأمس عند العزم على الشرب في الغد ،
وامتناعه في العقل لما فيه من تقدم المعلول على علته ، وأل في الأمس للجنس ، فيشمل
أفراده المقدر في المستقبل ، وكذلك المراد بغد ، وبهذا صح قوله — أسكر بالأمس —
بالمضارع مع أمس ، وقوله — إن عزمتم — بأن التي تقلب الماضي إلى المستقبل ،
والمراد سكره من مروره بالسكر ، ولهذا فصله عنه .

(٤) إنما كان محسناً لأنه لا يجب في المحاوراة أن تكون على طريق أهل الكلام ،
وبعضهم يرى أنه تكلف ، والحق أنه لا تكلف فيه .

(٥) بأن تكون على صورة قياس اقتراني أو استثنائي بالفعل أو بالقوة ، ومن
الأول الآية الأولى وبيت النابغة ، ومن الثاني ما عداها من الأمثلة .

(٦) ي — ٢٢ — س — ٢١ ، وفيها قياس استثنائي حذفت استثنائته

ونتيجه لظهورها .

لَفَسَدَتَا) وقوله (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ^(١)) أى
والإعادة أهون عليه من البدء ، والأهون من البدء أدخل في الإمكان من البدء ،
وهو المطلوب ^(٢) وقوله ^(٣) تعالى (فَلَمَّا أَفْلَحَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ) أى القمر آفلٌ
وربى ليس بأفل ، فالقمر ليس بربى ^(٤) وقوله ^(٥) تعالى (قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ)
أى أنتم تُعَذِّبُونَ والبنون لا يُعَذِّبُونَ فلستم يبنسين له ^(٦)

ومنه قول النابغة يعتذر إلى النعمان :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرِكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً	وليس وراء الله للمرء مطلبُ
لَنْ كُنْتُ قَدْ بُلَّغْتَ عَنِّي خِيَانَةً	لَمْ بُلِّغْكَ الْوَاشِيَّ أَغْشَ وَأَكْذَبُ
وَلَسَكُنْتُ كُنْتُ امْرَأَةً لِي جَانِبُ	مِنْ الْأَرْضِ فِيهِ مُسْتَرَادٌ وَمَذْهَبُ ^(٧)
مُلُوكٌ وَإِخْوَانٌ إِذَا مَا مَدَحَتْهُمْ	أَحْكَمُ فِي أُمُوَاهُمْ وَأَقْرَبُ ^(٨)
كَفَعْلِكَ فِي قَوْمٍ أَرَاكَ اصْطَفَيْتَهُمْ	فَلَمْ تَرَهُمْ فِي مَدَحِهِمْ لَكَ أَذْنَبُوا

(١) ي — ٢٧ — س — ٣٠

(٢) هذا قياس اقترانى من الشكل الأول حذفت مقدمته الثانية والمطلوب .

(٣) ي — ٧٦ — س — ٦ .

(٤) هذا قياس اقترانى من الشكل الثانى حذفت مقدمته الأولى اكتفاء عنها
بلازم الثانية (لا أحب الآفلين) وحذف أيضا فيه المطلوب .

(٥) ي — ١٨ — س — ٥ .

(٦) هذا أيضا قياس اقترانى من الشكل الثانى مثل الآية السابقة .

(٧) المستراد موضع طلب الرزق مأخوذ من — رَادَ الْكَلَاءُ — بمعنى طلبه ،
والمذهب موضع الذهاب إلى الحاجات ، والمراد منهما فى البيت مجرد طلب الرزق
والذهاب إلى الحاجات .

(٨) يعنى بهم آل جفنة من الفاسانة الذين قصدهم بعد غضب النعمان بن المنذر
عليه ، ويشير بقوله — إخوان — إلى تواضعهم . والأبيات لزياد بن معاوية المعروف
بالنابغة الذبياني

يقول : أنت أحسنت إلى قوم فمدحوك وأنا أحسن إلى قوم فمدحتهم ، فكما أن مدح أولئك لك لا يُعدُّ ذنباً فكذلك مدحي لمن أحسن إلى لا يعدُّ ذنباً^(١) .

حسن التعليل : ومنه حسن التعليل ، وهو أن يُدعى لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف^(٢) غير حقيقي ، وهو أربعة أقسام : لأن الوصف إما ثابت قُصِدَ بيان علة ، أو غير ثابت أُريدَ إثباته ، والأول إما ألاَّ يظهر له في العادة علة ، أو يظهر له علة غير المذكورة ، والثاني إما ممكن ، أو غير ممكن .

أما الأول^(٣) فمقول أبي الطيب :

لم تحك نائلك السحاب وإنما همت به فصيّمها الرخصاء^(٤)
فإن نزول المطر لا يظهر له في العادة علة^(٥) وكقول أبي تمام :

(١) هذا من قياس التمثيل ، ويمكن رده إلى قياس استثنائي تقريره — لو كان مدحي لآل جفنة ذنباً لكان مدح أولئك القوم لك ذنباً ، لكن مدح أولئك القوم لك ليس بذنب ، فمدحي لآل جفنة ليس بذنب .

(٢) أى دقيق لا يدركه إلا من له تصرف في دقائق المعاني ، ووجه حسنه إظهار ما ليس بواقع متخيلاً كالصحيح الواقع ، وهذا شرط لسكونه محسناً لا اعتبار موجب له .

(٣) هو حسن التعليل في الوصف الثابت الذي لا تظهر له في العادة علة غير المذكورة .

(٤) قوله — لم تحك — بمعنى لم تشابه ، والنائل العطاء ، والسحاب اسم جنس جمعى ولهذا أنث فعله ، وهو على حذف مضاف أى مطر السحاب ، وقوله — همت — بمعنى أصيبت بالحصى ، والصبيب ما صب من المطر ، والرخصاء عرق الحمى ، والبيت من قصيدة في مدح هارون بن عبد العزيز مطلعها :

أمن أزديارك في الدجى الرقباء إذ حيث أنت من الظلام ضياء

(٥) قيد بالعادة لأن له في الحقيقة علة ولكن الناس لا ينظرون عادة اليها ، وقد جعل أبو الطيب علة نزول المطر من السحاب ما حصل له من الحمى بسبب عدم محاكاته لعطاء الممدوح ، وهى علة ناشئة عن لطف في النظر وليست علة حقيقية .

لَا تُنْكِرِي عَطَلَ الْكَرِيمِ مِنَ الْغَنَى فَالْسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِي (١)
 عَطَلَ عدم إصابة الغنى الكريم بالقياس على عدم إصابة السيل المكان العالى
 كالطود العظيم ، من جهة أن الكريم لاتصافه بعلو القدر كالمكان العالى ، والغنى
 لحاجة الخلق إليه كالسيل — ومن لطيف هذا الضرب قول أبى هلال العسكري :
 زَعَمَ الْبَنْفَسِجُ أَنَّهُ كَعَذَارِهِ حُسْنًا فَسَلُّوا مِنْ قَفَاهُ إِسَانَهُ (٢)
 وقول ابن نباتة فى صفة فرس :
 وَأَذْهَمَ بَسْتَمِدُّ اللَّيْلِ مِنْهُ وَتَطْلُعُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ الثُّرَيَّا
 سَرَى خَلْفَ الصَّبَاحِ يَطِيرُ مَشِيًّا وَيَطْوِي خَلْفَهُ الْأَفْلَاقَ طَيًّا
 فَلَمَّا خَافَ وَشَكَ الْقَوْتَ مِنْهُ تَشَبَّثَ بِالْقَوَائِمِ وَالْمُحَيَّا (٣)

(١) العطل مصدر — عَطَلَ الرجل من المال ونحوه — خلا منه ، وقوله — حرب
 للمكان العالى — بمعنى أنه عدوله لا يجامعه .

(٢) هو للحسن بن عبد الله المعروف بأبى هلال العسكري ، والضمير فى قوله
 — كعذاره — يعود إلى مغنّج فى قوله قبل هذا البيت :

وَمَغْنَجٌ قَالَ السَّكَّالُ تَخْلُقُهُ كُنْ مَجْمَعًا لِلطَّيْبَاتِ فَكَانَهُ
 والبنفسج نبات بستانى ورقه دون السفرجل طيب الرائحة وله هنة تحت ورقه
 جعلها الشاعرة كلسان له سل من قفاه ، والعذار أول ما يبدو على الخد من الشعر ،
 والشاهد فى أن خروج هنة ورقة البنفسج إلى الخلف مما لا تظهر علة ، لسكنه جعلها
 افتراءه على محبوبه أنه كعذاره .

(٣) هى لأبى نصر عبد العزيز بن عمر المعروف بابن نباتة السعدى ، والأدھم
 الفرس الأسود ، والثريا سبعة كواكب فى عنق الثور ، استعارها لغرته أو لما يكون
 فوق الرأس من الحلية ، وقوله — سرى — بمعنى مشى ليلاً والضمير للأدھم ،
 وقوله — يطوى — بمعنى يقطع ، والأفلاك جمع فلك وهو مدار النجوم ، والضمير
 فى قوله — خاف — للصباح ، والوشك السرعة والقرب ، والقوائم جمع قائمة وهى الرجل
 أو اليد ، والحيا الوجه ، يعنى أنه تعلق بذلك فأصابه أثر بياضه ، وهذه علة غير حقيقية له .

وأما الثاني^(١) فكقول أبي الطيب :

مَا بِهِ قَتْلُ أَعَادِيهِ وَلَكِنْ يَتَّقِي إِخْلَافَ مَا تَرْجُو الذَّنَابُ^(٢)

فإن قتل الملوك أعداءهم في العادة لإرادة هلاكهم ، وأن يدفعوا مضارهم عن أنفسهم ، حتى يصفو لهم ملكهم من منازعتهم ، لا لما ادعاه من أن طبيعة الكرم قد غلبت عليه ، ومحبتة أن يصدق رجاء الراجين بعثته على قتل أعدائه ، لما علم أنه لما غدا للحرب غدت الذئاب تتوقع أن يتسع عليها الرزق من قتلاهم ، وهذا مبالغة في وصفه بالجود ، ويتضمن المبالغة في وصفه بالشجاعة على وجه تخييلي^(٣) أي تناهى في الشجاعة حتى ظهر ذلك للحيوانات العُجم ، فإذا غدا للحرب رجت الذئاب أن تنال من لحوم أعدائه ، وفيه نوع آخر من المدح وهو أنه ليس ممن يسرف في القتل طاعة للغيب والحق — وكقول أبي طالب المأموني في بعض الوزراء بيخاري :

مُغْرَمٌ بِالنَّاءِ صَبٌّ بِكَسْبِ الْمَجْدِ يَهْتَزُّ لِلْسَّمَاحِ ارْتِيَاخًا
لَا يَذُوقُ الْإِغْفَاءَ إِلَّا رَجَاءً أَنْ يَرَى طَيْفَ مُسْتَمِيعٍ رَوَّاحًا^(٤)

وكان تقييده بالرواح ليشير إلى أن العفاة إنما يحضرونه في صدر النهار على عادة الملوك ، فإذا كان الرواح قتلوا ، فهو يشقاق إليهم فينام ليأنس برؤية طيفهم ، وأصله من نحو قول الآخر :

(١) هو حسن التعليل في الوصف الثابت الذي تظهر له في العادة علة غير المذكورة.

(٢) هو من قصيدة له في مدح بدر بن عمار ، وقوله — ما به قتل أعاديهِ — بمعنى أنه لا يقتل أعداءه خوفا من أذاهم لعجزهم عنه ، فالباء في — به — للسببية ، والإخلاف عدم الوفاء .

(٣) فقيه مثال للاستتباع الآتي

(٤) هما لعبد السلام بن الحسين المأموني ، ينتهي نسبه إلى المأمون بن هارون الرشيد ، والمغرم اسم مفعول من — أُغْرِمَ بالشئ — بمعنى أولع به ، والصب ذو الولع الشديد ، والسماح الجود ، والإغفاء النوم الخفيف ، والمستميع طالع العطاء ، والرواح العشي ، والشاهد في تعليله الإغفاء بما علله به ، مع أن له علة حقيقية غيرها .

وإني لأستغشي وما بي نَعْسَةٌ لَعَلَّ خيالاً مِنْكَ يَلْقَى خيالِيَا^(١)
وهذا غير بعيد أن يكون أيضاً من هذا الضرب ، إلا إنه لا يبلغ في الغرابة
والبعد عن العادة ذلك المبلغ ، فإنه قد يُتَصَوَّرُ أن يريد المُشْغَرَمُ للثِّيمِ إذا بعد عهده
بحبيبه أن يراه في المنام ، فيريد النوم لذلك خاصة .

ومن لطيف هذا الضرب قول ابن المعتز :

قالوا : اشْتَكْتُ عَيْنَهُ ، فَقُلْتُ لَهُمْ : من كثرة القتل نالها الوَصَبُ
مُحَرَّرَهَا من دماء من قَتَلْتُ والدمُ في النَّصْلِ شَاهِدٌ عَجَبٌ^(٢)
وقول الآخر :

أَتَنَنْي تَوْنَنِي بالبكاء فَأَهْلًا بِهَا وَتِثْنِيهَا
تَقْرُلُ فِي قَوْلِهَا حَشْمَةٌ : أَتَبْكِي بَعِينَ تَرَانِي بِهَا
فَقُلْتُ : إِذَا اسْتَحْسَنْتُ غَيْرَ كُمْ أَمَرْتُ الدَّمْعَ بِتَأْدِيبِهَا^(٣)
وذلك أن العادة في دمع العين أن يكون السبب فيه إغراض الحبيب أو اعتراض
الرفيق ونحو ذلك من الأسباب الموجبة للاكتئاب ، لا ما جعله من التأديب على
الإساءة باستحسان غير الحبيب .
وأما الثالث^(٤) فمكقول مسلم بن الوليد :

(١) هو لقيس بن الملوح المعروف بالجنون ، وقوله — أستغشي — بمعنى أطلب
النعاس ، وقوله — وما بي نَعْسَةٌ — بمعنى — وما بي إرادتها .

(٢) هما لعبد الله بن المعتز ، وقوله — اشتكت — بمعنى مرضت ، والمراد بالقتل
قتل محبيها ، والوصب المرض ، والنصل يطلق على السيف وقد استعير للعين لقتلها
مثله ، والشاهد في أن العلة الحقيقية لحرارة العين الرمد لا دماء من قتلته من العشاق .

(٣) هي لأحمد بن محمد المعروف بابن ثوابة ، وقوله — تَوْنَنِي — بمعنى تلومني
وتعنفني ، والحشمة الغضب أو الاستحياء والأول أظهر هنا .

(٤) هو حسن التعليل في الوصف غير الثابت الذي أريد إثباته وهو ممكن .

يَا وَاشِيًا حَسَدَتْ فِينَا إِسَاءَتُهُ تَجَى حِذْرُكَ إِنْسَانِي مِنَ الْغَرَقِ ^(١)
فإن استحسن إساءة الواشي ممكن ، لكن لما خالف الناس فيه عقبه بذكر
سببه ، وهو أن حذاره من الواشي منعه من البكاء ، فلم إنسان عينيه من الفرق
في الدموع ، وما حصل ذلك فهو حسن .

وأما الرابع ^(٢) فكعني بيت فارسي ترجمته :
لَوْ لَمْ تَكُن نِيَّةُ الْجُزَاءِ خِدْمَتَهُ لَمَّا رَأَيْتَ عَلَيْهَا عِقْدَ مُنْتَطَقٍ ^(٣)
فإن نية الجوزاء خدمته ممتعة ^(٤) .

ما يلحق بحسن التعليل : وما يلحق بالتعليل وليس به لبناء الأمر فيه على
الشك ^(٥) نحو قول أبي تمام :

رُبِّي شَفَعْتُ رِيحَ الصَّبَا لِيَا ضِهَا
إِلَى الْمَزْنِ حَتَّى جَادَهَا وَهِيَ هَامِعٌ ^(٦)

(١) الواشي الساعي بالفساد ، والحذار مصدر — حاذَرَ — مضاف إلى مفعوله ،
وقوله — إنساني — يعني به إنسان عينه وهو ما يرى في سوادها أو هو سوادها .
(٢) هو حسن التعليل في الوصف غير الثابت الذي أريد إثباته وهو غير ممكن .
(٣) هو لعبد القاهر الجرجاني ترجم به أصله الفارسي ، والجوزاء برج فلسكي
حوله نجوم تسمى نطاق الجوزاء ، والمنطق ذو النطاق وهو ما يشد في الوسط وقد
يكون مرصعا بالجواهر كالعقد .

(٤) لكنه ادعى ثبوتها بتلك العلة ، وعلى هذا لا تكون — لو — في البيت
لامتناع الجواب لا امتناع الشرط ، بل للاستدلال بانتفاء الجزاء على انتفاء الشرط ،
لأن حملها على الأول يجعل نية خدمته علة لا تنطاق الجوزاء ، فيكون من الضرب
الأول لا من هذا الضرب .

(٥) أما حسن التعليل ففيه ادعاء وإصرار .

(٦) الربي جمع ربوة وهي التل المرتفع من الأرض ، والصباريح تهب من الشرق ،
والمزن واحدة مزنة وهي السحاب الأبيض ، وقوله — جادها — بمعنى أمطرها ،
والها مع السائل بكثرة .

كَانَ السَّحَابَ الْغُرَّ غَيَّبَ تَحْتَهَا حَبِيبًا فَمَا تَرَقَّا لَهْنًا مَدَامُغٌ^(١)
وقول أبي الطيب :

رَحَلَ الْعَزَاءُ بِرِحْلَتِي فَسَكَانَتِي أَتَبِعَتْهُ الْأَنْفَاسُ لِلتَّشْيِيعِ^(٢)

علة تصعيد الأنفاس في العادة هي التحسر والتأسف لا ما جَوَّزَ أن يكون إياه .
والعنى — رحل عنى العزاء بارتحال عنيك أى معه أو بسببه^(٣) فكأنه لما كان الصدر
محل الصبر وكانت الأنفاس تتصعد منه أيضا صار العزاء والنفس الصعداء كأنهما
نزيلان ، فلما رحل ذلك كان حقا على هذا أن يشيعه قضاء لحق الصعبة .

التفريع : ومنه التفريع ، وهو أن يُنَبِّتَ لِمُتَعَلِّقٍ أمر حكم بعد إثباته
لِمُتَعَلِّقٍ لَهُ آخَرُ^(٤) كقول السكيت :

أَحْلَامُكُمْ لِسَقَامِ الْجَهْلِ شَافِيَةٌ كَمَا دِمَاؤُكُمْ تَشْفِي مِنَ السَّكَبِ^(٥)
فَرَّعَ مِنْ وَصْفِهِمْ بِشَفَاءِ أَحْلَامِهِمْ لِسَقَامِ الْجَهْلِ وَصَفَهُمْ بِشَفَاءِ دِمَائِهِمْ مِنْ دَاءِ السَّكَبِ .

(١) الغر جمع غراء وهى السحاب الماطرة الغزيرة للماء ، والضمير فى — تحتها —
للربى ، وقوله — ترقا — مخفف ترقا بمعنى تسكن ، والشاهد فى تعليل إِمطار السحاب
بما ذكره مبنيا على الشك المستفاد من — كان — لأنها هنا للشك .

(٢) العزاء الصبر ، والتشييع الوديع . وقوله :
سألت أحذر من وداعك جاهدا حتى اغتدى أسفى على التوديع

(٣) فالباء فى قوله — برحلتى — للمصاحبة أو للسببية .

(٤) المراد بالتعلق النسبة والارتباط ، ولا بد أن يكون ذلك على وجه يشعر
بالتفريع ، ليخرج نحو — غلام زيد راكب وأبوه راكب .

(٥) هو للسكيت بن زيد الأسدى من قصيدة له فى مدح بنى هاشم ، والأحلام
العقول ، والسكب شبه جنون يحدث للشخص من عض السكب المصاب به ، ولم
يكن له دواء فى زعمهم أشفى من شرب دماء الملوك ، فهو كناية عن أنهم ملوك كما
أنهم علماء .

تأكيد المدح بما يشبه الذم: ومنه تأكيد المدح بما يشبه الذم، وهو ضربان: أفضلهما أن يُستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيها، كقول النابغة الذبياني .

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سَيُوفَهُمْ يَهَنَ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ^(١)

أى إن كان فلول السيف من قراع الكتائب من قبيل العيب، فأثبت شيئا من العيب على تقدير أن فلول السيف منه وذلك محال، فهو فى المعنى تعليق بالحال، كقولهم — حتى يَبْيِضَ الْقَار — فالتأكيد فيه^(٢) من وجهين: أحدهما أنه كدعوى الشيء بدينية^(٣) والثانى أن الأصل فى الاستثناء أن يكون متصلا^(٤) فإذا نطق المتكلم بإلا أو نحوها توهم السامع قبل أن ينطق بما بعدها أن ما يأتى بعدها مُخَرَّجٌ مما قبلها، فيكون شيء من صفة الذم ثابتا وهذا ذم، فإذا أتت بعدها صفة مدح تأكد المدح، لكونه مدحا على مدح، وإن كان فيه نوع من الخلابة^(٥). والثانى^(٦) أن يثبت لشيء صفة مدح ويُعَقَّبَ بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى له، كقول النبي صلى الله عليه وسلم «أنا أفصح العرب بيده أنى من قريش»

(١) هو لزياد بن معاوية المعروف بالنابغة الذبياني، والفلول جمع فل وهى الثلمة فى حد السيف، والقراع المضاربة، والكتائب جمع كتيبة وهى القطعة من الجيش.
(٢) أى فى هذا الضرب مطلقا.

(٣) لأنه علق نقيض الدعوى وهو إثبات شيء من العيب بالحال، والمعلق بالحال محال، فيكون عدم العيب محققا.

(٤) يعنى أن أصل الاستثناء مطلقا ذلك لا فى هذا الباب لأنه فيه منقطع فى كل من ضريبه.

(٥) أى خداع الكلام.

(٦) أى الضرب الثانى من تأكيد المدح بما يشبه الذم.

وأصل الاستثناء في هذا الضرب أيضا أن يكون منقطعاً ، لكنه باق على حاله لم يُقدَّر متصلاً^(١) فلا يفيد التأكيد إلا من الوجه الثاني من الوجهين المذكورين^(٢) ولهذا قلنا : الأول أفضل . ومنه قول النابغة الجعدي :

فَتِي كَلَّمْتُ أَخْلَاقَهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَمَا يَبْقَى مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا^(٣)

وأما قوله^(٤) تعالى (لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغَوًّا وَلَا نَأْتِيًا ، إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا) فيحتمل الوجهين^(٥) وأما قوله^(٦) تعالى (لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغَوًّا إِلَّا سَلَامًا) فيحتملها^(٧) ويحتمل وجهاً ثالثاً وهو أن يكون الاستثناء من أصله متصلاً^(٨) لأن معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ، وأهل الجنة عن الدعاء بالسلامة أغنياء ، فكان ظاهره من قبيل اللغو وفضول الكلام ، لولا ما فيه من فائدة الإكرام .

ومن تأكيد المدح بما يشبه الذم ضرب ثالث ، وهو أن يأتي الاستثناء فيه

(١) أى كما قدر في الضرب الأول ، لأن الاستثناء فيه منقطع ولكنه بقدر متصلاً ، وإنما لم يقدر هنا متصلاً لأنه ليس فيه صفة ذم عامة منفية يمكن تقدير دخول صفة المدح فيها .

(٢) بخلاف الوجه الأول لأنه مبني على التعليق بالمحال المبني على تقدير الاستثناء متصلاً

(٣) نسب في — الصناعتين — لجندل بن جابر الفزاري ، ونسب في الحماسة لحسان بن قيس المعروف بالنابغة الجعدي ، وروى فيه — كملت خيراته .

(٤) ي ٢٥ ، ٢٦ — س — ٥٦ . (٥) لأنه من الضرب الأول لا الثاني .

(٦) ي ٦٢ — س — ١٩ . (٧) لأنه من الضرب الأول أيضا .

(٨) إنما لم تحتمل الآية السابقة هذا الوجه لأنه زيد على المستثنى منه فيها قوله (ولا تأتيا) فلا يمكن أن يدخل فيه (إلا قِيلاً سَلَاماً سَلَاماً) وعلى هذا الوجه لا تكون الآية الثانية من تأكيد المدح بما يشبه الذم ، لأن الاستثناء فيه يجب أن يكون منقطعاً ، وقيل : إن هذا الوجه غير محتمل فيها لا ظاهراً ولا حقيقة ، لأن السلام في الجنة إذا كان لفائدة الإكرام لا يكون لغواً .

مُفَرَّغًا^(١) كقوله^(٢) تعالى (وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا مَا جَاءَنَا) أي وما تعيب منا إلا أصل المناقب والمفاخر كلها وهو الإيمان بآيات الله ، ونحوه قوله^(٣) (قُلْ يَا هَلْ السَّكِّتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا) فإن الاستفهام فيه للإِنكار .

واعلم أن الاستدراك في هذا الباب يجري مجرى الاستثناء ، كما في قول أبي الفضل بديع الزمان الهمداني :

هو البدر إلا أنه البحر زاخراً سوى أنه الضُرْغامُ لـكنه الوبل^(٤)

تأكيد الـذم بما يشبه المدح : ومنه تأكيد الـذم بما يشبه المدح ، وهو ضربان : أحدهما أن يُسْتثنَى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذم بتقدير دخولها فيها ، كقولك — فلان لا خير فيه إلا أنه يسىء إلى من يحسن إليه^(٥) .

(١) بأن يؤتى بمستثنى فيه معنى المدح معمول لفعل فيه معنى الـذم ، فيتفرغ للعمل فيه ويكون الاستثناء مفرغاً ، ولا يرجع هذا إلى الضرب الأول لأن الاستثناء هنا متصل لا منقطع .

(٢) ي — ١٢٦ — س — ٧ .

(٣) ي — ٥٩ — س — ٥ .

(٤) هو لأبي الفضل أحمد بن الحسين المعروف بديع الزمان الهمداني يمدح خلف بن أحمد ، والزاخر المرتفع من تلاطم الأمواج ، والضُرغام الأسد ، والوبل المطر الشديد ، ووجه الشبه في الأول الرفعة وفي الثاني الكرم وفي الثالث الشجاعة وفي الرابع الكرم أيضاً لكنه أنتم من الأول ، والشاهد في قوله — لكنه الوبل . (٥) من ذلك قول الشاعر :

فإن من لآمني لاخير فيه سوى وصني له بأخس الناس كلهم

وثانيهما أن يُثَبَّتَ للشيء صفة ذمٍّ ويُعَقَّبَ بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى
له ، كقولك فلان فاسق إلا أنه جاهل ^(١) .
وتحقيق القول فيهما على قياس ما تقدم ^(٢) .

الاستتباع : ومنه الاستتباع ، وهو المدح بشيء على وجه يستتبع المدح بشيء آخر ^(٣) كقول أبي الطيب :

نَهَبْتُ مِنَ الْأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ كُفِّتِ الدُّنْيَا بِأَنْكَ خَالِدٍ ^(٤)
فإنه مدحه ببلوغه النهاية في الشجاعة إذ كثر قتلاه بحيث لو ورث أعمارهم
تخلَّد في الدنيا على وجه استتبع مدحه بكونه سببا لصلاح الدنيا ونظامها ، حيث جعل
الدنيا مَهْنَةً بخلوده ، قال علي بن عيسى الرُّبَعِي : وفيه وجهان آخران من المدح :
أحدهما أنه نهب الأعمار دون الأموال ^(٥) الثاني أنه لم يكن ظالما في قتل أحد من
مقتوليه ، لأنه لم يقصد بذلك إلا صلاح الدنيا وأهلها فمم مسرورون ببقائه .

(١) من ذلك قول الشاعر :

يا حبيب الإله جُدْ لِي بِقُرْبٍ مِنْكَ يَا صَفْوَةَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ
يا رسولا أعداؤه أراذل الناس جميعا لسكنهم في الجحيم

(٢) في تأكيد المدح بما يشبه الذم .

(٣) على هذا يكون أخص من الإدماج الآتي ، وقيل : هو الوصف بشيء على
وجه يستتبع وصفاً آخر ، فلا يختص بالمدح ويكون مساوياً للإدماج ، وإذا كان
هذا شأنه مع الإدماج فلا بد أن يشترط فيه شرطاه الآتيان أيضا ، سواء كان أخص
منه أم كان مساوياً له .

(٤) هو من قصيدة في مدح سيف الدولة .

(٥) لتخصيصه الأعمار بالذكر دون الأموال مع أن النهب بهما أليق ، والبلغاء

يعتبرون مفهوم اللقب في مثل هذا من المحاورات والخطايبات .

الإدماج : ومنه الإدماج ، وهو أن يُضمَّن كلامٌ سيقَ لمعنى آخر^(١) فهو أعم من الاستتباع^(٢) .

ومثاله قول أبي الطيب :

أَقْلَبُ فِيهِ أَجْفَانِي كَأَنِّي أَعْدُّ بِهَا عَلَى الدَّهْرِ الذُّنُوبَا^(٣)

فإنه ضمن وصف الليل بالطول الشكائية من الدهر .

وقول ابن المعتز في الخيري :

قَدْ نَفَضَ الْعَاشِقُونَ مَا صَنَعَ الْهَجْرُ بِأَلْوَانِهِمْ عَلَى وَرْقِهِ^(٤)

فإن الغرض وصف الخيري بالصفرة فأدمج الغزل في الوصف ، وفيه وجه آخر من الحسن وهو إيهام الجمع بين متنافيين : أعنى الإيجاز والإطناب ، أما الإيجاز فمن جهة الإدماج ، وأما الإطناب فلأن أصل المعنى أنه أصفر فاللفظ زائد عليه لفائدة^(٥) .

(١) المراد به ما يشمل المعنى الواحد والاثنين والأكثر من ذلك ، ويقال لهذا المعنى مُضمَّنٌ ، وبشروط فيه شرطان : ألا يكون مصرحاً به ، وألا يكون في الكلام ما يشعر بأنه مسوق لأجله ، وسيأتى محترز هذا في بعض الشواهد الآتية .

(٢) لأنه يشمل المدح وغيره ، وقيل : إن الاستتباع مساو له كما سبق .

(٣) الضمير في — فيه — يعود على الليل في قوله قبله :

أَعَزَّمِي طَالَ هَذَا اللَّيْلُ فَانْظُرْ أَمْنِكَ الصَّبْحُ يَفْرُقُ أَنْ يَوُوبَا

وقوله — أقلب فيه أجفاني — كناية عن طوله ، وقوله — كأنني أعد بها على الدهر الذنوبا — كناية عن الشكائية منه ، وبهذا تكون هذه الشكائية غير مصرح بها في البيت ، كما أنه ليس مسوقاً لأجلها .

(٤) هو لعبد الله بن المعتز ، وقوله — نفض — بمعنى أسقط ، ويعنى بما صنع الهجر بألوانهم صفرتها ، والضمير في — ورقه — للخيري وهو ورد أصفر ، وقيل : إن البيت لعلي بن محمد التغلبي .

(٥) هي الإدماج .

ومنه قول ابن نباتة :

وَلَا بُدَّ لِي مِنْ جَهْلَةٍ فِي وَصَالِهِ فَمَنْ لِي بِخَلِّ أَوْدَعُ الْحِلْمَ عِنْدَهُ ^(١)
فإنه ضمن الغزل الفخر بكونه حليماً المسكني عنه بالاستفهام عن وجود خل
صالح لأن يودعه حلمه ، وضمن الفخر بذلك بإخراج الاستفهام مخرج الإنكار شكوى
الزمان لتغير الإخوان حتى لم يبق فيهم من يصلح لهذا الشأن ، ونَبَّهَ بذلك على أنه
لم يعزم على مفارقة حلمه جملة أبداً ، ولكن إذا كان مريداً لوصل هذا المحبوب
المستلزم للجهل المنافي للحلم عزم على أنه إن وجد من يصلح لأن يودعه حلمه أودعه
إياه ، فإن الودائع تستعاد .

قيل : ومنه قول الآخر يهني بعض الوزراء لما استوزر :

أَبَى دَهْرُنَا إِسْعَافُنَا فِي نَفُوسِنَا وَأَسْعَفُنَا فِيمَنْ نَحِبُّ وَنُكْرِمُ
فَقَاتَ لَهُ : نَعْمَاكَ فِيهِمْ أَتَمَّهَا وَدَعَّ أَمْرُنَا إِنْ الْمُسْهِمُ الْمُتَقَدِّمُ ^(٢)
فإنه أدمج شكوى الزمان وما هو عليه من اختلال الأحوال في التهنئة ، وفيه
نظر ، لأن شكوى الزمان مُصْرَّحٌ بها في صدره فكيف تكون مُدْجِجَةً ، ولو عكس
فجعل التهنئة مدججة في الشكوى أصاب ^(٣) .

(١) هو لأبي نصر عبد العزيز بن عمر المعروف بابن نباتة السعدي ، والخل الصديق ،
والحلم الصبر والأناة ضد الطيش والجهل والسفه .

(٢) هما لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، وكان قد اختل حاله ، فكتب بهما
إلى عبيد الله بن سليمان بن وهب لما استوزره المعتضد ، فقطن لمراده ووصله واستعمله ،
وقيل : إن هذا كان مع أبيه سليمان بن وهب ، والإسعاف المساعدة ، وقوله — دع
— بمعنى أترك .

(٣) لا ينافي هذا أن التهنئة هي المقصودة بالذات ، لأن القصد الذاتي لا ينافي
إفادة المقصود بطريق الإدماج بأن يؤتى به بعد التصريح بغيره ، وفي البيتين أيضاً
إدماج المدح في الشكوى لأنه جعله مستحقاً لالتفات الدهر له وتقديمه على غيره .

التوجيه : ومنه التوجيه ، وهو إيراد الكلام محتملا لوجهين مختلفين^(١)
كقول من قال لأعور بسمى عمرا :

خاط لي عمرو قباء ليت عينيه سواه^(٢)

وعليه قوله^(٣) تعالى (وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا) قال الزمخشري : غير مسمع حال من المخاطب ، أى اسمع وأنت غير مسمع ، وهو قول ذو وجهين :
يحتمل الظم ، أى اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت ، لأنه لو أجيبت دعوتهم عليه لم يسمع فكان أصم غير مُسْمَعٍ ، قالوا ذلك اتكالا على أن قولهم — لاسمعت — دعوة مستجابة ، أو اسمع غير محاب ما تدعو إليه ، ومعناه غير مُسْمَعٍ جوابا يوافقك فكانك لم تسمع شيئا ، أو اسمع غير مُسْمَعٍ كلاما ترضاه ، فسمعك عنه ناب ،

(١) أى متضادين كالمدح والذم ، فلا يكون منه ما يحتمل غير ذلك كاحتمال العين للجارية والجالوس لجواز اجتماعهما ، كقولك — رأيت عينا — ولا بد فيه أيضا من احتمال اثنين على السواء ، لأنه اذا كان أحدهما متبادرا يكون تورية لا توجيهًا.

(٢) هو لبشار بن برد من مجزوء الرمل ، وكان قد دفع الى ذلك الرجل ثوبا ليخيطه له فقال : لأخيطنه بحيث لا يعلم أقباء هو أم غيره ؟ فقال له بشار : لئن فعلت ذلك لأقولن فيك شعرا لا يدرى أهجاء أم غيره ؟ ولهذا قال بعد ذلك البيت :

فأسأل الناس جميعا أمديح أم هجاء

والقباء ثوب يلبس فوق الثياب ، والشاهد في أنه يحتمل أن يكون دعاء بصحة العوراء فيكون مدحا ، أو بتعوير الصحيحة فيكون هجاء

ومن التوجيه قول محمد بن حازم في زواج المأمون ببوران :

بارك الله للحسن وللبوران في الختن

يا ابن هارون قد ظفرت ولكن بدنت من

فقال المأمون : والله ما ندرى خيرا أراد أم شرا ؟

ويجوز على هذا^(١) أن يكون (غير مسمع) مفعول (اسمع) أى اسمع كلاما غير مسمع إياك لأن أذنك لا تعيه نُبُوًا عنه .

ويحتمل المدح، أى اسمع غير مسمع مكروها، من قولك — أسمع فلان فلانا — إذا سبه .

وكذلك قوله (رَاعِنًا) يحتمل راعنا نكلمك أى ارقبنا وانتظرنا، ويحتمل شبه كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يَدَسَّيُون بها وهى — راعينا^(٢) فكانوا سخرية بالدين وهزوا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والإهانة ويظهرون به النوقير والاحترام^(٣) .

ثم قال : فإن قلت : كيف جاؤا بالقول المحتمل ذى الوجهين بعد ما صرحوا وقالوا سمعنا وعصينا ؟ قلت : جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء ، ويجوز أن يقولوه فيما بينهم ، ويجوز ألا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كأنهم نطقوا به .

قال السكاكي^(٤) . ومنه متشابهات القرآن باعتبار^(٥) .

(١) أى على التأويل الأخير .

(٢) الحق أنها عربية وهى فعل أمر من المراعاة ، وهى تقتضى المشاركة ، أى اراعنا نزعك ، وهذا فيه سوء أدب .

(٣) لأنهم كانوا يلون بها لسانهم حتى تشبه في الظاهر — راعنا — العربية .

(٤) ٢٢٦ — المفتاح .

(٥) لعله يريد بذلك تجويز حملها على ظاهرها على وجه لائق بالله تعالى ، وتأويلها بحملها على ما سبق فى التورية ، فتكون محتملة للوجهين على السواء ، ولا تكون من التورية كما سبق بل من التوجيه ، وإنما قال — باعتبار — لأنه من المعتزلة الذين لا يرون حملها على ظاهرها ، وقيل : إنه يريد بذلك أنها من التوجيه بناء على عدم اشتراط استواء الاحتمالين فيه ، وعلى هذا يكون أعم من التورية .

الهزل الذي يراد به الجلد : ومنه الهزل الذي يراد به الجِدُّ ، فترجمته تغنى
عن تفسيره^(١) ومثاله قول الشاعر :

إذا ما تَمَيَّيْتُ أَتَاكَ مُفَاخِرًا فَقُلْ عَدَّ عَنْ ذَا كَيْفٍ أَكُلُكَ لِلضَّبِّ^(٢)

ومنه قول امرئ القيس :

وقد علمت سَلَمَى وَإِنْ كَانَ بَعْلُهَا بَانَ الْفَتَى يَهْذَى وَلَيْسَ بِفَعَالٍ^(٣)

تجاهل العارف : ومنه تجاهل العارف ، وهو كما سماه السكاكي^(٤) سَوَقُ
المعلوم مَسَاقٍ غَيْرِهِ لِنِسْكَتِهِ^(٥) كالتوبيخ في قول الخارجية .

(١) هو أن يذكر الشيء على سبيل اللعب والمباينة ويقصد به أمر صحيح في
الحقيقة ، والفرق بينه وبين التهمك أن التهمك بعكسه ظاهره جد وباطنه هزل ، كما في
قوله تعالى — ي ٤٩ س ٤٤ — (ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ) .

(٢) هو للحسن بن هانيء المعروف بأبي نواس ، وقوله — عد عن ذا — بمعنى
تجاوز عن هذا الافتخار ، والضب حيوان صغير على هيئة فرخ التمساح ذَنْبُهُ كثير
العُقَد ، والشاهد في أن هذا القول للتميمي عند افتخاره هزل ظاهر ، ولكنه يراد به
الجلد وهو ذمه بأكل الضب ، لأن أشراف الناس يَعَافُونَ أَكْلَهُ .

(٣) قوله — وإن كان بعلمها — جملة معترضة بين — علمت — ومفعولها ،
والبعل الزوج ، وقوله — يهذى — بمعنى يقول كلاما غير معقول ، وهو زعمه أنه
يقتله كما قال قبل هذا البيت :

أَيَقْتَلُنِي وَالْمَشْرِفُ مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةُ زَرْقٍ كَأَنْيَابِ أَغْوَالٍ
والشاهد في قوله — أن الفتى يهذى وليس بفعال — لأن ظاهره هزل ولكنه
يراد به الجلد وهو هجو بعلمها .

(٤) ٢٢٦ ، ٢٢٧ — المفتاح ، وإنما عدل عن تسميته — تجاهل العارف —
لوروده في كلام الله تعالى ، كقوله — ي ١٧ س ٢٠ — (وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَا مُوسَى) .
(٥) فلو عبر عن المعلوم بعبارة المجهول لا لنكتة لم يكن من تجاهل العارف ،
كقولك — أقام زيد أم لم يقم — وأنت تعلم أنه قام ، فالنكتة فيه شرط لصحته
وليست حالا يقتضى وجوبه في البلاغة كنكتة علم المعاني .

أَيُّ شَجَرِ الْخَابُورِ مَالَكِ مُورِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ^(١)
والمبالغة في المدح في قول البحترى :
الْمُعْ بَرَقَ سَرَى أَمْ ضَوْءُ مُصْبَاحٍ أَمْ ابْتِسَامُهَا بِالْمَنْظَرِ الضَّاحِي^(٢)
أو في الذم في قول زهير :
وَمَا أَذْرَى وَسَوْفَ إِخَالُ أَدْرَى أَقَوْمُ آلِ حِصْنِ أُمِ نِسَاءِ^(٣)
وَالْتَدَلُّهُ فِي الْحُبِّ فِي قَوْلِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْغَزِيِّ^(٤) .

(١) هو لليلي بنت طريف في رثاء أخيها الوليد وكان من الخوارج ، والمورق ما كان ذا ورق ناضر غير ذابل ، والخابور نهر بديار بكر ، والشاهد في قولها - كأنك لم تجزع الخ - لأنها تعلم أنه لا يجزع ولكنها تجاهلت ذلك وشكت فيه ووبخته عليه ، وإذا كان مثله يوضح على عدم جزعه فغيره ممن شأنه الجزع أجدر به ، وقد خرج الوليد في عهد هارون الرشيد ، فأرسل إليه يزيد بن مزيد الشيباني فقتله ، وقد ذكر الدسوقي أن قاتله يزيد بن معاوية ، وهو خطأ ظاهر .

(٢) قوله - سرى - بمعنى ظهر ليلاً ، والمراد بالمنظر الوجه أو الفم ، والضحى الظاهر ، والشاهد في أنه يعلم أن الذي ظهر ابتسامتها ، ولكنه تجاهل ذلك للمبالغة في مدحها ، وإفادة أنها بلغت في الحسن مبلغاً يحصل معه ذلك اللبس .

(٣) هو زهير بن أبي سلمى ، وقوله - وسوف إخال أدري - جملة معترضة بين - أدري - الأولى ومعمولها ، وقوله - إخال - بمعنى أظن معترض بين سوف وأدري ، والقوم يطلق على الرجال خاصة وعلى ما يعم الرجال والنساء والمراد هنا الأول ، والشاهد في أنه يعلم أنهم رجال ، ولكنه تجاهل ذلك للمبالغة في ذمهم وإفادة أنهم بلغوا في الضعف مبلغاً يحصل معه ذلك اللبس .

(٤) في بعض النسخ الغربي ، ورجحت بأن الغزى اسمه إبراهيم بن عثمان ، ولكن صاحب - الخزانة - نسبته للحسين بن عبد الرحمن العربي ، ونسبه السخاوى لعلى بن محمد العربي ، وقيل : إنه للعرجى ، وقيل : إنه لذي الرُّمَّة .

يَا اللَّهُ يَا ظَبِيَّاتِ الْقَاعِ قُلْنَ لَنَا لَيْلَايَ مِنْكُنْ أَمْ لَيْلَى مِنَ الْبَشَرِ^(١)
وقول ذى الرمة :

أَيَا ظَبِيَّةَ الْوَعَسَاءِ بَيْنَ جُلَاجِلِ وَبَيْنَ النَّقَا أَأَنْتِ أَمْ أُمُّ سَالِمٍ^(٢)
والفحوة في قوله تعالى^(٣) في حق النبي صلى الله عليه وسلم حكاية عن السكفار
(هَلْ نَدَّشَكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُتَبَّنَّكُمْ إِذَا مُزَّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ
جَدِيدٍ) كأن لم يكونوا يعرفون منه إلا أنه رَجُلٌ مَا .

والتعريض^(٤) في قوله^(٥) تعالى (وَإِنَّا أَوْ إِبَاءُكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)
وفي محجى هذا اللفظ على الإيهام فائدة أخرى ، وهى أنه يبعث المشركين على الفسك
في حال أنفسهم وحال النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، وإذا فكروا فيما هم عليه
من إغارات بعضهم على بعض وسبى ذرائعهم واستباحة أموالهم وقطع الأرحام
وإتيان الفروج الحرام وقتل النفوس التى حرم الله قتلها وشرب الخمر التى تذهب
العقول وتحسن ارتكاب الفواحش ، وفكروا فيما النبي عليه السلام والمؤمنون عليه
من صلة الأرحام واجتناب الآثام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإطعام

(١) القاع المستوى من الأرض ، والشاهد فى أنه يعلم أنها من البشر ، ولكنه
تجاهل ذلك إظهاراً للتدله فى حبها .

(٢) هو لغيرلان بن عقبة المعروف بذى الرمة ، والوعساء الراية اللينة من الرمل
تثبت أحرار البقول ، وجلجل والنقا موضعان ، والشاهد فى قوله — أَأَنْتِ أَمْ أُمُّ
سَالِمٍ — والتقدير أَأَنْتِ المرثية أَمْ أُمُّ سَالِمٍ ، على نحو ما سبق فى البيت قبله .

(٣) ي — ٧ — س — ٣٤ .

(٤) هو إمالة الكلام إلى عَرْض يدل على المقصود كما سبق فى الكلام على
الكناية فى الجزء الثالث .

(٥) ي — ٢٤ — س — ٣٤ .

المساكين وبرِّ الوالدين والمواظبة على عبادة الله تعالى — علموا^(١) أن النبي عليه السلام والمسلمين على هدى وأنهم على الضلالة ، فبعثهم ذلك على الإسلام ، وهذه فائدة عظيمة .

القول بالموجب : ومنه القول بالموجب^(٢) وهو ضربان :

أحدهما أن تقع صفة في كلام الغير كناية عن شيء^(٣) أثبت له حكم فثبتت في كلامك تلك الصفة لغير ذلك الشيء من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم له أو انتفائه عنه ، كقوله^(٤) تعالى (يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) فإنهم كنوا بالأعز عن فريقهم^(٥) وبالأذل عن فريق المؤمنين ، وأثبتوا للأعز الإخراج ، فأثبت الله تعالى في الرد عليهم صفة العزة لله ولرسوله وللمؤمنين من غير تعرض لثبوت حكم الإخراج للموصوفين بصفة العزة ولا لنفيه عنهم . والثاني حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه^(٦) كقوله :

(١) جواب — إذا .

(٢) بكسر الجيم إن أريد به الصفة الموجبة للحكم ، وبفتحها إن أريد به الحكم الذي أوجبه .

(٣) أى عبارة عنه فليس المراد بها الكناية الاصطلاحية ، وقيل : إن المراد بها الكناية الاصطلاحية السابقة في علم البيان ، والحق أنها لا تلزم في القول بالموجب .

(٤) ي — ٨ — س — ٦٣ .

(٥) إذا كان هذا كناية اصطلاحية يكون من الكناية عن الموصوف .

(٦) هذا الضرب هو الذى يسمى الأسلوب الحكيم ، وقد سبق الكلام عليه في علم المعانى فى آخرياب المسند إليه ، والمراد بالمتعلق ما يناسب المعنى الذى يحمل اللفظ عليه وإن لم يكن متعلقا اصطلاحيا كالمفعول والجار والجرور ، فيدخل فيه نحو قول الشاعر :

لقد بهتوا لما رأوني شاحبا فقالوا: به عين ، فقلت : وعارض

أرادوا بالعين إصابة العائن ، فحمله على إصابة عين المعشوق بذكر مناسبتها وهو العارض ، لأنه السنن التى فى عرض الفم .

قُلْتُ: ثَقُلْتُ إِذْ أَتَيْتُ مِرَاراً قَالَ: ثَقُلْتُ كَاهِلِي بِالْأَيْدِي
قُلْتُ: طَوَّلْتُ، قَالَ: لَا بَلْ تَطَوَّلْتُ: وَأَبْرَمْتُ، قَالَ: حَبْلٌ وَدَادِي^(١)
والاستشهاد بقوله — ثَقُلْتُ وَأَبْرَمْتُ — دون قوله — طَوَّلْتُ^(٢)
ومنه قول القاضي الأَرْجَانِيُّ:

غَالَطَنِي إِذْ كَسْتُ جِسْمِي الضَّنِّي كَسَوَةً عَرَّتْ مِنَ اللَّحْمِ الْعِظَامَا
ثُمَّ قَالَتْ: أَنْتَ عِنْدِي فِي الْهَوَى مِثْلُ عَيْنِي، صَدَقْتَ لَكِنْ سَقَاماً^(٣)
وكذا قول ابن دُوَيْدَةَ الْمَغْرَبِيِّ مِنْ أَيْيَاتِ يَخَاطِبُ بِهَا رَجُلًا أَوْدَعَ بَعْضُ الْقَضَاةِ
مَالًا فَادْعَى الْقَاضِي ضِيَاعَهُ:

إِنْ قَالَ: قَدْ ضَاعَتْ، فَيَصْدُقُ إِنَّهَا ضَاعَتْ وَلَكِنْ مِنْكَ يَعْني لَوْ تَعَي^(٤)

(١) هما للحسن بن أحمد المعروف بابن حجاج أو لمحمد بن إبراهيم الأسدي،
والكاهل ما بين الكتفين، والأيدى النعم، وقوله — طَوَّلْتُ — بمعنى تَفَضَّلْتُ،
وقوله — أَبْرَمْتُ — بمعنى أَسَأَمْتُ، والشاهد في أنه قال — ثَقُلْتُ — بمعنى حَمَلْتُكَ
المؤونة، فحمله على تثقيل كاهله بالنعم، ثم قال — أَبْرَمْتُ — بمعنى أَسَأَمْتُ فحمله
على إبرام حبل وداده أي عقد عهده.

(٢) فليس من القول بالموجب لأنه رد عليه بقوله — لَا — وأثبت شيئاً غيره
وهو التطول.

(٣) هما لأحمد بن محمد بن الحسين المعروف بالقاضي الأَرْجَانِيُّ، والضني الهزال،
وقوله — عَرَّتْ — بمعنى نَزَعَتْ، وفي العبارة قلب والأصل — عَرَّتْ اللَّحْمَ مِنَ
الْعِظَامِ، والهوى الحب، والشاهد في قوله — صَدَقْتَ لَكِنْ سَقَاماً — لأنه أثبت
أنه مثل عينها كما قالت، ولكن في ضعفها وفقرها، وهو صفة ممدوحة في العين.

(٤) قوله — يَعْني — بمعنى يَقْصِدُ، وقوله — وَلَكِنْ مِنْكَ — على تقدير — وَلَكِنْ
ضَاعَتْ مِنْكَ، وقوله — تَعَي — بمعنى تَفْهَمُ، والشاهد في قوله — ضَاعَتْ وَلَكِنْ
مِنْكَ — لأن القاضي يقصد أنها ضاعت منه، فأثبت أنها ضاعت من صاحبها لا منه.
وفي رواية — فَصَدُقَ — فعل أمر وهو الأنسب بالفاء، لأنه يقرن بها في جواب الشرط.

أو قال : قد وقعت ، فيصدق إنها وقعت ولكن منه أحسن موقع^(١) وقرب من هذا قول الآخر :

وَإِخْوَانٌ حَسِبْتُهُمْ دُرُوعًا فَكَانُوا وَلَكِنْ لِلْأَعَادِي
وَخِلْتُهُمْ سِهَامًا صَائِبَاتٍ فَكَانُوا وَلَكِنْ فِي فُؤَادِي
وَقَالُوا: قَدْ صَفَتْ مِنَّا قُلُوبٌ لَقَدْ صَدَقُوا وَلَكِنْ مِنْ وَدَادِي^(٢)
والمراد البيتان الأولان^(٣) ولك أن تجعل نحوها ضرباً ثالثاً^(٤) .

الاطراد : ومنه الاطراد^(٥) وهو أن يأتي بأسماء الممدوح أو غيره وآبائه^(٦) على ترتيب الولادة من غير تكرّف في السبك ، حتى تكون الأسماء في تحدّرها كلاماً الجارى في اطراده وسهولة انسجامه ، كقول الشاعر :

(١) الشاهد في قوله — ولكن منه أحسن موقع — وتقديره — ولكن وقعت منه أحسن موقع بأخذه لها ، وهو يقصد في الأول أنها وقعت أى سقطت منه .

(٢) هى لعل بن فضالة القيروانى ، أو لعل بن العباس المعروف بابن الرومى ، والدروع جمع درع وهو قميص من زرد الحديد يلبس في الحرب ، وقوله — خلّتهم — بمعنى ظفنتهم ، وقوله — صفت — بمعنى خلت مما يكدر الصحبة .

(٣) أما الثالث فهو من القول بالموجب لا قريب منه .

(٤) أى من القول بالموجب غير الضربين السابقين ، وهذا لأنه لم يحمل فيه أمر وقع في كلام الغير على غير مراده ، وإنما ذكر فيه أمر ظن على وجه فإذا هو على خلافه .

(٥) قيل : إن الاطراد من المحسنات اللفظية ، لأن مرجعه إلى حسن السبك ، والحق أنه يرجع إلى حسن السبك في معنى مخصوص هو النسب ، وبهذا يكون من المحسن المعنوى .

(٦) أما ذكر الأمهات والجندات فقبيح عند البلغاء .

إِنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ ثَلَّثَ عُرُوشَهُمْ بَعْتَيْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ^(١)

وَقَوْلَ دُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ :

قَتَلْنَا بِعَبْدِ اللَّهِ خَيْرَ لِدَاتِهِ ذُوَابَ بْنِ أَسْمَاءَ بْنِ زَيْدِ بْنِ قَارِبٍ^(٢)

وَفِيهِ تَعَرَّضُ الْمَقْتُولُ بِهِ وَلَشَرَفِ الْمَقْتُولِ^(٣) قِيلَ : لَمَّا سَمِعَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ

قَالَ : لَوْلَا الْقَافِيَةُ لَبَلَغَ بِهِ آدَمُ^(٤) .

وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ

ابْنِ الْكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ » .

(١) هُوَ لُرُبَيْعَةُ بْنُ سَعْدٍ مِنْ بَنِي نَصْرِ بْنِ قَعْسٍ فِي رِثَاءِ ابْنِهِ ذُوَابٍ أَوْ لِدَاوُدَ

ابْنَ رَبِيعَةَ الْأَسَدِيِّ ، وَقَوْلُهُ — ثَلَّثَ — بِمَعْنَى هَدَمْتُ ، وَهُوَ كُنَايَةٌ عَنْ إِذْهَابِ عِزِّهِمْ وَبِحَدِّهِمْ ، وَتَتَابَعِ الْإِضَافَةِ مُغْتَفَرٍ فِي الْبَيْتِ لِسَلَامَتِهِ مِنَ الثَّقَلِ .

(٢) عَبْدُ اللَّهِ أَخُو دُرَيْدٍ ، وَلِدَاتُهُ أَتْرَابُهُ الَّذِينَ وَلِدُوا مَعَهُ جَمْعَ لِدَةٍ .

(٣) الْمَقْتُولُ بِهِ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ ، وَالْمَقْتُولُ هُوَ ذُوَابٌ ، وَتَعَرَّضَهُ لَشَرَفِهِ بِقَوْلِهِ

— خَيْرَ لِدَاتِهِ .

(٤) يَعْنِي أَنَّ الْبَيْتَ لَا بَدَأَ أَنْ يَنْتَهِيَ بِقَافِيَتِهِ ، وَلَوْلَا هَذَا لَوَصَلَ بِنَسْبِهِ إِلَى هَذَا

الْحَدِّ ، لِسَهُولَةِ سَبْكِهِ لَمَّا آتَى بِهِ مِنْهُ ، فَيَسْهَلُ عَلَيْهِ ذَلِكَ أَيْضًا

تمرينات على المحسنات المعنوية

تمرين ١ —

بين نوع المحسن المعنوي ووجه حسنه فيما يأتى :

- ١ (فلا كمدى يَفَنَى ولا فيك رِقَّةٌ ولا عنك إقصارٌ ولا فيك مطمَعٌ
- ٢ (تشابهَ دَمْعَانَا غداةَ افتراقنا مُشَابِهَةً فى قصةٍ دونَ قصةٍ فَوَجَّنتُهَا تكسو للدامعِ حُمرةً
- ٣ (فَنَى قَسَمَ الأَيامِ بين سَيُوفِهِ قَسَوَدَ يوماً بالعجاج وبالردى وبين طَرِيفَاتِ المكارمِ والقُلْدِ وَبَيَضَ يوماً بالفضائلِ والمُجْدِ وفى لله إن لم يُنصِفُوا حَكَمٌ عَدْلٌ
- ٤ (أباحتْ بنو مَرْوَانَ ظلمًا دماءنا إذا ماركبنا قال وَلَدَانُ بَيْتِنَا
- ٥ (يقولون : لم يورثْ، ولولا ثرائُهُ لَقَدْ شَرَكْتَ فِيهِ بِكَيْلٍ وَأَرْحَبَ صُدُورُهَا عَرِفَتْ مِنْهَا قَوَافِيهَا
- ٦ (خذُهَا إِذَا انْشَدْتَ فى القومِ مِنْ طَرَبٍ وَمَنْ لَا يَذُدُّ عَنْ حَوْضِهِ بِسَلاحِهِ يُهْدِمُ وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمُ
- ٧ (إنَّ البَخِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ وَالْجَوَادَ عَلَى عِلَاتِهِ هَرِمٌ يَكُنَّ الجَوَادَ عَلَى عِلَاتِهِ هَرِمٌ
- ٨ (وإذا ما بَدَا فَأَخْجَلْ بَدْرًا لَمَعَتْ كَأْسُهُ فَأَخْجَلْ شَمْسًا فَوَايِلُهُمْ طَلٌّ وَطَلُّكَ وَابِلٌ
- ٩ (إذا أمطرت منهم ومنك سحابةٌ لَوْحْشِيَّةٌ لَأَمَّا لَوْحْشِيَّةٌ شَفَفُ تَاهَ وَنَفْسُ المَرْءِ طَمَاحُهُ
- ١٠ (إذا أمطرت منهم ومنك سحابةٌ لَوْحْشِيَّةٌ لَأَمَّا لَوْحْشِيَّةٌ شَفَفُ تَاهَ وَنَفْسُ المَرْءِ طَمَاحُهُ
- ١١ (إذا أمطرت منهم ومنك سحابةٌ لَوْحْشِيَّةٌ لَأَمَّا لَوْحْشِيَّةٌ شَفَفُ تَاهَ وَنَفْسُ المَرْءِ طَمَاحُهُ
- ١٢ (إذا أمطرت منهم ومنك سحابةٌ لَوْحْشِيَّةٌ لَأَمَّا لَوْحْشِيَّةٌ شَفَفُ تَاهَ وَنَفْسُ المَرْءِ طَمَاحُهُ
- ١٣ (إذا أمطرت منهم ومنك سحابةٌ لَوْحْشِيَّةٌ لَأَمَّا لَوْحْشِيَّةٌ شَفَفُ تَاهَ وَنَفْسُ المَرْءِ طَمَاحُهُ
- ١٤ (إذا أمطرت منهم ومنك سحابةٌ لَوْحْشِيَّةٌ لَأَمَّا لَوْحْشِيَّةٌ شَفَفُ تَاهَ وَنَفْسُ المَرْءِ طَمَاحُهُ

- (١٥) وَلَحَظَهُ وَحَيَّاهُ وَقَامَتُهُ
(١٦) حَيَاتِي وَمَوْتِي فِي يَدَيْهِ وَجَنَّتِي
(١٧) أَرَأَى الْمَرْزُوقَ مَا تُعْطَى فَضْمًا عَلَى الْأَسَى
(١٨) أَتَوْنِي فَعَابُوا مِنْ أَحَبِّ جِهَالَةٍ
فَمَا فِيهِ عَيْبٌ غَيْرَ أَنْ جَفَوْنَهُ
(٢٠) إِلَى كَمْ تَرُدُّ الرُّسُلَ عَمَّا أَتَوْا بِهِ
(٢١) إِنْ أَكُنْ مُهْدِيًا لَكَ الشَّعْرَانِي
(٢٢) وَلِلَّهِ سِرٌّ فِي عِلَالِكَ وَإِنَّمَا
(٢٣) تَزْعُمُ يَاظِي مُسَاوَاتَهَا
إِنْ كَانَ مَا تَزْعُمُ عَارِضٌ لَنَا
(٢٤) أَتُرَاهَا لِكثْرَةِ الْعُشَاقِ
(٢٥) تُدْنِي عِطْفَهُ حَظَرَاتُ دَلَّ
يَمِيلُ مَعَ الْوُشَاةِ وَأَيُّ غُضَنِ
(٢٦) أَقِيسَ بْنَ مَسْعُودٍ بِنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ
(٢٧) مَا أَبْصَرْتَ عَيْنَكَ أَحْسَنَ مَنْظَرٍ
كَالشَّامَةِ الْخَضِرَاءِ فَوْقَ الْوَجْنَةِ الْخَضِرَاءِ تَحْتَ الْمُسْقَلَةِ السَّوْدَاءِ

تمرين — ٢

من أي أقسام الطباق ما يأتي :

- (١) يَجْزُونَ مَنْ ظَلَمَ أَهْلَ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً
(٢) ثَقُلَ إِذَا لَاقُوا خَفَافٌ إِذَا دُعُوا
(٣) لَهُمْ جُلٌّ مَالِي إِنْ تَتَابَعَ لِي غَنِي
(٤) وَقَدْ كَانَ يَدْعَى لِابْنِ الصَّبْرِ حَازِمًا
وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ الشَّرِّ إِحْسَانًا
كَثِيرٌ إِذَا شَدُّوا قَلِيلٌ إِذَا عُدُّوا
وَإِنْ قَلَّ مَالِي لَمْ أَكْلِفْهُمْ رِفْدًا
فَأَصْبَحَ يَدْعَى حَازِمًا حِينَ يَجْزَعُ

تمرين ٣ —

بين المحسن المعنوى ووجه حسنه فى قول الشاعر :

تَنَزَّهَ طَرْفِي فِي تَعَايِيرِكَ الْغَرِّ وَجَالَ بِهَا فِكْرِي مِنَ السَّطْرِ لِلْسَّطْرِ
فَمَا خَلَقْتُهَا إِلَّا حَدَائقَ بِهِجَةٍ مَكَلَّمَةَ الْأَرْجَاءِ بِالزَّهْرِ وَالزَّهْرِ
وَلَسَكُنْهَا — أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ — نُسخَةً مَزِينَةً الْأَرْقَامَ بِالذُّرِّ وَالتَّيْبِ
طَرِبْتُ بِهَا لَمَّا فَهَمْتُ نُقُوشَهَا كَمَا يَطْرَبُ الذَّشْوَانُ مِنْ لَذَّةِ الْخَمْرِ

تمرين ٤ —

بين المحسن المعنوى ووجه حسنه فى قول الشاعر :

قَاسُوكَ بِالْغُصْنِ فِي التَّنَشُّي قِيَاسَ جَهْلٍ بِبَلَا انْتِصَافٍ
فَذَلِكَ غُصْنٌ الْخِلَافِ يُدْعَى وَأَنْتَ غُصْنٌ بِبَلَا خِلَافٍ

تمرين ٥ —

من أى أقسام المبالغة ما يأتى :

- (١) كَأَنِّي هَلَالُ الشَّكِّ لَوْلَا تَأَوُّهُي خَفَيْتُ فَلَمْ تَهْدِ الْعُيُونُ لِرُؤْيَايَ
- (٢) مَنَعَتْ مَهَا بَتَّكَ الْقُلُوبَ كَلَامَهَا بِالْأَمْرِ تَكْرَهُهُ وَإِنْ لَمْ تَعْلَمْ
- (٣) كَأَنَّ غَلَامِي إِذَا عَلَا حَالَ مَقْنِهِ عَلَى ظَهْرِ طَائِرٍ فِي السَّمَاءِ مُحَلَّقٍ

تمرين ٦ —

بين المحسن المعنوى فى قول الشاعر :

يَا ذَا الَّذِي بَصُرُوفِ الدَّهْرِ عَدِيرَنَا هَلْ عَانِدَ الدَّهْرُ إِلَّا مِنْ لَهُ خَطَرُ
أَمَا تَرَى الْبَحْرَ تَطْفُو فَوْقَهُ جَيْفٌ وَتَسْتَقِرُّ بِأَقْصَى قَعْرِهِ الدَّرَرُ
وَفِي السَّمَاءِ نَجُومٌ لَا عِدَادَ لَهَا وَلَيْسَ يَكْشِفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

تمرین ٧ -

من أى أقسام حسن التعليل ما يأتى :

- (١) ما زُلْزِلْتُ مِصْرُ من كيد أَلَمَ بها لكنها رقصت من عدلكم طرباً
- (٢) عَلَّمْتَنِي بهجرها الصبر عنها فهي مشكورة على التقيح
- (٣) قد طيب الأفواه طيب ثنائه من أجل ذاك تجد الشغور عذاباً

تمرین ٨ -

(١) من أى ضربى القول بالموجب قول الشاعر :

- شكى رمداً فقلتُ : عساهُ كَلَّتْ لَوَاحِظُهُ من الفَتَكَاتِ فينا
- وقالوا : سيف مُقْلَتِهِ تصدَّى فقلتُ : نَعَمْ لِقَتْلِ العاشقينَا
- (٢) هل أحسن أبو نواس أو أساء بذكر أم الأمين في مدحه بقوله :
- أصبحتَ يابنَ زُبَيْدَةَ ابنةَ جعفرٍ أملاً لِعَقْدِ حباله استَحْكامُ

أقسام المحسن اللفظي : الجناس التام وأقسامه : وأما اللفظي فمِنْه الجناسُ

بين اللفظين ، وهو تشابهُهُمَا في اللفظ^(١) .

والتَّامُ منه أن يتفقا في أنواع الحروف^(٢) وأعدادها وهيئاتها^(٣) وترتيبها .

فإن كانا من نوع واحد كاسمين سَمَى ثَمَانِيًّا ، كقوله^(٤) تعالى (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ) وقول الشاعر :

حَدَقُ الْآجَالِ آجَالُ الْهَوَى لِلْمَرْءِ قَتَالُ^(٥)

الأول جمع إجْلٍ بالكسر وهو القطيع من بقر الوحش ، والثاني جمع أَجَلٍ والمراد به مُنْتَهَى الأعمار — وقول أبي تمام .

إِذَا انْخُبِلَ جَابَتْ قَسْطَلُ الْحَرْبِ صَدَّعُوا صُدُورَ الْعَوَالِي فِي صُدُورِ الْكِتَابِ^(٦)

(١) أى مع الاختلاف في المعنى ، ويجب في الجناس أن يكون سهلا لا كلفة فيه وإلا كان قبيحا ، ومن الجناس القبيح لما فيه من التكلف قول عبد الله بن مالك القرطبي .

حَيِّتْ إِذْ حَيَّتْ حَادَى عَيْسِيَهُمْ فَكَأَنَّ عَيْسَى مِنْ حَدَاةِ الْعَيْسِ
فعله تكلف التجنيس على أن يجعل عيسى عليه السلام من حداة عيسهم .

(٢) كل حرف من حروف الهجاء نوع .

(٣) هيئاتها حركاتها وسكنياتها .

(٤) ى — ٥٥ — س ٣٠ ، والساعة الأولى القيامة والثانية الساعة الزمانية .

(٥) هو لأبي سعد عيسى بن خالد الخزومي ، وبعده :

وَالْهَوَى صَعْبُ مَرَاكِبُهُ وَرُكُوبُ الصَّعْبِ أَهْوَالُ

والحدق واحد حدقة وهى سواد العين ، والمراد أن حدق النساء الشبيهة بحدق الآجال في سعتها وحسنها تقبل من ترميه بسهامها .

(٦) قوله — جابت — بمعنى خرقت ، والقسطل الغبار الساطع في الحرب ،

وقوله — صدعوا — بمعنى أمالوا ، والعوالى جمع عالية وهى الرمح ، والشاهد في صدور العوالى وهى أعاليها وصدور الكتائب وهى نحرها .

وإن كانا من نوعين كاسم وفعل سمي مُسْتَوْفَى ، كقول أبي تمام أيضا :
مَا مَاتَ مِنْ كَرَمِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ يَحْيَا لَدَى يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ^(١)
ونحوه قول الآخر :

وَسَمَّيْتُهُ يَحْيَى لِيَحْيَا فَلَمْ يَكُنْ إِلَى رَدِّ أَمْرِ اللَّهِ فِيهِ سَبِيلٌ^(٢)
والتام أيضا إن كان أحد لفظيه مركبا^(٣) سمي جناس التركيب ، ثم إن كان
المركب منهما مركبا من كلمة وبعض كلمة سمي مَرْفُوعًا^(٤) كقول الحريري :
وَلَا تَلُهُ عَنْ تَذْكَارِ ذَنْبِكَ وَابْسُكِهِ بَدْمَعِ يُحَاكِي الْوَبْلَ حَالَ مَصَابِهِ
ومثل لعينيك الحِمَامَ ووقعه وروعة ملقاه ومطعم صابيه^(٥)

(١) هو من قصيدة له في مدح أبي الغريب يحيى بن عبد الله، والمراد بكرم الزمان
كرم أهله ، والشاهد في قوله — يحيا لدى يحيى — والأول فعل والثاني اسم ، وبين
قوله — مات ويحيا — طباق .

(٢) هو لمحمد بن عبد الله بن كُفَاسَة الأسدي في رثاء ابنه يحيى ، والمراد بأمر
الله الموت ، والشاهد في قوله — يحيى ليحيا — وهو كشاهد البيت السابق .
(٣) أى سواء أكان الآخر مركبا أم لا ، وقد ذكر السعد أن المراد أن يكون
أحدهما مركبا والآخر مفردا ، لأنه إذا كان كل منهما مركبا كان نوعا آخر يسمى
جناس التلقيق ، كقول البُستِيّ .

إلى حَتْفِي سَعَى قَدَمِي أَرَى قَدَمِي أَرَا قَدَمِي
والظاهر أن المراد هو الأول ، لأنه سبذكر في الأمثلة ما يسكون فيه كل من
المتجانسين مركبا .

(٤) ذكر ابن حجة أن هذا النوع لا يخلو من تكلف في التركيب .

(٥) هما لأبي محمد القاسم بن عبد الله المعروف بالحريري ، والوبل المطر الشديد ،
والمصاب مصدر — صاب المطر صَوْبًا ومصابا — أى انصب . والحمام الموت ،
والصاب شجر مُرٌّ واحده صابة وإضافته إلى ضمير الحمام من إضافة المشبه به إلى المشبه ،
والشاهد في قوله — مصابه ومطعم صابه .

وإلا^(١) فإن اتفقا في الخط سمي مُتَشَابِهًا ، كقول أبي الفتح البستي :

إِذَا مَلَكَ لَمْ يَكُنْ ذَاهِبَةً فَدَعُهُ فِدْوَلْتُهُ ذَاهِبَةً^(٢)

وإن اختلفا سمي مفروقا ، كقول أبي الفتح أيضا :

كُلُّكُمْ قَدْ أَخَذَ الْجَا مَ وَلَا جَامَ لَنَا^(٣)

مَا الَّذِي ضَرَّ مُدِيرَ الْجَامِ لَوْ جَامَلْنَا^(٤)

وقول الآخر :

لَا تَعْرِضَنَّ عَلَى الرُّوَاةِ قَصِيدَةً مَا لَمْ تَبْلُغْ قَبْلُ فِي تَهْذِيبِهَا
فَتَمَّتْ عَرَضَتْ الشَّعْرَ غَيْرَ مُهْذَبٍ عَدُوهُ مِنْكَ وَسَاوِسًا تَهْذِي بِهَا^(٥)

(١) أى وإن لم يكن المركب منهما مركبا من كلمة وبعض أخرى بأن كان مركبا من كلمتين أو أكثر .

(٢) هو لعل بن محمد المعروف بأبي الفتح البستي . وقوله — ذاهبه — فى الأول بمعنى صاحب هبة أى عطاء ، وقوله — ذاهبه — بعده بمعنى فانية ، وهو مفرد والأول مركب مع اتفاقهما فى الخط .

(٣) الجام الكأس .

(٤) مدير الجام الساقى ، وقوله — جاملنا — بمعنى عاملنا بالجميل فأداره علينا أيضا ، والشاهد فى قوله — جام لنا وجاملنا — فقد تجانسا وكل منهما مركب مع اختلافهما فى الخط ، ومن يجعل جناس التركيب خاصا بما يكون أحد للتجانسين فيه مركبا والآخر مفردا يجعل قوله — جاملنا — مفرد الاتصال الضمير فيه بالفعل ، ولا يخفى أن هذا تكلف لا داعى إليه .

(٥) هما لابی حفص عمر بن على المطوعى ، والمراد بالرواة حفاظ الشعر ونقادهم ، والوساوس جمع وسواس وهو ما يخطر بالقلب من شر أو مما لا خير فيه ، وقوله — يهذى — بمعنى تتكلم بما لا يعقل ، والشاهد فى قوله — تهذيبها وتهذى بها .

ووجه حسن هذا القسم — أعنى التام — حسن الإفادة مع أن الصورة صورة
الإعادة (١).

الجناس المحرف : وإن اختلفا في هيات الحروف (٢) سمي مُحَرَّفًا.

ثم الاختلاف قد يكون في الحركة، كالبرد والبرد في قولهم — جبة البرد جنة
البرد — وعليه قوله (٣) تعالى (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ، فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ) قال السكاكي (٤) وكقولك — الجهول إما مفرط أو مفرط —
والمُشَدَّدُ في هذا الباب يقوم مقام المُخَفَّفِ نظرا إلى الصورة، فاعلم (٥).
وقد يسكون في الحركة والسكون، كقولهم — البدعة شرك الشرك — وقول
أبي العلاء .

وَالْحُسْنُ يَظْهَرُ فِي بَيْتَيْنِ رَوْنَقُهُ بَيْتٌ مِنَ الشَّعْرِ أَوْ بَيْتٌ مِنَ الشَّعْرِ (٦)

(١) ذكر عبد القاهر في — أسرار البلاغة — هذه الفائدة للتجنيس مطلقا ،
وإن كانت لا تظهر الظهور التام إلا في المستوى المتفق الصورة منه .

(٢) أى دون أنواعها وأعدادها وترتيبها .

(٣) ى — ٧٢ ، ٧٣ — س — ٣٧ .

(٤) ٢٢٧ — المفتاح .

(٥) اختلاف الهيئة في — مفرط ومفرط — نوع آخر غير ما قبله وما بعده ،
لأن اختلاف الهيئة فيه باختلاف الحركة والسكون المقابل لها ، واختلاف الهيئة فيما
قبله باختلاف الحركة فقط ، وفيما بعده باختلاف الحركة والسكون معا .

(٦) هو لأحمد بن عبد الله المعروف بأبي العلاء المعرى ، والروني الصفاء ، والشاهد
في تجانس الشعر بمعنى النظم والشعر المقابل للصوف والوبر ، وظهور الحسن في الأول
بحمال لفظه ومعناه وفي الثاني بحمال الساكنين فيه .

الجناس الناقص : وإن اختلفا في أعداد الحروف فقط ^(١) سمي ناقصا ،
ويكون ذلك على وجهين :

أحدهما أن يختلفا بزيادة حرف واحد في الأول ، كقوله ^(٢) تعالى (والتفت الساق
بالساق ، إلى ربك يومئذ المساق) أو في الوسط ، كقولهم — جدى جهدى ^(٣)
أو في الآخر كقول أبى تمام :

يَمْدُون من أَيْدِ عَوَاصٍ عَوَاصِمٍ تَصُولُ بِأَسْيَافٍ قَوَاضٍ قَوَاضِبٍ ^(٤)
وقول البحترى :

لئن صَدَفَتْ عَنَّا فَرُبَّتْ أَنْفُسِي صَوَادٍ إِلَى تِلْكَ الْوُجُوهِ الصَّوَادِفِ ^(٥)
ومنه ما كتب به بعض ملوك المغرب إلى صاحب له ^(٦) يدعوه إلى مجلس أنس له :

(١) أى دون أنواعها وهيئاتها وترتيبها .

(٢) ى — ٢٩ ، ٣٠ — س ٧٥ .

(٣) الجذ الحظ ، والجهد المشقة ، والمعنى أن حظه في الدنيا بمشقته فيها .

(٤) عواص جمع عاصية اسم فاعل من — عصى — بمعنى لم يقطع أو من — عصاه — إذا ضربه
بالعصا ، وعلى الأول يكون المعنى يمدون من أيد عواص على الأعداء ، وعلى الثانى
يكون المراد — ضاربات بالعصى أى السيوف على التجوز ، والعواصم جمع عاصمة أى حافظة
لأوليائها ، وقوله — تصول — بمعنى تسطو ، والقواضى القاتلات ، والقواضب القواطع ،
والشاهد فى قوله — عواص وعواصم وقواض وقواضب .

(٥) قوله — صدف — بمعنى انصرفت ، والصوادية جمع صادية اسم فاعل
من الصدى وهو العطش الشديد ، شبه به شدة الشوق إليهن ثم استعير إليه استعارة
تبعية ، والشاهد فى قوله — صواد وصوadf .

(٦) الملك الكاتب هو المعتمد بن عباد ، وصاحبه هو محمد بن الطبيب المصرى .

أَيُّهَا الصَّاحِبُ الَّذِي فَارَقْتَ عَيْ
فِي وَنَفْسِي مِنْهُ السَّنَا وَالسَّنَاءُ^(١)
نَحْنُ فِي الْمَجْلِسِ الَّذِي يَهْبُ الرَّا حَةً وَالْمِسْمَعُ الْغَنَى وَالْغِنَاءُ^(٢)
نَتَعَاطَى الَّتِي تُنْسِي مِنَ اللَّذِّ قِ وَالرَّقَّةَ الْهُوَى وَالْهُوَاءُ^(٣)
فَأَنَّهُ تُلْفٍ رَاحَةً وَمُحْيَا قَدْ أَعَدَّا لَكَ الْحَيَا وَالْحَيَاءُ^(٤)

وربما يسمى هذا القسم — أعني الثالث^(٥) مُطَرِّفًا ، ووجه حسنه أنك تتوهم قبل أن يرد عليك آخر الكلمة كاليم من — عواصم — أنها هي التي مضت وإنما أتى بها للتأكيد حتى إذا تمكن آخرها في نفسك ووعاه سمعك انصرف عنك ذلك التوهم ، وفي هذا حصول الفائدة بعد أن يخالطك اليأس منها .

الوجه الثاني أن يختلفا بزيادة أكثر من حرف واحد ، كقول الخنساء :

إِن الْبُكَاءَ هُوَ الشَّقَا ۚ مِنْ الْجَوَى بَيْنَ الْجَوَانِحِ^(٦)

(١) السنا النور ، والسناء الرفعة ، والأول راجع إلى العين والثاني إلى النفس على اللف والنشر المرتب ، والشاهد في قوله — السنا والسناء .

(٢) الراحة باطن الكف ، والمسمع الأذن ، والغنى راجع إلى الراحة والغناء راجع إلى الأذن على اللف والنشر المرتب أيضاً ، وفي قوله — الغنى والغناء — شاهد ثان .

(٣) المراد من التي تنسى الهوى والهواء الخمر ، وفي قوله — الهوى والهواء — شاهد ثالث ، وكذلك لف ونشر مرتب .

(٤) قوله — تلف — بمعنى يجرد ، والراحة باطن الكف ، والمحيا الوجه ، والمحيا المطر والمراد به العطاء على سبيل الاستعارة ، وفي قوله — الحيا والحياء — شاهد شاهد رابع ، وكذلك لف ونشر مرتب .

(٥) هو ما يكون بزيادة حرف في الآخر .

(٦) هو ليماض بنت عمرو بن الشريد المعروفة بالخنساء ، والجوى حرقه القلب ، والجوانح جمع جانحة وهي الضلوع التي تحت الترائب مما يلي الصدر ، والشاهد في قوله — الجوى والجوانح .

وربما سمي هذا الضرب مَذْبِلًا .

الجناس المضارع واللاحق : وإن اختلفا في أنواع الحروف اشترط ألا يقع الاختلاف بأكثر من حرف .

ثم الحرفان المختلفان إن كانا متقاربين ^(١) سمي الجناس مضارعاً ، ويكونان إما في الأول ، كقول الحريري : بينى وبين كَيْلى ليل دامس ، وطريق طامس . وإما في الوسط ، كقوله ^(٢) تعالى (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ) وقول بعضهم : البرايا أهداف البلايا . وإما في الآخر ، كقول النبي صلى الله عليه وسلم « الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة » .

وإن كانا غير متقاربين سمي لاحقاً ، ويكون أيضاً إما في الأول ، كقوله ^(٣) تعالى (وَيَلْلِسْ كُلَّ هَمْزَةٍ مُرَّةً) وقول بعضهم : رَبِّ وَضِيٍّ غَيْرِ رَضِيٍّ . وقول الحريري : لا أعطى زِمَلى لمن يخفر ذِمَلى . وإما في الوسط ، كقوله ^(٤) تعالى (ذَالِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ) وقوله ^(٥) تعالى (وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ ، وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ) وإما في الآخر ، كقوله ^(٦) تعالى (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ) وقول البحتري :

(١) المراد بهما ما يشمل المتحدین فی المخرج كالهَمْزَةُ وَالْهَاءُ فِي قَوْلِهِ (يَنْهَوْنَ وَيَنْأَوْنَ) .

(٢) ی - ٢٦ - س - ٦ .

(٣) ی - ١ - س - ١٠٤ .

(٤) ی - ٧٥ - س - ٤٠ ، والحق أن هذا من المضارع لأن اللاحق لتقارب الفاء والميم لأنهما شقويان .

(٥) ی - ٧ ، ٨ - س - ١٠٠ .

(٦) ی - ٨٣ - س - ٤ ، والحق أن هذا أيضاً من المضارع لأن الراء والنون من حروف الذلاقة التي تخرج من طرف اللسان .

هل يما فات من تلاقٍ تلافٍ أم لَشَاكٍ من الصَّبَابَةِ شَفَايَ^(١)

جناس القلب : وإن اختلفا في ترتيب الحروف سمي جناس القلب ، وهو ضربان : قلب الكل ، كقولهم — حسامه فتح لأوليائه حتف لأعدائه — وقلب البعض ، كما جاء في الخبر « أَللَّهُمَّ اسْتَرْعُورَاتِنَا ، وَأَمِنْ رَوْعَاتِنَا » وقول بعضهم : رحم الله امرءاً أمسك ما بين فكَّيْهِ ، وأطلق ما بين كَفَّيْهِ . وعليه قول أبي الطيب :
مُمَنَّةٌ مُمَنَّةٌ رَدَّاحٌ يُكَلِّفُ لَفْظَهَا الطَّيْرَ الْوُفُوعَا^(٢)

الجناس المقلوب المجنح والجناس المزدوج : وإذا وقع أحد المتجانسين جناس القلب في أول البيت والآخر في آخره سمي مقلوبا مُجَنِّحَا^(٣) .
وإذا ولي أحد المتجانسين الآخر سمي مُزْدَوِجَاً وَمُكْرَّرَاً وَمُرَدَّدَاً^(٤) كقوله^(٥)
تعالى (وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ) وما جاء في الخبر « الْمُؤْمِنُونَ هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ »
وقولهم : من طلب وَجَدَ وَجَدَ . وقولهم : من قرع باباً وَلَجَّ وَلَجَّ . وقولهم : النبيذ بغير النِّعَمِ غَمٌّ ، وبغير الدَّسَمِ سَمٌّ . وقوله :

(١) التلافي مصدر — تلافى الأمر — بمعنى تداركه ، والصبابة الشوق والولع الشديد ، والشاهد في قوله — تلاقٍ تلافٍ .
(٢) المنفعة التي يمنعها أهلها ويحمونها ، والرداح الضخمة الألية أو الثقيلة الأوراك ، والشاهد في قوله — ممنة منعمة .

(٣) كقول الشاعر :

لَا حَ أَنْوَارُ الْهُدَى مِنْ كَفِّهِ فِي كُلِّ حَالٍ

ولا يخفى ما في هذا من التكلف ، ومثله كل جناس مقلوب مجنح .

(٤) هذا عام في كل جناس وليس خاصا بجناس القلب كالمقلوب المجنح .

(٥) ي — ٢٢ — م — ٢٧ .

يمدون من أيد عواص عواصم تصول بأسياف قواض قواضب^(١)

ما يلحق بالجناس : واعلم أنه يُلْحَقُ بالجناس شيئان :

أحدهما أن يجمع اللفظين الاشتقاق^(٢) كقوله^(٣) تعالى (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَاسِمِ) وقوله^(٤) تعالى (فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ) وقول النبي صلى الله عليه وسلم « الظلم ظلمات يوم القيامة » وقول الشافعي رضى الله عنه^(٥) وقد سئل عن النبذ : أجمع أهل الحرمين على تحريمه . وقول أبي تمام :

فيادمع أنجدنى على ساكنى نجد^(٦)

وقول البحتري :

(١) سبق هذا البيت في الجناس الناقص، والشاهد في — عواص عواصم — وفي — قواض قواضب .

(٢) هو أخذ لفظ من آخر لمناسبة بينهما في المعنى ، وإنما لم يكن من الجناس لوجوب اختلاف المعنى فيه كما سبق في تعريفه .

(٣) ى — ٤٣ — س — ٣٠ .

(٤) ى — ٨٩ — س — ٥٦ .

(٥) نسبه ابن المعتز في — البديع — لعبد الله بن إدريس ، وهو غير الشافعي الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس .

(٦) هو من قوله :

وَأَنْجِدْتُمْ مِنْ بَعْدِ إِيْهَامٍ دَرَكُمْ فَيَادِمَعُ أَنْجِدْنِي عَلَى سَاكِنِي نَجْدٍ

وقوله — أنجدتم — بمعنى سكنتم نجدا ، والإيهام سكنى تهامة ، والشاهد في

قوله — أنجدنى ونجد — والحق أن هذا ليس من الاشتقاق بل من شبه الاشتقاق الآتى ، وكذلك ما أشبهه من الأمثلة الآتية .

يَعْشَىٰ عَنِ الْجَدِّ النَّبِيِّ وَلَنْ تَرَىٰ فِي سُودٍ أَرَبًا غَيْرَ أَرِيبٍ^(١)
وقول محمد بن وهيب :

قَسَمْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ بَأْسًا وَنَائِلًا فَمَالِكَ مَوْتُورٍ وَسَيْفِكَ وَاتِرٍ^(٢)
والثاني أن يجمعهما المُشَابَهَةُ ، وهي ما يُشَبُّهُ الاشتقاق وليس به^(٣) كقوله^(٤)
تعالى (إِنَّا قَلَّمْنَا إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ) وقوله^(٥) تعالى
(قَالَ إِنِّي لَعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ) وقوله^(٦) تعالى (وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ) .
وقول البحترى :

وَإِذَا مَا رِيَّاحُ جُودِكَ هَبَّتْ صَارَ قَوْلُ الْعَذُولِ فِيهَا هَبَاءً^(٧)

(١) قوله — يعشى — بمعنى يعنى وأصله أن يسوء البصر بالليل دون النهار أو
بهما معا ، والأرب الحاجة ، والأريب الماهر ، والشاهد في قوله — أربا وأريب .

(٢) هو من قصيدة له في مدح الحسن بن سهل مطلعها .

ودائعُ أسرارٍ طوتها السرائرُ وباحت بمكنوناتهنَّ النواظرُ
والبأس الشجاعة ، والنائل العطاء ، والموتور والواتر مأخوذان من — وَتَرَةٌ —
إذا أصابه بظلم أو مكروه ، وفي ذلك لف ونشر غير مرتب ، لأن موتورا يرجع إلى
— نائلا — وواتر يرجع إلى — بأسا — والشاهد في قوله — موتور وواتر .

(٣) لاختلاف أصل اللفظين فيما يشبه الاشتقاق دون الاشتقاق ، ولهذا يجعل
بعضهم ما يشبه الاشتقاق من الجناس ولا يجعله ملحقا به .

(٤) ي — ٣٨ — س ٠٩ (٥) ي — ١٦٨ — س — ٢٦ .

(٦) ي — ٥٤ — س — ٥٥ .

(٧) هو من قصيدة له في مدح محمد بن يوسف ، وقبله :

خلق الله يا محمد أخلا قك مجدا في طيء وسناء

وقوله — هبت — بمعنى ثارت وهاجت ، والهباء الغبار أو دقائق التراب ساطعة
ومنتشرة على وجه الأرض ، والشاهد في قوله — هبت وهباء — وإنما لم يكونا من
الاشتقاق لأن الهباء مأخوذ من — هَبَّأَ يَهْبُؤُ — لا من — هَبَّ يَهْبُ .

رد العجز على الصدر : ومنه رَدُّ الْعَجْزِ عَلَى الصَّدْرِ ، وهو في النثر أن يُجْعَلَ أحد اللفظين المُكَرَّرَيْنِ أو المُتَجَانِسَيْنِ أو المُلْحَقَيْنِ بهما في أول الفقرة والآخر في آخرها ^(١) كقوله ^(٢) تعالى (وَتَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ) وقولهم : الحيلة ترك الحيلة ^(٣) وكقولهم : سائل اللّيم يرجع ودعه سائل . وكقوله ^(٤) تعالى (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا) وكقوله ^(٥) تعالى (قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ) . وفي الشعر أن يكون أحدهما ^(٦) في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأول أو حشوه أو آخره أو صدر الثاني ، فالأول كقوله :

سريعٌ إلى ابن العمِّ يلطم وجهه وليس إلى داعي الندى سريع ^(٧)
ونحوه قول الآخر :

سُكْرَانُ سُكْرُهُوَيٌّ وسُكْرُهُمْدَامَةٌ أَنَّى يُفِيْقُ قَتَّى بِهِ سُكْرَانُ ^(٨)

(١) المسكران هما المتفقان لفظاً ومعنى بخلاف المتجانسين والملحقين بهما .

(٢) ي ٣٧ — س — ٣٣ .

(٣) هذا المثال وما قبله من رد العجز على الصدر في المكررين ، والمثال الثالث من رد العجز على الصدر في المتجانسين ، والرابع من رد العجز على الصدر في الاشتقاق ، والخامس من رد العجز على الصدر فيما يشبه الاشتقاق .

(٤) ي ١٠ — س — ٧١ (٥) ي ١٦٨ — س — ٢٦ .

(٦) أي أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما ، وهي أقسام ثلاثة في الأربعة بعدها فيكون المجموع اثني عشر قسماً .

(٧) سبق هذا البيت في الكلام على حذف المسند إليه من الجزء الأول ، وهذا الشاهد فيما يكون المكرر الآخر في صدر المصراع الأول .

(٨) هو للخليع الدمشقي ، وقد ذكر الثعالبي في — يقيمة الدهر — أن كنيته أبو عبد الله وأن اسمه ذهب عنه ، وقوله — سكران — مبتدأ خبره محذوف تقديره — بي سكران ، والهوى الحب ، والمدامة الخمر ، و — أنى — اسم استفهام بمعنى كيف .

والثاني كقول الحماسي :

تَمَتَّعَ مِنْ شِمِيمِ عَرَّارٍ نَجْدٍ فما بعد العَشِيَّةِ مِنْ عَرَّارٍ^(١)

ونحوه قول أبي نمام :

وَلَمْ يَحْفَظْ مُضَاعَ الْجَدِّ شَيْءٌ مِنْ الْأَشْيَاءِ كَالْمَالِ الْمُضَاعِ^(٢)

والثالث كقوله أيضاً :

وَمَنْ كَانَ بِالْبَيْضِ الْكَوَاعِبَ مُغَرِّمًا فَمَا زِلْتُ بِالْبَيْضِ الْقَوَاضِبَ مُغَرِّمًا^(٣)

والرابع كقول الحماسي :

وَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا مُعَرِّجَ سَاعَةٍ قَلِيلًا فَإِنِّي نَافِعٌ لِي قَلِيلَهَا^(٤)

(١) هو للصَّمَّة بن عبد الله القُشَيْرِيّ أو لجعدة بن معاوية بن حزم العُقَيْلِيّ ،
وشميم مصدر — شَمِمَ — والعرار بهار ناعم أصفر طيب الرائحة أو الزرجس البري، وهذا
الشاهد فيما يكون المكرر الآخر في حشو المصراع الأول .

(٢) مضاع الجمد إضاعته مصدر ميمي منصوب بتقدير من الخافضة ، أى لم
يحفظ من إضاعته الجمد ، والمال المضاع الذهاب في السخاء .

(٣) هو لأبي نمام كما يفيد قول الخطيب — أيضاً — والكواعب جمع
كاعب وهى الجارية حين يبدو ثديها للأنهود ، والبيض القواضب هى السيوف
القواطع ، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما بعد الفاء وتقديره — فلا شأن لى به ،
وهذا الشاهد فيما يكون المكرر الآخر فى آخر المصراع الأول ، والبيت من قصيدة
له مطلعها :

عسى وطن يدنو بهم ولعلما وأن تُعَتِّبَ الْأَيَّامُ فِيهِمْ فَرَبَّمَا

(٤) هو لعفيلان بنى عقبة المعروف بذى الرمة ، واسم — يكنى — يعود على

الإمام المفهوم من قوله قبله :

أَلِمْنَا عَلَى الدَّارِ الَّتِي لَوْ وَجَدْتَهَا بِهَا أَهْلَهَا مَا كَانَ وَخْشًا مَقِيلَهَا

ومعرج مصدر ميمي بمعنى الوقوف واللبث ، وقوله — قليلا — صفة له ، وهذا

الشاهد فيما يكون المكرر الآخر فى صدر المصراع الثانى .

والخامس كقول القاضى الأرجانى :

دَعَانِي مِنْ مَلَامِكَا سِفَاهَا فِدَاعِي الشُّوقَ قَبْلَكَا دَعَانِي ^(١)

وقول الآخر :

سَلْ سَبِيلًا فِيهَا إِلَى رَاحَةِ النَّفِّ سِي رِاحِ كَأَنَّهَا سَلْسَبِيلُ ^(٢)

وقول الآخر :

ذَوَائِبُ سُودٌ كَالْعَنَاقِيدِ أُرْسِلَتْ فَمِنْ أَجْلِهَا مِنْهَا النُّفُوسُ ذَوَائِبُ ^(٣)

والسادس كقول الآخر :

وَإِذَا الْبَلَابِلُ أَفْصَحَتْ بِلَغَاتِهَا فَأَنْفِ الْبَلَابِلِ بَاحْتِسَاءِ بِلَابِلِ ^(٤)

(١) هو لأحمد بن محمد بن الحسين المعروف بالقاضى الأرجانى من قصيدة له مطلعها قبل هذا البيت :

إِذَا لَمْ تَقْدِرَا أَنْ تَسْعِدَانِي عَلَى شَجَنِي فَسِيرَا وَاتْرَكَانِي

وقوله — دعانى — فى صدر البيت بمعنى اتركانى وفى آخره بمعنى نادانى ، والسفاه الخفة وقلة العقل ، وهذا الشاهد فيما يكون المتجانس الآخر فى صدر المصراع الأول .
(٢) لا يعرف قائله ، والضمير فى قوله — فيها — لروضة يصفها ، والراح الخمر ، والسلسبيل الماء العذب ، والشاهد فى قوله — سل سبيلا وسلسبيل .

(٣) هو لأبى الحسن نصر المَرْغِينَانِي ، والشاهد فى ذوائب الأولى جمع ذؤابة وهى أعلى شعر الرأس ، وذوائب الثانية جمع ذائبة بمعنى سائلة .

(٤) هو لعبد الملك بن محمد بن إسماعيل المعروف بأبى منصور التَّعَالِيبِي ، وقد وردت البلابل فيه جمع بُبْلِلٍ وهو طائر يضرب به المثل فى طلاقة اللسان ، ثم جمع بِلْبَالٍ وهو الهم ، ثم جمع بُبْلِسِلٍ وهو قناة الإبريق التى يصب منها الخمر ونحوه ، وقوله — أفصحت بلغاتها — بمعنى أخلصت نغماتها ، والاحتساء الشرب ، وهذا الشاهد فيما يكون المتجانس الآخر فى حشو المصراع الأول .

والسابع كقول الحريري :

فَشْغُوفٌ بِآيَاتِ الْمُثَانِي وَمَمْتُونٌ بِرَنَاتِ الثَّانِي ^(١)

والثامن كقول القاضي الأرجاني :

أَمَلْتُهُمْ ثُمَّ تَأَمَّلْتُهُمْ فَلَا حَ لِيَ أَنْ لَيْسَ فِيهِمْ فَلَا حَ ^(٢)

والتاسع كقول البحتری :

ضَرَائِبٌ أَبَدَعَهَا فِي السَّمَاحِ فَلَسْنَا نَرَى لَكَ فِيهَا ضَرِيْبًا ^(٣)

(١) هو للقاسم بن علي المعروف بالحريري ، وقبلة :

بها ما شئت من دينٍ ودنيا وجيران تنافوا في المعاني

والضمير في قوله — بها — للبصرة ، وقوله — تنافوا — بمعنى اختلفوا ، والمشغوف المولع ، والمراد بالثاني في الأول القرآن ، وفي آخر البيت أوتار المزامير ، ورناتها نغماتها ، وهذا الشاهد فيما يكون المتجانس الآخر في آخر المصراع الأول .

(٢) قوله — أملتهم — بمعنى رجوت خيرهم ، وقوله — تأملتهم — بمعنى

فكرت في أحوالهم ، وهذا الشاهد فيما يكون فيه المتجانس الآخر في صدر المصراع الثاني ، وقد سبق بيان اسم القاضي الأرجاني في شاهد القسم الخامس ، والبيت من قصيدة له في مدح شمس الملك بن نظام الملك ، وقبلة :

يفديك قوم حاولوا ضلَّةً تناوَلَ الجُودُ بأيْدِ شِحاحٍ

معاشرَ أموالهم في حِمَى وعرضهم من لؤمهم مستباحٍ

(٣) الحق أن هذا البيت للسري بن أحمد المعروف بالسري الرقاء في مدح

أبي الفوارس سلامة بن فهد ، وقد أخذه من قول البحتری في مدح الفتوح بن خاقان :

بلَوْنَا ضَرَائِبَ مَنْ قَدَرَنَى فَمَا إِنْ رَأَيْنَا لَفَتْحَ ضَرِيْبًا

والضرائب جمع ضريبة وهي الطبيعة التي ضربت للرجل وطبع عليها ، والضريب

المثيل ، وهو في الأصل المثل من القداح المضروبة في الميسر ، فهو متفق في الاشتقاق

مع ضرائب ، وهذا الشاهد فيما يكون فيه الملحق الآخر بالمتجانسين في صدر المصراع الأول .

والعاشر كقول امرئ القيس :

إذا المرء لم يَحْزَنْ عليه لِسَانُهُ فليس على شيء سِوَاهُ يَحْزَانُ^(١)

وقول أبي العلاء المعري :

لو اَخْتَصَرْتُمْ من الإحسان زُرْتُكُمْ وَالْعَذْبُ يُهْجَرُ لِلْإِفْرَاطِ فِي الْخَصْرِ^(٢)

والحادى عشر كقول الآخر :

فَدَعِ الوعيدَ فما وعيدك ضَائِرِي أَطْنِينُ أَجْنَحَةَ الذُّبَابِ يَصِيرُ^(٣)

(١) قوله — لم يحزن — بمعنى لم يحفظ ، والمراد من اللسان السر على المجاز المرسل ، والمعنى — أنه إذا لم يحفظ سر نفسه لم يحفظ سر غيره من باب أولى ، وهذا الشاهد فيما يكون فيه الملحق الآخر بالمتجانسين فى حشو المصراع الأول ، وهو من الاشتقاق كما هو ظاهر .

(٢) هو لأحمد بن عبد الله المعروف بأبى العلاء المعري من قصيدة له فى مدح أبى الرضاء المصيصى ، وقوله — اختصرتم — بمعنى أقللتم ، والعذب الطيب المستساغ من الشراب ونحوه والمراد به الماء العذب ، واختصر البرودة ، والظاهر أنه يمدحهم بذلك ، ويجوز أن يراد ذمهم بالتبذير ، ولهذا يشبه أن يكون من التوجيه ، وفيه أيضا حسن التعليل ، والشاهد فى قوله — اختصرتم واختصر — وهو مما يشبه الاشتقاق ، لأن الأول مأخوذ من الاختصار — والثانى من — خصر — بمعنى برد .

(٣) هو لعبد الله بن محمد بن عيينة المهلبى فى على بن محمد العلوى ، وكان قد دعاه إلى نصرته فلم يحبه فتوعده ، وقبل البيت :

أَعْلَى إِنَّكَ جَاهِلٌ مَغْرُورٌ لَا ظِلْمَةَ لَكَ لَا وَلَا لَكَ نَوْرٌ

والوعيد التهديد بالشر ، والضائر اسم فاعل من الضير وهو الضرر ، وهذا الشاهد فيما يكون الملحق الآخر بالمتجانسين فى آخر المصراع الأول ، وهو من الاشتقاق كما هو ظاهر .

والثاني عشر كقول أبي تمام :

وقد كانت البيضُ القَوَاضِبُ في الوَغَى بَوَاتَرَ فهِى الآن من بعسدهُ بَيْرُ^(١)

السجع وأقسامه : ومنه السجع ، وهو تواطؤ الفاصلتين^(٢) من النثر على حرف واحد ، وهذا معنى قول السكاكي^(٣) الأسجاع في النثر كالقوافي في الشعر . وهو ثلاثة أضراب : مُطَرَّفٌ وَمُتَوَازٍ وترصيع .

السجع المطرف : لأن الفاصلتين إِنْ اختلفتا في الوزن^(٤) فهو السجع المطرَّفُ^(٥) كقوله^(٦) تعالى (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ، وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا) .

الترصيع : وإِلَّا فَإِنْ كَانَ مَا فِي إِحْدَى الْقَرِينَتَيْنِ^(٧) مِنَ الْأَلْفَاظِ أَوْ أَكْثَرَ

(١) هو من قصيدته في رثاء محمد بن حنيد ، وضمير — بعده — له ، والبيض القواضب السيوف القواطع ، والوغى الحرب ، والبواتر القواطع ، والبتَر جمع أبتَر وهو المقطوع أو مقطوع الذنب والمراد أنها مقطوعة الفائدة على الاستعارة ، يعني أنها كانت قواطع في عهده لحسن استعماله لها ، فلما مات لم تجد من يحسن استعمالها فصارت مقطوعة الفائدة ، وهذا الشاهد فيما يكون فيه الملحق الآخر بالمتحانسين في صدر المصراع الثاني ، وهو من الاشتقاق أيضا .

(٢) هما الكلمتان الأخيرتان من الفقرتين ، والمراد تواطؤهما على حرف واحد في آخرهما .

(٣) ٢٢٨ — المفتاح ، وما ذكره تعريف بالمثال .

(٤) أى العروضى لا الصرفى .

(٥) سمي بهذا لبلوغه طرف الحسن ونهايته بالنسبة إلى غيره .

(٦) ى — ١٣ ، ١٤ — س — ٧١ .

(٧) هما الفقرتان سميا بذلك لتقارنهما .

ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن والتقفية فهو الترصيع ، كقول الحريري :
فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه ، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه . وكقول أبي الفضل
الهمداني : إنَّ بعد السكدر صفواً ، وبعد المطر صحواً . وقول أبي الفتح البستي :
ليكن إقدامك توكلًا ، وإحجامك تأملًا .

السجع المتوازي : وإلا فهو السجع المتوازي ، كقوله ^(١) تعالى (فيها
سُرُورٌ مَرْفُوعَةٌ ، وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ) وفي دعاء النبي صلى الله عليه وسلم « اللَّهُمَّ
إِنِّي أَدْرَأُ بِكَ فِي نَحْوِهِمْ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ » .

شروط حسن السجع : وشروط حسن السجع اختلاف قرينتيه في المعنى
كما مر ^(٢) لا كقول ابن عَبَّادٍ في مهزومين : طاروا وَاقَيْنَ بظهورهم صدورهم ،
وبأصلاهم نحورهم .

(١) ي — ١٣ ، ١٤ — س — ٨٨ .

(٢) أي من الأمثلة ، وقيل : إن هذا ليس بشرط ، لأن السجعة الثانية تؤكد الأولى ،
والتأكد عدة البيان والكتابة ، وقد وقع هذا في القرآن ، كقوله ي ١ ، ٢ ، ٣ ، ١١٤
(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ، مَلِكِ النَّاسِ ، إِلَهِ النَّاسِ) لسكن التاء كيد له مقام يقتضيه ، فلا
يصح أن يكون تكرار المعنى لأجل السجع فقط ، ويشترط فيه أيضا أن تكون ألفاظه
في تركيبها تابعة لمعناها لا عكسه ، وأن يقع فيما يليق به من خطابة ونحوها ، لا كما قال
الصاحب بن عباد لقاضي قُمٍّ : أيها القاضي بقم ، قد عزلناك قُمٍّ . فقال القاضي : والله ما
عزلني إلا هذه السجعة . وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قضى في جنين امرأة ضربتها
أخرى — فسقط ميتا — بغرة ، فقال رجل : كيف ندى من لا شرب ولا أكل ،
ولا صاح فاستهل ، ومثله دمه يُطل . فقال صلى الله عليه وسلم : إياكم وسجع
الكهان . وكانوا يتكهنون ويحكمون بالأسجاع ، فيتكلفونها في موضع لا يليق بها .

قيل : وأحسن السجع ما تساوت قرائنه ^(١) كقوله ^(٢) تعالى (فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ،
وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ، وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ) ثم ما طالت ^(٣) قرينته الثانية ، كقوله (وَالنَّجْمِ
إِذَا هَوَى ، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ^(٤)) أو الثالثة ، كقوله ^(٥) تعالى
(خُذُوهُ ، فَعْلُوهُ ، ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ) وقول أبي الفضل الميكالي . له الأمر المطاع ،
والشرف اليفاع ، والعرض المصون والمسال المضاع . وقد اجتمعا ^(٦) في قوله ^(٧)
تعالى (وَالْعَصْرِ ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) ولا يحسن أن تؤلى قرينة قرينة أقصر منها
كثيراً ^(٨) لأن السجع إذا استوفى أمده من الأولى لطولها ثم جاءت الثانية أقصر
منها كثيراً يكون كاشيء المبتور ، ويبقى السامع كمن يريد الانتهاء إلى غاية فيعثر
دونها ، والذوق يشهد بذلك ويقضى بصحته .

(١) أى فى عدد الكلمات وإن كانت إحدى الكلمات أكثر حروفاً من
كلمة القرينة الأخرى .

(٢) ى — ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ — س — ٥٦ .

(٣) لكن يجب أن يكون الطول غير فاحش بأن تكون الزيادة ثلثاً فأقل ،
فإن كانت أكثر من ذلك كانت قبيحة إلا إذا كانت بعد فقرتين فأكثر ، لأن
الاوليين يكونان حينئذ بمنزلة فقرة واحدة .

(٤) ى — ١ ، ٢ — س — ٥٣ .

(٥) ى — ٣٠ ، ٣١ — س — ٦٩ ، والفقرة الأولى فى الآية (خذوه) .
والثانية (فعلموه) والثالثة (ثم الجحيم صلوه) ولا تؤثر الفاء فى مساواة الثانية للأولى
فى كون كل منهما كلمة واحدة .

(٦) أى ما طالت قرينته الثانية وما طالت قرينته الثالثة .

(٧) ى — ٣١ ، ٣٢ — س — ١٠٣ .

(٨) بخلاف القصر القليل كقوله تعالى ى ١ ، ٢ س ١٠٥ (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ
فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ، أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدُهُمْ فِي تَضْلِيلٍ) .

السجع القصير والطويل والمتوسط : ثم السجع إما قصير ، كقوله ^(١) تعالى (وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ، فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا) أو طويل ^(٢) كقوله ^(٣) تعالى (إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكٍ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَا كَهُمْ كَثِيرًا لَفَشَلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ، وَإِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ إِذِ التَّفَيمُ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) أو متوسط ، كقوله ^(٤) تعالى (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ، وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعَرِّضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ)

ومن لطيف السجع قول البديع الهمداني من كتاب له إلى ابن فرغون ^(٥) كتابي والبحر وإن لم أره ، فقد سمعت خبره ، والليث وإن لم ألقه ، فقد تصورت خلقه ، والمالك العادل وإن لم أكن لقيته ، فقد لقيني صيته ، ومن رأى من السيف أثره ، فقد رأى أكثره ^(٦) .

سكون أعجاز الفواصل : واعلم أن فواصل الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز موقوفة عليها ^(٧) لأن الغرض أن يزأج بينها ، ولا يتم ذلك

(١) ي — ٢ ، ١ — ٧٧

(٢) ذهب الباقلاني في — إعجاز القرآن — إلى أن السجع الطويل غير مرضى ولا محمود ، وهذا خطأ لوقوعه في القرآن ، ولعله ممن لا يسمى ما في القرآن سجعا ، وسيأتي الخلاف في ذلك .

(٣) ي — ٤٣ ، ٤٤ — س — ٨

(٤) ي — ٢ ، ١ — س — ٥٤

(٥) في رسائل بديع الزمان : وله إلى الأمير ابن الحارث محمد مولى أمير المؤمنين

(٦) لطف هذا السجع من جهة قصره واتفاق أسلوب فقراته في الشرطية .

(٧) هذا السكون واجب عند اختلاف الحركات الإعرابية مستحسن

عند اتفاقها .

في كل صورة إلا بالوقف ، ألا ترى أنك لو وصلت قولهم - ما أبعد ما فات ، وما أقرب ما هوأت - لم يكن بُدٌّ من إجراء كل من الفاصلتين على ما يقتضيه حكم الإعراب فيفوت الغرض من السجع ، وإذا رأيتهم يخرجون الكلم عن أوضاعها للازدواج في قولهم - إني لآتيه بالغدايا والعشايا - أي بالغُدُواتِ^(١) فما ظنك بهم في ذلك .

الخلاف في إطلاق السجع في القرآن والشعر : وقيل : إنه لا يقال في

القرآن أسجاع وإنما يقال فواصل^(٢) وقيل : السجع غير مختص بالنثر ، ومثاله من الشعر^(٣) قول أبي تمام :

(١) لأن غدوة تجمع على غدوات لا على غدايا ، فلا يقال - غدايا - إلا مع - عشايا - وهذا على أن غدايا جمع غدوة لا غَدِيَّةٌ ، وإلا كان جمعا صحيحا وإن لم يكن معه - عشايا - والأقرب حمل قولهم على هذا ، لأنه لا يصح تكلف حلية لفظية إلى هذا الحد .

(٢) الحق أن منع إطلاق ذلك عليه رعاية للأدب فقط ، لأن السجع في الأصل هدير الحمام ونحوه ، وقيل : إنه لاشيء في أن يقال في القرآن أسجاع .

(٣) أكثره في الشعر على ضربين : أن يجعل كل شطر فقرتين لكل فقرة سبعة ، وأن يجعل كل شطر فقرة كما في البيت الثالث ، ونحوه مزدوجة أبي العتاهية :

حَسْبُكَ مَا تَبْتَغِيهِ الْقُوْتُ مَا أَكْثَرُ الْقُوْتُ لِمَنْ يَمُوتُ
الْفَقْرُ فِيمَا جَاوَزَ الْكَفَافَا مِنْ اتَّقَى اللَّهَ رَجَا وَخَافَا

وقد يأتي على غير هذين الضربين كما في بيت الخنساء .

تَجَلَّى بِهِ رُشْدِي ، وَأَثَرْتُ بِهِ يَدِي وفاض به ثمدي ، وأورى به زندي^(١)
وكذا قول الخنساء :

حَامِي الْحَقِيقَةِ ، مُحَمَّدُ الْخَلِيقَةِ ، مَهْـ سَدِئُ الطَّرِيقَةِ ، نَفَّاعُ وَضَرَّارِ^(٢)
وكذا قول الآخر :

وَمَسْكَرُمُ أَوْلَيْتَهَا مُتَبَرِّعًا وجرائم أَلْغَيْتَهَا مُتَوَرِّعًا^(٣)
وهو^(٤) ظاهر التكلف^(٥) وهذا القائل لا يشترط التفقيه في العروض
والضرب^(٦) كقوله :

(١) هو من قصيدة له في مدح نصر بن منصور ، وقوله — تجلى — بمعنى ظهر ،
وقوله — أشرت — بمعنى اغتنت ، والتمد في الأصل الماء القليل والمراد به المال القليل
على سبيل الاستعارة ، وقوله — أورى — بمعنى صار ذا ورى أى نار ، والزند العود
الأعلى الذى يقتدح به النار ، وهذا كناية عن الظفر بالمطلوب ، والشاهد في اتفاق
فواصله في الدال .

(٢) هو لتمام بنت عمرو بن الشريد المعروفة بالخنساء في أخيها صخر ، والحقيقة
ما يجب على الإنسان أن يحميه من عرض ونحوه ، والخليقة السجية ، والشاهد في
اتفاق فواصله في القاف .

(٣) لا يعرف قائله ، وقوله — أوليتها — بمعنى أعطيتها ، والمتبرع المعطى من
غير طلب ، وقوله — أَلْغَيْتَهَا — بمعنى أبطلتها ، والمتورع الممتنع عن الانتقام ، وفي
رواية — فسكرم .

(٤) أى السجع في الشعر .

(٥) لأن الشعر فيه ضيق الوزن فلا يليق أن يضاف إليه ضيق آخر بالتزام
السجع .

(٦) العروض الجزء الأخير من الشطر الأول في البيت ، والضرب الجزء الأخير
من الشطر الثانى في البيت .

وَزَنْدُ نَدَى فَوَاضِلِهِ ، وَرَى وَرَنْدُ رَبِّي فَضَائِلِهِ ، نَضِيرُ^(١)
القشطير : ومن السجع على هذا القول^(٢) ما يُسمَّى القشطير ، وهو أن يجعل
 كل من شطري البيت سبعة مخالفة لأختها^(٣) كقول أبي تمام :
 تَذِيرُ مُعْتَصِمٌ ، بِاللَّهِ مُنْتَقِمٌ اللَّهُ مُرْتَغِبٌ ، فِي اللَّهِ مُرْتَقِبٌ^(٤)
التصريع : ومنه ما يسمى التصريع ، وهو جعل العروض مُفَقَّاةً تَقْفِيَةً
 الضرب ، كقول أبي فراس :

(١) هو لناصر بن عبد السيد المعروف بأبي الفتح المطرزي ، والزند العود
 الأعلى الذي يقتدح به النار وإثباته للندي تخيل ، والفواضل العطايا ، والوري ذو
 النار فمن يقدحه يظفر بمراده ، والرند نبات طيب الرائحة ، والربي جمع ربوة وهي
 ما ارتفع من الأرض ، والكلام مبني على الاستعارة ، والشاهد في أن التقفية في حشو
 البيت بين - فواضله وفضائله - لا في العروض والضرب ، ورواية - بغية
 الوعاة - للسيوطي :

وزند ندى فواضله وري ورند ربي خواضله نضير
 ودُرُّ خلاله أبدا ثمين ودُرُّ نواله أبدا غزيرُ
 والظاهر أن - خواضله - تحريف عن فضائله .

(٢) أي القول بان السجع يأتي في الشعر
 (٣) أي مسجوعا سبعة مخالفة لأختها ، بأن يكون كل شطر فقرتين تخالف
 الأولى أي أنهما الأخريين في التقفية .

(٤) هو من قصيدة له في مدح المعتصم بن هارون الرشيد ، وقوله - بالله -
 متعلق بمعتصم ، وقوله - لله - متعلق بمنتهم ، وقوله - في الله - متعلق بمرتغب
 أي راغب في ثوابه ، والمرتبب الخائف من عقابه ، والشاهد في تركب الشطر الأول
 من فقرتين متفتحتين في الميم ، والشطر الثاني من فقرتين متفتحتين في الباء .

بأطراف المُثَقَّفةِ العَوَالِي تَفَرَّدْنَا بأوساطِ المَعَالِي^(١)
وهو ما استُخْسنَ حتى إن أكثر الشعر صُرِّعَ البيت الأول منه^(٢) ولذلك
متى خالفت العَرُوضُ الضَّرْبَ في الوزن جاز أن تجعل مُوَازِنَةً له إذا كان البيت
مُصَرَّعًا ، كقول امرئ القيس :

أَلَا عِمَّ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلُّ البَالِي وَهَلْ يَنْعَمَنَّ مَنْ كَانَ فِي الْعُصْرِ الْخَالِي^(٣)
أنى بعروض الطويل — مَفَاعِيلُنْ — وذلك لا يصح إذا لم يسكن البيت
مُصَرَّعًا^(٤) ولهذا خُطِيءَ أبو الطيب في قوله :

تَفَكَّرُهُ عِلْمٌ وَمَنْطِقُهُ حُكْمٌ وَبَاطِنُهُ دِينٌ وَظَاهِرُهُ ظَرْفٌ^(٥)

الموازنة والمماثلة : ومنه الموازنة ، وهي أن تكون الفاصلتان^(٦) متساويتين في

(١) هو لأبي الحارث بن أبي العلاء المعروف بأبي فراس الحمداني ، والمنقفة
المقومة ، والعوالى الزماح بدل أو عطف ببيان ، والأوساط جمع وسط الشيء وهو
أفضل شيء فيه ، والشاهد في تقفية العروض والضرب في اللام .

(٢) كذلك يستحسن في الانتقال في القصائد من غرض إلى غرض ، كالانتقال
من النسيب إلى المدح .

(٣) قوله — عم — أمر من وَعَمَ الديار — بمعنى حياها ، وفي رواية — ألا
انعم — والطلل ما شخص من آثار الديار ، والعُصْرُ الدهر ضمت صاده للوزن ،
والخالي الماضي .

(٤) لأنه يجب قبضها بحذف الخامس الساكن ، فتصير — مَفَاعِيلُنْ .

(٥) هو من قصيدة له في مدح أحمد بن الحسين القاضي ، والحكم بمعنى الحكمة ،
والظرف مصدر — ظَرْفٌ — فهو ظريف أى كبس حسن الهيئة ، والشاهد في
عدم قبضه عروض الطويل من غير تصريح ، وقد اعتذر له من وجهين : أن هذا
جاء عن العرب ، وأنه الأصل .

(٦) يعنى بهما الكلمتين الأخيرتين من الفقرتين أو المصراعين ، لأنها تأتي
في النثر والشعر .

الوزن دون التقفية ، كقوله ^(١) تعالى (وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ، وَزَرَائِي مَبْثُوثَةٌ)

فإن كان ما في إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثر ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن خص باسم المُمَاثَلَةِ ، كقوله ^(٢) تعالى (وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ، وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) وقول أبي تمام :

مَهَا الْوَحْشُ إِلَّا أَنْ هَاتَا أَوَانِسُ قَمَّا انْخَطَّ إِلَّا أَنْ تَلَّكَ ذَوَابِلُ ^(٣)

وقول البحتري :

فَأَحْجَمَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ فِيكَ مَطْعَمًا وَأَقْدَمَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ عَنْكَ مَهْرَبًا ^(٤)

القلب : ومنه القلب ^(٥) ، كقولك — أرض خضراء — وقول عماد الدين الكاتب للقاضي الفاضل : سِرَّ فلا كِبَايَاكَ القرس . وجواب القاضي : دَامَ عَمَلَا العباد . وقول القاضي الأَرَجَانِيُّ :

(١) ي — ١٥ ، ١٦ — س ٨٨ ، والفاصلتان في الآيتين — مصفوفة ومبثوثة — والتقفية في الأولى على الفاء وفي الثانية على التاء ، ولا ينظر إلى تاء التأنيث فيهما لأنها لا تعد من حروف القافية لإبدالها هاء في الوقف .

(٢) ي — ١١٧ ، ١١٨ — ٣٧ .

(٣) سبق هذا البيت في الكلام على الطباق من هذا الجزء ، والشاهد في تساوى الفاصلتين — أوانس وذوابل — في الوزن دون التقفية .

(٤) هو من قصيدة له في وصف مبارزة الفتح بن خاقان للأسد ، والضمير في قوله — أحجم — للأسد الذي بارزه ، والمطعم محل الطمع ، والمهرب محل الهرب ، يعني أن الأسد أحجم عنه لأنه لم يجد فيه مطعما لقوته ، فلما عرف أنه لا ينجو منه أقدم دهشا إليه ، والشاهد في تساوى الفاصلتين — مطعما ومهربا — في الوزن دون التقفية .

(٥) هو أن يكون الكلام بحيث لو عكس كان الحاصل من عكسه هو ذلك الكلام بعينه . ولا يخفى ما فيه من التكلف ، وما جاء منه في القرآن فهو غير مقصود فيه ، فلا يرد عليه ما يرد على من يتكلفه .

مَوَدَّتْهُ تَدُومَ لِكُلِّ هَوْلٍ وَهَلْ كُلُّ مَوَدَّتْهُ تَدُومُ^(١)
وفي التنزيل (كُلُّ فِي فَلَكٍ^(٢)) وفيه (وَرَبَّكَ فَكَبِّرُ^(٣)) .

التشريع : ومنه التشريع ، وهو بناء البيت على قافيتين يصح المعنى على الوقوف على كل واحدة منهما^(٤) كقول الحريري :

(١) هو لأحمد بن محمد بن الحسين المعروف بالقاضي الأرجاني ، والهول الخفاة من الأمر ، والاستفهام في قوله — وهل كل الخ — للإنكار ، والمراد وصف صاحبه بالوفاء من بين الأصحاب . وقيل البيت :

أحب المرء ظاهره جميل لصاحبه وباطنه سليم
هذا وما ذكره الخطيب كله في قلب الحروف ، وقد يكون القلب في الكلمات ، كقول الشاعر :

عَدَلُوا فَمَا ظَلَمْتُ لَهُمْ دُولُ سَعِدُوا فَمَا زَالَتْ لَهُمْ نِعَمُ
بَدَلُوا فَمَا شَحَّتْ لَهُمْ شِيمُ رُفِعُوا فَمَا زَلَّتْ لَهُمْ قَدَمُ
وهو مدح فإذا قلبت كلماته كان ذما ، وهذا قلبه :

نِعَمُ لَهُمْ زَالَتْ فَمَا سَعِدُوا دُولُ لَهُمْ ظَلَمْتُ فَمَا عَدَلُوا
قَدَمُ لَهُمْ زَلَّتْ فَمَا رُفِعُوا شِيمُ لَهُمْ شَحَّتْ فَمَا بَدَلُوا

وقد يكون القلب في المفرد ، نحو — سلس وباب — ولا يضر في القلب مد المقصور ولا قصر الممدود ، نحو — أرض خضراء — ولا يضر فيه أيضا تخفيف المشدد أو تشديد الخفيف ، نحو (كُلُّ فِي فَلَكٍ) وكذلك جعل الألف همزة أو الهمزة ألفا أو تبديل بعض الحركات والسكنات .

(٢) ي — ٣٣ — س — ٢١ (٣) ي — ٣ — س — ٧٤ .

(٤) لا يخفى ما في التشريع من التكاف ، وإنما يقبل منه القليل الذي لا تكلف فيه ، وقد بينى البيت فيه على أكثر من قافيتين ، كقول الحريري من أول الكامل :

ياخاطب الدنيا الدنيئة إنها شرك الردي وقرارة الكدار^(١)
الآيات .

جودي على المستهتر الصب الجوى وتعطى بوصاله وترحى
ذا المبتلى المتفكر القلب الشجى ثم اكشف عن حاله لا تظلى
فإنه يمكن أن يقال فيه من منهوك الرجز :

جودي على للمستهتر ذا المبتلى المتفكر
ويمكن أن يقال فيه من مشطور الرجز الأحد .

جودي على المستهتر الصب ذا المبتلى المتفكر القلب
ويمكن أن يقال فيه من مجزوء الرجز .

جودي على المستهتر الصب الجوى وتعطى
ذا المبتلى المتفكر القلب الشجى ثم اكشف
ويمكن أن يقال فيه :

جودي على المستهتر الصب الجوى وتعطى بوصاله
ذا المبتلى المتفكر القلب الشجى ثم اكشف عن حاله
(١) هو من قصيدة للقاسم بن علي المعروف بالخريري في المقامة الشعرية ، وبعده :

دار متى ما أضحكك في يومها أبكت غداً تباً لها من دار
غاراتها لا تنقضى وأسيرها لا يفقدى بجلائل الأخطار

واخاطب الطالب ، والدنية الحقيرة ، والردي الهلاك ، وقرارة الشيء ما قر فيه
وسكن ، والشاهد في أنه يمكن أن يركب ذلك من مجزوء الكامل ، فيقال :

ياخاطب الدنيا الدنيئة إنها شرك الردي
دار متى ما أضحكك في يومها أبكت غداً
غاراتها لا تنقضى وأسيرها لا يفقدى

لزوم ما لا يلزم : ومنه لزوم ما لا يلزم ، وهو أن يحى قبل حرف الرّوى
أو ما يفي معناه من الفاصلة ما ليس بلازم في مذهب السجع ^(١) كقوله ^(٢) تعالى
(فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ، وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ) وقوله
(فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ) ^(٣) وقول الشاعر :

سأشكر عمراً إن تراخت منيتي أيادي لم تمنن وإن هي جلت
فني غير محبوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت
رأى خلدتي من حيث يخفى مكانها فكأنت قد ذى عينيه حتى تجلّت ^(٤)
وقول الآخر :

يقولون : في البُستان للعين لذة وفي الخمر والماء الذي غير أسن
إذا شئت أن تلقى المحاسن كلهما ففي وجهه من تهوى جميع المحاسن ^(٥)

(١) إنما لم يقل — في مذهب السجع أو القافية — كما هو مقتضى السياق
للاشارة إلى أن لزوم ما يلزم ضرب من السجع وإن وقع في الشعر ، ولا يخفى ما في
لزوم ما لا يلزم من التكلف ، وما جاء منه في القرآن فهو غير مقصود فيه ، فلا يرد عليه
ما يرد على من يتكلفه .

(٢) ي — ٢٠١ ، ٢٠٢ — س — ٧ .

(٣) ي — ٩ ، ١٠ — س — ٩٣ .

(٤) سبق البيتان الأولان في الكلام على حذف المسند إليه من الجزء الأول ،
والخلة في البيت الثالث الحاجة ، والقذى الرمد ، وقوله — تجلت — بمعنى انكشفت ،
والشاهد في التزامه اللام المشددة والفتحة قبلها في الأبيات الثلاثة .

(٥) هما لأحمد بن عبد الله المعروف بأبي العلاء المعري ، وقوله — الذي غير
أسن — تقديره الذي هو غير أسن ، فحذف فيه صدر الصلة ، والأسن المتغير ، وقوله
— تهوى — بمعنى تحب ، والشاهد في التزامه السين والألف قبلها في البيتين .

هذا والتزام ما لا يلزم قد يكون في الحرف والحركة معا كما في الأمثلة المذكورة ،

وقد يكون ذلك في غير الفاصلتين أيضاً^(١) كقول الحريري: وما اشتارَ
العسل، من اختار الكسل.

أصل الحسن في القسم اللفظي: وأصل الحسن في جميع ذلك — أعني
القسم اللفظي — كما قال الشيخ عبد القاهر^(٢) هو أن تكون الألفاظ تابعة للمعاني^(٣)
فإن المعاني إذا أُرْسِلَتْ على سجيتهما وَتُرِكَتْ وما تريد طلبت لأنفسها الألفاظ ولم
تكسب إلا ما يليق بها، فإن كان خلاف ذلك كان كما قال أبو الطيب:
إذا لم تُشَاهِدْ غير حسن شَيَآئِهَا وأعضائها فَالْحُسْنُ عَنْكَ مُغَيَّبٌ^(٤)

وقد يكون في الحرف وحده، كقوله تعالى — ي ٢٠، ١ — (اقْرَبْتَ السَّاعَةَ
وَأَشَقَّ الْقَمَرَ، وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَوْرٌ) وقد يكون في
الحركة وحدها، كقول ابن الرومي.

لِمَا تُؤْذِنُ الدُّنْيَا بِهِ مِنْ ضُرُوفِهَا يكون بكاء الطفل ساعة يُؤَلَدُ
وإلا فما يبكيه منها وإنها لا تُوسِّعُ مما كان فيه وأَرْغَدُ

(١) بأن يكون في الكلمات التي قبلها، كما في — اشتار واختار — في قول الحريري.
(٢) ١٥ — أسرار البلاغة.

(٣) بأن يراعى فيها أولاً ما يقتضيه الحال ثم يأتي الحسن اللفظي بعد هذا فيتم
به الحسن، وإنما ذكر هذا هنا مع أنه سبق في تعريف علم البديع لينبه على غلط بعض
المؤخرين فيه، ومثل الحسن اللفظي في هذا ما سبق من الحسن المعنوي، وإنما نبه
عليه في الأول فقط لأن الغلط في التعلق به أكثر من الثاني.

(٤) الضمير في — شَيَآئِهَا — لخليل يصفها في قوله قبله:

وما لخليل إلا كالصديق قليلةً وإن كثرت في عين من لا يجربُ

والشيات جمع شية وهي العلامة الظاهرة من لون ونحوه، يعني أن حسنهما ليس في
صورتها وحدها وأن حسنهما الكامل في خصالهما، وكذلك الألفاظ والمعاني التي ساق
البيت من أجلها.

وقد يقع في كلام بعض المتأخرين ما سئل صاحبه فرط شغفه بأمور ترجع إلى ماله اسم في البديع على أن ينسى أنه يتكلم ليفهم ويقول ليبيّن، ويخيّل إليه أنه إذا جمع عدة من أقسام البديع في بيت فلا ضير أن يقع ما عنده في عمياه، وأن يوقع السامع طلبه في خبط عشواء^(١).

(١) من ذلك تكلف الجناس في قول أبي تمام :

قَرَّتْ بِقُرَّانٍ عَيْنُ الدِّينِ وَانْشَرَّتْ بِالْأَشْتَرِينَ عَيْنُ الشَّرِّكَ فَاصْطَلَمَا
 وقران علم، والأشتران تنفية الأشر علم أيضا، وقوله — انشرت — مطاوع
 — شتر العين — قلب جفنها، و — شتر الشيء — قطعه، وقوله — اصطلم — بمعنى
 استوصل، والبيت مع غثاء لفظه وسوء تجنيسه يؤخذ عليه أن انشتار العين لا يوجب
 الاصطلام.

تمرينات على المحسنات اللفظية

تمرين ١ —

بين نوع المحسن اللفظي ووجه حسنه فيما يأتى :

- (١) سَلْسِلْ خطوطك ما غداً مُتَسَلِّسلاً شَاطِئِي الْجَمَامِ الزُّرْقِ بِالْأَغْصَانِ
- وَاسْجَعْ بشعرك ما غداً مُتَصَلِّصلاً شَادِي الْجَمَامِ الْوُرْقِ بِالْأَلْحَانِ
- (٢) هِلَالٌ فِي إِضَاءَتِهِ ، حَيَاءٌ شِهَابٌ فِي سَمَاحَتِهِ ، انْقَادٌ
- (٣) لَمْ يَقْضِ مِنْ حَقِّكَ بَعْضَ الَّذِي يَجِبُ قَلْبٌ مَتَى مَا جَرَى ذِكْرَاكُمْ يُجِبُ
- (٤) أَسْكِرْنِي بِاللَفْظِ وَالْمُقَلَّةِ الِ كَحَلَاءِ وَالْوَجْنَةِ وَالْكَاسِ
- سَاقٍ يُرِينِي قَلْبَهُ قِسْوَةً وَكُلُّ سَاقٍ قَلْبَهُ قَاسِي.

تمرين ٢ —

بين نوع الجناس فى الأمثلة الآتية :

- (١) تَحَمَّلْتُ خَوْفَ الْمَنِّ كُلَّ رَزِيئَةٍ وَحَمَلُ رَزَايَا الدَّهْرِ أَخْلَى مِنَ الْمَنِّ
- (٢) سِتْرُ الْحُبِّ يَوْمَ الْبَيْنِ مُنْهَتِكُ وَتَوْبُ صَبْرِي مِنَ الْأَشْوَاقِ مُنْهَتِكُ
- (٣) لَعِينِي كُلَّ يَوْمِ أَلْفِ عِبْرَةٍ تُصَيِّرُنِي لِأَهْلِ الشُّوقِ عِبْرَةٌ
- (٤) كُنْ كَيْفَ شِئْتَ عَنْ الْهَوَى لَا أَنْتَهَى حَتَّى تَعُودَ لِي الْحَيَاةُ وَأَنْتَ هِىَ
- (٥) مِنْ بَحْرِ جُودِكَ أَغْتَرِفُ وَبَقِيضِ عِلْمِكَ أَغْتَرِفُ
- (٦) عَطَفْتُ كَأَمْثَالِ الْقِسِيِّ حَوَاجِبَا فَرَمْتُ غَدَاةَ الْبَيْنِ قَلْبًا وَاجِبَا

تمرين ٣ —

بين نوع المحسن اللفظي ووجه حسنه فيما يأتى :

- (١) تَمَنَّتْ سَلِيمَى أَنْ أَمُوتَ صَبَابَةً وَأَهْوَنُ شَيْءٍ عِنْدَنَا مَا تَمَنَّتْ
- (٢) إِسْلَمَ وَدُمْتُ عَلَى الْحَوَادِثِ مَارَسَا رُكْنَا ثَبِيرٍ أَوْ هِضَابُ حِرَاءِ

وَنَلِ الْمِرَادَ مُمَكِّنًا مِنْهُ عَلَى رَغَمِ الدَّهْوَرِ وَفَزُهُ بِطُولِ بَقَاءِ
(٣) صَحَّحْنَا وَكَانَ الضَّحْكُ مِنَّا سَفَاهَةً وَحَقَّ لِسُكَّانِ الْبَسِيطَةِ أَنْ يَبْسُكُوا
تُحْطِمُنَا الْأَيَّامُ حَتَّى كَأَنَّنَا زَجَاجٌ وَلَكِنْ لَا يُعَادُ لَنَا سَبَكُ

تمرين — ٤

لماذا حسن الجناس في قول أبي الفتح :
نَاطِرَاهُ فِيمَا جَنَّتْ نَاطِرَاهُ أَوْدَعَانِي أُمْتُ بَمَا أَوْدَعَانِي
ولم يحسن في قول أبي تمام :
ذَهَبَتْ بِمَذْهَبِهِ السَّاحَةُ فَالْتَوَتْ فِيهِ الْخُنُونُ أَمَذْهَبٌ أَمْ مُذْهَبٌ

تمرين — ٥

بين نوع المحسن اللفظي فيما يأتي :
(١) كَانَتِ الْمَدَامُ وَصُوبَ الْغَامِ وَرِيحُ الْخَزَامِي وَنَشْرُ الْقَطْرِ
يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا إِذَا طَرَبَ الطَّائِرُ الْمُسْتَجِرُ
(٢) فَتَحْنُ فِي جَذَلٍ ، وَالرُّومُ فِي وَجَلٍ وَالْبَرْقُ فِي شَغَلٍ ، وَالْبَحْرُ فِي خَجَلٍ
مُوفٍ عَلَى مَهَجٍ ، فِي يَوْمِ ذِي رَهَجٍ كَأَنَّهُ أَجَلٌ ، بِسَعَى إِلَى أَمَلٍ

خاتمة في فصلين يلحقان بالبديع : هذا ما تيسر بإذن الله تعالى جمعه

وتحريره من أصول الفن الثالث ، وبقيت أشياء يذكرها فيه بعض المصنفين :

منها ما يتعين إهماله لعدم دخوله في فن البلاغة ، نحو ما يرجع في التحسين إلى الخط دون اللفظ ، مع أنه لا يخلو من التكلف ، ككون السكمتين متماثلتين في الخط ، وكون الحروف منقوطة أو غير منقوطة . ونحو ما لا أثر له في التحسين ، كما يُسمى التردد ^(١) . أو لعدم جدواه ، نحو ما يوجد في كتب بعض المتأخرين مما هو داخل فيما ذكرناه ، كما سماه — الإيضاح — فإنه في الحقيقة راجع إلى الإطناب ^(٢) أو خلط فيه ، كما سماه — حسن البيان ^(٣) .

ومنها ما لا بأس بذكره لاشتماله على فائدة ^(٤) وهو شيثان : أحدهما القول في السرقات الشعرية وما يتصل بها ، والثاني القول في الابتداء والتخلص والانتها . فعدنا فيهما فصلين ختمنا بهما الكتاب .

(١) هو أن تعلق الكلمة بمعنى ثم تعلق بمعنى آخر في مصراع أو مصراعين ، كقول الشاعر : هَوَيْنِي وَهَوَيْتُ الْغَانِيَاتِ إِلَى أَنْ شَبْتُ فَأَنْصَرَفْتُ عَنْهُنَّ آمَالِي

علق — هَوَيْنِي وهويت — بالغانيات ، ومثاله في المصراعين :

يُرِيكَ فِي الرَّوْعِ بَدْرًا لَاحَ فِي غَسَقٍ فِي لَيْثٍ عَرَبِيَّةٍ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ

(٢) فيكون من علم المعاني لا من علم البديع .

(٣) هو كشف المعنى وإيصاله إلى النفس بسهولة ، والخلط فيه أنه من البيان لا البديع .

(٤) هي بيان حسن الأخذ وقبحه في السرقات الشعرية ، وبيان مواضع حسن

الابتداء والتخلص والانتها وقبحها ، وقيل : إن هذا ليس من علوم البلاغة ، وإنما يختص

الكلام فيها به لانصاله بها وتوقفه عليها ، والحق أن براعة الاستهلال وحسن

التخلص وبراعة المقطع من صميم البديع لا من لواحقه ، فالأولى قصر ما يلحق بالبديع

على السرقات الشعرية .

الفصل الأول

السركات الشعرية : اعلم أن اتفاق القائلين إن كانت في الغرض على العموم ^(١) كالوصف بالشجاعة والسخاء والبلادة والذكاء فلا يعد سرقة ولا استعانة ولا نحوها ، فإن هذه أمور متقررة في النفوس متصورة للعقول ، يشترك فيها الفصيح والأعجم ، والشاعر والمُفْجَم .

وإن كان في وجه الدلالة على الغرض ^(٢) وينقسم إلى أقسام كثيرة : منها التشبيه بما توجدُ الصفة فيه ^(٣) على الوجه البليغ كما سبق ^(٤) . ومنها ذكر هيئات تدل على الصفة لا اختصاصها بمن له الصفة ، كوصف الرجل حال الحرب بالاتباس وسكون الجوارح وقلة الفكر ، كقوله :

كَأَنَّ دَنَايَرًا عَلَى قَسَمَاتِهِمْ وَإِنْ كَانَ قَدْ شَفَّ الْوُجُوهَ لِقَاءَهُ ^(٥)

وكذا وصف الجواد بالتهلل عند ورود العُفَاة والارتياح لرؤيتهم ، ووصف البخيل بالعبوس وقلة اليُدشُر مع سعة ذات اليد ومساعدة الدهر .

(١) الغرض هو المعنى المقصود ، ومعنى كونه على العموم أنه يقصده كل الناس ، فلا بد من أمرين : أن يكون الاتفاق في الغرض لا في الدلالة عليه ، وأن يكون الغرض عامًا ، فإذا كان الاتفاق في الدلالة فهو مما يمكن أن يدعى فيه السبق والزيادة كما سيأتي ، وإن كان الاتفاق في غرض خاص فهو مما يمكن أن يدعى هذا فيه أيضًا .

(٢) جواب — إن — سيأتي في قوله — فإن كان مما يشترك الخ — وما قبله اعتراض ، ووجه الدلالة على الغرض هو طريقها من تشبيهه أو حقيقة أو مجاز أو كناية .

(٣) الصفة هي الغرض السابق .

(٤) أي في الكلام على التشبيه في الجزء الثالث .

(٥) هو جُرْزِينُ الْمُكْعَبَرِ الضَّبِّي ، والقسمات الوجوه ، وقوله — شف — معنى غيَّرَ ، يعنى أن وجوههم تشرق في الحرب على حين تتغير وجوه غيرهم فيها لهولها .

فإن كان مما يشترك الناس في معرفته لا استقراره في العقول والعادات ، كتشبيه الفتاة الحسنة بالشمس والبدر ، والجوادر بالغيث والبحر ، والبلبلد البطيء بالحجر والحمار ، والشجاع الماضي بالسيف والنار — فالاتفاق فيه كالاتفاق في عموم الغرض . وإن كان مما لا يُنال إلا بفكر ولا يصل إليه كل أحد ^(١) فهذا الذي يجوز أن يدعى فيه الاختصاص والسبق ، وأن يُقضى بين القائلين فيه بالتفاضل ، وأن أحدهما فيه أفضل من الآخر ، وأن الثاني زاد على الأول أو نقص عنه . وهو ضربان : أحدهما ما كان في أصله خاصياً غريباً ، والثاني ما كان في أصله عاماً مُبتدلاً لكن تُصَرَّف فيه بما أخرجه من كونه ظاهراً ساذجاً إلى خلاف ذلك ^(٢) وقد سبق ذكر أمثلتهما في التشبيه والاستعارة ^(٣) .

إذا عرفت هذا فنقول :

أقسام السرقة الظاهرة : النسخ والاتحال : الأخذ والسرقة نوعان :

ظاهر وغير ظاهر .

أما الظاهر فهو أن يؤخذ المعنى كله إما مع اللفظ كله أو بعضه ^(٤) وإما وحده ، فإن كان المأخوذ اللفظ كله من غير تغيير لنظمه فهو مذموم مردود ، لأنه سرقة محضة ، ويسمى نَسْخاً واتِحَالاً ، كما حُكِيَ أن عبد الله بن الزبير دخل على معاوية فأنشده : إذا أنت لم تُنصِفْ أخاك وجدتهُ على طرفِ الهجران إن كان يعقل ^(٥)

(١) بأن كان مجازاً مخصوصاً أو كناية أو تشبيهاً على وجه لطيف .

(٢) فإذا لم يتصرف فيه بذلك لم يحز أن يدعى فيه سبق والزيادة كالاتفاق في عموم الغرض .

(٣) عند الكلام عليهما في الجزء الثالث .

(٤) مثل أخذ اللفظ أخذ مرادفه كما سيأتي .

(٥) قوله — لم تنصف — بمعنى لم تعبدل معه وتوفه حقه ، وطرف الهجران جانبه والإضافة بيانية .

ويركب حَدَّ السيف من أن تَضِيْمَهُ إذا لم يكن عن شَفْرَةِ السيف مُزْحَلٌ^(١)
فقال له معاوية : لقد شَعَرْتَ بعدي يا أبا بكر . ولم يفارق عبد الله المجلس
حتى دخل مَعْنُ بْنُ أَوْسٍ الْمُرَزِيُّ ، فأنشد كلمته التي أولها :
لَعَمْرُكَ مَا أَدْرَى وَإِنِّي لَأَوْجَلُ عَلَى آيِنَا تَعْدُو الْمِنِيْبَةُ أَوَّلُ^(٢)
حتى أتى عليها وفيها ما أنشده عبد الله ، فأقبل معاوية على عبد الله وقال له :
ألم تخبرني أنهما لك ؟ فقال : المعني لى واللفظ له ، وبعد فهو أخى من الرضاة ،
وأنا أحق بشعره^(٣) .

وقد رُوِيَ لَأَوْسٌ وَلِزْهَيْرٍ فِي قَصِيدَتَيْهِمَا^(٤) هَذَا الْبَيْتُ :
إِذَا أَنْتَ لَمْ تُعْرِضْ عَنِ الْجَهْلِ وَاتَّخَذْنَا أَصَبْتَ حَايِمًا أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلٌ^(٥)
وقد رُوِيَ لِلْأَبْرِ بَرْدٍ الْيَرْبُوعِيُّ :

(١) المراد بحد السيف ما يتحملة من الشدائد على سبيل الاستعارة ، ومن
فى قوله — من أن تضيعة — للبدل أو للتعليل والضميم الظلم ، وشفرة السيف حده
والمراد به ما يتحملة من الشدائد أيضاً ، والمزحل المبعد

(٢) لعمرك قسم وهو مبتدأ وخبره محذوف تقديره قسمى ، وأوجل أفعل تفضيل
من الوجل وهو الخوف ، وقوله — تعدو — بمعنى تصبح ، أو بالعين المهملة من
العدو ، والجار والمجرور متعلق بأدرى ، وما قبله اعتراض

(٣) هذا اعتذار بارد وإن نظرف فيه

(٤) يعنى قصيدة أوس بن حجر التي مطلعها :

يَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغْنِي يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَا أَنَا قَائِلُ
وقصيدة زهير بن أبى سلمى التي مطلعها :

لَسَلِمَى بِشَرْقِ الْقَنَانِ مَنَازِلُ وَرَمَمَ بِصِحْرَاءِ اللَّبِيِّينِ حَائِلُ

(٥) قوله — لم تعرض — بمعنى لم تنصرف ، واتخذنا الفحش ، والحليم العاقل ،
والمراد — أصبت حليماً بجهلك أو أصابك جاهل بجهله

فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَا لَهُ إِذَا السَّيِّئَةُ الشُّهْبَاءُ أَعُوْزَهَا الْقَطْرُ^(١)
ولأبي نواس :

فَتَى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَا لَهُ وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّائِرَاتِ تَدُوْرُ^(٢)
وقد روى لبعض المتقدمين يمدح معبدًا :

أَجَاد طُوَيْسٌ وَالسَّرِيحِيُّ بَعْدَهُ وَمَا قَصَبَاتُ السَّبْقِ إِلَّا لِلْمَعْبَدِ^(٣)
ولأبي تمام :

تَحَاسِنُ أَصْنَافِ الْمُغَنِّينَ جَمَّةٌ وَمَا قَصَبَابُ السَّبْقِ إِلَّا لِلْمَعْبَدِ^(٤)
وحكى صاحب الأغاني في أصوات معبد :

(١) هو للأبي برد بن المعذر بن قيس من مراثية له في أخيه مطلعها :

تَطَاوَلَ لِيْلَى لَمْ أُنَمِّهِ تَقْلُبًا كَأَنَّ فِرَاشِي حَالٌ مِنْ دُونِهِ الْجُرْ
والشهباء الجذبة ، وقوله — أعوزها القطر — بمعنى احتاجت إليه والقطر المطر
وهذا كناية عن انقطاعه فيها

(٢) هو من قصيدة للحسن بن هانيء المعروف بأبي نواس في مدح الخصيب ،
والدائرات الدواهي ، وقوله — تدور — بمعنى تتقلب ويداولها الله بين الناس .
وقبل البيت :

إِذَا لَمْ تَزُرْ أَرْضَ الْخَصِيبِ رَكَابُنَا فَأَيَّ فَتَى بَعْدَ الْخَصِيبِ تَزُورُ

(٣) لا يعرف قائله وطويس لقب عيسى بن عبد الله ، وقد غنى في عهد عثمان
ابن عفان ، والسريحي لقب عبيد الله بن سريج ، وقد أخذ الغناء عن طويس ، ومعبد بن
وهب غنى في أول دولة بني أمية ، وقصبات السبق هي التي تنصب في حلبة السباق
فمن سبق اقتلعها وأخذها ليعرف أنه السابق ، ويقال هذا في الكناية عن الفوز والغلبة

(٤) هو من قصيدة له في مدح خالد بن يزيد الشيباني ، وقبله :

فَهُمَا تَكُنْ مِنْ وَقْعَةٍ بَعْدُ لَا تَكُنْ سِوَى حَسَنِ مِمَّا فَعَلْتَ مَرْدَدٌ

لَهْفِي عَلَى فِتْنَةٍ ذَلَّ الزَّمَانُ لَهُمْ فَمَا يَصِيبُهُمْ إِلَّا بِمَا شَاءُوا^(١)
وَفِي شِعْرِ أَبِي نُوَّاسٍ :

دَارَتْ عَلَى فِتْنَةٍ ذَلَّ الزَّمَانُ لَهُمْ فَمَا تَصِيبُهُمْ إِلَّا بِمَا شَاءُوا^(٢)
وَفِي هَذَا الْمَعْنَى مَا كَانَ التَّغْيِيرُ فِيهِ بِإِبْدَالِ كَلِمَةٍ أَوْ أَكْثَرٍ بِمَا يَرَادُفُهَا^(٣) كَقَوْلِ
أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

وَقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَى مَطِيئِهِمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَىٍّ وَتَجَمَّلِ^(٤)

(١) لا يعرف قائله ، واللهف التحسر ، وقوله — ذل — بمعنى خضع ،
ورواية الأغاني — فما أصابهم — وقد غناه معبد للوليد بن يزيد ، وبعده :
ما زال يعدو عليهم ريبٌ دهرهم حتى تفانوا وريبُ الدهر عدا
أبكي فراقهم عيني وأرقها إن التفرق للأحباب بكاء
(٢) هو من خمرية للحسن بن هانيء المعروف بأبي نواس مطعها :
دَعْ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللُّومَ إِغْرَاءَ وداوئي بالتي كانت هي الداء
والضمير في قوله — دارت — للخمر ، وقد كان المعنى في البيت الأول يراد
به التحسر والتحزن ، فجعله أبو نواس في موضع سرور ومجلس شرب خمر .
(٣) مثله ما كان التغير فيه بالضد مع رعاية النظم والترتيب ، كقول بعضهم
في الهجاء :

سَوْدُ الْوَجْهِ لَيْثِمَةٌ أَحْسَابُهُمْ فُطْسُ الْأَنْفِ مِنَ الطَّرَازِ الْآخِرِ
فَلَمْ يَفْعَلْ سِوَى أَنْ غَيَّرَ أَلْفَاظَ بَيْتِ حَسَّانَ فِي مَدْحِ آلِ جَفْنَةَ :

بَيْضُ الْوَجْهِ كَرِيمَةٌ أَحْسَابُهُمْ شَمُّ الْأَنْفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ
وإنما يذم التغير بالمرادف أو بالضد إذا لم يكن فيه فائدة من حسن سجع
أو موازنة أو زيادة فصاحة أو سلامة للشعر

(٤) قوله — وقوفاً — مصدر أو جمع واقف حال من فاعل — نيك —
في قوله قبله :

فَمَا نَبِكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بِسَقَطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

وقول طرفة :

وقوفاً بها صحبى على مطيهم يقولون : لانهلك أسمى وتجلد^(١)

وكقول العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه :

وما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التى كنت تعلم^(٢)

وقول الفرزدق :

وما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التى كنت تعرف

وكقول حاتم :

ومن يبتدع ما ليس من خيم نفسه يدعه ويغلبه على النفس خيمها^(٣)

وقول الأعور :

ومن يقترف خلقاً سوى خلق نفسه يدعه ويغلبه على النفس خيمها^(٤)

الإغارة أو المسخ : وإن كان^(٥) مع تغيير انتظمه أو كان المأخوذ بعض

اللفظ سمي إغارة ومسخاً .

ومطيهم مفعول به لوقوفاً لأنه متعدد من الوقف بمعنى الحبس لا من الوقوف ،

وقوله — على — بمعنى لأجل ، والأسمى شدة الحزن ، وقوله — وتحمل — بالحاء

أو بالجيم من التجمل وهو الصبر الجميل

(١) هو لطرفة بن العبد ، وقوله — وتجلد — أمر من تجلد بمعنى تكلف الجلد

وصبر ، وقوله :

نخولة أطلال ببرقة شهيد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

(٢) المراد بالناس ناس معهودون له ، قال فيه للعهد ، وقوله — عهدتهم —

خطاب على الالتفات بمعنى عرفتهم ، وأل في الدار للعهد أيضاً

(٣) هو لحاتم الطائي ، وقيل : إنه لما لك السلى ، وقوله — يبتدع —

— بمعنى يخترع ، والخيم السجية ، وقوله — يدعه — بمعنى يتركه

(٤) هو لبشر بن منقذ المعروف بالأعور الشنئى ، وقوله — يقترف — بمعنى

يكتسب ، وأخلق السجية

(٥) أى أخذ اللفظ كله

فإن كانت الثانية أبلغ من الأولى لاختصاصه بفضيلة كحسن السبك ^(١) أو الاختصار أو الإيضاح أو زيادة معنى فهو ممدوح مقبول ، كقول بشار :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفانك اللهج ^(٢)
وقول سلم الخاسر :

من راقب الناس مات غمًا وفاز باللذة الجسور ^(٣)
فبيت سلم أجود سبكا وأخصر ^(٤) وكقول الآخر :

خَلَقْنَا لَهُمْ فِي كُلِّ عَيْنٍ وَحَاجِبٍ بِسُمْرِ الْقَنَا وَالْبَيْضِ عَيْنًا وَحَاجِبًا ^(٥)
وقول ابن نباتة بعده :

خَلَقْنَا بِأَطْرَافِ الْقَنَا فِي ظُهُورِهِمْ عِيُونًا لَهَا وَقَعُ السُّيُوفِ حَوَاجِبُ ^(٦)

(١) باخلو من التعميد اللفظي والمعنوي ونحوها

(٢) هو لبشار بن بُرْد ، وقوله — راقب — بمعنى حاذر وخاف ، والفانك الشجاع القتال ، واللهج الملازم لمطلوبه الحريص عليه من غير مبالاة .

(٣) هو سلم بن عمرو المعروف بسلم الخاسر ، والجسور الجريء .

(٤) أما الاختصار فظاهر ، وأما أنه أجود سبكا فلا لأن الفتك في بيت بشار زائد على المقصود لتطلبه الجراءة فقط .

(٥) نسبه الخفاجي في — ربحانة الألبا — لأبي إسحاق إبراهيم الغزي ، وجعله متابعا فيه لابن نباتة على عكس ما سيجيء بعده في — الإيضاح — وقوله — خَلَقْنَا — بمعنى أوجدنا ، والقنا واحد قناة وهي الرمح ، والبيض السيوف ، وقد جعل أثر الرمح عينا لاستدارته وأثر السيف فوقه حاجبا لاستطالته على سبيل الاستعارة .

(٦) هو لعبد العزيز بن عمر المعروف بابن نباتة السعدي ، وتقدير الشطر الثاني عيوننا وقع السيوف حواجب لها ، والمراد أثر وقعها ، وبعد البيت :

لَقُوا نَبْلَنَا مُرَدَّ الْعَوَارِضِ وَانْثَنُوا لِأَوْجِهِمْ مِنْهَا لَحَى وَشَوَارِبُ

فبيت ابن نباتة أبلغ لاختصاصه بزيادة معنى وهو الإشارة إلى انهزامهم^(١) ومن الناس من جعلهما متساويين^(٢).

وإن كان الثاني دون الأول في البلاغة فهو مذموم مردود ، كقول أبي تمام :

هَيْهَاتَ لَا يَأْتِي الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ إِنَّ الزَّمَانَ بِمِثْلِهِ لَبَخِيلٌ^(٣)

وقول أبي الطيب :

أَعْدَى الزَّمَانَ سَخَاؤُهُ فَسَخَا بِهِ وَلَقَدْ يَكُونُ بِهِ الزَّمَانُ بَخِيلًا^(٤)

فإن مصراع أبي تمام أحسن سبكا من مصراع أبي الطيب ، أراد أن يقول : كان الزمان به بخيلا . فعدل عن الماضي الى المضارع للوزن ، فإن قلت : المعنى أن الزمان لا يسمح بهلاكه^(٥) قلت : السخاء بالشئ هو بذله للغير ، فإذا كان الزمان قد سخا به فقد بذله فلم يبق في تصرفه حتى يسمح بهلاكه أو يبخل به^(٦).

(١) لأنه جعل ذلك في ظهورهم ، وهذا إلى إرجاعه العيون للرماح والحوارب للسيوف وإجمال هذا في البيت الأول ، وقد يجاب عن هذا بأن الإجمال من مقاصد البلاغة .

(٢) لأن بيت ابن نباتة إذا أشار إلى انهزامهم فالبيت الأول يشير إلى أنهم شجعان يعظم الفخر بالانتصار عليهم

(٣) هيهات اسم فعل ماض بمعنى — بَعْدَ — وفاعله محذوف تقديره — بعد إتيان الزمان بمثله بدليل ما بعده ، أو بعد نسياني له بدليل قوله قبله :

أَنْتَى أَبَا نَصْرٍ نَسِيتُ إِذَنْ يَدِي مِنْ حَيْثُ يَنْتَهَى صِرَافَتِي وَيُنْثِيلُ

(٤) هو من قصيدة له في مدح بدر بن عمار ، وقوله — أَعْدَى — فعل ماض من الإعداد وهو تجاوز الشئ من صاحبه إلى غيره ، والسخاء الجود ، يعنى أن الزمان كان بخيلا به عليه فلما أعده سخاؤه جاد عليه به فأسعده بصحبته .

(٥) فيكون المضارع في موضعه .

(٦) لا يخفى أن جود الزمان به لا يخرج عن تصرفه ، للفرق في هذا بين الجود به والجود بالمال .

وإن كان مثله فالخطب فيه أهون ، وصاحب الثاني أبعد من المذمة ، والفضل
أصاحب الأول ، كقول بشار .

يا قوم أذني لبعض الحى عاشقة
والأذن تعشق قبل العين أحياناً^(١)
وقول ابن الشحنة الموصلي :

وإني امرؤ أحببتكم ليكرام
سمعتُ بها والأذن كالعين تعشق^(٢)
وكذا قول القاضي الأرحاني :

لم يَبْكِي إلا حَدِيثُ فراقكم
هو ذلك الدُرُّ الذي أودعتم
لمَّا أَمَرَ به إلى مُودَعِي
في مَسْمَعِي أَلْقِيَتْهُ من مَدَمَعِي^(٣)
وقول جَارِ الله :

وقائلة : ما هذه الدُرُّ التي
فقلت : هو الدُرُّ الذي قد حشأ به
تَسَاقَطَهَا عَيْنَاكَ سَمَطَيْنِ سَمَطَيْنِ
أبو مَضَرٍّ أَذْنِي تَسَاقَطَ من عَيْنِي^(٤)

(١) هو لبشار بن برد ، وبعض الحى كناية عن محبوبته ، وإنما أسند العشق
إلى أذنه لأنه كان أعمى ، والنفوس قد تعشق بالسمع قبل الرؤية ، بأن يسبق وصف
ما يعشق رؤيته ،

(٢) هو لعمر بن محمد المعروف بابن الشحنة الموصلي ، والشاهد في قوله - والأذن
كالعين تعشق - لأنه مأخوذ من قول بشار ، ولكنه مثله في حسن السبك ونحوه

(٣) هما لأحمد بن محمد المعروف بالقاضي الأرحاني ، والمراد بمودعه من حديثه
بفراقهم على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة ، والدُرُّ اللؤلؤ استعاره لحديثهم وأخبر
به عن ضميره ، ثم استعاره لدمعه

(٤) هما لمحمود بن عمر الزنجشري المعروف بجار الله ، والسمط هو الخيط ما دام
الخرز أو اللؤلؤ منتظماً فيه ، وأبو مضر هو محمود بن جرير الضبي أستاذ الزنجشري ،
والبيتان من قصيدة له في رثائه ، وقد ذكر ابن خلكان أن اسمه منصور وهو خطأ

وكقول أبي تمام :

لَوْ حَارَ مُرْتَادُ الْمَنِيَّةِ لَمْ يَجِدْ إِلَّا الْفِرَاقَ عَلَى النَّفُوسِ دَلِيلًا^(١)

وقول أبي الطيب :

لَوْلَا مُفَارَقَةُ الْأَحْبَابِ مَا وَجَدْتُ لَهَا الْمَتَايَا إِلَى أَرْوَاحِنَا سُبُلًا^(٢)

واعلم أن من هذا الضرب^(٣) ما هو قبيح جدًا ، وهو ما يدل على السرعة باتفاق الوزن والقافية أيضاً ، كقول أبي تمام :

مُقِيمُ الظَّنِّ عِنْدَكَ وَالْأَمَانِي وَإِنْ قَلَقْتُ رَكَابِي فِي الْبِلَادِ^(٤)

وَلَا سَافَرْتُ فِي الْآفَاقِ إِلَّا وَمِنْ جَدِّوَالِكَ رَاحِلَتِي وَزَادِي^(٥)

وقول أبي الطيب :

وَإِنِّي عَنْكَ بَعْدَ غَدٍ لَفَادِي وَقَلْبِي عَنْ فِنَائِكَ غَيْرَ غَادِي^(٦)

(١) قوله - حار - بمعنى ضل في التوصل إلى مراده ، ولمرتاد الطالب ، والدليل الطريق منصوب على أنه مفعول أول ليجد والمفعول الثاني محذوف تقديره له ، يعني أنه لا يجد له دليلاً على النفوس إلا الفراق

(٢) قوله - لها - جار ومجرور مفعول ثان لوجدت وسبلاً مفعول أول ، ويجوز أن يكون - لها - اسم جنس جمعي واحده لكأة فيكون فاعل - وجدت - والمنايا مضاف إليه ، واللاهة اللحم المطبوقة في أقصى سقف الحلق والمراد بها الفم من إطلاق اسم الجزء على الكل ، وقد أثبتتها للمنايا على سبيل التخيل .

(٣) هو ما كان الثاني فيه مثل الأول .

(٤) الخطاب لممدوحه أحمد بن أبي دؤاد ، والأمانى جمع أمنية وهي البغية ، وقوله - قلق - بمعنى اضطربت في السفر ، والركاب الإبل ، يعني أن فكره لا يتجه إلا إليه .

(٥) الآفاق النواحي جمع أفق ، والجدوى العطية ، والراحلة القوى من الإبل على الأحوال والأسفار .

(٦) الخطاب لممدوحه علي بن إبراهيم التنوخي ، والغادي المسافر في الغداة وهي أول النهار ، والغناء الساحة أمام البيت .

مُحِبُّكَ حِينَ اتَّجَهْتَ رَكَابِي وَصَيِّفُكَ حَيْثُ كُنْتُ مِنَ الْبِلَادِ
 الْإِلْمَامُ أَوِ السَّلَخُ : وإن كان المأخوذ المعنى وحده سمي إلماماً وسلخاً، وهو
 ثلاثة أقسام كذلك ^(١).

أولها كقول البحترى :

تَصُدُّ حَيَاءً أَنْ تَرَكَ بِأَوْجِهِ أَنْى الذَّنْبِ عَاصِبَهَا فَلَيْمَ مُطِيعُهَا ^(٢)
 وقول أبى الطيب :

وَجُرِّمَ جَرَّهُ سَفَهَاءَ قَوْمٍ وَحَلَّ بَغِيرَ جَارِيهِ الْعَذَابُ ^(٣)
 فإن بيت أبى الطيب أحسن سبكاً ^(٤) وكأنه اقتبس من قوله (أَهْلِكُنَا بِمَا
 فَعَلَّ السَّفَهَاءُ مِنَّا ^(٥)) وكقول الآخر :

رَلَسْتُ بِنَظَارٍ إِلَى جَانِبِ الْغَنَى إِذَا كَانَتْ الْعُلْيَا فِي جَانِبِ الْفَقْرِ ^(٦)

(١) أى كالإغارة والمسخ، وهى أن يكون الثانى أبلغ من الأول أو دونه أو مثله .
 (٢) هو من قصيدة له يمدح فيها المتوكل ويذكر صلح بنى تغلب ، وقوله
 - تصد - بمعنى تصرف وفاعله ضمير مستر جوازاً يعود على تغلب ، وقوله - حياء -
 مفعول لأجله ، والخطاب فى - تراك - للمتوكل ، وقوله - ليم - فعل مبنى
 المجعول من اللوم وهو العذل .

(٣) الجرم الذنب وهو معطوف على قوله قبله :

وَكَمْ ذَنْبٌ مَوْلَدُهُ دَلَالٌ وَكَمْ بَعْدَ مَوْلَدِهِ اقْتِرَابُ

وقوله - جره - بمعنى ارتسكه ، والجارم الكاسب .

(٤) لأنه وصف مرتكب الجرم بالسفاهة ولم يصف من أؤخذ به بالطاعة المنافية
 المؤاخذة ، وإنما يؤاخذ غير السفهاء بفعلهم لأنه لم يمنعهم منه .

(٥) ى - ١٥٥ - س - ٧ ، وإنما لم يكن اقتباساً صرفاً للاختلاف بينهما

(٦) سبق هو وبيت أبى تمام فى الكلام على الإيجاز والإطناب والمساواة

من الجزء الثانى .

وقول أبي تمام بعده :

يصدُّ عن الدنيا إذا عنَّ سُدُودٌ ولو برزت في زى عذراء ناهد
فبيت أبي تمام أخصر وأبلغ ، لأن قوله — ولو برزت في زى عذراء ناهد —
زيادة حسنة ^(١) وكقول أبي تمام :

هو الصنعُ إن يعجلَ فخيرٌ وإن يَريثَ فللرَّيثُ في بعض المواضع أنفعُ ^(٢)
وقول أبي الطيب :

ومن الخير بطة سبيك عني أسرعُ السَّحْبِ في المسيرِ الجَهمِ ^(٣)
فبيت أبي الطيب أبلغ لاشتماله على زيادة بيان ^(٤) .

وثانيها كقول بعض الأعراب :

ورِيحُهَا أَطْيَبُ مِنْ طِيْبِهَا والطيبُ فيه المِسْكُ والعَنْبَرُ ^(٥)

(١) هذا علة لكونه أخصر وأبلغ ، لأن كون ذلك زيادة يشير إلى أن الشرط الأول من بيت أبي تمام يفيد ما أفاده البيت الأول بشرطيه فيكون أخصر ، وأما كونه أبلغ فلهذه الزيادة ، وقوله — عن الدنيا — بدل قول الأول — ولست بنظر إلى جانب الغنى — لأن الصد عن الدنيا أبلغ من عدم النظر إليها

(٢) هو ضمير الشأن ، والصنع بمعنى الإحسان مبتدأ خبره جملة الشرط ، وجملة ذلك خبر ضمير الشأن ، ويجوز أن يكون — هو — عائدا إلى حاضر في الذهن والصنع خبره والشرط استئناف ، وقوله — يرث — بمعنى يبطل ، والبيت من قصيدة له في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف .

(٣) هو من قصيدة له في مدح علي بن أحمد الخراساني ، والسبب العطاء ، والجَهم السحاب الذي لا ماء فيه أو الذي هراق ماءه .

(٤) وجهه أنه ضرب المثل بالسحاب ، فكأنه دعوى بدليلها ، بخلاف ما قبله

(٥) لا يعرف قائله ، ويعنى بقوله — وريحها — ريح فيها أو نحوه ، والواو في قوله

— والطيب — للحال .

وقول بشار :

وَإِذَا أَدْنَيْتَ مِنْهَا بَصَلًا غَلَبَ الْمِسْكُ عَلَى رِيحِ الْبَصَلِ (١)

وقول أشجع :

وَعَلَى عَدْوِكَ يَا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ رَصَدَانِ: ضَوْءُ الصَّبْحِ وَالْإِظْلَامُ
فَإِذَا تَنَبَّهَ رُغْتُهُ وَإِذَا هَدَا سَلَّتْ عَلَيْهِ سَيُوفُكَ الْأَحْلَامُ (٢)

وقول أبي الطيب :

يَرَى فِي النَّوْمِ رُحْمَكَ فِي كَلَاهُ وَيَخْشَى أَنْ يَرَاهُ فِي السَّهَادِ (٣)
فَقَصَّرَ بِذِكْرِ — السَّهَادِ — لِأَنَّهُ أَرَادَ الْيَقِظَةَ لِيُطَابِقَ بِهَا النَّوْمَ فَأَخْطَأَ ، إِذْ
لَيْسَ كُلُّ يَقِظَةٍ سَهَادًا ، وَإِنَّمَا السَّهَادُ امْتِنَاعُ الْكَرَى فِي اللَّيْلِ ، وَأَمَّا الْمُسْتَيْقِظُ بِالنَّهَارِ
فَلَا يُسَمَّى سَاهِدًا — وَكَقَوْلِ الْبَحْتَرِيِّ :

(١) هُوَ لِبَشَارِ بْنِ بُرْدٍ ، وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا دُونَ مَا قَبْلَهُ لِأَنَّهُ جَعَلَ الْفَضْلَ فِي الْغَلَبِ
عَلَى رِيحِ الْبَصَلِ لِلْمِسْكِ ، لَا لِزَانِحَتِهَا ، وَهَذَا إِلَى مَا فِيهِ مِنْ قَبِيحٍ إِذْنَاءَ الْبَصَلِ مِنْهَا ،
وَقَبْلَ الْبَيْتِ :

إِنَّمَا عَظُمَ سَلِيمِي حَبِيبِي قَصَبَ الشُّكْرِ لِأَعْظَمِ الْجَلِ
وَهَذَا مِنْ شَعْرِهِ الضَّعِيفِ

(٢) هَا لِأَشْجَعِ بْنِ عَمْرِو السُّلَمِيِّ فِي مَدْحِ هَارُونَ الرَّشِيدِ ، وَرَصْدَانِ رَقِيَّانِ ،
وَقَوْلُهُ — تَنَبَّهَ — بِمَعْنَى تَيَقَّظَ مِنْ نَوْمِهِ ، وَقَوْلُهُ — رُغْتُهُ — بِمَعْنَى أَفْرَعْتُهُ ، وَقَوْلُهُ
— هَدَا — مُخَفَّفٌ هَذَا بِمَعْنَى نَامَ ، وَقَوْلُهُ — سَلَّتْ — بِمَعْنَى شَهَرَتْ ، وَفِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ
تَوْشِيعٌ ، وَفِي الثَّانِي لَفٌّ وَنُشْرٌ مَرْتَبٌ

(٣) هُوَ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ فِي مَدْحِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ التَّنُوخِيِّ ، وَضَمِيرٌ — يَرَى —
لِلجَبَانِ فِي قَوْلِهِ قَبْلَهُ :

وَكَيْفَ بَيْتٌ مُضْطَجِعًا جَبَانُ فَرَشَتْ لَجْنِيهِ شَوْكَ الْقِتَادِ
وَالْكُلْيَةُ أَوْ الْكُلُوءَةُ لَحْمَةٌ مُنْتَبِرَةٌ لِأَرْقَةِ بَعْظَمِ الصُّلْبِ عِنْدَ الْخَاصِرَةِ

وإذا تألق في الندى كلامه المصقول خلت لسانه من عصبه^(١)

وقول أبي الطيب :

كان ألسنتهم في النطق قد جعلت على رماحهم في الطعن خرصاناً^(٢)

فإن أبا الطيب فاته ما أفاده البحرى بلفظي — تألق والمصقول — من الاستعارة التخييلية^(٣) وكقول الخنساء :

وما بلغ المهدون للناس مدحة وإن أطنبوا إلا وما فيك أفضل^(٤)

وقول أشجع :

وما ترك المداح فيك مقالة ولا قال : إلا دون ما فيك. قائل^(٥)

فإن بيت الخنساء أحسن من بيت أشجع لما في مصراعه الثاني من التعقيد ، إذ تقديره — ولا قال قائل إلا دون ما فيك^(٦) .

(١) هو من قصيدة له في مدح الحسن بن وهب ، وقوله — تألق — بمعنى لمع وإنباته لكلامه تخييل ، والندى مجلس أشراف القوم ، والمصقول انجلو وهو ترشيح لاستعارة السيف لكلامه ، والعضب السيف القاطع ، ولا يخفى ما في التصريح بالتشبيه بعد الاستعارة من القبح .

(٢) الخرصان جمع خرص وهو سنان الرمح أو الرمح نفسه والمراد هنا الأول يعني أن ألسنتهم عند النطق في المضاء تشبه أسنة رماحهم عند الطعن ، وضمير — ألسنتهم — يعود إلى بني الحسن قوم ممدوحه سعيد بن عبد الله في قوله قبل البيت :

جزى بني الحسن الحسنى فإنهم في قومهم مثلهم في الغر عدنانا

(٣) الحق أن — تألق — تخييل وأن — المصقول — ترشيح كما سبق

(٤) هو لتمام بنت عمرو بن الشريد المعروفة بالخنساء ، وقولها — مدحة —

مفعول — المهدون — ومفعول — بلغ — هو المستثنى منه المحذوف أي حالا من الأحوال

(٥) هو لأشجع بن عمرو السلمي ، ومعناه أن مداحه لم يتركوا مقالة في مدحه ،

ومع هذا لم يبلغوا ما يستحقه

(٦) لا يخفى أن هذا لا يعد تعقيداً ، لأنه لا يحصل بمثل تقديم المستثنى وحده ، والمستثنى منه محذوف ، والتقدير — ولا قال قائل قولاً إلا قولاً دون ما فيك

وثالثها كقول الأعرابي :

ولم يكُ أَكْثَرُ الْفِتْيَانِ مَالاً وَلَكِنْ كَانَ أَرْحَبَهُمْ ذِرَاعاً^(١)
وقول أشجع :

وليس بأَوْسَعِهِمْ فِي الْغَتَى وَلَكِنْ مَعْرُوفُهُ أَوْسَعُ^(٢)
وكذا قول بكر بن النطّاج :

كَأَنَّكَ عِنْدَ الْكَرِّ فِي حَوْمَةِ الْوَغَى تَفِرُّ مِنَ الصَّفِّ الَّذِي مِنْ وَرَائِكَ^(٣)
وقول أبي الطيب :

فَكَأَنَّهُ وَالطُّعْنُ مِنْ قُدَامِهِ مُتَخَوِّفٌ مِنْ خَلْفِهِ أَنْ يُطْعَنَا
وكذا قول الآخر يذكر ابناً له مات :

(١) هو لأبي زياد يزيد بن الحرّ الأعرابي في مدح العباس بن محمد ، وقيل : إنه لموسى شهوات في عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وقوله - أرحبهم ذراعاً - بمعنى أوسعهم وهو كناية عن سخائه .

(٢) هو لأشجع بن عمرو السلمي ، واسم - ليس - يعود على جعفر بن يحيى في قوله قبله :

يروم الملوک مدی جعفرٍ ولا يصنعون كما يصنعُ
وقيل : إن بيت الأعرابي أجود لدلالته على السخاء بطريق الكناية وهي أبلغ من الحقيقة

(٣) السكر الحمل على العدو في الحرب ، وحومة الشيء معظمه ، والوغى الحرب ، والمراد أنه في سرعة حمله مثل الفارّ من ذلك الصف .

(٤) هو من قصيدة له في مدح بدر بن عمار ، وقوله :

نيطت حمائله بعاتقٍ محَرَّبٍ ما كَرَّ قَطُّ وهل يكر وما انثنى
والواو في قوله - والطعن - للحال ، وقوله - من خلفه - متعلق بقوله - يطعن - يعني أنه لشدة إقدامه لا يلتفت خلفه .

والصبر يُحمَدُ في المواطن كُلِّها إِلَّا عليك فَإِنَّهُ مَذْمُومٌ^(١)

وقول أبي تمام بعده :

وقد كان يُدْعَى لابِسُ الصبر حازماً فَأصبح يُدْعَى حازماً حين يَجْزَعُ^(٢)

أقسام السرقة غير الظاهرة : وأما غير الظاهر فمنه أن يتشابه معنى الأول

ومعنى الثاني^(٣) كقول الطرمّاح بن حكيم الطائي :

لقد زادني حُبّاً لِنَفْسِي أَنِّي بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ امْرِئٍ غَيْرِ طَائِلٍ^(٤)

وقول أبي الطيب :

وَإِذَا أَنتَكَ مَذْمُومٌ مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلٌ^(٥)

فإن ذم الناقص أبا الطيب كبغض من هو غير طائل الطرمّاح ، وشهادة ذم الناقص أبا الطيب كزيادة حب الطرمّاح لنفسه — وكذلك قول أبي العلاء المعري في مراثية :

(١) هو لمحمد بن عبد الله المعروف بالعُتْبِيّ في رثاء ابن له ، والمواطن جمع موطن

وهو الموضع ، وقوله — إِلَّا عليك — تقديره إِلَّا في موطن يصبر فيه عليك .

(٢) الحازم من يضع الأمور في مواضعها ، وقد جعل من يجزع على من يرثيه حازماً لأنه وضع جزعه في موضعه ، وفي قوله — لابس الصبر — استعارة بالكناية .

(٣) قيده بعضهم بأن يكون من غير نقل للمعنى إلى محل آخر ، وبهذا يباين القسم الذي بعده ، ولكن الظاهر مما سيأتى أن الخطيب لا يقيده بهذا القيد ، فيكون أعم مما بعده .

(٤) البغيض المكروه ، وغير الطائل الذي لا فائدة فيه .

(٥) مذموم من إضافة المصدر لمفعوله ، وقد أخذه قبله أبو تمام ومروان

ابن أبي حفصة في قولهما :

لقد آسفَ الأعداءَ فضلُ ابن يوسف وذو النقص في الدنيا بذى الفضل مولعٌ
ما ضرتني حسد اللثام ولم يزل ذو الفضل يحسده ذوو التقصير

وما كُفَّةُ البدرِ الميرِ قَدِيمَةٌ وَلَكِنَّهَا فِي وَجْهِهِ أَثَرُ اللَّطِيمِ^(١)
وقول القيسراني :

وَأَهْوَى الَّذِي أَهْوَى لَهُ الْبَدْرُ سَاجِدًا أَلَسْتَ تَرَى فِي وَجْهِهِ أَثَرَ التُّرْبِ^(٢)
وأوضح من ذلك قول جرير :

فَلَا يَمْنَعُكَ مِنْ أَرْبٍ لِحَاظُهُمْ سِوَاهُ ذُو الْعَامَةِ وَالْخِمَارِ^(٣)
وقول أبي الطيب :

وَمَنْ فِي كُفَّةٍ مِنْهُمْ قَنَاقَةٌ كُنْ فِي كُفِّهِ مِنْهُمْ خِضَابٌ^(٤)

(١) هو لأحمد بن عبد الله المعروف بابن العلاء المعري في رثاء أبي إبراهيم العلوي، والكلفة حمرة يخالطها سواد، يعني أن كلفة البدر من لطمه على من يرثيه لحزنه عليه. ورواية الديوان — أثر الدم — والدم ضرب المرأة وجهها باليد كاللطم، ويقال أيضا — لدمت النائحة صدرها وعضديها.

(٢) هو لأبي عبد الله محمد بن نصر المعروف بابن القيسراني نسبة إلى قيسرية، وقوله — أهوى — مضارع بمعنى أحب، وقد أعاده ثانيا بمعنى سقط وهو من الجناس التام، والتراب التراب والمراد بأثره في وجه البدر كلفته، والمراد بوجهه ما يبدو لنا منه. والشاهد في الشطر الثاني من هذا البيت مع الشطر الثاني من البيت الأول.

(٣) قبله :

إِذَا مَا كُنْتَ مَلْتَمَسًا نِكَاحًا فَلَا تَعْدِلْ بِجَمْعِ بَنِي ضَرَارِ

والأرب الحاجة، والاحي جمع حَيْثِيَّة وهي شعر الخدين والذقن، وذو العمامة الرجل، وذات الخمار المرأة، وفي قوله — ذو العمامة والخمار — تغليب، وهذا من أخفش الهجاء

(٤) هو من قصيدة له ذكر فيها ما أوقعه سيف الدولة ببني كلاب، والقناة الرمح، والخضاب صبغ الحناء، والحق أن السرقة في هذا ظاهرة، لأخذ أبي الطيب المعنى بنفسه من غير تصرف فيه، وتشابه المعنيين إنما يكون مع شيء من التغاير بينهما.

ولا يغرك من البيتين المتشابهين أن يكون أحدهما نسبياً والآخر مديحاً أو هجاءً أو افتخاراً أو غير ذلك^(١) فإن الشاعر الحاذق إذا عمد إلى المعنى المختلص لينظمه تحيل في إخفاؤه، فقَبَّرَ لفظه وعدل به عن نوعه ووزنه وقافيته .

ومنه النقل، وهو أن ينقل معنى الأول إلى غير محله، كقول البحتري:

سَلَبُوا وَأَشْرَقَتِ الدِّمَاءُ عَلَيْهِمْ مُحَرَّرَةٌ فَكَانَهُمْ لَمْ يُسَلَبُوا^(٢)

نقله أبو الطيب إلى السيف فقال :

يَدِيسَ النَّجِيعِ عَلَيْهِ وَهُوَ مُجَرَّدٌ عَنْ غَدَمٍ فَكَانَمَا هُوَ مُغَمَّدٌ^(٣)

ومنه أن يكون معنى الثاني أشمل من معنى الأول، كقول جرير :

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ وَجَدْتَ النَّاسَ كُلَّهُمْ غَضَبًا^(٤)

وقول أبي نواس :

لَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُتَنَكِّرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ^(٥)

(١) هذا هو الذي يظهر منه أن الخطيب لا يقيد هذا القسم بما قيده بعضهم به فيما سبق، والأولى تقييده به ليبيان ما بعده .

(٢) هو من قصيدة له في مدح إسحاق بن إبراهيم يذكر فيها وقعته بالخرمية، وقوله — سلبوا — بمعنى جردوا من ثيابهم، وقوله — أشرفت — بمعنى ظهرت أو لمعت

(٣) النجيع الدم المائل إلى سواد، والغمد قراب السيف، وقبلة :

وَصْنُ الْحَسَامِ وَلَا تَذَلُّهُ فَإِنَّهُ يَشْكُو يَمِينُكَ وَالْجَاهِمُ تَشْهَدُ

(٤) يعني أنهم بمنزلة كل الناس، فإذا غضبوا فكل الناس قد غضبوا .

(٥) هو للحسن بن هانيء المعروف بأبي نواس، ويعني بالواحد هارون الرشيد

الوارد في قوله قبله .

قَوْلًا لِهَارُونَ إِمَامٍ مُهْدَى عِنْدَ احْتِفَالِ الْجُلُوسِ الْحَاشِدِ

وجه كون بيت أبي نواس أشمل أن العالم فيه يشمل الإنس والجن والملائكة، ولكن يجوز أن يكون مراد جرير أن الناس تبع لبني تميم في غضبهم لا أنهم كل الناس، وهذا معنى غير معنى بيت أبي نواس .

ومنه القلب ، وهو أن يكون معنى الثانى نقيض معنى الأول ، سُمى بذلك لقلب المعنى إلى نقيضه ، كقول أبى الشَّيْص :

أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكَ لِذِيذَةٍ حُبًّا لَذِكْرِكَ فَلَيْلُمْنِي الْيَوْمُ ^(١)
وقول أبى الطيب :

أُحِبُّهُ وَأُحِبُّ فِيهِ مَلَامَةً إِنَّ الْمَلَامَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ ^(٢)
وكذا قول أبى الطيب أيضاً :

وَالْجَرَاحَاتُ عِنْدَهُ نَغَمَاتُ سُبِقَتْ قَبْلَ سَيِّئِهِ بِسُؤَالٍ ^(٣)
فإنه ناقض به قول أبى تمام :

وَنَعْمَةٌ مُعْتَفٍ جَدَّوَاهُ أَحْلَى عَلَى أَذُنِيهِ مِنْ نَغَمِ السَّمَاعِ ^(٤)
وقد تبعه البحرى فقال :

نَشْوَانُ يَطْرَبُ لِلْسُّؤَالِ كَأَنَّمَا غَنَاءُ مَالِكٍ طَىءٌ أَوْ مَعْبِدٌ ^(٥)

(١) هو لمحمد بن رزين الخزاعى المعروف بأبى الشَّيْص ، واللوم جمع لأنهم ، وفى استحسانه ملامته فى هواها من أجل ذكرها حسن وطرافة ، وهو فى هذا أرق من بيت أبى الطيب .

(٢) قبله :

القلب أعلمُ يا عذولُ بدائه وأحق منك يجفنه وبهائه
فومن أحبُّ لأعصينك فى الهوى قسما به وبجسسه وبهائه

(٣) هو من قصيدة له فى مدح عبد الرحمان بن المبارك ، والنفات جمع نفمة ، ويقال — ناغمه — كقوله كلاما رقيقا أو حسنا ، والسيب العطاء ، يعنى أن نفات السؤال تؤثر فى الممدوح وتؤذيه كالجرافات فيعطى من غير سؤال ، وهذا من التشبيه المقلوب

(٤) هو من قصيدة له فى مدح ابن أصرم ، والمعنى الطالب ، والجدوى العطية ، والمراد بالسماع ما يحسن سماعه كالعود ونحوه .

(٥) هو من قصيدة له فى مدح أبى أيوب ابن أخت أبى الوزير ، والنشوان السكران من شدة الطرب ، ومالك طىء هو مالك بن أبى السمح الملقب ، ومعبد هو معبد بن وهب وقيل ابن قطنى مولى العاص بن وابصة الخزومى ، وهو مغن أيضا .

ومنه أن يؤخذ بعض المعنى ويضاف إليه زيادة تحسنه ، كقول الأفوه الأودى :

وَتَرَى الطَّيْرَ عَلَى آثَارِنَا رَأَى عَيْنٍ ثَقَّةٌ أَنْ سَتَمَارَ^(١)

وقول أفي تمام :

وَقَدْ ظَلَلْتُ عُقْبَانُ أَعْلَامِهِ ضُحَى بَعُتْبَانِ طَيْرٍ فِي الدَّمَاءِ نَوَاهِلِ

أقامت مع الرايات حتى كأنها من الجيش إلا أنها لم تُقَاتِلَ^(٢)

فإن الأفوه أفاد بقوله — رأى عين — قربها ، لأنها إذا بعدت تُخِيلَتْ ولم تر ، وإنما يكون قربها توقعا للفريسة ، وهذا يؤكد المعنى المقصود ، ثم قال — ثقة أن ستار — فجعلها واثقة بالميرة ، وأما أبو تمام فلم يلم بشيء من ذلك^(٣) لسكن زاد على الأفوه بقوله — في الدماء نواهل — ثم بإقامتها مع الرايات حتى كأنها من الجيش ، وبذلك يتم حسن قوله — إلا أنها لم تقاتل — وهذه الزيادات حسنت قوله ، وإن كان قد ترك بعض ما أفي به الأفوه .

وهذه الأنواع^(٤) ونحوها أكثرها مقبولة ، ومنها ما أخرجه حسن التصرف من

(١) هو لصلاة بن عمرو المعروف بالأفوه الأودى ، وقوله — ثقة — حال أى واثقة أو مفعول لأجله ، وقوله — ستار — بمعنى استطعم ، يعنى أنها تتبعهم عند خروجهم للحرب واثقة بذلك .

(٢) هما من قصيدة له يمدح فيها المعتصم ويذكر وقعة الأفشين ببابك أنخرمى . وعقبان الأعلام جمع عقاب وهو الراية الضخمة من إضافة العام للخاص ، وعقبان للطير جمع عقاب وهو طائر معروف ، وفي اللفظين جناس تام ، والنواهل جمع ناهلة وهو اسم فاعل من — سهل — بمعنى روى .

(٣) يرد على هذا أن قوله — أقامت مع الرايات — يفيد أيضاً قربها منهم ، فالحق أن الذى لم يلم به هو قوله — ثقة أن ستار .

(٤) يعنى الأنواع الخمسة لغير الظاهر ، ونحوها هو غيرها مما يندرج فيه ، والحق أنها مقبولة من جهة الأخذ ، فإن اعتبارها رذ كان من جهة أخرى غيره .

بِإِذْنِ الْأَخْذِ وَالِاتِّبَاعِ ، إِلَى حَيْزِ الْإِخْتِرَاعِ وَالِابْتِدَاعِ ، وَكَمَا كَانَ أَشَدَّ خَفَاءً كَانَ قَرَبَ إِلَى الْقَبُولِ .

هذا كله ^(١) إِذَا عُلِمَ أَنَّ الثَّانِي أَخَذَ مِنَ الْأَوَّلِ ، وَهَذَا لَا يُعْلَمُ إِلَّا أَنْ يُعْلَمَ أَنَّهُ كَانَ يَحْفَظُ قَوْلَ الْأَوَّلِ حِينَ نَظَّمَ قَوْلَهُ ، أَوْ بَأَنَ يُخْبِرُ هُوَ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ أَخَذَهُ مِنْهُ ، لَجَوَازِ أَنْ يَكُونَ الْإِتِّفَاقُ مِنْ قَبِيلِ تَوَارُدِ الْخَوَاطِرِ ، أَىْ جَبِيئِهِ عَلَى سَبِيلِ الْإِتِّفَاقِ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ إِلَى الْأَخْذِ وَالسَّرْقَةِ ، كَمَا يُحْكِي عَنْ ابْنِ مَيَّادَةَ أَنَّهُ أَشَدَّ لِنَفْسِهِ :

مُفِيدٌ وَمِثْلَافٌ إِذَا مَا أَتَيْتَهُ تَهَلَّلَ وَاهْتَزَّ اهْتَزَّازَ الْمُهَنْدِ ^(٢)

فَقِيلَ لَهُ : أَيْنَ يَذْهَبُ بِكَ هَذَا لِلْحُطَيْثَةِ ^(٣) فَقَالَ : الْآنَ عَلِمْتُ أَنِّي شَاعِرٌ ، إِذْ وَافَقْتُهُ عَلَى قَوْلِهِ وَلَمْ أَسْمَعْهُ .

ولهذا لا ينبغي لأحد بَثُّ الْحُكْمِ عَلَى شَاعِرٍ بِالسَّرْقَةِ مَا لَمْ يَعْلَمْ الْحَالُ ، وَإِلَّا ^(٤) قَالَتِي يَنْبَغِي أَنْ يَقَالَ : قَالَ فُلَانٌ كَذَا وَقَدْ سَبَقَهُ إِلَيْهِ فُلَانٌ فَقَالَ كَذَا . فَيُغْتَنَمُ بِهِ فَضِيلَةُ الصَّدَقِ ، وَيَسْلَمُ مِنْ دَعْوَى الْعِلْمِ بِالْغَيْبِ وَنِسْبَةِ النِّقْصِ إِلَى الْغَيْرِ .

مَا يَتَّصِلُ بِالسَّرَقَاتِ الْهَرَبِيَّةِ — الْإِقْتِبَاسِ : وَمَا يَتَّصِلُ بِهَذَا الْفَنِّ الْقَوْلِ فِي الْإِقْتِبَاسِ وَالتَّضْمِينِ وَالْعَقْدِ وَالْحُلِّ وَالتَّلْمِيحِ .

(١) يُشِيرُ إِلَى مَا ذَكَرَ فِي الْأَخْذِ بِقِسْمِيهِ مِنْ ادِّعَاءِ السَّبْقِ وَأَخْذِ الثَّانِي مِنَ الْأَوَّلِ وَكَوْنِهِ مَقْبُولًا أَوْ مُرَدودًا .

(٢) هُوَ لِلرَّمَّاحِ بْنِ أَبِرْدٍ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ مَيَّادَةَ ، وَالْمُفِيدُ الَّذِي يُعْطَى أَمْوَالُهُ لِلنَّاسِ ، وَالتَّلَافُ الَّذِي يُتَلَفُ أَمْوَالُهُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَقَوْلُهُ — تَهَلَّلَ — بِمَعْنَى أَشْرَقَ وَجْهَهُ ، وَالْمُهَنْدِ السِّيفُ الْمَصْنُوعُ مِنْ حَدِيدِ الْهِنْدِ .

(٣) هُوَ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ فِي مَدْحِ بَغِيضِ بْنِ عَامِرِ بْنِ شَمَّاسٍ مَطْلَعُهَا :

آثَرْتُ إِدْلَاجِي عَلَى لَيْلِ حُرَّةٍ هَضِيمِ الْحَشَا حُسْتَانَهُ الْمُتَجَرَّدِ

(٤) أَىْ وَإِنْ لَمْ يَعْلَمْ الْحَالُ .

أما الاقتباس فهو أن يُضْمَنَ الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث لا على أنه منه ^(١) كقول الحريري: فلم يكن إلا كليم البصر أو هو أقرب ^(٢) حتى أشد فأغرب. وقوله: أنا أنبئكم بتأويله ^(٣) وأميز صحيح القول من عليه. وقول ابن نباتة الخطيب: فيأثها الغفلة المطرقون، أما أنتم بهذا الحديث مصدقون، ما لكم لا تشفقون؟ فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون ^(٤) وقوله أيضاً من خطبة أخرى ذكر فيها القيامة: هناك يُرْفَعُ الحجاب، ويوضع الكتاب، ويجمع من وجب له الثواب، وحق عليه العقاب، فيضرب بينهم بسور له باب، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ^(٥). وقول القاضي الفاضل وقد ذكر الإفرنج: وغضبوا زادهم الله غضبا، وأوقدوا ناراً للحرب ^(٦) جعلهم الله لها خطبا. وكقول الحماسي:

إذا رُمْتُ عنها سَلَوَةٌ قَالَ شَافِعٌ من الحب: ميعاد السَّلَوِ المَقَابِرُ
سَتَبَقَى لها في مُضْمَرِ القلب والحشا سِرِّيرَةٌ وَدَّيْومِ تَبْلَى السَّرَائِرِ ^(٧)

(١) بأن يكون خالياً من الإشعار بذلك، والإشعار به كأن يقال: قال الله تعالى كذا ونحوه.

(٢) مقتبس من — ي — ٧٧ — س — ١٦.

(٣) مقتبس من — ي — ٤٥ — س — ١٢.

(٤) مقتبس من — ي — ٢٣ — س — ٥١.

(٥) مقتبس من — ي — ١٣ — س — ٥٧.

(٦) مقتبس من — ي — س — ٥.

(٧) هما للأحوص بن محمد الأنصاري، وقوله — رمت — بمعنى أردت، ومضمر القلب مستوره، والحشاما انضمت عليه الضلوع، وقوله — تبلى — بمعنى تختبر أو تظهر، والسرائر الخبايا، والشاهد في قوله — يوم تبلى السرائر — فإنه مقتبس من — ي — ٨ — س — ٨٦.

وقول أبي الفضل بديع الزمان الهمداني :

لَالِ فَرِيقُونَ فِي الْمُسْكِرُمَاتِ يَدٌ أَوْلَاً وَاعْتِذَارُ أَخِيرًا
إِذَا مَا حَلَلَتْ بِمَقْنَاهُمْ رَأَيْتَ نَعِيًا وَمُلْكًا كَبِيرًا^(١)

وقول الأبيوردي :

وقصائدٍ مِثْلَ الرِّيَاضِ أَضْعَفُهَا فِي بَآخِلٍ ضَاعَتْ بِهِ الْأَحْسَابُ
فَإِذَا تَنَاشَدَهَا الرُّوَاةُ وَأَبْصَرُوا أَلْ— مَمْدُوحٌ قَالُوا : سَاحِرٌ كَذَّابٌ^(٢)

وقول الآخر :

لَا تَعَاشِرْ مَعْشَرَ ضَلُّوا الْهَدَى فَسَوَاءٌ أَقْبَلُوا أَوْ أَدْبَرُوا
بَدَتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمُ وَالَّذِي يُخْفُونَ مِنْهَا أَكْبَرُ^(٣)

(١) هما لأبي الفضل أحمد بن الحسين المعروف ببديع الزمان الهمداني ، وقد سبق التعريف بآل فريغون في الكلام على السجع القصير ، واليد مجاز عن الأثر الحسن ، والمغنى محل الإقامة ، والشاهد في آخر البيت الثاني ، فإنه مقتبس من — ي — ٢٠ — س — ٧٦ .

(٢) هما لأبي المظفر محمد بن أحمد المعروف بالأبيوردي ، والباخل المانع المسك ، والأحساب جمع حسب وهو شرف الأصل ، والرواة حفاظ الشعر ونقاده ، وإتيانهم بالسر لأنه يصور الباطل حقا كالساحر ، والشاهد في قوله — قالوا ساحر كذاب — فإنه مقتبس من — ي — ٢٤ — س — ٤٠ .

(٣) هما لحمد الشجاعى ، وقوله — ضلوا الهدى — بمعنى لم يهتدوا إليها ، وقوله — بدت — بمعنى ظهرت ، والشاهد في قوله — بدت البغضاء من أفواههم — فإنه مقتبس من — ي — ١١٨ — س — ٣ .

وقوله :

خَلَّةُ الغانيات خَلَّةٌ سَوْءٌ فاتقوا الله يَا أُولِي الْأَلْبَابِ
وَإِذَا مَا سَأَلْتُمُوهُنَّ شَيْئاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ^(١)

وقول الآخر :

إِنْ كُنْتُ أَرْمَعْتُ عَلَى هَجْرِنَا مِنْ غَيْرِ مَا جُرِّمَ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ
وَإِنْ تَبَدَّلْتُ بِنَا غَيْرَنَا فَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ^(٢)

وكقول الحريري : وكتمان الفقر زهادة ، وانتظار الفرج بالصبر عبادة . فإن قوله — انتظار الفرج بالصبر عبادة — لفظ الحديث ، وقوله : قلنا : شأهت الوجوه ، وَقُبِيحَ اللِّسَمِ وَمَنْ يَرْجُوهُ . فإن قوله — شأهت الوجوه — لفظ الحديث ، فإنه روى أنه لما اشتدت الحرب يوم حُنَيْنٍ أخذ النبي صلى الله عليه وسلم كَفًّا من الحصاء فرمى بها فى وجوه المشركين وقال « شأهت الوجوه » أى قبعت ، واللسع قيل : هو اللثيم ، وقال أبو عبيد : هو العبد — وكقول ابن عباد :

قَالَ لِي : إِنْ رَقِيبِي سَيِّئٌ ائْتَلَقِي فِدَارَهُ
قُلْتُ : دَعْنِي وَجْهَكَ الْجَنَّةُ حُفَّتْ بِالْمَسْكَارَةِ ^(٣)

(١) هما لأبى منصور عبد الرحمان بن سعيد ، واخلة الخصلة ، والغانيات النساء الحسان ، والألباب العقول الذكية ، والشاهد فى قوله — فاتقوا الله يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ، فاسألوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ — والأول مقتبس من — ي ١٠٠ س ٥ ، والثانى مقتبس من — ي ٥٣ س ٣٣ .

(٢) هما لأبى القاسم بن الحسن الكاتبى ، وقوله — أَرْمَعْتُ — بمعنى عزمت ، والجرم الذنب ، وقوله — حَسْبُنَا — بمعنى كافينا ، والوكيل المفوض اليه فى الشدائد وغيرها ، والشاهد فى قوله — فصبر جميل ، فحسبنا الله ونعم الوكيل — والأول مقتبس من — ي ١٨ س ١٣ ، والثانى مقتبس من — ي ١٧٣ س ٣ —

(٣) هما للصاحب إسماعيل بن عباد ، والضمير فى — قال — للمحبوب ، والرقيب الحارس ، وقوله — داره — بمعنى لاطفه ، وقوله — حفت — بمعنى أحيطت .

اقتبس من لفظ الحديث « حنت الجنة بالمسكاره ، وحفت النار بالشهوات »
والاقتباس منه ما لا يُنقلُ فيه اللفظ المُقتَبَسُ عن معناه الأصلي إلى معنى آخر
كما تقدم ، ومنه ما هو بخلاف ذلك ^(١) كقول ابن الرومي :

لئن أخطأتُ في مدحِك ما أخطأتُ في منعي
لقد أنزلتُ حاجاتي بوادي غير ذي زرع ^(٢)

ولا بأس بتغيير يسير لأجل الوزن أو غيره ^(٣) كقول بعض المغاربة عند وفاة
بعض أصحابه :

قد كان ماخفتُ أن يكونا إنا إلى الله راجعونا ^(٤)

(١) أي ما ينقل فيه اللفظ المُقتَبَس من معناه الأصلي إلى معنى آخر ، وبهذا
يكون مجازاً بطريق من طرقه المعروفة .

(٢) هما علي بن العباس المعروف بابن الرومي ، وقيل : إنهما لإسماعيل القراطيسي ،
وإنما خطأ نفسه في مدحه لأنه لا يستحق المدح ، ولم يخطئه في منعه لأن مَدَح من
لا يستحق المدح لا يستحق العطاء . والشاهد في أن المراد بالوادي هنا الجنب الذي
لا خير فيه على سبيل الاستعارة ، وهو غير المراد منه في — ي — ٣٧ — س — ١١ .

(٣) يعني أن هذا لا يضر في تسميته اقتباساً ، فإذا كثر التغيير كان من
العقد الآتي .

(٤) هو للوزير أبي العلاء بن أزرق في رثاء الرئيس أبي عبد الرحمن محمد
ابن طاهر ، وظاهر كلام الخطيب أن البيت له ، والحق أنه لأبي تمام في رثاء ابنه ،
ولعل هذا الوزير استشهد به في ذلك ، وقوله — كان — بمعنى وجد فهي تامة ،
والشاهد في أن ذلك مُقتَبَس مع تغيير يسير من — ي — ١٥٦ — س — ٢ .

وقول عمر الخيام :

سَبَقْتُ الْعَالَمِينَ إِلَى الْمَعَالِي بِصَائِبِ فِكْرَةٍ وَعُلُوِّ هِمَّةٍ^(١)
وَلَا حَاجَ بِحِكْمَتِي نُورِ الْهُدَى فِي لَيْكَالٍ لِلضَّلَالَةِ مَذْهَبٍ^(٢)
يُرِيدُ الْجَاهِلُونَ لِيُطْفِئُوهُ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّهُ^(٣)

وكقول القاضي منصور الهروي الأزدي :

فَلَوْ كَانَتِ الْأَخْلَاقُ تُخَوِّي وَرِائَةً وَلَوْ كَانَتِ الْآرَاءُ لَا تَتَشَعَّبُ^(٤)
لَأَصْبَحَ كُلُّ النَّاسِ قَدْ ضَمَّهِمْ هَوًى كَمَا أَنَّ كُلَّ النَّاسِ قَدْ ضَمَّهِمْ أَبٌ^(٥)
وَلَكِنَّهَا الْأَقْدَارُ كُلُّ مَيْسَرٍ لَمَّا هُوَ مَخْلُوقٌ لَهُ وَمُقَرَّبٌ

اقتبس من لفظ الحديث « اعملوا كل ميسر لما خلق له » .

التضمين : وأما التضمين فهو أن يُضْمَنَ الشعر شيئاً من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهوراً عند البلغاء^(٦) كقول بعض المتأخرين — قيل : هو ابن التلميذ الطيب النصراني :

(١) العالمون جمع عالم وهو اسم لذوى العلم أو لكل ما علم الله به ، وقد جمع جمعاً صحيحاً لما فيه من معنى الصفة وهى العلم .

(٢) المدلهمة الشديدة السواد وهو ترشيح لاستعارة ظلمة الليالى خلفاء الضلالة ، وذكر الضلالة معها غير حسن لأنه ينبىء عن التشبيه المنافى لدعوى الاستعارة .

(٣) انشاهد فى أن هذا مقتبس مع تغيير يسير من — ي — ٣٢ — س — ٩ .

(٤) قوله — تخوى — بمعنى تحرز وتملك ، وقوله — تتشعب — بمعنى

تتفرع وتختلف .

(٥) قوله — ضمهم — بمعنى جمعهم ، والهوى الميل .

(٦) بهذا التنبيه يتميز التضمين عن الأخذ والسرقعة .

كانت بُلْهَيْنِيَّةُ الشَّيْبَةِ سَكْرَةً فصحوتُ واستبدلتُ سِيرَةَ مُجْمَلٍ
 وقعدتُ أَنْتَظِرُ الْفَنَاءَ كَرَاكِبٍ عَرَفَ الْمَحَلَّ فَبَاتَ دُونَ الْمَنْزِلِ ^(١)
 البيت الثاني لمسلم بن الوليد الأنصاري — وقول عبد القاهر بن طاهر التميمي :
 إِذَا ضَاقَ صَدْرِي وَخَفَّتْ الْعِدَى تَمَثَّلْتُ بَيْتًا بِحَالِي يَلِيقُ
 فَيَا اللَّهَ أَبْلُغْ مَا أُرْتَجِي وَبِاللَّهِ أَدْفَعُ مَا لَا أَطِيقُ ^(٢)
 وقول ابن العميد :

وَصَاحِبٍ كُنْتُ مَغْبُوطًا بِصُحْبَتِهِ دَهْرًا فَعَادَنِي فَرْدًا بِلَا سَكَنِ
 هَبَّتْ لَهُ رِيحُ إِقْبَالِ فِطَارِهَا نَحْوَ السَّرُورِ وَأَلْجَانِي إِلَى الْخَزَنِ
 كَأَنَّهُ كَانَ مَطْوِيًّا عَلَى إِحْنٍ وَلَمْ يَكُنْ فِي ضُرُوبِ الشَّعْرِ أَنْشَدَنِي ^(٣)
 إِنْ السَّكْرَامُ إِذَا مَا أَسْهَلُوا ذَكَرُوا مَنْ كَانَ يَأْلَفُهُمْ فِي الْمَنْزِلِ الْخَشَنِ

(١) هما لأبي الحسن هبة الله بن صاعد المعروف بابن التلميذ ، والبلهنية رخاء العيش ، والمجمل المحسن في عمله والمترفق ، والفناء الموت ، ودون بمعنى قريب .
 (٢) البيت الأول لعبد القاهر بن طاهر المعروف بأبي منصور البغدادي ، وهو من كبار الشافعية ، والبيت الثاني المضمن لا يعرف قائله .
 (٣) الأبيات الثلاثة لمحمد بن الحسين المعروف بابن العميد ، والرواية الصحيحة — وصاحبها — لأنه معطوف على — زمانا — في قوله قبله :

أَشْكُو إِلَيْكَ زَمَانًا ظَلَّ يَعْرِكُنِي عَرَّكَ الْأَدِيمُ وَمَنْ يَعْدُو عَلَى الزَّمَنِ
 والمغبوط المسرور ، والسكن ما يسكن إليه ويستأنس به ، والإقبال قدوم الدنيا بالخير ، وقوله — أَلْجَانِي — مخفف أَلْجَانِي ، والإحن جمع إحْنة وهي العداوة ، وقد روى صاحب — معاهد التنصيص — هذه الأبيات للصاحب بن عباد .

البيت لأبي تمام^(١) وكقول الحريري :

على أني سأشده عند بيعي أضاعوني وأنى فتى أضاعوا^(٢)

المصراع الأخير قيل : هو للعرجي . وقيل : لأمية بن أبي الصلت ، وتام البيت :

ليوم كريهة وسداد ثغر^(٣)

ولا حاجة إلى تقديره لتام المعنى بدونه - ومثله قول الآخر :

قد قلت لما أطلعت وجناته حول الشقيق الغض روضة آس
:أعداره السارى العجول ترفقا ما في وقوفك ساعة من بآس^(٤)

المصراع الأخير لأبي تمام^(٥) وكقول الآخر :

كنّا معاً أمس في بؤس نكابدُه والعين والقلب منذ في قذى وأذى

(١) يعني البيت الأخير ، وقد نسبته ابن خلكان لإبراهيم بن العباس الصولي ، ولعله أخذه من أبي تمام .

(٢) هو للقاسم بن علي المعروف بالحريري على لسان غلامه أبي زيد حين عرضه للبيع ، وأى اسم استفهام أريد به التعظيم مفعول مقدم لأضاعوا ، يعني - أى فتى أضاعوا ، أى كاملاً من الفتيان .

(٣) اللام في قوله - ليوم - بمعنى - في - متعلقة بأضاعوا ، والكريهة الحرب ، وسداد الثغر سدّه على الأعداء بالخيال والرجال والثغر موضع الخفاة من فروج البلدان .

(٤) هما لأبي العباس أحمد بن إبراهيم المعروف بابن خلكان ، والوجنات جمع وجنة وهي ما ارتفع من الخدين ، والشقيق ورد أحمر أريد به الخلد على سبيل الاستعارة ، والغض الطرى ، والآس الريحان والمراد به العذار على سبيل الاستعارة ، والعذار الشعر الذى يحاذى الأذن ، والسارى السائر بالليل وصفه بذلك لاشتاله على مثل سواده ، والبأس الحرج مخفف بأس ، وهو مبتدأ مؤخر مجرور بمن الزائدة .

(٥) هو من قوله في مطلع قصيدة يمدح بها أحمد بن المعتصم :

ما في وقوفك ساعة من بآس تقضى حقوق الأربيع الأدراس

والآن أقبلت الدنيا عليك بما تهوى فلا تنسني إن السكرام إذا^(١)
أشار إلى بيت أبي تمام^(٢) ولا بد من تقدير الباقي منه لأن المعنى لا يتم بدونه .
وقد علم بهذا أن تضمين مادون البيت ضربان^(٣) .
وأحسن وجوه التضمن أن يزيد المضمن في الفرع عليه في الأصل بنكته ،
كالنورية والتشبيه في قول صاحب التحبير .

إذا الوهم أبدى لي لمأها وتفرها تذكرت ما بين العذيب وبارق
ويذكرني من قدّها ومدامعي تجرّ عوالينا وتجري السوابق^(٤)

(١) هما من قول بعض التجار للأمر بدر الدين بيلبك الخازندار ، وكان قد
أحضره إلى القاهرة فباعه فيها ، فارتفع أمره حتى صار أميراً ، وقوله — نكابه —
بمعنى نقاسيه ، والقذى يرجع إلى العين والأذى إلى القلب على اللف والنشر المرتب .
(٢) هو قوله :

إن السكرام إذا ما أسهلوا ذكروا من كان يالفهم في المنزل الخشن

(٣) ضرب لا يحتاج إلى تقدير باقي البيت لأن المعنى يتم من غيره ، كما في قول
الحريري ، وضرب يحتاج إلى تقديره لأن المعنى لا يتم إلا به ، كما في قول التاجر
(٤) هما لابن أبي الإصبع عبد العظيم بن عبد الواحد المصري صاحب — تحرير
التحبير — في البديع ، والوهم الخيال ، واللى سمرة الشفتين ، والتفر مقدم الأسنان ،
والعذيب وبارق موضعان ، ولسكنه أراد بالعذيب الشفة تصغير عذب ، وبالبارق الثغر
لأنه يشبه البرق ، وبما بينهما الريق ، على سبيل التورية ، وفي ذلك لف ونشر مرتب ،
وفاعل — يذكرني — يعود إلى الوهم ، والقذ القامة ، والتقدير ويذكرني من تبخر
قدّها وجريان مدامعي ، لأن هذا هو الذي يشبه بحر العوالى أى جرها وتجري
السوابق أى جريها ، وهو تشبيه ضمني ، وفي هذا لف ونشر مرتب أيضاً ، والعوالى
الرماح ، والسوابق الخيل .

المصرعان الآخرين لأبي الطيب^(١)

ولا يضر التغيير اليسير ليدخل في معنى الكلام ، كقول بعض المتأخرين في
يهودي به داء الثعلب :

أقول لمعشر غَلَطُوا وَغَضُّوا عن الشيخ الرشيد وَأَنْكَرُوهُ
: هو ابنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّنَائِيَا مَتَى يَضَعُ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُوهُ^(٢)
البيت لسحيم بن وثيل وأصله :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني^(٣)

تقسيم التضمين إلى استعانة وإيداع أورفو: وَرُبَّمَا سُمِّيَ تَضْمِينُ الْبَيْتِ
فَمَا زَادَ اسْتِعَانَةً ، وتضمين المصرع فما دونه تارة إيداعاً وتارة رَفْوَاً^(٤)
العقد : وأما العقد فهو أَنْ يُنْظَمَ نَثْرًا عَلَى طَرِيقِ الْاِقْتِبَاسِ^(٥).

(١) يعني قوله :

تذكرت ما بين العذيب وبارق بحر عوالينا وبحرى السوابق
والشاهد في أن أبا الطيب يريد بالعذيب وبارق موضعين ، فأراد بهما ابن
أبي الإصبع ما سبق على سبيل التورية ، ثم زاد عليه أيضاً تشبيه قدها ومدامعه بحجر
العوالى وبحرى السوابق .

(٢) هما لضياء الدين موسى بن مُلْهِمٍ في الرشيد عمر الفُوَيْ ، وقوله — غَضُوا —
بمعنى أَعْرَضُوا ، وقوله — جَلَا — صفة لمُحْذَوْفٍ تقديره — شَعَرَ جَلَاً وانكشف ، لأن
داء الثعلب — وهو القراع — يسقط شعر الرأس ، والمراد بالثنايا مقدم أسنانه لأنها
كانت بارزة ، والمراد بالعمامة عمامته التي يضعها على رأسه ، وهذا خلاف المراد منهما
في بيت سحيم .

(٣) سبق هذا البيت في الكلام على الإيجاز والإطناب والمساواة من الجزء الثاني

(٤) سبقت أمثلة لكل منهما في شواهد التضمين السابقة .

(٥) بأن يغير فيه تغيير كثير إذا كان قرأنا أو حديثاً أو يشار إلى أنه منهما ، ليخالف
بهذا طريق الاقتباس فيهما ، أما نظم غيرها فهو عقد مطلقاً .

أما عقد القرآن فكقول الشاعر :

أَنْلَنِي بِالَّذِي اسْتَقْرَضْتَ خَطًّا وَأَشْهَدُ مَعْشَرًا قَدْ شَاهَدُوهُ
فَإِنَّ اللَّهَ خَالِقَ السَّبَرَايَا عَنَتُ لِحَالِ هَيْبَتِهِ الْوَجُوهُ
يقول : إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاسْكُتُوا^(١)

وأما عقد الحديث فكما رُوِيَ للشافعي رضى الله عنه :

عُدَّةُ الْخَيْرِ عِنْدَنَا كَلِمَاتُ أَرْبَعٍ قَالَهُنَّ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ
: إِتَّقِ الشُّبُهَاتِ ، وَارْزُقْ مَا لَيْسَ بِعَيْنِكَ ، وَاعْمَلْ بِنِيَّةٍ^(٢)
عقد قوله عليه السلام « الحلال بَيْنَ الْحَرَامِ بَيْنَ وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ »
وقوله عليه السلام « ازهد في الدنيا يحبك الله » وقوله عليه السلام « من حسن
إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » وقوله عليه السلام « إنما الأعمال بالنيات »
وأما عقد غيرها فكقول أبي العتاهية :

مَا بَالُ مَنْ أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ وَحَيِّفَةٌ آخِرُهُ يَفْخَرُ^(٣)

عقد قول علي رضى الله عنه : وما لابن آدم والفخر ، وإنما أوله نطفة ،
وآخره جيفة .

(١) هي للحسين بن الحسن الواساني الدمشقي ، وقوله — أنلني — بمعنى
أعطاني ، وقوله — استقرضت — بمعنى استدنت ، والبرايا الخلائق جمع بَرِيَّةٍ ،
وقوله — عنت — بمعنى خضعت ، والشاهد في عقده ذلك من — ي —
٢٨٢ — س — ٢ .

(٢) هما لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ، وقيل : إنهما لأبي الحسن طاهر
ابن معوذ الأشبيلي ، والعمدة ما يعتمد الشيء ويقوم عليه ، والشبهات الموقعة في الاشتباه
لما ليس بحرام بَيْنَ وَلَا حَلَالٍ بَيْنَ ، وقوله — يعنك — بمعنى يهملك .

(٣) هما لإسماعيل بن القاسم المعروف بأبي العتاهية ، والبال الحال ، والنطفة ماء
الرجل أو المرأة ، وقوله — يفخر — بمعنى يباهى بنفسه حال من الموصول المضاف إليه .

وقوله أيضاً :

كفى حزنًا بِدِفْنِكَ ثم أنى
نفضتُ تراب قبرك عن يدياً
وكانت في حياتك لى عِظَاتٌ
وأنت اليوم أوْعِظُ منك حيّاً^(١)

قيل : عقد قول بعض الحكماء في الإِسْكَندَر لما مات : كان للملكُ أَمَسُ
أنطق منه اليوم ، وهو اليوم أوْعِظُ منه أَمَسُ . وقيل : هو قول المُؤَبَّد لما مات
قُبَاذُ الملك .

وقول الآخر :

يا صاحب البغى إن البغى مَصْرَعَةٌ
فَارْبَعٌ فَخَيْرُ فَعَالٍ للمرء أَعْدَلُهُ
فلو بغى جبل يوماً على جبلٍ
لأنذك منه أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ^(٢)
عقد قول ابن عباس رضى الله عنهما : لو بغى جبل على جبل لَدُكَّ الباغى .

وقول الآخر :

إِلْبَسْ جَدِيدَكَ إِنِّى لَأِيسُ خَلْقِي ولا جَدِيدَ لِمَنْ لا يَلْبَسُ اخْلُقَا^(٣)
عقد المَثَل — لا جديد لمن لا خَلَقَ له — قالته عائشة رضى الله عنها وقد
وهبت مالا كثيراً ، ثم أمرت بثوب لها أن يُرْقَعَ ، يُضْرَبُ في الحث على
استصلاح المال .

(١) هما لأبى العتاهية أيضاً في رثاء على بن ثابت ، والباء في قوله — بدفنك —
زائدة لأنه فاعل كفى ، وما بعد — ثم — في تأويل مصدر معطوف عليه .

(٢) لا يعرف قائلهما ، والبغى الظلم ، والمصرعة اسم مكان من — صرعه —
بمعنى طرحه على الأرض ، وقوله — اربع — بمعنى توقف وانتظر ، والفعال الفعل
الحسن ، وقوله — اندك — بمعنى انهدم .

(٣) هو لعدى بن زيد العبادي ، واخلق الثوب البالى يستوى فيه المفرد وغيره

الحل : وأما الحل فهو أن يُنْذَرُ نظم ، وشرط كونه مقبولا شيئان : أحدهما أن يكون سبكه مختاراً لا يتقاصر عن سبك أصله ، والثاني أن يكون حسن الموقع مستقراً في محله غير قلق^(١) وذلك كقول بعض المغاربة : فإنه لما قبحت فعلاته ، وحفظت نخلاته ، لم يزل سوء الظن يقفاده ، ويصدق توهّمه الذي يعتاده . حل قول أبي الطيب :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظُنُونُهُ وَصَدَقَ ما يعتاده من تَوَهُّمٍ^(٢)

وكقول صاحب - الوشى المرقوم في حل المنظوم^(٣) يصف قلم كاتب : فلا تحظى به دولة إلا فخرت على الدول ، وغنيت به عن الخيل والخيول ، وقالت : أعلى المالك ما يبني على الأقلام لا على الأسل . حل قول أبي الطيب أيضاً :

أعلى المالك ما يبني على الأسل^(٤)

وكقول بعض كتاب العصر في وصف السيف : أورثه عشق الرقاب نحولا ، فبكى والدمع مطر تزيد به الخدود مجولا . حل قول أبي الطيب أيضاً :

(١) الفرق بينهما أن الأول يرجع إلى اللفظ بأن يكون سجعاً ذا فقرات مستحسنة ، والثاني يرجع إلى المعنى بأن يكون مطابقاً لما تجب مراعاته في البلاغة .

(٢) قاله في الشكوى من سيف الدولة وسماعه لقول أعدائه ، وبعده :

وعادى محبيه لقول عدائِهِ وَأَصْبَحَ في ليل من الشك مظلم

(٣) هو ابن الأثير صاحب كتاب - المثل السائر .

(٤) هو من قوله :

أَعْلَى المالك ما يُبْنَى على الأسَلِ وَالطَّعْنُ عند مُحِبِّينَ كَالْقَبْلِ والأسل الرماح ، والقبل جمع قُبْلَةٍ وهي اللّثمة .

فِي الْخَلْدِ إِنْ عَرَمَ الْخَلِيطُ رَحِيلًا مَطَرُ تَزِيدَ بِهِ الْخُدُودُ مُجُولًا^(١)

التلميح : وأما التلميح فهو أن يُشَارَ إلى قصة أو شعر من غير ذكره^(٢).

فالأول كقول ابن المعتز :

أُزْرَى الْجِيرَةَ الَّذِينَ تَدَاعَوْا عِنْدَ سَيْرِ الْحَبِيبِ وَقْتَ الزَّوَالِ
عَلِمُوا أَنَّي مَقْسِيمٌ وَقَلْبِي رَاحِلٌ فِيهِمْ أَمَامَ الْجَمَالِ

(١) الخليط الخالط من الأحبة ، والمراد من المطر الدمع على سبيل الاستعارة ،
والحول بالحاء الجذب استعاره لشحوب الخلد ، وبالجميم مصدر — مجل — إذا أصاب
جلده نار فتتفط وهذا من حرارة الدمع .

هذا وليس في القرآن شيء من الحل خلافاً لابن أبي الإصبع في زعمه أن
قوله تعالى — ي — ١٣ — س — ٣٤ — (يَوْمَ لَوْ كَانَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ
وَتَمَائِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ) حل لقول امرئ القيس :

وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ

والحق أن هذا لا تصح نسبته إلى امرئ القيس ، وإنما هو مما نحل بعد الإسلام له

(٢) أى ذكر واحد من القصة والشعر ، ومثلها الإشارة إلى حديث أو آية
أو مثل أو مسألة علمية ، ومن ذلك قول الشاعر :

خُذُوا بِدَمِي هَذَا الْغَزَالَ فَإِنَّهُ رَمَانِي بِسَهْمِي مُقْلَتِيهِ عَلَى عَمْدِ
وَلَا تَقْتُلُوهُ إِنِّي أَنَا عَبْدُهُ وَلَمْ أَرْ خُرَّاقَتُهُ يُقْتَلُ بِالْعَبْدِ

وقول الآخر في الإشارة إلى المثل :

مَنْ غَاب عَنْكُمْ نَسِيْتُمُوهُ وَقَلْبُهُ عِنْدَكُمْ رَهِينُهُ
أَظُنُّكُمْ فِي الْوَفَاءِ مِمَّنْ صُحْبَتُهُ صَحْبَةُ السَّغِينَةِ

مِثْلُ صَاعِ الْعَزِيزِ فِي أَرْحُلِ الْقَوَى
مِثْلُ صَاعِ الْعَزِيزِ فِي أَرْحُلِ الْقَوَى
وقول أبي تمام :

لَحَقْنَا بِأَخْرَاهُمْ وَقَدْ حَوَّمَ الْهَوَى
لَحَقْنَا بِأَخْرَاهُمْ وَقَدْ حَوَّمَ الْهَوَى
فَرُدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ
فَرُدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ
نَضَّا أَصْوَاهَا صَبِغَ الدَّجَنَةَ وَأَنْطَوَى
نَضَّا أَصْوَاهَا صَبِغَ الدَّجَنَةَ وَأَنْطَوَى
قَوْلَ اللَّهِ مَا أَدْرَى الْإِسْلَامُ نَائِمٌ
قَوْلَ اللَّهِ مَا أَدْرَى الْإِسْلَامُ نَائِمٌ

أشار إلى قصة يوشع بن نون فتى موسى عليهما السلام واستيقافه الشمس ، فإنه رُي أنه قال الجبارين يوم الجمعة ، فلما أدبرت الشمس خاف أن تغيب

(١) هي لعبد لله بن المعتز ، وقوله — تداعوا — بمعنى دعا بعضهم بعضا للسير معه ، وصاع العزيز صَوَاعُهُ وهي مشربة كان يسقى بها ثم جعلت صاعا ، والعزير عزيز مصر في عهد يوسف ، والأرحل والرحال جمع رحل وهو ما يجعل على ظهر البعير كالسرج أو ما يستصحبه المسافر من الأثاث ، والقوم إخوة يوسف قال فيه للعهد ، والشاهد في إشارته بصاع العزيز إلى قصته المعروفة في — ي — ٧٠ — س — ١٢ (٢) ضمير أخراهم للأحبة الراحلين ، وقوله — حوم — بمعنى أدار ، والمراد بطيرها ما يتخالج فيها من الخواطر ، ووقع جمع واقع يعني أنها ساكنة غير متحركة ، ومبنى ذلك كله على تشبيه القلوب بالطير على سبيل الاستعارة بالكناية ، وإثبات التحويم لها تخييل وما عداه ترشيح .

(٣) الراغم الذليل استعير لليل ، والباء في قوله — بشمس — للتجريد ، والخدر المودج ، جرد بذلك من الشمس شمساً أخرى ظهرت من الخدر وهذا يتضمن تشبيهه بحبوبته بالشمس .

(٤) قوله — نضا — بمعنى أذهب ، والدجنة الظلمة ، وثوب السماء ظلمتها على الاستعارة ، وفي رواية — ثوب الظلام — والجزع كل ما فيه سواد وبياض .

(٥) قوله — ألت — بمعنى نزلت ، والركب المسافرين .

قبل أن يفرغ منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم ، فدعا الله فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم .

والثاني كقوك الحريري : وإني والله لطلما تلقيت الشتاء بكافاته ، وأعددت له الألهب قبل موافاته . أشار إلى قول ابن سكرة :

جاء الشتاء وعندي من حوائجه سَمِعْتُ إِذَا الْقَطَرُ عَنْ حَاجَاتِنَا حُدِّسَا
: كُنْ ، وَرَكِيسٌ ، وَكَانُونُ ، وَكَاسُ طَلَاً بعد الكباب ، وَكُسُ نَاعِمٌ ، وَرَكْسَا^(١)

وقوله أيضاً : بث بليلة نذافية . أو مأبه إلى قول النابغة :

فَبَثُّ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضَيْلَةً مِنَ الرُّقْشِ فِي أُنْيَابِهَا السَّمُّ نَاقِعٌ^(٢)

وقول غيره :

لَعَمْرُؤُا مَعَ الرَّمْضَاءِ وَالنَّارُ تَلْتَلِظِي أَرْقُ وَأُخْفِي مِنْكَ فِي سَاعَةِ الْكَرْبِ^(٣)
أشار^(٤) إلى البيت المشهور :

(١) هما لحمد بن عبد الله المعروف بابن سكرة ، والقطر المطر ، وقوله — حبس —

بمعنى منع ، والسكن البيت ، والكيس ضرة الدراهم ، وطلا مقصور طلاء وهي الخمر ، وكسا مقصور كساء وهو الثوب . والشاهد في ابتداء كل من السبع بالكاف وإشارة الحريري إليها بذلك

(٢) هو لزياد بن عمرو المعروف بالنابغة الذبياني ، وقبله :

وعيدُ أبي قابوس في غير كُنْهِهِ أتانِي ودونِي رَاكِسٌ والضواجم

وقوله — ساورتني — بمعنى أصابتني ، والضئيلة الحية الدقيقة والآفئ كلما كبرت صغر جسمها ، والرقش جمع رقشاء وهي الحية المنقطة بسواد وبياض ، والناقع الشديد خبر عن السم ، وقيل : الصواب نصبه .

(٣) هو لأبي تمام من نسيب له في بعض قصائده ، والرمضاء الأرض الحارة ،

وقوله — تلتظي — بمعنى تتوقد ، والأحفى الأشفق .

(٤) فيه تلميح أيضاً إلى قصته الآتية .

المُسْتَجِيرُ بِعَمْرٍو عِنْدَ كُرْبَتِهِ كَالْمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ^(١)
ومن التلميح ضرب يشبه اللغز، كما روى أن تميمياً قال لشريك النَّمِيرِ :
ما في الجوارح أحب إلى من البازي . فقال : إذا كان يصيد القطا . أشار التميمي
إلى قول جرير :

أنا البازي المطل على نَمِيرٍ أتيح من السماء لها انصياباً^(٢)
وأشار شريك إلى قول الطرماح :
تميمٌ بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت طرق المسكارم ضلت^(٣)

(١) ذكر السعد أن عمرا هو جَسَّاسُ بْنُ مُرَّةَ والحق أنه عمرو بن الحارث،
وكان جساس قد أرففه خلفه لما ركب ليلحق كَلْبِيَّاً، فلما طعنه وبه رمق قال له :
أَغْنَى بِجَسَّاسٍ مِنْكَ بَشْرَبَةً تَعَوَّدَهَا فَضْلاً عَلَيَّ وَأَنْعَمُ
فقال له جساس : تجاوزت الأحصَّ وشُبَيْثاً، ثم نزل عمرو فطعنه بسيفه، فله
علم أنه يريد الإجهاز عليه قال (المستجير بعمرٍو — البيت) وظاهر هذا أن البيت
الكلبي، وفي بعض روايات القصة ما يفيد أنه لغيره، وأنه يلح به إلى قصته
كبيت أبي تمام.

(٢) البازي طير من الصقور يتصيد، والمطل المشرف، وقوله — أتيح —
تمعنى هَيَّءَ وَقَدَّرَ، وضمير — لها — لنمير.

(٣) هو للطرماح بن حكيم، والطرق جمع طريق، والقطا واحده قطاة وهي
طائر في حجم الحمام، وقيل : إنه نوع من الحمام، وقوله — ضلت — من ضل الطريق
وضل عنه إذا لم يهتد إليه، يعنى أنها لو أرادت سلوكها لم تهتد إليها.

تمرينات على السرقات الشعرية وما يتصل بها

تمرين - ١

بين موضع الأخذ ونوعه وحكمه في قول عمرو بن معد يكرب :

والضَّارِبِينَ بِكُلِّ أَيْضٍ مُرْهَفٍ والطَّاعِنِينَ بِجَامِعِ الْأَضْغَانِ
قَوْمٌ تَرَى أَرْمَاحَهُمْ يَوْمَ الْوَعَى مَشْفُوقَةً بِمَوَاطِنِ الْكُتْمَانِ

وقول مسلم بن الوليد وأبي تمام بعده :

لَا يَسْتَطِيعُ يَزِيدُ مِنْ طَبِيعَتِهِ عَنِ الْمُرُوءَةِ وَالْمَعْرُوفِ إِخْجَامًا
تَعَوَّدَ بَسْطَ الْكَفِّ حَتَّى لَوَانَهُ ثَنَاهَا لِقَبْضٍ لَمْ تُجِبْهُ أَنْامِلُهُ

تمرين - ٢

من أى أقسام الأخذ غير الظاهر ما يأتي :

(١) قول أبي العتاهية :

إِنَّمَا النَّاسُ كَالْبَهَائِمِ فِي الرِّزْقِ قِ سِوَاةِ جَهْلِهِمْ وَالْحَكِيمِ

مع قول أبي تمام بعده :

فَلَوْ كَانَتِ الْأَرْزَاقُ تُجْرَى عَلَى الْحَبَى هَلَكُنْ إِذَنْ مِنْ جَهْلِهِنَ الْبَهَائِمُ

(٢) قول مسلم بن الوليد :

يَعْدُو عَدُوُّكَ خَائِفًا إِذَا رَأَى أَنْ قَدْ قَدَّرْتَ عَلَى الْعِقَابِ رَجَاكَ

مع قول أبي تمام بعده :

إِذَا سَيْفُهُ أَضْحَى عَلَى الْهَرَامِ حَاكِمًا غَدَا الْعَفْوَ مِنْهُ وَهُوَ فِي السَّيْفِ حَاكِمٌ

ميز بين الاقتباس والتضمن والعقد والحل والتاميح في الأمثلة الآتية :

(١) قوله تعالى — ي ٤١ س ٢٩ : (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) .

(٢) أشكو الأفارب لا يغيب جفاهمُ يبغى أذى صغيرهم وكبيرهم
هم يعلنون لدى اللقاء مودتي والله يعلم ما تسكن صدورهم

(٣) لم أنس موقفنا بكاطمة والعيش مثل الدار مسود
والدمع ينشد في مسايه هل بالطلول لِسائل رد

(٤) قول إبراهيم بن العباس الصولي : فأبدلوه آجالا من آمال . مع قول مسلم ابن الوليد قبله :

موف على مهج في يوم ذي رهج كأنه أجل يسعى إلى أمل
(٥) قول أبي الطيب :

ولم أر في عيوب الناس شيئا كنقص القادرين على التمام
مع قول أرسطو قبله : أعجز العجز من قدر أن يزيل العجز عن نفسه فلم يفعل .

(٦) قول أبي العلاء :

أفق إنما البدر المقنع رأسه ضلال وغى مثل بدر المقنع

(٧) قول أبي نواس :

بروحى غزال كان للناس قبلة وقد زرت في بعض الليالي مُصلا
ويقرأ في المحراب والناس خلفه ولا تقتلوا النفس التي حرم الله
فقلت : تأمل ما تقول فإنها فعالك يامن تقتل الناس عيناه

الفصل الثاني

مواضع التأنق في الكلام : ينبغي للمتكلم أن يتأنق في ثلاثة مواضع من كلامه ، حتى تكون أعذب لفظاً ، وأحسن سبكاً ، وأصح معنى ^(١) .

حسن الابتداء : الأول الابتداء ، لأنه أول ما يقرع السمع ، فإن كان كما ذكرنا أقبل السامع على الكلام فوعى جميعه ، وإن كان بخلاف ذلك أعرض عنه ورفضه ، وإن كان في غاية الحسن .

فمن الابتداءات المختارة قول امرئ القيس :
قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل ^(٢)

وقول النابغة :

كَلَيْنِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ ^(٣)

(١) عذوبة اللفظ بسلامته من التنافر ونحوه ، وحسن سبكه بسلامته من التعقيد ، وزيادة صحة المعنى بمطابقته لمقتضى الحال .

(٢) هو من قوله في مطلع معلقته :

قِفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ بِسَقَطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلٍ
والسقط منقطع الرمل حيث يندق ، واللوى الرمل المعوج الملتوى ، والدخول وحومل موضعان ، وقد روى الأصمعي العطف بينهما بالواو لأن — بين — لا يقع إلا على اثنين فصاعداً ، وعلى رواية الفراء يقدر — أى بين — أما كن لدخول فحومل . وإنما حسن هذا المطلع لأنه وقف فيه واستوقف ، وبكى واستبكى ، وذكر الحبيب والمنزل ، بلفظ مسبوك لاتعقيد فيه ولا تنافر .

(٣) هو لزياد بن عمرو المعروف بالنابغة الذبياني ، وقوله — كَلَيْنِي — أمر من وكل إليه كذا بمعنى سلمه إياه ، والناصب المتعب ، وقد فضل هذا المطلع على السابق وإن كان أقل منه معاني بأن شطريه متناسبان وألفاظه متلائمة .

وقول أبي الطيب :

أَتَظُنُّنِي مِنْ زَلَّةٍ أَتَعْتَبُ قَلْبِي أَرَقُّ عَلَيْكَ مِمَّا تَحْسَبُ^(١)

وقوله :

أَرَيْقُكَ أَمْ مَاءُ الْغَمَامَةِ أَمْ نَخْرُ بِفِيَّ بَرُودٌ وَهُوَ فِي كَبْدِي جَحْرُ^(٢)

وقوله :

فِرَاقٌ وَمِنْ فَارَقْتُ غَيْرُ مُدَمِّمٍ وَأُمٌّ وَمِنْ يَمَّمْتُ خَيْرُ مُيَمِّمٍ^(٣)

وقوله :

أَتُرَاهَا لِكثْرَةِ الْعُشَاقِ تَحْسَبُ الدَّمْعَ خِلْقَةً فِي الْمَآقِ^(٤)

وقول الآخر :

زَمُّوا الْجَمَالَ فَقُلْ لِلْعَاذِلِ الْجَانِي : لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ مِذْرَارِ أَجْفَانِي^(٥)

قبح الابتداء : وينبغي أن يحتنب في المديح ما يُتَطَيَّرُ به ، فإنه قد يتفاعل به

(١) الزلة الذنب ، وقوله — أتعبت — بمعنى ألوم ، وقوله — تحسب — بمعنى تظن ، ينكر أن يلومه على ذنبه إليه بهجره ونحوه لركة قلبه عليه .

(٢) هو لأبي الطيب أيضا ، والغمامة السحاب ، وبرود صيغة مبالغة أى شديد البرد ، والاستفهام في البيت من باب تجاهل العارف للتدله في الحب ، وريقك وما عطف عليه خبر مبتدأ محذوف تقديره — هو أى ماذقته ، وقوله — بفي برود — مبتدأ وخبر .

(٣) هو لأبي الطيب أيضا ، وفراق خبر مبتدأ تقديره — حالى فراق ، والأم القصد ، يعنى بذلك فراقه لسيف الدولة الحمداني حين غضب عليه وقصده لكافور بمصر .

(٤) هو لأبي الطيب أيضا ، وقوله — أتراها — بمعنى أظنها والاستفهام للتقرير ، والخلة الفطرة ، والمآق جمع موقٍ أو موق وهو مجرى الدمع من العين أى من طرفها مما يلي الأنف .

(٥) لا يعرف قائله ، وقوله — زموا الجمال — بمعنى شدوا الرحال عليها للسفر ، والعاذل اللائم في حبههم ، ومذرار الأجفان دمعها الغزير السيلان .

الممدوح أو بعض الحاضرين ، كما رُوِيَ أن ذا الرِّمَّةِ أنشد هشام بن عبد الملك قصيدته البائية :

ما بال عينك منها الماء ينسكب^(١)

فقال هشام : بل عينك .

ويقال : إن ابن مُقَاتِلِ الضَّرِيرِ أنشد الدَّاعِيَ العَلَوِيَّ قصيدته التي أولها :

مَوْعِدُ أَحِبَّابِكَ بِالْفُرْقَةِ غَدَ^(٢)

فقال له الداعي : موعد أحبابك ولك المثل السوء . وروى أيضاً أنه دخل عليه

في يوم مهرجان وأنشد :

لَا تَقُلْ بِشَرِّى وَلَكِنْ بِشَرِّيَّانَ غُرَّةُ الدَّاعِي وَيَوْمُ الْمَهْرَجَانِ^(٣)

فتطير به وقال : أعمى يبتدىء بهذا يوم المهرجان ! وقيل : بطحه وضربه خمسين

عَصاً وقال : إصلاح أدبه أبلغ في ثوابه .

وقيل : لما بنى المعتصم بالله قصره بالميدان وجلس فيه أنشده إسحاق الموصلي

(١) هو من قول غيلان بن عقبة المعروف بذى الرمة في مطلع له :

مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكِبُ كَأَنَّهُ مِنْ كَيْلِ مَقْرِيَّةٍ سَرِبُ

والكلبي جمع كَلِيَّةٍ أو كَلْوَةٍ وهما كليتان في الجسم لإفراز البول ، والمقريّة

المقطعة ، والسرب السائل ، وقيل : إن إنشاده كان لعبد الملك بن مروان .

(٢) هو مطلع أرجوزة لنصر بن نصر الخلواني ، وكنيته ابن مقاتل كما هنا ،

لكن الذى فى — مروج الذهب والصناعتين — أنها أبو المقاتل ، وهو يمدح بها محمد

ابن زيد الحسنى الداعى صاحب طبرستان ، والفرقة اسم من الفراق ، وقيل : إنه

مم موضع واسكنه يوم ذلك فتطير منه .

(٣) الغرة بياض الجبهة ، ويوم المهرجان أول يوم من فصل الخريف ، وهو من :

أعياد الفُرْس .

يَا دَارُ غَيْرِكَ الْبَلَى وَحَالِكَ يَأْلَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَبْلَاكَ^(١)
فتطير المعتصم بهذا الابتداء وأمر بهدم القصر .

ومن أراد ذكر الديار والأطلال في مدح فليقل مثل قول القُطَامِي :

إنا محيوك فاسلم أيها الطلل^(٢)

أو مثل قول أشجع السُّلَمِيِّ :

قَصْرٌ عَلَيْهِ تَحِيَّةٌ وَسَلَامٌ خَلَعَتْ عَلَيْهِ جَاهَهَا الْأَيَّامُ^(٣)

براعة الاستهلال : وأحسن الابتداءآت ما ناسب المقصود ، وبسمى براء
الاستهلال^(٤) كقول أبي تمام يهنيء المعتصم بالله بفتح عَمْوُورِيَّة ، وكان أهل التنجيم
زعموا أنها لا تفتح في ذلك الوقت :

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجَدِّ وَاللَّعِبِ^(٥)

(١) هو لإسحاق بن إبراهيم الموصلي ، والبلى مصدر — بلى الثوب — بمعنى
رث ، وقوله — ليت شعري — بمعنى ليت علمي جواب ما بعده من الاستفهام .

(٢) هو لميمر بن شَيْمٍ المعروف بالقُطَامِي في مطلع له :

إنا محيوك فاسلم أيها الطلل وإن بليت وإن طالت بك الطيلُ

والطلل الشاخص من الآثار ، والطيل مدى الدهر .

(٣) هو مطلع قصيدة لأشجع بن عمرو السلمي في مدح الرشيد ، وقوله — خلعت —

بمعنى طرحت . وفي رواية — ألفت .

(٤) هي أن يكون مطلع الكلام دالا على غرض المتكلم من غير تصريح

بل بإشارة لطيفة ، والحق أنها من المحسنات البديعية ، ولهذا يذكرها فيها كثير
من العلماء .

(٥) الإنباء مصدر — أنبا — بمعنى أخبر ، وحد السيف مقطعه .

بِيضُ الصَّفَاخِ لَأَسْوَدُ الصَّحَائِفِ فِي مُتُونِهِنَّ جَلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ^(١)

وقول أبي محمد الخازن يهنيء ابن عباد بمولود لبنته :

بُشْرَى فَقَدْ أَنْجَزَ الْإِقْبَالَ مَا وَعَدَا وَكَوْكَبُ الْمَجْدِ فِي أَفْقِ الْعُلَا صَعَدَا^(٢)

وقول الآخر :

أَبَشِّرْ فَقَدْ جَاءَ مَا تُرِيدُ أَبَادَ أَعْدَاءِكَ الْمُبِيدُ^(٣)

وكقول أبي الفرج السَّوَّى يرثى بعض الملوك من آل بُيُوتِهِ — أظنه^(٤)

فخر الدولة :

هِيَ الدُّنْيَا تَقُولُ بِمِلءٍ فِيهَا : حَذَارِ حَذَارٍ مِنْ بَطْشِي وَفَتْكِي^(٥)

وكذا قول أبي الطيب يرثى أم سيف الدولة :

نُعَسِدُ الْمَشْرِفِيَّةَ وَالْعَوَالِي وَتَقْتَلِنَا الْمَنُونُ بِلَا قِتَالٍ^(٦)

(١) ببيض الصفاخ السيوف والصفاخ جمع صفيحة وهي وجه كل شيء ممدد عريض ، وسود الصحائف الكتب ، والمتون الظهور ، وإنما نسب ذلك إليها لاعتماد حد السيف في القطع عليها .

(٢) هو لعبد الله بن محمد المعروف بأبي محمد الخازن ، والإقبال قدوم الدنيا بالخير ، والأفق الناحية استعير للعلا ، والمراد بكوكب المجد ذلك المولود على سبيل الاستعارة ، وبصعوده ظهوره ، وإضافته للمجد على معنى اللام .

(٣) لا يعرف قائله ، وقوله — أباد — بمعنى أهلك ، والمبيد المهلك وهو الله تعالى ، والجملة دعائية .

(٤) جاء في — يتيمة الدهر — أنه فخر الدولة على القطع .

(٥) هي ضمير القصة ، والدنيا مبتدأ خبره الجملة بعده والجملة خبر ضمير القصة ، وملء الشيء ما يملؤه ، وهذا كناية عن قولها ذلك جبهة بلا خفاء ، والبطش الأخذ بصولة وشدة ، والفتك مرادف له .

(٦) للمشرفية السيوف المصنوعة في مشارف الشام ، والعوالى الرماح ، والمنون المنية .

وَنَرْتَبِطُ السَّوَابِقَ مُقَرَّبَاتٍ وَمَا يُنَجِّينَ مِنْ خَبَبٍ اللَّيَالِي^(١)

حسن التخلص : الثاني التخلص ، ونعني به الانتقال مما شُبِّبَ^(٢) الكلام

به من تشيب أو غيره^(٣) إلى المقصود مع رعاية الملاءمة بينهما^(٤) ، لأن السامع يكون مترقباً للانتقال من التشيب إلى المقصود كيف يكون ، فإذا كان حسناً متلائماً الطرفين حرك من نشاط السامع وأعان على إصغائه إلى ما بعده ، وإن كان بخلاف ذلك كان الأمر بالعكس .

فمن التخلصات المختارة قول أبي تمام :

يقول في قُومٍ قومي وقد أخذت منا السُرى وخُطاً المهرية القود^(٥)

: أَمَطَّلَعَ الشمس تبغى أن تؤمَّ بناً فقلت : كلاً ولسكن مطلع الجود^(٦)

(١) السوابق الخيل ، والمقربات المدناة من البيوت لفرط الحاجة إليها أو للضن بها فلا ترسل إلى المرعى ، والخبيب ضرب من العد ولا يستفرغ الجهد استعير لليالي .
(٢) أي ابتدئ ، وأصل التشيب ابتداء القصيد بذكر أمور الشباب ، فاستعمل في مطلق الابتداء على سبيل المجاز المرسل .

(٣) التشيب النسب ، وغيره كوصف الخمر ونحوه مما كانت القصيدة تبدأ به .

(٤) الحق أن حسن التخلص بهذه الملاءمة يكون من الحسنات البديعية كبراعة الاستهلال .

(٥) قومس موضع متسع بين خُرَّاسَانَ وبلاد الجبل ، وقوله — أخذت — بمعنى أثرت ، والسرى السير باليسل ، والمهرية الإبل المنسوبة إلى مهرة ، والقود الطويلة الظهور والأعناق جمع أقود .

(٦) قوله — تؤم — بمعنى تقصد ، والشاهد في أنه أحسن التخلص بأن انتقل من مطلع الشمس إلى المدح بعد أن جعله مطلع الجود ، فكان في الانتقال من الأول إلى الثاني مناسبة من جهة أن كلا منهما مطلع لأمر محمود ، والمراد بمطلع الجود عبد الله بن طاهر الذي مدحه بهذه القصيدة .

وقول مسلم بن الوليد :

أَجِدْكَ مَا تَذَرِينَ أَنْ رُبَّ لَيْلَةٍ كَانَ دُجَاهَا مِنْ قُرُونِكَ تُنْشَرُ^(١)
سَهَرْتُ بِهَا حَتَّى تَجَلَّتْ بِغُرَّةٍ كَفَرَّةٍ يَحْيَى حِينَ يُذَكِّرُ جَعْفَرُ^(٢)

وقول أبي الطيب يمدح المغيث العجلي :

مَرَّتْ بِنَا بَيْنَ تَرَبَّيْهَا فَقَلَّتْ لَهَا : مِنْ ابْنِ جَالَسِ هَذَا الشَّادِنِ الْعَرَبَا^(٣)
فَاسْتَضْحَكَتْ ثُمَّ قَالَتْ : كَالْمُغِيثِ يُرَى لَيْثُ الشَّرَى وَهُوَ مِنْ عَجَلٍ إِذَا انْتَسَبَا^(٤)

(١) قوله — أجدك — بكسر الجيم وفتحها ولا يقال إلا مضافا ، وهو منصوب على نزع الخافض أى أجدك ، فإذا كسرت جيمه فهو استخلاف بالحقيقة ، وإذا فتحت فهو استخلاف بالبخت ، والدجى الظلمة ، والقرون خُصَل الشعر ، وقوله — تنشر — بمعنى تبسط وتمد ، وهذا من التشبيه المقلوب .

(٢) قوله — تجلت — بمعنى ظهرت وانكشفت ، والغرة بياض الجبهة ، والشاهد في تخلصه من النسب بالانتقال من غرة الصبح إلى المدح بعد أن جعل غرة الصبح كفرته ، فكان في الانتقال من الأول إلى الثانى مناسبة من جهة أن لكل غرة تشبه الأخرى ، والبيتان من قصيدة له في مدح جعفر بن يحيى البرمكى .

(٣) قوله — تربها — تثنية ترب وهو الصديق أو من وُلد معها ، والشادن ولد الظبية استعاره لمحبوبته .

(٤) قوله — كالمغيث — خبر مبتدأ محذوف تقديره أنا ، والشرى طريق في جبل سلمى كثيرة الأسد ، وعجل قبيلة المغيث وفيه تورية لأن معناه القريب ولد البقرة ، ولا يخفى أنها تورية باردة لا تليق بمقام المدح ، والشاهد في تخلصه من النسب إلى المدح بذلك الاستفهام وجوابه .

وقوله أيضاً :

خَلِيلِي مَالِي لَا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ فَمَنْ مِنْهُمْ الدَّعْوَى وَمَنِ الْقَصَائِدُ^(١)
فَلَا تَعْجَبَا إِنْ السُّيُوفَ كَثِيرَةٌ وَلَكِنْ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدٌ^(٢)

الاقتضاب : وقد يُنْتَقَلُ من الفن الذي شَبَّبه الكلام به إلى ما لا يلائمه ،
ويُسَمَّى ذلك — الاقتضاب — وهو مذهب العرب الأولى ومن يليهم من
المُخَضَّرِمين^(٣) كقول أبي تمام :

(١) المراد بالدعوى ادعاء الشعر وهو في الأصل مصدر — ادعى الشيء —
إذا زعم أنه له حقاً أو باطلاً .

(٢) المراد بسيف الدولة ممدوحه ملك حلب ، وفي ذلك تورية لأن معناه القريب
السيف الذي يناضل عن الدولة به ، والشاهد في تخلصه إلى المدح بجعله انفراداً بالشعر
كانفراد المدوح بكونه سيف الدولة .

(٣) المخضرمون الذين قالوا الشعر في الجاهلية والاسلام ، ومن الاقتضاب قولهم
في التخلص — دع ذا أو عد عن ذا — على أن من كان يسلك مذهب
التخلص كالمحدثين ، ومن ذلك قول زهير :

إِنَّ الْبَخِيلَ مَكُومٌ حَيْثُ كَانَ وَلَكِنْ سَكَنَ الْجَوَادُ عَلَى عَلَاتِهِ هَرِمٌ
كما أن من المحدثين من يذهب في الاقتضاب مذهبيهم ، كأبي تمام في قوله الآتي
— لورأى الله ... البيتين .

وقد اختلف في وقوع التخلص في القرآن ، فقيل : لا يقع فيه لأنه يقع في الغالب
متكلفاً والقرآن لا تنكف فيه ، وقيل : إنه قد وقع فيه ، كقوله تعالى في أول سورة يوسف
(أَلَمْ نَكُنْ مِنْ قَبْلِكَ مَكِينًا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ،
نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ
قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ، إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) فالسورة موضوعة لقصة يوسف ، وقد افتتحها

لو رأى الله أن في الشَّيبِ خَيْرًا جَاوَرَتْهُ الْأَبْرَارُ فِي الْخُلْدِ شَيْبًا^(١)
 كُلَّ يَوْمٍ تَبْدَى صُرْفُ اللَّيَالِي خُلُقًا مِنْ أَبِي سَعِيدٍ غَرِيبًا^(٢)

الاقتضاب القريب من التخلص: ومن الاقتضاب ما يقرب من التخلص^(٣)
 كقول القائل بعد حمد الله — أما بعد^(٤) قيل: وهو^(٥) فصل الخطاب، وكقوله^(٦)
 تعالى (هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَأْبٍ) أى الأمر هذا أو هذا كما ذكر^(٧)

بذكر القرآن، ثم تخلص إليها هذا التخلص. وقيل: إن الاقتضاب وقع في القرآن أيضاً
 كما سيأتى، لأن التخلص ليس إلا محسناً بديعياً، فلا يلزم من حسنه في الانتقال عدم
 صحة الاقتضاب، والقرآن لم يترك وادياً من أودية البلاغة إلا أخذ منه بنصيب.

(١) الأبرار المطيعون، والخلد الجنة، والشيب جميع أشيب بمعنى شائب.

(٢) صروف الليالي حوادثها، وأبو سعيد هو محمد بن يوسف الثغرى، والشاهد
 في انتقاله إلى المدح اقتضاباً من غير تخلص.

(٣) فى أنه لا يخلو من شيء من المناسبة والملاءمة.

(٤) إنما كانت اقتضاباً لأن الانتقال فيها من الحمد أو نحوه إلى غيره من غير
 ملاءمة، وقد أشبهت التخلص بسبب أنه لم يؤت بما بعدها فجأة من غير قصد إلى
 ربطه بما قبله على نوع من الربط، لأنها بمعنى — مهما يكن من شيء — بعد الحمد أو نحوه فإنه
 كان كذا وكذا، وهذا يفيد أن ما بعدها مرتبط بالحمد أو نحوه على وجه اللزوم.

(٥) أى — أما بعد — لأنه يفصل بها بين ما قبلها من حمد الله ونحوه وما بعده
 من المقصود، ويعنى فصل الخطاب الوارد فى — ي — ٢٠ — س — ٣٨ —
 فقد حمه عليه بعض المفسرين.

(٦) ي — ٥٥ — س — ٣٨.

(٧) يعنى أن هذا خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ محذوف الخبر، ووجه الربط فى
 ذلك أن الواو للحال، فتفيد مصاحبة ما بعدها لما قبلها برعاية اسم الإشارة المتضمن لمعنى
 عامل الحال وهو أشير، فالارتباط حاصل فى ذلك بالاسم الإشارة والواو معا.

وقوله ^(١) تعالى (هذا ذِكرٌ وإنَّ للمتقين لحسنَ مآبٍ) ونحوه قول الكاتب :
هذا باب ، هذا فصل .

حسن الانتهاء : الثالث الانتهاء ، لأنه آخر ما يعيه السمع ويرسم في النفس ،
فإن كان مختاراً كما وصفنا ^(٢) جبر ما عساه وقع فيما قبله من التقصير ، وإن كان غير
مختار كان بخلاف ذلك ، وربما أنسى محاسن ما قبله
فمن الانتهاآت المرضية قول أبي نواس :

فَيَقِيتَ لِلْعِلْمِ الَّذِي تَهْدِي لَهُ وَتَقَاعَسْتَ عَنْ يَوْمِكَ الْآيَّامِ ^(٣)
وقوله :

وَأِنِّي جَدِيرٌ إِذْ بَلَغْتُكَ بِالْمُنَى وَأَنْتَ بِمَا أَمَلْتُ مِنْكَ جَدِيرٌ

(١) ي — ٤٩ — س — ٣٨ ، وقيل : إن الاقتضاب المحض وقع في القرآن
كقوله تعالى — ي — ٣ — ١٧ س ٧٥ (أَيْحَسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ يَجْمَعَ عِظَامُهُ ، بَلَى
قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ) الآيات إلى قوله (لَا تُحْرَكْ بِهِ لِسَانُكَ لِيَتَعَجَّلَ بِهِ
إِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ) فلا ارتباط بين قوله (لا تحرك به لسانك . . .) وما قبله ،
ولكن هذا لا ينافي دخوله في الغرض المقصود من السورة ، كما أن الاقتضاب في
القصيدة لا ينافي دخول ما بعده في الغرض المقصود منها .

(٢) في أول هذا الفصل .

(٣) هو للحسن بن هانيء المعروف بأبي نواس من قصيدة له في مدح المؤمنين ،
وقوله — تهدي — بمعنى تدل ، وقوله — تقاعست — بمعنى تأخرت ، والمراد
بيومه يوم وفاته ، والشاهد في حسن الانتهاء في البيت باشتماله على ذلك الدعاء
المؤذن بالانتهاء .

فإن تولني منك الجميل فأهله وإلا فإني عاذر وشكور^(١)
وقول أبي تمام في خاتمة قصيدة فتح عمورية :

إن كان بين صرُوفِ الدهر من رَحِم موصولة أو ذِمَامٍ غسير مُقْتَضِبٍ^(٢)
فبين أيامك اللَّائِي نُصِرْتَ بها وبين أيام بدرٍ أقربُ النَّسَبِ^(٣)
أَبْقَتْ بنى الأصفر المَرَضِ كاسمهم صُفَرَ الوجوه وجَلَّتْ أوجهُ العَرَبِ^(٤)

براعة المقطع : وأحسن الانتهاءات ما آذن بانتهاء الكلام^(٥) كقول الآخر

بَقِيتَ بقاءَ الدهرِ يَا كَهْفَ أَهْلِهِ وَهَذَا دُعَاءٌ لِلْبَرِيَّةِ شَامِلٌ^(٦)

- (١) ها لأبي نواس أيضاً في مدح الخصب بن عبد الحميد المرادي ، والجدير المستحق ، والمنى ما يتمنى ويطلب ، وقوله — تولني — بمعنى تعطيني ، وقوله — فأهله — على تقدير فأنت أهله ، وحسن الختام في قوله — وإلا فإني عاذر وشكور — لأن قبول العذر يقتضي انقطاع الكلام ، والمراد شكور لعطاياه الماضية أو لإصغائه إلى مديحه .
- (٢) صرُوف الدهر حوادثه ، والرحم القرابة ، والذمام الحق ، والمقتضب المقطوع
- (٢) يعني بأيام بدر يوم غزوة بدر وما كان قبله وبعده من الأيام المتممة له .
- (٤) بنو الأصفر الروم ، والمراض صيغة مبالغة يعني أن صفرته كانت لمرض لا خلقة فيه ، والعرب تسمى الروم بنى الأصفر لبياضهم لما كان بين الشعوب من محاولة تنقيص بعضهم لبعض ، وحسن الختام في هذا البيت لأنه يفيد نهاية الفتح فيؤذن بانتهاء الكلام .

- (٥) بأن يكون لفظاً موضوعاً للدلالة على الانتهاء ولو في مجرى العرف والعادة ، كالدهاء والسلام ، ويسمى الانتهاء الذي يؤذن بذلك براعة المقطع .
- (٦) هو لأحمد بن عبد الله المعروف بأبي العلاء المعري أو لأبي الطيب ، وقد ذكر صاحب — معاهد التنصيص — أنه لم يجده في ديوانهما ، والسكف في الأصل الغار في الجبل والمراد به الملجأ على سبيل الاستعارة ، والبرية الخلق ، وإنما كان هذا دعاء شاملاً لهم لأن بقاءه سبب لصلاح حالهم .

وقوله :

فلا حَظَّتْ لك الهيْجاءُ مَرَجًا ولا ذاقَتْ لك الدنْيا فِرَاقًا^(١)
وجمیع فَوَاتِحِ السورِ وخواتمها وارْدَةً على أحسن وجوه البلاغة وأكملها ، يظهر
ذلك بالتأمل فيها مع التدبر لما تقدم من الأصول^(٢)
والله الموفق للخيرات .

(١) هو لأبى الطيب ، والخطاب لسيف الدولة ، والهيْجاءُ الحرب ، والسرج
الرحل وقد غلب استعماله للخيل .

(٢) لأن فَوَاتِحَها تدور بين تَحْمِيدَاتٍ ونداءات يقصد منها إيقاظ السامع لما يليق
إليه ونحو ذلك ، وخواتمها تدور بين أدعية ووصايا ونحوها مما يحسن الانتهاء به ،
كقوله تعالى في ختام س- ٢٣ (وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ)

تمريعات على مواضع التائق فى السلام

تمرين ١ —

بين المقصود من القصائد المجعل لها ما يأتى براعة استهلال :

- (١) المجدعوفى إذ عوفيت والكرم وزال منك إلى أعدائك السقم
- (٢) أما وهواها عذرة وتنصلاً لقد نقل الواشى إليها وأنحلاً
- (٣) حكم المنية فى البرية جارى ما هذه الدنيا بدار قرار

تمرين ٢ —

ميز بين الاقتضاب والنخلص فيما يأتى :

- (١) وبدا الصباح كأن غرته وجه الخليفة حين يمتدح
- (٢) كأنما قولنا للبائلى أدر سلافة قولنا للمزبدي هب
- (٣) هذا وكم لى بالجنينة سكرة أنا من بقايا شرهها مخمور
- (٤) فدع ذا وسلّ الهم عنك بجسرة ذمول إذا صام النهار وهجرا
- (٥) لولا الرجاء لمت من ألم النوى لكن قلبى بالرجاء موكل
- إن الرعية لم تزل فى سيرة عمرية مذ ساسها المستوكل

تمرين ٣ —

بين لم كانت الانتهايات الآتية براعة مقطع :

- (١) فما من ندى إلا إليك محله ولا رفعة إلا إليك تسير
- (٢) بقيت ولا أبقى لك الدهر كاشحاً فإنك فى هذا الزمان فريد
- (٣) عليك سلام نشره كلما بدا به يتعالى الطيب والمك يفتح

مباحث الجزء الرابع

الموضوع	الصفحة
الفن الثالث علم البديع :	٣
٢- تعريف علم البديع - ٣ - تقسيم المحسنات إلى معنوية ولفظية	
أقسام المحسن المعنوى :	٤
٤ - المطابقة أو الطباق -- ٧ - الطباق الظاهر والخبى -	
طباق الإيجاب وطباق السلب - ٩ - الطباق المسمى تديججا	
١١ - ما يلحق بالطباق - ١٣ - ما يخص من الطباق باسم	
المقابلة - ١٦ - مراعاة النظير أو التناسب - ١٨ - ما يسمى من	
التناسب تشابه الأطراف - ١٩ - إيهام التناسب - إرجاع التفويف	
إلى التناسب والمطابقة - ٢١ - الإحصاء أو التسميم - ٢٢ - المشاكلة	
- ٢٤ - الاستطراد - ٢٥ - إيهام الاستطراد - ٢٦ - المزوجة -	
العكس والتبديل - ٢٨ - الرجوع - ٢٩ - التورية أو الإيهام	
- ٣٣ - الاستخدام - ٣٤ - اللف والنشر - ٣٦ - الجمع	
- ٣٧ - التفريق - ٣٨ - التقسيم - ٣٩ - الجمع مع التفريق -	
الجمع مع التقسيم - ٤١ - الجمع مع التفريق والتقسيم - التقسيم	
بمعنيين آخرين - ٤٤ - التجريد - ٤٧ - المبالغة المقبولة	
- ٥٠ - المذهب الكلامى - ٥٢ - حسن التعليل - ٥٦ - ما يلحق	
بحسن التعليل - ٥٧ - التفريع - ٥٨ - تأكيد المدح بما يشبه الذم	
- ٦٠ - تأكيد الذم بما يشبه المدح - ٦١ - الاستنباع	
- ٦٢ - الإدماج - ٦٤ - التوجيه - ٦٦ - الهزل الذى يراد	
به الجد - تجاهل العارف - ٦٩ - القول بالموجب - ٧١ - الاطراد	
- ٧٣ - تمرينات على المحسنات المعنوية	

٧٧ أقسام المحسن اللفظي :

- ٧٣ - الجناس التام وأقسامه : - ٨٠ - الجناس المحرف
- ٨١ - الجناس الناقص - ٨٣ - الجناس المضارع واللاحق
- ٨٤ - جناس القلب - الجناس المقلوب المجنح والجناس المزدوج
- ٨٥ - ما يلحق بالجناس - ٨٧ - رد العجز على الصدر
- ٩٢ - السجع وأقسامه : - السجع المطرف - الترصيع
- ٩٣ - السجع المتوازي - شروط حسن السجع - ٩٥ - السجع القصير والطويل والمتوسط - سكون أعجاز الفواصل - الخلاف
- x في إطلاق السجع في القرآن والشعر - ٩٨ - التشطير - التصريع
- ٩٩ - الموازنة والمماثلة - ١٠٠ - القلب - ١٠١ - التشريع
- ١٠٣ - لزوم ما لا يلزم - ١٠٤ - أصل الحسن في القسم اللفظي
- ١٠٦ - تمرينات على المحسنات اللفظية .

١٠٨ خاتمة في فصلين يلحقان بالبديع :

- ١٠٩ - الفصل الأول - السرقات الشعرية وما يتصل بها
- ١١٠ - أقسام السرقة الظاهرة : النسخ أو الانتحال
- ١١٤ - الإغارة أو المسخ - ١١٩ - الإمام أو السلخ
- ١٢٤ - أقسام السرقة غير الظاهرة - ١٢٩ - ما يتصل بالسرقات
- ١٣٤ - السرقة الشعرية - ١٣٥ - التقسيم
- ١٣٨ - تقسيم
- ١٤٣ - السرقة الشعرية - ١٤٤ - السرقة الشعرية
- ١٤٨ - السرقة الشعرية - ١٤٩ - السرقة الشعرية
- ١٥٣ - السرقة الشعرية - ١٥٤ - السرقة الشعرية
- ١٥٨ - السرقة الشعرية - ١٥٩ - السرقة الشعرية
- ١٦٠ - السرقة الشعرية - ١٦١ - السرقة الشعرية

شاهي ابا اسد رسايف ابا

فهرس شواهد الايضاح

م م : راسخا

ابا اسد رسايف ابا

ترتيب قوافيها على ترتيب الشعراء

ابا اسد رسايف ابا

ابن الربيع - عبد الله بن العباس بن الفضل

ابن الربيع - عبد الله بن العباس بن الفضل

ابن دويده المغربي : لا يابج : ٤

ابن الشحنة - محمد بن محمد

ابن التليذ - هبة الله بن صالح

ابن سكرة - محمد بن عبد الله

ابن مقاتل - نصير بن نصر

أبو النجم - الفضل بن قدامة

أبو الطيب - أحمد بن الحسين

أبو تمام - حبيب بن أوس

أبو عطاء الخراساني - أفلح بن يسار

أبو ذؤيب الهذلي - خويلد بن خالد

أبو العلاء المعري - أحمد بن عبد الله

أبو صخر الهذلي - عبد الله بن مسلم

أبو الصلت - عبد الله بن أبي ربيعة

أبو والله بن خليفة السديسي : ١٣٢ ج ٢ :

أبو العيال بن أبي عميرة الهذلي : ١٣٢ ج ٢ :

أبو بكر الخوافي - محمد بن العباس

أبو عيسى - عبد الله بن عمر بن العباس

أبو طالب الرقي : ١٩ ج ٣ : ميشق

أبو بكر الخوافي - محمد بن هاشم

(الألف)

إبراهيم بن أبي الفتح - ابن خفاجة

الأندلسي : ٣٧٧ ج ٣ : الما - ١٧ ج ٤ -

الأس

إبراهيم بن العباس الصولي : ٤٠ ج ٤ : أبدا

أبو إسحاق إبراهيم الغزي : ١١٥ ج ٤ :

وحاجبا

إبراهيم بن هرمة : ١٧٩ ج ٣ : أعجم - الأجل

إبراهيم بن هلال - أبو إسحاق الصابي

٤٧ ج ٣ : تسكب - ٢٥ ج ٤ -

المحمودا

ابن بابك - عبد الصمد بن منصور

ابن المعتز - عبد الله بن المعتز

ابن البواب - عبد الله بن محمد

ابن الرومي - علي بن العباس

ابن الراوندي - أحمد بن يحيى

ابن نباتة السعدي - عبد العزيز بن عمر

ابن ميادة - الرماح بن أبرد

ابن لشكك - محمد بن محمد

ابن طباطبا - محمد بن أحمد

ابن شرف - محمد بن سعيد

ابن رشيق - الحسن بن رشيق

ابن حيوس - محمد بن سلطان

ابن زيدون - أحمد بن عبد الله

المصطفى — ٣٨ — الغزال — ٥٥ ،
 ٤٢ ج ٤ — غزالا — ٧٠ ج ٣ —
 السكراكب — ٧٣ — حياء —
 ١١٠ — يرعد — ١١٦ — الجمال
 — أنظر — ١٢٥ — الدراهم —
 ١٤٣ — المشرق — ١٤٤ — الأسد
 — ١٧٩ — النحول — ١٨٠ — ملام
 — ٨ ج ٤ — خمولا — ١٢ — مجرم — ١٥ —
 مدبر — بي — ٢٧ — مجده — الأعمار
 — ٣٩ — والبيع — ٤١ — مرد — ٤٧ —
 الحال — ٤٨ — أركب — ٤٩ — لأمكنا
 — ٥٢ — الرخصاء — ٥٤ — الذناب
 — ٥٧ — للتشيع — ٦١ — خالد — ٦٢ —
 الذنوبا — ٩٩ — ظرف — ١٠٤ —
 مغيب — ١١٦ — بخيلا — ١١٨ —
 سبلا — غادى — ١١٩ — العذاب
 — ١٢٠ — الجهام — ١٢١ —
 السهاد — ١٢٢ — خرصانا — ١٢٣ —
 يطعننا — ١٢٤ — كامل — ١٢٥ — خضاب
 — ١٢٦ — مغمد — ١٢٧ —
 أعدائه — بسؤال — ١٤١ — كالقيل
 — ١٤٢ — مجولا — ١٤٩ —
 تحسب — جمر — ميمم — المآقي — ١٥٢ —
 قتال — ١٥٤ — العربا — ١٥٥ —
 القصائد — ١٥٩ — فراقا
 بديع الزمان الهمداني — أحمد بن الحسين
 ٧٥ ج ٣ : الذهبيا — ٦٠ ج ٤ —
 الويل — ١٣١ — أخيراً

أبو فراس — أبو الجارث بن أبي العلاء
 الحمداني : ٩٩ ج ٤ : المعالي
 أبو دلامة — زند بن الجون
 أبو العباس الناشي : ٢٠ ج ٤ : كالتبر
 أبو الفتح — علي بن محمد البستي
 أبو الشيمص — محمد بن رزين الخزاعي
 أبو القاسم بن الحسن الكاظمي : ١٣٢
 ج ٤ : جميل
 أبو العلاء بن أوزق : ١٣٣ ج ٤ : راجعونا
 أبو محمد الخازن — عبد الله بن محمد
 أبو الفرج السامري : ١٥٢ ج ٤ : وقتكي
 الأبيرد بن المعذر اليربوعي : ١١٢ ج ٤ :
 القطر
 الأبيوردي — محمد بن أحمد
 أحمد بن إبراهيم — ابن خلكان : ١٣٦
 ج ٤ : آس
 أبو الطيب المتنبي — أحمد بن الحسين
 الجعفي السكندري : ١٠ ج ١ : النسب
 — ١٦ — شواهد — ٥٥ — والجداد
 — ١٠٩ — ناراً — ١٢٤ —
 مشبه — غربه — ١٢٥ — شجھوا
 — ١٢٩ — السفن — ١٦٠ —
 المنتهد — ٤١ ج ٢ — الأولاد
 — ١٠١ — وساقا — ١٣١ —
 شعوب — ١٤٥ — الهرم — ١٥٧ —
 عادمه — لي — ١٦٢ — هبوبا
 — ١٦٤ — فانيا — ١٦٥ —
 جهنما — ١٤ ج ٣ — ناقبا — ٣٠ —

- أبو العلاء المعري — أحمد بن عبد الله : ٨٢
 ج ١ : السكدر — ١٠٧ — جماد —
 ١٨٣ — أثرى — ٢٠١ — دخان
 — ٩٨ ج ٢ — غرضا — ١٣ ج ٣
 المتطاول — ١٨١ — دماها —
 ٨٠ ج ٤ — الشعر — ٩١ — الخصر
 — ١٠٣ — آسن — ١٢٥ —
 اللطم — ١٥٨ — شامل
 ابن زيدون — أحمد بن عبد الله — ٢٠
 ج ٤ : أطع
 أحمد بن محمد الصنوبري : ١٦ ج ٣ :
 تصعد — ند — ٢٨ — تمط
 القاضي الأرجاني — أحمد بن محمد : ٦ ج ٤ :
 الغنى — ٥٠ — أجفاني — ٧٠ —
 العظاما — ٨٩ — دعاني — ٩٠
 — فلاح — ١٠١ — تدوم —
 ١١٧ — مودعي
 أحمد بن محمد الأنطاكي — أبو الرقعمق
 ٢٢ ج ٤ : وقيصا
 أحمد بن محمد — ابن ثوابة : ٥٥ ج ٤ :
 بتأنيها
 ابن الراوندي — أحمد بن يحيى : ١٣٦
 ج ١ : مرزوقا
 الأحوص بن محمد الأنصاري : ١٣٠
 ج ٤ : المقابر
 أحيحة بن الجلاح : ٢٦ ، ٦٥ ج ٣ :
 نورا
 الأخطل — غياث بن غوث
 الأخنس بن شهاب : ١١٤ ج ٤ : سبائب
 الأخيطل الأهوازي : ٢٩ ج ٣ : معتدل
 — ٣٠ — مرتحل
 أرطاة بن سبية : ٤٦ ج ٤ : الأمد
 إسحاق بن إبراهيم الموصلي : ١٥١ ج ٤ :
 أبلاك
 الصاحب — إسماعيل بن عباد : ٢٠ ج ٣ :
 مشتاقه — ٤٦ — بالسجزي — ٤٧
 — الأور — ٢٣ ج ٤ — يتعamy
 — ١٣٢ — فداره
 إسماعيل بن القاسم — أبو العتاهية
 ١٢٩ ج ٢ : فقف — ٢٧ ج ٤ —
 مفسده — ١٣٩ — يفخر —
 ١٤٠ — يديا
 أسماء بن خارجة الفزاري : ١٣٨ ج ٢ :
 أغضب
 أسيد بن عتقاء الفزاري : ١٧ ج ٤ :
 البدر
 أشجع بن عمرو السلي : ١٢١ ج ٤ :
 والإظلام — ١٢٢ — قائل —
 ١٢٣ — أوسع — ١٥١ — الأيام
 الأعشى — ميمون بن قيس
 الأعور الشني — بشر بن منقذ
 الأعرابي — زياد بن يزيد
 الأفوه الأودي — صلاة بن عمرو
 أمامة الخثعمية : ٧٢ ج ١ : يلوم
 امرؤ القيس — حنذج بن حجر
 أوس بن حجر : ٩٦ ج ١ — سمعا —

(الجم)

جار الله — محمود بن عمر الزمخشري
جرير بن عطية : ١٥٤ ج ١ : بنائم — ٦٦
ج ٢ — راح — ١٢٥ ج ٤ —
والخمار — ١٢٦ — غضابا —
١٤٥ — انصبابا

المتملس — جرير بن عبد المسيح : ٧٩
ج ١ ، ٣٨٠ ج ٤ : والوند — ١٦٣
ج ١ ميسما
الخطيئة — جرويل بن أوس : ٧٨ ج ١ :
شدوا — ٤٢ ج ٢ — سعد — ١٥٨ —
يحمد — ١٠٣ ج ٣ — مشافره — ١٢٩
ج ٤ — المهند

جعفر بن علبة الحارثي : ٨٧ ج ١ : موثق
جميل بن معمر : ٥٤ ج ١ : تكون
جندب بن عمار : ١٠٠ ج ٢ : وأجرت

(الحاء)

حاتم الطائي : ١٨٠ ج ١ : مقدا — ١١٤
ج ٤ — خيمها

الحارث بن حلزة اليشكري : ١٣١
ج ٢ : كدا
الحارث بن ضرار النهشلي : ١٦٦ ج ١ :
الطوايح

الحارث بن هشام : ٧٣ ج ١ : مزيد
الحارث بن ويلة الجرهمي : ٨٨ ج ١ : سهمي
أبو تمام حبيب بن أوس الطائي : ١٢ ج ١ :
وحددي — ١٢٥ — الأيادي —
١٥٢ — عواسل — ٨٤ ج ٢ — كريم —

١٣٨ ج ٢ — يمينجر — ١١١ ج ٤ —
راسم جاهل — ٦٢

(الباء)

البحري ^{بني} الوليد بن عبيد
بديع الزمان الهمداني — أحمد بن الحسين
بشار بن برد : ٤٠ ج ١ : الهجير —
٧١ ج ٢ — ولداني — ١٢٣ ج ٢ —
٧٥ ج ٣ — سواد — ٢٦ ، ٧٠ ج ٣ —
٧٥ ج ٣ — كواكب — ١٤٣ — الفلسكا —
٥٤ ج ٤ — نم — ٦٤ — قباء —
١١٥ ج ٤ — اللبح — ١١٧ — أحيانا
١٢١ ج ٤ — البصل

بشر بن أبي خازم : ١٧١ ج ١ : مداها
الأعور الشني — بشر بن منقذ : ١٥٠ ج ٣ :
مقاديرها — ١١٤ ج ٤ — خيمها
أبو بكر بن النطاح : ٢٠١ ج ١ : الدهر
— ١٢٣ ج ٤ — ورائكا

(التاء)

تأبط شرا — ثابت بن جابر
التخاسم — تماضر بنت عمرو : ١٩٤ ج ١ :
الجيل — ١٥٤ ج ٢ — نار — ٨٢ ج ٤ :
— الجوايح — ٩٧ — وضرار — أفضل
تميم بن مقبل : ١٦٧ ج ٢ : أكدح
(الثاء)

تأبط شرا — ثابت بن جابر : ١٨٨ ج ١ :
بطان

- الحسن بن وهب : ٣٩ ج ٣ : الحداد
 أبو نواس - الحسن بن هاني : ٥٩ ج ٢ :
 نظرا - ٧٥ - أساموا - ١٠٣ -
 جندی - ٦٧ ج ٣ - أعسرا - ٧٤ -
 فيها - ١٨٣ - بصير - ٤٩٩ ج ٤ - تخاق
 - ٦٦ - للضب - ١١٢ - تدور
 - ١١٣ - شأوا - ١٢٦ - واحد
 - ١٥٧ - الأيام - جدير
 الحسين بن الحسن الواساني : ١٣٩ ج ٤ :
 شاهدوه
 الحسين بن عبد الله الغزي : ٦٨ ج ٤ : البشر
 حسان بن ثابت الأنصاري : ٧٨ ج ١ :
 أغبر - ١٥٣ - وماء - ٤٠ ج ٤ -
 نفقوا
 النابغة الجعدي - حسان بن قيس : ٤٩
 ج ٣ : لباسا - ٥٩ ج ٤ - باقيا
 حطان بن المعلى : ١٥ ج ١ : يرضى
 الخطيئة - جرويل بن أوس
 امرؤ القيس - حندج بن حبر الكندي
 ٦ ج ١ : ومرسل - ٦٩ - الرحل - ١٤٣ -
 ترقد - ٦٥ ، ٦٨ ، ١٢١ ج ٢ -
 أغوال - ٧٤ - بأمثل - ١١٨ -
 الطالي - المتفضل - ١١٩ -
 المثقب - ١٢١ - روان -
 ١٣٨ - جرجرا - ١٥٥ - يشقب
 - ١٥٦ ج ٢ - ٦٥ ج ٣ - بدخان -
 ٣٠ ج ٣ - عل - ٥٢ ، ٥٥ -
 البالي - ٥٦ - القطر - ٧٦ -
 ١٧٠ ج ٢ ، ١٢٠ ج ٤ - ناهد - ٣٩ ج ٣
 مسود - يتجدد - منزل - ١٢ شمائل
 ٥٤ - تصور - ٦٠ - يخب - ٧٤ - تطلع
 ٧٥ - ذوابل - ١٤٢ - السماء - ١٦٢
 بكاني - حامد - ٧ ج ٤ - ١٦٠ - ذوابل
 ٩ - خضر - ١٢ - سودا - ١٣ - أنفع -
 المال - ٢٢ - المنزل - ٣٨ - مانل
 ٤٣ - الفجار - ٥٣ - المعالي - ٥٦ -
 هامع - ٧٧ - السكتائب - ٧٨ - الله
 ٨١ - ٨٥ - قواضب - ٨٥ - نجد -
 ٨٨ - المضاع - مغرما - ٩٢ - بر -
 ٩٧ - زندي - ٩٨ - مرتقب - ١١٢
 لمبعد - ١١٦ - ليخيل - ١١٨ -
 دليلا - البلاد - ١٢٠ - أنفع - ١٢٤
 يزعج - ١٢٧ - السماع - ١٢٨ -
 نواهل - ١٣٣ - راجعونا - ١٤٣ -
 وقع - ١٤٤ - السكر - ١٥١ -
 اللعب - ١٥٣ - القود - ١٥٦ - شيبا
 ١٥٨ - مقتضب
 حجل بن فضلة : ٤١ ج ١ : رماح
 الحريري - القاسم بن علي
 الحسن بن أحمد - ابن حجاج : ٧٠
 ج ٤ : الأيادي
 الحسن بن رشيق : ٦ ج ٤ : حجاج
 ١٨ - قديم
 الحسن بن عبد الله - أبو هلال العسكري
 ٥٣ ج ٤ : لسانه
 المهلب الويزر - الحسن بن محمد : ٢٧ ج ٣ :
 حاجب

(الراء)

رؤبة بن العجاج : ٥٤ ج ١ : همى —
١٥٢ — سماؤه

المرقش الأكبر — ربيعة بن سعد : ٥٥ ج ٢ : عثم .

ربيعة بن مقروم الضبي : ١٤٠ ج ١ :
المواعيدا — نقضيا — ١٥٧ — أنزل

ربيعة بن سعد (بضم الراء) : ٧٢ ج ٤ : شهاب
الشريف الرضى — محمد بن الحسين

ابن ميادة — الرماح بن أبرد : ١٦٥ ج ٢ :
فنكارمه — ١٤٩ ج ٣ — شمالكا

— ١٢٩ ج ٤ : المهند

(الزاي)

أبو دلالة — زند بن الجون : ١٠٥ ج ٣ :
باليدين — ١٤ ج ٤ — بالرجل

زهير بن أبي سلى : ١١٩ ، ١٥٦ ج ٢ :
يحطم — ١٣٣ ج ٢ ، ٤٣ ج ٤ —

عمى — ١٦٣ ج ٢ — خلقا — ١٠٥ ،
١٤٢ ج ٣ : قلم — ١٥٦ — رواحله

— ٢١ ج ٤ — يسأم — ٦٧ —
نساء — ١١١ — جاهل

زياد بن حمل : ٧٧ ج ٣ : حم

زياد بن سليمان الأعجم : ٦٠ ج ٣ : يفرق
— ١٨٢ — الحشرج — ٢٥ ج ٤ :

جرم

الناطقة الذبياني — زياد بن عمرو : ١١
ج ١ : فعل — ١٣٥ ج ٢ — واسع

— ١٥٨ — المهذب — ٢١ ج ٣ —
طائع — ٦٠ — كوكب — ١٤ ج ٤

تقل — ٧٨ — لاسحل — ١٢٩

بكلكل — ٤٩ ج ٤ — فيفسل —

٦٦ — بفعال — ٩١ — بخزان —

٩٩ — الخالى — ١١٣ — وتجمل

— ١٤٨ — لحومل

حندج بن حندج المرى : ١١٩ ج ٢ :
المراييل

(الخاء)

الخالدى — سعيد بن هاشم
خالد بن يزيد بن معاوية : ١١٧ ج ٢ :

أحجب

خداش بن زهير : ١٥٥ ج ١ : الحر
أبو عبد الله الخليلع الدمشقي : ٨٧ ج ٤ :

سكران

الخنساء — تماضر بنت عمرو
أبو ذؤيب الهذلى — خويلد بن خالد : ٦٩

ج ١ : تنفع — ١٥٥ ، ١٦٥ ج ٣ — تنفع
(الذال)

دريد بن الصمة : ٧٥ ج ١ : أبعد — ٧٢
ج ٤ — قارب

دعبل بن الخزاعى : ٣١ ج ٣ : خط —
١٢ ج ٤ — فبكي

ديك الجن — عبد السلام بن رغبان
(الذال)

ذو الرمة — غيلان بن عقبة
أبو المطاع ذو القرنين بن ناصر الدولة

١١٦ ج ٣ : فيباليها

صاحب التحبير — عبد العظيم بن

عبد الواحد

صالح بن عبد القدوس : ٥٨ ج ٣ : غرسه

الصلتان العبدى — قثم بن حبيبة

الافوه الاودى — سلامة بن عمرو : ١٢٨

ج ٤ : ستار

الصمة بن عبد الله القشيرى : ٨٨ ج ٤ :

عرار

(الضاد)

ضابى البرجمى : ١٥٩ ج ١ : لغريب

(الطاء)

طرفة — عمرو بن العبد

الطرماس بن حكيم : ١٢٤ ج ٤ : طائل —

١٤٥ — ضلت

طريح بن اسماعيل الثقفى : ٤٣ ج ٤ :

كذبوا

طريف بن تميم العنبرى : ١٧٢ ج ١ :

يتوسم

طفيل بن عوف الغنوى : ٥ ج ٢ :

فزلت — ١٢٦ ج ٣ — الرحل —

٦ ج ٤ — مبدول

(العين)

عامر بن الحارث النيرى : ١١٨ ج ٣ :

أنيس

العباس بن الأحنف : ١٥ ج ١ : لتجمدا —

٤٣ ج ٢ — رزقا — عشقا —

١٤٥ ج ٣ — جिला

العباس بن عبد المطلب : ١١ ج ٤ : تعلم

الاعاديا — ٥١ — مطلب — ٥٨ —

السكتائب — ١٤٨ — السكواكب

الاعرابى — زياد بن يزيد : ١٢٣ ج ٤ :

ذراعا

(السين)

سحيم بن وثيل : ١٤٢ ج ٢ : تعرفونى

السرى بن أحمد — السرى الرفاء : ٩٠

ج ٤ : ضريبا

سعد بن ناشب : ١١ ج ٣ : جانبيا

سعيد بن حميد : ١٤٥ ج ٣ : سحره

الخالدى — سعيد بن هاشم : ١٨ ج ١ :

مجتهد

سلم بن عمرو — سلم الخاسر : ١١٥ ج ٤ :

الجسور

سلامة بن جندل : ١٢١ ج ٢ : يمزق

السمومل بن عاديا — ١٦٢ ج ٢ : قتيلى

١٧١ ج ٢ : ٨٠ ج ٤ — نقول —

٢٥ ج ٤ : وسلول

سوار بن المضرب : ١٢٧ ج ٣ : التراب

السيد الحيرى : ٤٦ ج ٤ : فارسا

(الشين)

الشافعى — محمد بن إدريس

باليمين

الشيخ بن ضار : ١٧١ ج ٢ : ١٥٠ ج ٣ :

باليمين

الشنفرى — عمرو بن مالك

(الصاد)

الصاحب — اسماعيل بن عباد

عبد الجبار بن أبي بكر — ابن حمديس
الصقلي : ٧٧ ج ٣ : حافره ، ٤٩
ج ٤ — رفيق
عبد الرحمان بن حسان بن ثابت : ١٧٦
ج ١ : واصطناعها — ١٨٧ — حنبل
أبو منصور عبد الرحمان بن سعيد : ٩١
ج ٤ : يضرير
عبد السلام بن الحسين المأموني : ٥٤ ج ٤
ارتياحا
ديك الجن — عبد السلام بن رغبان
الحصى : ٢٠ ج ٤ : للبعالي
ابن بابك — عبد الصمد بن منصور
١٧ ج ١ : ومسمع — ١٣ ج ٣ —
يكل — ٢٠ — فأبصر — ٧٦ —
منتحل
ابن نبانة السعدي — عبد العزيز بن عمر
١٥٨ ج ٢ : أمل — ٥٣ ج ٤ —
الثريا — ٦٣ — عنده — ١١٥ —
حواجب
صاحب التحير — عبد العظيم بن عبد
الواحد : ١٣٧ ج ٤ : وبارق
عبد القاهر الجرجاني : ٥٦ ج ٤ : منتطق
عبد القاهر بن طاهر التيمي : ١٣٥
ج ٤ : يلبق
أبو الصلت عبد الله بن أبي ربيعة : ١٥٣
ج ٢ : محلا
عبد الله بن الدمينه : ١٣٧ ج ١ : بذلك
العجاج — عبد الله بن روبة : ٨ ج ١ :
١٠٢ ج ٣ : مسرجا — ٩٩ ج ١ —
قط — ٥٣ ج ٢ — رواجها
عبد الله بن الزبير الأسدي : ٦٥ ج ١ ،
١٠٣ ج ٢ : جلت — ٢٧ ج ٤ —
سودا — ١١٠ — يعقل
عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع
٧٥ ج ١ : الباقي — ٣٢ ج ٤ —
مريضنا
أبو عدي — عبد الله بن عمر العبلي
١٣٣ ج ٢ : كالآذنان
عبد الله بن عنمة الضبي : ١٣٨ ج ١ :
مقروب — ١٤٣ — موهوب
ابن البواب — عبد الله بن محمد : ٥٩
ج ١ : المثل
عبد الله بن محمد المهلب : ٩١ ج ٤ : يضرير
أبو محمد الخازن — عبد الله بن محمد .
١٥٢ ج ٤ : صعدا
أبو صخر الهذلي — عبد الله بن مسلم —
١١٩ ج ٢ : القطر — ٥ ج ٤ —
الامر
عبد الله بن كيسة : ٩٥ ج ٢ : عمر
عبد الله بن المعتز : ١٨٠٠ ج ١ : ملاح —
١٥٢ ج ٢ — رقيب — ١٦٠ —
وأرجل — ٢٧ ، ٥١٠ ج ٣ —
الاشل — ٢٨ — وانفتحا — ٤٢ —
اليواقيت — ٤٨ — الضراب —
٥٢ — الجلال — ٥٧ — قاتله —
٦٦ — جون — ٧١ — غاليه

عبد الجبار بن أبي بكر — ابن حمديس
الصقلي : ٧٧ ج ٣ : حافره ، ٤٩
ج ٤ — رفيق
عبد الرحمان بن حسان بن ثابت : ١٧٦
ج ١ : واصطناعها — ١٨٧ — حنبل
أبو منصور عبد الرحمان بن سعيد : ٩١
ج ٤ : يضرير
عبد السلام بن الحسين المأموني : ٥٤ ج ٤
ارتياحا
ديك الجن — عبد السلام بن رغبان
الحصى : ٢٠ ج ٤ : للبعالي
ابن بابك — عبد الصمد بن منصور
١٧ ج ١ : ومسمع — ١٣ ج ٣ —
يكل — ٢٠ — فأبصر — ٧٦ —
منتحل
ابن نبانة السعدي — عبد العزيز بن عمر
١٥٨ ج ٢ : أمل — ٥٣ ج ٤ —
الثريا — ٦٣ — عنده — ١١٥ —
حواجب
صاحب التحير — عبد العظيم بن عبد
الواحد : ١٣٧ ج ٤ : وبارق
عبد القاهر الجرجاني : ٥٦ ج ٤ : منتطق
عبد القاهر بن طاهر التيمي : ١٣٥
ج ٤ : يلبق
أبو الصلت عبد الله بن أبي ربيعة : ١٥٣
ج ٢ : محلا
عبد الله بن الدمينه : ١٣٧ ج ١ : بذلك
العجاج — عبد الله بن روبة : ٨ ج ١ :

على بن أحمد الجوهري : ٧ ج ٢ : تفكرا
على بن إسحاق الزاهي : ٤ ج ٤ : جاذرا
ابن الرومي — على بن العباس : ١ ج ٧٨ :
والسلم — ١٢٤ ج ٢ — وتعظيم
— ٨ ج ٣ — العطاء — ٣٢ — جبل
— ٤١ — سيل — الزناير — ٥٠ —
خنزير — ٦١ — المنال — ١٤٣ —
بدلا — ٣٥ ج ٤ — نجوم — ١٣٣ —
منعى

على بن فضالة القيرواني : ٧١ ج ٤ : الأعدى
القاضي التنوخي — على بن محمد : ١٨ ج ٣ :
ابتداع — ٢٠ — اتفاق — ٥٣ —
الرفعه
أبو الفتح — على بن محمد البستي : ٧٩ ج ٤ :
ذاهبه — لنا

عمر بن أبي ربيعة : ٤٣ ج ٤ : المقابر
عمر الخيام : ١٣٤ ج ٤ : همه
عمر بن علي المطوعى : ٧٩ ج ٤ : تهذيبا
ابن الشحنة الموصلي — عمر بن محمد ،
١١٧ ج ٤ : تعشق
عمرو بن امرئ القيس الخزرجي ،
١٥٩ ج : مختلف
عمرو بن الأبرم القفلي : ٤٨ ج ٤ : مالا
طرفة — عمرو بن العبد : ١١٤ ج ١ :
يلتقر — ٧ ج ٢ — محصد — ١٢٢ —
الأزر ١٣٢ — يدي — ١٥٩ — تهى —
١٧٧ ج ٣ — المتوقد — ١١٤ — وتجلى
عمرو بن كلثوم : ٩٦ ج ٣ : الجاهلينا

— الفتك — ١٢٦ — الضار —
١٢٧ — صدرى — ١٢٨ — كلزناير —
١٣٨ — السباحا — ٥٥ ج ٤ —
الوصب — ٦٢ — ورقة — ١٤٢ —
الزوال
عبد الله بن همام السلوى : ٢١٥ ج ٢ :
مالكا
عبيد الله بن عبد الله بن طاهر : ٦٣ :
ج ٤ : ونكرم
عبيد الله بن قيس الرقيات ، ٤١ ج .
الظلام
عبد بن الطبيب : ٧٦ ج ١ : تصرعوا —
٧٧ — غول
الراعى — عبيد بن حصين ، ١٨٠ :
ج ٣ : لأصبعها
أبو منصور الثعالبي — عبد الملك بن
منصور : ٨٩ ج ٤ : بلابل
عدى بن الرقاع : ٤٣ ج ٣ : أبلادها
عدى بن زيد العبادى : ١٣١ ج ٢ :
ومينا — ١٤٦ ج ٣ — نسجاها —
١٤٠ ج ٤ — الخلقا
عروة بن الورد : ١٥٤ ج ١ : يفوق —
١٣٠ ج ٢ — أعذرا
عقنان بن قيس بن عاصم : ١٠٤ ج ٣ :
مشقق
عكرمة العبسى : ١١٧ ج ٢ : قدر
علقمة بن عبدة — علقمة الفحل ١٤٢ ج ١ :
مشيب

- الشنفرى - عمرو بن مالك : ١٨٥ ج ٣ :
حلت
عمرو بن معديكرب : ٥ ج ٢ : أجرت
٣٥ - أنا - ١١٧ ج ٣ -
وجيع - ١٧٥ - الأضغان - ٢٢
ج ٤ - تستطيع
عمرة الخثعمية : ١١٤ ج ١ : كلاهما
القطامي - عمير بن شليم : ٥٣ ج ١ :
السياعا - ١٥٤ - الوداعا - ٧٢
ج ٢ - الصادى - ١٢٥ - الوادى -
٣٨ - زراد - ١٥١ ج ٤ - الطيل
عميرة بن جابر الحنفى : ٨٣ ج ١ : ١١٥
ج ٢ : يعنى
عمارة بن عقيل : ج ٢ : للثيم
عمران بن حطان : ٧ ج ٣ : الصافر
عنزة العيسى : ٦٩ ج ٣ : المتهب - ٢٠
ج ٤ - أنزل
عوف بن الأحوص : ٤٨ ج ١ : يستعيرها
عوف بن محم الشيبانى : ١٦٤ ج ٢ :
ترجمان
عياض بن موسى السبى : ٣٠ ج ٤ :
الخلل
عيسى بن خالد المخزومى : ٧٧ ج ٤ :
قتال
(الغين)
الأخطل - غياث بن غوث التغلبى : ٨٧
ج ٢ : بمقدار
- ذو الرمة - غيلان بن عقبة : ٩ ج ٢ :
مالا - ٤٦ - الجراشع - ١٥٥ -
المسلل - ٢٥ ج ٣ - وكرا -
٦٩ - ذهب - ٦٨ ج ٤ - سالم
٨٨ - قليلها - ١٥٠ - سرب
(الفاء)
الفرزدق - همام بن غالب
أبو النجيم - الفضل بن قدامة العجلي
١٠ ج ١ : الأجل - ٤٩ - ١٣٠
- تدعى
(القاف)
القاسم بن حنبل المرى : ٧٢ ج ١ : أضاءوا
الحريرى - القاسم بن على : ١٣٨ ج ٣ :
الشموسا - ٧٨ ج ٤ : مصابه - ٩٠ -
المثانى - ١٠٢ - الأكدار -
١٣٦ - أضاءوا
القاضى الأرجانى - أحمد بن محمد
القاضى التنوخى - على بن محمد
قتادة بن مسلة الحنفى : ٤٥ ج ٤ : كريم
الصلتان العبدى - قثم بن حبيبة : ٤٩
ج ١ : العشى
القطامى - عمير بن شليم
قطرى بن الفجاءة : ١٥٥ - ١٥٦ ج ١ :
الإقدام
المجنون - قيس بن الملوخ : ٣٩ ج ٣ :
الأصابع - ٥٥ ج ٤ - ليا - ٥٥ -
خياليا
القيصرانى - محمد بن نصر

الوأواء الدمشقي — محمد بن أحمد: ٢٧ ج ٤:

شككين

الأيوردي — محمد بن أحمد: ١٣١ ج ٤:

الأحساب

الشافعي — محمد بن إدريس: ١٣٩ ج ٤:

البريه

الشريف الرضي — محمد بن الحسين

١٢٩ ج ٢: تحف — ٧٨ ج ٣ —

تضع

ابن العميد — محمد بن الحسين: ١١٥ ج ٣:

نفسى — ١٣٥ ج ٤ — سكن

أبو الشيص — محمد بن رزين الخزاعي

١٣٧ ج ٤: اللوّم

ابن شرف — محمد بن سعيد القيرواني

٢١ ج ٢: المتندم — ٤١ ج ٤ — فن

ابن حيوس — محمد بن سلطان: ١٠ ج ٤:

الضلال — ٣٥ — وريقه — وردفا

محمد الشجاعى: ١٣١ ج ٤: أدبروا

أبو بكر الخوارزمي — محمد بن العباس

١٣ ج ٣: لما

محمد بن عبدالله بن كناسه: ٧٨ ج ٤: سبيل

ابن سكرة — محمد بن عبدالله: ١٤٤ ج ٤: حبسا

العتبي — محمد بن عبيد الله: ١٥٦ ج ٣:

أنطق — ١٢٤ ج ٤ — مذموم

ابن لنكك — محمد بن محمد لنكك: ٨ ج ٣:

الصّور — ١٠ — نمر

رشيد الدين الوطواط — محمد بن محمد بن

عبد الجليل: ٧٥ ج ٣: أفول — ٣٧ ج ٤ —

سبخاء — ٣٩ حرها

(الكاف)

كثير عزة — كثير بن عبد الرحمن: ٧٢

ج ٢: نقلت — ١٣٣ ج ٢: ١٢٨ ج ٣

— ماسح — ١٦٠ ج ٢ — لها — ١٤٠

ج ٣ — المال

كعب بن زهير: ١١٨ ج ٢: الأقاويل

— ١٣٨ — ذووها

كعب بن سعد الغنوي: ١٦١ ج ٢:

مهيب

كلثوم بن عمر العتاني: ٧٠ ج ٣: المباير

السكيت بن زيد الأسدي: ٥٧ ج ٤: الكلب

(اللام)

لمبيد بن ربيعة العامري: ١٠ ج ٣:

الودائع — ١٥٥ — زمامها

لقيط بن زرارة: ٦٥ ج ١: ثاقبه

ليلى بنت طريف: ٦٧ ج ٤: طريف

(الميم)

مالك بن ربيع: ١١٦ ج ٢: أحيد

مالك بن عويمر — المتنخل الهذلي:

٧٣ ج ١: غناه

المقابس — جرير بن عبد المسيح

المتنبى — أبو الطيب أحمد بن الحسين

محرز بن المكيبر الضبي: ١٠٩ ج ٤: لقاء

محمد بن أحمد بن سليمان العمرواني: ٤٣ ج:

الأوصاب

ابن طباطبا — محمد بن أحمد العلوي

الأصفهاني: ٢٠ ج ٣: وقوع — ١١٥ —

القمر

الأعشى — ميمون بن قيس: ١٦١ ج ١:
مهلا — ١٩٥ — عشارا — ١١٧ ج ٢:
- نعيم — ٢٩ ج ٣ — كرع — ١١٣
ج ٣ — ٤٦ ج ٢ — بخلا — ٤٥
ج ٤ — الرجل

(النون)

الناطقة الجمعدى — حسان بن قيس
الناطقة الذبياني — زياد بن معاوية
ناصر الدين بن عبد السيد — أبو الفتح
المطرزى: ٩٨ ج ٤: نضير
أبو الحسن نصر المرغيناني: ٨٩ ج ٤:
ذوائب
ابن مقاتل — نصر بن نصر الحلواني
١٥٠ ج ٤: غد — المهرجان
نصيب بن رباح: ١٧٨ ج ٣: ظاهره —
٤٣ ج ٤ — ندرى
النضر بن جؤية: ١٧٢ ج ١: منطلق

(الهاء)

ابن التلميذ — هبة الله بن صاعد
١٣٥ ج ٤: بحل
الهدلول بن كعب العبدي: ٨٠ ج ١:
المتقاعس
الفرزدق — همام بن غالب: ١٣ ج ١:
يقاربه — ٧٦ — وأطول — ٧٩ —
الجماع — ٢٣٥ ج ٢ — مثلى — ١٢٤ —
الحوارد — ١٠٣ ج ٣ — المشافر
٢٤٥ ج ٢ — يعطر — ٤٦ ج ٤ — لجار —
٣٦ — مغرم — ١١٤ — تعرف

الخالدى — محمد بن هاشم: ٦١ ج ٢: ومثالا
القيصراني — محمد بن نصر: ١٢٥ ج ٤: الترب
محمد بن وهيب: ٢٠١ ج ١، ١٠٩ ج ٢،
٣٧ ج ٤: والقمر: — ٤٤ ج ٣ —
يمتدح — ٨٦ ج ٤ — واطر
جار الله — محمود بن عمر الزخشرى
١١٧ ج ٤: سمطين
المرقش الأكبر — ربيعة بن سعد
مروان بن أبي حفصة: ٨٨ ج ١: أشبل
— ٩٠ — حاجب

مساور بن هند العيسى: ١٠٢ ج ٢: إلأف
مسكين الدارمي: ١١٦ ج ٢: لأب
مسلم بن الوليد: ١٣٢ ج ٣: الجود —
٥٦ ج ٤ — الفرق — ١٥٤ — تنشر
مضرس بن ربهى: ١٢٤ ج ٣: السريجا
معاوية بن مالك — معبود الحكيم
٣٤ ج ٤: غضابا

المعتمد بن عباد: ٨٢ ج ٤: والسناء
المعذل بن عبد الله الليثي: ١١٤ ج ١: المغاليا
المعذل بن غيلان: ١٧٠ ج ٢، ١١٩ ج ٤: الفقر
معن بن أوس: ١١١ ج ٤: أول
المغيرة بن عبد الله — الأقيشر الأسدي
٢٦ ج ١، ٨٧ ج ٤: بسريع
منصور الهروي: ١٣٤ ج ٤: تشعب
المهلبى الوزير — الحسن بن محمد
نهيان الديلمي: ٢٣٣ ج ٢: الآكل
ضياء الدين مولى بن محمد: ٢٣٨ ج ٤:
وأنكره له — ٦٦ —

اليزيدي : ٨٨ ج ٢ : غاربي

شعراء مجهولون

- ١٢ ج ١ : قبر - ١٧ - خيار - ٥ - ٤٠ -
 الفدا - ٥٧ - صفر - ٦٥ ج ١ -
 ٩٨ ج ٢ - طويل - ١٠٨ ج ١ -
 سيوف - ١٣٩ - أناك - ١٤٩ -
 منزلي - ٩٦ ج ٢ - تيم - ١٠٠ -
 تنجلى - ١١٨ - ميعاد - ١١٩ -
 نصرا - ١٢٢ - رقا - ١٦١ -
 مزيد - ١٦٣ - الكشف - ١٦٤ -
 قدرا - ١١ ج ٣ - الذباب - ٣٣ -
 تجلت - ٥٥ - كالليالي - ٩٧ -
 سحابة - ٩٨ - النشر - ١١٩ -
 والإيماننا - ١٢٣ - خصل - ١٢٩ -
 الدعص - ١٣٩ - إيقاظا - ١٤١ -
 بكر - ١٧٧ - ظهورا - ١٧٨ -
 الفصيل - ١٨٢ - نظامه - ١٨٧ -
 كلامها - ١٨٨ - تيم - ٨ ج ٤ -
 خلقوا - ١٤ - غادر - ٢٩ - لاهله -
 ٣٢ - ملايسا - ٣٨ - الكبد - ٤٠ -
 المرحل - ٥٠ - العجب - ٨٩ -
 سلسليل - ٩٧ - متورعا - ١١٢ -
 لمعيد - ١١٣ - شاموا - ١٢٠ -
 والعنبر - ١٣٦ - وأذى - ١٤٠ -
 أعدله - ١٤٩ - أجفاني - ١٥٢ -
 الميميد

(الواو)

الوليد بن حنيفة - أبو حزابة : ٩٤
 ج ٣ : إكافا

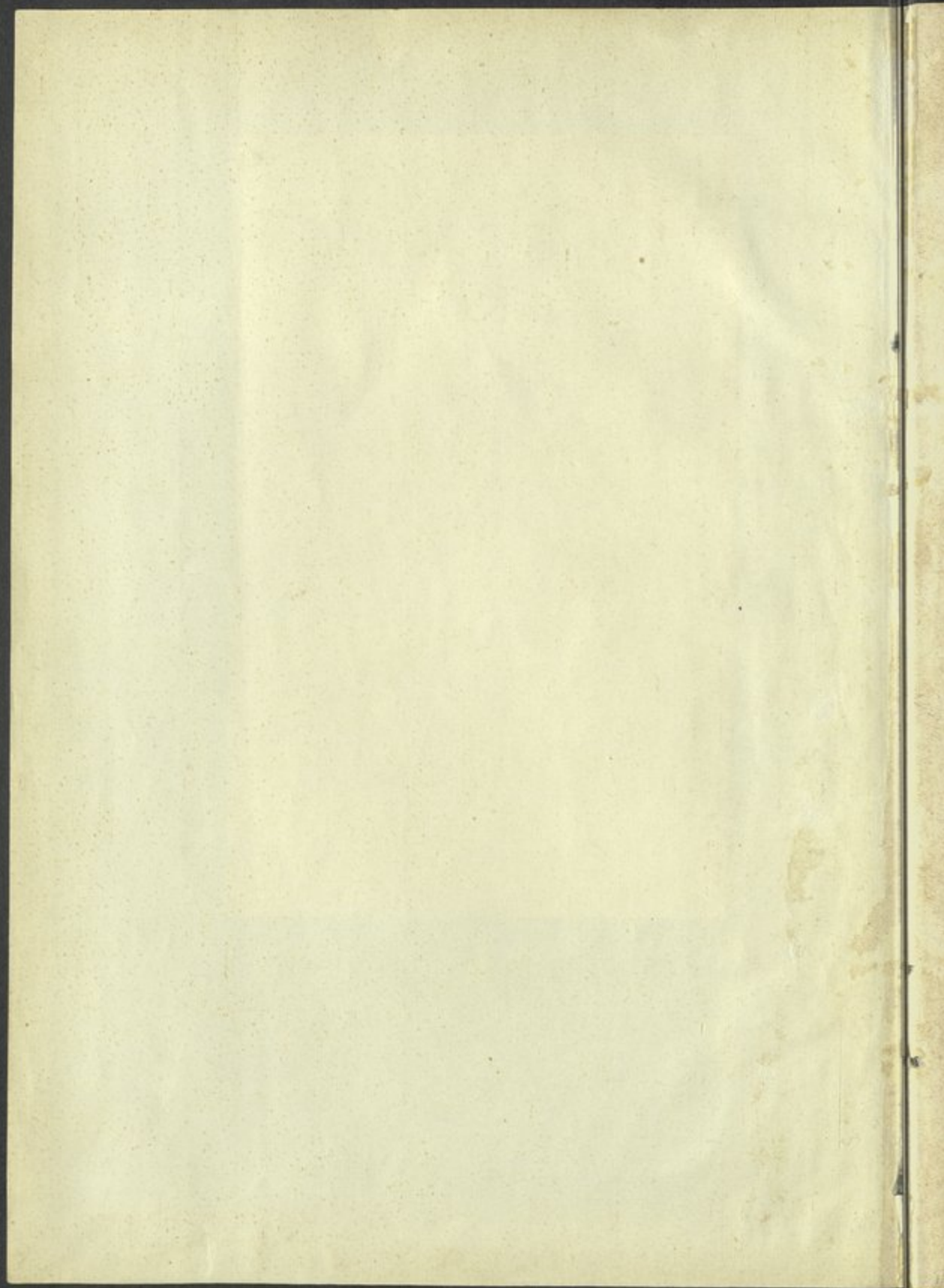
- البحترى : الوليد بن عبيد : ٢ ج ٤ -
 واعى - ٧ - وزروده - خالد -
 أوسع - ٨ - العظم - مثلاً - ٤٢ -
 عده - ١٥٢ - وقدود - ٨ ج ٣ -
 وضرب - ١٩ - خيب - ٤١ -
 بمداد - ٥١ - الجهام - ٥٦ - ٧٦ -
 أفاح - ٧٥ - تنهيا - ٧٨ - الما -
 ١٠٩ - كوفه - ١١١ - مظلم -
 ١٢٠ - تلهب - سحائب - ١٢٤ -
 الغيب - ١٧٥ - الحقد - ١٨٧ -
 يتحول - ٨ ج ٤ - أعلم - ١٧ -
 الأوتار - ٢٢ - دما - كلامي -
 ٢٦ - الحجر - دموعها - ٣٤ -
 وضلوع - ٦٧ - الضاحي - ٨١ -
 الصواف - ٨٤ - شافي - ٨٦ -
 أريب - هباء - ١٠٠ - مهربا -
 ١١٩ - مضيعها - ١٢٢ - عضبه -
 ١٢٦ - يسلبوا - ١٢٧ - معبد
 الوليد بن يزيد الأموي : ١٠٠ ج ٢ :
 أحوال

(الياء)

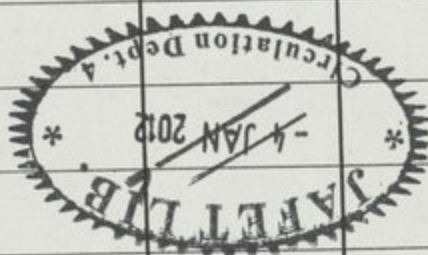
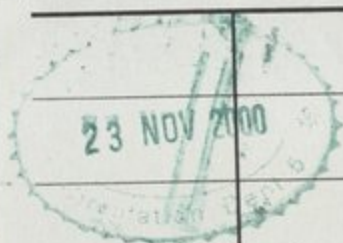
يحيى بن منصور الحنفي : ٣٠ ج ٤ : الدهر
 يزيد بن الصمة - ابن الطرية : ٢٨ ج ٤ :
 قليل

تصحیحات

ص	س	صواب
١٦	٦	والإتقاء والتصديق
١٨	٧	المطر
١٩	٥	صفات
٤١	٢	تَسْكُتُمْ
٤٩	١	فكقول
٥٣	١٦	الشاعر
٥٦	١	حذارك
٥٧	١٥	التوديع
٦٢	٧	ورقه
٧٩	٢٢	تهنئى
٩٣	١٣	والتأكيد
١٢٤	١٢	عميد الله
١٢٩	٢	أقرب
١٣٨	١	المصراعان
١٤٨	١٧	الدخول
١٥١	٧	براعة



DATE DUE

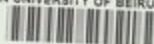


808:K231bA:c.1

الصعیدی ، عبد المتعال

بغیة الايضاح لتلخیص المفتاح فی علوم

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01000000



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

